تاريخ ابن خلدون

المسمى

بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

تأليف عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الأصل التونسي المولد سنة ٧٣٢ هجرية

المجلد السابع

مؤسسة جمال للطباعة والنشر

جامدت - لبنان

تاريخ
ابن خلدون

المسمّى

بكتاب العبر، وديوان المبتدإ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

لوحيد عصره العلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي
المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية

المجلد السابع

مؤسسة جمال للطباعة والنشر
القنيطرة - شارع حسب أحد سهلات - المكتبة
بيروت - لبنان

Marfat.com

131654

(بسم الله الرحمن الرحيم)

{الخبر عن زناتة من قبائل البربر وما كان بين أجيالهم من العزو الظهور وما تعاقب فيهم من الدول القديمة والحديثة}

هذا الجيل في المغرب جيل قديم العهد معروف العين والاثر وهم لهذا العهد آخذون من شعائر العرب في سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتغلب في الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية عن الانقياد للنصفة وشعارهم بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ومواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى ان عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم كما نذكره ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد واذعنوا لحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناته ومنهم بالمغرب الاقصى أمم أخرى وهم لهذا العهد أهل دول وملك بالمغربين وكانت لهم فيه دول أخرى في القديم ولم يزل الملك يتداول في شعوبهم حسبما نذكره بعد لكل شعب منهم ان شاء الله تعالى

Marfat.com

اما نسبهم بين البربر فلا خلاف بين نساباتهم أنهم من ولد شانا واليه نسبهم وأما شانا فقال أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة قال بعضهم هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورمالن بن ضرى بن رحيك بن مادغيس بن بربر وقال أيضا فى كتاب الجمهرة ذكر لى يوسف الوراق عن أيوب بن أبى يزيد يعنى حين وفد على قرطبة عن أبيه النائر بافريقية أيام الناصر قال هو جانا بن يحيى بن صولات بن ورسالن بن ضرى بن مقبو بن قروال بن يملا بن مادغيس بن رحيك بن همرحق بن كراد بن مازيغ بن هرالن بن هرلك بن برا بن بربر بن كنعان بن حام هذا ما ذكره ابن حزم و يظهر منه ان مادغيس ليس نسبة الى البربر وقد قدمنا ما فى ذلك من الخلاف وهو أصح ما ينقل فى هذا الا ان ابن حزم موثوق ولا يعدل به غيره (ونقل) عن ابن أبى زيد وهو كبير زناتة و يكون البربر على هذا من نسل برنس فقط والبتر الذين هم بنو مادغيس الابتر ليسوا من البربر ومنهم زناتة وغيرهم كما قدمنا لكنهم اخوة البربر لرجوعهم كلهم الى كنعان بن حام كما يظهر من هذا النسب (ونقل) عن أبى محمد بن قتيبة فى نسب زناتة هؤلاء انهم من ولد جالوت فى رواية ان زناتة هو جانا ابن يحيى بن ضريس بن جالوت وجالوت هو ونور بن جريل بن جديلان بن جالد بن ديلان بن حصى بن بادبن رحيك بن مادغيس الابتر بن قيس بن عيلان (وفى) رواية أخرى عنه ان جالوت بن جالود بن بردنال بن قحطان ابن فارس وفارس مشهور (وفى) رواية أخرى عنه انه بن هربال بن بالود بن دبال بن برنس بن سفك وسفك أبو البربر كلهم ونسابة الجيل نفسه من زناتة يزعمون انهم من حمير ثم من التبابعة منهم و بعضهم يقول انهم من العمالقة و يزعمون ان جالوت جدهم من العمالقة والحق فيهم ما ذكره أبو محمد ابن حزم أولا وما بعد ذلك فليس شئ منه بصحيح فأما الرواية الاولى عن أبى محمد بن قتيبة فمختلطة وفيها أنساب متداخلة وأما نسب مادغيس الى قيس عيلان فقد تقدم فى أول كتاب البربر عند ذكر أنسابهم وان أبناء قيس معروفون عند النسابة وأما نسب جالوت الى قيس فأمر بعيد عن القياس و يشهد لذلك ان معد بن عدنان الخامس من آباء قيس انما كان معاصر البختنصر كما ذكرناه أول الكتاب وانه لما سلط على العرب أوحى الله الى ارميا نبى بنى اسرائيل أن يخلص معدا و يسير به الى أرضه و بختنصر كان بعد داود بما يناهز أربعمائة وخمسين من السنين فانه خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان له بمثل هذه المدة فمعد متأخر عن داود بمثلها سواء فقيس الخامس من أبنائه متأخر عن داود بأكثر من ذلك فجالوت على ما ذكرانه من أبناء قيس متأخر عن داود بأضعاف ذلك الزمن وكيف يكون ذلك مع ان داود هو الذى قتل جالوت بنص القرآن

(وأما) ادخاله جالوت فى نسب البربر وانه من ولد مادغيس أو سفك خطأ وكذلك من نسبه من العمالقة والحق ان جالوت من بنى فلسطين بن كسلوحيم بن مصرايم بن حام أحد شعوب حام بن نوح وهم اخوة القبط والبربر والحبشة والنوبة كما ذكرناه فى نسب أبناء حام وكان بين بنى فلسطين هؤلاء وبين بنى اسرائيل حروب كثيرة وكان بالشام كثير من البربر اخوانهم ومن سائر أولاد كنعان يضاهونهم فيها ودثرت أمة فلسطين وكنعان وشعوبهما لهذا العهد ولم يبق الا البربر واختص اسم فلسطين بالوطن الذى كان لهم فاعتقد سامع اسم البربر مع ذكر جالوت انه منهم وليس كذلك (وأما) مارأى نسابة زناتة انهم من حمير فقد أنكره الحافظان أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم وقالا ما كان لحمير طريق الى بلاد البربر الا فى أكاذيب مؤرخى اليمن وانما حمل نسابة زناتة على الانتساب فى حمير الترفع عن النسب البربرى لما يرونهم فى هذا العهد خولا وعبيد اللجباية وعوامل الخراج وهذا وهم فقد كان فى شعوب البربر من هم مكافؤن لزناتة فى العصبية أو أشد منهم مثل هوارة ومكناسة وكان فيهم من غلب العرب على ملكهم مثل كتامة وصنهاجة ومن تلقف الملك من يد صنهاجة مثل المصامدة مدة كل هؤلاء كانوا أشد قوة وأكثر جمعا من زناتة فلما فنيت أجيالهم أصبحوا مغلبين فنالهم ضر المغرم وصار اسم البربر مختصا لهذا العهد بأهل المغرم فأنف زناتة منه فرارا من الهضيمة وأعجبوا بالدخول فى النسب العربى لصراحته وما فيه من المزية بتعدد الانبياء ولاسيما نسب مضر وأنهم من ولد اسمعيل بن ابراهيم بن نوح بن شيث بن آدم خمسة من الانبياء ليس للبربر اذا انسبوا الى حام مثلها مع خروجهم عن نسب ابراهيم الذى هو الاب الثالث للخليقة اذ الاكثر من اجيال العالم لهذا العهد من نسله ولم يخرج عنه لهذا العهد الا الاقل مع ما فى العربية أيضا من عز التوحش والسلامة من مذمومات الخلق بانفرادهم فى البيداء فأعجب زناتة نسبهم وزينه لهم نسابتهم والحق بمعزل عنه وكونهم من البربر بعموم النسب لا ينافى شعارهم من الغلب والعز فقد كان الكثير من شعوب البربر مثل ذلك وأعظم منه وأيضا فقد تميزت الخليقة وتباينوا بغير واحد من الاوصاف والكل بنو آدم ونوح من بعده وكذلك تميزت العرب وتباينت شعوبها والكل لسام ولاسمعيل بعده (وأما) تعدد الانبياء فى النسب فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولا يضرك الاشتراك مع الجيل فى النسب العام اذا وقعت المباينة لهم فى الاحوال التى ترفع عنهم مع ان المذلة للبربر انما هى حادثة بالقلة ودثور اجيالهم بالملك الذى حصل لهم ونفقوا فى سبله وترفه كما تقدم لك فى الكتاب الاول من تأليفنا والا فقد كان لهم من الكثرة والعز والملك والدولة ما هو معروف (وأما) ان جيل

Marfat.com

زناتة من العمالقة الذين كانوا بالشام فقول مرجوح وبعيد من الصواب لان العمالقة الذين كانوا بالشام صنفان عمالقة من ولد عيصو بن اسحق ولم تكن لهم كثرة ولا ملك ولا نقل ان أحدا منهم انتقل الى المغرب بل كانوا القلتهم ودثورا جيالهم أخفى من الخفاء والعمالقة الاخرى كانوا من أهل الملك والدولة بالشام قبل بنى اسرائيل وكانت أريحاء دار ملكهم وغلب عليهم بنو اسرائيل وابتزوهم ملكهم بالشام والحجاز وأصبحوا حصائد سيوفهم فكيف يكون هذا الجيل من أولئك العمالقة الذين دثرت اجيالهم وهذا لو نقل لوقع به الاسترابة فكيف وهو لم ينقل هذا بعيد فى العادة والله أعلم بخلقه (وأما) شعوب زناتة وبطونهم فكثير ولنذكر المشاهير منها (فنقول) اتفق نساب زناتة على ان بطونهم كلها ترجع الى ثلاثة من ولد جانا وهم ورسيك وفرنى والديرت هكذا فى كتب انساب زناتة (وذكر) أبو محمد بن حزم فى كتاب الجمهرة له من ولد ورسيك عند نسابتهم مسارت ورغاى وواشروجن ومن واشروجن واريعن بن واشروجن وقال أبو محمد بن حزم فى ولد ورسيك انهم مسارت وناجرت وواسين (وأما) فرنى بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة يزمرتن ومرنجيصة وورركلة وغمالة وسبرتزة ولم يذكر أبو محمد بن حزم سبرتزه وذكر الاربعة الباقية (وأما) الديرت بن جانا فمن ولده عند نسابة زناتة جداو بن الديرت ولم يذكره ابن حزم وانما قال عند ذكر الديرت ومن شعوبه بنو ورسيك بن الديرت وهم بطنان دمر بن ورسيك قال ودمر لقب واسمه العانا قال فمن ولد زاكيا بنو مغراو وبنو يفرن وبنو واسين قال وأمهم واسين مملوكة لام مغراو وهم ثلاثتهم بنو يصلتن بن مسر ابن زاكيا و يزيد نسابة زناتة فى هؤلاء يرنيات بن يصلتن أخا المغراو ويفرن وواسين ولم يذكره ابن حزم قال ومن ولد دمر بنو وزيد بن وانتن بن واردبرن بن دمر وذكر لبنى دمر أفخاذا سبعة وهم عرازول ولفورة وزناتين وهؤلاء الثلاثة مختصون بنسب دمر و برزال ويصدر بن وصغان و بطوفت هكذا ذكر أبو محمد بن حزم وزعم انه من املاء أبى بكر بن يكنى البرزالى الاباضى وقال فيه كان ناسكا عالما بانسابهم وذكر أن بنى واسين و بنى برزال كانوا أباضية وأن بنى يفرن ومغراوة كانوا سنية وعند نسابة البربر مثل سابق بن [illegible] المطماطى وهانئ بن يصدور الكومى وكهلان بن أبى لواوهو مسطرف كلهم ان بنى ورسيك بن الديرت بن جانا ثلاثة بطون وهم بنو زاكيا وبنو دمر وآنشة بنو آنش وكلهم بنو واردبرن بن ورسيك فمن زاكيا واردبرن أربعة بطون مغراوة وبنو يفرن وبنو يرنيان و بنو واسين كلهم بنو واسيلتن بن مسر بن زاكيا بن آنش بن واردبرن ومن دمر واردبرن ثلاثة بطون بنو تغورت وبنو عزرول وبنو ورتاتين كلهم بنو وتيد بن دمر هذا

Marfat.com

الذى ذكره نسابة البربر وهو خلاف ماذكره ابن حزم ويذكر نسابة زناته آخرين من شعوبهم ولا ينسبونهم مثل يحفش وهم أهل جبل قازا زقريب مكناسة وسجاسن وربعان وتحليلة وتيسات وواغمرت وتفرانس ووجديجن وبنو بلومو وبنو ومانى وبنو توجين على أن بنى توجين ينتسبون فى بنى واسين نسبا ظاهرا صحيحا بلا شك على ماذكر فى أخبارهم وبعضهم يقول فى وجديجن وواغمرت بنو ورتنيص انهم من البرانس من بطون البربر على ماقدمناه وذكر ابن عبد الحكم فى كتابه فتح مصر خالد بن حميد الزناتى وقال فيه هو من شورة احدى بطون زناتة ولم نره لغيره هذا ملخص الكلام فى شعوب زناتة وانسابهم بما لا يوجد فى كتاب والله الهادى الى مسالك التحقيق لا رب غيره

(فصل فى تسمية زناتة ومبنى هذه الكلمة)

(اعلم) ان كثيرا من الناس يبحثون عن مبنى هذه الكلمة واشتقاقها على ما ليس معروفا للعرب ولا لاهل الجيل أنفسهم فيقال هو اسم وضعته العرب على هذا الجيل ويقال بل الجيل وضعوه لانفسهم أو اصطلحوا عليه ويقال هو زانا بن جانا فيزيدون فى النسب شيأ لم تذكره النسابة وقد يقال انه مشتق ولا يعلم فى لسان العرب أصل مستعمل من الاسماء يشتمل على حروفه المادية وربما يحاول بعض الجهلة اشتقاقه من لفظ الزنا ويعضده بحكاية خسيسة يدفعها الحق وهذه الاقوال كلها ذهاب الى أن العرب وضعت لكل شئ اسما وأن استعمالها انما هو لاوضاعها التى من لغتها ارتجالا واشتقاقا وهذا انما هو فى الاكثر والا فالعرب قد استعملت كثيرا من غير لغتها فى مسماه اما لكونه علما فلا يغير مثل ابراهيم ويوسف واسحق من اللغة العبرانية واما استعانة وتخفيفا لتداوله بين الالسنة كاللجام والديباج والزنجبيل والنيروز والياسمين والآجر فتصير باستعمال العرب كأنها من أوضاعهم ويسمونها المعربة وقد يغيرونها بعض التغيير فى الحركات أو فى الحروف وهو شائع لهم لانه بمنزلة وضع جديد وقد يكون الحرف من الكلمة ليس من حروف لغتهم فيبدلونه بما يقرب منه فى المخرج فان مخارج الحروف كثيرة منضبطة وانما نطقت العرب منها بالثمانية والعشرين حروف أبجد وبين كل مخرجين منها حروف أكثر من واحد فمنها ما نطقت به الامم ومنها ما لم تنطق به ومنها ما نطق به بعض العرب كما هو مذكور فى كتب أهل اللسان واذا تقرر ذلك فاعلم ان أصل هذه اللفظة التى هى زناتة من صيغة جانا التى هى اسم ابى الجيل كله وهو جانا بن يحيى المذكور فى نسبهم وهم اذا أرادوا الجنس فى التعميم الحقوا بالاسم المفرد تاء فقالوا جانات واذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم والشين وأميل الى السين ويقرب للسمع منها بعض الصغير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاى بالسين فصارت زاناتن لفظا مفردا دالا على الجنس ثم الحقوا به هاء النسبة وحذفوا الالف التى بعد الزاى تخفيفا لكثرة دورانه على الالسنة والله أعلم

(فصل فى أولية هذا الجيل وطبقاته)

أما أولية هذا الجيل بافريقية والمغرب فهى مساوية لاولية البربر مذ أحقاب متطاولة لا يعلم مبدأها الا الله تعالى ولهم شعوب أكثر من أن تحصى مثل مغراوة وبنى يفرن وجراوة وبنى يرسان ووجديجن وعمرة وتحصر وورتيد وبنى زنداغ وغيرهم وفى كل واحد من هذه الشعوب بطون متعددة وكانت مواطن هذا الجيل من لدن جهات

طرابلس الى جبل أوراس والزاب الى قبلة تلمسان ثم الى وادى ملوية وكانت الكثرة والرياسة فيهم قبل الاسلام لجراوة ثم لمغراوة وبنى يفرن (ولما) ملك الافرنجة بلاد البربر فى ضواحيهم صاروا يؤدون لهم طاعة معروفة وخراجا معروفا مؤقتا ويعسكرون معهم فى حروبهم ويمتنعون عليهم فيما سوى ذلك حتى جاء الله بالاسلام وزحف المسلمون الى افريقية وملك الافرنجة بها يومئذ جرجير فظاهره زناتة والبربر على شأنه مع المسلمين وانفضوا جميعا وقتل جرجير وأصبحت أموالهم مغانم ونساؤهم سبايا وافتتحت سبيطلة ثم عاود المسلمون غزو افريقية وافتتحوا جلولاء وغيرها من الامصار ورجع الافرنجة الذين كانوا يملكونهم على اعقابهم الى مواطنهم وراء البحر وظن البربر بأنفسهم مقاومة العرب فاجتمعوا وتمسكوا بحصون الجبال واجتمعت زناتة الى الكاهنة وقومها جراوة بجبل أوراس حسبما ذكره فأثخن العرب فيهم واتبعوهم فى الضواحى والجبال والقفار حتى دخلوا فى دين الاسلام طوعا وكرها وانقادوا الى ايالة مصر وتولوا من أمرهم ما كان الافرنجة يتولونه حتى اذا انحلت بالمغرب عرى الملك العربى وأخرجهم من افريقية البربر من كتامة وغيرهم قدح هذا الجيل الزناتى زناد الملك فأورى لهم وتداول فيهم الملك جيلا بعد جيل فى طبقتين حسبما نقصه عليك ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الكاهنة وقومها جراوة من زناتة وشأنهم مع المسلمين عند الفتح)

كانت هذه الامة من البربر بافريقية والمغرب فى قوة وكثرة وعديد وجموع وكانوا يعطون الافرنجة بامصارهم طاعة معروفة وملك الضواحى كلها لهم وعليهم مظاهرة الافرنجة مهما احتاجوا اليهم ولما أظل المسلمون فى عساكرهم على افريقية للفتح ظاهروا جرجير فى زحفه اليهم حتى قتله المسلمون وانفضت جموعهم وافترقت رياستهم ولم يكن بعدها بافريقية موضع للقاء المسلمين يجمعهم لما كانت غزواتهم لكل أمة من البربر فى ناحيتها وموطنها مع من تحيز اليهم من قبل الافرنجة (ولما) اشتغل المسلمون فى حرب على ومعاوية اغفلوا أمر افريقية ثم ولاها معاوية بعد عام الجماعة عقبة بن نافع الفهرى فأثخن فى المغرب فى ولايته الثانية وبلغ الى السوس وقتل بالزاب فى مرجعه واجتمعت البربر على كسيلة كبيرا وربة وزحف اليه بعد ذلك زهير بن قيس البلوى أيام عبد الملك بن مروان فهزمه وملك القيروان وأخرج المسلمين من افريقية (وبعث) عبد الملك حسان بن النعمان فى عساكر المسلمين فهزموا البربر وقتلوا كسيلة واسترجعوا القيروان وقرطاجنة وافريقية والافرنجة والروم الى صقلية والاندلس وافترقت رياسة البربر فى شعوبهم وكانت زناتة أعظم قبائل البربر وأكثرها جموعا

Marfat.com

وبطونا وكان موطن جراوة منهم بجبل أوراس وهم ولد كراو بن الديرت بن جانا وكانت رياستهم للكاهنة دهيا بنت بن نيعان بن بارو بن مصكسرى بن أفرد بن وصيلا بن جراو وكان لها بنون ثلاثة ورثوا رياسة قومهم عن سلفهم وربوا في حجرها فاستبدت عليهم وعلى قومهم بهم وبما كان لها من الكهانة والمعرفة بغيب أحوالهم وعواقب أمورهم فانتهت اليها رياستهم قال هانى بن بكور الضريسى ملكت عليهم خمسا وثلاثين سنة وعاشت مائة وسبعا وعشرين سنة وكان قتل عقبة بن نافع في البسيط قبلة جبل أوراس باغسرائها برابرة عليه وكان المسلمون يعرفون ذلك منها فلما انقضى جميع البربر وقتل كسيلة رجعوا الى هذه الكاهنة يعتصمها من جبل أوراس وقد ضوى اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من قبائل زناتة وسائر البتر فاقيتهم بالبسيط أمام جبلها وانهزم المسلمون واتبعت آثارهم في جموعها حتى أخرجتهم من افريقية وانتهى حسان الى برقة فأقام بها حتى جاءه المدد من عبد الملك فزحف اليهم سنة أربع وسبعين وفض جموعهم وأوقع بهم وقتل الكاهنة واقتحم جبل أوراس عنوة واستلحم فيه زهاء مائة ألف وكان للكاهنة ابنان قد لحقا بحسان وحسن اسلامهما واستقامت طاعتهما وعضد لهما على قومهما جراوة ومن انضوى اليهم بجبل أوراس ثم افترق فلهم من بعد ذلك وانقرض أمرهم وافترق جراوة أوزاعا بين قبائل البربر وكان منهم قوم بسواحل مليلة وكان لهم آثار بين جيرانهم هنالك واليهم نزع بن أبي العيش لما غلبه موسى بن أبي العافية على سلطانه بتلمسان أول المائة الرابعة حسبما نذكره فنزل عليهم وبنى القلعة بينهم الى ان خربت من بعد ذلك وانتقل منهم بذلك الوطن الى الآن لهذا العهد مندرجون في بطونه ومن اليهم من قبائل عمارة والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن مبتدا دول زناتة في الاسلام ومصير الملك اليهم بالمغرب وافريقية)

لما فرغ شأن الردة من افريقية والمغرب وأذعن البربر لحكم الاسلام وملكت العرب واستقل بالخلافة ورياسة العرب بنو أمية اقتعدوا كرسي الملك بدمشق واستولوا على سائر على الامم والاقطار وأثخنوا في القاصية من لدن الهند والصين شرقا وفرغانة في الشمال والحبشة في الجنوب والبربر في المغرب وبلاد الخلالتة والافرنجة في الاندلس وضرب الاسلام بجرانه وألقت دولة العرب بكلكلها على الامم ثم جدع بنو أمية أنوف بني هاشم مقاسمهم في نسب عبد مناف والمدعين استحقاق الامر بالوصية وتكرر خروجهم عليهم فأثخنوا فيهم بالقتل والاسر حتى توغرت الصدور واستحكمت الاوتار وتعددت فرق الشيعة باختلافهم في مساق الخلافة من علي الى من بعده من بني

Marfat.com

هاشم فقوم ساقوها الى آل العباس وقوم الى آل الحسن وآخرون الى آل الحسين فدعت شيعة آل العباس بخراسان وقام بها اليمنية فكانت الدولة العظيمة الحائزة للخلافة ونزلوا بغداد واستباحوا الامويين قتلا وسبيا وخلص من جاليتهم الى الاندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام فجدد بها دعوة الامويين واقتطع ماوراء البحر عن ملك الهاشميين فلم تخفق لهم به راية (ثم نفس) آل أبي طالب على آل العباس ما أكرمهم الله به من الخلافة والملك فخرج المهدى محمد بن عبد الله المدعو بالنفس الزكية فى بنى أبي طالب على أبي جعفر المنصور وكان من أمرهم ماهو مذكور واستلحمتهم جيوش بنى العباس فى وقائع عديدة وفر ادريس بن عبد الله أخو المهدى من بعض وقائعهم الى المغرب الاقصى فأجاره البرابرة من أورية ومقيلة وقاموا بدعوته ودعوة بنيه من بعده ونالوا به الملك وغلبوا على المغرب الاقصى والاوسط وبثوا دعوة ادريس وبنيه من أهله بعده فى أهله من زناتة مثل بنى يفرن ومغراوة وقطعوه من ممالك بنى العباس واستمرت دولتهم الى حين انقراضها على يد العبيديين ولم يزل الطالبيون أثناء ذلك بالمشرق ينزعون الى الخلافة ويبثون دعاتهم بالقاصية الى ان دعا أبو عبد الله المحتسب بافريقية الى المهدى ولد اسمعيل الامام بن جعفر الصادق فقام برابرة كتامة ومن اليهم من صنهاجة وملكوا افريقية من يد الاغالبة ورجع العرب الى مركز ملكهم بالمشرق ولم يبق لهم فى نواحى المغرب دولة ووضع العرب ما كان على كاهلهم من أمر المغرب ووطأة مضر بعد أن رسخت الملة فيهم وخالطت بشاشة الايمان قلوبهم واستيقنوا بوعد الصادق أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلم تنسلخ الملة بانسلاخ الدولة ولا تقوضت مبانى الدين بتقويض معالم الملك وعدا من الله ان يخلفه فى تمام أمره واظهار دينه على الدين كله فتنافى حينئذ البربر فى طلب الملك والقيام بدعوة الاعياص من بنى عبد مناف يستدون منها حدا فى ارتقاء الى ان ظفروا من ذلك بحظ مثل كتامة بافريقية ومكاسة بالمغرب ونافسهم فى ذلك زناتة وكانوا من أكثرهم جمعا وأشدهم قوة فشمروا له حتى ضربوا معهم بسهم فكان لبنى يفرن بالمغرب وافريقية على يد صاحب الحمار ثم على يد يعلى بن محمد و بنيه ملك ضخم ثم كان لمغراوة على يد بنى خزرون دولة أخرى تنازعوها مع بنى يفرن وصنهاجة ثم انقرضت تلك الاجيال وتجرد الملك بالمغرب بعدهم فى جيل آخر منهم فكان لبنى مرين بالمغرب الاقصى ملك ولبنى عبد الواد بالمغرب الاوسط ملك آخر تنازعوهم فيه بنو توجين والفل من مغراوة حسبما نذكر ونستوفى شرحه ونجلب أيامهم وبطونهم على الطريقة التى سلكناها فى أخبار البربر والله المعين سبحانه لارب سواه ولامعبود الا اياه

Marfat.com

الطبقة الاولى من زناتة ونبدأ منها بالخبر عن بنى يفرن وأنسابهم وشعوبهم وما كان لهم من الدول بافريقية والمغرب

وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة وأوسع بطونهم وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا واخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين والكل بنو يصلتين ويفرن فى لغة البربر هو القار وبعض نسابتهم يقولون ان يفرن هو ابن ورتنيذ بن جانا واخوته مغراوة وغمرت ووجديجن وبعضهم يقول يفرن بن مرة بن ورسيك بن جانا وبعضهم يقول هو ابن جانا الصلبه والصحيح ما نقلناه عن أبى محمد بن حزم (وأما) شعوبهم فكثير ومن أشهرهم بنو وارکوا ومرنجيصة وكان بنو يفرن هؤلاء لعهد الفتح أكبر قبائل زناتة وأشدها شوكة وكان منهم بافريقية وجبل أوراس والمغرب الاوسط بطون وشعوب فلما كان الفتح غشى افريقية ومن بها من البربر جنود الله المسلمون من العرب فتطلمنوا لبأسهم حتى ضرب الدين بجرانه وحسن اسلامهم ولما فشا دين الخارجية فى المغرب وغلبهم الخلفاء بالمشرق واستلحموهم نزعوا الى القاصية وصاروا يبثون بها دينهم فى البربر فتلقفه رؤساؤهم على اختلاف مذاهبه باختلاف رؤس الخارجية فى أحكامهم من أباضية وصفرية وغيرهما كما ذكرناه فى بابه ففشا فى البربر وضرب فيه يفرن هؤلاء بسهم واتصلوه وقاتلوا عليه وكان أول من جمع لذلك منهم أبو قرة من أهل المغرب الاوسط ثم من بعده أبو يزيد صاحب الحمار وقومه بنو وارکوا ومرنجيصة ثم كان لهم بالمغرب الاقصى من بعد الانسلاخ من الخارجية دولتان على يد يعلى بن محمد صالح وبنيه حسبما نذكر ذلك مفسرا ان شاء الله تعالى

Marfat.com

كان من بني يفرن بالمغرب الاوسط بطون كثيرة بنواحي تلمسان الى جبل بني راشد المعروف بهم لهذا العهد وهم الذين اختطوا تلمسان كما نذكره في أخبارها وكان رئيسهم لعهد انتقال الخلافة من بني أمية الى بني العباس أبو قرة ولا نعرف من نسبه أكثر من أنه منهم ولما انتقض البرابرة بالمغرب الاقصى وقام ميسرة وقومه بدعوة الخارجية وقتله البرابرة قدموا على انفسهم مكانه خالد بن حميد من زناتة فكان من حروبه مع كلثوم بن عياض وقتله اياه ما هو معروف ورأس على زناتة من بعده أبو قرة هذا ولما استأثلت دولة بني أمية كثرت الخارجية في البربر وملك وريحومة القيروان وهوارة وزناتة طرابلس ومكناسة سجلماسة وابن رستم تاهرت وقدم ابن الاشعث افريقية من قبل أبي جعفر المنصور وخافه البربر فحسم العلل وسكن الحروب ثم انتقض بنو يفرن بنواحي تلمسان ودعوا الى الخارجية وبايعوا أبا قرة كبيرهم بالخلافة سنة ثمان وأربعين ومائة سرح اليهم ابن الاشعث الاغلب بن سوادة التميمي فانتهى الى الزاب وفر أبو قرة الى المغرب الاقصى ثم راجع موطنه بعد رجوع الاغلب (ولما انتقض) البرابرة على عمر بن حفص بن أبي صفرة الملقب هزارمرد اعام خمسين ومائة وحاصروه بطبنة كان فيمن حاصره أبو قرة اليفرني في أربعين ألفا صفرية من قومه وغيرهم حتى اشتد عليه الحصار وداخل أبا قرة في الافراج عنه على يد ابنه على أن يعطيه أربعين ألفا ولابنه أربعة آلاف فارتحل بقومه وانفض البرابرة عن طبنة ثم حاصروه بعد ذلك القيروان واجتمعوا عليه وأبو قرة معهم بثلثمائة وخمسين ألفا الخيالة منها خمسة وثمانون ألفا وهلك عمر بن حفص في ذلك الحصار وقدم يزيد بن حاتم واليا على افريقية ففض جموعهم وفرق كلمتهم ولحق أبو قرة وبنو يفرن أصحابه بمواطنهم من تلمسان بعد أن قتل صاحبه أبو حاتم الكندي رأس الخوارج واستلحم بني يفرن وتوغل يزيد بن حاتم في المغرب ونواحيه وأثخن في أهله الى ان استكانوا واستقاموا ولم يكن لبني يفرن من بعدها انتقاض حتى كان شأن أبي يزيد بافريقية في بني وركوا ومرنجيصة منهم حسبما نذكره ان شاء الله تعالى الكريم وبعض المؤرخين ينسب ابا قرة هذا الى مغيلة ولم أظفر بصحيح في ذلك والطرائق متساوية في الجانبين فان نواحي تلمسان وان كانت موطنا لبني يفرن فهي أيضا موطن لمغيلة والقبيلتان متجاورتان لكن بنو يفرن كانوا أشد قوة وأكثر جمعا ومغيلة أيضا كانوا أشهر بالخارجية من بني يفرن لانهم كانوا صفرية وكثير من الناس يقولون ان بني يفرن كانوا على مذهب أهل السنة كما ذكره ابن حزم وغيره والله أعلم

Marfat.com

هذا الرجل من بني وارکوا اخوة من نجيصة وكلهم من بطون بني يفرن وكنيته أبو يزيد واسمه مخلد بن كيداد لا يعلم من نسبه فيهم غير هذا وقال أبو محمد بن حزم ذكر لي أبو يوسف الوراق عن أيوب بن أبي يزيد ان اسمه مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن ورغت بن حوي فر بن سميران بن يفرن بن جانا وهو زناتة قال وقد أخبرني بعض البربر بأسماء زائدة بين يفرن وجانا اه كلام ابن حزم ونسبه بن الرقيق أيضا في بني واسين بن ورسيك بن جانا وقد تقدم نسبهم أول الفصل وكان كيداد أبوه يختلف الى بلاد السودان في التجارة فولد له أبو يزيد بكركوا من بلادهم وأمه أم ولد اسمها سيكة ورجع به الى قيطون زناتة ببلاد قصطيلة ونزل توزر مترددا بينها وبين تقيوس وتعلم القرآن وتأدب وخالط النكارية فمال الى مذاهبهم وأخذها عنهم ورأس فيها ورحل الى مشيختهم بتهرت وأخذ عن أبي عبيدة منهم أيام اعتقال عبيد الله المهدي بسجلماسة ومات أبوه كيداد وتركه على حال من الخصاصة والفقر فكان أهل القيطون يصلونه بفضل أموالهم وكان يعلم صبيانهم القرآن ومذاهب النكارية واشتهر عنه تكفير اهل الملة وسب على تخاف وانتقل الى تقيوس وكان يختلف بينها وبين توزر وأخذ نفسه بالتغيير على الولاة ونمى عنه اعتقاد الخروج عن السلطان فنذر الولاة بقصطيلة دمه فخرج الى الحج سنة عشر وثلثمائة وأرهقه الطلب فرجع من نواحي طرابلس الى تقيوس ولما هلك عبد الله أو غر القائم الى أهل قصطيلة في القبض عليه فلحق بالمشرق وقضى الغرض وانصرف الى موطنه ودخل توزر سنة خمس وعشرين مستترا وسعى به ابن فرقان عند والى البلد فتقبض عليه واعتقله وأقبل سرعان زناتة الى البلد ومعهم أبو عمار الاعمى رأس النكارية واسمه كما سبق عبد الحميد وكان ممن أخذ عنه أبو يزيد فتعرضوا للوالي في اطلاقه فتعلل عليهم بطلبه في الخراج فاجتمعوا الى فضل ويزيد ابني أبي يزيد وعمدوا الى السجن فقتلوا الحرس وأخرجوه فلحق ببلد بني وارکلا وأقام بها سنة يختلف الى جبل أوراس والى بني برزال في مواطنهم بالجبال قبلة المسيلة والى بني زند الشمن مغراوة الى أن أجابوه فوصل الى أوراس ومعه أبو عمار الاعمى في اثني عشر من الراحلة ونزلوا على النكارية بالموالات واجتمع اليه القرابة وسائر الخوارج وأخذ له البيعة عليهم أبو عمار صاحبه على قتال الشيعة وعلى استباحة الغنائم والسبي وعلى أنهم ان ظفروا بالمهدية والقيروان صار الامر شورى وذلك سنة احدى وثلاثين وترصد واغيبة

Marfat.com

صاحب باغية فى بعض وجوهه فضربوا على بسيطها واستباح بعض القصور بها سنة ثنتين وثلاثين وغمس بذلك أيدى البربر فى الفتنة ثم زحف بهم الى باغية واستولت عليه وعلى أصحابه الهزيمة فلحقوا بالجبل وزحف اليهم صاحب باغية فانهزم ورجع الى بلده فحاصره أبو يزيد وأوغر أبو القاسم القائم الى كتامة فى امداد كانون صاحب باغية فتلاحقت به العساكر فبيتهم أبو يزيد وأصحابه فقتلوهم وامتنعت عليه باغية وكاتب أبو يزيد البربر الذين حول قسطيلية من بنى واسين وغيرهم فحاصروا توزر سنة ثلاث وستين ورحل الى تبسة فدخلها صلحا ثم الى بجاية كذلك ثم الى مرماجنة كذلك وأهدوا له حمارا أشهب فلزم ركوبه حتى اشتهر به وبلغ خبره عساكر كتامة بالاربض فانفضوا وملك الاربض وقتل امام الصلاة بها وبعث عسكرا الى تبسة فملكوها وقتلوا عاملها وبلغ الخبر القائم وهو بالمهدية فهاله وسرح العساكر لضبط المدن والثغور وسرح مولاه بشرى الصقلى الى باجة وعقد ليسود على الجيوش فعسكر بناحية المهدية وسرح خليل بن اسحق الى القيروان فعسكر بها وزحف أبو يزيد الى بشرى بباجة واشتدت الحرب بينهم وركب أبو يزيد حماره وأمسك عصاه فاستمالت النكارية وخالفوا البشرى الى معسكره فانهزم الى تونس واقتحم أبو يزيد باجة واستباحها ودخل بشرى الى تونس وارتدت البرابر من كل ناحية فأسلم تونس ولحق بسوسة واستأمن أهل تونس الى أبى يزيد فأمنهم وولى عليهم وانتهى الى وادى مجدرة فعسكر بها ووافته الجنود هنالك ورعب الناس منه فاجفلوا الى القيروان وكثرت الاراجيف وسرب أبو يزيد جيوشه فى نواحى افريقية فشنوا الغارات وأكثروا السبى والقتل والاسر ثم زحف الى رقادة فانفض كتامة الذين كانوا بها ولحقوا بالمهدية ونزل أبو يزيد رقادة فى مائة ألف ثم زحف الى القيروان فانحصر بها خليل بن اسحق ثم أخذه بعد مراوضة فى الصلح وهم بقتله فأشار عليه أبو عمار باستبقائه فلم يطعه وقتله ودخلوا القيروان فاستباحوها ولقيه مشيخة الفقهاء فأمنهم بعد التقريع والعتب وعلى أن يقتلوا أولياء الشيعة وبعث رسله فى وفد من أهل القيروان الى الناصر الاموى صاحب قرطبة ملتزما لطاعته والقيام لدعوته وطالبا لمدده فرجعوا اليه بالقبول والوعد ولم يزل يتردد ذلك سائر أيام الفتنة حتى أوفد ابنه أيوب فى آخرها سنة خمس وثلاثين فكان له اتصال بالناصر سائر أيامه وزحف ميسور من المهدية بالعساكر وفرغنه بنو كملان من هوارة ولحقوا بأبى يزيد وحرضوه على لقاء ميسور فزحف اليه واستوى اللقاء واستماث أبو يزيد والنكارية فانهزم ميسور وقتله أبو كملان وبعث برأسه الى القيروان ثم الى المغرب واستبيح معسكره وسرح أبو يزيد

عساكره الى مدينة فاقتحموها عنوة وأكثروا من القتل والنهب وعظم القتل بضواحى افريقية وخلت القرى والمنازل ومن أفلته السيف أهلكه الجوع واستخف أبو يزيد بالناس بعد قتل ميسور فلبس الحرير وركب الفاره ونكر عليه أصحابه ذلك وكانبه به رؤساؤهم من البلاد والقائم خلال ذلك بالمهدية يخندق على نفسه ويستنفر كتامة وصنهاجة للحصار معه وزحف أبو يزيد حتى نزل المهدية وناوش عساكرها الحرب فلم يزل الظهور عليهم وملك زويلة ولما وقف بالمصلى قال القائم لاصحابه من ههنا يرجع واتصل حصاره للمهدية واجتمع اليه البربر من قابس وطرابلس ونفوسة وزحف اليهم ثلاث مرات فانهزم فى الثالثة ولم يقلع وكذلك فى الرابعة واشتد الحصار على المهدية ونزل الجوع بهم واجتمعت كتامة بقسنطينة وعسكروا بها لامداد القائم فسرح اليهم أبو يزيد يكموس المزاتى ورجومة فانفض معسكر كتامة من قسنطينة ويئس القائم من مددهم وتفرقت عساكر أبى يزيد فى الغارات والنهب فخف المعسكر ولم يبق به الا هوارة ورأس بنى كملان وكثرت مراسلات القائم للبربر واستراب بهم أبو يزيد وهرب بعضهم الى المهدية ورحل آخرون الى مواطنهم فأشار عليه أصحابه بالافراج عن المهدية فأسلموا معسكرهم ولحقوا بالقيروان سنة أربع وثلاثين ودبر أهل القيروان فى القبض عليه فلم يتهيأ لهم وعذله أبو عمار فيما أتاه من الاستكثار من الدنيا فتاب وأقلع وعاود لبس الصوف والتقشف وشاع خبر اجفاله عن المهدية فقتل النكارية فى كل بلد وبعث عساكره فعاثوا فى النواحى وأوقعوا بأهل الامصار وخربوا كثيرا منها وبعث ابنه أيوب الى باجة فعسكر بها ينتظر وصول المدد من البربر وسائر النواحى فلم يفجأه الا وصول على بن حمدون الاندلسى صاحب المسيلة فى حشد كتامة وزواوة وقد مر بقسنطينة والاربض وسقنبارية واستصحب منها العساكر فبيته أيوب وانفض معسكره وتردى به فرسه فى بعض الاوعار فهلك ثم زحف أيوب فى عسكره الى تونس وقائدها حسن بن على من دعاة الشيعة فانهزم ثم أتيحت له الكرة ولحق حسن بن على بلد كتامة فعسكر بهم على قسنطينة وسرح أبو يزيد جموع البربر لحربه ثم اجتمعت لابى يزيد حشود البربر من كل ناحية وثابت اليه قوته وارتحل الى سوسة فحاصرها ونصب عليها المجانيق وهلك القائم سنة أربع وثلاثين فى شوال وصارت الخلافة لابنه اسمعيل المنصور فبعث بالمدد الى سوسة بعد أن اعتزم على الخروج اليها بنفسه فمنعه أصحابه ووصل المدد الى سوسة فقاتلوا أبا يزيد فانهزم ولحق بالقيروان فامتنعت عليه فاستخلص صاحبه أبا عمار من أيديهم وارتحل عنهم وخرج المنصور من المهدية الى سوسة ثم الى القيروان فملكها وعفا

عن أهلها وأمنهم وأحسن فى مخلف أبى يزيد وعياله ووفى المدد الى أبى يزيد ثالثة فاعتزم على صاحب القيروان وزحف الى عسكر المنصور بساحتها فبيتهم واشتد الحرب واستمات الاولياء وافترقوا آخر نهارهم وعاودوا الزحف مرأت ووصل المدد الى المنصور من الجهات حتى اذا كان منتصف المحرم كان الفتح وانهزم أبو يزيد وعظم القتل فى البربر ورحل المنصور فى اتباعه فمر ثم تبسة حتى انتهى الى باغاية ووافاه بها كتاب محمد بن خزر بالطاعة والولاية والاستعداد للمظاهرة فكتب اليه بترصد أبى يزيد والقبض عليه ووعده فى ذلك بعشرين حملا من المال ثم رحل الى طبنة فوافاه بها جعفر بن على عامل المسيلة بالهدايا والاموال وبلغه أن أبا يزيد نزل بسكرة وانه كاتب محمد بن خزر يسأله النصرة فلم يدع عنده ما يرضيه فارتحل المنصور الى بسكرة فتلقاه اهلها وفر أبو يزيد الى بنى برزال بجبل سالات ثم الى جبل كامة وهو جبل عياض لهذا العهد وارتحل المنصور فى أثره الى ومرة وبيته أبو يزيد هنالك فانهزم ولم يظفر وانحاز الى جبل سالات ثم لحق بالرمال ورجع عنه بنو كملان وأمنهم المنصور على يد محمد بن خزر وسار المنصور فى التبعية حتى نزل جبل سالات وارتحل وراءه الى الرمال ثم رجع ودخل بلاد صنهاجة وبلغه رجوع أبى يزيد الى جبل كامة فرجع اليه ونزل عليه المنصور فى كامة وعجيسة وزواوة وحشد بنى زناد ومزاتة ومكناسة ومكلاتة وتقدم المنصور اليه فقاتلوا أبا يزيد وجموع النكارية فهزموهم واعتصموا بجبل كامة ورحل المنصور الى المسيلة وانحصر أبو يزيد فى قلعة الجبل وعسكر المنصور ازاءها واشتد الحصار وزحف اليها مرات ثم اقتحمها عليهم فاعتصم أبو يزيد بقصر فى ذروة القلعة فأحيط به واقتحم وقتل أبو عمار الاعمى ويكموس المزاتى ونجا أبو يزيد مثخنا بالجراحة محمولا بين ثلاثة من أصحابه فسقط فى مهواة من الاوعار فوهن وضيق من الغداة الى المنصور فأمر بعداوته ثم أحضره وربخه واقام الحجة عليه وتجافى عن دمه وبعثه الى المهدية وفرض له بها الجراية فجزاه خيرا وحمل فى القفص فمات من جراحته سنة خمس وثلاثين وأمر به فسلخ وحشى جلده بالتبن وطيف به فى القيروان وهرب الفل من أصحابه الى ابنه فضل وكان مع معبد بن خزر فأغاروا على ساقة المنصور وكمن لهم زيرى بن مناد أمير صنهاجة فاوقع بهم ولم يزل المنصور فى اتباعه الى أن نزل المسيلة وانقطع أثر معبد ووافاه بعسكره هنالك انتقاض حميد بن يصل عامل يتهرت من أوليائهم وانه ركب البحر من تنس الى العدوة فارتحل الى يتهرت وولى عليها وعلى تنس ثم قصد لوانة فهربوا الى الرمال ورجع الى افريقية سنة خمس وثلاثين ثم بلغه ان فضل بن أبى يزيد أغار على جهات قصطيلة فرحل من سنته فى طلبه وانتهى الى قفصة

Marfat.com

ثم ارتحل الى من أعمال الزاب وفتح حصن ماداس مما يليه وهرب فضل فى الرمال فأعجزه ورجع الى القيروان سنة ست وثلاثين ومضى فضل الى جبل أوراس ثم سار منه الى باغاية فحصرها وغدر به ماطيط بن يعلى من أصحابه وجاء برأسه الى المنصور وانقرض أمر ابى يزيد وبنيه وافترقت جموعهم واغتال عبد الله بن بكار من رؤساء مغراوة بعد ذلك أيوب بن أبى يزيد وجاء برأسه الى المنصور متقربا اليه وتتبع المنصور قبائل بنى يفرن بعدها الى أن انقطع أثر الدعوة والبقاء لله تعالى وحده

الخبر عن الدولة الاولى لبني يفرن بالمغرب الاوسط والاقصى ومبادى أمورهم ومصايرها

كان لبنى يفرن من زناتة بطون كثيرة وكانوا متفرقين بالمواطن فكان منهم بافريقية بنو واركو ومرنجيصة وغيرهم كما قدمناه وكان منهم بنواحى تلمسان ما بينها وبين تاهرت أمم كثير عددهم وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان كما نذكره بعد ومنهم أبو قرة المنترنى بتلك الناحية لاول الدولة العباسية وهو الذى حاصر عمر بن حفص بطبنة كما تقدم ولما انقرض أمر أبى يزيد وأثخن المنصور فيمن كان بافريقية من بنى يفرن أقام هؤلاء الذين كانوا بنواحى تلمسان على وفودهم وكان رئيسهم لعهد أبى يزيد محمد بن صالح ولما تولى المنصور محمد بن ذرء قومه مغراوة وكان بينه وبين بنى يفرن هؤلاء فتنة هلك فيها محمد بن صالح على يد عبد الله بن بكار من بنى يفرن كان متحيزا الى مغراوة وولى أمره فى بنى يفرن من بعده ابنه يعلى فعظم صيته واختط مدينة ايفكان ولما خطب عبد الرحمن الناصر طاعة الامويه من زناتة أهل العدوة واستألف ملوكهم سارع يعلى لاجابته واجتمع عليها مع الخير بن محمد بن خزرو قومه مغراوة وأجلب على وهران فملكها سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة من يد محمد بن عون وكان ولاه عليها صولات اللمطى أحد رجالات كلمه سنة ثمان وتسعين ومائتين فدخلها يعلى عنوة على بنيه وخربها وكان يعلى قد زحف مع الخير ابن محمد الى تاهرت وبرز اليه ميسور الخصى فى شيعته من لماية فهزموهم وملكوا تاهرت وتقبض على ميسور وعبد الله بن بكار فبعث به الخير الى يعلى بن محمد ايثارا به فلم يرضه كفؤا لدمه ودفعه الى من أثار به من بنى يفرن واستفحل سلطان يعلى فى ناحية المغرب وخطب على منابرها لعبد الرحمن الناصر ما بين تاهرت الى طنجة واستكتب من الناصر تولية رجال بيته على امصار المغرب فعقد على فاس محمد بن الخير بن محمد بن عثيرة ونسك محمد لسنة من ولايته واستأذن فى الجهاد والرباط بالاندلس فاجاز ذلك واستخلف على عمله ابن عمه أحمد بن أبى بكر بن أحمد بن عثمان بن سعيد وهو الذى اختط مدينة القرويين سنة أربع وأربعين كما ذكرناه ولم يزل سلطان يعلى بن محمد بالمغرب عظيما الى أن أغزى بعد المعز لدين الله كاتبه جوهر الصقلى من القيروان الى المغرب سنة

Marfat.com

سبع وأربعين فلما فصل جوهر بالجنود بادر امير زناتة بالمغرب يعلى بن محمد اليفرنى الى لقائه والاذعان لطاعته والانحياش اليه ونبذ عهد البيعة عن قومه بنى يفرن وزناتة فتقبلها جوهر وأضمر الفتك به وتخير لذلك يوم فصوله من بلده وأسر الى بعض مستخلصيه من الاتباع فأوقعوا نفرة فى أعقاب العسكر طارا اليها الزعماء من كتامة وصنهاجة وزناتة وتقبض على يعلى فهلك فى وطيس تلك الهيعة فغص بالرماح على أيدى رجالات كتامة وصنهاجة وذهب دمه هدرا فى القبائل وخرب جوهر مدينة ايفكان وفرت زناتة أمامه وكشف القناع فى مطالبتهم (وقد ذكر) بعض المؤرخين ان يعلى انما لقى جوهرا عند منصرفه من الغزاة بمدينة تاهرت وهنالك كان فتكه به بناحية شلف فتفرقت بعدها جماعة بنى يفرن وذهب ملكهم فلم يجتمعوا الا بعد حين على ابنه بدوى بالمغرب كما نذكره ولحق الكثير منهم بالاندلس كما يأتى خبرهم فى موضعه وانقرضت دولة بنى يفرن هؤلاء الى أن عادت بعد مدة على يد يعلى بفاس ثم استقرت آخرا بسلا وتعاقب فيهم هنالك الى آخرها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن الدولة الثانية لبنى يفرن بسلا من المغرب الاقصى وأولية ذلك وتصاريفه)

لما أوقع جوهر الكاتب قائد المعز بيعلى بن محمد أمير بنى يفرن وملك المغرب سنة سبع وأربعين كما ذكرناه وتفرقت جموع بنى يفرن لحق ابنه بدوى بن يعلى بالمغرب الاقصى وأحس بجوهر من ورائه فأبعد المفر وأصحر الى أن رجع جوهر من المغرب ويقال ان جوهرا تقبض عليه واحتمله أسيرا فاعتقل الى ان فر من معتقله بعد حين واجتمع عليه قومه من بنى يفرن وكان جوهر عند منصرفه من المغرب ولى على الادارسة المتحيزين الى الريف وبلاد غمارة الحسن بن كنون شيخ بنى محمد منهم فنزل وأجاز الحكم المستنصر لاول ولايته سنة خمس وثلثمائة وزيره محمد بن قاسم بن طملس فى العساكر لتدويخ المغرب واقتلاع جرثومة الادارسة فأجاز فى العساكر وغلبهم على بلادهم وأزعجهم جميعا عن المغرب الى الاندلس سنة خمس وستين كما ذكرناه ومهد دعوة الامويه بالمغرب وأقبل الحكم مولاه غالبا وردده الى الثغر لسده وعقد على المغرب ليحيى بن محمد بن هاشم التجيبى صاحب الثغر الاعلى وكان أجازه مدد الغالب فى رجال العرب وجند الثغور حتى اذا انغمس الحكم فى علة الفالج وركدت ريح المروانية بالمغرب واحتاجت الدولة الى رجالها لسد الثغور ودفاع العدو استدعى يحيى بن محمد بن هاشم من العدوة وادالة الحاجب المصعبى بجعفر بن على بن حمدون أمير الزاب والمسيلة النازع اليهم من دعوة الشيعة وجمعوا بين الانتفاع به فى العدوة والراحة مما يتوقع منه على الدولة ومن البرابرة فى الثنيات الخلابة لما كانوا أصاروا اليه من النكبة وطوقوه

Marfat.com

من المحنة ولما كان اجتمع بقرطبة من جموع البرابرة فعقدوا له ولاخيه يحيى
على المغرب وخلعوا عليهما وأمكنوهما من مال دثروكسى فاخرة للخلع على ملوك
العدوة فنهض جعفر الى المغرب سنة خمس وستين وضبطه واجتمع اليه ملوك زناتة مثل
بدوى بن يعلى أمير بنى يفرن وابن عمه أبو بخت بن عبد الله بن بكار ومحمد بن الخير بن
خزر وابن عمه بكساس ابن سيد الناس وزيرى بن خزروزيرى ومقاتل ابنا عطية بن
تيادها وخزرون بن ابن سعيد أمير مغراوة واسمعيل بن البورى
أمير مكناسة ومحمد بن ابن محمد الازداخى وكان بدوى بن يعلى من أشدهم
قوة وأحسنهم طاعة الحكم وولى مكانه هشام المؤيد وانفرد محمد
ابن أبى عامر بحجابته اقتصر من العدوة لاول قيامه على مدينة سبتة فضبطها بجند
السلطان ورجال الدولة وقلدها الصنائع من أرباب السيوف والاقلام وعول فى ضبط
ماوراء ذلك على ملوك زناتة وتعهدهم بالجوائز والخلع وصار الى اكرام وفودهم واثبات
من رغب فى الاثبات فى ديوان السلطان منهم فجد وافى ولاية الدولة وبث الدعوة
وفسد ما بين أمير العدوة جعفر بن على وأخيه يحيى واقتطع يحيى مدينة لنفسه
وذهب بأكثر الرجال ثم كانت على جعفر النكبة التى نكبه برغواطة فى غزاته اياهم
واستدعاه محمد بن أبى عامر لاول أمره لما رآه من استقامته اليه وشد ازره وتلوى عليه
كراهية لما يلقى بالانداس من الحكم ثم وتخلى لاخيه عن عمل المغرب
وأجاز البحر الى ابن أبى عامر فحل منه بالمكان الاثير وتناغت زناتة فى التزلف الى الدولة
بقرب الطاعات فزحف خزرون بن فلفول سنة ست وستين الى مدينة سبتة لمماسة
فاقتحمها ومحى دولة آل مدرار منها وعقد له المنصور عليها كما ذكرنا ذلك قبل وزحف
عقب هذا الفتح بلكين بن زيرى قائد افريقية للشيعة الى المغرب سنه تسع وستين
زحفه المشهور وخرج محمد بن أبى عامر من قرطبة الى الجزيرة لمدافعته بنفسه واحتمل
من بيت المال مائة حمل ومن العساكر مالا يحصى عدده وأجاز جعفر بن على بن حمدون الى
سبتة وانضمت اليه ملوك زناتة ورجع بلكين عنهم الى غزو برغواطة الى أن هلك سنة
ثلاث وسبعين كما ذكرناه ورجع جعفر الى مكانه الى ابن أبى عامر لم يسمح بمقامه عنه
ووصل حسن بن كنون خلال ذلك من القاهرة بكتاب عبد العزيز بن نزار بن معد الى
بلكين صاحب افريقية فى اعانته الى ملك المغرب وامداده بالمال والعساكر فأمضاه
بلكين لسبيله وأعطاه مالا ووعده باضعافه ونهض الى المغرب فوجد طاعة المروانية قد
استحكمت فيه وهلك بلكين أثر ذلك وشغل ابنه المنصور عن شأنه فدعا الحسن بن
كنون الى نفسه وأنفذ أبو محمد بن أبى عامر بن عمه محمد بن عبد الله و يلقب عسكلاجة

Marfat.com

لحربه سنة خمس وسبعين وجاء أثره الى الجزيرة كما يشارف القصة وأحيط بالحسن بن كنون فسأل الامان وعقد له مقارعه عمرو عسكلاجة وأشخصه الى الحضرة فلم يمض ابن أبي عامر امامه ورأى ان لاذمة له لكثرة نكثه فبعث من ثقاته من أتاه برأسه وانقرض أمر الادارسة وانمحى أثرهم فأغضب عمرو عسكلاجة لذلك وامتراح الى الجند بأقوال نميت عنه الى المنصور فاستدعاه من العدوة وألحقه بمقتوله ابن كنون وعقد على العدوة للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمي واكتنف عدده وأطلق في المال يده ونفذ الى عمله سنة ست وسبعين فضبط المغرب أحسن ضبط وهابته البرابرة ونزل فاس من العدوة فعز سلطانه وكثر جمعه وانضم اليه ملوك النواحي حتى حذرا بن أبي عامر مغبة استقلاله واستدعاه ليبلو صحة طاعته فأسرع اللحاق به فضاعف تكرمته وأعاده الى عمله وكان بدوى بن يعلى هذا من بين ملوك زناتة كثير الاضطراب على الامويين والمراوغة لهم بالطاعة وكان للمنصور بن أبي عامر يضرب بينه وبين قرينه زيري بن عطية ويقرن كلا منهما بمناغاة صاحبه في الاستقامة وكان الى زيري أميل وبطاعته أوثق لخلوصه وصدق طويته وانحياشه فكان يرجوان يتمكن من قياد بدوى بن يعلى بمناغاته فاستدعى زيري بن عطية الى الحضرة سنة سبع وسبعين فبادر الى القدوم عليه وتلقاه وأكبر موصله وأحسن مقامه ومنقلبه وأعظم جائزته وسام بدوى مثلها فامتنع وقال لرسوله قل لابن أبي عامر متى عهد حمر الوحش تنقاد للبيطارة وأرسل عنانه في العيث والفساد ونهض اليه صاحب المغرب الوزير حسن بن عبد الودود في عساكره وجموعه من جند الاندلس وملوك العدوة مظاهرا عليه لعدوه زيري بن عطية وجمع لهم بدوى ولقيهم سنة احدى وثمانين فكان الظهور له وانهزم عسكر السلطان وجموع مغراوة واستلحموا وجرح الوزير حسن بن عبد الودود جراحات كان فيها النيال مهالكه وطار الخبر الى ابن أبي عامر فاغتم لذلك وكتب الى زيري بضبط فاس ومكاتفة أصحاب حسن وعقد له على المغرب كما نستوفي ذكره عند ذكر دولتهم وغالبه بدوى عليها مرة بعد أخرى ونزع ابو البهار بن زيري بن مناد الصنهاجي عن قومه ولحق بسواحل تلمسان ناقضا الطاعة الشيعة وخارجا عن أخيه المنصور بن بلكين صاحب القيروان وخاطب ابن أبي عامر من وراء البحر وأوفد عليه ابن أخيه ووجوه قومه فسرب اليه الاموال والصلاة بفاس مع زيري حسبما ذكره وجمع أيديهما على مدافعة بدوى فساء أمره فيهما جميعا الى أن راجع أبو البهار ولايته منصور بن أخيه كما ذكره بعد وحاربه زيري فكان له الظهور عليه ولحق أبو البهار بسبتة ثم عاد الى قومه واستفحل زيري من بعد ذلك وكانت بينه وبين بدوى وقعة اكتسح زيري من ماله ومعسكره مالا كفوله وسبي حرمه واستلحم من قومه

Marfat.com

زهاء ثلاثة آلاف فارس وخرج الى الصحراء شريدا سنة ثلاث وثمانين وهلك هنالك فولى أمره فى قومه حبوس ابن أخيه زيرى بن يعلى ووثب به ابن عمه أبو يداس بن دوناس فقتله طمعا فى الرياسة من بعده واختلف عليه قومه فأخفق أمله وعبر البحر الى الاندلس فى جمع عظيم من قومه وولى أمر بنى يفرن من بعده حمامة بن زيرى بن يعلى أخو حبوس المذكور فاستقام عليه أمر بنى يفرن وقد مر ذكره فى خبر بدوى غير مرة وانه كانت الحرب بينه وبين زيرى بن عطية سجالا وكانا يتعاقبان ملك فاس بتناول الغلب وانه لما وفد زيرى على المنصور خالفه بدوى الى فاس فملكها وقتل بها خلقا من مغراوة وانه لما رجع زيرى اعتصم بدوى بفاس فنازله زيرى وعلك من مغراوة وبنى يفرن فى ذلك الحصار خلق ثم اقتحمها زيرى عليهم عنوة فقتله وبعث برأسه الى سدة الخلافة بقرطبة سنة ثلاث وثمانين والله أعلم (ولما) اجمع بنو يفرن على حمامة تحيز بهم الى ناحية شالة من المغرب فملكها وما اليها من تاذلا واقتطعها من زيرى ولم يزل عميد بنى يفرن فى تلك العمالة والحرب بينه وبين زيرى ومغراوة متصلة وكانت بينه وبين المنصور صاحب القيروان مهاداة فأهدى اليه وهو محاصر لعمه حمادا بالقلعة سنة ست وأربعمائة وأوفد بهديته أخاه زاوى بن زيرى فلقيه بالطبول والبنود ولما هلك حمامة قام بامر بنى يفرن من بعده أخوه الامير أبو الكمال تميم بن زيرى بن يعلى فاستبد بملكهم وكان مستقيما فى دينه مولعا بالجهاد فانصرف الى جهاد برغواطة وسالم مغراوة وأعرض عن فتنتهم (ولما) كانت سنة أربع وعشرين وأربعمائة تجددت العداوة بين هذين الحيين بنى يفرن ومغراوة وثارت الاحن القديمة وزحف أبو الكمال صاحب شالة وتاذلا وما اليها الى ذلك فى جموع يفرن وبرز اليه حمامة بن المعز فى قبائل مغراوة ودارت بينهم حروب شديدة وانكشفت مغراوة وفر حمامة الى وجدة واستولى الامير أبو الكمال تميم وقومه على فاس وغلبوا مغراوة على عمل المغرب واكتسح تميم اليهود بمدينة فاس واصطلم نعمهم واستباح حرمهم ثم احتشد حمامة من وجدة سائر قبائل مغراوة وزناتة وبعث الحاشدين فى قياطينهم لجميع بلاد المغرب الاوسط ووصل الى تنس صريخا لزعمائهم وكاتب من بعد عنه من رجالاتهم وزحف الى فاس سنة تسع وعشرين فأفرج عنها أبو الكمال تميم ولحق ببلده ومقر ملكه من شالة وأقام بمكان عمله وموطن امارته منها الى أن هلك سنة ست وأربعين وولى ابنه حماد الى أن هلك سنة تسع وأربعين وولى بعده ابنه يوسف الى أن توفى سنة ثمان وخمسين فولى بعده عمه محمد بن الامير أبى تميم الى أن هلك فى حروب لمتونة حين غلبوهم على المغرب أجمع حسبما نذكره والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين (وأما) أبو يداس بن دوناس قاتل

Marfat.com

حبوس بن زيرى بن يعلى بن محمد فانه لما اختلف عليه بنو يفرن وأخفق أمله فى اجتماعهم له أجاز البحر الى الاندلس سنة ثنتين وثمانين فرفعه اخوانه أبو قرة وأبو زيد وعطاف فحل كلهم من المنصور محل التكرمة والايثار ونظمه فى جملة الرؤساء والامراء واسنى له الجراية والاقطاع وأثبت رجاله فى الديوان ومن أجاز من قومه فبعد صيته وعلا فى الدولة كعبه (ولما) افترقت الجماعة وانتزسلك الخلافة كان له فى حروب البربر مع جند الاندلس آثار بعيدة وأخبار غريبة ولما ملك المستعين قرطبة سنة أربعمائة واجتمع اليه من كان بالاندلس من البرابرة لحق المهدى بالثغور واستجاش طاغية الجلالقة فزحف معه الى غرناطة وخرج المستعين فى جموعه من البرابرة الى الساحل واتبعهم المهدى فى جموعه فتواقعوا بوادى ايرة فكانت بين الفريقين جولة عظم بلاء البرابرة وطار لابى يداس فيما ذكروا نهزم المهدى والطاغية وجموعهم بعد أن تضايقت المعركة وأصابت أبا يداس بن دوناس جراحة كان فيها مهلكه ودفن هناك وكان لابنه خلوف وحافده تميم بن خلوف من رجالات زناتة بالاندلس شجاعة ورياسة وكان يحيى بن عبد الرحمن بن أخيه عطاف من رجالاتهم وكان له اختصاص ببنى حمود ثم بالقاسم منهم ولاه على قرطبة أيام خلافته والبقاء لله وحده

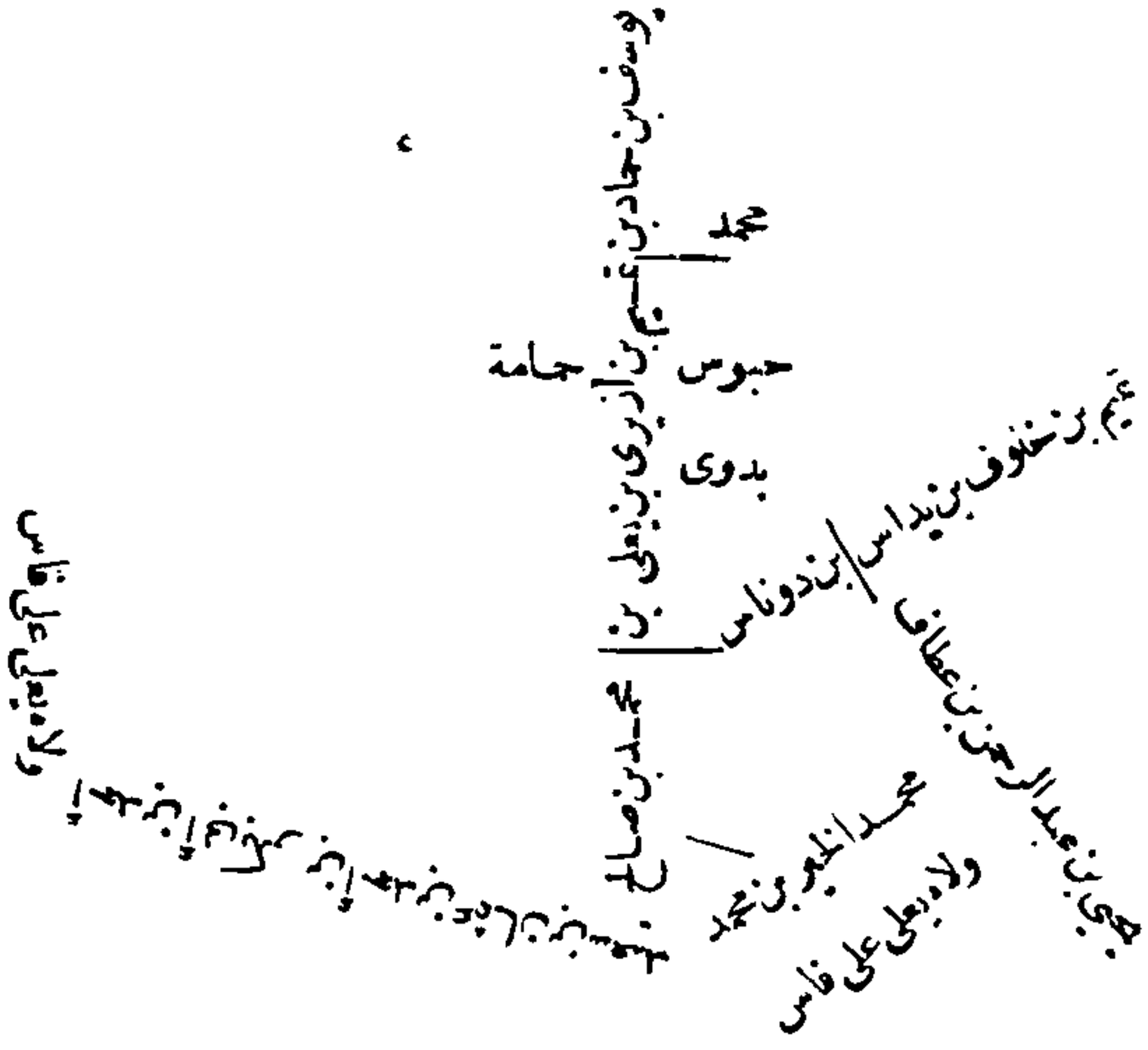

131654

Marfat.com

(الخبر عن أبي نور بن أبي قرة وما كان لهمن الملك بالاندلس أيام الطوائف)

هذا الرجل اسمه أبو نور بن أبي قرة بن أبي يفرن من رجالات البربر الذين استظهر بهم قومهم أيام الفتنة تغلب على رندة أزمان تلك الفتن وأخرج منها عامر بن فتوح من موالى الامويه سنة خمس وأربعمائة فملكها واستحدث بها لنفسه سلطانا ولما استفحل أمر ابن عباد باشبيلية واشتى على تملك أجوره من الاعمال والثغور نشأت الفتنة بينه وبين أبي نور هذا واختلف حاله معه فى الولاية والانحراف وسجل له سنة ثلاث وأربعين برنده وأعمالها فيمن سجل له من البربر واستدعاه بعدها سنة خمسين لبعض ولائمه وكاده بكتاب أوقفه عليه على لسان جارية بقصره تشكو اليه ما نال منها ما نال ابنه من المحرم فانطلق الى بلده وقتل ابنه وشعر بالمكيدة فحات أسفا وولى ابنه الآخر أبو نصر الى سنة سبع وخمسين فغدر به بعض جنده وخرج هاربا فسقط من السور ومات وتسلم المعتمد رنده من يد ذلك ويقال ان ذلك كان عند كائنة الحمام سنة خمس وأربعين وان أبا نور هلك فيها ولما بلغ الخبر ابنه أبا نصر وقع ما وقع والله أعلم

(الخبر عن مرنجيصة من بطون بني يفرن وشرح أحوالهم)

كان هذا البطن من بني يفرن بضواحي افريقية وكانت لهم كثرة وقوة ولما خرج أبو يزيد على الشيعة وكان من أخوالهم بنو وارك وا ظاهروه على أمره بما كان لهم معهم من العصبية ثم انقرض أمره وأخذتهم دولة الشيعة وأولياؤهم صنهاجة وولاتهم على افريقية بالسطوة والقهر وانزال العقوبات بالانفس والاموال الى أن تلاشوا وأصبحوا فى عداد القبائل المغارمة وبقيت منهم احياء نزلوا ما بين القيروان وتونس أهل شاء وبقر وخيام يظعنون فى نواحيها وينتحلون الفلح فى معاشهم وملك الموحدون افريقية وهم بهذا الحال وضربت عليهم المغارم والضرائب والعسكرة مع السلطان فى غزواته بعدة مفروضة يحضرون بها متى استقروا (ولما تغلب) الكعوب من بني سليم على ضواحي افريقية وأخرجوا منها الزواودة من الرياح أعداء الدولة لذلك العهد واستظهر بهم السلطان عليهم اتخذوا افريقية وطنا من قابس الى باجة ثم اشتدت ولايتهم للدولة وعظم الاستظهار بهم وأقطعهم ملك الدولة ما شاؤه من الاعمال والخراج فكان فى اقطاعهم خراج مرنجيصة ولما وقعت بنو مرين على القيروان وكان بعدها فى الفترة ما كان من طغيان الفتنة التى اعترفيها العرب على السلطان والدولة كان لهؤلاء الكعوب المتغلبين مدد قوى من احياء مرنجيصة هؤلاء من الخيل للحملان والخيالة للاستظهار باعدادهم فى الحروب فصار والهم لحمة وخولة وعلكوهم علك العبيد حتى اذا ذهب الله بحمى الفتنة وأقام مائل الخلافة والدولة

بثراة هـذا الملك الحفصى الى الاحق به مولانا السلطان أبى العباس أحمد فانقشع الجو وأضاء الافق ودفع المتغلبين من العرب عن أعماله وقبض أيديهم عن رعاياته وأصار مرنجيصة هؤلاء من صفاياه بعد انزال العقوبة بهم على لياذهم بالعرب وظعنهم معهم فراجعوا الحق وأخلصوا فى الانحياش ورجعوا الى ما ألفوه من الغرامة وقوانين الخراج وهم على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن مغراوة من أهل الطبقة الاولى من زناتة وما كان لهم من الدول بالمغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة وأهل الباس والغلب منهم ونسبهم الى مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن ألديرت بن جانا اخوة بنى يفرن وبنى يرنيان وقد تقدم الخلاف فى نسبهم عند ذكر بنى يفرن وأماشعوبهم وبطونهم فكثير مثل بنى يلنث وبنى زندالو بنى رواو ورتزمير وبنى أبى سعيد وبنى ورسيفان والاعواط وبنى ريقة وغيرهم ممن لم يحضرنى أسماؤهم وكانت محلاتهم بأرض المغرب الاوسط من شلف الى تلمسان الى جبل مديونة وما اليها ولهم مع اخوانهم بنى يفرن اجتماع وافتراق ومناغاة فى أحوال البدو وكان لمغراوة هؤلاء فى بدوهم ملك كبير أدركهم عليه الاسلام فأقرهم وحسن اسلامهم وهاجر أميرهم صولات بن وزمار الى المدينة ووفد على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فلقاه برا وقبولا لهجرته وعقد له على قومه ووطنه وانصرف الى بلاده محبوا محبورا مغتبطا بالدين مظاهر القبائل مضر فلم يزل هذا دأبه وقيل انه تقبض عليه أسير الاول الفتح فى بعض حروب العرب مع البربر قبل أن يدينوا بالدين فأشخصوه الى عثمان لمكانه من قومه، فمن عليه وأسلم فحسن اسلامه وعقد له على عمله فاختص صولات هذا وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان وأهل بيته من بنى أمية وكانوا خاصة لهم دون قريش وظاهروا دعوة المروانية بالاندلس رعيا لهذا الولاء على ماتراه بعد فى أخبارهم ولما هلك صولات قام بأمره فى مغراوة وسائر زناتة من بعده ابنه حفص وكان من أعظم ملوكهم ثم لما هلك قام بأمره ابنه خزر وعند ما تقلص ظل الخلافة عن المغرب الاقصى بعض الشئ وأظلت فتنة ميسرة المقبر ومظفره فاعتز خزر وقومه على أمر المضرية بالقيروان واستفحل ملكهم وعظم شأن سلطانهم على البدو ومن زناتة بالمغرب الاوسط ثم انتقض أمر بنى أمية بالمشرق فكانت الفتنة بالمغرب فازدادوا اعتزازا وعتوا وهلك خلال ذلك خزر وقام بملكه ابنه محمد وخلص الى المغرب ادريس الاكبر بن عبد الله بن حسن بن الحسن سنة سبعين ومائة فى خلافة الهادى وقام برابرة المغرب من

Marfat.com

أروبة وضدينة ومقيلة بأمره واستوثق له الملك واقتطع المغرب عن طاعة بنى العباس سائر الايام ثم نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين فتلقاه محمد بن خزر هذا وألقى اليه المقادة وبايع له عن قومه وأمكنه من تلمسان بعد ان غلب عليها بنى يفرن أهلها وانتظم لادريس بن ادريس الامر وغلب على جميع اعمال أبيه وملك تلمسان وقام بنو خزر هؤلاء بدعوته كما كانوا لابيه وكان قد نزل تلمسان لعهد ادريس الاكبر أخوه سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن القادم اليه من المشرق وسجل له بولاية تلمسان من سجل ابنه ادريس لمحمد ابن عمه سليمان من بعده فكانت ولاية تلمسان وأمصارها فى عقبه واقتسموا ولاية ثغورها الساحلية فكانت تلمسان لولد ادريس بن محمد بن سليمان وأرشكول لولد عيسى بن محمد وتنس لولد ابراهيم بن محمد بن محمد وسائر الضواحى من اعمال تلمسان لبنى يفرن ومغراوة ولم يزل الملك بضواحى المغرب الاوسط لمحمد بن خزر كما قلناه الى ان كانت دولة الشيعة واستوثق لهم ملك افريقية وسرح عبيد الله المهدى الى المغرب عروبة بن يوسف الكتامى فى عساكر كتامة سنة ثمان وتسعين ومائتين فدوخ المغرب الادنى ورجع ثم سرح بعده مصالة بن حبوس الى المغرب فى عساكر كتامة فاستولى على اعمال الادارسة واقتضى طاعتهم لعبيد الله وعقد على فاس ليحيى بن ادريس بن عمر آخر ملوك الادارسة وخلع نفسه ودان بطاعتهم وعقد له مصالة على فاس وعقد لموسى بن أبى العافية أمير مكناسة وصاحب تارة واستولى على ضواحى المغرب وقفل الى القيروان وانتقض عمر بن خزر من أعقاب محمد بن خزر الداعية لادريس الاكبر وحمل زناتة وأهل المغرب الاوسط على البرابرة من الشيعة وسرح عبيد الله المهدى مصالة قائد المغرب فى عساكر كتامة سنة تسع ولقيه محمد ابن خزر فى جموع مغراوة وسائر زناتة فقفل عساكر مصالة وخلص اليه فقتله وسرح عبيد الله ابنه أبا القاسم فى العساكر الى المغرب سنة عشر وعقد له على حرب محمد بن خزر وقومه فأجفلوا الى الصحراء واتبع آثارهم الى ملوية فلحقوا بسجلماسة وعطف أبو القاسم على المغرب فدوخ أقطاره وجال فى نواحيه وجدد لابن أبى العافية على عمله ورجع ولم يلق كيدا (ثم ان الناصر) صاحب قرطبة سمالة أمل فى ملك العدوة فخاطب ملوك الادارسة وزناتة وبعث اليهم خالصته محمد بن عبد الله بن أبى عيسى سنة ست عشر فبادر محمد بن خزر الى اجابته وطرد أولياء الشيعة من الزاب وملك شلب وتنس من أيديهم وملك وهران وولى عليها ابنه المنير وبث دعوة الاموية فى اعمال المغرب الاوسط ماعدا تاهرت فى القيام بدعوة الاموية ادريس بن ابراهيم بن عيسى بن محمد بن سليمان صاحب أرشكول ثم فتح الناصر سبتة سنة سبع عشرة من يد الادارسة وأجار موسى بن أبى العالية على طاعته واتصلت يده بمحمد بن خزر

Marfat.com

وتظاهروا على الشيعة وخالف فلفول بن خزر أخاه محمدا الى طاعة الشيعة وعقد له عبد الله على مغراوة وزحف الى المغرب حميد بن يصل سنة احدى وعشرين فى عساكر كتامة الى عبد الله على تاهرت فانتهى الى فاس وأجفلت أمامه ظواعن زناتة ومكناسة ودوخ المغرب وزحف من بعده ميسور الخصى سنة ثنتين وعشرين فحاصر فاسا وامتنعت عليه ورجع ثم انتقض حميد بن يصل سنة ثمان وعشرين وتحيز الى محمد بن خزر ثم أجاز الى الناصر وولاه على المغرب الاوسط ثم شغل الشيعة بفتنة أبى يزيد وعظمت آثار محمد بن خزر وقومه من مغراوة وزحفوا الى تاهرت مع حميد بن يصل قائد الامويه سنة ثلاث وثلاثين وزحف معه الخير بن محمد وأخوه حمزة وعمه عبد الله بن خزر ومعهم يعلى بن محمد فى قومه بنى يفرن وأخذوا تاهرت عنوة وقتلوا عبد الله بن بكار وأسروا قائدها ميسورا الخصى بعد ان قتل حمزة بن محمد بن خزر فى حروبها وكان محمد بن خزر وقومه زحفوا قبل ذلك الى بسكرة ففضوا وقتلوا زيدان الخصى ولما خرج اسمعيل من حصار أبى يزيد وزحف الى المغرب فى اتباعه خشية محمد ابن خزر على نفسه لما سلف منه فى نقض دعوتهم وقتل أتباعهم فبعث اليه بطاعة معروفة وأوعز اليه اسمعيل بطلب أبى يزيد ووعده فى ذلك بعشرين حملا من المال وكان أخوه معبد بن خزر فى موالاة أبى يزيد الى ان هلك وتقبض اسمعيل بعد ذلك على معبد سنة أربعين وقتله ونصب رأسه بالقيروان ولم يزل محمد بن خزر وابنه الخير مستغلبا على المغرب الاوسط ومقاسما فيها ليعلى بن محمد ووفد فتوح بن الخير سنة أربعين على الناصر مع مشيخة تاهرت ووهران فأجازهم وصرفهم الى اعمالهم ثم حدثت الفتنة بين مغراوة وصنهاجة وشغل محمد بن الخير وابنه خزر بحروبهم وتغلب يعلى بن محمد على وهران وخربها وعقد الناصر لمحمد بن يصل على تلمسان واعمالها وليعلى بن محمد على المغرب واعماله فراجع محمد بن خزر طاعة الشيعة من أجل قريبه يعلى بن محمد ووفد على المعز بعد مهلك أبيه اسمعيل سنة ثنتين وأربعين فأولاه تكرمة وتم على طاعتهم الى ان حشر مع جوهر فى غزاته الى المغرب باعوام سبع أو ثمان وأربعين ثم وفد على المعز بعد ذلك سنة خمسين وهلك بالقيروان وقد نيف على المائة من السنين وهلك الناصر المروانى عامئذ على حين انتشرت دعوة الشيعة بالمغرب وانقبض أولياء الامويه الى اعمال سبتة وطنجة فقام بعده ابنه الحكم المستنصر واستأنف مخاطبة ملوك العدوة فأجابه محمد بن الخير بن محمد بن خزر بما كان من أبيه الخير وجده محمد فى ولاية الناصر والولاية التى لبنى أمية على آل خزر بوصية عثمان بن عفان لصولات بن وزمار جدهم كما ذكرناه فانخزل فى الشيعة ودوخ بلادهم ورماه معد بقرينه زيرى بن مناد أمير صنهاجة فعقد له

Marfat.com

على حرب زناتة وسوغه ماغلب عليه من أعمالهم وجمعوا للحرب سنة ستين وماتين فالتقى بلكين بن زيرى جموعهم بدسيسة من بعض أولياء محمد بن الخير قبل أن يستكمل تعبيتهم فابلى منهم ناسا صبرا واشتدت الحرب بينهم وانهزمت زناتة حتى اذا رأى محمد بن الخير ان قد أحيط به انتبذ الى ناحية من العسكر وذبح نفسه واستمرت الهزيمة على قومه ووجد منهم فى المعركة تسعة عشر أميرا سوى الاتباع وتحيز كل الى فريقه وولى بعد محمد فى مغراوة ابنه الخير وأغرى بلكين بن زيرى الخليفة معد الجعفر بن على ابن حمدون صاحب المسيلة والزاب بموالاة محمد بن الخير فاستراب جعفر وبعث عنه معد لولاية افريقية حتى اعتزم على الرحيل الى القاهرة فاشتدت استرابته ولحق بالخير ابن محمد وقومه وزحفوا الى صنهاجة فأتيحت لهم الكرة وأصيب زيرى بن مناد كبير العصابة وبعثوا برأسه الى قرطبة فى وفد من وجوه بنى خزر مع يحيى بن على أخى جعفر ثم استراب بعدها جعفر من زناتة ولحق بأخيه يحيى ونزلوا على الحكم وعقد معه لبلكين ابن زيرى على حرب زناتة وامده بالاموال والعساكر وسوغه ماتغلب عليه من أعمالهم فنهض الى المغرب سنة احدى وستين وأوغر بالبرابرة منهم وتعرى أعمال
وباغاية والمسيلة وبسكرة وأجفلت زناتة امامه وتقدم الى تاهرت فمعسكر من المغرب الاوسط آثار زناتة ولحق بالمغرب الاقصى واتبع بلكين آثار الخير بن محمد وقومه الى سجلماسة فأوقع بهم وتقبض عليهم فقتله صبرا وفض جموعهم ودوخ المغرب وانكفت راجعا ومر بالمغرب الاوسط فالتحم بوادى زناتة ومن اليهم من المصامدين ورفع الامان على كل من ركب فرسا أو أنتج خيلا من سائر البربر ونذر دماءهم فأقفر المغرب الاوسط من زناتة وصار الى ماوراءه ملوية من بلاد المغرب الاقصى الى ان كان من رجوع بنى يعلى بن محمد الى تلمسان وملكهم اياها ثم هلك بنو خزر بسجلماسة وطرابلس وملك بنى زيرى بن عطية بفاس ماسنحن ذاكروه ان شاء الله تعالى

Marfat.com

زيرى بن مناد بن الخير بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر بن عطية بن عبد الله بن عبد العزيز بن أعقاب محمد بن خزر بن خضر بن مصولات بن وزمار

الخبر عن آل زيرى بن عطية ملوك فاس وأعمالها من الطبقة الاولى من مغراوة وما كان لهم بالمغرب الاقصى من الملك والدولة ومبادى ذلك وتصاريفه

كان زيرى هذا أمير آل خزر فى وقته ووارث ملكهم البدوى وهو الذى مهد الدولة بفاس والمغرب الاقصى وأورثها بنيه الى عهد لمتونة حسبما نستوفى شرحه واسمه زيرى بن عطية بن عبد الرحمن بن خزر وجده عبد الله أخو محمد داعية الناصر الذى هلك بالقيروان كما ذكرناه وكانوا أربعة اخوة محمد ومعبد الذى قتله اسمعيل وفلفول الذى خالف محمدا الى ولاية الشيعة وعبد الله هذا وكان يعرف بأمه واسمها تبادلت وقد قيل ان عبد الله هذا هو ابن محمد بن خزر وأخوه حزة بن محمد الهالك فى حربه مع ميسور عند فتح تاهرت ولما هلك الخير بن محمد كما قلناه بيد بلكين سنة احدى وستين وارتحلت زناتة الى ماوراء ملوية من المغرب الاقصى وصار المغرب الاوسط كله لصنهاجة واجتمع مغراوة الى بقية آل خزر وأمراؤهم يومئذ محمد بن خير المذكور ومقاتل وزيرى ابنا مقاتل بن عطية بن عبد الله وخزرون بن فلفول ثم كان ماذكرناه من ولاية بلكين بن زيرى على افريقية وزحف الى المغرب الاقصى زحفه المشهور سنة تسع وستين وأجفلت أمامه ملوك زناتة من بنى خزر وبنى محمد بن صالح وانحازوا جميعا الى سبتة وأجاز محمد بن الخير البحر الى المنصور بن أبى عامر صريخا فخرج المنصور

Marfat.com

فى عساكره الى الجزيرة تمدّالهم بنفسه وعقد لجعفر بن على على حرب بلكين وأجازه البحر وأمده بمائة حمل من المال فاجتمعت اليه ملوك زناتة وضربوا مصافهم بساحة سبتة واظل عليهم بلكين من جبل تطاون فرأى مالا قبل له به فارتحل عنهم وأشغل نفسه بجهاد برغواطة الى ان هلك منصرفا من المغرب سنة ثنتين وسبعين كما ذكرناه وعاد جعفر بن على الى مكانه من الحضرة وساهمه المنصور فى حمل الرياسة وبقى المغرب غفلا من الولاية واقتصر المنصور على ضبط سبتة ووكل الى ملوك زناتة دفاع صنهاجة وسائر أولياء الشيعة وقام يلوط طاعتهم الى أن قام بالمغرب الحسن بن كنون من الادارسة بعثه العزيز نزارمن مصر لاسترجاع ملكه بالمغرب وأمده بلكين بعسكر من صنهاجة وهلك على ذلك بلكين ودعا الحسن الى أمره بالمغرب وانضم اليه بدوى بن يعلى بن محمد اليفرنى وأخوه زيرى وابن عمه أبو يداس فيمن اليهم من بنى يفرن فسرّح المنصور لحربه ابن عمه أبا الحكم عمرو بن عبد الله بن أبى عامر الملقب عسكلاجه وبعثه بالعساكر والاموال فأجاز البحر وانحاش اليه ملوك آل خزر محمد بن الخير ومقاتل وزيرى ابنا عطية وخزرون بن فلفول فى جميع مغراوة وظاهروه على شانه وزحف بهم أبو الحكم بن أبى عامر الى الحسن بن كنون حتى الجوه الى الطاعة وسأل الامان على نفسه فعقد له عمرو بن أبى عامر ما رضيه من ذلك وأمكن به من قياده وأشخصه الى الحضرة فكان من قتله واخفار ذمّة أبى الحكم بن أبى عامر وقتله بعده ماتقدم حسبما ذكرنا ذلك من قبل وكان مقاتل وزيرى ابنا عطية من بين ملوك زناتة أشدّ الناس انحياشا للمنصور وقياما بطاعة المروانية وكان بدوى بن يعلى وقومه بنو يفرن منحرفين عن طاعتهم ولما انصرف أبو الحكم بن أبى عامر من المغرب عقد المنصور عليه للوزير حسن بن أحمد بن عبد الودود السلمى وأطلق يده فى انتقاء الرجال والاموال فأنفذه الى عمله سنة ست وسبعين وأوصاه بملوك مغراوة من زناتة واستبلغ بمقاتل وزيرى من بنيهم لحسن انحياشهم وطاعتهم وأغراه ببدوى بن يعلى المضطرب الطاعة الشديد المراوغة فنفذ لعمله ونزل بفاس وضبط أعمال المغرب واجتمعت اليه ملوك زناتة وهلك مقاتل بن عطية سنة ثمان وسبعين واستقل برياسة الظواعن البدو من مغراوة اخوة زيرى بن عطية وحسنت مخالته لابن عبد الودود صاحب المغرب وانحياشه بقومه اليه واستدعاه المنصور من محله بفاس سنة احدى وثمانين اشادة بتكريمه واغراه ببدوى بن يعلى بمنافسته فى الحظ وايثار الطاعة فبادر الى اجابته بعد ان استخلف على المغرب ابنه المعز وأنزله بتلمسان ثغر المغرب وولى على عدوة القرويين من فاس على بن محمود بن أبى على قشوش وعلى عدوة الاندلسيين عبد الرحمن بن عبد

Marfat.com

الكريم بن ثعلبة وقدم بين يديه هدية الى المنصور ووفد عليه فاستقبله بالجيوش والعدة واحتفل للقائه وأوسع نزله وجرايته ونوه باسمه فى الوزارة وأقطعه رزقها وأثبت رجاله فى الديوان ووصله بقيمة هديته وأسنى فيها وأعظم جائزته وجائزة وفده وعجل تسريحه الى عمله فقفل الى امارته من المغرب ونمى عنه خلاف ما احتسب فيه من خطا المعروف وانكار الصنيع والاستنكاف من لقب الوزارة الذى نوه به حتى انه قال لبعض حشمه وقد دعاه بالوزير وزير من باكع فاوالله الا أمير ابن أمير واعجبا من ابن أبى عامر ومخرقته والله لو كان بالاندلس رجل ماتركه على حاله وان له منا اليوما والله لقد تأجرنى فيما أهديت اليه حطا للفيم ثم غالطنى بما بذله تثبيتا للكرم الا أن يحتسب بثمن الوزارة التى حطنى بها من رتبتى ونمى ذلك الى ابن أبى عامر فصر عليها أذنه وزاد فى اصطناعه وبعث بدوى بن يعلى اليفرنى قريعه فى ملك زناتة يدعوه الى الوفادة فأساء اجابته وقال متى عهد المنصور بحمر الوحش تنقاد للبياطرة وأخذ فى افساد السابلة والاجلاب على الاحياء والعيث فى العمالة فأوعز المنصور الى عامله بالمغرب الوزير حسن بن عبد الودود بنبذ العهد اليه ومظاهرة عدوه زيرى بن عطية عليه فجمعوا له سنة احدى وثمانين ولقوه فكانت الدائرة عليهم وتخزم العسكر وأثبت الوزير بن عبد الودود جراحة كان فيها حتفه وبلغ الخبر الى المنصور فشق عليه وأهمه شأن المغرب وعقد عليه لوقته لزيرى بن عطية وكتب اليه بعهده وأمر بضبط المغرب ومكانفة جند السلطان وأصحاب حسن بن عبد الودود فاطلع باعبائه وأحسن الغناء فى عمله واستفحل شأن بدوى بن يعلى وبنى يفرن واستغلظوا على زيرى بن عطية وأصلوه نار الفتنة وكانت حروبهم سجالا وسئمت الرعايا بناس كثرة تعاقبهم عليها وانتزاؤهم على علمها وبعث الله لزيرى بن عطية ومغراوة مددا من أبى البهار بن زيرى بن مناد بما كان انتقض على ابن أخيه منصور بن بلكين صاحب القيروان ونزع عن دعوة الشيعة الى المروانية واقتفى أثره فى ذلك خلوف بن أبى بكر صاحب تاهرت وأخوه عطية لصهر كان بينهما وبين فاقتسموا أعمال المغرب الاوسط ما بين الزاب وأنشريس وهدان وخطبوا فى سائر منابرها باسم هشام المؤيد وخاطب أبو البهار من وراء البحر محمد بن أبى عامر وأوفد عليه أبا بكر بن أخيه حيوس بن زيرى فى طائفة من أهل بيته ووجوه قومه فاستقبلوا بالحسن مائة قطعة من صنوف الثياب الخز والعبيد وما قيمته عشرة آلاف درهم من الآنية والحلى وبخمسة وعشرين ألفا من الدنانير ودعاه الى مظاهرة زيرى بن عطية على بدوى بن يعلى وقسم بينهما أعمال المغرب شق الابلة حتى لقد اقتسما مدينة فاس عدوة بعد عدوة فلم يرع ذلك بدوى ولا وزعه عن

شأنه من الفتنة والاجلاب على البدو والحاضرة وشق عصا الجماعة وانتقض خلوف بن أبي بكر على المنصور لوقته وراجع ولاية المنصور بن بلكين ومرض أبو البهار في المظاهرة عليه للوصلة التي بينهما وقعد عما قام له زيري بن عطية من حرب خلوف بن أبي بكر وأوقع به زيري في رمضان سنة احدى وثمانين واستلحمه وكثيرا من أوليائه واستولى على عسكره وانحاش اليه عامة أصحابه وفر عطية شريدا الى الصحراء ثم نهض على اثرها البدوي بن يعلى وقومه فكانت بينهم لقاآت انكشف فيها أصحاب بدوي واستلحم منهم زهاء ثلاثة آلاف واكتسح معسكره وسبيت حرمه التي كانت منهن أمه وأخته وتحيز سائر أصحابه الى فئة زيري وخرج شريدا الى الصحراء الى ان اغتاله ابن عمه أبو بداس بن دوناس كما ذكرناه وورد خبر الفتحين متعاقبين على المنصور فعظم موقعهما لديه وقد قيل ان مقتل بدوي انما كان عند اياب زيري من الوفادة وذلك أنه لما استقدمه المنصور ووفد عليه كما ذكرناه خالفه بدوي الى فاس فملكها وقتل من مغراوة خلقا واستمكن بها أمره فلما رجع زيري من وفادته امتنع بها بدوي فنازله زيري وطال الحصار وهلك من الفريقين خلق ثم اقتحمها عليه عنوة وبعث برأسه الى سدة الخلافة بقرطبة الأن راوي هذا الخبر يجعل وفادة زيري على المنصور وقتله لبدوي سنة ثلاث وثمانين فالله أعلم أي ذلك كان (ثم ان زيري) فسد ما بينه وبين أبي البهار الصنهاجي وتزاحفا فأوقع به زيري وانهزم أبو البهار الى سبتة موزيا بالعبور فبادر بكاتبه عيسى بن سعيد بن القطاع في قطعة من الجند الى تلقيه فحاد عن لقائه وصاعد الى قلعة جراوة وقد قدم الرسل الى ابن أخيه المنصور صاحب القيروان مستميلا الى أن التحم ذات بينهما ثم تحيز اليه وعاد الى مكانه من عمله وخلع ما تمسك به من طاعة الامويه وراجع طاعة الشيعة فجمع المنصور لزيري بن عطية أعمال المغرب واستكفى به في سد الثغر وعول عليه من بين ملوك المغرب في الذب عن الدعوة وعهد اليه بمناجزة أبي البهار وزحف اليه زيري في أمم عديدة من قبائل زناتة وحشود البربر وفر أمامه ولحق بالقير وان واستولى زيري على تلمسان وسائر أعمال أبي البهار وما بين السوس الاقصى والزاب فاتسع ملكه وانبسط سلطانه واشتدت شوكته وكثر بالفتح الى المنصور عامئذ من الخيل وخمسين جملا من المهارى السبق وألف درقة من جلود اللمط وأحمال من قسي الزاب وقطوط الغالية والزرافة وأصناف الوحوش الصحراوية كاللمط وغيره وألف حمل من التمر وأحمال من ثياب الصوف الرفيعة كثيرة فجدد له عهده على المغرب سنة احدى وثمانين وأنزل أحياءه بانحاء فاس في قباطينهم واستفحل أمر زيري بالمغرب ودفع بني يفرن عن فاس الى نواحي سلا والخط

Marfat.com

مدينة وجدد سنة أربع وثمانين وأنزلها عساكره وحشمه واستعمل عليها ذو به ونقل اليها ذخيرته وأعدها معتصما وكانت ثغرا للعمالتين المغرب الاقصى والاوسط (ثم فسد) ما بينه وبين المنصور بما نمى عنه من التألف لهشام باستبداد المنصور عليه فسامه المنصور الهضيمة وأبى منها وبعث كاتبه ابن القطاع فى العساكر فاستعصى عليه وأمكنه صاحب قلعة حجر النسر منها فأشخصه الى الحضرة وأحسن اليه المنصور وسماه الناصح وكشف زيرى وجهه فى عداوة ابن أبى عامر والاغراء به والتشيع للمؤيد والامتعاض له من هضيمته وحجره فسخطه عند ابن أبى عامر وقطع عنه رزق الوزارة ومحى اسمه من ديوانه ونادى بالبراءة منه وعقد لواضح مولاه على المغرب وعلى حرب زيرى بن عطية الحمات من سائر الطبقات وأزاح علتهم وأمكنه من الاموال للنفقات واحمال السلاح والكسى وأصحبه طائفة من ملوك العدوة كانوا بالحضرة منهم محمد بن الخير وزيرى بن خزرو ابن عمهما بكساس بن سيد الناس ومن بنى يفرن أبو بخت بن عبد الله بن مدين ومن ازداجة خزرون بن محمد وأمره بوجوه الجند وفصل من الحضرة سنة سبع وثمانين وسار فى التعبية وأجاز البحر الى طنجة فعسكر بوادى ردات وزحف زيرى بن عطية فى قومه فعسكر ازاءه وتواقفا ثلاثة أشهر واتهم واضح رجالات بنى مرزال بالادهان فأشخصهم الى الحضرة وأغرى بهم المنصور فوبخهم وتنصلوا فصفح عنهم وبعثهم فى غير ذلك الوجه ثم تناول واضح أصيلا ونكور فضبطهما واتصلت الوقائع بينه وبين زيرى وبيت واضح معسكر زيرى بنواحى أصيلا وهم غارون فأوقع بهم وخرج ابن أبى عامر من الحضرة لاستشراف أحوال واضح وامداده فسار فى التعبية واحتل بالجزيرة عند فرصة المجاز ثم بعث عن ابنه المظفر من مكان استخلافه بالزاهرة وأجاز الى العدوة واستكمل معه أكابر أهل الخدمة وجلة القواد وقفل المنصور الى قرطبة واستراع خبر عبد الملك بالمغرب ورجع اليه عامة أصحاب زيرى من ملوك البربر وتناولهم من احسانه وبره مالم يعهد وامثله وزحف عبد الملك الى طنجة واجتمع مع واضح وتلوم هنالك مزيحا لعلل العسكر فلما استتم تدبيره زحف فى جمع لا كفاء له فلقيه زيرى بوادى سبو من احواز طنجة فى شوال سنة ثمان وثمانين فدارت بينهم حروب شديدة وهم فيها أصحاب عبد الملك وثبت هو وبيماهم فى حومة الحرب اذ طعن زيرى بعض المتوزين من أتباعه اهتبل الغرة فى ذلك الموقف فطعنه ثلاثا فى نحره أشواه بها ومر يشتد نحو المظفر وبشره فاستكذبه لثبوت رؤيته ثم سقط اليه الصحيح فشد عليهم فاستوت الهزيمة وأثخن فيهم بالقتل واستولى على ما كان فى عسكرهم مما يذهب فيه الوصف ولحق زيرى بفاس جريحا فى قلة فامتنع عليه

Marfat.com

أهلها ودافعوه بحرمه فاحتملهن وقر أمام العساكر الى الصحراء وأسلم جميع أعماله وطير عبد الملك بالفتح الى أبيه فعظم موقعه عنده وأعلن بالشكر لله والدعاء وبث الصدقات وأعتق الموالى وكتب الى ابنه عبد الملك بعهده على المغرب فأصلح نواحيه وسد ثغوره وبعث العمال فى جهاته فأنفذ محمد بن الحسن بن عبد الودود فى جند كثيف الى تادلا واستعمل حميد بن يصل المكناسى على سجلماسة فخرج كل لوجهه واقتضوا الطاعة وحملوا اليه الخراج وأقفل المنصور ابنه عبد الملك فى جمادى من سنة تسع وثمانين وعقد على المغرب لواضح فضبطه واستقام على تدبيره ثم عزله فى رمضان من سنته بعبيد الله بن أخيه يحيى ثم ولى عليه من بعده اسمعيل بن البورى من بعد بالاخوص معن بن عبد العزيز التجيبى الى أن هلك المنصور وأعاد المظفر بن المعز بن زيرى من منتبذه بالمغرب الاوسط لولاية أبيه بالمغرب فنزل فاس وكان من خبر زيرى أنه لما استقل من نكبته وهزيمة عبد الملك اياه واجتمع اليه بالصحراء قفل مغراوة وبلغه اضطراب صنهاجة واختلافهم على باديس بن المنصور بعد مهلك أبيه وأنه خرج عليه بعد عمومته مع ماكس بن زيرى فصرف وجهه حينئذ الى أعمال صنهاجة ينتهز فيها الفرصة واقتحم المغرب الاوسط ونازل تاهرت وحاصر بها يطوفة بن بلكين وخرج باديس من القيروان صريخا له فلما مر بطبنة امتنع عليه فلفول بن خزرون وخالفه الى افريقية فشغل بحربه وكان أبو سعيد بن خزرون لحق بافريقية وولاه المنصور على طبنة كما ذكره فلما انتقض سار اليه باديس ودفع حماد بن بلكين فى عساكر صنهاجة الى مدافعة زيرى ابن عطية فالتقيا بوادى ميناس قرب تاهرت فكانت الدائرة على صنهاجة واحتوى زيرى على معسكرهم واستلحم ألوفا منهم وفتح مدينة تاهرت وتلمسان وشلف وتنس وأقام الدعوة فيها كلها للموئد هشام ولحاجبه المنصور من بعده ثم اتبع آثار صنهاجة الى أشير قاعدة ملكهم فأناخ عليها واستأمن اليه زاوى بن زيرى ومن معه من أكابر أهل بيته المنازعين لباديس فأعطاه منه ما سأل وكتب الى المنصور بذلك يسترضيه ويشترط على نفسه الرهن والاستقامة ان أعيد الى الولاية ويستأذنه فى قدوم زاوى وأخيه علال فأذن لهما وقدما سنة تسعين وسأل أخوهما أبو البهار مثل ذلك وأنفذ رسله يذكر تقديمه فسوفه المنصور لما سبق من نكثه واعتل زيرى بن عطية وهو بمكانه من حصار أشير فأفرج عنها وهلك فى منصرفه سنة احدى وتسعين واجتمع آل خزر وكافة مغراوة من بعده على ابنه المعز بن زيرى فبايعوه وضبط أمرهم وأقصر عن محاربة صنهاجة ثم استجدى للمنصور واعتلق بالدعوة العامرية وصلحت حاله عندهم وهلك المنصور خلال ذلك ورغب المعز من ابنه عبد الملك المظفر أن يعيده الى عمله على مال يحمله

Marfat.com

اليه وعلى أن يكون ولده معتصر رهينة بقرطبة فأجابه الى ذلك وكتب له عهدا وأنفذه
وزيره أباعلى بن خديم (ونسخته) بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله
من الحاجب المظفر سيف الدولة دولة الامام الخليفة هشام المؤيد بالله أمير المؤمنين
أطال الله بقاءه عبد الملك بن المنصور بن أبي عامر الى كافة مدني فاس وكافة أهل
المغرب سلمهم الله أما بعد أصلح الله شانكم وسلم أنفسكم وأديانكم فالحمد لله علام الغيوب
وغفار الذنوب ومقلب القلوب ذى البطش الشديد المبدئ المعيد الفعال لما يريد
لا راد لامره ولا معقب لحكمه بل له الملك والامر وبيده الخير والشر اياه نعبد
واياه نستعين واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وصلى الله على سيدنا محمد
سيد المرسلين وعلى آله الطيبين وجميع الانبياء والمرسلين والسلام عليكم أجمعين وان
المعز بن زيرى بن عطية أكرمه الله تابع رسله لدينا وكتبه متنصلا من هنات دفعته اليها
ضرورات ومستغفرا من سيآت حطتها من توبته حسنات والتوبة محاء الذنب
والاستغفار منقذ من العيب واذا أذن الله بشئ يسره وعسى أن تكرهوا شيأ
ولكم فيه خير وقد وعد من نفسه استشعار الطاعة ولزوم الجادة واعتقاد الاستقامة
وحسن المعونة وخفة المؤنة فوليناه ما قبلكم وعهدنا اليه أن يعمل بالعدل
فيكم وأن يرفع أعمال الجور عنكم وأن يعمر سبلكم وأن يقبل من محسنكم
ويتجاوز عن مسيئكم الا في حدود الله تبارك وتعالى وأشهدنا الله عليه بذلك
وكفى بالله شهيدا وقد وجهنا الوزير أباعلى بن خديم أكرمه الله وهو من ثقاتنا ووجوه
رجالنا ليأخذ بشأنه ويؤكد العهد فيه عليه بذلك وأمرناه باشراككم فيه ونحن
بأمركم معتنون وأحوالكم مطالعون وأن يقضى على الاعلى للادنى ولا يرتضى
فيكم بشئ من الادنى فثقوا بذلك واسكنوا اليه وليض القاضى أبو عبد الله
أحكامه مشدودا ظهره بنا معقودا سلطانه بسلطاننا ولا تأخذه في الله لومة لائم فذلك
ظننا به اذ وليناه وأملنا فيه اذ قلدناه والله المستعان وعليه التكلان لا اله الا
هو ولتبلغوا منا سلاما طيبا جزيلا ورحمة الله وبركاته (ولما وصل) الى المعز بن زيرى
عهد المظفر بولايته على المغرب ما عدا كورة سجلماسة فان واضحا مولى المنصور عهد
في ولايته على المغرب بها لواندين بن خزرون بن فلفول حسبما ذكره فلم تدخل في ولاية
المعز هذه فلما وصله عهد المظفر ضم نشره وثاب اليه نشاطه وبث عماله في جميع كور
المغرب وجبى خراجها ولم تزل ولايته متسقة وطاعة رعاياه منتظمة (ولما) افترق
أمر الجماعة بالاندلس واختل رسم الخلافة وصار الامر فيها طوائف استحدث المعز
في التغلب على سجلماسة وانتزاعها من أيدى بنى واندين بن خزرون فأجمع لذلك ونهض

Marfat.com

اليه سنة سبع وأربعمائة وبرزوا اليه فى جموعهم فهزموه ورجع الى فاس فى قل من قومه وأقام على الاضطراب من أمره الى أن هلك سنة سبع عشرة وولى من بعده بن عمه حمامة بن المعز بن عطية وليس كما يزعم بعض المؤرخين انه ابنه وانما هو اتفاق فى الاسماء أوجب هذا الغلط فاستولى حمامة هذا على عملهم واستفحل ملكه وقصده الامراء والعلماء وأتته الوفود ومدحه الشعراء ثم نازعه الامر أبو الكمال تميم بن زيرى ابن يعلى اليفرنى سنة أربع وعشرين من بنى يدوى بن يعلى المتغلبين على نواحى سلا وزحف الى فاس فى قبائل بنى يفرن ومن انضاف اليهم من زناتة وبرز اليه حمامة فى جموع مغراوة ومن اليهم فكانت بينهم حروب شديدة أجلت عن هزيمة حمامة ومات من مغراوة أمم واستولى تميم على فاس وأعمال المغرب ولما دخل فاس استباح يهود وسبى حرمهم واصطلم نعمتهم ولحق حمامة بوجدة فاستدمن هنالك من قبائل مغراوة من انجاد مديونة وملوية وزحف الى فاس فدخلها سنة تسع وعشرين وتحيز تميم الى موضع امارته من سلا وأقام حمامة فى سلطان المغرب وزحف اليه سنة ثلاثين وأربعمائة القائد بن حماد صاحب القلعة فى جموع صنهاجة وخرج اليه بمجمع حربه وبث القائد عطاءه فى زناتة واستعبدهم على صاحبهم حمامة فأقصر عن اقرانه ولما دفعه بالسلم والطاعة رجع القائد عنه ورجع هو الى فاس وهلك سنة احدى وثلاثين فولى بعده ابنه دوناس ويكنى أبا العطاف واستولى على فاس وسائر عمل أبيه وخرج عليه لاول أمره حماد بن عمه معنصر بن المعز فكانت له معه حروب ووقائع وكثرت جموع حماد فغلب دوناس على الضواحى وأحجره بمدينة فاس وخندق دوناس على نفسه الخندق المعروف بسياج حماد وقطع حماد جرية الوادى عن عدوة القرويين الى أن هلك محاصرا لها سنة خمس وثلاثين فاستقامت دولة دوناس وانفسحت أيامه وكثر العمران ببلده واحتفل فى تشييد المصانع وأدار السور على أرباضها وبنى بها الحمامات والفنادق فاستجر عمرانها ورحل التجار اليها بالبضائع وهلك دوناس سنة احدى وخمسين وولى بعده ابنه الفتوح ونزل بعدوة الاندلس ونازعه الامر أخوه الاصغر عجيسة وامتنع بعدوة القرويين وافترق أمرهم بافتراقهما وكانت الحرب بينهما سجالا وسجالها بين المدينتين حيث يفضى باب النقبة بعدوة القرويين لهذا العهد وشيد الفتوح باب عدوة الاندلس وهو مسمى به الى الآن واختط عجيسة باب الجيسة وهو أيضا مسمى به وانما حذفت عينه لكثرة الاستعمال وأقاموا على ذلك الى أن غدر الفتوح بعجيسة أخيه سنة ثلاث وخمسين وبيته فظفر به وقتله ودهم المغرب اثر ذلك ما دهمه من أمر المرابطين من لمتونة وخشى الفتوح مغبة أحوالهم فأفرج عن فاس وزحف

Marfat.com

صاحب القلعة بلكين بن محمد بن حماد الى المغرب سنة أربع وخمسين على عادتهم فى غزوه ودخل فاس واحتمل من أكابرهم وأشرافهم رهنا على الطاعة وقفل الى قلعته وولى على المغرب بعد الفتوح معنصر بن حماد بن معنصر وشغل بحروب لمتونة وكانت له عليهم الوقعة المشهورة سنة خمس وخمسين ولحق بضربة ومالك يوسف بن تاشفين والمرابطون فاس وخلف عليها عامله وارتحل الى غمارة فخالفه معنصر الى فاس وملكها وقتل العامل ومن معه من لمتونة ومثل بهم بالحرق والصلب ثم زحف الى مهدى ابن يوسف الكترنانى صاحب مدينة مكناسة وقد كان دخل فى دعوة المرابطين فهزمه وقتله وبعث برأسه الى سكوت البرغواطى صاحب سبتة وقد بلغ الخبر الى يوسف بن تاشفين فسرح عساكر المرابطين لحصار فاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها حتى اشتد بأهلها الحصار ومسهم الجهد وبرز معنصر لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وفقد فى المعمعة ذلك اليوم سنة ستين وبايع أهل فاس من بعده لابنه تميم بن معنصر فكانت أيامه أيام حصار وفتنة وجهد وغلاء وشغل يوسف ابن تاشفين عنهم بفتح بلاد غمارة حتى اذا كان سنة ثنتين وستين وفرغ من فتح غمارة صمد الى فاس فحاصرها أياما ثم اقتحمها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وقبائل زناتة وهلك تميم فى جملتهم حتى أعوزت موارتهم فرادى فاتخذت لهم الاخاديد وقبروا جماعات وخلص من نجا من القتل منهم الى تلمسان وأمر يوسف بن تاشفين بهدم الاسوار التى كانت فاصلة بين العدوتين وصيرهما مصرا وأدار عليهما سورا واحدا وانقرض أمر مغراوة من فاس وبالبقاء لله سبحانه وتعالى

Marfat.com

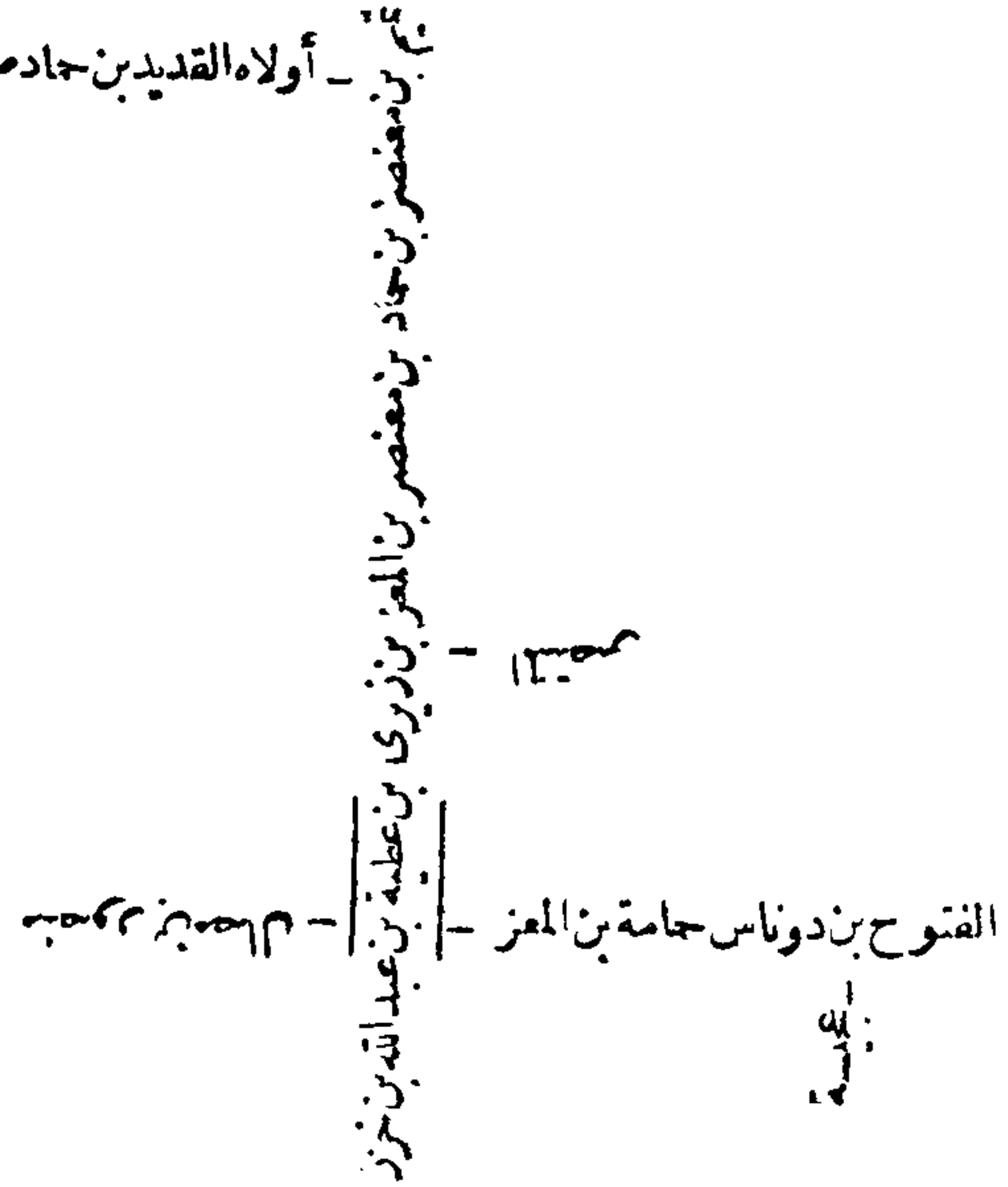

{الخبر عن بني خزرون ملوك سجلماسة من الطبقة} {الاولى من مغراوة وأول ملكهم ومصائره}

كان خزرون بن فلفول من أمراء مغراوة واعيان بني خزر ولما غلبهم بلكين بن زيري على المغرب الاوسط تحيزوا الى المغرب الاقصى وراء ملوية وكان بنو خزر يدينون بالدعوة المروانية كما ذكرناه وكان المنصور بن أبي عامر القائم بدولة المؤيد قد اقتصر لاول حجابته من أحوال العدوة على ضبط سبتة برجال الدولة ووجوه القواد وطبقات العسكر ودفع ماوراءها الى أمراء زناتة من مغراوة وبني يفرن ومكناسة وعول في ضبط كوره وسداد ثغوره عليهم وتمهدهم بالعطاء وأفاض فيهم الاحسان فازدلفوا اليه بوجوه التقربات وأسباب الوصائل وكان خزرون بن فلفول هذا زحف يومئذ الى سجلماسة وبها المعتز من أعقاب آل مدرار فانتزى بها أخوه المنتصر بعد قفول جوهر من المغرب وظفر بأميرهم الشاكر لله محمد بن الفتح فوثب المنتصر من أعقابهم بعده على سجلماسة وتملكها ثم وثب به أخوه أبو محمد سنة ثنتين وخمسين وثلثمائة فقتله وقام بأمر سجلماسة وأعاد بها ملك بني مدرار وتلقب المعتز بالله فزحف اليه خزرون بن فلفول سنة

Marfat.com

سبع وستين فى جموع مغراوة وبرز اليه المعتز فهزمه خزرون واستولى على مدينة سجلماسة ومحا دولة آل مدرار والخوارج منها آخر الدهر وأقام الدعوة بها للمؤيد هشام فكانت أول دولة أقيمت للمروانيين بذلك الصقع ووجد للمعتز مالا وسلاحا فاحتقنها وكتب بالفتح الى هشام وأنفذ رأس المعتز فنصب بباب سدته ونسب الاثر فى ذلك الفتح لصحابة محمد بن أبى عامر وبين طائره وعقد لخزرون على سجلماسة ومن بعده ابنه وانودين ثم كان زحف زيرى بن مناد الى المغرب الاقصى سنة تسع وستين وفرت زناتة أمامه الى سبتة وملك أعمال المغرب وولى عليها من قبله وحاصر سبتة ثم أفرج عنها وشغل بجهاد برغواطة وبلغه أن وانودين بن خزرون أغار على نواحى سجلماسة وأنه دخلها عنوة وأخذ عامله وما كان معه من الاموال والذخيرة فدخل اليها سنة ثلاث وتسعين وفصل عنها فهلك فى طريقه ورجع وانودين بن خزرون الى سجلماسة وفى اثناء ذلك كان استيلاء زيرى بن عطية بن عبد الله بن خزر على المغرب وملك فاس بعهد هشام ثم انتقض على المنصور آخرا وأجاز ابنه عبد الملك فى العساكر الى العدوة سنة ثمان وثمانين فغلب عليها بنى خزرون نزل فاس وبث العمال فى سائر نواحى المغرب لسد الثغور وجبايه الخراج وعقد فيما عقد على سجلماسة لحميد بن يصل المكناسى النازع اليهم من أولياء الشيعة فعقد له على سجلماسة حين فر عنها بنو خزرون فملكها وأقام فيها الدعوة ولما نقل عبد الملك الى العدوة وأعاد واضحا الى عمله بفاس استأمن اليه كثير من بنى خزر كان منهم وانودين بن خزرون صاحب سجلماسة وابن عمه فلفول بن سعيد فامنهم ثم رجع وانودين الى عمله بسجلماسة بعد أن تضمن وانودين وفلفول بن سعيد على مال مفروض وعدة من الخيل والدرق يحملان اليه ذلك كل سنة وأعطيا فى ذلك أبناءهما رهنا فعقد لهما واضح بذلك واستقل وانودين بعد ذلك بملك سجلماسة منذ اول سنة تسعين مقيما فيها الدعوة المروانية ورجع المعز بن زيرى الى ولاية المغرب بعهد المظفر ابن أبى عامر سنة ست وتسعين واستثنى عليه فيها أمر سجلماسة لمكان وانودين بها ولما انتثر سلك الخلافة بقرطبة وكان أمر الجماعة والطوائف واستبد أمراء الانصار والثغور وولاة الاعمال بما فى أيديهم استبد وانودين هذا بأعمال سجلماسة وتغلب على عمل درعة واستضافه اليه ونهض المعز بن زيرى صاحب فاس سنة سبع وأربعمائة مع جموع من مغراوة يحاول انتزاع هذه الاعمال من يد وانودين فبرز اليه فى جموعه وهزموه وكان ذلك سببا فى اضطراب أمر المعز الى أن هلك واستفحل ملك وانودين واستولى على صيرون من أعمال فاس وعلى جميع قصور ملوية وولى عليها من أهل بيته ثم هلك وولى أمره من بعده ابنه مسعود بن وانودين ولم أقف على تاريخ ولايته ومهلك أبيه (ولما

Marfat.com

ظهر عبد الله بن ياسين واجتمع اليه المرابطون من لمتونة وسوفة وسائر الملثمين وافتتحوا أمرهم بغزو درعة سنة خمس وأربعين فاغاروا على ابل كانت هنالك في حمى لمعود بن وانودين وقتل كما ذكرناه في أخبار لمتونة ثم عاودوا الغزو الى سجلماسة فدخلوها من العام المقبل وقتلوا من كان بها من فل مغراوة ثم تتبعوا من بعد ذلك أعمال المغرب وبلاد سوس وجبال المصامدة وافتتحوا صفروى سنة خمس وخمسين وقتلوا من كان بها من أولاد وانودين وبقية مغراوة ثم افتتحوا حصون ملوية سنة ثلاث وستين وانقرض أمر بني وانودين كان لم يكن والبقاء لله وحده وكل شيء هالك الا وجهه سبحانه وتعالى لا رب سواه ولا معبود الا اياه وهو على كل شيء قدير

سعود بن وانودين بن خزرون بن فلفول
- قتله عبد الله بن ياسين والمرابطون
- ملك سجلماسة من يد المعتز بن محمد بن مدرار وعقد له عليها هشام المؤيد

فلفول بن سعيد

الخبر عن ملوك طرابلس من بني خزرون بن فلفول من الطبقة الاولى وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان مغراوة وبنو خزر ملوكهم قد تحيزوا الى المغرب الاقصى أمام لمكين ثم اتبعهم سنة تسع وستين في زحفه المشهور وأجرهم بساحل سبتة حتى بعثوا صريخهم الى المنصور وجاءهم الى الجزيرة مشارفا لاحوالهم وأمدهم بجعفر بن يحيى ومن كان معه من ملوك البربر وزناتة فامتنعوا على بلكين ورجع عنهم فتقرأ أعمال المغرب في منصرفه سنة ثنتين وسبعين ورجع أحياء مغراوة وبنو يفرن الى مكانهم منه وبعث المنصور الوزير حسن بن عبد الودود عاملا على المغرب وقدم سنة ست وسبعين واختص مقاتلا وزيري ابني عطية بن عبد الله بن خزر بمزيد التكرمة ولحق نظراءهما من أهل بيتهما الغيرة من ذلك فنزع سعيد بن خزر بن فلفول بن خزر الى صنهاجة سنة سبع وسبعين منحرفا عن طاعة الاموية وواني المنصور بن بلكين باشير منصرفه من احدى

Marfat.com

عزوانه فتلقاه بالقبول والمساهمة وبالغ فى تكرمته وعقد له على عمل طبنة سنة احدى وثمانين وخرج للقائه واحتفل فى تكرمته ونزله وأدركه الموت بالقيروان فهلك لسنته ووفد ابنه فلفول من مكان عمله فعقد له على عمل أبيه وخلع عليه ووفد اليه بنته وسوغه ثلاثين حملا من المال وثلاثين تختا من الثياب وقرب اليه مراكب بسروج مثقلة وأعطاه عشرة من البنود مذهبة وانصرف الى عمله وهلك المنصور بن بلكين سنة خمس وثمانين وولى ابنه باديس فعقد لفلفول على عمله بطبنة ولما انتقض زيرى بن عطية على المنصور بن أبى عامر وسرح اليه ابنه المظفر كما قلناه فغلبه على أعمال المغرب ولحق زيرى بالقفر ثم عاج على المغرب الاوسط ونازل ثغور صنهاجة وحاصر تيهرت وبها يطوفت بن بلكين وزحف اليه حماد بن بلكين من أشير فى العساكر من تلكاتة ومحمد بن أبى العرب قائد باديس بعثه فى عساكر صنهاجة من القيروان مددا ليطوفت وأوغر الى فلفول وهو باشيران يكون معهم واقيهم زيرى بن عطية ففض جموعهم واستولى على معسكرهم واضطربت افريقية فتنة وتنكرت صنهاجة لمن كان بجهاتها من قبائل زناتة وخرج باديس بن المنصور من رقادة فى العساكر الى المغرب ولما مر بطبنة استقدم فلفول بن سعيد بن خزرون ليستظهر به على حربه فاستراب واعتذر عن الوصول وسأل تجديد العهد الى مقدم السلطان فأسعف ثم اشتدت استرابته ومن كان معه من مغراوة فارتحلوا عن طبنة وتركوها ولما أبعد باديس رجع فلفول الى طبنة فعاث فى نواحيها ثم فعل فى تيجن كذلك ثم حاصر باغاية وانتهى باديس الى أشير وفرز يرى بن عطية الى صحراء المغرب ورجع على باديس بعد أن ولى على تاهرت وأشير عمه يطوفت بن لمكين وانتهى الى المسيلة فبلغه خروج عمومته ماكسن وزاوى وغرم ومقنين فخاف أبو زيرى ولحق بهم من معسكره وبعث باديس فى أثرهم عمه حماد بن بلكين ورحل هو الى فلفول بن سعيد بعد ان كان سرح عساكره اليه وهو محاصر باغاية فهزمهم وقتل قائدهم أبا ربعل ثم بلغه وصول باديس فأفرج عنها واتبعه باديس الى مرماجنة فتزاحفوا وقد اجتمع لفلفول من قبائل زناتة والبربر أمم فلم يثبتوا للقاء وانكشفوا عنه وانهزم الى جبل الحناش ونزل القيطون بما فيه وكتب باديس بالفتح الى القيروان وقد كان الارجاف أخذ منهم المأخذ وفر كثير منهم الى المهدية وشرعوا فى عمل الدروب بما كانوا يتوقعون من فلفول بن سعيد حين قتل أبا ربعل وهزم جيوش صنهاجة وكانت الواقعة آخر سنة تسع وثمانين وانصرف باديس الى القيروان ثم بلغه ان أولاد زيرى اجتمعوا مع فلفول بن سعيد وعاقدوه ونزلوا جميعا فحصروا تبسة فخرج باديس من القيروان اليهم فافترقوا ولحق العمومة بزيرى بن عطية ماخلا ماكسن وابنه

Marfat.com

حسنا فانهما أقاما مع فلفول ورجع باديس فى أثره سنة احدى وتسعين وانتهى الى بسكرة ففرّ فلفول الى الرمال وكان زيرى بن عطية محاصرا الاشير أثناء هذه الفتنة فأفرج عنها ورجع عنها أبو البهار الى باديس وقفل معه الى القيروان وتقدّم فلفول بن سعيد الى نواحى قابس وطرابلس فاجتمع اليه من هنالك من زناتة وملك طرابلس على ما نذكره (وذلك) أنّ طرابلس كانت من أعمال مصر وكان العامل عليها بعد رحيل معد الى القاهرة عبد الله بن يخلف الكامى ولما هلك معد رغب بلكين من نزار العزيز اضافتها الى عمله فأسعفه بها وولى عليها تصولة بن بكار من خواص مواليه نقله اليها من ولاية برنة فلم يزل عليها الى أن أرسل الى الحاكم بمصر يرغب فى الكون فى حضرته وان يتسلم منه عمل طرابلس وكان برجوان الصقلى يستبد على الدولة وكان يغص بمكان يانس الصقلى منها فأبعده عن الحضرة لولاية برقة ثم لما تتابعت رغبة تصولة صاحب طرابلس أشار برجوان ببعث يانس اليها فعقد له الحاكم عليها وأمره بالنهوض الى عملها فوصلها سنة تسعين ولحق تصولة بمصر وبلغ الخبر الى باديس فسرّح القائد جعفر بن حبيب فى العساكر ليصدّه عنها وزحف اليه يانس فكانت عليه الهزيمة وقتل ولحق فتوح بن على من قواده بطرابلس فامتنع بها ونازله جعفر بن حبيب وأقام عليها مدّة وبينما هو محاصر له اذ وصله كتاب يوسف بن عامر عامل قابس يذكر ان فلفول بن سعيد نزل على قابس وانه قاصد الى طرابلس فرحل جعفر عن البلد الى ناحية الجبل وجاء فلفول بن سعيد فنزل بمكانه وضاقت الحال بجعفر وأصحابه فارتحلوا مصممين على المناجزة وقاصدين قابس فتخلى فلفول عن طريقهم وانصرفوا الى قابس وقدم فلفول مدينة طرابلس فتلقاه أهلها ونزل له فتوح بن على عن امارتها فملكها وأوطنها من يومئذ وذلك سنة احدى وتسعين وبعث بطاعته الى الحاكم فسرّح الحاكم يحيى بن على بن حمدون وعقد له على أعمال طرابلس وقابس فوصل الى طرابلس وارتحل معه فلفول وفتوح بن على بن غفيصان فى عساكر زناتة الى حصار قابس فحاصروها مدّة ورجعوا الى طرابلس ثم رجع يحيى بن على الى مصر واستبد فلفول بعمل طرابلس وطالت الفتنة بينه وبين باديس ويئس من مسرّح مصر فبعث بطاعته الى المهدى محمد بن عبد الجبار بقرطبة وأوفد اليه رسله فى الصريخ والمدد وهلك فلفول قبل رجوعهم اليه سنة أربعمائة واجتمعت زناتة الى أخيه وروا بن سعيد وزحف باديس الى طرابلس وأجفل وروا ومن معه من زناتة عنها ولحق باديس من كان بها من الجند فلقوه فى طريقه وتمادى الى طرابلس فدخلها ونزل قصر فلفول وبعث اليه وروا بن سعيد يسأل الامان له ولقومه فبعث اليه

محمد بن حسن من صنائعه فاستقدم وفدهم بامانه فوصلهم وولى وروا على نفزاوة والنعيم بن كنون على قسطينة وشرط عليهم أن يرحلوا بقومهم على أعمال طرابلس فرجعوا الى أصحابهم وارتحل باديس الى القيروان وولى على طرابلس محمد بن الحسن ونزل وروا بنفزاوة والنعيم قسطينة (ثم انتقض) وروا سنة احدى وأربعمائة ولحق بجبال ايدمر فتعاقدوا على الخلاف واستضاف النعيم بن كنون نفزاوة الى عمله ورجع خزرون بن سعيد عن أخيه وروا الى السلطان باديس وقدم عليه بالقيروان سنة ثنتين وأربعمائة فتقبله ووصله وولاه عمل أخيه نفزاوة وولى بنى محلية من قومه على قفصه وصارت مدن لزناتة وزحف وروا بن سعيد فيمن معه من زناتة الى طرابلس وبرز اليه عاملها محمد بن حسن فتواقعوا ودارت بينهم حروب شديدة انهزم فيها وروا وهلك الكثير من قومه ثم راجع حصارها وضيق على أهلها فبعث باديس الى خزرون وأخيه وا النعيم بن كنون وأمرا الجريد من زناتة بأن يخرجوا الحرب صاحبهم فخرجوا اليه وتواقعوا بعبرة ما بين قابس وطرابلس ثم اتفقوا ولحق أصحاب خزرون بأميه وروا ورجع خزرون الى عمله واتهمه السلطان بالمداهنة فى شأن أخيه وروا فاستقدمه من نفزاوة فاستراب وأظهر الخلاف وسرح السلطان اليه فتوح بن أحمد فى العساكر فأجفل عن عمله واتبعه النعيم وسائر زناتة ولحقوا جميعا بوروا بن سعيد سنة أربع وتظاهروا على الخلاف ونصبوا الحرب على مدينة طرابلس واشتد فساد زناتة فقتل السلطان من كان عنده من رهن زناتة واتفق وصول مقاتل بن سعيد نازعا ن أخيه وروا فى طائفة من أبنائه وأخواله فقتلوا معهم جميعا وشغل السلطان بحرب عمه حماد ولما غلبه بثاب سفنه وانصرف الى القيروان بعث اليه وروا بطاعته ثم كان مهلك وروا سنة خمس وأربعمائة وا قسم قومه على ابنه خليفة وأخيه خزرون بن سعيد واختلفت كلمتهم ودس حسن بن محمد عامل طرابلس فى التصريف بينهم ثم صار أكثر زناتة الى خليفة وناجز عمه خزرون الحرب فغلبه على القيطون وضبط زناتة وقام فيهم بأمر أبيه وبعث بطاعته الى السلطان باديس بمكانه من حصار القلعة فتقبلها ثم هلك باديس وولى ابنه المعز سنة ست وانتقض خليفة بن وروا عليه وكان أخوه حماد بن وروا يضرب على أعمال طرابلس وقابس ويواصل عليها الغارة والنهب الى سنة ثلاث عشرة فانتقض عبد الله بن حسن صاحب طرابلس على السلطان وأمكنه من طرابلس وكان سبب ذلك ان المعز بن باديس لاول ولايته استقدم محمد بن حسن من عمله واستخلف عليه أخاه عبد الله بن حسن وقدم على المعز وفوض اليه أمر مملكته وأقام على ذلك سبعا وتمكنت

Marfat.com

حاله عند السلطان وكثرت السعاية به فنكب وقتله وبلغ الخبر الى أخيه فانتقض كما قلنا. وامكن خليفة بن وروا وقومه من مدينة طرابلس فقتلوا الصنهاجيين واستولوا عليها ونزل خليفة بقصر عبد الله وأخرجه عنه واستصفى أمواله وحرمه واتصل ملك خليفة ابن وروا وقومه بني خزرون بطرابلس وخاطب الخليفة بالقاهرة الظاهر بن الحكم سنة سبع عشرة بالطاعة وضمان السابلة وتشييع الرفاق ويحفظ عهده على طرابلس فأجابه الى ذلك وانتظم في عمله وأوفد في هذه السنة أخاه حمادا على المعز بمدينته فتقبلها وكافأه عليها (هذا آخر ما حدث به) ابن الرقيق من أخبارهم ونقل ابن حماد وغيره أن المعز زحف أعوام ثلاثين وأربعمائة الى زناتة بجهات طرابلس فبرزوا اليه وهزموه وقتلوا عبد الله ابن حماد وسبوا أخته أم العلو بنت باديس ومنوا عليها بعد حين وأطلقوها الى أخيها ثم زحف اليهم ثانية فهزموه ثم أتيحت له الكرة عليهم فغلبهم وأذعنوا للطاعة والتقوه بالهادنة فاستقام أمرهم على ذلك وكان خزرون بن سعيد لما غلبه خليفة بن وروا على امارة زناتة لحق بمصر فأقام فيها بدار الخلافة ونشأ بنوه بها وكان منهم المنتصر بن خزرون وأخوه سعيد ولما وقعت الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر وغلبهم الترك وأجلوهم عنها لحق المنتصر وسعيد بطرابلس وأقاما في نواحيها ثم ولي سعيد أمر طرابلس ولم يزل واليا عليها الى أن هلك سنة تسع وعشرين (وقال أبو محمد) التيجاني في رحلته عند ذكر طرابلس ولما قتلت زغبة سعيد بن خزرون سنة تسع وعشرين قدم خليفة بن خزرون من القيطون الى ولايتها فأمكنه منها رئيس الشورى وبها يومئذ من الفقهاء أبو الحسن بن المنتصر المشتهر بعلم الفرائض وبايع له وقام بها خزرون الى سنة ثلاثين بعدها فقام المنتصر بن خزرون في ربيع الاول منها ومعه عساكر زناتة ففر خزرون بن خليفة من طرابلس مختفيا وملكها المنتصر بن خزرون وأوقع بابن المنتصر ونفاه واتصلت بها امارته انتهى ما نقله التيجاني (وهذا الخبر) مشكل من جهة أن زغبة من العرب الهلاليين وانما جاؤوا الى افريقية من مصر بعد الاربعين من تلك المائة فلا يكون وجودهم بطرابلس سنة تسع وعشرين الا ان كان تقدم بعض أحيائهم الى افريقية من قبل ذلك فقد كان بنو مرة ببرقة بعثهم الحاكم مع يحيى بن علي بن حمدون الا أن ذلك لم ينقله أحد ولم تزل طرابلس بأيدي بني خزرون الزناتيين ولما وصل العرب الهلاليون وغلبوا المعز بن باديس على أعمال افريقية واقتسموها كانت قابس وطرابلس في قسمة زغبة والبلد لبني خزرون ثم استولى بنو سليم على الضاحية وغلبوا عليها زغبة ورحلوهم عن تلك المواطن ولم تزل البلد لبني خزرون وزحف المنتصر بن خزرون مع بني عدي من قبائل هلال مجلبا على بني حماد حتى نزل المسيلة ونزل أشير ثم

Marfat.com

خرج اليهم الناصر ففرّ أمامه الى الصحراء ورجع الى القلعة فرجعوا الى الاحلاف على اعمال فغراسله الناصر على الصلح وأقطعه ضواحى الزاب وريغة وأوعز الى عروس ابن سندى وئيس بسكرة لعهده أن يكر به فلما وصل المنتصر الى بسكرة أنزله عروس ثم قتله غيلة أعوام ستين وأربعمائة وولى طرابلس آخر من بنى خزرون لم يحضرنى اسمه واختل ملك صنهاجة واتصل فيهم ملك تلك الاعمال الى سنة أربعين وخمسمائة ثم نزل بطرابلس ونواحيها فى هذا العام مجاعة وأصابهم منها شدة هلك فيها الناس وفرّوا عنها وظهر اختلال أحوالها وفناء حاميتها فوجه اليها الحارط اغية صقلية اسطولا لحصارها بعد استيلائه على المهدية وصفاقس واستقرار ولايته فيها ووقع بين أهل طرابلس الحلاف فغلب عليهم جرجى بن ميخايل قائد الاسطول وملكها وأخرج منها بنى خزرون وولى على البلد شيخهم أبا يحيى بن مطروح التميمى فانقرض أمر بنى خزرون منها وبقى منهم من بقى بالضاحية الى ان افتتح الموحدون افريقية آخر الدولة الصنهاجية والملك لله وحده يؤتيه من يشاء من عباده سبحانه لا اله غيره

سعيد بن خزرون — ابن ورو ابن سعيد بن خزرون بن فلفول بن خزرون بن يفلسن — زروال

{ الخبر عن بنى يعلى ملوك تلمسان من آل خزر من أهل الطبقة الاولى والالمام ببعض دولهم ومصائرها }

قد ذكرنا فى أخبار محمد بن خزر وبنيه أن محمد بن الخير الذى قتل نفسه فى معركة بلكين كان من ولده الخير و يعلى وأنهما اللذان ثأرا منه بأبيهما زيرى فقتلوه واتبعهم بلكين من بعد ذلك وأجلاهم الى المغرب الاقصى حتى قتل منهم محمد صبرا أعوام ستين

Marfat.com

وثلثمائة بنواحي مجلماسة قبل وصول معد الى القاهرة وولاية بلكين على افريقية
وقام بأمر زناتة بعد الخير محمد وعمه يعلى بن محمد وتكررت اجازة محمد بن الخير هذا وعمه
يعلى الى المنصور بن أبي عامر كما ذكرنا ذلك من قبل وغلبهم ابنا عطية بن عبد الله بن خزر
وهما مقاتل وزيري على رياسة مغراوة وهلك مقاتل واختص المنصور زيري بن عطية
باثرته وولاه على المغرب كما ذكرناه وقارن ذلك مهلك بلكين وانتقاض أبي البهار
ابن زيري صاحب المغرب الاوسط على باديس فكان من شأنه مع زيري ويدوي بن
يعلى ما قدمناه ثم استقل زيري وغلبهم جميعا على المغرب ثم انتقض على المنصور فأجاز
اليه ابنه الظفر وأخرج زناتة من المغرب الاوسط فتوغل زيري في المغرب الاوسط
ونازل أمصاره وانتهى الى المسيلة واشير وكان سعيد بن خزرون قد نزع الى زناتة
وملكوا طبنة واجتمع زناتة بافريقية عليه وعلى ابنه فلفول من بعده وانتقض فلفول
على باديس عند زحف زيري الى المسيلة واشير وشغل باديس ثم ابنه المنصور على المغرب
الاوسط بحروب فلفول وقومه ودفعوا اليه حماد بن بلكين فكانت بينه وبين زناتة
حروب سجال وهلك زيري بن عطية واستقل المعز وابنه بملك المغرب سنة ثلاث وتسعين
وثلثمائة وغلب صنهاجة على تلمسان وما اليها واختط مدينة وجدة كما ذكرنا ذلك كله
من قبل ونزل يعلى بن محمد مدينة تلمسان فكانت خالصة له وبقي ملكها وسائر
ضواحيها في عقبه ثم هلك حماد بعد استبداده ببلاد صنهاجة على آل بلكين وشغل بنوه
بحرب بني باديس فاسترسق ملك بني يعلى خلال ذلك بتلمسان واختلفت أيامهم مع آل
حماد سلما وحربا ولما دخل للعرب الهلاليون افريقية وغلبوا المعز وقومه عليها
واقتسموا سائر أعمالها ثم تخطوا الى اعمال بني حماد فأجروهم بالقلعة وغلبوهم على
الضواحي فرجعوا الى استلافهم واستخلصوا الاثبج منهم وزغبة فاستظهروا بهم على
زناتة المغرب الاوسط وأنزلوهم بالزاب وأقطعوهم الكثير من أعماله فكانت بينهم
وبين بني يعلى أمراء تلمسان حروب ووقائع وكان زغب أقرب اليهم بالمواطن وكان
أمير تلمسان لعهدهم يحيى من ولد يعلى وكان وزيره وقائد حروبه أبا سعيد بن خليفة
بن اليفرني فكان كثيرا ما يخرج بالعساكر من تلمسان لقتال عرب الا
وزغبة ويحتشد من اليها من زناتة من أهل المغرب الاوسط مثل مغراوة وبني يفرن
وبني يلومي وبني عبد الواد ويوجين وبني مرين وهلك في بعض تلك الملاحم هذا الوزير
أبو سعيد أعوام خمسين وأربعمائة (ثم ملك) المرابطون أعمال المغرب الاقصى بعد
مهلك يحيى وولاية ابنه العباس بن يحيى بتلمسان وسرح يوسف بن تاشفين قائده فردلي بن
في عساكر لمتونة لحربهم من بقي بتلمسان من مغراوة ومن لحق بهم

Marfat.com

من فل بنى زيرى وقومهم فدوّخ المغرب الاوسط وظفر بعلى بن العباس بن بختى برز لمدافعتهم فهزمه وقتله وانكف راجعا الى المغرب ثم نهض يوسف بن تاشفين بنفسه فى جموع المرابطين سنة ثلاث وسبعين فافتتح تلمسان واستلحم بنى يعلى ومن كان بها من مغراوة وقتل العباس بن بختى أميرها من بنى يعلى ثم افتتح وهران وتنس وملك جبل وانشريس وشاب الى الجزائر وانكف راجعا وقد محى أثر مغراوة من المغرب الاوسط وأنزل محمد بن تينعمر المسوفى فى عسكر من المرابطين بتلمسان واختط مدينة تاكرارت بمكان معكسره وهو اسم المحلة بلسان البربر وهى التى صارت اليوم مع تلمسان القديمة التى تسمى أكادير بلدا واحدا وانقرض أمر مغراوة من جميع المغرب كان لم يكن والبقاء والله وحده سبحانه

معلى بن العباس بن بختى بن بن يعلى بن محمد بن الخير بن محمد بن خزر

(الخبر عن أمراء اغمات من مغراوة)

لم أقف على أسماء هؤلاء الا انهم أمراء بأغمات آخر دولة بنى زيرى بفاس وبنى يعلى اليفرنى بسلا وتادلا فى جوار المصامدة وبرغواطة وكان لقوط بن يوسف بن على آخرهم فى سنى الخمسين وأربعمائة وكانت امرأته زينب بنت اسحق النفزاوية من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة ولما غلب المرابطون على اغمات سنة تسع وأربعين فنزل لقوط هذا الى تادلا سنة احدى وخمسين وقتل الامير محمد واستلحم بنى يفرن فكان فيمن استلحم وخلفه أبو بكر بن عمر أمير المرابطين على زينب بنت اسحق حتى اذا ارتحل الى الصحراء سنة ثلاث وخمسين واستقل ابن عمه يوسف بن تاشفين على المغرب نزل له عن زوجه زينب هذه فكان لها رياسة أمره وسلطانه وما أشارت اليه عند مرجع أبى بكر من الصحراء فى اظهار الاستبداد حتى تجافى عن منازعته وخلص ليوسف بن تاشفين ملكه كما ذكرناه فى أخبارهم ولم نقف من لقوط بن يوسف وقومه على غير هذا الذى كتبناه والله ولى العون سبحانه

(الخبر عن بنى سنجاس وريغة والاغواط وبنى ورا من قبائل مغراوة من أهل الطبقة الاولى وتصاريف أحوالهم)

هذه البطون الاربعة من بطون مغراوة وقد زعم بعض الناس أنهم من بطون زناتة غير مغراوة أخبرنى بذلك الثقة عن ابراهيم بن عبد الله التمروغتى قال وهو نسابة زناتة لعهده ولم تزل هذه البطون الاربعة من أوسع بطون مغراوة (فأما) بنو سنجاس فلهم مواطن فى كل عمل من افريقية والمغرب بين فتهم قبلة المغرب الاوسط بجبل راشد وجبل كريكرة وبعمل الزاب وبلاد شلف ومن بطونهم بنو عيار ببلاد شلف أيضا وبنو عيار

Marfat.com

بأعمال قسنطينة وكان بنو سنجاس هؤلاء من أوسع القبائل وأكثرهم عددا وكان لهم
فى فتنة زناتة وصنهاجة آثار بافريقية والمغرب وأكثرها فى افساد السبيل والعيث
فى المدن ونازلوا قفصة سنة أربع عشرة وخمسمائة بعد ان عاثوا بجهات القصر وقتلوا من
وجدوا هنالك من عسكر تلكاتة وخرجت اليهم حامية قفصة فأثخنوا فيهم ثم كثر
فسادهم وسرح السلطان قائده محمد بن أبى العرب فى العساكر الى بلاد الجريد
فشردهم عنها وأصلح السابلة ثم عادوا الى مثلها سنة خمس عشرة فأوقع بهم قائد بلاد
الجريد وأثخن فيهم بالقتل وحمل رؤسهم الى القيروان فعظم الفتح ولم تزل الدولة فيهم
بالقتل والاثخان الى أن كسروا من شوكتهم وجاء العرب الهلاليون وغلبوا على
الضواحى كل من كان بها من صنهاجة وزناتة وتحيز فلهم الى الحصون والمعاقل وضربت
عليهم المغارم الا ما كان ببلاد المغرب القفر مثل جبل راشد فانهم لبعدهم عن منازل
الملك لا يعطون مغرما الا أنه غلب عليهم العمور من بطون الهلاليين ونزلوا معهم
وملكوا عليهم أمرهم وصاروا لهم فيه ومن بنى سنجاس من نزل الزاب وهم لهذا العهد
أهل مغارم لمن غلب على ثغورهم من مشايخهم وأما من نزل منهم ببلاد شلب ونواحى
قسنطينة فهم لهذا العهد أهل مغارم للدول وكان دينهم جميعا الخارجية على سنن
زناتة فى الطبقة الاولى ومن بقى منهم اليوم بالزاب فعلى ذلك ومن بنى سنجاس هؤلاء
بأرض المسيل من جبل بنى راشد وطنوا جبلا فى جواره غمرة وصاروا عند تغلب
الهلاليين فى ملكهم يقبضون الاتاوة منهم ونزل منهم لهذا العهد الصارى من بطون
عروة من زغبة وغلبوهم على أمرهم وأصاروهم خولا (وأما بنو ريغة) فكانوا
أحياء متعددة ولما افترق أمر زناتة تحيز منهم الى جبل عياض وما اليه من البسيط الى
تعاوس وأقاموا فى قياطينهم فمن كان بجبل عياض منهم أهل مغارم لامراء عياض
يقبضونها للدولة الغالبة ببجاية وأما من كان ببسيط تعاوس فهم فى اقطاع العرب لهذا
العهد ونزل أيضا الكثير منهم ما بين قصور الزاب ووارگلا فاختطوا قصورا كثيرة
فى عدوتى واد ينحدر من المغرب الى المشرق يشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة
والاطم قد رف عليها الشجر ونضدت حنافيها النخل وانسابت خلالها المياه وزهت
ينابعها الصحراء وكثر فى قصورها العمران من ريغة هؤلاء وبهم تعرف لهذا العهد وهم
أكثرها ومن بنى سنجاس وبنى يفرن وغيرهم من قبائل زناتة وتفرقت جماعتهم للتنازع
فى الرياسة فاستقلت كل طائفة منهم بقصور منها أو بواحد وقد كانت فيما يقال أكثر من
هذا العدد أضعافا وان ابن غانية لستوفى حين كان يجبى على بلاد افريقية والمغرب
فى فتنته مع الموحدين خرب عمرانها واجتث شجرها وغور مياهها ويشهد لذلك آثار

Marfat.com

العمران بها فى اطلال الديار ورسوم البناء واعجاز النخل المنقعر وكان هذا العمل يرجع فى أول الدولة الحفصية لعامل الزاب وكان من الموحدين ونزل بسكرة ما بينها وبين مغرة وكان من اعماله قصور وارکلا أيضا ولما فتك المنتصر بمشيخة الزواودة كما قلناه فى أخباره وقتلوا بعد ذلك عامل الزاب بن عتو ادن مشيخة الموحدين وغلبوا على ضواحى الزاب ووارکلا وأقطعتهم اياها الدول بعد ذلك فصارت فى اقطاعهم ثم عقد صاحب بجاية بعد ذلك على العمل كله لمنصور بن مزنى واستقر فى عقبه فربما يسمون بعض الاحيان أهل تلك القصور المغرم للسلطان بما كان من الامر القديم ويعسكر عليهم فى ذلك كتائب رجل الزاب وخيالة العرب ويبرز عليها بأمر الزواودة ثم يقاسمهم فيما يعتريه منهم وأكبر هذه الامصار يسمى تقرت مصر مستجمر العمران بنوى الاحوال كثير المياه والنخل ورياسته فى بنى يوسف بن عبد الله وتغلب على وارکلا من يد أبى بكر بن وسى ازمان حداثته وأضافها الى عمله ثم هلك وصار أمر تقرت لاخيه مسعود ابن عبيد الله ثم لابنه حسن بن مسعود ثم لابنه أحمد بن حسن شيخها لهذا العهد وبنو يوسف بن عبد الله هؤلاء من ريغة ويقال انهم من سنجاس وفى أهل تلك الامصار من المذاهب الخوارج وفرقهم كثير وأكثرهم على دين العزابية ومنهم النكارية أقاموا على انتحال هذه الخارجية ابعدهم عن منال الاحكام ثم بعد مدينة تقرت بلد تماسين وهى دونها فى العمران والخطة وريا ستة لبنى ابراهيم بن من ريغة وسائر أمصارهم كذلك كل مصر منها مستبد بأمره وحرب نجاره (وأما القواط) وهم فخذ من مغراوة أيضا فهم فى نواحى الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد ولهم هنالك قصر مشهور بهم فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغلهم فى القفر وهم مشهورون بالنجدة والامتناع من العرب وبينهم وبين الروس أقصى عمل الزاب مرحلتان وتختلف قصودهم اليهم لتحصيل المرافق منهم والله يخلق ما يشاء ويختار (وأما بنو وارا) فهم فخذ من مغراوة أيضا ويقال من زناتة وهم متشعبون ومفترقون بنواحى المغرب منهم بناحية مراكش والسوس ومنهم ببلاد شلب ومنهم بناحية قسنطينة ولم يزالوا على حالهم منذ انقراض زناتة الاولين وهم لهذا العهد أهل مغارم وعسكرة مع الدول وأكثر الذين كانوا بمراكش قد انتقل رؤساؤهم الى ناحية شلب نقلهم يوسف بن يعقوب سلطان بنى مرين فى أول هذه المائة الثامنة لما ارتاب بأمرهم فى تلك الناحية وخشى من افسادهم وعيثهم فنقلهم فى عسكر الى موطن شلب لحمايته فنزلوا به ولما ارتحل بنو مرين من بعد مهلك يوسف بن يعقوب أقاموا ببلاد شلب فأعقابهم بها الهذا العهد وأحوالهم جميعا فى كل قطر متقاربة فى المغرم والعسكرة

(الخبر عن بني يرنيان اخوة مغراوة وتصاريف أحوالهم)

وهم منبثون كثيرا بين زناتة في المواطن وأما الجمهور منهم فوطنهم بملوية من المغرب الاقصى ما بين سجلماسة وكرسيف كانوا هنالك مجاورين لمكناسة في مواطنهم واختطوا حفافي وادي ملوية قصورا كثيرة متقاربة الخطة ونزلوها وتعددت بطونهم وأفخاذهم في تلك الجهات ومنهم بنو وطاط متوطنون لهذا العهد بالجبال المطلة على وادي ملوية من جهة القبلة ما بينه وبين تازى وفاس وبهم تعرف تلك القصور لهذا العهد وكان لبني يرنيان هؤلاء صولة واعتزاز وأجاز الحكم المستنصر منهم والمنصور بن أبي عامر من بعده فيمن أجازوه من زناتة في المائة الرابعة وكانوا من أفضل جند الاندلس وأشدهم شوكة وبقي أهل المواطن منهم في مواطنهم مع مكناسة أيام ملكهم بالمغرب الاقصى ولما ملك لمتونة والموحدون من بعدهم لحق الطواعن منهم بالقفر فاختطوا بأحياء بني مرين الموالين لتلول المغرب من زناتة أقاموا معهم في أحيائهم وبقي من عجز عن الظعن منهم بمواطنهم مثل بني وطاط وغيرهم ففرضت عليهم المغارم والجبايات ولما دخل بنو مرين للمغرب ساهموهم في اقتسام أعماله وأقطعوهم البلد الطيب من ضواحي سلا والمعمورة زيادة الى وطنهم الاول بملوية وأنزلوهم بنواحي سلا بعد أن كان منهم انحراف عنهم في سبيل المدافعة عن أوطانهم الاولى ثم اصطلحوا ورعى لهم بنو عبد الحق سابقتهم معهم فاصطفوهم للوزارة والتقدم في الحرب ودفعوهم الى المهمات وخلطوهم بانفسهم وكان من أكابر رجالاتهم لعهد السلطان أبي يعقوب وأخيه أبي سعيد الوزير ابراهيم بن عيسى استخلصوه للوزارة مرة بعد أخرى واستعمله السلطان أبو سعيد على وزارة ابنه أبي علي ثم لوزارته واستعمل ابنه السلطان أبو الحسن ابناء ابراهيم هذا في أكابر الخدمة فعقد لمسعود بن ابراهيم على أعمال السوس عند ما فتحها أعوام الثلاثين والسبعمائة ثم عزله بأخيه حسون وعقد لحسون على بلاد الجريد من افريقية عند فتحه اياها سنة ثمان وأربعين وكان فيها مهلكه ونظم أخاهما موسى في طبقة الوزارة ثم أفرده بها أيام نكبته والحاقه بجبل هنتاتة واستعمله السلطان ابو عنان بعد في العظيمات وعقد له على أعمال مدو يكش بنواحي قسطيلية ورشح ابنه محمد السبيع لوزارته الى ان هلك وتقلبت بهم الايام بعده وقلد عبد الحميد المعروف بجلي بن السلطان أبي علي وزارته محمد بن السبيع بعد هذا أيام حصاره لدار ملكهم سنة ثنتين وستين كما نذكره في أخبارهم فلم يقدر لهم الظفر ثم راجع السبيع بعدها الى محله من دار السلطان وطبقة الوزارة وما زال يتصرف في الخدم الجليلة والاعمال

Marfat.com

الواسعة مابين سجلماسة ومراكش وأعمال تازى ونادة وغمارة وهو على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها سبحانه لا اله غيره

* (الخبر عن وجديجن واوغمرت من قبائل زناتة ومبادى أحوالهم وتصاريفهم) *

قد تقدم أن هذين البطنين من بطون زناتة من ولد ورتنيص بن جانا وكان لهم عدد وقوة ومواطنهم مفترقة فى بلاد زناتة فأما وجديجن فكان جمهورهم بالمغرب الاوسط ومواطنهم منه منداس مابين بنى يفرن من جانب المغرب ولواتة من جانب القبلة فى السرسو ومطماطة فى جانب الشرق فى وانشريس وكان أميرهم لعهد يحيى بن محمد اليفرنى رجل منهم اسمه عنان وكان بينهم وبين لواتة الموطنين بالسرسو فتنة متصلة يذكر أنها بسبب امرأة من وجديجن نكحت فى لواتة وتلاحما معها نساء قيطونهم فصيرنها بالفقر فكتبت بذلك لى عنان تدمره فغضب واستجاش أهل عصبته من زناتة وجيرانه فزحف معه يعلى فى بنى يفرن وكمام بن حياتى فى مغيلة وغرابة فى مطماطة ودارت الحرب بينهم وبين لواتة مليا ثم علموا لواتة على بلاد السرسو وانتهوا بهم الى كدية لعابد من آخرها وهلك عنان شيخ وجديجن فى بعض تلك الوقائع بملاكوا من جهات السرسو ثم لجأت زناتة الى جبل كريرة قبلة السرسو وكان يسكنه أحياء من مغراوة يعرف شيخهم لذلك العهد علاهم ريب شيخهم عمر بن تامصا الهالك قبله ومعنى تامصا بلسان البربر الغول ولما لجأت لواتة اليه غدر بهم وأغرى قومه فوضعوا أيديهم فيهم قتلا ونهبا فلاذوا بالفرار ولحقوا بالجبل معود وجبل درالة فاستقروا هنالك آخر الدهر وورثت وجديجن مواطنهم بمنداس الى ان غلبهم عليها بنو يلومين وبنو ومانو كل من جهته ثم غلب الآخرين عليها بنو عبد الواد وبنو توجين الى هذا العهد والله وارث الارض ومن عليها (وأما أوغمرت) ويسمى لهذا العهد غمرت وهم اخوة وجديجن من ولد ورتنيص بن جانا كما قلناه فكانوا من أوفر القبائل عددا ومواطنهم متفرقة وجمهورهم بالجبال الى قبلة بلاد صنهاجة من المسيلة الى الدونس وكان لهم مع أبى يزيد صاحب الحمار فى الشيعة آثار وأوقع بهم اسمعيل القائم عند ظهوره على أبى يزيد وأثخن فيهم وكذلك بلكين وصنهاجة من بعده ولما افترق أمر صنهاجة بادو بنيه كانوا شيعا لهم على بلكين ونزع عن حماد أيام فتنته ابن أبى حلى من مشيختهم وكان مختصا بهم الى باديس فوصله وحمل أصحابه وعقد له على طبنة وأعمالها حتى اذا جاء العرب الهلاليون وغلبوهم على الضواحى اعتصموا بتلك الجبال قبلة المسيلة وبلاد صنهاجة وقعدوا بها عن الظعن وتركوا القيطون الى سكنى المدن ولما تغلب الزواودة على ضواحى الزاب وما اليها أقطعتهم الدولة مغارم هذه الجبال التى تعمرت وهم لهذا العهد

Marfat.com

فى سهمان أولاد يحيى بن على بن سباع من بطونهم وكان فى القديم من عمرت هؤلاء كاهن زناتة موسى بن صالح مشهور عندهم حتى الا ن و يتناقلون بينهم كلماته برطانتهم على طريق الرجز فيها أخبار بالحدثان فيما يكون لهذا الجيل الزناتى من الملك والدولة والتغلب على الاحياء والقبائل والبلدان شهد كثير من الواقعات على وفقها بصحتها حتى لقد نقلوا من بعض كلماته ما معناه باللسان العربى ان تلمسان ما آلها الخراب وتصير دورها فدنا حتى يثير أرضها حرّاث أسود يثور أسود أعور وذكر الثقات انهم عاينوا ذلك بعد انتشار كلماته هذه أيام لحقها الخراب فى دولة بنى مرين الثانية سنة ستين وسبعمائة وأفرط الخلاف بين هذا الجيل الزناتى فى التشيع له والحمل عليه فمنهم من يزعم انه نبى أوولى وآخرون يقولون كاهن شيطان ولم نوقفنا الاخبار الصحيحة على الجلى من أمره والله سبحانه وتعالى أعلم لا رب غيره

الخبر عن بنى وارکلا من بطون زناتة والمصر المنسوب اليهم بصحراء افريقية وتصاريف أحوالهم

بنو وارکلا هؤلاء احدى بطون زناتة كما تقدم من ولد فرنى بن جانا وقد مر ذكرهم وان اخوتهم الديرت ومرنجيصه وسبرتة وغمالة والمعروفون لهذا العهد منهم بنو وارکلا وكانت نشتهم قايلة وكانت مواطنهم قبلة الزاب واختطوا المصر المعروف بهم لهذا العهد على ثمان مراحل من بسكرة فى القبلة عنها ميامنة الى المغرب بنوها قصورا متقابلة متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها فأتلفت وصارت مصرا واحدا وكان معهم هنالك جماعة من بنى زنداسن مغراوة واليهم كان هرب أبى زيد النكارى عند فراره من الاعتقال سنة خمس وعشرين وثلثمائة وكان مقامه بينهم سنة يختلف الى بنى برزال قبلة المسيلة بسالات والى قبائل البربر بجبل أوراس يدعوهم جميعا الى مذهب النكارية الى أن ارتحل الى أوراس واستبحر عمران هذا المصر واعتصم به بنو وارکلا هؤلاء والكثير من ظواعن زناتة عند غلب الهلاليين اياهم على الضواحى واختصاص الاثبج بضواحى القلعة والزاب وما اليها ولما استبد الامير أبو زكريا بن أبى حفص بملك افريقية وجال فى نواحيها فى اتباع بن غانية مر بهذا المصر فأعجبه وكلف بالزيادة فى تعميره فاختط مسجده العتيق وماذنته المرتفعة وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا فى الحجر وهذا البلد لهذا العهد باب لولوج السفر من الزاب الى المفازة الصحراوية المفضية الى بلاد السودان يسكنها التجار الداخلون اليها بالبضائع وسكانه لهذا العهد من بنى وارکلا واعقاب اخوانهم من بنى يفرن ومغراوة و يعرف رئيسه باسم السلطان شهرة غير نكيرة بينهم ورياسته لهذه الاعصار مخصوصة ببنى أبى عبدل و يزعمون انهم

Marfat.com

من بنى واكين احدى بيوت بنى واركلا ولهذا العهد أبو بكر بن موسى بن سليمان من بنى أبى عبدل ورياستهم متصلة فى عمود هذا النسب وعلى عشرين مرحلة من هذا فى القبلة منحرفا الى المغرب بيسير بلد تكرت قاعدة وطن الملثمين وركاب الحجاج من السودان اختطه الملثمون من صنهاجه وهم سكانه لهذا العهد وصاحبه أمير من بيوتاتهم يعرفونه باسم السلطان وبينه وبين أمير الزاب مراسلة ومهاداة (ولقد) قدمت على بسكرة سنة أربع وخمسين أيام السلطان أبى عنان فى بعض الاغراض السلطانية ولقيت رسول صاحب تكرت عند يوسف بن مزنى أمير بسكرة وأخبرنى عن استبصار هذا المصر فى العمارة ومرور السابلة وقال لى اجتاز بنا هذا العام سفر من تجار المشرق الى بلد مالى كانت ركابهم اثنى عشر ألف راحلة وذكر لى غيره أن ذلك هو الشأن فى كل سنة وهذا البلد فى طاعة سلطان مالى من السودان كما فى سائر الصحراوية المعروفة بالملثمين لهذا العهد والله غالب على أمره سبحانه

(الخبر عن دمر من بطون زناتة ومن ولى منهم بالاندلس وأولية ذلك ومصائره)

بنو دمر هؤلاء من زناتة وقد تقدم أنهم من ولد ورسيك بن الدير بن جانا وشعوبهم كثيرة وكانت مواطنهم بافريقية فى نواحى طرابلس وجبالها وكان منهم آخرون ظواعن من عرب افريقية ومن بطون بنى دمر هؤلاء بنو ورغمة وهم لهذا العهد مع قومهم بجبال طرابلس ومن بطونهم أيضا بطن متسع كثير الشعوب وهم بنو ورنيد بن ابن وانتن بن واردير بن دمر وان من شعوبهم بنى ورتاتن وبنى عزرول وبنى تغورت وربما يقال ان هؤلاء الشعوب لا ينتسبون الى بنى ورنيد بن كما تقدم وبقايا بنى ورنيد بن لهذا العهد بالجبل المطل على تلمسان بعد ان كانوا فى البسيط قبلته فزاحمهم بنو راشد حين أجلوهم من بلادهم بالصحراء الى التل وغلبوهم على تلك البسائط فانزاحوا الى الجبل المعروف بهم لهذا العهد وهو المطل على تلمسان وكان قد أجازا الى الاندلس من بنى دمر هؤلاء أعيان ورجالات حرب فيمن أجاز اليها من زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بدعوة المنتصر فضمهم السلطان الى عسكره واستظهر بهم المنصور بن أبى عامر من بعد ذلك على شأنه وقوى بهم المستعين أديم دولته ولما اعصوصب البربر على المستعين وبنى حمود من بعده وغالبوا جنود الاندلس من العرب وكانت الفتنة الطويلة بينهم التى نثرت سلك الخلافة وفرقت شمل الجماعة واقتسموا خطط الملك وولايات الاعمال وكان من رجالاتهم نوح الدمرى وكان من عظماء أصحاب المنصور وولاه المستعين أعمال موروروا ركش فاستبد بها سنة أربع فى عمار الفتنة وأقام بها سلطانا لنفسه الى أن هلك سنة ثلاث وثلاثين فولى ابنه أبا مناد محمد بن نوح وتلقب بالحاجب عز الدولة فى قرن شان ملوك الطوائف وكانت بينه وبين ابن عباد شأن

غرب الاندلس ومر المعتضد فى بعض أسفاره بحصن أركش وتطوف به مختفيا فقبض عليه بعض أصحاب بن نوح وساقه اليه فخلى سبيله وأولاه كرامة احتسبها عنده يدا وذلك سنة ثلاث وأربعين فانطلق الى دار ملكه ورجع بعدها الى ولاية الملولة الذين حوله من البربر وأسجل لابن نوح هذا على عمل اركش وموروفيمن أسجل له منهم فصاروا الى مخالصته الى أن استدعاهم سنة خمس وأربعين بعدها الى صنع ودعا اليه الجفلى من أهل أعماله واختصه بدخول حمام أعدّه لهم استبلاغا فى تكريمهم وتخلف ابن نوح عنده من بينهم فلما حصلوا داخل الحمام أطبقه عليهم وسدّ المنافس للهوى دونهم الى أن هلكوا ونجا منهم ابن نوح لسالفة يده وطير فى الحين من تسلم معاقلهم وحصونهم فانتظمها فى أعماله وكان منها رندة وشريش وسائر أعمالها وهلك من بعد ذلك الحاجب أبو مناد بن نوح سنة وولى ابنه أبو عبد الله ولم يزل المعتضد يضايقه الى أن انخلع سنة ثمان وخمسين فانتظمها فى أعماله وسار اليه محمد أبى مناد الى أن هلك سنة ثمان وستين وانقرض ملك بنى نوح والبقاء لله وحده سبحانه

أبو عبد الله بن الحاجب أبى مناد محمد بن نوح الدمرى

{الخبر عن بنى برزال احدى بطون دمر وما كان لهم من الحال بقرمونة وأعمالها من الاندلس أيام الطوائف وأولية ذلك ومصائره}

قد تقدم لنا ان بنى برزال هؤلاء من ولد ورنيد بن بوانتن بن واردير بن دمر كما ذكره ابن حزم وان اخوتهم بنو يصدرين وبنو صمغان وبنو يطوفت وكان بنو برزال هؤلاء بافريقية وكانت مواطنهم منها جبل سالات وما اليها من أعمال المسيلة وكان لهم ظهور ووفور عدد وكانوا نكارية من فرق الخوارج ولما فرّ أبو زيد أمام اسمعيل المنصور وبلغه ان محمد بن خزر يترصد له أجمع الاعتصام بسالات وصعد اليه وأرهقته عساكر المنصور فانتقل عنه الى كتانة وكان من أمره ما قدمناه ثم استقام بنو برزال على طاعة الشيعة وموالاة جعفر بن على بن حمدون صاحب المسيلة والزاب حتى صاروا له شيعا (ولما انتقض) جعفر بن محمد سنة ستين وثلثمائة كان بنو برزال هؤلاء فى جملته من أهل خصوصيته فأجازوا معه البحر الى الاندلس أيام الحكم المستنصر فاستخدمهم وانظمهم فى طبقات جنده الى من كان به من قبائل زناتة وسائر البربر أيام أخذهم بالدعوة الاموية ومحاربتهم عليها للادارسة فاستقروا جميعا بالاندلس وكان لبنى برزال من بينهم ظهور وغنى مشهور (ولما أراد) المنصور بن أبى عامر الاستبداد على خليفته هشام وتوقع النكير من رجالات الدولة وموالى الحكم استكثر بنى برزال وغيرهم من البربر وأفاض فيهم الاحسان فاعتزامره واشتدّ أزره حتى أسقط رجال الدولة ومحى رسومها

Marfat.com

وأنبت أركان سلطانه ثم قتل صاحبهم جعفر بن يحيى كما ذكرناه خشية عصبيته بهم واستمالهم من بعده فأصبحوا له عصبية وكان يستعملهم فى الولايات النبيهة والاعمال الرفيعة وكان من أعيان بنى برزال هؤلاء اسحق بن فولاه قرمونة وأعمالها فلم يزل عليها أيام بنى عامر وجدد له العقد عليها المستعين فى فتنة البرابرة وولى بها من بعده ابنه عبد الله (ولما انقرض) ملك بنى حمود من قرطبة ودفع أهلها القاسم المأمون عنهم سنة أربع عشرة أراد اللحاق بأشبيلية وبها نائبه محمد بن أبى زيرى من وجوه البربر بقرمونة عبد الله بن اسحق البرزالى فداخلهما القاضى ابن عباد فى خلع طاعة القاسم وصده عن العملين فأجابا الى ذلك ثم دس للقاسم بالتحذير من عبد الله بن اسحق فعدل القاسم عنهما جميعا الى شريش واستبد كل منهم بعمله ثم هلك عبد الله من بعد ذلك وولى ابنه محمد سنة وكانت بينه وبين المعتمد بن عباد حرب وظاهر عليه يحيى بن على بن حمود فى منازلة أشبيلية سنة ثمان عشرة ثم اتفق مع ابن عباد بعدها وظاهره على عبد الله الافطس وكانت بينهما حرب كانت الدائرة فيها على ابن الافطس وحصل ابنه المظفر قائد العسكر فى قبضة محمد بن عبد الله بن اسحق الى أن من عليه بعد ذلك وأطلقه ثم كانت الفتنة بين محمد بن اسحق وبين المعتضد وأغار اسمعيل بن المعتضد على قرمونة فى بعض الايام بعد ان كمن الكمين من الخيالة والرجل وركب اليه محمد فى قومه فاستطرده اسمعيل الى أن بلغوا الكمائن فثاروا بهم وقتلوا محمدا البرزالى وذلك سنة أربع وثلاثين وولى ابنه العزيز بن محمد وتلقب بالمستظهر مناغيا لملوك الطوائف لعهده ولم يزل المعتضد يستولى على غرب الاندلس شيأ فشيأ الى ان ضايقه فى عمل قرمونة واقتطع منه اشبونة والمورو ثم انخلع له العزيز عن قرمونة سنة تسع وخمسين ونظمها المعتضد فى ممالكه وانقرض ملك بنى برزال من الاندلس ثم انقرض من بعد ذلك جميعهم من جبل سالات وأصبحوا فى الغابرين والبقاء لله وحده سبحانه

العزيز محمد بن عبد الله بن اسحق البرزالى

{الخبر عن بنى ومانو او بنى يلومى من الطبقة الاولى وما كان لهم من الملك والدولة بأعمال المغرب الاوسط وبعد ذلك وتصاريفه}

هاتان القبيلتان من قبائل زناتة ومن توابع الطبقة الاولى ولم نقف على نسبهما الى جانا الا أن نسابتهما متفقون على أن يلومى ورتاجن الذى هو أبو مزين اخوان وان مديون أخوهما الا ان ذكر ذلك غير واحد من نسابتهم و بنو مزين لهذا العهد يعرفون لهم هذا النسب ويوجبون لهم العصبية له وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناتة

Marfat.com

وأشدهم شوكة ومواطنهم جميعا بالمغرب الاوسط وبنو ومانو امنهم الى جهة المشرق عن وادى ميناس ومرات وما اليها من أسافل شلف وبنو يلومين بالعدوة الغربية منه بالجعبات والبطحاء وسبدو وسيرات وجبل هوارة وبنى راشد (وكان لمغراوة) وبنى يفرن التقدم عليهم فى الكثرة والقوة ولما غلب بلكين بن زيرى مغراوة وبنى يفرن على المغرب الاوسط وأزاحهم الى المغرب الاقصى بقيت هاتان القبيلتان بمواطنهما واستعملهم صنهاجه فى حروبهم حتى اذا تقلص ملك صنهاجه عن المغرب الاوسط واعتزوا عليهم واختص الناصر بن علناس صاحب القلعة ومحتط ببجاية بنى ومانو هؤلاء بالولاية فكانوا شيعا لقومه دون يلومى وكانت رياسة بنى ومانو فى بيت منهم يعرفون ببنى ماخوخ وأصهر المنصور بن الناصر الى ماخوخ منهم فى أخته فزوجها اليه فكان لهم بذلك مزيد ولاية فى الدولة ولما ملك المرابطون تلمسان أعوام سبعين وأربعمائة وأنزل يوسف بن تاشفين بها عامله محمد بن تينعمر المسوفى ودوخ أعمال المنصور وملك أمصارها الى أن نازل الجائر وهلك فولى أخاه تاشفين على عمله فغزا أشير وافتتحها ومدها وكان لهذين الحيين فى مظاهرته وامداده أحقد عليهم المنصور بعدها وأغرى بنى ومانو فى عساكر صنهاجة له ماخوخ فهزمه وأتبعه منهزما الى بجاية وقتل لدخله الى قصره قتلته زوجه أخت ماخوخ تشفيا وضعفا ثم نهض الى تلمسان فى العساكر واحتشد العرب من الاثيم ورياح وزغبة ومن لحق به من زناتة وكانت الغزاة المشهورة سنة ست وثمانين أبقى فيها ابن تينعمر المسوفى بعد استمكانه من البلد كما ذكرناه فى أخبار صنهاجة ثم هلك المنصور وولى ابنه العزيز وراجع ماخوخ ولايته وأصهر اليه العزيز أيضا فى ابنته فزوجها اياه واعتز البدو فى نواحى المغرب الاوسط واشتعلت نار الفتنة بين هذين الحيين من بنى ومانو وبنى يلومى فكانت بينهم حروب ومشاهد وهلك ماخوخ وقام بأمره فى قومه بنوه تاشفين وعلى وأبو بكر وكان أحياء زناتة الثانية من بنى عبد الواد وتوجين وبنى راشد وبنى ورسفان من مغراوة مددا وربما ناد بنو مزين اخوانهم بنى يلومى لقرب مواطنهم منهم الا أن زناتة الثانية لذلك العهد مغلوبون لهذين الحيين وأمرهم تبع لهم الى أن ظهر أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى المغرب الاوسط فى اتباع تاشفين بن على وتقدم أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن زيد من بنى ومانو الى طاعته ولحقوه بمكانه من أرض الريف فسرح معهم عسكر الموحدين لنظر بن واندين بن بن يغمورفا تخنوا فى بلاد بنى يلومى وبنى عبد الواد ولحق صريخهم تاشفين بن على بن يوسف فأمدهم بالعساكر ونزلوا منداس واجتمع لبنى يلومى بنو ورسفان من مغراوة

Marfat.com

و بنى توجين من بنى بادين و بنو عبد الوادمنهم ايضا وشيخهم حمامة بن مظهر و بنو يكاس
من بنى مزين وأوقعوا ببنى وماتوا وقتلوا أبا بكر فى ستمائة منهم واستنقذوا اغنامهم
وتحصن الموحدون وقل بنى وماتوا بجبل سيرات ولحق تاشفين بن ماخوخ صريخا
بعبد المؤمن وجاء فى جملته حتى نزل تاشفين بن على بتلمسان ولما ارتحل فى أثره الى وهران
كما قدمناه سرح الشيخ أبو حفص فى عساكر الموحدين الى بلاد زناتة فنزلوا منداس
وسط بلادهم وأثخنوا فيهم حتى أذعنوا الطاعة ودخلوا فى الدعوة ووفد على عبد
المؤمن بمكانه من حصار وهران مقدمهم سيد الناس بن أمير الناس شيخ بنى يلومى
وحمامة بن مطهر شيخ بنى عبد الواد وعطية الحيو شيخ بنى توجين وغيرهم فتلقاهم بالقبول
ثم انتقضت زناتة بعدها وامتنع بنو يلومى بحصنهم الجعبات ومعهم شيخهم سيد الناس
ومدرج ابنا سيد الناس فحاصرتهم عساكر الموحدين وغلبوهم عليها وأثخنوهم
الى المغرب ونزل سيد الناس بمراكش وبها كان مهلكه أيام عبد المؤمن وهلك بعد
ذلك بنو ماخوخ (ولما) أخذ أمير هذين الحيين فى الانتقاض جاذب بنو يلومى فى تلك
الاعمال بنو توجين وشاجروهم فى أحواله ثم واقعوهم الحرب فى جوانبه وتولى ذلك فيهم
عطية الحيو شيخ بنى توجين وصلى بنارها معه منهم بنو منكوش من قومه حتى غلبوهم
على مواطنهم وأذلوهم واصاروهم جيرانا لهم فى قياطينهم واستعلى بنو عبد الواد وتوجين
على هذين الحيين وغيرهم بولايتهم للموحدين ومخالطتهم اياهم فذهب شأنهم وافترق
قيطونهم أو زاعا فى زناتة الوارثين أوطانهم من عبد الواد وتوجين والبقاء لله سبحانه
(ومن بطون بنى وماتوا هؤلاء بنو يامدس) وقد يزعم زاعمون انهم من مغراوة
ومواطنهم متصلة قبلة المغرب الاقصى والاوسط وراء العرق المحيط بعمرانها المذكور
قبل واختطوا فى المواطن القصور والاطم واتخذوا بها الجنات من النخيل والاعناب
وسائر الفواكه فنها على ثلاثة مراحل قبلة سجلماسة ويسمى وطن توات وفيه قصور
متعددة تناهز المائتين أخذت من المشرق الى المغرب وآخرها من جانب المشرق
يسمى تمنطيت وهو بلد مستجر فى العمران وهو محط ركاب التجر المتردين من المغرب
الى بلد مالى من السودان لهذا العهد ومن بلد مالى اليه وبينه وبين ثغر بلاد مالى
المسمى غا المفازة المجهلة لا يهتدى فيها للسبيل ولا يرد الوارد الا بالدليل
الخبير من الملثمين الظواعن بذلك القفر يستأجره التجار على الدربة بهم فيها وفر
الشروط وكانت بلد بودى وهى أعلى تلك القصور بناحية المغرب من بادية السوس
هى الركاب الى والاتن الثغر الآخر من أعمال مالى ثم أهملت لما صارت الاعراب
بادية السوس يغيرون على سابلتها و يعترضون رفاقها فتركوا تلك ونهجوا الطريق الى

Marfat.com

بلد السودان من أعلى تمنطيت ومن هذه القصور قبلة تلمسان وعلى عشر مراحل منها قصور بكارين وهى كثيرة تقارب المائة فى بسط واد منحدر من المغرب الى المشرق واستمرت فى العمران وغصت بالساكن وأكثر سكان هذه القصور الغربية فى الصحراء بنو يامدس هؤلاء ومعهم من سائر قبائل البربر مثل وتطغير ومصاب وبنى عبد الوادو بنى سرين وهم أهل عدد وعدة وبعد عن هضمة الاحكام وذل المغارم وفيهم الرجالة والخيالة وأكثر معاشهم من بلح النخل وفيهم التجار الى بلاد السودان وضواحيهم كلها ممشاة للعرب ومختصه بعبيد الله من المعقل عينتها لهم قسمة الرحلة وربما شاركهم بنو عامر بن زغبة فى بكارين فتصل اليها ناجعتهم بعض السنين وأما عبيد الله فلا بد لهم فى كل سنة من رحلة الشتاء الى قصور توات وبلد تمنسيت ومع ناجعتهم تخرج قفول التجار من الامصار والتلول حتى يحطوا بتمنطيت ثم يذرون منها الى بلاد السودان وفى هذه البلاد الصحراوية غريبة فى استنباط المياه الجارية لا توجد فى تلول المغرب وذلك ان البئر تحفر عميقة بعيدة المهوى وتطوى جوانبها الى أن توصل بالحفر الى حجارة صلدة فتنحت بالمعاول والفؤس الى أن يرق جرمها ثم تصعد الفعلة ويقذفون عليها زبرة من الحديد تكسر طبقها على الماء فينبعث صاعدا فيعم البئر على وجه الارض واديا ويزعمون ان الماء ربما أعجل بسرعته عن كل شئ وهذه الغريبة موجودة فى قصور توات وتكرارين ووارگلا وريغ والعالم أبو العجائب والله الخلاق العليم وهذا آخر الكلام فى الطبقة الاولى من زناتة فلنرجع الى أخبار الطبقة الثانية وهم الذين اتصلت دولتهم الى هذا العهد

(أخبار الطبقة الثانية من زناتة وذكر أنسابهم وشعوبهم وأوليتهم ومصائر ذلك)

قد تقدم لنا فى أضعاف الكلام قبل انقراض الملك من الطبقة من زناتة ما كان على يد صنهاجة والمرابطين من بعدهم وأن عصبية أجيالهم افترقت بانقراض ملكهم ودولهم وبقى منهم بطون لم يمارسوا الملك ولا أخلقهم ترفه فأقاموا فى قياطينهم بأطراف المغربين يتجعون جانبى القفر والتل ويعطون الدول حق الطاعة وغلبوا على بقايا الاجيال الاولى من زناتة بعد أن كانوا مغلوبين لهم فأصبحت لهم السورة والعزة وصارت الحاجة من الدول الى مظاهرتهم ومسالمتهم حتى انقرضت دولة الموحدين فتطاولوا الى الملك وضربوا فيه مع أهله بسهم وكانت لهم دول نذكرها ان شاء الله تعالى وكان أكثر هذه الطبقة من بنى واسين بن يصلتن اخوة مغراوة وبنى يفرن ويقال انهم من بنى وانتن بن ورسيك بن جانا اخوة منسارة ونا جدة وقد تقدم ذكر هذه الانساب وكان من بنى واسين هؤلاء ببلد قصطيلة وذكر ابن الرقيق ان أبا يزيد النكارى لما ظهر

Marfat.com

بجبل أوراس كتب اليهم بمكانهم حول توزر (١) يأمرهم بحصارها فحاصروها ستة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وربما كان منهم ببلد الحامة لهذا العهد و يعرفون ببني ورتاجن احدى بطونهم وأما جمهورهم فلم يزالوا بالمغرب الاقصى بين ملوية الى جبل راشد (وذكر موسى) بن أبي العافية في كتابه الى الناصر الاموى يعرفه بجر به مع ميسور مولى أبي القاسم الشيعي ومن سار اليه من قبائل زناتة فذكر فيمن ذكر ملوية وسار من قبائل بني واسين وبني يفرن وبني يرناتن وبني ورغمت ومطماطة فذكر منهم بني واسين لان تلك المواطن من مواطنهم قبل الملك (وفي هذه الطبقة منهم بطون) فمنهم بنو مرين وهم أكثرهم عددا وأقواهم سلطانا وملكا وأعظمهم دولة (ومنهم) بنو عبد الواد تلوهم في الكثرة والقوة و بنو توجين من بعدهم كذلك هؤلاء أهل الملك من هذه الطبقة وفيها غير أهل الملك بنو راشد اخوة بني يادين كما نذكره وفيها أهل الملك أيضا من غير نسبهم بقية من مغراوة بمواطنهم الاولى من وادي شلب فنضت فيهم عروق الملك بعد انقراض جيلهم الاول فتجاذبوا حبله مع أهل هذا الجيل وكانت لهم في مواطنهم دولة كما نذكره (ومن أهل هذه الطبقة) كثير من بطونهم ليس لهم ملك نذكرهم الآن عند تفصيل شعوبهم وذلك أن احياءهم جميعا تشعبت من زرجيك بن واسين فكان منهم بنو يادين ابن محمد وبنو مرين بن ورتاجن فأما بنو ورتاجن فمنهم من ولد ورتاجن بن ماخوخ ابن جرهم بن فاتن بن يدر بن يخفت بن عبد الله بن ورتنيز بن المعز بن ابراهيم بن زرجيك (وأما بنو مرين) بن ورتاجن فتعددت أفخاذهم و بطونهم كما نذكر بعد حتى كثروا سائر شعوب بني ورتاجن وصار بنو ورتاجن معدودين في جملة أفخاذهم وشعوبهم (وأما بنو يادين) بن محمد فمن ولد زرجيك ولا أذكر الآن كيف يتصل نسبهم به وتشعبوا الى شعوب كثيرة فكان منهم بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو مصاب وبنو زردال يجمعهم كلهم نسب يادين بن محمد وفي محمد هذا يجتمع يادين و بنو راشد ثم يجتمع محمد مع ورتاجن في زرجيك بن واسين وكانوا كلهم معروفين بين زناتة الاولى ببني واسين قبل أن تعظم هذه البطون والافخاذ وتتشعب مع الايام و بأرض افريقية وصحراء برقة و بلاد الزاب منهم طوائف من بقايا زناتة الاولى قبل انسياحهم الى المغرب فمنهم بقصور غدامس على عشرة مراحل قبلة سرت وكانت محتطة منذ عهد الاسلام وهي خطة مشتملة على قصور وآطام عديدة و بعضها لبني ورتاجن و بعضها لبني واطاس من أحياء بني مرين يزعمون أن أوليتهم اختطوها وهي لهذا العهد قد استبحرت في العمارة واسعة في التمدن بما صارت محط الركاب الحاج من السودان وقفل التجار الى مصر والاسكندرية عند ارتحالهم من قطع المفازة ذات الرمال المعترضة أمام طريقهم دون

Marfat.com

الارياف والتلول وبابالولوج تلك المفازة والحاج والتجر فى موضعهم ومنهم ببلد الحامة غربى قابس أمة عظيمة من بنى ورتاجن وفرت منهم حاميتها واشتدت شوكتها ورحل اليها التجر بالبضائع لنفاق أسواقها وتبحر عمرانها وامتنعت لهذا العهد على مرين وبها من يجار بهافهم لايؤدون خراجا ولايسامون بمغرم حتى كأنهم لايعرفونه عزة جناب وفضل باس ومنعته ويزعمون أن سلفهم من بنى ورتاجن اختطوها وريا تهم فى بيت منهم يعرفون ببنى وشاح ولربما طال على رؤسائهم عهد الخلافة ووطأة الدولة فيتطاولون الى التى تنكر على السوقة من اتخاذ الآلة ويبرزون فى زى السلطان أيام الزينة تها ونابشعار الملك ونسيانا لمألوف الانقياد شأن جيرانهم رؤساء توزر ونفطة وسابق الغاية فى هذه الضحكة هو يملول مقدم توزر (ومن بنى واسين) هؤلاء بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطرى فى القبلة تلمادون الرمال على ثلاث مراحل من قصور بنى ريغة فى المغرب وهذا الاسم للقوم الذين اختطوها ونزلوها من شعوب بنى يادين حسبما ذكرناهم الآن وضعوها فى أرض حرة على احكام وضراب ممتنعة فى مسار بها بين الارض المحجرة المعروفة بالحمادة فى سمت العرق متوسطة فيه قبالة تلك البلاد على فراسخ فى ناحية القبلة وسكانها لهذا العهد شعوب بنى يادين من بنى عبد الوادو بنى توجين ومصاب وبنى رزدال فيمن انضاف اليهم من شعوب زناتة وان كان شهرتها مختصة بمصاب وحالها فى المبانى والاغتراس وتفرق الجماعات بتفرق الرياسة شبيهة بحال بنى ريغة والزاب ومنهم بجبل أوراس بافريقية طائفة من بنى عبد الواد موطونة منذ العهد القديم لاول الفتح معروفون بين ساكنيه (وقد ذكر) بعض الاخباريين أن بنى عبد الواد حضروا مع عقبة بن نافع فى فتح المغرب عند انتغاله فى ديار المغرب وانتهائه الى البحر المحيط بالسوس فى ولايته الثانية وهى الغزاة التى هلك فيها فى منصرفه منها وانهم أبلوا البلاء الحسن فدعا لهم وأذن فى رجوعهم قبل استتمام الغزاة ولما تحيرت زناتة أمام كتامة وصنهاجة اجتمع شعوب بنى واسين هؤلاء كلهم مابين ملوية كما ذكرناه وتشعبت أحياؤهم وبطونهم وانبسطوا فى صحراء المغرب الاقصى والاوسط الى بلاد الزاب وما اليها من صحارى افريقية اذلم يكن للعرب فى تلك المجالات كلها مذهب ولا مسلك الى المائة الخامسة كما سبق ذكره ولم يزالوا بتلك البلاد مشتملين لبوس العز مشمرين للانفة وكانت مكاسبهم الانعام والماشية وابتغاؤهم الرزق من تحيف السابلة (١) وفى ظل الرماح المشرعة وكانت لهم فى محاربة الاحياء والقبائل ومنافسة الامم والدول ومغالبة الملوك أيام ووقائع نلم بها ولم تعظم العناية باستيعابها فنأتى به والسبب فى ذلك أن اللسان العربى كان غالبا لغلبة دولة العرب وظهور الملة العربية فالكتاب والخط

بلغة الدولة ولسان الملك واللسان العجمي مستتر بجناحه مندرج في غماده ولم يكن لهذا الجيل من زناتة في الاحقاب القديمة سلك يحمل أهل الكتاب على العناية بتقييد أيامهم وتدوين أخبارهم ولم تكن مخالطة بينهم وبين أهل الارياف والحضر حتى يشهدوا آثارهم لابعادهم في القفر كما رأيت في مواطنهم ونوحشهم عن الانقياد فبقوا غفلا الى ان درس منهم الكثير ولم يصل الينا بعد ملكهم الا الشارد القليل يتبعه المؤرخ المضطلع في مسالكه ويتقراه في شعابه ويثيره من مكامنه وأقاموا بتلك القفار الى ان تسنموا منها هضبات الملك على ما نصفه

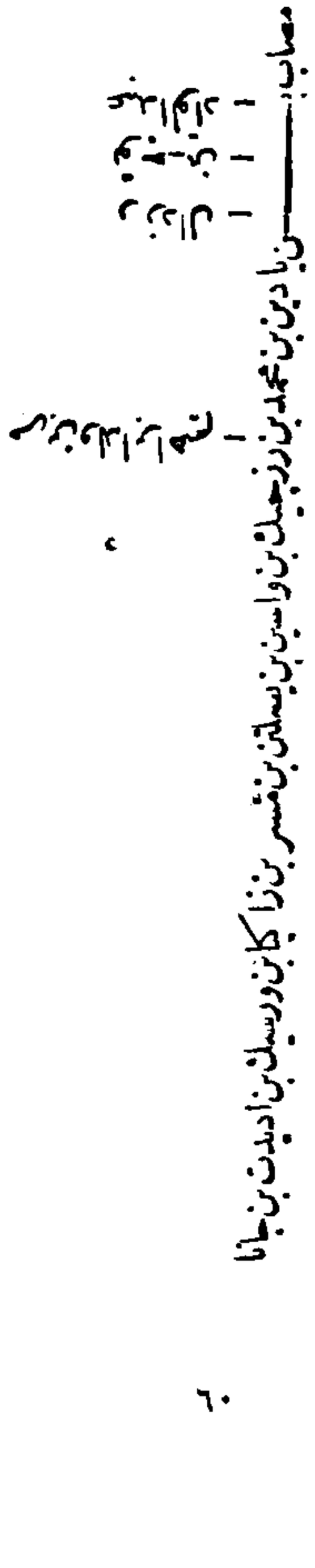

Marfat.com

وذلك أن أهل هذه الطبقة من بنى واسين وشعوبهم التى سميناها كانوا تبع لزناتة الاولى ولما انزاحت زناتة الى المغرب الاقصى أمام كتامة وصنهاجة خرج بنو واسين هؤلاء الى القفر ما بين وصاف فكانوا يرجعون الى ملك المغرب لذلك العهد مكاسة أو لا ثم مغراوة من بعدهم ثم حسر تيار بنى صنهاجة عن المغرب وتقلص ملكهم بعض الشئ وصاروا الى الاستماشة على القاصية بقبائل زناتة فأومضت بروقهم ورفت فى ممالك زناتة منابتهم كما قدمناه واقتسم أعمالها بنو ومانو وبنو يلومى ناحيتين وكانت ملوك صنهاجة أهل القلعة اذا عسكروا للمغرب يستنفرونهم لغزوه ويجمعون حشدهم للتوغل فيه وكان بنو واسين هؤلاء ومن تشعب معهم من القبائل الشهيرة الذكر مثل بنى مرين وبنى عبد الواد وبنى توجين ومصاب قد ملكوا القفر ما بين ملوية وأرض الزاب وامتنعت عليهم المغربان ممن ملكها من زناتة الذين ذكرناهم (وكان) أهل الرياسة بتلك الارياف والضواحى من زناتة مثل بنى ومانو او بنى يلومى بالمغرب الاوسط وبنى يفرن ومغراوة بتلمسان يستجيشون بنى واسين هؤلاء وشعوبهم ويستظهرون بجموعهم على من زاحمهم أو نازعهم من ملوك صنهاجة وزناتة وغيرهم يحاجون بهم عن مواطنهم لذلك ويقرضونهم القرض الحسن من المال والسلاح والحبوب المعوزة لديهم بالقفار فيتأثلون منهم ويرتاشون وعظمت حاجة بنى حماد اليهم فى ذلك عند ما عصفت بهم ريح العرب الضوالع من بنى هلال بن عامر وصرعوا دولة المعز وصنهاجة بالقيروان والمهدية والابواء عن مدهم وزحفوا الى المغرب الاوسط فدافعوا بنى حماد عن حوزته وأوعزوا الى زناتة بمدافعتهم أيضا فاجتمع لذلك بنو يعلى ملوك تلمسان من مغراوة وجمعوا من كان اليهم من بنى واسين هؤلاء من بنى مرين وعبد الواد وتوجين وبنى راشد وعقدوا على حرب الهلاليين لوزيرهم أبى سعدى خليفة بن اليفرنى فكان له مقامات فى حروبهم ودفاعهم عن ضواحى الزاب وما اليه من بلاد افريقية والمغرب الاوسط الى أن هلك فى بعض أيامه معهم وغلب الهلاليون قبائل زناتة على جميع الضواحى وأزاحوهم عن الزاب وما اليه من بلاد افريقية وانشمر بنو واسين هؤلاء من بنى مرين وعبد الواد وتوجين عن الزاب الى مواطنهم بصحراء المغرب الاوسط من مصاب وجبل راشد الى ملوية وفيكك ثم الى سجلماسة ولاذوا ببنى ومانو وبنو يلومى ملوك الضواحى بالمغرب الاوسط وتفيؤا ظلهم واقتسموا ذلك القفر بالمواطن فكان لبنى مرين الناحية الغربية منها قبلة المغرب الاقصى بتيكورارين ودبروا الى ملوية

وبجاماسة وبعدوا عن بنى يلومى الافى الاحايى وعند الصريخ وكان لبنى يادين منها الناحية الشرقية قبلة المغرب الاوسط مابين فيكك ومديونة الى جبل راشد ومصاب وكان بينهم وبين بنى مرين فتن متصلة باتصال أيامهم فى تلك المواضع بسبيل القبائل الجيران فى مواطنهم وكان الغلب فى حروبهم أكثر ما يكون لبنى يادين لما كانت شعوبهم أكثر وعددهم أوفر فانهم كانوا أربعة شعوب بنى عبد الواد وبنى توجين وبنى زردال وبنى مصاب كان معهم شعب آخر وهم اخوانهم بنو راشد لانا قدمنا أن راشدا أخو يادين وكان موطن بنى راشد الجبل المشهور بهم بالصحراء ولم يزالوا على هذه الحال الى ان ظهر أمر الموحدين فكان لبنى عبد الواد وتوجين ومغراوة من الظاهرة لبنى يلومى على الموحدين ماهو مذكور فى أخبارهم ثم غلب الموحدون على المغرب الاوسط وقبائله من زناتة فأطاعوا وانقادوا وتحيز بنو عبد الواد وبنو توجين الى الموحدين وازدلفوا اليهم وأمحضوا النصيحة للموحدين فاصطنعوهم دون بنى مرين كما نذكر فى أخبارهم وترك الموحدون ضواحى المغرب الاوسط كما كانت لبنى يلومى وبنى ومانوا فملكوها وتفترق بنو مرين بعد مدخل بنى يادين الى المغرب الاوسط بتلك الصحراء لما اختار الله لهم من وفور قسمهم فى الملك واستيلائهم على سلطان المغرب الذى غلبوا به الدول واشتملوا الاقطار ونظموا المشارق الى المغارب واقتعدوا كراسى الدول المائلة لهم بأجمعها ما بين السوس الاقصى الى افريقية والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده فأخذ بنو مرين وبنو عبد الواد من شعوب بنى واسين بحظ من الملك أعادوا فيه لزناتة دولة وسلطانا فى الارض واقتادوا الامم برسن الغلب وناغاهم فى ذلك الملك البدوى اخوانهم بنو توجين وكان فى هذه الطبقة الثانية بقية أخرى مما ترك آل خزر من قبائل مغراوة الاول كانوا موطنين بقرار عزهم ومنشأ جيلهم بوادى شلف فجاذبوا هؤلاء القبائل حبل الملك وناغوهم فى أطوار الرياسة واستطالوا بمن وصل جناحهم من هذه العشائر فتطاولوا الى مقاعدهم فى الماء ومساهمتهم فى الامر ومازال بنو عبد الواد فى الغض من عنانهم وجدع أنوف عصبيتهم حتى أوهنوا من بأسهم وخصت الدولة العبد الوادية ثم المرينية بسمة الملك لملحمة من جناح تطاولهم وتمحض ذلك كله عن استبداد بنى مرين واستتباعهم لجميع هؤلاء العصائب كما نذكر ذلك الآن دولهم واحدة بعد أخرى ومصائر هؤلاء القبائل الاربعة التى هى رؤس هذه الطبقة الثانية من زناتة والملك لله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (ولنبدأ منها بذكر مغراوة) بقية الطبقة الاولى وما كان لرؤسائهم أولاد من ذيل من الملك فى هذه الطبقة الثانية كما نستراه ان شاء الله تعالى

لما ذهب الملك من مغراوة بانقراض ملوكهم آل خزر واضمحلت دولتهم بتلمسان وسجلماسة وفاس وطرابلس و بقيت قبائل مغراوة متفرقة فى مواطنها الاولى بنواحى المغربين وافريقية بالصحراء والتلول والكثير منهم بعنصرهم ومركزهم الاول بوطن شلب وما اليه فكان به بنو ورسيفان وبنو يزنار وبنو يتلت ويقال انهم من وترمار وبنو سعيد وبنو زحالة وبنو سنجاس ور بما يقال انهم من زناتة وليسوا من مغراوة وكان بنو خزرون الملوك بطرابلس لما انقرض أمرهم وافترقوا فى البلاد ولحق منهم عبد الصمد بن محمد بن خزرون بجبل أوراس فرارا من أهل بيته هنالك الذين استولوا على الامر وجده خزرون بن خليفة السادس من ملوكهم بطرابلس فأقام بينهم أعواما ثم ارتحل عنهم فنزل على بقايا قومه مغراوة بشلب من بنى ورسيفان وبنى ورتزمير وبنى بوسعيد وغيرهم فتلقوهم بالمبرة والكرامة وأوجبوا له حق البيت الذى ينسب اليه فيهم وأصهر اليهم فأنكحوه وكثر ولده وعرفوا بينهم ببنى محمد ثم بالخزرية نسبة الى سلفه الاول وكان من ولده الملقب أبو ناس بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد وكان منتحلا للعبادة والخيرية وأصهر اليه بعض ولد ماخوخ ملوك بنى ومانو ابنته فأنكحه اياها فعظم أمره عندهم بقومه ونسبه وصهره وجاءت دولة الموحدين على اثر ذلك فرمقوه بعين التجلة لما كان عليه من طرق الخير فأقطعوه بوادى شلب وأقام على ذلك وكان له من الولد ورجيع وهو كبيرهم وغربى ولغريات وما كور ومن بنت ماخوخ عبد الرحمن وكان أجلهم شأنا عنده وعند قومه عبد الرحمن هذا المايوجبون له بولادة ماخوخ لابنته ويتفرسون فيه أن له ولعقبه ملكا وزعموا أنه لما ولد حرجت به أمه الى الصحراء فألقته الى شجرة وذهبت فى بعض حاجاتها فأطاف به يعسوب من النحل متواقعين عليه وبصرت به على البعد فجاءت تقصد ولما أدركها من الشفقة فقال لها بعض العارفين خففى عنك فوالله ليكونن لهذا شأن ونشأ عبد الرحمن هذا فى جو هذه التجلة مدة بنسبه وبأسه وكثرت عشيرته من بنى أبيه واعصوصب عليه قبائل مغراوة فكان له بذلك شوكة وفى دولة الموحدين تقدمة لما كان يوجب لهم على نفسه من الانحياش والمخالطة والتقدم فى مذاهب الطاعة وكان السادة منهم يمترون به فى غزواتهم الى افريقية ذاهبين وجائين فينزلون منه خير منزل وينقلبون بحمده والشكر لمذهبه فيزيد خلفاءهم اغتباطا به وأدرك بعض السادة وهو بأرض قومه الخبر بمهلك الخليفة بمراكش فخلف الذخيرة والظهر وأسلمها لعبد الرحمن هذا ونجا بدمائه بعد ان صحبه الى

تخوم وطنه فكانت له بها ثروة أكسبته قوة فاستركب من قومه واستكثر من عصابته وعشيرته وهلك خلال ذلك وقد فشل ريح بني عبد المؤمن وضعف أمر الخليفة بمراكش (وكان له من الولد) منديل وتميم وكان أكبرهما منديل فقام بأمر قومه على حين عصفت رياح الفتنة وسما المنديل أمل في التغلب على ما يليه فاستأسد في عرينة وحامى عن أشباله ثم فسح خطوه الى ما جاوره من البلاد فملك جبل وانشريس والمرية وما الى ذلك واختط قصبة مرات وكان بسيط متيجة لهذا العهد في العمران آهلا بالقرى والامصار (ونقل الاخباريون) أن أهل متيجة لذلك العهد يجمعون في ثلاثين مصرا لفاس خلالها وأوطأ الغارات ساحتها وخرب عمرانها حتى تركها خاوية على عروشها وهو في ذلك يوهم التمسك بطاعة الموحدين وأنه سلم لمن سالمهم حرب لمن عاداهم وكان ابن غانية منذ غلبه الموحدون عن افريقية قد أزاحوه الى قابس وما اليها فنزل الشيخ أبو محمد بن أبي حفص بتونس ودفعه الى افريقية الى أن هلك سنة ثمان عشرة فطمع يحيى ابن غانية في استرجاع أمره وسبق الى الثغور والامصار يعيث فيها ويخربها ثم تجاوز افريقية الى بلاد زناتة وشن عليها الغارات واكتسح البسائط وتكررت الوقائع بينه وبينهم فجمع له منديل بن عبد الرحمن واقيه بمتيجة وكانت الدبرة عليه وانفضت عنه مغراوة فقتله ابن غانية صبرا سنة ثنتين أو ثلاث وعشرين وتغلب على الجزائر ثم نكبنه فصلب شلوه بها وصيره مثلا للآخرين وقام بأمره في قومه بنوه وكان منجبا فكان لهم العدد والشرف وكانوا يرجعون في أمرهم الى كبيرهم العباس فتقلد مذاهب أبيه واقتصر على بلاد متيجة ثم غلبهم بنو توجين على جبل وأنشريس وضواحي المرية وما الى ذلك وانقبضوا الى مركزهم الاول شلب وأقاموا فيها ملكا بدويا لم يفارقوا فيه الظعن والخيام والضواحي والبسائط واستولى على مدينة مليانة وتنس وبرشك وشرشال مقيمين فيها للدعوة الحفصية واختطوا قرية مازونة (ولما استوطن) الملك بتلمسان ليغمراسن بن زيان واستفحل سلطانه بها وعقد له عليها ولاخيه من قبله عبد المؤمن سما على التغلب على اعمال المغرب الاوسط وزاحم بني توجين وبني منديل هؤلاء بمكاسة فلفتوا وجوههم جميعا الى الامير أبي زكريا بن أبي حفص مديل الدولة بافريقية من بني عبد المؤمن وبعثوا اليه الصريخ على يغمراسن فاحتشد لهم جميع الموحدين والعرب وابتز تلمسان وافتتحها كما ذكرناه ولما قفل الى الحضرة عقد في مرجعه لأمراء زناتة كل على قومه ووطنه فعقد للعباس بن منديل على مغراوة ولعبد القوي على توجين وولاه حورة وسوغ لهم اتخاذ الآلة فاتخذوها بمشهد منه وعقد العباس السلم مع يغمراسن ووفد عليه تلمسان فلقاه برة وتكريما عنه

Marfat.com

بعدها مغاضبا يقال انه تحدث بمجلسه يوما فزعم أنه رأى فارسا واحدا يقاتل مائتين من الفرسان فنكر ذلك من سمعه من بنى عبد الوادوعرضوا بتكذيبه فخرج العباس لها مغاضبا حتى أتى بقومه وأتى بغمراسن مصداق قوله فانه كان يعنى بذلك الفارس نفسه وهلك العباس لخمس وعشرين سنة بعد أبيه سنة سبع وأربعين وقام بالامر بعده أخوه محمد بن منديل وصلحت الحال بينه وبين بغمراسن وصاروا الى الاتفاق والمهادنة ونفر معه بقومه مغروة الى غزو المغرب سنة كاومان وهى سنة سبع وأربعين وستمائة هزمهم فيها يعقوب بن عبد الحق فرجعوا الى أوطانهم وعاودوا شأنهم فى العداوة وانتقض عليهم أهل مليانة وخلعوا الطاعة الحفصية (وكان من خبر) هذا الانتقاض أن أبا العباس أحمد المليانى كان كبير وقته علما ودينا ورواية وكان عالى السند فى الحديث فرحل اليه الاعلام وأخذ عنه الائمة وأوفت به الشهرة على ثنايا السيادة فانتهت اليه رياسة بلده على عهد يعقوب المنصور وبنيه ونشأ ابنه أبو على فى جو هذه العناية وكان جموحا للرياسة طامحا للاستبداد وهو مع ذلك خلو من المغارم فلما هلك أبوه جرى فى شأو رياسته طالتا ثم رأى ما بين مغراوة وبنى عبد الوادمن الفتنة فحدثته نفسه بالاستبداد ببلده فجمع لما جرى وقطع الدعاء للخليفة المستنصر سنة تسع وخمسين وبلغ الخبر الى تونس فسرح الخليفة أخاه فى عسكر من الموحدين فى جملته دون الدين ابن هرزنة من آل ادفوش ملوك الجلالقة كان نازعا اليه عن أبيه فى طائفة من قومه فنازلوا مليانة أياما وداخل السلطان طائفة من مشيخة البلد المنحرفين عن ابن المليانى فسرب اليهم جنودا بالليل واقتحموها من بعض المداخل وفر أبو على المليانى تحت الليل وخرج من بعض البلد فلحق بأحياء العرب ونزل على يعقوب بن موسى بن العطاب من بطون زغبة فأجاره الى أن لحق بعدها يعقوب بن عبد الحق فكان من أمره ما ذكرناه فى أخبارهم وانصرف عسكر الموحدين والامير أبو حفص الى الحضرة وعقد لمحمد بن منديل على مليانة فأقام بها الدعوة الحفصية على سنن قومه ثم هلك محمد بن منديل سنة ثنتين وستين لخمس عشرة من ولايته قتله أخوه ثابت وعابد بمنزل ظاعنهم بالخيس من بسيط بلادهم وقتل معه عطية ابن أخيه سنيق وتولى عابد وشاركه ثابت فى الامر واجتمع اليه قومه وتقطع ما بين أولاد منديل وخشنت صدورهم واستغلظ يغمراسن بن زيان عليهم وداخله عمر بن منديل فى أن يمكنه من مليانة ويشد عضده على رياسة قومه فشارطه على ذلك وأمكنه من أزمة البلد سنة ثمان وستين ونادى بعزل ثابت وموازرة عمر على الامر فتم له ما أحكماه من أمرهما فى مغراوة واستمكن بها يغمراسن من قيادة قومه ثم تناغى أولاد منديل فى الازدلاف الى يغمراسن بمثلها لكاية

اعمر فاتفق ثابت وعابد أولاد منديل أن يحكما من تونس فأمكناه منها سنة تنتين وسبعين على اثنى عشر ألفا من الذهب واستمرت ولاية عمر الى أن هلك سنة ست وسبعين فاستقل ثابت بن منديل برياسة مغراوة وأجاز عابد أخوه الى الاندلس للرباط والجهاد مع صاحبه زيان بن محمد بن عبد القوى وعبد الملك بن يغمراسن فحول زناتة واسترجع ثابت بلاد تونس وملليانة من يد يغمراسن ونبذ اليه العهد ثم استغلظ يغمراسن عليهم واسترد تونس سنة احدى وثمانين بين يدى مهلكه (ولما) هلك يغمراسن وقام بالامر بعده ابنه عثمان انتقضت عليه تونس ثم رد الغزو الى بلاد توجين ومغراوة حتى عاهدهم آخرا على ما بأيديهم وسلك المرية بعد اخلاء بنى المدينة أهلها سنة سبع وثمانين وغلب ثابت بن منديل على ما زونة فاستولى عليها ثم نزل له عن تونس أيضا فملكها ولم يزل عثمان مراغما لهم الى أن زحف اليهم سنة ثلاث وتسعين فاستولى على أمصارهم ونواحيهم وأخرجهم عنها وألجأهم الى الجبال ودخل ثابت بن منديل الى برشك مما لقادونها فزحف اليهم عثمان وحاصره بها حتى اذا استيقن أنه محاط به ركب البحر الى المغرب وركب الى يوسف ابن يعقوب سلطان بنى مرين صريخا سنة أربع وتسعين فأكرمه ووعده بالنصرة من عدوه وأقام بفاس وكانت بينه وبين ابن الاشعب من رجالات بنى عسكر صحبة ومداخلة فجاءه بعض الايام الى منزله ودخل عليه من غير استئذان وكان ابن الاشعب ثملا فطعنه وقتله وثار السلطان به ممن معه وانتجع لموته وكان ثابت بن منديل قد أقام ابنه محمدا الامير فى قومه ولاه عليهم العهد واستبد بملك مغراوة دونه (ولما انصرف) أبوه ثابت الى قومه أقام هو فى امارته لى مغراوة وهلك قريبا من مهلك أبيه فقام بأمرهم من بعده شقيقه على وبازعه الامر أخواه رحمون ومنيف فقتله منيف ونكر ذلك قومهما وأبوا من امارتهما عليهم فلحقا بعثمان بن يغمراسن فأجازهما الى الاندلس (وكان) أخوهما معمر بن ثابت قائدا على الغزاة بالمرية فنزل لمنيف عنها فكانت أول ولايه وليها بالاندلس ولحق بهم أخوهم عبد المؤمن فكانوا جميعا هنالك ومن أعقاب عبد المؤمن يعقوب بن زيان بن عبد المؤمن ومن أعقاب منيف بن عمر بن منيف وجماعتهم لهذا العهد بالاندلس (ولما هلك) ثابت بن منديل سنة أربع وتسعين كما قلناه كفل السلطان ولده وأهله وكان فيهم حافده راشد بن محمد فأصهر اليه فى أخته وأنكحه اياها ونهض الى تلمسان سنة ثمان وتسعين فأناخ عليها واختط مدينته لحصارها وسرح فى نواحيها وعقد على مغراوة وشلب لعمر بن ويعزن بن منديل وبعث معه جيشا ففتح ملليانة وتونس ومازونة سنة تسع وتسعين ووجد راشد فى نفسه اذ لم يوله على قومه وكان يرى أنه الاحق بنسبه وصهره فتنزع عن السلطان ولحق بجبال متيجة

Marfat.com

ودس الى أوليائه من مغراوة حتى وجد فيهم الدخلة فأجد السير ولحق بهم فافترق أمر مغراوة وداخل أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وبيت عمر بن ويعزن بازمور من ضواحي بلادهم فقتله واجتمع عليه قومه وسرح السلطان اليه الكتائب من بني عسكر لنظر الحسن بن علي بن أبي العلاق من بني ورتاجن ولنظر علي بن محمد الحيو من بني توجين ولنظر أبي بكر بن ابراهيم بن عبد القوى ومن الجند لنظر علي بن حسان الصبحي من صنائعه وعقد على مغراوة لمحمد بن عمر بن منديل وزحفوا الى مازونة وقد ضبطها راشد وخلف عليها علياوحمو من بني عمه يحيى بن ثابت ولحق هو ببني بوسعيد مطلا عليهم وأناخت العساكر على مازونة وواليا عليها الحصار سنين أجهدوهم وبعث علي بن يحيى أخاه حمو الى السلطان من غير عهد فتقبض عليهم ثم اضطره الجهد الى مركب الغرر فخرج اليهم ملقيا بيده سنة ثلاث وأشخصوه الى السلطان فعذا عنه واستبقاه واحتبسها تأنيسا واستمالة لراشد بن محمد في معقل بني بوسعيد وطال حصاره اياه وأمكنته الغرة بعض الايام في العساكر وقد تعلقوا بأوعار البلد زاحفين اليه فهزمهم وهلك في تلك الواقعة خلق من بني مرين وعساكر وذلك سنة أربع وسبعمائة وبلغ الخبر الى السلطان فأحفظه ذلك عليهم ابن عمه علي بن يحيى وأخاه حمو ومن معهم من قومهم فقتلوا رشقا بالسهام واستلحمهم ثم سرح أخاه أبا يحيى بن يعقوب ثانية سنة أربع فاستولى على بلاد مغراوة ولحق راشد بجبال صنهاجة من متيجة ومعه عمه منيف بن ثابت ومن اجتمع اليهم من قومهم فنازلهم أبو يحيى بن يعقوب وراسل راشد يوسف بن يعقوب فانعقدت بينهما السلم ورجعت العساكر عنهم وأجاز منيف بن ثابت معه بنيه وعشيرته الى الاندلس فاستقروا هنالك آخر الايام (ولما هلك) يوسف بن يعقوب بناخه على تلمسان آخر سنة ست انعقدت السلم بين حافده أبي ثابت وبين أبي زيان بن عثمان سلطان بني عبد الواد على أن يخلي له بنو مرين عن جميع ما ملكوه من أمصارهم وأعمالهم وثغورهم ويعثوا في حاميتهم وعمالهم وأسلموها العمال بني زيان وكان راشد قد طمع في استرجاع بلاده وزحف الى ملينة فأحاط بها فلما نزل عنها بنو مرين لابي زيان وصارت ملينة وتونس له أخفق سعي راشد وأفرج عن البلد ثم كان مهلك أبي زيان قريبا وولي أخوه أبو حمو موسى بن عثمان واستولى على المغرب الاوسط فهلك تافريكت سنة وملك بعدها ملينة والمرية ثم ملك تونس وعقد عليها المولاه مسامح وقارن ذلك حركة صاحب بجاية السلطان أبي البقاء خالد ابن مولانا الامير أبي زكريا ابن السلطان أبي اسحق الى متيجة لاسترجاع الجزائر من يد بن عسلان الثائر بها عليهم فلقيه هنالك راشد بن محمد

Marfat.com

وصار فى جملته وظاهره على شأنه ولقاء السلطان تكرمة و برا وعقد له ولقومه حلفا
مع صنهاجة أولياء الدولة والمتغلبين على ضاحية بجاية وجبال زواوة فاتصلت يد راشد
يد زعيمهم يعقوب بن خلوف آخر الدولة ولما نهض السلطان للاستيثار بملك الحضرة
بتونس استعمل يعقوب بن خلوف على بجاية وعسكره راشد بقومه وأبلى فى الحروب
بين يديه وأغنى فى مظاهرة أوليائه حتى اذا ملك حضرتهم واستولى على سراة سلفهم
أسف حاجب الدولة راشد هذا وقومه بامضاء الحكم فى بعض حشمه وتعرض للعرابة
فى السابلة فتقبض عليه ورفع الى سدة السلطان فأمضى فيه حكم الله وذهب راشد
مغاضبا ولحق بواليه بن خلوف ومضطر به من زواوة وكان يعقوب بن خلوف قد هلك
وولى السلطان مكانه ابنه عبد الرحمن فلم يدع حق أبيه فى اكرام صديقه راشد وتشاجر
معه فى بعض الايام مشاجرة نكر عبد الرحمن فيها ملاحة راشد له وأنف منها وأدل فيها
راشد بمكانه من الدولة و بيأس قومه فلدغه بالقول وتناوله عبد الرحمن وحشمه وخزا
بالرماح الى أن أقعصوه (١) والذعر جمع مغرا وقولحقوا بالثغور القاصية وأقفر منهم
ثعلب وما اليه كان لم يكونوا به فأجزمنهم بنو منيف وابن و يمزن الى الاندلس للمرابطة
بثغور المسلمين فكانت منهم عصابة موطنة هنالك أعقابهم لهذا العهد وأقام فى جوار
الموحدين قل آخر من أوساط قومهم كانوا شوكة فى عساكر الدولة الى أن انقرضوا
ولحق على بن راشد بعمته فى قصر بنى يعقوب بن عبد الحق فكفلته وسار أولاد منديل
غضبا الى وطن بنى مرين فتولوهم وأحسنوا جوارهم وأصهروا اليهم سائر الدولة الى
أن تغلب السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط ومحا دولة آل زيان وجمع كلمة زناتة
وانتظم مع بلاده م بلاد افريقية وعمل الموحدين وكانت نكبته على القيروان سنة
تسع وأربعين كما شرحناه قبل فانتقضت العمالات والاطراف وانتزى أعياص الملك
بمواطنهم الاولى فترتب على بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل على بلاد شلب
وعلكها وغلب على أمصارها ملبانة وتنس و برشك وشرشال وأعاد ما كان
لسلفه بها من الملك على طريقتهم البدوية وأرهف واحدهم لمطالبهم من القبائل
وخلص السلطان أبو الحسن من ورطته الى افريقية ثم من ورطة البحر من مرسى
الجزائر الى بجاية يحاول استرجاع ملكه المفترق فبعث الى على بن راشد وذكره ذمتهم
فتذكر وحن واشترط لنفسه التجافى له عن ملك قومه بشلب على أن يظاهره على بنى عبد
الواد فأبى السلطان أبو الحسن من اشتراط ذلك فتحيز عنه الى فئة بنى عبد الواد الناجمين
بتلمسان كما ذكرناه قبل وظاهرهم عليه و برز اليهم السلطان أبو الحسن من الجزائر
والتقى الجمعان بمربونة سنة احدى وخمسين فاختلف مصاف السلطان أبى الحسن

Marfat.com

وانهزم جمعه وهلك ابنه الناصر طاح دمه فى مغراوة هؤلاء وخرج الى الصحراء ولحق منها بالمغرب الاقصى كما نذكره بعد وتطاول الناجمون بتلمسان من آل يغمراسن الى انتظام بلاد مغراوة فى ملكهم كما كان سلفهم فنهض اليهم بعساكر بنى عبد الواد ردىف سلطانهم وأخوه أبو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فأوطأ قومه بلاد مغراوة سنة ثنتين وخمسين وفل جموعهم وغلبهم على الضاحية والامصار وأجرع على بن راشد بتنس فى شرذمة من قومه وأناخ بعساكره عليه وطال الحصار ووقع الغلاب ولما رأى على بن رشد أن قد أحيط به دخل الى زاوية من زوايا قصره انتبذ فيها عن الناس وذبح نفسه بحد حسامه وصار مثلا وحديثا للآخرين واقتحم البلد لحينه واستلحم من عثر عليه من مغراوة ونجا الآخرون الى أطراف الارض ولحقوا بأهل الدول فاستركبوا واستلحقوا وصاروا جند الدول وحشما وأتباعا وانقرض أمرهم من بلاد شلب ثم كانت لبنى مرين الكرة الثانية الى تلمسان وغلبوا آل زيان ومحوا آثارهم ثم فاء ظلهم بملك السلطان أبى عنان وحسر تيارهم وجدد الناجمون من آل يغمراسن دولة ثانية بمكان عملهم على يد أبى حمو الاخير ابن موسى بن يوسف كما نذكره فى أخبارهم ثم كانت لبنى مرين الكرة الثالثة الى بلاد تلمسان ونهض السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن اليها فدخلها فاتح سنة ثنتين وسبعين وسرح عساكره فى اتباع أبى حمو الناجم من آل يغمراسن حين فر أمامه فى قومه وأشياعه من العرب كما يأتى ذلك كله ولما انتهت العساكر الى البطحاء نلوموا هنالك أياما لازاحة علاتهم وكان فى جملتهم صبى من ولد على بن راشد الذبيح اسمه حمزة ربى يتيما فى مجر دولتهم لذمام العصبر الذى لقومه فيهم فكفلته نعمتهم وكنفه جوههم حتى شب واستوى وسخط رزقه فى ديوانهم وحاله بين ولدانهم واعترض بعض الايام قائد الجيوش الوزير أبا بكر بن غازى شاكيا وأساء رده فركب الليل ولحق بمعقل بنى بوسعيد من بلاد شلب فأجاروه ومنعوه ونادى بدعوة قومه فاجابوه وسرح اليه السلطان وزيره عبد العزيز عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة كبير يتربهن فى جيش كثيف من بنى مرين والجند فنزل بساحة ذلك الجبل حولا كريتا (١) فاعتصم ينال منهم و ينالون منه وامتنعوا واتهم السلطان وزيره الآخر أبا بكر بن غازى فنهض بجل العساكر المخمة والجيوش الكثيفة الى أن نزل بهم وصبحهم القتال فقذف الله فى قلوبهم الرعب وأنزلهم من معقلهم وفر حمزة بن على فى قل من قومه فنزل ببلاد حصين المنتقضين فكانوا على الدولة مع أبى زيان بن أبى سعيد الناجم من آل يغمراسن حسبما نذكره وأتى بنو أبى سعيد طاعتهم وأخلصوا الضمائر فى مغبتها فحسن

Marfat.com

موقعهم و بدأ حزة فى الرجوع اليهم فأعدّ السير فى لمة من قومه حتى اذا لم يبهم نكرو
لكان ما اعتقلوا به من حبل الطاعة فتساهل الى البسائط وقصد تيمروغت يظن بها
غرّة ينتهزها فبرز اليه حاميتها فقلوا حدّه وردوه على عقبه وتسابقوا فى اتباعه الى
أن تقبضوا عليه وقادوه الى الوزير بن الغازن الكاس فأوعز اليه السلطان بقتله مع
جملة أصحابه فضربت أعناقهم وبعث بها الى سدّة السلطان وصلب أشلاؤهم على
خشب مسندة نصبها لهم ظاهر مليانة ومحى أثر مغراوة وانقرض أمرهم وأصبحوا
خولا للامراء وجندا فى الدول وأوزاعا فى الاقطار كما كانوا قبل هذه الدولة لا خبرة لهم
والبقاء لله وحده وكل شئ هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون لا رب غيره
ولا معبود سواه وهو على كل شئ قدير

Marfat.com

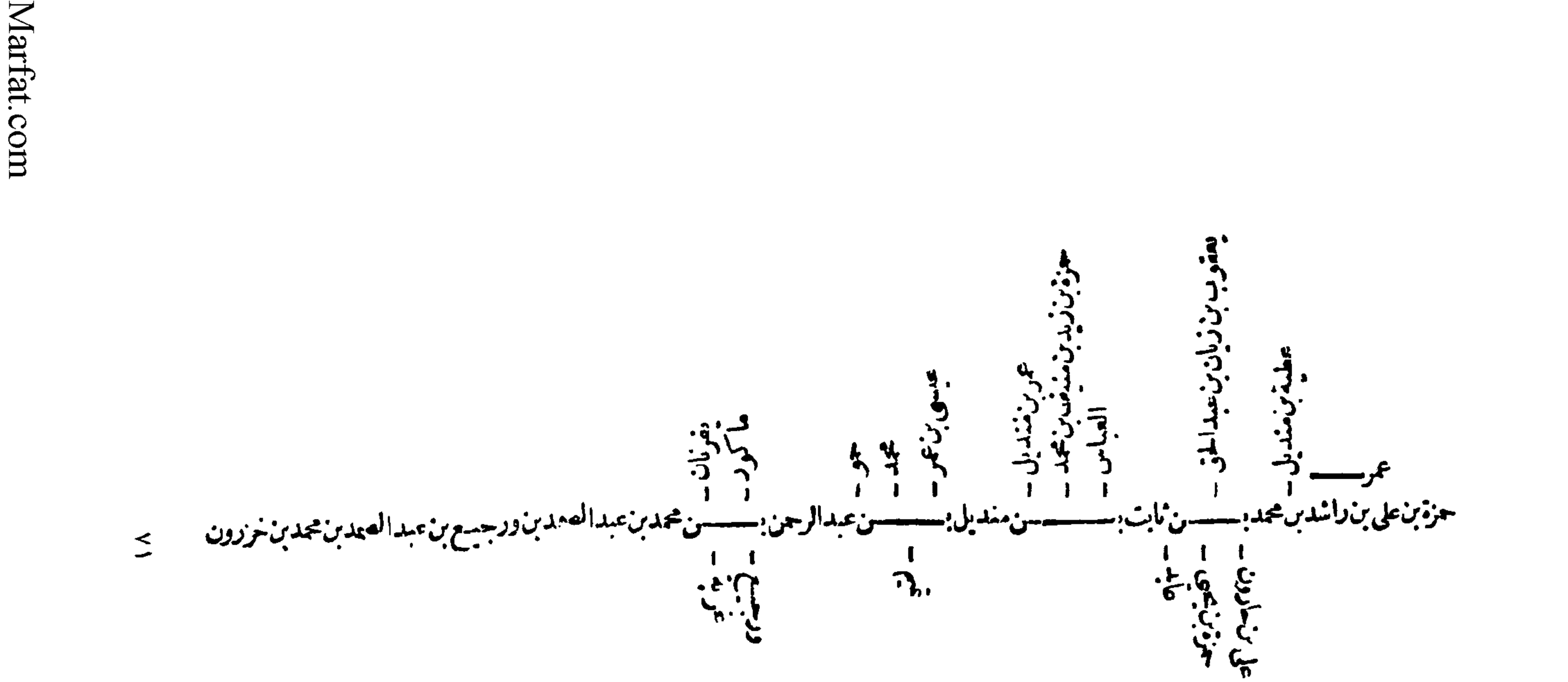
حمزة بن علي بن راشد بن محمد
عمر
عطية بن مندبل
يعقوب بن زبان بن عبد الحق
علي بن نصار بن
حمزة بن زيد بن منيف بن محمد
العباس
عمر بن مندبل
عيسى بن عمر
محمد
جمو
بن ثابت
بن مندبل
بن عبد الرحمن
بن محمد بن عبد الصمد بن ورجيع بن عبد الصمد بن محمد بن خزرون
نفزيان
ماكودر

Marfat.com

الخبر عن بني عبد الواد من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم بتلمسان وبلاد المغرب الاوسط من الملك والسلطان وكيف كان مبدأ أمرهم ومصائر أحوالهم

قد تقدم لنا في أول هذه الطبقة الثانية من زناتة ذكر بني عبد الواد هؤلاء وأنهم من ولد يادين بن محمد اخوة توجين ومصاب وزردال وبني راشد وأن نسبهم يرتفع الى رزجيك ابن ماسين بن ورسيك بن جانا وذكرنا كيف كانت حالهم قبل الملك في مواطنهم تلك وكان اخوانهم بمصاب وجبل راشد وفيكك وملوية ووصفنا من حال فتنتهم مع بني مرين اخوانهم المجتمعين معهم في النسب في رزجيك بن واسين ولم يزل بنو عبد الواد هؤلاء بمواطنهم تلك وبنو راشد وبنو زردال ومصاب مضرين اليهم بالنسب والحلف وبنو توجين منابذين لهم أكثر أزمانهم ولم يزالوا جميعا متغلبين على ضاحية المغرب الاوسط عامة الازمان وكانوا تبعا في بني يملولى وبني يملولى حين كان لهم التغلب فيهم وربما يقال كان شيخهم لذلك العهد يعرف بيوسف بن تكنا حتى اذا نزل عبد المؤمن والموحدون نواحي تلمسان وسارت عساكرهم الى بلاد زناتة تحت راية الشيخ أبي حفص فأوقعوا بهم كما ذكرناه وحسنت بعد ذلك طاعة بني عبد الواد وانحياشهم الى الموحدين وكانت بطونهم وشعوبهم كثيرة أظهرها فيما يذكرون ستة بنو يانكين وبنو اولو وبنو وركط ونسوحه وبنو لومرت وبنو القاسم ويقولون بلسانهم ايت القاسم وايت حرف الاضافة النسبية عندهم ويزعم بنو القاسم هؤلاء انهم من أولاد القاسم بن ادريس وربما قالوا في هذا القاسم انه ابن محمد بن ادريس او ابن محمد ابن عبد الله أو ابن محمد بن القاسم وكلهم من أعقاب ادريس زعما لا مستند له الا اتفاق بني القاسم هؤلاء عليه مع ان البادية بعداء عن معرفة هذه الانساب والله أعلم بصحة ذلك (وقد قال يغمراسن) ابن زيان أبو ملوكهم لهذا العهد لما رفع نسبه الى ادريس كما يذكرون فقال برطانتهم ما معناه ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله وأما الدنيا فما نلناها بسيوفنا ولم تزل رياسة بني عبد الواد في بني القاسم لشدة شوكتهم واعتزاز عصبيتهم وكانوا بطونا كثيرة فمنهم بنو يكمثين بن القاسم وكان منهم ويعزن ابن مسعود بن يكمثين وأخواه يكمثين وعمر وكان أيضا منهم اغدوى بن يكمثين الاكبر ويقال الاصغر ومنهم أيضا عبد الحق من منغفاد بن ولدو يعزن وكانت الرياسة عليهم لعهد عبد المؤمن لعبد الحق بن منغفاد واغدوى بن يكمثين وعبد الحق بن منغفاد هو الذي استنقذ الغنائم من يدي بني مرين وقتل المخضب المسوف حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك والمؤرخون يقولون عبد الحق بن معاد بميم وعين مهملة مفتوحتين وألف بعدها وهو غلط وليس هذا اللفظ بهذا الضبط من لغة زناتة وانما

هو تصحيف منغفاد بميم ونون مفتوحتين وغين بعدهما معجمة ساكنة وفاء مفتوحة والله أعلم (ومن بطون) بني القاسم أيضا بنو مطهر بن يمل بن يزكين بن القاسم وكان جماعة بن مطهر من شيوخهم لعهد عبد المؤمن وأبلى في حروب زناتة مع الموحدين ثم حسنت طاعته وانحياشه (ومن بطون) بني القاسم أيضا بنو علي واليهم انتهت رياستهم وهم أشد عصبية وأكثر جمعا وهم أربعة أفخاذ بنو طاع الله و بنو دلول وبنو كمين وبنو معطي بن جوهر والاربعة بنو علي ونصاب الرياسة في بني طاع الله لبني محمد ابن زكراز بن تيدوكس بن طاع الله هذا ملخص الكلام في نسبهم (ولما) ملك الموحدون بلاد المغرب الاوسط وأبلوا من طاعتهم وانحياشهم ما كان سببا لاستخلاصهم فأقطعوهم عامة بلاد بني ومانوا وأقاموا بتلك المواطن وحدثت الفتنة بين بني طاع الله و بني كمين الى أن قتل كندور بن من بني كمين زيان بن ثابت كبير بني محمد بن زكراز وشيخهم وقام بأمرهم بعده جابر بن عمه يوسف بن محمد فثار كندور بن زيان ابن عمه وقتله في بعض أيامهم وحرو بهم ويقال قتله غيلة و بعث برأسه ورؤس أصحابه الى يغمراسن بن زيان بن ثابت فنصبت عليهم القدور أثافي شفاية للنفوس لهم من شأن أبيه زيان وافترق بنو كمين وفزبهم كبيرهم عبد الله بن كندور فلحقوا بتونس ونزل على الامير أبي زكريا كما نذكره بعد واستبد جابر بن يوسف بن محمد برياسة بني عبد الواد وأقام هذا الحي من بني عبد الواد بضواحي المغرب الاوسط حتى اذا فشل ريح بني عبد المؤمن وانتزى يحيى بن غانية على جهات قابس وطرابلس وردد الغزو والغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط فاكتسحها وعاث فيها وكبس الامصار فاقتحمها بالغارة وافساد السابلة وانتساف الزرع وحطم النعم الى أن خربت وعفا رسمها السنى الثلاثين من المائة السابعة وكان تلمسان نزلا للحامية ومناخا للسيد من القرابة الذي يضم نشرها ويذب عن أنحائها وكان المأمون قد استعمل على تلمسان أخاه السيد أبا سعيد وكان مغفلا ضعيف التدبير وغلب عليه الحسن بن حيون من مشيخة قومه وكان عاملا على الوطن وكانت في نفسه ضغائن من بني عبد الواد جرها ما كان حدث لهم من التغلب على الضاحية وأهلها فأغرى السيد أبا سعيد بجماعة مشيخة منهم وفدوا عليه فتقبض عليهم واعتقلهم وكان في حامية تلمسان لمة من بقايا المتونة تجافت الدولة عنهم وأنبتهم عبد المؤمن في الديوان وجعلهم مع الحامية وكان زعيمهم لذلك العهد ابراهيم بن اسمعيل بن علان فشفع عندهم في المشيخة المعتقلين من بني عبد الواد فردوه فغضب وحمى أنفه وجمع الانتقاض والقيام بدعوة ابن غانية فجدد ملك المرابطين من قومه بقاصية المشرق فاغتال الحسن بن حيون لحينه وتقبض على السيد أبي سعيد وأطلق

Marfat.com

المشيخة من بنى عبد الواد ونقض طاعة المأمون وذلك سنة أربع وعشرين فطير الخبر الى
ابن غانية فأجد اليه السير ثم بداله فى أمر بنى عبد الواد ورأى ان ملاك أمره فى خضد
شوكتهم (١) وقص جناحهم فحدث نفسه بالفتك بمشيختهم ومكر بهم فى دعوة واعدهم
اياها وفطن لتدبيره ذلك جابر بن يوسف شيخ بنى عبد الواد فواعده اللقاء والمزاورة وطوى
له على وخرج ابراهيم بن علان الى لقائه فقتله به جابر وبادر الى البلد
فنادى طاعته وكشف لاهلها القناع عن مكر بن علان بهم ولما
أوقعهم بن غانية فحمدوا رأيه وشكروا جابرا على صنيعه وجددوا البيعة
هذا دفع بنى عبد الواد واحلافهم من بنى راشد وبعث الى فخاطب له
بالشكر وكتب له بالعهد على تلمسان وسائر زناتة على رسم السادات
الذين كانوا يلون ذلك مع القرابة فاضطلع بأمر المغرب الاوسط (وكانت) هذه الولاية
ركوبا الى صهوة الملك الذى اقتعدوه من بعد ثم انتقض عليه أهل اربونة بعد ذلك
فنازلهم وهلك فى حصارها بهم غرب سنة تسع وعشرين وقام
بالامر بعده ابنه الحسن وجدد له المأمون عهده بالولاية ثم ضعف عن الامر وتخلى عنه
لستة أشهر من ولايته ودفع اليه عمه عثمان بن يوسف وكان سيئ الملكة كثير العسف
والجور فثارت به الرعايا بتلمسان وأخرجوه سنة احدى وثلاثين وارتضوا مكانه ابن عمه
زكراز بن زيان بن ثابت الملقب بأبى عزة فاستدعوه لها وولوه على أنفسهم وبلدهم
وسلموا له أمرهم وكان مضطلعا بأمر زناتة ومستبدا برياستهم ومستوليا على سائر
الضواحى فنفس بنو وطهر عليه وعلى قومه بنى على أخوانهم ما آتاهم الله من الملك
واكرمهم الله به من السلطان وحسدوا زكراز وسلفه فيما صار اليه من الملك فشاقوه
ودعوا الى الخروج عليه واتبعهم بنو راشد احلافهم منذ عهد الصحراء وجمع لهم أبو
عزة سائر قبائل بنى عبد الواد فكانت بينه وبينهم حرب سجال هلك فى بعض أيامها
سنة ثلاث وثلاثين وقام بالامر بعده أخوه يغمراسن بن زيان فوقع التسليم والرضا
وسير القبيل ودان له بالطاعة جميع الامصار وكتب له الخليفة الرشيد بالعهد على عمله
وكان له ذلك سلما الى الملك الذى أورثه بنيه سائر الايام والملك لله يؤتيه من يشاء

Marfat.com

زكرا زبن زبان بن ثابت بن محمد بن زكرا بن تيدوكس بن طاع الله ← ن علي ← ن القاسم ← ن عبد الواد

يغمراسن ← ابو ثابت ← المسن بن جابر بن يوسف

دلول ← حامة بن مطهر ← ناكنر

معطي بن جوهر ← حامة بن مطهر بن علي بن يزكان ← بنو فرسنات

عمر ← عبد الله بن كندودين كمي

عبد الحق بن منغفاد بن وديعزن بن مسعود بن سيكس ← ابو زكرا

بنو ورصطف

مصور هو الدا

هذه المدينة قاعدة المغرب الاوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن بما كانت فى مواطنهم ولم نقف على أخبارها فيما قبل ذلك وما يزعم بعض العامة من ساكنها أنها أزلية البناء وأن الجدار الذى ذكر فى القرآن فى قصة الخضر وموسى عليهما السلام هو بناحية اكادير منها فأمر بعيد عن التحصيل لان موسى عليه السلام لم يفارق المشرق الى المغرب وبنو اسرائيل لم يبلغ ملكهم لافريقية فضلا عما وراءها وانما هى من مقالات التشيع المجبول عليه أهل العالم فى تفضيل ما ينسب اليه أو ينسبون اليه من بلد أو أرض أو علم أو صناعة ولم أقف لها على خبر أقدم من خبر ابن الرقيق بأن أبا المهاجر الذى ولى افريقية بين ولاية عقبة بن نافع الاولى والثانية توغل فى ديار المغرب ووصل الى تلمسان وبه سميت عيون أبى المهاجر قريبا منها وذكرها الطبرى عند ذكر أبى قرة واجلائه مع أبى حاتم والخوارج على عمر بن حفص ثم قال فأفرجوا عنه وانصرف أبو قرة الى وطنه بنواحى تلمسان وذكرها ابن الرقيق أيضا فى أخبار ابراهيم بن الاغلب قبل استبداده بافريقية وانه توغل فى غزوه الى المغرب ونزلها واسمها فى لغة زناتة مركب من كلمتين تلم سان ومعناهما تجمع اثنين يعنون البر والبحر (ولما خلص) ادريس الاكبر بن عبد الله بن الحسن الى المغرب الاقصى واستولى عليه نهض الى المغرب الاوسط سنة أربع وسبعين ومائة فتلقاه محمد بن خزر بن صولات أمير زناتة وتلمسان فدخل فى طاعته وحمل عليها مغراوة وبنى يفرن وأمكنه من تلمسان فملكها واختط مسجدها وصعد منبره وأقام بها أشهرا وانكفأ راجعا الى المغرب وجاء على اثره من المشرق أخوه سليمان بن عبد الله فنزلها وولاه أمرها ثم هلك ادريس وضعف أمرهم ولما بويع لابنه ادريس من بعده واجتمع اليه برابرة المغرب نهض الى تلمسان سنة تسع وتسعين ومائة فجدد مسجدها وأصلح منبرها وأقام بها ثلاث سنين دوخ فيها بلاد زناتة واستوسقت له طاعتهم وعقد عليها لبنى محمد ابن عمه سليمان (ولما هلك ادريس) الاصغر واقتسم بنوه أعمال المغرب باشارة أمه كنزة كانت تلمسان فى سهمان عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان وأعمالها لبنى أبيه محمد بن سليمان فلما انقرضت دولة الادارسة من المغرب وولى أمره موسى بن أبى العافية بدعوة الشيعة نهض الى تلمسان سنة تسع عشرة وغلب عليها أميرها ذلك العهد الحسن بن أبى العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان ففر عنها الى مليلة وبنى حصنا لامتناعه بناحية تكرور فحاصره مدة ثم عقد له سلما على حصنه ولما تغلب الشيعة على

المغرب الاوسط أخرجوا أعقاب محمد بن سليمان من سائر أعمال تلمسان فأخذوا بدعوة بنى أمية من وراء البحر وأجازوا اليهم وتغلب يعلى بن محمد اليفرنى على بلاد زناتة والمغرب الاوسط فعقد له الناصر الاموى عليها وعلى تلمسان أعوام أربعين وثلثمائة ولما هلك يعلى وأقام بأمر زناتة بعده محمد بن الخير بن محمد بن خزر داعية الحكم المستنصر بتلمسان أعوام ستين وهلك فى حروب صنهاجة وغلبوهم على بلادهم وانجلوا الى المغرب الاقصى ودخلت تلمسان فى عمالة صنهاجة الى أن انقسمت دولتهم وافترق أمرهم واستقل بامارة زناتة وولاية المغرب زيرى بن عطية وطرده المنصور عن المغرب أعوام فصار الى بلاد صنهاجة وأجلب عليها ونازل معاقلهم وأمصارهم مثل تلمسان وهراة وتنس واشير والمسيلة ثم عقد المظفر بعد حين لابنه المعز بن زيرى على أعمال المغرب سنة ست وتسعين فاستعمل على تلمسان ابنه يعلى بن زيرى واستقرت ولايتها فى عقبه الى أن انقرض أمرهم على يد لمتونة وعقد يوسف بن تاشفين عليها لمحمد بن تينعمر المستوفى وأخيه تاشفين من بعده واستحكمت الفتنة بينه وبين المنصور ابن الناصر صاحب القلعة من ملوك بنى حماد ونهض الى تلمسان وأخذ بمخنقها وكاد أن يغلب عليها كما ذكرنا ذلك كله فى مواضعه (وسنعلب) عبد المؤمن لمتونة وقتل تاشفين ابن على بوهران خربها وخرب تلمسان بعد أن قتل الموحدون عامة أهلها وذلك أعوام أربعين من المائة السادسة ثم راجع رأيه فيها وندب الناس الى عمرانها وجمع الايدى على رمم ما ثلم من أسوارها وعقد عليها لسليمان بن واندين من مشايخ هنتاتة وأخبار الموحدين وسبب هذا الحى من بنى عبد الواد بما أبلى من طاعتهم وانحيازهم ثم عقد عليها لابنه السيد أبى حفص ولم يزل آل عبد المؤمن بعد ذلك يستعملون عليها من قرابتهم وأهل بيتهم ويرجعون اليه أمر المغرب كله وزناتة أجمع اهتماما بأمرها واستعظاما لعملها وكان هؤلاء الاحياء من زناتة بنو عبد الواد وبنو توجين وبنو راشد غلبوا على ضواحى تلمسان والمغرب الاوسط وملكوها وتقلبوا فى بسائطها واحتازوا باقطاع الدولة الكثير من أرضها والطيب من بلادها والوافر للجباية من قبائلها فاذا خرجوا الى مشاتيهم بالصحراء خلفوا أتباعهم وحاشيتهم بالتلول لاعتمار أرضها وازدراع فدنهم وجباية الخراج من رعاياهم وكان بنو عبد الواد من ذلك فيها بين البطحاء وملوية ساحله وريغة وصحراوة وصرف ولاة الموحدين بتلمسان من السادة نظرهم واهتمامهم بشأنها الى تحصينها وتشييد أسوارها وحشد الناس الى عمرانها والتناغى فى عمرانها واتخاذ الصروح والقصور بها والاحتفال فى مقاصد الملك واتساع خطة الدور وكان من أعظمهم اهتماما بذلك وأوسعهم فيه نظرا السيد أبو عمران موسى

Marfat.com

ابن أمير المؤمنين يوسف وليها سنة ست وخمسين على عهد أبيه يوسف بن عبد المؤمن واتصلت أيام ولايته فيها فشيد بناءها وأوسع خطتها وأدار سياج الاسوار عليها ووليها من بعد السيد أبو الحسن بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن وتقبل فيها مذهبه (ولما كان) من أمر ابن غانية وخروجه من ميورقة سنة احدى وثمانين ماقدمناه وكبسوا بجاية فلكوها وتخطوا الى الجزائر وملیانة فغلبوا عليها تلافى السيد أبو الحسن أمره بانعام النظر فى تشييد أسوارها والاستبلاغ فى تحصينها وسد فرجها واعماق الخفائر نطاقا عليها حتى صيرها من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره وتقبل ولاتها هذا المذهب من بعده فى المعتصم بها (واتفق من الغرائب) أن أخاه السيد أبا زيد هو الذى دفع لحرب بنى غانية فكان لها فى رقع الخرق والمدافعة عن الدولة آثار وكان ابن غانية قد اجتمع اليه ذوبان العرب من الهلاليين بافريقية وخالفتهم زغبة احدى بطونهم الى الموحدين وتحيزوا الى زناتة المغرب الاوسط وكان مفزعهم جميعا ومرجع نقضهم وابرامهم الى العامل بتلمسان من السادة أبى مثواهم وحامى حقيقتهم وكان ابن غانية كثيرا مايجلب على ضواحى تلمسان وبلاد زناتة ويطرقها معه من ناعق الفتنة الى ان خرب كثيرا من أمصارها مثل تاهرت وغيرها فأصبحت تلمسان قاعدة المغرب الاوسط وأم هؤلاء الاحياء من زناتة والمغرب الكافة لهم المهيئة فى حجرها مهادنومهم لما خربت المدينتان اللتان كانتا من قبل قواعد فى الدول السالفة والعصور الماضية وهما أرشكول بسيف البحر وتاهرت فيما بين الريف والصحراء من قبلة البطحاء وكان خراب هاتين المدينتين فيما خرب من أمصار المغرب الاوسط فتنة ابن غانية وباجلاب هؤلاء الاحياء من زناتة وطلوعهم على أهلها بسوم الخسف والعيث والنهب وتخطف الناس من السابلة وتخريب العمران ومغالبتهم حاميتها من عساكر الموحدين مثل قصر عجيسة وزرفة والحضراء وشلب ومتيجة وحمزة ومرسى الدجاج والجعبات ولم يزل عمران تلمسان يتزايد وخطتها تتسع الصروح بها بالاجر والفهر تعلى وتشاد الى أن نزلها آل زيان واتخذوها دار الملكهم وكرسى السلطانهم فاختطوا بها القصور المونقة والمنازل الجاملة واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه فأصبحت أعظم أمصار المغرب ورحل اليها الناس من القاصية ونفقت بها أسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الاعلام وضاهت أمصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية والله وارث الارض ومن عليها

{الخبر عن استقلال يغمراسن بن زيان بالملك والدولة بتلمسان
{وما اليها وكيف مهد الامر لقومه وأصاره تراثا لبنيه

Marfat.com

كان يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد من أشد هذا الحي بأسا وأعظمهم في النفوس مهابة واجلالا وأعرفهم بمصالح قبيله وأقواهم كاهلا على حمل الملك واضطلاعا بالتدبير والرياسة شهدت له بذلك آثاره قبل الملك وبعده وكان مرموقا بعين التجلة مؤتملا للامر عند المشيخة وتعظمه من أمره الخاصة وتفزع اليه في نوائبها العامة فلما ولي هذا الامر بعد أخيه أبي عزة زكرا بن زيان سنة ثلاث وثلاثين قام به أحسن قيام واضطلع بأعبائه وظهر على بني مطهر وبني راشد الثائرين على أخيه ما أصارهم في جملته وتحت سلطانه وأحسن السيرة في الرعية واستمال عشيرته وقومه واحلافهم من زغبة بحسن السياسة والاصطناع وكرم الجوار واتخذ الآلة ورتب الجنود والمسالح واستلحق العساكر من الروم والغز وناشئه وفرض العطاء واتخذ الوزراء والكتاب وبعث في الاعمال ولبس شارة الملك والسلطان واقتعد الكرسي ومحا آثار الدولة المؤمنية وعطل من الامر والنهي دستها ولم يترك من رسوم دولتهم وألقاب ملكهم الا الدعاء على منابره للخليفة بمراكش وتقلد العهد من يده تأنيسا للكافة ومرضاة للاكفاء من قومه ووفد عليه لاول دولته ابن وضاح اثر الموحدين أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الاندلس فآثره وقرب مجلسه وأكرم نزله وأحله من الخلة والشورى بمكان اصطفاه له ووفد في جملته أبو بكر بن خطاب المبايع لأخيه بمرسية وكان مرسلا بليغا وكاتبا مجيدا وشاعرا محسنا فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنوقل وحفظ ولم يزل يغمراسن محاميا عن غيله محاربا لعدوه وكانت له مع ملوك الموحدين من آل عبد المؤمن ومدافعتهم آل أبي حفص مواطن في التحرس به ومنازلة بلده نحن ذاكروها كذلك وبينه وبين أقتاله بني مرين قبل ملكهم المغرب وبعد ملكه وقائع متعددة وله على زناتة الشرف من توجين ومغراوة في فل جموعهم وانتساف بلادهم وتخريب أوطانهم وأيام مذكورة وآثار معروفة نشير الى جميعها ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء الامير أبي زكرياء على تلمسان ودخول يغمراسن في دعوته)

لما استقل يغمراسن بن زيان بأمر تلمسان والمغرب الاوسط وظفر بالسلطان وعلا كعبه على سائر أحياء زناتة نفسوا عليه ما آتاه الله من العز وكرمه به من الملك فنابذوه العهد وشاقوه الطاعة وركبوا له ظهر الخلاف والعداوة فشمر لحربهم ونازلهم في ديارهم وأحجرهم في أمصارهم ومعتصماتهم من شواهق الجبال ومتمنع الامصار وكانت له عليهم أيام مشهورة ووقائع معروفة وكان متولي كبر هذه المشاقة عبد القوي ابن عباس شيخ بني توجين أقتالهم من بني يادين والعباس بن مندين بن عبد الرحمن واخوته أمراء

Marfat.com

مغراوة وكان المولى الامير أبو زكريا بن أبي حفص منذ استقل بأمر افريقية واقتطعها من الايالة المؤمنية سنة خمس وعشرين كما ذكرناه متطاولا الى احتياز المغرب والاستيلاء على كرسي الدعوة بمراكش وكان يرى أن بمظاهرة زناتة له على شأنه يتم له ما يسمو اليه من ذلك فكان يداخل أمراء زناتة فيرغبهم ويراسلهم بذلك على الاحيان من بني مرين وبني عبد الواد وتوجين ومغراوة وكان يغمراسن منذ تقلد طاعة بني عبد المؤمن آقام دعوتهم بعمله متحيزا اليهم ظاهرا لهم وحربا على عدوهم وكان الرشيد قد ضاعف له البر والاخلوص وخطب منه مزيد الولاية والمصافاة وعاوده الاتحاف بأنواع الالطاف والهدايا عام سبع وثلاثين تقدمنا لمسيرانه وميلا اليه عن جانب أقتال بني مرين المجلبين على المغرب والدولة وأحفظا الامير أبا زكريا بن عبد الواحد صاحب افريقية ما كان من اتصال يغمراسن بالرشيد وهو من جواره بالمحل القريب واستكر مذلك وبينما هو على ذلك اذ وفد عليه عبد القوي بن عباس وولد منديل بن محمد صريخين على يغمراسن وسهلوا له أمره وسولوا له الاستيلاء على تلمسان وجمع كلمة زناتة واعتدادا ذلك ركابا لما يرومه من امتطاء ملك الموحدين وانتظامه في أمره وسلما لارتقاء ما يسمو اليه من ملكه وبابا للولوج على أهله فحركه املاؤهم وهزه الى النعرة صريخهم وأهب بالموحدين وسائر الاولياء والعساكر على الحركة على تلمسان واستنفر لذلك سائر البدو من الاعراب الذين في عمله من بني سليم ورياح بظعنهم لداغية ونهض سنة تسع وثلاثين في عساكر ضخمة وجيوش وافرة وسرح أمام حركته عبد القوي ابن العباس وأولاد منديل بن محمد لحشد من بأوطانهم من أحياء زناتة وأتباعهم وذوبان قبائلهم وأحياء زغبة احلافهم من العرب وضرب معهم لموافاتهم في تخوم بلادهم ولما نزل زاغر قبلة تيطري منتهى مجالات رياح وبني سليم في المغرب وافته هنالك أحياء زغبة من بني عامر وسويد وارتحلوا معه حتى نازل تلمسان بجمع عساكر الموحدين وحشد زناتة وظعن المغرب بعد أن قدم الى يغمراسن الرسل من ملبانة والاعذار والبراءة والدعاء والطاعة فرجعهم بالخيبة (ولما حلت) عساكر الموحدين بساحة البلد وبرز يغمراسن وجموعه نهضتهم فاشبة السلطان بالنبل فانكشفوا ولاذوا بالجدران وعجزوا عن حماية الاسوار فاستمكنت المقاتلة من الصعود ورأى يغمراسن ان قد أحيط بالبلد فقصد باب العقبة من أبواب تلمسان ملتفا على ذويه وخاصته واعترضه عساكر الموحدين فصدمهم وجدل بعض أبطالهم فافرجوا له ولحق بالصحراء وانسلت الجيوش الى البلد من كل حدب فاقتحموه وعاثوا فيه بقتل النساء والصبيان واكتساح الاموال ولما تجلى عشاء تلك الهيعة وحسر تيار

Marfat.com

المصدمة وخمدت نار الحرب راجع الموحدون بصائرهم وأمعن الامير نظره فيمن يقلده أمر تلمسان والمغرب الاوسط وينزله بثغرها لاقامة دعوته الدائلة من بني عبد المؤمن والمدافعة عنها واستكبر ذلك أشرافهم وتدافعوه وتبرأ أمراء زناتة منه ضعفا عن مقاومة يغمراسن وعلما بأنه الفحل الذي لا يجدع أنفه ولا يطرق فحله ولا يصدع عن فريسته وسرح يغمراسن الغارات في نواحي العسكر فاختطفوا الناس من حوله وأطلوا من المراقب عليه وخاطب يغمراسن خلال ذلك الامير أبا زكريا راغبا في القيام بدعوته بتلمسان فراجعه بالاسعاف واتصال اليد على صاحب مراكش وسوغه على ذلك جباية اقتطعها له وأطلق أيدي العمال ليغمراسن على جبايتها ووفدت أمته سوط النساء للاشتراط والقبول فأكرم موصلها وأسنى جائزتها وأحسن وفادتها ومنقلبها وارتحل الى حضرته لسبع عشرة ليلة من نزوله في أثناء طريقه ووسوس اليه بعض الحاشية باستبداد يغمراسن عليه وأشاروا باقامة منافسيه من زناتة فأجابهم وقلد عبد القوي بن عطية التوجيني والعباس بن مندين المغراوي وعلي بن منصور الملكيشي على قومهم ووطنهم وعهد اليهم بذلك وأن لهم في اتخاذ الآلة والمراسم السلطانية على سنن يغمراسن قريعهم فاتخذوها بحضرته وشهد من ملك الموحدين وأقاموا مراسمها بابه وأعد السير لتونس قرير العين بامتداد الملك وبلوغ وطره والاشراف على اذعان المغرب لطاعته وانقياده وحكمه وادالة عبد المؤمن فيه بدعوته ودخل يغمراسن بن زيان ووفى للامير أبي زكريا بعهده وأقام بها الدعوة له على سائر منابره وصرف الى مشاقيه من زناتة وجوه عزائمه فأذاق عبد القوي وأولاد عباس وأولاد مندين نكال الحرب وسامهم سوء العذاب والفتنة وجاس خلال ديارهم وتوغل في بلادهم وغلبهم على الكثير من ممالكهم وشرد عن الامصار والقواعد ولاتهم وأشياعهم ودعاتهم ورفع عن الرعية ما نالهم من عدوانهم وسوء ملكتهم وثقيل عسفهم ولم يزل على تلك الحال الى أن كان من حركة صاحب مراكش يغمراسن بالدولة الحفصية ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن نهوض السعيد صاحب مراكش ومنازلته يغمراسن بجبل تامزردكت ومهلكه هنالك

لما انقضت دولة بني عبد المؤمن وانتزى الثوار والدعاة بقاصية أعمالهم وقطعوها عن ممالكهم فاقتطع ابن هود ما وراء البحر من جزيرة الاندلس واستبدها وورى بالدعاء للمستنصر بن الظاهر خليفة بغداد من العباسيين لعهده ودعا الامير أبو زكريا بن أبي حفص بافريقية لنفسه وسما الى جمع كلمة زناتة والتغلب على كرسي الدعوة بمراكش

فنازل تلمسان وغلب عليها سنة أربعين وقارن ذلك ولاية السعيد على بن المأمون
ادريس بن المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن وكان شهما حازما يقظا بعيد
الهمة فنظر فى اعطاف دولته وفاض الملا فى تثقيف أطرافها وتقويم مائلها وأثار
حفائظهم ماوقع من بنى مرين فى ضواحى المغرب ثم فى أمصاوه واستيلائهم على مكناسة
واقامتهم الدعوة الحفصية فيها كما ذكره فجهز الملوك والعساكر وأزاح عللهم واستنفر
عرب المغرب ومايليه واحتشد كافة المصامدة ونهض من مراكش آخر سنة خمس
وأربعين يريد القاصية ويشرد بنى مرين عن الامصار الدانية والحشود
بوادى بهت وأعد السير الى تازى فوصلته هنالك طاعة بنى مرين كما ذكره ونفر معه
عسكر منهم ونهض الى تلمسان وماوراءها وفجا يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد بأهليهم
وأولادهم الى قلعة تامزردكت قبله وجدة فاعتصموا بها ووفد على السعيد الفقيه
عبدون وزير يغمراسن مؤديا للطاعة فى مذاهب الخدمة ومتواليا
من حاجات الخليفة بتلمسان مايدعوه اليه ويصرفه فى سبيله ومعتذرا عن وصول
يغمراسن فلج الخليفة فى شأنه ولم يعذره وأبى الا مباشرة طاعته بنفسه وساعده فى ذلك
كانون بن جرمون السفيانى صاحب الشورى بمجلسه ومن حضر من الملا ورجعوا
عبدونا لابستقدامه فتثاقل خشية على نفسه واعتمد السعيد الجبل فى عساكره وأناخ
بها فى ساحة وأخذ بمخنقهم ثلاثا ولما بعها ركب مهجرا على حين غفلة من
الناس فى قائله ليتطوق على المعتصم ويقتزى مكامنه فبصر به فارس من القوم يعرف
بيوسف بن عبد المؤمن الشيطان كان أسفل الجبل للاحتراس وقريبا منه يغمراسن
ابن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر فانقضوا عليه من بعض الشعاب وطعنه يوسف
فأكبه عن فرسه وقتل يعقوب بن جابر وزيره يحيى بن عطوش ثم استلحموا لوقتهم موالية
ناصحا من العلوج وعنبرا من الخصيان وقائد جند النصارى أخو العمط ووليدا يافعا
من ولد السعيد (ويقال) انما كان ذلك يوم عبى العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم
امام الناس فاقتطعه بعض الشعاب المتوعرة فى طريقه فتواثب به هؤلاء الفرسان وكان
ماذكرناه وذلك فى صفر سنة ست وأربعين ووقعت النفرة فى العساكر لطائر الخبر
فأجفلوا وبادر يغمراسن الى السعيد وهو صريع بالارض فنزل اليه وحيله وفداه
واقسم له على البر من هلكته والخليفة واجم بمصرعه يجود بنفسه الى ان فاض وانتهب
المعسكر بجملته وأخذ بنو عبد الواد ما كان به من الاخبية والعازات واختص
يغمراسن بفسطاط السلطان فكان له خالصة دون قومه واستولى على الذخيرة التى كانت
فيه منها مصحف عثمان بن عفان يزعمون أنه أخذ المصاحف التى انتسخت لعهد خلافته

Marfat.com

وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ثم صار فى ذخائر لمتونة فيما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ثم الى خزائن الموحدين من خزائن لمتونة وهو لهذا العهد فى خزائن بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان حين غلبهم اياهم على تلمسان واقتحامها عنوة على ملكها منهم عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن فريسة السلطان أبى الحسن مقتحمها غلابا سنة سبع وثلاثين كما نذكره ومنها العقد المنتظم من خرزات الياقوت الفاخرة والدرر المشتمل على مئين متعددة من حسبانه يسمى بالثعبان وصار فى خزائن بنى مرين بعد ذلك الغلاب فيما اشتملوا عليه من ذخيرتهم الى أن تلف فى البحر عند غزو الاسطول بالسلطان أبى الحسن بمرسى بجاية مرجعه من تونس حسبما نذكره بعد الى ذخائر من أمثاله وطرف من أشباهه مما يستخلصه الملوك لخزائنهم ويعنون به من ذخائرهم ولما سكنت النفرة وركد عاصف تلك الهيعة نظر يغمراسن فى شأن مواراة الخليفة فجهز ورفع على الاعواد الى مدفنه بالعباد بمقبرة الشيخ أبى مدين عفا الله عنه ثم نظر فى شأن حرمه وأخته تاعزونت الشهيرة الذكر بعد أن جاءها واعتذر اليها مما وقع وأصحبهن جملة من مشيخة بنى عبد الواد الى مأمنهن والحقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان له بذلك حديث جميل فى الابقاء على الحرم ورعى حقوق الملك ورجع الى تلمسان وقد خضدت شوكة بنى عبد المؤمن وأمنهم على سلطانه والله أعلم

(الخبر عما كان بينه وبين بنى مرين من الاحداث سائر أيامه)

قد ذكرنا ما كان بين هذين الحيين من المناغاة والمنافسة منذ الاعمار المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة وكان التخم بين الفريقين واديا صارا الى فيج وكان بنو عبد المؤمن عند فشل الدولة وتغلب بنى مرين على ضاحية المغرب يستجيشون بنى عبد الواد مع عساكر الموحدين على بنى مرين فيجوسون خلال المغرب ما بين تازى الى فاس الى القصر فى سبيل المظاهرة للموحدين والطاعة لهم وسنذكر فى أخبار بنى مرين كثيرا من ذلك فلما هلك السعيد وأسف بنو مرين الى ملك المغرب سما يغمراسن أمل فى مزاحمتهم وكان أهل فاس وقد تغلب أبو يحيى بن عبد الحق عليهم قد نقموا على قومه سوء السيرة وتمشت رجالاتهم فى الليا ذبطاعة الخليفة المرتضى ففعلوا فعلتهم فى القتل بعامل أبى يحيى بن عبد الحق والرجوع الى طاعة الخليفة وأعد أبو يحيى المسير الى منازلتهم فحاصرهم شهورا وفى أثناء هذا الحصار اتصلت المخاطبة بين الخليفة المرتضى ويغمراسن بن زيان فى الاخذ بحجزة أبى يحيى بن عبد الحق بفاس فأجاب يغمراسن داعيه واستنفر لها اخوانه من زناتة فنفر معه عبد القوى بن عطية بقومه من

Marfat.com

توجين وكافة القبائل من زناتة والمغرب ونهضوا الى وبلغ خبرهم الى أبي
يحيى بن عبد الحق بمكانه من حصار فاس فجهز كتائبه عليها ونهض للقائهم في بقية
العساكر والتقى الجمعان بايسلي من ناحية وجدة وكانت هنالك الواقعة المشهورة بذلك
المكان انكشف فيها جموع يغمراسن وغيره ورجعوا في فلهم الى تلمسان
واتصلت بعد ذلك بينهم الحروب والفتنات سائر أيامه وربما تخللتها الهدنات قليلا وكان
بينه وبين يعقوب بن عبد الحق ذمة مواصلة أوجب له رعيها وكثيرا ما كان يثني عليه
أخوه أبو يحيى من أجلها ونهض أبو يحيى بن عبد الحق سنة خمس وخمسين الى قتاله وبرز
اليه يغمراسن وتزاحفت جموعهم بأبي سليط فانهزم يغمراسن واعتزم أبو يحيى على
اتباعه فردّه أخوه يعقوب بن عبد الحق (ولما) قفل الى المغرب صمد يغمراسن الى
سجلماسة لمداخلة كانت بينه وبين المنبات من عرب المعقل أهل مجالاتها وذئاب فلاتها
حدّثته نفسه باهتبال الغرة في سجلماسة من أجلها وكانت قد صارت الى ايالة أبي يحيى
ابن عبد الحق منذ ثلاث كما ذكرناه في أخبارهم ونذر بذلك أبو يحيى فسابق اليها
يغمراسن بمن حضره من قومه فنقفها ووصل يغمراسن عقيب ذلك بعساكره وأناخ بها
وامتنعت عليه فأفرج عنها قافلا الى تلمسان وهلك أبو يحيى بن عبد الحق اثر ذلك منقلبه
الى فاس فاستنفر يغمراسن أولياءه من زناتة وأحياء زغبة ونهض الى المغرب سنة
سبع وخمسين وانتهى الى كلدامان ولقيه يعقوب بن عبد الحق في قومه فأوقع به وولى
يغمراسن منهزما ومرّ في طريقه بتافرسيت فانتسفها وعاث في نواحيها ثم تداعوا للسلم
ووضع أوزار الحرب وبعث يعقوب بن عبد الحق ابنه أبا مالك بذلك فتولى عقده وابرامه
ثم كان التقاؤهما سنة تسع وخمسين بواجر قبالة بني يرناس واستحكم عقد الوفاق
بينهما بذلك واتصلت المهادنة الى ان كان بينهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن كائنة النصارى وايقاع يغمراسن بهم) *

كان يغمراسن بن زيان بعد مهلك السعيد وانفضاض عساكر الموحدين قد استخدم
طائفة من جند النصارى الذين كانوا في جملته مستكثرا بهم معتدا بمكانهم مباهيا بهم في
المواقف والمشاهد وناولهم طرفا من حبل عنايته فاعتزوا به واستفحل أمرهم بتلمسان
حتى اذا كان سنة ثنتين بعد مرجعه من بلاد توجين في احدى حركاته اليها كانت قصة
غدرهم الشقاء التي أحسن الله في دفاعها عن المسلمين وذلك أنه ركب في بعض أيامه
لاعتراض الجنود بباب القرمادين من أبواب تلمسان وبينما هو واقف في موكبه عند
قائلة الضحى عدا عليه قائدهم وبادر النصارى الى محمد بن زيان أخي يغمراسن فقتلوه
وأشار له بالنجوى فبرز من الصف لاسراره وأمكنه من أذنه فنكبه النصراني وقد

Marfat.com

خالطه روعة أحس منها يغمراسن بمكره فانحاص منه وركض النصراني امامه يطلب النجاة وتبين الغدر وثارت بهم الدهماء من الحامية والرعايا فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدي الهلالية بكل مهلك فعصابا الرماح وهاما السيوف وشدخا بالعصي والحجارة حتى استلحموا وكان يوما مشهودا ولم يستخدم من بعدها جند النصارى بتلمسان حذرا من غائلتهم و يقال ان محمد بن زيان هو الذي داخل القائد في الفتك بأخيه يغمراسن وانه انما قتله عند ما لم يتم لهم الامر تبرأ من مداخلته فلم يمهله غاشي الهيعة للتنبت في شأنها والله أعلم

(الخبر عن تغلب يغمراسن على سجلماسة ثم مصيرها بعد الى ايالة بني مرين)

كان عرب المعقل منذ دخول العرب الهلاليين الى صحراء المغرب الاقصى احلافا وشيعا لزناتة وأكثر انحيازهم الى بني مرين الاذوى عبيد الله منهم لما كانت مجالاتهم لصق مجالات بني عبد الواد ومشاركة لها ولما استفحل شأن بني عبد الواد بين يدي ملكهم زحموهم عنها بالمناكب ونبذوا اليهم العهد واستلحقوا دونهم المنبات من ذوي منصور اقتالهم فكانوا احلافا وشيعة ليغمراسن ولقومه وكانت سجلماسة في مجالاتهم ومنقلب رحلتهم وكانت قد صارت الى ملك بني مرين ثم استبدبها القطراني ثم ثاروا به ورجعوا الى طاعة المرتضى وتولى كبر ذلك علي بن عمر كما ذكرناه في أخبار بني مرين ثم تغلب المنبات على سجلماسة وقتلوا عاملها علي بن عمر سنة ثنتين وستين وآثروا بغمراسن بملكها ودخل أهل البلد في القيام بدعوته وحملوهم عليها وحاجنوا بغمراسن فنهض اليها في قومه وأمكنوه من قيادها فضبطها وعقد عليها لولده يحيي وأنزل معه ابن أخته حنينة واسمه عبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درم من ولد محمد وأنزل معهما بغمراسن بن حمامة فيمن معهم من عشائرهم وحشدهم فأقام ابنه يحيي أميرا عليها الى أن غلب يعقوب بن عبد الحق الموحدين على دار خلافتهم واطاعته طنجة وعامة بلاد المغرب فوجه عزمه الى انتزاع سجلماسة من طاعة يغمراسن وزحف اليها في العساكر والحشود من زناتة والعرب والبربر ونصب عليها آلات الحصار الى أن سقط جانب من سورها فاقتحموها منه عنوة في صفر سنة ثلاث وسبعين واستباحوها وقتل القائد ان عبد الملك بن [illegible] وبغمراسن بن حمامة ومن معهم من بني عبد الواد أمراء المنبات وصارت الى طاعة بني مرين آخر الايام والملك بيد الله يؤتيه من يشاء

(الخبر عن حروب يغمراسن مع يعقوب بن عبد الحق)

قد ذكرنا ما كان من شان بني عبد المؤمن عند فشل دولتهم واستطالة بني مرين عليهم في الاستظهار ببني عبد الواد واتصال اليدبهم في الاخذ بحجزة عدوهم من بني مرين عليهم

Marfat.com

وما هلك المرتضى وولى أبو دبوس سنة خمس وستين وحمى وطيس فتنته مع يعقوب بن عبد الحق فراسل يغمراسن فى مدافعته وأكد العهد واسنى الهدية وأجلب اليه يغمراسن وشن الغارات على ثغور المغرب وأضرمها نارا وكان يعقوب بن عبد الحق محاصر المراكش فأفرج عنها ورجع الى المغرب واحتشد جموعه ونهض الى لقائه وتزاحف الفريقان بوادى تلاغ وقد استكمل كل تعبيته وكانت الوقيعة على يغمراسن استبيحت فيها حرمه واستلحم قومه وهلك ابنه أبو حفص عمر اعز ولده عليه فى اتراب له من عشيرته مثل ابن أخته عبد الملك بن حنينة وابن يحيى بن مكى وعمر بن ابراهيم بن هشلم ورجع عنه يعقوب بن عبد الحق الى مراكش حتى انقضى شأنه فى التغلب عليها ومحى أثر بنى عبد المؤمن منها ونزع لمحاربة بنى عبد الواد وحشد كافة أهل المغرب من المصامدة والجموع والقبائل ونهض الى بنى عبد الواد سنة سبعين فبرز اليه يغمراسن فى قومه وأوليائه من مغراوة والعرب وتزاحفوا بايسلى من نواحى وجدة فكانت الدبرة على يغمراسن وانكشف جموعه وقتل ابنه فارس ونجا بأهله بعد ان أضرم معسكره نارا تفاديا من معرة اكتساحه ونجا الى تلمسان فانحجر بها وهدم يعقوب بن عبد الحق وجدة ثم نازله بتلمسان واجتمع اليه هنالك بنو توجين مع أميرهم محمد ابن عبد القوى وصل يده بيد السلطان على يغمراسن وقومه وحاصروا تلمسان أياما فامتنعت عليهم وأفرجوا عنها وولى كل الى عمله ومكان ملكه حسبما نذكره فى أخبارهم وانعقدت بينهما المهادنة من بعد ذلك وفرغ يعقوب بن عبد الحق للجهاد ويغمراسن لمغالبة توجين ومغراوة على بلادهم الى أن كان من شأنهم ما نذكره والله أعلم

(الخبر عن شأن يغمراسن مع مغراوة وبنى توجين وما كان بينهم من الاحداث)

كانت مغراوة فى مواطنهم الاولى من نواحى شلب قد سالمتهم الدول عند تلاشى ملكهم وساموهم الجباية فرضوا بها مثل بنى ورسفين وبنى يلنث وبنى ورتزمير وكان فيهم سلطان لبنى منديل بن عبد الرحمن من أعقاب آل خزر ملوكهم الاولى منذ عهد الفتح وما بعده على ما ذكرناه فى خبرهم فلما انتثر عقد الخلافة بمراكش وتشظت عصاها وكثر الثوار والخوارج بالجهات استقل منديل بن عبد الرحمن وبنوه بتلك الناحية وملكوا ملوانة وتفس وشرشال وما اليها وتطاولوا الى متجة فتغلبوا عليها ثم مدوا أيديهم الى جبل وانشريس وما اليه فتناولوا الكثير من بلاده ثم أزاحهم عنها بنو عطية الجيو وقومه من بنى توجين المجاورون لهم فى مواطنهم بأعالى شلب شرقى أرض السوس وكان ذلك لاول دخول أحياء زناتة الناجعة بأرض القبلة الى التلول فتغلب بنو عبد الواد على نواحى تلمسان الى وادى صا وتغلب بنو توجين على ما بين الصحراء والتل من بلد المرية

Marfat.com

الى جبل وانشريس الى مرات الجعبات وصارا تحكم لملك بنى عبد الواد سك والبطحاء فمن قبليها مواطن بنى توجين ومن شرقيها مواطن مغراوة وكانت الفتنة بين بنى عبد الواد وبين هذين الحيين من أول دخولهم الى التلول (وكان المولى) الامير أبو زكريا بن أبى حفص يستظهر بهذين الحيين على بنى عبد الواد ويراغمهم بهم حتى كان من فتح تلمسان ماقدمناه وألبس جميعهم شارة الملك على ماذكرناه وتذكره فى أخبارهم فزاحموا يغمراسن بعدها بالمناكب وصرف هو اليهم وجه النقمة والحروب ولم يزل الشأن ذلك حتى انقرض ملك هذين الحيين لعهد ابنه عثمان بن يغمراسن وعلى يده ثم على يد بنى مرين من بعدهم كما يأتى ذكره (ولما رجع) يغمراسن بن زيان من لقاء بنى مرين بايسلى من نواحى وجدة وهلك مرجعه منها أنفذ يغمراسن العهد لابنه محمد الامير بعده وزحف الى بلاده فجاس خلالها ونازل حصونها فامتنعت عليه وأحسن محمد بن عبد القوى فى دفاعه ثم زحف ثانية سنة خمسين اليهم فنازل حصن تافركينت من حصونهم وكان به على بن أبى زيان حافد محمد بن عبد القوى فامتنع به فى طائفة من قومه ورجل يغمراسن كثيبا ولم يزل يغمراسن بعدها يثير الغارات على بلادهم ويجمع الكتائب على حصونهم وكان بتافركينت صنيعة من صنائع بنى عبد القوى ونسبه فى صنهاجة أهل ضاحية بجاية اختص بهذا الحصن ورسخت قدمه فيه واعتز بكثرة ماله وولده فأحسن الدفاع عنه وكان له مع يغمراسن فى الامتناع عليه أخبار مذكورة حتى سطا به بنو محمد بن عبد القوى حين شرهوا الى نقمته وأنفوا من استبداده فأتلفوا نفسه وتخطفوا نعمته فكان حتف ذلك الحصن فى حتفه كما يأتى ذكره (وعند) ماشبت نار الفتنة بين يغمراسن ومحمد بن عبد القوى وصل محمد يده بيعقوب بن عبد الحق فلما نازل يعقوب تلمسان سنة سبعين بعد أن هدم وجدة وهزم يغمراسن بايسلى جاءه محمد بن عبد القوى بقومه من بنى توجين وأقام معه على حصارها ورحلوا بعد الامتناع عليهم فرجع محمد الى مكانه ثم عاود يعقوب بن عبد الحق منازلة تلمسان سنة ثمانين وستمائة بعد ايقاعه بيغمراسن فى خرزوزة فلقيه محمد بن عبد القوى بالقسبات واتصلت أيديهم على تخريب بلاد يغمراسن مليا ونازلوا تلمسان أياما ثم افترقوا ورجع كل الى بلده (ولما) خاصر يغمراسن بن زيان من حصاره زحف الى بلادهم وأوطأ عسكره أرضهم فغلب على الضاحية وخرب عمرانها الى أن تملكها بعده ابنه عثمان كما نذكره (وأما) خبره مع مغراوة فكان عماد رأيه فيهم التغريب بين بنى منديل بن عبد الرحمن للمنافسة التى كانت بينهم فى رياسة قومهم ولما رجع من واقعة تلاغ سنة ست وستين وهى الواقعة التى هلك فيها ولده عمر زحف بعدها الى بلاد مغراوة فتوغل فيها وتجاوزها الى من

وراءهم من مليكش والثعالبة وأمكنه عمر من مليانة سنة ثمان وستين على شرط الموازرة والمظاهرة على اخوته فملكها يغمراسن يومئذ وصار الكثير من مغراوة الى ولايته وزحفوا معه الى المغرب سنة سبعين ثم زحف بعدها الى بلادهم سنة ثنتين وسبعين فتجافى له ثابت بن منديل عن تنس بعد ان أثخن فى بلادهم ورجع عنها فاسترجعها ثابت ثم نزل له عنها ثانيا سنة احدى وثمانين بين يدى مهلكه عند ما تم له الغلب عليهم والاثخان فى بلادهم الى أن كان الاستيلاء عليها لابنه عثمان على ما نذكره ان شاء الله

(الخبر عن انتزاء الزعيم بن مكن ببلد مستغانم)

كان بنو مكن هؤلاء من علية القرابة من بنى زيان يشاركونهم فى محمد بن زكراز بن يندوكسر بن طاع الله وكان لمحمد هذا أربعة من الولد كبيرهم يوسف ومن ولده جابر بن يوسف أول ملوكهم وثابت بن محمد ومن ولده زيان بن ثابت أبو الملوك من بنى عبد الواد ودرع بن محمد ومن ولده عبد الملك بن محمد بن على بنى قاسم بن درع المشتهر بأمه حنينة أخت يغمراسن بن زيان ومكن بن محمد وكان له من الولد يحيى وعمرس وكان من ولد يحيى الزعيم وعلى وكان يغمراسن بن زيان كثيرا ما يستعمل قرابته فى الممالك ويوليهم على العمالات وكان قد استوحش من يحيى بن مكن وابنه الزعيم وغربهما الى الاندلس فأجازا من هنالك الى يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان عام مئذ وهما فى جملته فأدركتهما النفرة على قومهما وآثرا مفارقة السلطان اليهم فأذن لهم فى الانطلاق ولحقا بيغمراسن ابن زيان حتى اذا كانت الواقعة عليه بخرزوزة سنة ثمانين كما قدمناه وزحف بعدها الى بلاد مغراوة وتجافى له ثابت بن منديل عن مليانة وانكفأ راجعا الى تلمسان استعمل على ثغر مستغانم الزعيم بن يحيى بن مكن فلما وصل الى تلمسان انتقض عليه ودعا الى الخلاف ومالأ عدوه من مغراوة على المظاهرة عليه فصمد اليه يغمراسن وحجزه بها حتى لاذ منه بالسلم على شرط الاجازة الى العدوة فعقد له وأجازه ثم أجاز على أثره أباه يحيى واستقر بالاندلس الى أن هلك يحيى سنة ثنتين وتسعين ووفد الزعيم بعد ذلك على يوسف ابن يعقوب وسخطه لبعض النزغات فاعتقله وفر من محبسه ولم يزل الاغتراب مطوحا به الى أن هلك والبقاء لله وحده ونشأ ابنه الناصر بالاندلس فكانت مثواه وموقف جهاده الى أن هلك (وأما) أخوه على بن يحيى فأقام بتلمسان وكان من ولده داود بن على كبير مشيخة بنى عبد الواد وصاحب شوراهم وكان منهم أيضا ابراهيم بن على عقد له أبو حمو الاوسط على ابنته فكان منها ولد ذكر وكان لداود ابن اسمه يحيى بن داود استعمله أبو سعيد ابن عبد الرحمن فى دولتهم الثانية على وزارتهم فكان من شأنه ما نذكره فى أخبارهم والامر لله

{الخبر عن شأن يغمراسن فى معاقدته مع ابن الاحمر والطاغية على فتنة يعقوب بن عبد الحق والاخذ بحجزته}

كان يعقوب بن عبد الحق لما أجاز الى الجهاد وأوقع بالعدو وخرب حصونهم ونازل اشبيلية وقرطبة وزلزل قواعد كفرهم ثم أجاز ثانية وتوغل فى دار الحرب وأثخن فيها وتخلى له ابن اشقيلولة عن مالقة فملكها وكان سلطان الاندلس يومئذ الامير محمد المدعو بالفقيه ثانى ملوك بنى الاحمر ملكهم هو الذى استدعى يعقوب بن عبد الحق للجهاد لما عهد له أبوه الشيخ بذلك فلما استفحل أمر يعقوب بالاندلس وتعاقب الثوار الى اللياذ به خشيه ابن الاحمر على نفسه وتوقع منه مثل فعل يوسف بن تاشفين بابن عباد فاعتمل فى أسباب الخلاص مما توهم وداخل الطاغية فى اتصال اليد والمظاهرة عليه وكان بمالقة ابن على استعمله عليها يعقوب بن عبد الحق حين ملكها من يد اشقيلولة فاستمالة ابن الاحمر وعده وادياله بشلوبانية من مالقة طعمة له خالصة فتخلى عن مالقة اليها وأرسل الطاغية أساطيله فى البحر لمنع الزقاق من اجازة السلطان وعساكره وراسلوا يغمراسن من وراء البحر فى الاخذ بحجزة يعقوب وشن الغارات على ثغوره ليكون ذلك شاغلا له عنهم فبادر يغمراسن باجابتهم وتردد الرسل اليه من الطاغية ومنه الى الطاغية كما نذكره ويث السرايا والبعوث فى نواحى المغرب فتشغل يعقوب عن شأن الجهاد حتى لقد ساله المهادنة وان يفرغ لجهاد العدو فأبى عليه وكان ذلك مما دعا يعقوب الى الصمود اليه بمواقعته بخرزوزة كما ذكرناه ولم يزل شأنهم ذلك مع يعقوب بن عبد الحق وأيديهم متصلة عليه من كل جهة وهو ينتهز الفرص فى كل واحد منهم متى أمكنه حتى هلك وهلكوا والله وارث الارض ومن عليها سبحانه

{الخبر عن شأن يغمراسن مع الخلفاء من بنى أبى حفص الذى كان يقيم بتلمسان دعوتهم ويأخذ قومه بطاعتهم}

كان زناتة يدينون بطاعة خلفاء الموحدين من بنى عبد المؤمن أيام كونهم بالقفار وبعد دخولهم الى التلول فلما فشل أمر بنى عبد المؤمن ودعا الامير أبو زكريا بن أبى حفص بافريقية لنفسه ونصب كرسى الخلاف للموحدين بتونس انصرفت اليه الوجوه من سائر الآفاق بالعدوتين وأملوه الكرة وأوفد زناتة عليه رسلهم من كل حى بالطاعة ولاذ مغراوة وبنو توجين بظل دعوته ودخلوا فى طاعته واستنهضوه لتلمسان فنهض اليها وافتتحها سنة أربعين ورجع اليها يغمراسن واستعمله عليها وعلى سائر ممالكها فلم يزل مقيما لدعوته واتبع أثره بنو مرين فى اقامة الدعوة له فيما غلبوا عليه من بلاد المغرب وبعثوا اليه ببيعه مكناسة وتازى والقصر كما نذكره فى أخبارهم الى ما دانوا به

Marfat.com

ولابنه المستنصر من بعده من خطاب التمويل والاشارة بالطاعة والانقياد حتى غلبوا
على مراكش وخطبوا باسم المستنصر على منابرها حينا من الدهر ثم تبين لهم
بعد تناول تلك القاصية عليه فعطلوا منابرهم من أسمائه أولئك وأقطعوهم جانب
الوداد والموالاة ثم سموا الى اللقب والتفنن فى الشارة الملوكية كما تقتضيه طبيعة
الدول وأما يغمراسن وبنوه فلم يزالوا آخذين بدعوتهم واحدا بعد واحد متجافين عن
اللقب أدبا معهم مجددين البيعة لكل من يتجدد قيامه بالخلافة منهم يوفدون بها كبار
أبنائهم وأولى الرأى من قومهم ولم يزل الشأن ذلك ولما هلك الامير أبو زكريا وقام ابنه
محمد المستنصر بالامر من بعده وخرج عليه أخوه الامير أبو اسحق فى احياء الزواودة
من رياح ثم غلبهم المستنصر جميعا ولحق الامير أبو اسحق بتلمسان فى أهله فأكرم
يغمراسن نزلهم وأجاز الى الاندلس للمرابطة بها والجهاد حتى اذا هلك المستنصر
سنة سبع وسبعين واتصل به خبر مهلكه ورأى انه أحق بالامر فأجاز البحر من حينه
ونزل بمرسى هنى سنة سبع وسبعين والقاه يغمراسن مبرة وتوقيرا واحتفل لقدومه
وأركب الناس لتلقيه وأتاه ببيعته على عادته مع سلفه ووعده النصرة على عدوه
والموازرة على أمره وأصهر اليه يغمراسن فى احدى بناته المقصورات فى خيام
الخلافة بابنه عثمان ولى عهده وأسعفه وأجل فى ذلك وعده وانتقض محمد بن أبى هلال
عامل بجاية على الواثق وخلع طاعته ودعا للامير أبى اسحق واستحثه للقدوم فأغذ اليه
السير من تلمسان وكان من شأنه ما قدمناه فى أخباره فلما كانت سنة احدى وثمانين
وزحف يغمراسن الى بلاد مغراوة وغلبهم على الضواحى والامصار بعث من هنالك ابنه
ابراهيم وتسميه زنانة برهوم ويكنى أبا عامر أوفده فى رجال من قومه على الخليفة أبى
اسحق لاحكام الصهر بينهما فنزلوا منه على خير نزل من اسناء الجراية ومضاعفة
الكرامة والمبرة وظهر من آثاره فى حروب ابن أبى عمارة ما مد الاعناق اليه وقصر
الشيم الزناتية على بيته ثم انقلب آخرا بطعينته محبوا ومحبورا وابتنى بها عثمان لحين
وصولها وأصبحت عقيلة قصره فكان ذلك مفخر الدولة وذكرا له ولقومه ولحق الامير
أبو زكريا ابن الامير أبى اسحق بتلمسان بعد خلوصه من مهلك قومه فى واقعة الدعى بن
أبى عمارة عليهم بمرماجنة سنة ثنتين وثمانين فنزل من عثمان بن يغمراسن صهره خير نزل
براوا حتفاه وتكريما وملاطفة وسربت اليه أخته من القصر أنواع التحف والانس
ولحق به أولياؤهم من صنائع دولتهم وكبيرهم أبو الحسن محمد بن الفقيه المحدث أبى بكر
ابن سيد الناس اليعمرى فتفيؤا من كرامة الدولة بهم ظلا وارفا واستنهضوه الى ثرات
ملكه وفاوض أباه وأشواه عثمان بن يغمراسن فى ذلك فناكره لما كان قد أخذه بدعوة

Marfat.com

الحضرة وافد عليه رجال دولته بالبيعة على العادة فى ذلك فحدث الامير أبو زكريا نفسه بالفرار عنه ولحق بداود بن هلال بن عطاف أمير البدو من بنى عامر احدى بطون زغبة فأجاره وأبلغه مامنه فجبا الزوادة أمراء البدو بعمل الموحدين ونزل منهم على عطية بن سليمان بن سباع كما قدمناه واستولى على بجاية سنة أربع وثمانين بعد خطوب بذكرناها وقطعها عن ملك عمه صاحب الدولة بتونس أبى حفص ووفى لداود ابن عطاف وأقطعه بومان ببجاية عملا كبيرا افرد لجبايته كان فيه من وادى بجاية واشتغل الامير أبو زكريا بمملكة بونة وقسنطينة وبجاية والجزائر والزاب وما وراءه وكان هذا الصهر وصلة له مع عثمان بن يغمراسن وبنيه (ولما نازل) يوسف بن يعقوب تلمسان سنة ثمان وتسعين بعث الامير أبو زكريا المدد من جيوشه الى عثمان بن يغمراسن وبلغ الخبر بذلك الى يوسف بن يعقوب فبعث أخاه أبا يحيى فى العساكر لاعتراضهم والتقوا بجبل الزاب فكانت الدبرة على عسكر الموحدين واستلحموا هنالك وتسمى المعركة لهذا العهد بمرسى الرؤس واستحكمت من أجل ذلك صاغية الخليفة بتونس الى بنى مرين وأوفد عليهم مشيخة من الموحدين يدعوهم الى حصار بجاية وبعث معهم الهدية الفاخرة وبلغ خبرهم الى عثمان بن يغمراسن من وراء جدره فتنكر لها وأسقط ذكر الخليفة من منابره ومحاه من عمله فنسى لهذا العهد والله مالك الامر سبحانه

الخبر عن مهلك يغمراسن بن زيان وولاية ابنه عثمان وما كان فى دولته من الاحداث

كان السلطان يغمراسن قد خرج من تلمسان سنة احدى وثمانين واستعمل عليها ابنه عثمان وتوغل فى بلاد مغراوة وملك ضواحيهم ونزل له ثابت بن منديل عن مدينة تنس فتناولها من يده ثم بلغه الخبر باقبال ابنه أبى عامر برهوم من تونس بابنة السلطان أبى اسحق عرس ابنه عثمان فتلوم هنالك الى أن لحقه بظاهر مليانة فارتحل الى تلمسان وأصابه الوجع فى طريقه وعندما أحل سريره اشتد به وجعه فهلك هنالك آخر ذى القعدة من سنته والبقاء لله وحده فحمله ابنه أبو عامر على أعواد ووارا ه فى حدر مورنا لمرضه الى أن تجاوز بلاد مغراوة الى سلك ثم أغذ السير الى تلمسان فلقيه أخوه عثمان بن يغمراسن ولى عهد أبيه فى قومه فبايعه الناس وأعطوه صفقة أيمانهم ثم دخل تلمسان فبايعه العامة والخاصة وخاطب لحينه الخليفة بتونس أبا اسحق وبعث اليه ببيعته فراجعه بالقبول وعقد له على عمله على الرسم ثم خاطب يعقوب بن عبد الحق يخطب منه السلم لما كان أبوه يغمراسن أوصاه به (حدثنا) شيخنا العلامة أبو عبد الله محمد بن

ابراهيم الايلي قال سمعت من السلطان أبي حمو موسى بن عثمان وكان قهرمانا بداره قال أوصى دادا يغمراسن لدادا عثمان ودادا حرف كناية عن غاية التعظيم بلغتهم فقال له يابني ان بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على الاعمال الغربية وعلى حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم اذا جمعوا الوفور ومددهم ولا يمكنني أنا القعود عن لقائهم لمعرة النكوص عن القرب التي أنت بعيد عنها فايالك واعتماد لقائهم وعليك باللياذ بالجدران متى دلفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك عن عمالات الموحدين وعمالكهم يستفعل به ملكك وتكاف حشد العدو بحشدك ولعلك تصير بعض الثغور الشرقية معقلا لذخيرتك فعلقت وصية الشيخ بقلبه وعقد عليها ضمائره وجنح الى السلم مع بني مرين ليفرغ عزمه لذلك وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على يعقوب بن عبد الحق بمكانه من العدوة الاندلسية في اجازته الرابعة اليها فخاض اليه البحر ووصله باركش فلقاه برا وكرامة وعقد له على السلم ما أحب وانكفت راجعا الى أخيه فطابت نفسه وفرغ لافتتاح البلاد الشرقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن شأن عثمان بن يغمراسن مع مغراوة وبني توجين وغلبه على معاقلهم والكثير من أعمالهم

لما عقد عثمان بن يغمراسن السلم مع يعقوب بن عبد الحق صرف وجهه الى الاعمال الشرقية من بلاد توجين ومغراوة وما وراءها من أعمال الموحدين فتغلب أولا على ضواحي بني توجين ومغراوة وما وراءها ودوخ قاصيتها وسار الى بلاد مغراوة كذلك ثم الى متيجة فانتسف زعمها وحطم زرعها ثم تجاوزها الى بجاية فحاصرها كما نذكره بعد وامتنعت عليه فانكف راجعا ومر في طريقه بمازونة فحاصرها وأطاعته وذلك سنة ست وثمانين ونزل له ثابت بن منديل أمير مغراوة عن تنس فاستولى عليها وانتظم سائر بلاد مغراوة في ايالته ثم عطف في سنته على بلاد توجين فاكتسح حبوبها واحتكرها بمازونة استعدادا لما يتوقع من حصار مغراوة اياها ثم دلف الى تافركينت فحاصرها وأخذ بخنقها ودخل قائدها غالبا الخصي من موالي بني محمد بن عبد القوى كان مولى سيد الناس منهم فنزل له غالب عنها وانكفأ الى تلمسان ثم نهض الى بني توجين سنة سبع وثمانين فغلبهم على وانشريس مثوى ملكهم ومنبت عزهم وفر أمامه أميرهم مولى بني زرارة من ولد محمد بن عبد القوى وأخذ الحلف منهم فلحق بضواحي المرية في الاعشار وأولاد عزيز من قومه واتبع عثمان بن يغمراسن آثارهم وشردهم من تلك القاصية وهلك مولى زرارة في مغرة وكان عثمان قبل ذلك قد دوخ بلاد بني يدلتن من بني توجين ونازل رؤساءهم أولاد سلامة بالقلعة المنسوبة اليهم مرات فامتنعوا عليه ثم أعطوه

Marfat.com

أيديهم على لطاعة ومفارقة قومهم بنى توجين الى سلطان بنى يغمراسن فنبذوا العهد الى بنى محمد بن عبد القوى أمرائهم منذ العهد الاول ووصلوا أيديهم بعثمان وألزموا رعاياهم وعمالهم المغارم له الى أن ملك وانشريس من بعدها كما نذكر ذلك فى أخبارهم وصارت بلاد توجين كلها من عمله واستعمل الحشم بجبل وانشريس ثم نهض بعدها الى المزية وبها أولاد عزيز من توجين فنازلها وقام بدعوته فيها قبائل من صنهاجة يعرفون بلمدية واليهم ينسب فأمكنوه منها سنة ثمان وثمانين وبقيت فى ايالته سبعة أشهر ثم انتقضت عليه ورجعت الى ولاية أولاد عزيز وصالحوه عليها وأعطوه من الطاعة ما كانوا يعطونه محمد بن عبد القوى وبنيه فاستقام أمره فى بنى توجين ودانت له سائر أعمالهم ثم خرج سنة تسع وثمانين الى بلاد مغراوة لما كانوا عليه لبنى مرين فى احدى حركاتهم على تلمسان فدوخها وأنزل ابنه أبا حمو بشلب مركز عملهم فأقام به وقفل هو الى الحضرة وتحيز فل مغراوة الى نواحى متيجة وعليهم ثابت بن منديل أميرهم فلم يزالوا به ونهض عثمان اليهم سنة ثلاث وتسعين بعدها فانحجزوا المدينة يرشك وحاصرهم بها أربعين يوما ثم افتتحها وخامش ثابت البحر الى المغرب فنزل على يوسف ابن يعقوب كما نذكره واستولى عثمان على سائر عمل مغراوة كما استولى على عمل بنى توجين فانتظم بلاد المغرب الاوسط كلها وبلاد زناتة الاولى ثم اشتغل بفتنة بنى مرين كما نذكر بعد ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة بجاية وما دعا اليها)

قد ذكرنا ان المولى أبا زكريا الاوسط بن المولى أبى اسحق بن أبى حفص لحق بتلمسان عند فراره من بجاية أمام شيعة الدعى بن أبى عمارة ونزل على عثمان بن يغمراسن خير نزل ثم هلك الدعى ابن أبى عمارة واستقل عمه الامير أبو حفص بالخلافة وبعث اليه عثمان ابن يغمراسن بطاعته على العادة وأوفد عليه وجوه قومه ودس الكثير من أهل بجاية الى الامير أبى زكريا يستحثونه للقدوم ويعدونه اسلام البلد اليه وفاوض عثمان بن يغمراسن فى ذلك فأبى عليه وفاء بحق البيعة لعمه الخليفة بالحضرة فطوى عنه الخبر وتردد فى النقض أياما ثم لحق باحياء زغبة فى مجالاتهم بالقفر ونزل على داود بن هلال ابن عطاف وطلب عثمان بن يغمراسن اسلامه فأبى عليه وارتحل معه الى أعمال بجاية ونزلوا على أحياء الزواودة كما قدمناه ثم استولى المولى أبو زكريا بعد ذلك على بجاية فى خبر طويل ذكرناه فى أخباره واستحكمت القطيعة بينه وبين عثمان وكانت سببا لاستحكام الموالاة بين عثمان وبين الخليفة بتونس فلما زحف اليه عثمان سنة ست وثمانين وتوغل فى قاصية الشرق أعمل الى عمل بجاية ودوخ سائر أقطارها ثم نازلها بعد

ذلك يروم كيدها بالاغتيال فى مرضة خليفته بتونس ويسرّبذلك حسوا فى ارتقاء فأناخ عليها بعساكره سبعا ثم أفرج عنها منقلبا الى المغرب الاوسط فكان من فتح تافركينت ومازونة ماقدمناه

(الخبر عن معاودة الفتنة مع بنى مرين وشأن تلمسان فى الحصار الطويل)

لما هلك يعقوب بن عبد الحق سلطان بنى مرين على السلم المنعقد بينه وبين بنى عبد الواد لشغله بالجهاد وقام بالامر من بعده فى قومه ابنه يوسف كبير ولده على شأن الجهاد واستتم يغمراسن وابنه بمالاة الطاغية وابن الاحمر فعقد يوسف بن يعقوب السلم مع الطاغية لحينه ونزل لابن الاحمر عن ثغور الاندلس التى كانت لهم وفرغ لحرب بنى عبد الواد واستتب له ذلك لاربع من مهلك أبيه دلف الى تلمسان سنة تسع وثمانين ولاذ منه عثمان بالاسوار فنازلها صباحا وقطع شجرها ونصب عليها المجانيق والآلات ثم أحس بامتناعها فأفرج عنها وانكفأ راجعا وتقبل عثمان بن يغمراسن مذهب أبيه فى مداخلة ابن الاحمر والطاغية وأوفد رسله عليها فلم يغن ذلك عنه شيأ وكان مغراوة قد لحقوا بيوسف بن يعقوب بتلمسان فنالوا منه أعظم النيل فلما أفرجوا عن تلمسان نهض عثمان الى بلادهم فدوخها وغلبهم عليها وأنزل ابنه أبا حمو بها كما قدمناه فلما كانت سنة خمس وتسعين نهض يوسف بن يعقوب الى حركته الثانية فنازل ندرومة ثم ارتحل عنها الى ناحية وهران وأطاعه أهل جبل كيدره وتاسكدلت رباط عبد الحميد بن الفقيه أبى زيد اليرناسى ثم كر راجعا الى المغرب وخرج عثمان بن يغمراسن فأثخن فى تلك الجبال لطاعتهم عدوه واعتراضهم جنده واستباح رباط تاسكدلت ثم أغزاه يعقوب بن يوسف ثالثة سنة ست وتسعين ثم رجع الى المغرب ثم أغزاه رابعة سنة سبع وتسعين فتأثل تلمسان وأحاط بها معسكره وشرعوا فى البناء ثم أفرج عنها لثلاثة أشهر ومر فى طريقه بوجدة فأمر بتجديد بنائها وجمع الفعلة عليها واستعمل أخاه أبا يحيى بن يعقوب على ذلك وأقام لشأنه ولحق يوسف بالمغرب وكان بنو توجين قد نازلوا تلمسان مع يوسف بن يعقوب وتولى كبر ذلك منهم أولاد سلامة أمراء بنى يدللتن وأصحاب القلعة المنسوبة اليهم فلما أفرج عنها خرج اليهم عثمان بن يغمراسن فدوخ بلادهم وحاصرهم بالقلعة ونال منها أضعاف ما نالوا منه وطال مغيبه فى بلادهم فخالفه أبو يحيى بن يعقوب الى ندرومة فاقتحمها عنوة بعسكره بعد اخلاله من قائدها زكريا بن يخلف بن المنصرى صاحب توقت فاستولى بنو مرين على ندرومة وتوقت وجاء يوسف بن يعقوب على أثرهما فوافاهم ودلفوا جميعا الى تلمسان وبلغ الخبر الى عثمان بمكانه من حصار القلعة فطوى المراحل الى تلمسان فسبق اليها يوسف بن يعقوب بعض يوم ثم أشرفت طلائع

Marfat.com

بنى مرين عشى ذلك اليوم فأناخوا بها فى شعبان سنة ثمان وتسعين وأحاط العسكر بها من جميع جهاتها وضرب يوسف بن يعقوب عليها سياجا من الاسوار محيطا بها وفتح فيه أبوابا مداخل لحربها واختط لنزله الى جانب الاسوار مدينة سماها المنصورة وأقام على ذلك سنين يغاديها القتال ويراوحها وسرح عسكره لافتتاح المغرب الاوسط وثغوره فملك بلاد مغراوة وبلاد توجين كما ذكرناه فى أخباره وجثم هو بمكانه من حصار تلمسان لا يعدوها كالاسد الضارى على فريسته الى أن هلك عثمان وهلك هو من بعده كما نذكره والى الله المصير سبحانه وتعالى لا رب غيره

{الخبر عن ملك عثمان بن يغمراسن وولايته ابنه} {أبى زيان وانتهاء الحصار من بعده الى غايته}

لما أناخ يوسف بن يعقوب بعساكره على تلمسان انحجز بها عثمان وقومه واستسلموا والحصار آخذ بمخنقهم وهلك عثمان لخامسة السنين من حصارهم سنة ثلاث وسبعمائة وقام بالامر من بعده ابنه أبو زيان محمد (أخبرنى) شيخنا العلامة محمد بن ابراهيم الابلى وكان فى صباه قهرمان دارهم قال هلك عثمان بن يغمراسن بالدمياس وكان قد أعد لشربه لبنا فلما أخذ منه وعطش دعا بالقدح فشرب اللبن وقام فلم يكن بأوشك ان فاضت نفسه وكنا نرى معشر الصنائع انه داف فيه السم تفاديا من معرة غلب عدوهم اياهم قال وجاء الخادم الى قعيدة بيته زوجه بنت السلطان أبى اسحق بن الامير أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص صاحب تونس وخبرها الخبر فجاءت ووقعت عليه واسترجعت وخيمت على الابواب بسدادها ثم بعثت الى ابيه محمد أبى زيان وموسى أبى حمو فعزتهما عن أبيهما وأحضرا مشيخة بنى عبد الواد وعرضوا لهم بعرض السلطان فقال أحدهم مستفهما عن الشأن ومترجما عن القوم السلطان معنا آنفا ولم يمتد الزمن لوقوع المرض فان يكن هلك فخبرونا فقال له أبو حمو واذا هلك فما أنت صانع فقال انما نخشى من مخالفتك والا فسلطاننا أخوك الاكبر أبو زيان فقام أبو حمو من مكانه وأكب على يد أخيه يقبلها وأعطاه صفقة يمينه واقتدى به المشيخة فانعقدت بيعته لوقته واشتمل بنو عبد الواد على سلطانهم واجتمعوا اليه وبرزوا الى قتال عدوهم على العادة فكان عثمان لم يمت (وبلغ الخبر) الى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فتفجع له وعجب من صرامة قومه من بعده واستمر حصاره اياهم الى ثمانية سنين وثلاثة أشهر من يوم نزوله نالهم فيها من الجهد مالم ينله أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران حتى انهم زعموا انهم أكلوا فيها اثلاء الموتى من الناس وخربوا السقف للوقود وغلت أسعار الاقوات

Marfat.com

والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود العوائد وعجز وجدهم عنه فكان ثمن مكيال القمح الذى يسمونه البرشالة و يتبايعون به مقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالا ومن الضان سبعة مثاقيل ونصفا واثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمر بثمن المثقال ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال والرطل من الجلد البقرى ميتة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجن بمثقال ونصف والكلب بمثله والفار بعشرة دراهم والحية بمثله والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والاوقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين ومن الفول بمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن اللفت بخمسة عشر درهما والواحدة من القثاء والقوس بأربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضاقت أحوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها واتسعت خطة مدينة المصورة المشيدة عليها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت فى العمران بمالم تبلغه مدينة وخطب الملوك سلمه ووده ووفدت عليه رسل الموحدين وهداياهم من تونس و بجاية وكذلك رسل صاحب مصر والشام وهديته واعتزازه الاكفاء له كما يأتى فى أخباره وهلك الجندحامية بنى يغمراسن وقبيلتهم وأشرفوا على الهلاك فاعتزموا على الالقاء باليد والخروج بهم للاستمانة فكيف الله لهم الصنيع الغريب ونفس عن مخنقهم بهلك السلطان يوسف بن يعقوب على يد خصى من العبيد فأسخطته بعض النزغات الملوكية فاعتمده فى كسر بيته ومخدع نومه وطعنه بخنجر قطع أمعاءه وأدرك فسيق الى وزرائه فمزقوه اشلاء ولم يبق شئ من بقايا عهدهم كما ذكرناه والامر لله وحده وأذهب الله العفاء عن آل زيان وقومهم وساكنى مدينتهم كانما نشروا من اجداث وكتبوا لها فى سكتهم ما أقرب فرج الله استغرابا لحادثتها (وحدثنى) شيخنا محمد بن ابراهيم الابلى قال جلس السلطان أبو زيان صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء فى خلوة زوايا قصره واستدعى ابن حجاف خازن الزرع فسأله كم بقى من الاهراء والمطامير المختومة فقال له انما بقى عونة اليوم وغد فاستوصاه بكتمانها وبينما هم فى ذلك دخل عليه أخوه أبو حمو فأخبروه فوجم لها وجلس واسكوتا لا ينطقون واذا بالخادم دعدق هرمانة القصر من وصائف بيت السلطان أبى اسحق وحظية أبيهم خرجت من القصر الهم وحيتهم تحيتها وقالت تقول لكم حفظايا قصركم

و بنات زيان حرمكم مالنا وللبقاء وقد أحيط بكم واسف عدوكم لاتهامكم ولم يبق الافواق بكية لصارعكم فأريحونا من معرة السبي وأريحوا فينا أنفسكم وفروا الى مهالكنا فالحياة فى الذل عذاب والوجود بعدكم عدم فالتفت أبوحمو الى أخيه وكان من الشفقة بمكان وقال قد صدقتك الخبر فما تنظر بهن فقال ياموسى أرجئنى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولاتشاورنى بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتالهن وتعال الى تخرج مع قومنا الى عدونا فنسمت ويقضى الله مايشاء فغضب أبوحمو وأنكر الارجاء فى ذلك وقال انما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا وقام عنه مغضبا وجهش السلطان أبوزيان بالبكاء قال ابن خلدون وانا بمكانى بين يديه لاأملك متأخرا ولامتقدما الى أن غلب عليه النوم فراعنى الاحرسى الباب يشير الى أن اذن السلطان بمكان رسول من معسكر بنى مرين لسيدة القصر فلم أطق رجع جوابه الاباشارة وانتبه السلطان من خفيف اشارتنا فزعا فأذنته واستدعاه فلما وقف بين يديه قال له ان يوسف بن يعقوب هلك الساعة وانا رسول حافده أبى ثابت اليكم فاستبشر السلطان واستدعى أخاه وقومه حتى أبلغ الرسول رسالته بمسمع منهم وكانت احدى المغربات فى الايام (وكان من خبر هذه الرسالة) ان يعقوب بن يوسف لما هلك تطاول للامر الاعياص من اخوته وولده وحفدته وتحيز أبو ثابت حافده الى بنى ورتاجن لحولة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوصبوا عليه وبعث الى أولاد عثمان بن يغمراسن أن يعطوه الآلة ويكونوا مفزعاله وأمنا ان أخفق مسعاه على انه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مرين فعاقدوه عليها ووفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التى كان يوسف بن يعقوب استولى عليها من بلادهم وجاء بجميع الكتائب التى أنزلها فى ثغورهم وقفلوا الى أعمالهم بالمغرب الاوسط كلها الى أن كان من أمره مانذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن السلطان أبى زيان بعد الحصار الى حين مذكه)

كان من أول ما افتتح به السلطان أبوزيان أمره بعد الخروج من هون الحصار وتناوله الاعمال من يد بنى مرين أن نهض من تلمسان ومعه أخوه أبوحمو آخر ذى الحجة من سنة ست وسبعمائة فقصد بلاد مغراوة وشرد من كان هنالك منهم فى طاعة بنى مرين واحتاز الثغور من يد عمالهم ودوخ قاصيتها ثم عقد عليها المسامح مولاه ورجع عنها فنهض الى السرسو وكان العرب قد تملكوه أيام الحصار وغلبوا زناتة عليه من سويد والديالم ومن اليهم من بنى يعقوب بن عافى فأجفلوا أمامه واتبعوا آثارهم الى أن أوقع بهم وانكفأ راجعا ومر ببلاد بنى توجين فاقتضى طاعة من كان بقى بالجبل من

Marfat.com

بنى عبد القوى وقفل الى تلمسان لتسعة أشهر من خروجه وقد تنفس أطراف ملكه ومسح أعطاف دولته فنظر فى اصلاح قصوره ورياضه ورمم ما تثلم من بلده وأصابه المرض خلال ذلك فاشتد وجعه سبعة أيام هلك أخريات شوال من سنة سبع و لبقاء الله وحده

(الخبر عن محو الدعوة الحفصية من منابر تلمسان)

كانت الدعوة الحفصية بافريقية قد انقسمت بين أعيادهم فى تونس و بجاية وأعمالها وكان التخم بينهما بلد عجيشة ووشتاتة وكان الخليفة بتونس الامير أبو حفص ابن الامير أبى زكريا الاول منهم وله الشفوف على صاحب بجاية والثغور الغربية بالحضرة فكانت بيعة بنى زيان له والدعاء على منابرهم باسمه وكانت لهم مع المولى الامير أبى زكريا الاوسط صاحب بجاية وصلة لمكان الصهر بينهم وبينه وكانت الوحشة قد اعترضت ذلك عند ما نزل عثمان بجاية كما قدمناه ثم تراجعوا الى وصلتهم واستمروا عليها الى أن نازل يوسف بن يعقوب تلمسان والبيعة يومئذ للخليفة بتونس السلطان أبى عصيدة بن الواثق والدعوة على منابر تلمسان باسمه وهو حاقد عليهم ولا يتهم للامير أبى زكريا الاوسط صاحب الثغر فلما نزل يوسف بن يعقوب بأعلى تلمسان و بعث عساكره فى قاصية الشرق استجاش عثمان بن يغمراسن بصاحب بجاية فسرح عسكرا من الموحدين لمدافعتهم عن تلك القاصية والتقوا معهم بجبل الزاب فانكشف الموحدون بعد معترك صعب واستلحمهم بنو مرين ويسمى المعترك لهذا العهد بمرسى الرؤس لكثرة ما تساقط فى ذلك المجال من الرؤس واستحكمت المنافرة بين يوسف بن يعقوب وصاحب بجاية فأوفد الخليفة بتونس على يوسف بن يعقوب مشيخة من الموحدين تجديد الوصلة سلفهم مع سلفه واغراءه بصاحب بجاية وعمله فجاء موقع ذلك من عثمان بن يغمراسن وأحفظه عما لاته خليفته لعدوه فعطل منابره من ذكره وأخرج قومه وايالته عن دعوته وكان ذلك آخر المائة السابعة والله تعالى أعلم

(الخبر عن دولة أبى حمو الاوسط وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك الامير أبو زيان قام بالامر بعده أخوه أبو حمو فى أخريات سنة سبع كما قدمناه وكان صارما يقظا حازما داهية قوى الشكيمة صعب العريكة شرس الاخلاق مفرط الدهاء والحدة وهو أول ملوك زناتة رتب مراسم الملك وهذب قواعده وأرهف فى ذلك لاهل ملكه حده وقلب لهم مجن بأسه حتى ذلوا لعز ملكه وتأدبوا بآداب السلطان (سمعت) عريف بن يحيى أمير سويد من زغبة وشيخ المجالس الملوكية يقول و يعنيه موسى بن عثمان هو معلم السياسة الملوكية لزناتة وانما كانوا رؤساء بادية حتى قام فيهم موسى بن عثمان فحدودها وهذب مراسمها ونقل عنه ذلك امثاله وانظاره فتقبلوا

Marfat.com

مذهبه واقتدوا بتعليمه انتهى كلامه (ولما استقل) بالامر افتتح شأنه بعقد السلم مع سلطان بنى مرين لاول دولته فأوفد كبراء دولته على السلطان أبى ثابت وعقد له السلم كما رضى ثم صرف وجهه الى بنى توجين ومغراوة فردد اليهم العساكر حتى دوخ بلادهم وذلل صعابهم وشرد محمد بن عطية الاصم عن نواحى وانشريس وراشد بن محمد عن نواحى شلب وكان قد لحق بها بعد مهلك يوسف بن يعقوب فأزاحه عنها واستولى على العملين واستعمل عليهما وقفل الى تلمسان ثم خرج سنة عشر فى عساكره الى بلاد بنى توجين ونزل تافركينت وسط بلادهم فشرد من أعقاب محمد بن عبد القوى عن وانشريس واحتازر ياستهم فى بنى توجين دونهم وأدام منهم بالحشم وبنى تيغزين وعقد لكبيرهم يحيى بن عطية على رياسة قومه فى جبل وانشريس وعقد ليوسف بن حسن من أولاد عزيز على وأعمالها وعقد لسعد من بنى سلامة على قومه من بنى يدلتن احدى بطون بنى توجين وأهل الناحية الغربية من عملهم وأخذ من سائر بطون بنى توجين الرهن على الطاعة والجباية واستعمل عليهم جميعا من صنائعه قائده يوسف بن حيون الهوارى وأذن له فى اتخاذ الآلة وعقد لمولاه مسامح على بلاد مغراوة واذن له أيضا فى اتخاذ الآلة وعقد لمحمد بن عمه يوسف على مليانة وأنزله بها وقفل الى تلمسان والله أعلم

(الخبر عن استزال زيرم بن حماد من ثغر برشك وما كان قبله)

كان هذا الغمر من مشيخة هذا القصر لوفور عشيرته من مكلاته داخله وخارجه واسمه زيرى بالياء فتصرفت فيه العامة وصار زيرم بالميم ولما غلب يغمراسن على بلاد مغراوة دخل أهل هذا القصر فى طاعته حتى اذا هلك حدثت هذا الغمر نفسه بالانتزاء والاستبداد بملك برشك ما بين مغراوة وبنى عبد الواد ومدافعة بعضهم ببعض فاعتزم على ذلك وأمضاه وضبط برشك لنفسه سنة ثلاث وثمانين ونهض اليه عثمان بن يغمراسن سنة أربع بعدها ونازله فامتنع ثم زحف سنة ثلاث وتسعين الى مغراوة فلجأ ثابت بن منديل الى برشك وحاصره عثمان بها أربعين يوما ثم ركب البحر الى المغرب كما قلناه وأخذ زيرى بعدها بطاعة عثمان بن يغمراسن دافعه بها وانتقض عليه مرجعه الى تلمسان وشغل بنو زيان بعدها بعاد همهم من شأن الحصار فاستبد زيرى هذا ببرشك واستفحل شأنه بها واتقى بنى مرين عند غلبهم على بلاد مغراوة وتردد عساكرهم فيها باخلاص الطاعة والانقياد فلما انقشع ايالة بنى مرين بمهلك يوسف بن يعقوب وخرج بنو يغمراسن من الحصار رجع الى ديدنه من التمريض فى الطاعة ومناولة طرفها على البعد حتى اذا غلب أبو حمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعته هذا المصر الى ماوراءه

Marfat.com

خشيه زيرى على نفسه وخطب منه الامان على أن ينزل له عن المصر فبعث اليه رئيس
الفتيا بدولته أبا زيد عبد الرحمن بن محمد الامام كان أبوه من أهل برشك وكان زيرى
قد قتله لاول ثورته غيلة وفر ابنه عبد الرحمن هذا وأخوه عيسى ولحقا بتونس فقرا بها
ورجعا الى الجزائر فأوطناها ثم انتقلا الى مليانة واستعملها بنو مرين فى خطة القضاء
بمليانة ثم وفدا بعد مهلك يوسف بن يعقوب على أبى زيان وأبى حمو مع عمال بنى مرين
وقوادهم بمليانة وكان فيهم منديل بن محمد الكنانى صاحب أشغالهم المذكور فى أخبارهم
وكانا يقرآن ولده محمدا فاشادا عند أبى زيان وأبى حمو بمكانهما من العلم ووقع ذلك من أبى
حمو أبلغ المواقع حتى اذا استقل بالامر ابتنى المدرسة بناحية المطهر من تلمسان لطلبة
العلم وابتنى لهما دارين على جانبيها وجعل لهما التدريس فيها فى ايوانين معدين لذلك
واختصهما بالفتيا والشورى فكانت لهما فى دولته قدم عالية فلما خطب زيرى هذا
الامان من أبى حمو وان يبعث اليه من يأمن معه فى الوصول الى بابه بعث اليه أبا زيد
عبد الرحمن الاكبر منهما فنهض لذلك بعد أن استأذنه فى أن يئأرمنه بأبيه ان قدر عليه
فأذن له فلما احتل ببرشك أقام بها أياما يغاديه فيها زيرى ويراوحه بمكان نزله وهو يعمل
الحيلة فى اغتياله حتى اذا أمكنته فقتله فى بعض تلك الايام سنة ثمان وسبعمائة وصار
أمر برشك الى السلطان أبى حمو وانمحى منه أثر المشيخة والاستبداد والامور بيد الله
سبحانه

• (الخبر عن طاعة الجزائر واستزال ابن علان منها وذكر أوليته) •

كانت مدينة الجزائر هذه من أعمال صنهاجة ومختطها بلكين بن زيرى ونزلها بنوه من
بعده ثم صارت للموحدين وانتظمها بنو عبد المؤمن فى أمصار المغربين وافريقية ولما
استبد بنو أبى حفص بأمر الموحدين وبلغت دولتهم بلاد زناتة وكانت تلمسان ثغرا لهم
واستعملوا عليها بغمراسن وبنيه من بعده وعلى ضواحى مغراوة بنى منديل بن عبد
الرحمن وعلى وانشريس وما اليها من عمل توجين محمد بن عبد القوى وبنيه وبقى
ما وراء هذه الاعمال الى الحضرة لولاية الموحدين أهل دولته فكان العامل على الجزائر
من الموحدين أهل الحضرة وفى سنة أربع وستين انتقضوا على المستنصر ومكثوا
فى ذلك الانتقاض سبعا ثم أوعز الى أبى هلال صاحب بجاية بالنهوض اليها فى سنة احدى
وسبعين فحاصرها أشهرا وأفرج عنها ثم عاودها بالحصار سنة أربع وسبعين أبو الحسن
ابن ياسين بعساكر الموحدين فاقتحمها عليهم عنوة واستباحها وتقبض على مشيختها فلم
يزالوا معتقلين الى أن هلك المستنصر ولما انقسم أمر بنى حفص واستقل الامير أبو
زكريا الاوسط بالثغور الغربية وأبوه بعثوا اليه بالبيعة وولى عليهم ابن اكماز يروكانت

ولايتها من قبل فلم يزل هو واليا عليها الى أن أسن وهرم كان ابن علان من مشيخة الجزائر مختصا به ومنتصبا فى أوامره ونواهيه ومصدر الامارته وحصل له بذلك الرياسة على أهل الجزائر سائر أيامه فلما هلك ابن اكماز برحت به نفسه بالاستبداد والانتزاء بمدينته فبعث عن أهل الشوكة من نظائره ليله هلاك أميره وضرب أعناقهم وأصبح منابذا بالاستبداد واتخذ الآلة واستركب واستلحق من الغرباء والثعالبة عرب متيجة واستكثر من الرجل والرماة ونازلته عساكر بجاية مرارا فامتنع عليهم وغلب ملوكش على حماية الكثير من بلاد متيجة ونازله أبو يحيى بن يعقوب بعساكر بنى مرين غير مرة تبلا منهم على البلاد الشرقية وتوغلهم فى القاصية فأخذ بمخنقها وضيق عليها ومر بابن علان القاضى أبو العباس الغمارى رسول الامير خالد الى يوسف بن يعقوب فأودعه الطاعة للسلطان والقراءة اليه فى الابقاء فأبلغ ذلك عنه وشفع له فأوعز الى أبيه يحيى بمسالمته ثم نازله الامير خالد بعد ذلك فامتنع عليه وأقام على ذلك أربع عشرة سنة وعيون الخطوب تحدده والايام تستجمع لحربه فلما غلب السلطان أبو حمو على بلاد توجين واستعمل يوسف بن حيون الهوارى على وانشريس ومولاه مسامحا على بلاد مغراوة ورجع الى تلمسان ثم نهض سنة ثنتى عشرة الى بلاد شلف فنزل بها وقدم مولاه مسامحا فى العساكر فدوخ متيجة من سائر نواحيها وترس بالجزائر وضيق حصارها حتى مسهم الجهد وسأل ابن علان النزول على أن يشترط لنفسه فتقبل السلطان اشتراطه وملك السلطان أبو حمو الجزائر وانتظمها فى اعماله وارتحل ابن علان فى جملة مسامح ولحقوا بالسلطان بمكانه من شلف فانكفأ الى تلمسان وابن علان فى ركابه فأسكنه هنالك ووفى له بشرطه الى أن هلك والبقاء لله سبحانه

(الخبر عن حركة صاحب المغرب الى تلمسان وأوطانه)

لما خرج عبد الحق بن عثمان من أعياص الملك على السلطان أبى الربيع بفاس وبايع له الحسن بن على بن أبى الطلاق صاحب بنى مرين بعد اخلاء الوزير وابن يعقوب كما قدمناه فى أخبارهم وملكوا تازى زحف اليهم السلطان أبو الربيع فبعثوا وفدهم الى السلطان أبى حمو صريخا ثم أعجلهم أبو الربيع وأجهضهم على تازى فلحقوا بالسلطان أبى حمو ودعوه الى المظاهرة على المغرب ليكونوا أيدى دون قومهم وهلك السلطان أبو الربيع خلال ذلك واستقل بملك المغرب أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق فطالب السلطان أبا حمو بالسلام أولئك النازعين اليه فأبى من اسلامهم واختار ذمته وأجازهم الى البحر الى العدوة فأغتنى لها السلطان أبو سعيد عنها وعقد

Marfat.com

له السلم ثم استراب يعيش بن يعقوب بن عبد الحق بمكانه عند أخيه السلطان أبي سعيد لما سعى فيه عنده فنزع عنه الى تلمسان وأجاره السلطان أبو حمو على أخيه فأحفظه ذلك ونهض الى تلمسان سنة أربع عشرة وعقد لابنه الامير أبي علي وبعثه في مقدمته وسار هو في الساقة ودخل أعمال تلمسان على هذه التعبية فاكتسح بسائطها ونازل وجدة فقاتلها وضيق عليها ثم تخطاها الى تلمسان فنزل بساحتها وانحجر موسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على ضواحيها ورعاياها وسار السلطان أبو سعيد في عساكره يتقرى شعارها وبلادها بالحطم والانتساف والعيث فلما أحيط به وثقلت وطأة السلطان عليه وحذر المغبة منه ألطف الحيلة في خطاب الوزراء الذين كان يسرب أموالهم فيهم ويخادعهم من نصائح سلطانهم حتى اقتضى مراجعتهم في جاره يعيش بن يعقوب وادالته من أخيه ثم بعث خطوطهم بذلك الى السلطان أبي سعيد فامتلأ قلبه منها خشية ورهبة واستراب بالخاصة والاولياء ونهض الى المغرب على تعبيته ثم كان خروج ابنه عمر عليه بعد مرجعه وشغلوا عن تلمسان وأهلها برهة من الدهر حتى جاء أمر الله في ذلك عند وقته والله تعالى أعلم

(الخبر عن مبدا حصار بجاية وشرح الداعية اليه)

لما رجع السلطان أبو سعيد الى المغرب وشغل عن تلمسان فزع أبو حمو لاهل القاصية من عمله وكان راشد بن محمد بن ثابت بن منديل قد جاء من بلاد زواوة أثناء هذه الغمرة فاحتل بوطن شلب واجتمع اليه أوشاب قومه وحين تجلت الغمرة عن السلطان أبي حمو نهض اليه بعد أن استعمل ابنه أبا تاشفين على تلمسان وجمع له الجموع فنزل أمامه ناجيا الى مثوى اغترابه ببجاية وأقام بنو سعيد بمعاقلهم من جبال شلب على دعوته فاحتل السلطان أبو حمو بوادي تل فخيم به وجمع أهل أعماله لحصار بني أبي سعيد شيعة راشد بن محمد واتخذ هنالك قصره المعروف باسمه وسرح العساكر لتدويخ القاصية ولحق به هنالك الحاجب بن أبي حين رجعه من الحج سنة احدى عشرة وسبعمائة فأغراه بملك بجاية ورغبه فيه وكان قد ثاب له طمع منذ رسالة السلطان مولانا ابي يحيى اليه وذلك انه لما انتقض على اخيه خالد ودعا لنفسه بقسنطينة ونهض الى بجاية فانهزم عنها كما قدمناه في أخباره وأوفد على السلطان أبي حمو بعض رجال دولته مغريا له بابن خلوف وبجاية ثم بعث اليه ابن خلوف أيضا يسأله المظاهرة والمدد فأطمعه ذلك في ملك بجاية (ولما هلك) ابن خلوف كما قدمناه لحق به كاتبه عبد الله بن هلال فأغراه واستحثه وشغله عن ذلك شأن الجزائر فلما استولى على الجزائر بعث مولاه مسامحا في عسكر مع ابن أبي حي فبلغوا الى جبل الزاب وهلك ابن أبي حي ورجع مسامح ثم شغله

عن شأنها زحف وفزع من أمر عدوه ونزل بلد تلب كما ذكرناه آنفا ولحق به عثمان بن سباع بن يحيى بن سباع بن سهل أمير الزواودة يستحثه لملك الثغور الغربية من عمل الموحدين فاهتز لذلك وجمع الجموع وعقد لمسعود بن عمه أبي عامر برهوم على عسكر وأمره بحصار بجاية وعقد لمحمد ابن عمه يوسف قائد مليانة على عسكر ولولاه. سباع على عسكر آخر وسرحهم الى بجاية وماوراءها للتدويخ البلاد وعقد لموسى بن علي الكردي على عسكر ضخم وسرحه مع العرب من الزواودة وزغبة على طريق الصحراء فانطلقوا الى وجههم ذلك وفعلوا الافاعيل كل فيما يليه وتوغلوا في البلاد الشرقية حتى انتهوا الى بلاد بونة ثم انقلبوا من هنالك ومروا في طريقهم بقسنطينة ونازلوها أياما وصعدوا جبل ابن ثابت المطل عليها فاستباحوه ثم مروا ببني ياورار فاستباحوها وأضرموها واكتسحوا ما مروا عليه وحدثت بينهم المناكرة حسدا ومنافسة فافترقوا والحقوا بالسلطان ولحق مسعود بن برهوم محاصر البجاية وبنى حصنا باصفون لمقامه وكان يسرح الجيوش لقتالها فتحول في ساحتها ثم تراجع الى الحصن ولم يزل كذلك حتى بلغه خبر خروج محمد بن يوسف فأجفل عنها على ما نذكره الآن فلم يرجعوا لحصارها الا بعد مدة والله تعالى أعلم

(الخبر عن خروج محمد بن يوسف ببلاد بني توجين وحروب السلطان معه)

لما رجع محمد بن يوسف من قاصية الشرق كما قدمناه وشايعه الى السلطان موسى بن علي الكردي وجوانحه تلتهب غيظا وحقدا عليه وسعى به عند السلطان فعزله عن مليانة فوجم لها وسأله زيارة ابنه الامير أبي ناشفين بتلمسان وهو ابن أخته فأذن له وأوعز الى ابنه بالقبض عليه فأبى من ذلك وأراد هو الرجوع الى معسكر السلطان فخلى سبيله ولما وصل اليه تنكر له وحجبه فاستراب وملأ قلبه الرعب وفر من المعسكر ولحق بالمرية ونزل على يوسف بن حسن بن عزيز عامل لها للسلطان أبي حمو به من نزاعته فأخذ له البيعة على قومه ومن اليهم من العرب وزحفوا الى السلطان بمعسكره من مهل فلقيهم في عساكره فكانت الدبرة على السلطان ولحق بتلمسان وغلب محمد بن يوسف على بني توجين ومغراوة ونزل مليانة وخرج السلطان من تلمسان لأيام من دخولها وقد جمع الجموع وازاح العلل وأوعز الى مسعود بن برهوم بمكانه من حصار بجاية بالوصول اليه بالعساكر ليأخذ بحجزتهم من ورائهم وخرج محمد بن يوسف على مليانة لاعتراضه واستعمل على مليانة يوسف بن حسن بن عزيز فلقيه ببلاد ملكش وانهزم محمد بن يوسف ولجأ الى جبل مرصالة وحاصره مسعود بن برهوم أياما ثم أفرج عنه ولحق بالسلطان فنازلوا جميعا مليانة وافتتحها السلطان عنوة وجيء بيوسف

ابن حسن آسرا من حكمنه بعض المسارب فعفا عنه وأطلقه ثم زحف الى المرية فلكها وأخذ الرهن من أهل تلك النواحي وقفل الى تلمسان واستطال محمد بن يوسف على النواحي ففشت دعوته في تلك القاصية وخاطب مولانا السلطان أبا يحيى بالطاعة فبعث اليه بالهدية والآلة وسوغه سهام يغمراسن بن زيان بافريقية ووعده بالمظاهرة وغلب سائر بلاد بني توجين وبايع له بنو تيغرين أهل جبل وانشريس فاستولى عليه ثم نهض السلطان الى الشرق سنة سبع عشرة وملك المرية واستعمل عليها يوسف ابن حسن لمدافعة محمد بن يوسف واستبلغ في أخذ الرهن منه ومن أهل العمالات وقبائل زناتة والعرب حتى من قومه بني عبد الوادور جع الى تلمسان وأنزلهم بالقصبة وهي الغور الفسيح الخطة تماثل بعض الامصار العظيمة اتخذها للرهن وكان في ذلك حتى يأخذ الرهن المتعددة من البطن الواحد والفخذ الواحد والرهط وتجاوز ذلك الى أهل الامصار والثغور والمشيخة والسوقة فلا تلك القصبة من أبنائهم واخوانهم وشحنها بالامم بعد الامم وأذن لهم في ابتناء المنازل واتخاذ النساء واختط لهم المساجد فجمعوا بها الصلاة الجمعة ونفقت بها الاسواق والصنائع وكان حال هذه البنية من أغرب ما حكي في العصور عن سجن ولم يزل محمد بن يوسف بمكان خروجه من بلاد توجين الى أن هلك السلطان والبقاء لله

(الخبر عن مقتل السلطان أبي حمو وولاية ابنه أبي تاشفين من بعده)

كان السلطان أبو حمو قد اصطفى ابن عمه برهوم وتبناه من بين عشيرته وأولى قرباه لمكان صرامته ودهائه واختصاص أبيه برهوم المكنى أبا عامر بعثمان بن يغمراسن شقيقه من بين اخوته فكان يؤثره على بنيه ويفاوضه في شؤونه ويصله الى خلواته وكان دفع الى ابنه عبد الرحمن أبا تاشفين اترابا له من العلوجين يقومون في بخدمته في مرباه ومنتشئه كان منهم هلال المعروف بالقطاني ومسامح المسمى بالصغير وفرج بن عبد الله وظافر ومهدي وعلي بن تاكدرت وفرج الملقب شقورة وكان ألصقهم وأعلقهم بنفسه تلا دله منهم يسمى هلالا وكان أبو حمو أبوه كثيرا ما يقرعه ويوبخه ارهافا في اكتساب الخلال وربما يقرع في تقريعه لما كان عند الله عنه فحاشا فيحفظه لذلك وكان مع ذلك شديد السطوة متجاوزا بالعقاب وحدوده في الزجر والادب فكان أولئك العلوجين تحت رهب وكانوا يوعزون لذلك مولاهم أبا تاشفين بأبيه ويبعثون غيرته لما يذكرون له من استطفاء ابن أبي عامر دونه وقارن ذلك أن مسعود بن أبي عامر أبلى في لقاء محمد بن يوسف الخارج على أبي حمو البلاء الحسن عند ما رجع من حصار بجاية فاستحمد له السلطان ذلك وغيرا بنه عبد الرحمن بمكان ابن عمه هذا من النجابة والصرامة يستجد

Marfat.com

له بذلك خلا لا ويغريه بالكمال وكان عمه أبو عامر ابراهيم بن يغمراسن ثرى بما نال من جوائز الملوك في وفادته وما أقطع له أبوه وأخوه سائر أيامهما ولما هلك سنة ست وتسعين أوصى أخاه عثمان بولده فضمهم اليه ووضع تراثهم ووضع ماله حتى يأنس منهم الرشد في أحوالهم حتى اذا كانت غزاة ابنه أبي سرحان هذه وعلا فيها ذكره وبعد صيته رأى السلطان أبو حمو أن يدفع اليه تراث أبيه لاستجماع حلاله فاحتمل اليه من المودع ونمى الخبر الى ولده أبي تاشفين وباطنته السوء من العلوجين فحسبوه مال الدولة قد حمل اليه لبعد عهدهم بما وقع في تراث أبي عامر أبيه واتهموا السلطان بايثاره بولاية العهد دون ابنه فأغروا أبا تاشفين بالتوثب على الامر وحملوه على الفتك بمشنويه مسعود بن أبي عامر واعتقال السلطان أبي حمو ليتم له الاستبداد وتحينوا لذلك قافلة الهاجرة عند ما انصرف السلطان من مجلسه وقد اجتمع اليه بعض حجر القصر خاصته من البطانة وفيهم مسعود بن أبي عامر والوزراء من بني الملاح وكان بنو الملاح هؤلاء قد استخصهم السلطان بحجابته سائر أيامه وكان مسمى الحجابة عنده قهرمة الدار والنظر في الدخل والخرج وهم أهل بيت من قرطبة كانوا يحترفون فيها بسكة الدنانير والدراهم وربما دفعوا الى النظر في ذلك ثقة بأمانتهم نزل أولهم بتلمسان مع جالية قرطبة فاحترفوا بحرفتهم الاولى وزادوا اليها الفلاحة وتحلوا بخدمة عثمان بن يغمراسن وابنه وكان لهم في دولة أبي حمو مزيد حظوة وعناية فولي على حجابته منهم لاول دولته محمد بن سيمون ابن الملاح ثم ابنه محمد الاشقر من بعده ثم ابنه ابراهيم بن محمد من بعدهما واشترك معه من قرابته علي بن عبد الله بن الملاح فكانا يتوليان مهمه بداره ويحضران خلوته مع خاصته فحضروا يومئذ مع السلطان بعد انفضاض مجلسه كما قلناه ومعه من القرابة مسعود القتيل وحاموش بن عبد الملك بن حنيفة ومن الموالي معروف الكبير ابن أبي الفتوح بن عشر من ولد نصر بن علي أمير بني يزيد بن توجين وكان السلطان قد استوزره (فلما علم) أبو تاشفين باجتماعهم هجم ببطانته عليهم وغلبوا الحاجب على بابه حتى ولجوه متسايلين بعد أن استمكنوا من اغلاقه حتى اذا توسطوا الدار اعتوروا السلطان بأسيافهم فقتلوه وحام أبو تاشفين عنها فلم يفرجوا عليه ولاذ أبو سرحان منهم ببعض زوايا الدار واستمكن من غلقها دونهم فكسروا الباب وقتلوه واستلحموا من كان هنالك من البطانة فلم يفلت الا الاقل وهلك الوزراء بنو الملاح واستبيحت منازلهم وطاف الهاتف بسكك المدينة بأن أبا سرحان غدر بالسلطان وان ابنه أبا تاشفين ثأر منه فلم يحف على الناس الشأن وكان موسى بن علي الكردي قائد العساكر قد سمع الصيحة فركب الى القصر فوجد مغلقا دونه

Marfat.com

فظن الظنون فخشي استيلاء مسعود على الامر فبعث الى العباس بن يغمراسن كبير القرابة فأحضره عند باب القصر حتى اذا مر بهم الهاتف وامتيقن مهلك أبي سرحان رد العباس على عقبه الى منزله ودخل الى السلطان أبي تاشفين وقد أدركه الدهش من المواقعة فنبهته ونشطه لخفه وأجلسه بمجلس أبيه وتولى له عقد البيعة على قومه خاصة وعلى الناس عامة وذلك آخر جمادى الاولى من تلك السنة وجهز السلطان الى مدفنه بمقبرة سلفه من القصر القديم وأصبح مثلا في الآخرين والبقاء لله وأشخص السلطان لاول ولايته سائر القرابة الذين كانوا بتلمسان من ولد يغمراسن وأجازهم الى العدوة حذرا من مغبة ترشيحهم وما يتوقع من الفتن على الدولة من قبلهم وقد جاءته مولاه هلالا فاضطلع باعبائها واستبد بالعقد والحل والابرام والنقض صدرا من دولته الى أن نكبه حسبما نذكره وعقد ليحيى بن موسى السنوسي من صنائع دولتهم على ثغاب وسائر أعمال مغراوة وعقد لمحمد بن سلامة بن علي على عمله من بلاد بني يدللتن من توجين وعزل أخاه سعدا فلحق بالمغرب وعقد لموسى بن علي الكردي على قاصية المشرق وجعل اليه حصار بجاية وأغرى دولته بتشييد القصور واتخاذ الرياض والبساتين فاستكمل ما شرع فيه أبوه من ذلك وأتى عليه فاحتفلت القصور والمصانع في الحسن ما شاءت واتسعت أخباره على ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن نهوض السلطان أبي تاشفين لمحمد بن يوسف بجبل وانشريس واستيلائه عليه

كان محمد بن يوسف بعد مرجع السلطان أبي حمو كما ذكرناه قد تغلب على جبل وانشريس ونواحيه واجتمع اليه الفل من مغراوة فاستفحل أمره واشتدت في تلك النواحي شوكته وأهم أبا تاشفين أمره فاعتزم على النهوض اليه وجمع لذلك وأزاح العلل وأناخ على وانشريس وقد اجتمع به بنو توجين ومغراوة مع محمد بن يوسف وكان يتغرين من بني توجين بطانة ابن عبد القوي يرجعون في رياستهم الى عمر بن عثمان حسبما نذكره وكان قد استخلص سواه من بني توجين دونه فأسفه بذلك وداخل السلطان أبا تاشفين وواعده أن يتحرك عنه فاقتحم السلطان عليهم الجبل وانحجز واجميعا الى حصن توكال فخالفهم عمر بن عثمان في قومه الى السلطان بعد أن حاصرهم ثمانيا فتخرم الجمع واختل الامر وانفض الناس فاقتحم الحصن وتقبض على محمد بن يوسف وجيء به الى السلطان أسيرا وهو في مركبه فعقد عليه ثم وخزه برمحه وتناوله الموالي برماحهم فأقعصوه وحمل رأسه على القناة الى تلمسان فنصب بشرافات البلد وعقد لعمر بن عثمان على جبل وانشريس وأعمال بني عبد القوي ولسعيد العربي من موالية على عمل المرية

Marfat.com

وزحف الى الشرق فأغار على أحياء رياح وهم بوادى الجنان حيث النذرة المفضية من بلاد حمزة الى القبلة وصبح أحياءهم فاكتسح أموالهم ومضى فى وجهه الى بجاية فعرس بساحتها ثلاثا وبها يومئذ الحاجب يعقوب بن عمر فامتنعت عليه فظهر له وجه المعذرة لأوليائهم فى استحصانها وقفل الى تلمسان الى ان كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى .

{الخبر عن حصار بجاية والفتنة الطويلة مع الموحدين التى كان فيها} {حتفه وذهاب سلطانه وانقراض الامر عن قومه برهة من الدهر}

لما رجع السلطان ابو ثاشفين من حصار بجاية سنة تسع وعشرين اعتمل فى ترديد البعوث الى قاصية الشرق والالحاح بالغزو الى بلاد الموحدين فأغزاها جيوشه سنة عشرين فدوخوا ضواحى بجاية وقفلوا ثم غزاهم ثانية سنة احدى وعشرين وعليهم موسى بن على الكردى فانتهى الى قسنطينة وحاصرها فامتنعت عليه فأفرج عنها وابتنى حصن بكر لاول مضيق الوادى وادى بجاية وأنزل به العساكر لنظر يحيى بن موسى قائد شلب وقفل الى تلمسان ثم نهض موسى بن على ثالثة سنة ثنتين وعشرين فدوخ نواحى بجاية ونازلها أياما وامتنعت عليه فأفرج عنها ووفد سنة ثلاث وعشرين على السلطان حمزة بن عمر بن أبى أليل كبير البدو بافريقية صريخا على صاحب افريقية مولانا السلطان أبى يحيى فبعث معهم العساكر من زناتة وعامتهم من بنى توجين وبنى راشد وأمر عليهم القواد وجعلهم لنظر قائده موسى بن على الكردى فصلوا الى افريقية وخرج السلطان للقائهم فانهزموا بنواحى مرماجنة وتخطفتهم الايدى فاستلحموا وقتل مسامح مولاه ورجع موسى بن على فأتبعه السلطان بالادهان وكان من نكبته ما نذكره فى أخباره وسرح العساكر سنة أربع وعشرين فدوخت نواحى بجاية والقيهم ابن يمد الناس فهزموهم وغنموا البلد ووفد على السلطان سنة خمس وعشرين شيخة سليم حمزة بن عمر بن أبى اليل وطالب بن مهلهل العجلان المتزاحمان فى رياسة الكعوب ومحمد بن مسكين من بنى القوس كبراء حكيم فاستحثوه للحركة وامتصرخوه على افريقية وبعث معهم العساكر لنظر قائده موسى بن على ونصب لهم ابراهيم بن أبى بكر الشهيد من أعياص الحفصيين وخرج مولانا السلطان أبو يحيى من تونس للقائهم وخشيهم على قسنطينة فسابقهم اليها فأقام موسى بن على بعساكره على قسنطينة وتقدم ابراهيم بن أبى بكر الشهيد فى أحياء سليم الى تونس فملكها كما ذكرناه فى أخبارهم وامتنعت قسنطينة على موسى بن على فأقام نهائها خمس عشرة ليلة من حصارها وعاد الى تلمسان ثم أغزاه السلطان سنة ست وعشرين

فى الجيوش وعهد اليه بتدويخ الضاحية ومحاصرة الثغور فنازل قسنطينة وأفسد نواحيها ثم رجع الى بجاية فحاصرها ثم عزم على الاقلاع ورأى أن حصن بكر غير صالح لتجهيز الكاتب اليه لبعده وارتاد للبناء عليها ماهو أقرب منه فاختط بمكان سوق الخميس بوادى بجاية مدينة لتجهيز الكاتب لها على بجاية وجمع الايدى على بنائها من الفعلة والعساكر فتمت لاربعين يوما وسموها تامزيزدكت باسم الحصن القديم الذى كان ابنى عبد الواد قبل الملك بالجبل قبلة وجدة وأنزل بها عساكرتا هز ثلاثة آلاف وأوعز السلطان الى جميع عماله ببلاد المغرب الاوسط بنقل الحبوب اليها حيث كانت والادم وسائر المرافق حتى الملح وأخذ الرهن من سائر القبائل على الطاعة واستوفوا جبايتهم فثقلت وطأتهم على بجاية واشتد حصارها وغلت أسعارها (وبعث) مولانا السلطان أبو يحيى جيوشه وقواده سنة سبع وعشرين فسلكوا الى بجاية على جبل بنى عبد الجبار وخرج بهم قائدها أبو عبد الله بن سيد الناس الى ذلك الحصن وقد كان موسى بن على عند بلوغ خبرهم اليه استنفر الجنود من ورائه وبعث الى القواد قبله بالبدار فالتقى الجمعان بضاحية تامزيزدكت فانكشف ابن سيد الناس وعاث ظافر الكبير مقدم الموالى من العلوجين بباب السلطان واستباح معسكرهم ولما سخط السلطان قائده موسى بن على ونكبه كما نذكره فى أخباره أغرى يحيى بن موسى السنوسى فى العساكر الى افريقية ومعه القواد فعاثوا فى نواحى قسنطينة وانتهوا الى بلدونة ورجعوا وفى سنة تسع وعشرين بعدها وفد حمزة بن عمر على السلطان أبى تاشفين مريخا ووفد معه أو بعده عبد الحق بن عثمان فحل الشول من بنى مرين وكان قد نزل على مولانا السلطان أبى يحيى منذ سنين فسخط بعض أحواله ولحق بتلمسان فبعث السلطان معهم جميع قواده بجيوشه لنظر يحيى بن موسى ونصب عليهم محمد بن أبى بكر بن عمران من أعياص الحفصيين ولقبهم مولانا السلطان أبو يحيى بالدياس من نواحى بلاد هوارة وانخزل عنه أحياء العرب من أولاد مهلهل الذين كانوا معه وانكشفت جموعه واستولى على ظعائنه بما فيها من الحرم وعلى ولديه احمد وعمر فبعثوا بهم الى تلمسان ولحق مولانا المنصور أبو يحيى بقسنطينة وقد أصابه بعض الجراحة فى حومة الحرب وسار يحيى بن موسى وابن أبى عمران الى تونس واستولوا عليها ورجع يحيى بن موسى عنهم بجموع زناتة لاربعين يوما من دخولها فقفل الى تلمسان وبلغ الخبر الى مولانا السلطان أبى يحيى بقفول زناتة عنهم فنهض الى تونس وأجهض عنها ابن أبى عمران بعد ان كان أوفد من بجاية ابنه أبا زكريا يحيى ومعه محمد بن تافراكين من مشيخة الموحدين سريخا على ابى تاشفين فكان ذلك داعية الى انتقاض ملكه كما نذكره

Marfat.com

بعد وداخل السلطان أبا تاشفين بعض أهل بجاية ودلوه على عورتها واستقدموه فنهض اليها وحذر بذلك الحاجب ابن سيد الناس فسابقه اليها ودخل يوم نزوله عليها وقتل من اتهم بالمداخلة فانحسم الداء وأقلع السلطان أبو تاشفين عنها وولى عيسى بن مزروع من مشيخة بني عبد الواد على الجيش الذي بتامزيزدكت وأوعز اليه ببناء حصن أقرب الى بجاية من تامزيزدكت فبناه بالياقوتة من أعالي وادقبالة بجاية فأخذ بخنقها واشتد الحصار الى أن أخذ السلطان أبو الحسن بحجزتهم فأجفلوا جميعا الى تلمسان ونفس بخنق الحصار عن بجاية ونهض مولانا السلطان أبو يحيى بجيوشه من بونس الى تامزيزدكت سنة ثنتين وثلاثين فخربها في ساعة من نهار كان لم تغن بالامس حسبما ذكرناذلك في أخباره والله تعالى أعلم

الخبر عن معاودة الفتنة بين بني مرين وحصارهم تلمسان ومقتل السلطان أبي تاشفين ومصائر ذلك

كان السلطان أبو تاشفين قد عقد السلم لاول دولته مع السلطان أبي سعيد ملك المغرب فلما انتقض عليه ابنه أبو علي سنة ثنتين وعشرين بعد المهادنة الطويلة من لدن استبداده بسجلماسة بعث ابنه القمقاع الى ابي تاشفين في الاخذ بحجزة أبيه عنه ونهض هو الى مراكش فدخلها وزحف اليه السلطان أبو سعيد فبعث أبو تاشفين قائده موسى ابن علي في العساكر الى نواحي تازى فاستباح عمل كارث واكتسح زروعه وقفل واعتدها عليه السلطان أبو سعيد وبعث أبو تاشفين وزيره داود بن علي بن مكن رسولا الى السلطان ابي علي بسجلماسة فرجع عنه مغاضبا وجنح أبو تاشفين بعدها الى التملك بسلم السلطان أبي سعيد فعقدلهم ذلك وأقاموا عليها مدة فلما نفر ابن مولانا السلطان أبي يحيى على السلطان أبي سعيد ملك المغرب وانعقد الصهر بينهم كما ذكرناه في أخبارهم وهلك السلطان أبو سعيد نهض السلطان أبو الحسن الى تلمسان بعد أن قدم رسله الى السلطان أبي تاشفين في أن يقلع بجيوشه عن حصار بجاية ويتحافى للموحدين عن عمل تنس فأبى وأساء الرد وأجمع الرسل بمجلسه هجر القول وأفزع لهم الموالي في الشتم لمرسلهم بمسمع من أبي تاشفين فأحفظ ذلك السلطان أبو الحسن ونهض في جيوشه سنة ثنتين وثلاثين الى تلمسان فتخطاها الى تاسالت وضرب بها معسكره وأطال المقام وبعث المدد الى بجاية مع الحسن البطوي من صنائعه وركبوا في أساطيله من سواحل وهران ووافاهم مولانا السلطان أبو يحيى ببجاية وقد جمع لحرب بني عبد الواد وهدم تامزيزدكت وجاء لموعد السلطان أبي الحسن معه أن يجتمعا بعساكرهما لحصار تلمسان فنهض من بجاية الى تامزيزدكت وقد أجفل منها عساكر بني عبد الواد

Marfat.com

وتركوها قفرا ولحقت بها عساكر الموحدين فعاثوا فيها تخريبا ونهبا وألحقت جدرانها بالارض وتنفس مخنق بجاية من الحصار وانكمش بنو عبد الواد الى ماوراء تخومهم وفى خلال ذلك انتقض أبو على ابن السلطان أبى سعيد على أخيه وصعد من مقره بسجلماسة الى درعة وقتل بالعامل وأقام فيها دعوته كما نذكر ذلك بعد وطار الخبر الى السلطان أبى الحسن بعملته بتاسالت فنهض راجعا الى المغرب لحسم دائه وراجع السلطان أبو تاشفين عزه وانبسطت عساكره فى ضواحى عمله وكتب الكتائب وبعث بها مدد السلطان أبى على ثم استنفر قبائل زناتة وزحف الى تخوم المغرب سنة ثلاث وثلاثين ليأخذ بحجزة السلطان أبى الحسن عن أخيه وانتهى الى الثغر من تاوريدت والقيه هنالك تاشفين ابن السلطان أبى الحسن فى كتيبة جهزها أبوه معه هنالك لسد الثغور ومعه منديل بن حماسة شيخ بنى تيرغين من بنى مرين فى قومه فلما برزوا اليه انكشف ورجع الى تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على أخيه وقتله سنة أربع وثلاثين جمع لغزو تلمسان وحصارها ونهض اليها سنة خمس وقد استنفذ وسعه فى الاحتفال لذلك واضطربت بها عساكره وضرب عليها سياج الاسوار وسراد قات الحفائر أطيفت عليهم حتى لا يكاد الطيف يخلص منهم ولا اليهم وسرح كتائبه الى القاصية من كل جهة فتغلب على الضواحى وافتتح الامصار جميعا وخرب وجدة كما يأتى ذكر ذلك كله وألح عليها بالقتال يغاديها ويراوحها ونصب المجانيق وانحجز بها مع السلطان أبى تاشفين زعماء زناتة من بنى توجين وبنى عبد الواد وكان عليهم فى بعض أيامها اليوم المشهور الذى استلحمت فيه أبطالهم وهلك أمراؤهم وذلك أن السلطان أبا الحسن كان يباكرهم فى الاسحار فيطوف من وراء أسواره التى ضربها عليهم شوطا يرتب المقاتلة ويثقف الاطراف ويسد الفروج ويصلح الخلل وأبو تاشفين يبعث العيون فى ارتصاد فرصة فيه وأطاف فى بعض الايام منتبذا عن الجملة فكر نذاله حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد انقضوا عليه يحسبونها فرصة قد وجدوها وضايقوه حتى كاد السرعان من الناس أن يصلوا اليه وأحس أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحدانا وركب ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك جناحا عسكره وعقابا بجافله وتهاوت اليهم صقور بنى مرين من كل جوف فانكشفت عساكر البلد ورجعوا القهقرى ثم ولوا الادبار منهزمين لا يلوى احد منهم على أحد واعترضهم مهوى الخندق فتطاردوا فيه وتهافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ بالردم أكثر من الهالك بالقتل وهلك من بنى توجين يومئذ كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد بن سلامة بن على أمير بنى يدللتن وصاحب قلعة تاوغزوت وما اليها من عملهم وهما ماهما فى زناتة الى أشباه لهما وأمثال استلحموا فى هذه

Marfat.com

الوقعة فحط هذا اليوم جناح الدولة وحطم منها واستمرت منازلة السلطان أبي الحسن اياها الى آخر رمضان من سنة سبع وثلاثين فاقتحمها يوم السابع والعشرين منه غلابا ولجأ السلطان أبو تاشفين الى باب قصره في لمة من أصحابه ومعه ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن علي وعبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق من أعياص بني مرين وهو الذي لحق بهم من تونس كما ذكرناه وسيأتي ذكره وخبره ومعه يومئذ ابنا أخيه أبو زيان وأبو ثابت فمانعوا دون القصر مستميتين الى أن استلحموا ورفعت رؤسهم على عصي الرماح فطيف بها وغصت سكاك البلد من خارجها وداخلها بالعساكر وكصت أبوابها بالزحام حتى لقد كبّ الناس على أذقانهم وتواقعوا فوطئوا بالحوافر وتراكمت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المذهب ما بين السقف ومسلك الباب وانطلقت الايدي على المنازل نهبا واكتساحا وخلص السلطان الى المسجد الجامع واستدعى رؤساء القبيلة والشورى أبا يزيد عبد الرحمن وأبا موسى عيسى ابني الامام قدمهما من أعماله لمكان معتقده في أهل العلم فحضروه ورفعوا اليه أمر الناس وما نالهم من معرة العسكر ووعظوه فأناب ونادى مناديه برفع الايدي عن ذلك فسكن الاضطراب وأقصر العيث وانتظم السلطان أبو الحسن أمصار المغرب الاوسط وعمله الى سائر أعماله وتاخم الموحدين بثغوره وطمس رسم الملك لآل زيان ومعالمه واستتبع زناتة عصبا تحت لوائه من بني عبد الواد وتوجين ومغراوة وأقطعهم بلاد المغرب سهاما أدالهم بها من تراثهم من أعمال تلمسان فانقرض ملك آل يغمراسن برهة من الدهر الى أن أعاده منهم أعياص سموا اليه بعد حين عند نكبة السلطان ابي الحسن بالقيروان كما نذكره فأومض بارقه وهبت ريحه والله يؤتي ملكه من يشاء

{ الخبر عن رجال دولته وهم موسى بن علي ويحيى بن موسى ومولاه هلال وأوليتهم ومصاير أمورهم واختصاصهم بالذكر لما صار من شهرتهم وارتفاع صيتهم }

فأما موسى بن علي الحاجب الهالك فأصله من قبيلة الكرد من أعاجم المشرق وقد أشرنا الى الخلاف في نسبهم بين الامم وذكر المسعودي منهم أصنافا سماهم في كتابه من الشاهجان والبرسان والكيكان الى آخرين منهم وانتهم مواطنهم ببلاد أذربيجان والشام والموصل وأنت منهم نصارى على رأي اليعقوبية وخوارج على رأي البراءة من عثمان وعلي انتهى كلامه (وكان) منهم طوائف بجبل شهرزور من عراق العجم وعامتهم يتقلبون في الرحلة وينتجعون لسائمتهم مواقع الغيث ويتخذون الخيام لسكناهم من اللبود وجل مكاسبهم الشاء والبقر من الانعام وكانت لهم عزة وامتناع بالكثرة ورياسات ببغداد أيام تغلب الاعاجم على الدولة واستبدادهم بالرياسة ولما طمس ملك

بنى العباس وغلب التتر على بغداد سنة ست وخمسين وستمائة وقتل ملكهم هلاون آخر خلفاء العباسيين وهو المستعصم ثم ساروا فى ممالك العراق وأعماله فاستولوا عليها وعبر الكثير من الكرد نهر الفرات فرارا أمام التتر لما كانوا يدينون بدين المجوسية وصاروا فى ايالة الترك فاستنكف أشرافهم وبيوتاتهم من المقام تحت سلطانهم وجاز منهم الى المغرب عشيرتان تعرفان ببنى لوين وبنى بابير فمن اليهم من الاتباع ودخلوا المغرب لآخر دولة الموحدين ونزلوا على المرتضى بمراكش فأحسن تلقيهم وأكرم مثواهم وأسنى لهم الجراية والاقطاع وأحلهم بالمحل الرفيع من الدولة (ولما انتقض) أمر الموحدين بحدثان وصولهم صاروا الى ملكة بنى مرين ولحق بعضهم بيغمراسن بن زيان ونزع المستنصر الى افريقية يومئذ بيت من بنى بابير لا أعرفهم كان منهم محمد بن عبد العزيز المعروف بالمزوار صاحب مولانا السلطان أبى يحيى وآخرون غيرهم منهم وكان من اشهر من بقى فى ايالة بنى مرين منهم ثم من بنى بابير على بن حسن بن صاف وأخوه سلمان ومن بنى لوين نخصر بن محمد وكان تكون الفتنة بينهم كما كانت فى مواطنهم الاولى فاذا اتعدوا للعرب توافت اليهم أشياعهم من تلمسان وكان نضالهم بالسهام وكانت القسى سلاحهم وكان من أشهر الوقائع بينهم وقيعة بفاس سنة أربع وسبعين وستمائة جمع لها نخضر رئيس بنى لوين وسلمان وعلى رئيسا بنى بابير واقتتلوا خارج باب الفتوح وتركهم يعقوب بن عبد الحق لشأنهم من الفتنة حياء منهم فلم يعرض لهم وكان مهلك سلمان منهم بعد ذلك مرابطا بثغر طريف عام تسعين وستمائة وكان لعلى بن حسن ابنه موسى اصطفاه السلطان يوسف بن يعقوب وكشف له الحجاب عن داره وربى بين حرمه فتمكنت له دالة تحفظ بسببها بعض الاحوال مما لم يرضه فذهب مغاضبا ودخل الى تلمسان أيام كان يوسف بن يعقوب محاصرا لها فتلقاه عثمان بن يغمراسن من التكرمة والترحيب بما يناسب محله من قومه ومنزلته من اصطناع السلطان وأشار يوسف بن يعقوب على ابنه باستمالته فلقيه فى حومة القتال وحادثه واعتذر له بكرامة القوم اياه فحضه على الوفاء لهم ورجع الى السلطان فخبره الخبر فلم ينكر عليه وأقام هو بتلمسان وهلك أبوه على بالمغرب سنة سبع وسبعمائة ولما هلك عثمان بن يغمراسن بن زيان زاده بنوه اصطناعا ومداخلة وخلطوه بأنفسهم وعقدوا له على العساكر لمحاربة أعدائهم وولوه الاعمال الجليلة والرتب الرفيعة من الوزارة والحجابة ولما هلك السلطان أبو سعيد وقام بأمره ابنه أبو ثابت وكان هو الذى تولى له أخذ البيعة على الناس وغص بمكانه مولاه هلال فلما استبد عليه وكان كثيرا ما ينافس موسى بن على ويناقشه نخشيه على نفسه وأجمع على اجازة البحر للمرابطة بالاندلس فبادره هلال وتقبض عليه وغربه

Marfat.com

الى العدوة ونزل بغرناطة وانتظم فى الغزاة المجاهدين وأصلت عن جراية السلطان فلم يمد اليها يذا أيام مقامه وكانت من أنزه ماجاب به وتحدث به الناس فأغربوا واتقدت لها جوانح هلال حسدا وعداوة فأغرى سلطانه فخاطب ابن الاحمر فى استقدامه فأسلمه اليه واستعمله السلطان فى حروبه على قاصيته حتى كان من نهوضه بالعساكر الى افريقية للقاء مولانا السلطان أبى يحيى سنة سبع وعشرين وكانت الدبرة عليه واستلحمت زناتة ورجع فى الفل فأغرى هلال السلطان وألقى فى نفسه التهمة به ونمى ذلك اليه فلحق بالعرب الزواودة وعقد مكانه على محاصرة بجاية ليحيى بن موسى صاحب شلب ونزل هو على سليمان ويحيى بن على بن سباع بن يحيى من أمراء الزواودة فى أحيائهم فلقوه مبرة وتعظيما وأقام بين أحيائهم مدة ثم استقدمه السلطان ورجع الى محله من مجلسه ثم انقبض عليه لاشهر وأشخصه الى الجزائر فاعتقله بها وضيق محبسه ذهابا مع أغراض منافسة هلال حتى اذا سخط هلالا استدعاه من محبسه أضيق ما كان فانطلق اليه فلما انقبض على هلال قلده موسى بن على نجابته فلم يزل مقيما رسمها الى يوم اقتحم السلطان أبو الحسن تلمسان فهلك مع أبى تاشفين وبنيه فى ساحة قصرهم كما قلناه وانقضى أمره والبقاء لله وانتظم بنوه بعده هلكه فى جملة السلطان أبى الحسن وكان كبيرهم سعيد قد خلص من بين القتلى فى تلك الملحمة بباب القصر بعد هدوء من الليل مثخنا بالجراح وكانت حياته بعدها تعد من الغرائب ودخل فى عفو السلطان الى أن عادت دولة بنى عبد الواد فكان له فى سوقها انفاق حسبما نذكره والله غالب على أمره

(وأما يحيى بن موسى) فأصله من بنى منوس احدى بطون كومية ولهم ولاء فى بنى كمين بالاصطناع والتربية ولما انفصل بنو كمين الى المغرب قعدوا عنهم واتصلوا ببنى يغمراسن واصطنعوهم ونشأ يحيى بن موسى فى خدمة عثمان وبنيه واصطناعهم (ولما كان) الحصار ولاء أبو حمومه من التطواف بالليل على الحرس بمقاعدهم من الاسوار وقسم القوت على المقاتلة بالمقدار وضبط الابواب والتقدم فى حومة الميدان وكان له أعوان على ذلك من خدامه قد لزموا الكون معه فى البكر والآصال والليل والنهار وكان يحيى هذا منهم فعرفوا له خدمته وذهبوا الى اصطناعه وكان من أول ترشحه فى أبى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارهم فيما يدور بينهم من المضاربة فكان يجلى فى ذلك ويوفى من عرض مرسله ولما خرجوا من الحصار أربوا به على رتب الاصطناع والتنويه (ولما ملك أبو تاشفين) استعمله بشلب مستبدا بها وأذن له فى اتخاذ الآلة ثم لما عزل موسى بن على عن حرب الموحدين وقاصية الشرق عزله به وكانت المرية وتنس من عمله فلما نازل السلطان أبو الحسن تلمسان راسله بالطاعة والكون معه فتقبله وجاءه من

Marfat.com

مكان عمله فقدم عليه بمخيمه على تلمسان فاختصه باقباله ورفع مجلسه من بساطه ولم يزل عنده بتلك الحال الى أن هلك بعد افتتاح تلمسان والله مصرف الاقدار (وأما هلال) فأصله من سبي النصارى القطلونيين أهداه السلطان ابن الاحمر الى عثمان وصار الى السلطان أبي حمو فأعطاه الى ولده أبي تاشفين فيما أعطاه من الموالي العلوجين ونشأ عنده وتربى وكان مختصا عنده بالراحلة والدالة وتولى كبر تلك الفعلة التي فعلوا بالسلطان أبي حمو ولما ولي بعده ابنه أبو تاشفين ولاه على حجابته وكان مهيبا فظا غليظا فقعد مقعد الفصل ببابه وأرهف للناس سطوه وزحزح المرشحين عن رتب المماثلة الى التعلق باهدابه فاستولى على الامر واستبد على السلطان ثم حذر مغبة الملك وسوء العواقب فاستأذن السلطان في الحج وركب اليه من هنين بعض السفن اشتراها بماله وثمنها بالعديد والعدة والاقوات والمقاتلة وأقام كاتبه الحاج محمد بن حوات ببابه السلطان على رسم النيابة عنه وأقلع سنة أربع وعشرين فنزل بالاسكندرية وصحب الحاج من مصر في جملة الامير عليهم ولقي في طريقه سلطان السودان من آل منسى موسى واستحكمت بينهما المودة ثم رجع بعد قضاء فرضه الى تلمسان فلم يحمد مكانه من السلطان ولم يزل من بعد ذلك يتنكر له وهو يسايسه بالمداراة والاستجداء الى أن سخطه فقبض عليه سنة تسع وعشرين وأودعه سجنه فلم يزل معتقلا الى أن هلك من وجع أصابه قبيل فتح تلمسان ومهلك السلطان بأيام فكانت آية عجيبا في تقارب مهلكهما واقتراب سعادتهما ونحوستهما وقد كان السلطان أبو الحسن يتبع الموالي الذين شهدوا مقتل السلطان أبي حمو وأفلت هلال هذا من عقابه بعوته والله بالغ حكمه

الخبر عن انتزاء عثمان بن جرار على ملك تلمسان بعد نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وعود الملك بذلك لبني زيان

كان بنو جرار هؤلاء من فضائل بني يندوكس بن طاع الله وهم بنو جرار بن يعلى بن يندوكس وكان بنو محمد بن زكراز يفضون اليهم من أول الامر حتى صار الملك اليهم واستبدوا به فجروا على جميع الفضائل من عشائرهم ذيل الاحتقار ونشأ عثمان بن يحيى ابن محمد بن جرار هذا من بينهم مرموقا بعين التجلة والرياسة وسعى عند السلطان أبي تاشفين بان في نفسه تطاولا للرياسة فاعتقله مدة وفر من محبسه فلحق بملك المغرب السلطان سعيد فآثر محله وأكرم منزله واستقر بمثواه فنسك وزهد واستأذن السلطان عند تغلبه على تلمسان في الحج بالناس فأذن له وكان قائد الركب من المغرب الى مكة سائر أيامه حتى استولى السلطان أبو الحسن على اعمال الموحدين وحشد أهل المغرب من زناتة والعرب لدخول افريقية اندرج عثمان هذا في جملته واستأذنه قبيل القيروان في الرجوع الى

Marfat.com

المغرب فأذن له ولحق بتلمسان فنزل على أميرها من ولد الامير أبي عنان كان قد عقد له على عملها ورشحه لولاية العهد بولايتها فازدلف اليه من الخبر عن أبيه وتلطف فيما أودع سمعه من تورط أبيه في مهالك افريقية وايأسه من خلاصه ووعده بمصير الامر اليه على ألسنة الخبراء والكهان وكان يظن فيه أن لديه من ذلك علما وعلى تفيئة ذلك كانت نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان وظهر مصداق ظنه واصابة قياسه فأغراه بالتوثب على ملك أبيه والبدار الى فاس لغلب منصور بن أخيه أبي مالك عليها كان استعمله جده أبو الحسن هنالك وأراه آية سلطانه وشواهد ملكه وتحيل عليه في اشاعة مهلك السلطان أبي الحسن والقائه على الالسنة حتى أوهم صدقه وتصدى الامير أبو عنان للامر وتسايل اليه الغل من عساكر بني مرين فاستلحق وبث العطاء واعلن بالدعاء لنفسه في ربيع سنة تسع وأربعين وعسكر خارج تلمسان للنهوض الى المغرب كما نذكره في أخبارهم ولما فصل دعا عثمان لنفسه وانتزى على كرسيه واتخذ الآلة وأعاد من ملك بني عبد الواد رسما لم يكن لآل جرار واستبد أشهرا قلائل الى أن خلص اليه من آل زيان من ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن من طمس معالمه وخسف به وبداره وأعاد امر بني عبد الواد في نصابه حسبما نذكره والله أعلم

(الخبر عن دولة أبي سعيد وأبي ثابت من آل يغمراسن وما فيها من الاحداث)

كان الامير أبو يحيى جدهما من أكبر ولد يغمراسن بن زيان وكان ولي عهده بعد مهلك أخيه عمر الاكبر ولما تغلب يغمراسن على سجلماسة سنة احدى وستين وستمائة استعمله عليها فاقام بها حولا وولد له هنالك ابنه عبد الرحمن ثم رجع الى تلمسان فهلك بها ونشأ عبد الرحمن بسجلماسة ولحق بتلمسان بعد أمه فأقام مع بني أبيه الى أن غص السلطان بمكانه وغربه الى الاندلس فمكث بها حينا وهلك في مرابطته بثغر قرمونة في بعض أيام الجهاد وكان له بنون أربعة يوسف وعثمان والزعيم وابراهيم فرجعوا الى تلمسان وأوطنوها أعواما حتى اذا استولى السلطان أبو الحسن على ملكهم وأضاف الى دولته دولتهم نقلهم من تلمسان الى المغرب في جملة أعيانهم ثم سألوا اذنه في المرابطة بثغور الاندلس التي في عمله فأذن لهم وفرض لهم العطاء وأنزلهم بالجزيرة فكانت لهم بالجهاد مواقف مذكورة ومواطن معروفة ولما استنفر السلطان أبو الحسن زناتة لغزو افريقية سنة ثمان وأربعين كانوا في جملته مع قومهم بني عبد الواد وفي رايتهم ومكانهم معلوم بينهم فلما اضطرب أمر السلطان أبي الحسن وتألب عليه الكعوب من بني سليم أعراب افريقية وواضعوه الحرب بالقيروان كان بنو عبد الواد أول النازعين عنه اليهم فكانت النكبة وانحجز بالقيروان وانطلقت ايدي

Marfat.com

الاعراب على الضواحى وانتقض المغرب من سائر أعماله أذنوا لبنى عبد الوادفى اللحاق بقطرهم ومكان عملهم فرواتونس وأقاموا بها أياما وخلص الملأ منهم نجيا فى شأن أمرهم ومن يقدمون عليهم فأصفقوا بعد الشورى على عثمان بن عبد الرحمن واجتمعوا اليه امهدهم يومئذ وقد خرجوا به الى الصحراء وأجلسوه ببابمصلى العيد من تونس على درقة ثم ازدحموا عليه بحيث توارى شخصه عن الناس يسلمون عليه بالامارة ويعطونه الصفقة على الطاعة والبيعة حتى استهلوا جميعا ثم انطلقوا به الى رحالهم واجتمع مغراوة أيضا الى أميرهم على بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل الذى ذكرناه من قبل وتعاهدوا على الصحابة الى أعمالهم والمهادنة آخر الايام واستئثار كل بسلطانه وتراث سلفه وارتحلوا على تفيئة ذلك الى المغرب وشنت البوادى عليهم الغارات فى كل وجه فلم يظفروا منهم بقلامة ظفر مثل ونيفن ونونة وأهل جبل بنى ثابت ولم تروا بصحابة وكان بها فل من مغراوة وتوجين نزلوا بها منذ غلبوا على اعمالهم وصاروا فى جند السلطان فارتحلوا معهم واعترضهم بجبل الزاب برابرة زواوة فأوقعوا بهم وظهر من نجدتهم وبلائهم فى الحروب ما هو معروف لا وليهم ثم لحقوا بشلب فتلقتهم قبائل مغراوة وبايعوا السلطان منهم على بن راشد فاستوسق ملكه وانصرف بنو عبد الواد والاميران أبو سعيد وأبو ثابت بعد ان أحكموا العقد وأبرموا الوثاق مع على بن راشد وقومه وكان فى طريقهم بالبطحاء أحياء سويد ومن معهم من احلافهم قد نزلوا هنالك مع شيخهم وترمار بن عريف منهزمهم من تاسالت أمام جيوش السلطان أبى عنان فأجفلوا من هنالك ونزل بنو عبد الواد مكانهم وكان فى جملتهم جماعة من بنى جرار بن يندوكس كبيرهم عمران بن موسى ففزا بن عثمان بن يحيى بن جرار الى تلمسان فعقد له على حرب أبى سعيد وأصحابه فنزل الجند الذين خرجوا معه الى السلطان أبى سعيد وانقلب هو الى تلمسان والقوم فى أثره فأدرك بطريقه وقتل ومر السلطان الى البلد فثارت العامة بعثمان بن جرار فاستأمن لنفسه من السلطان فأمنه ودخل الى قصر الملك آخر جمادى الاخيرة من سنة تسع وأربعين فاقتعد أريكته وأصدر أوامره واستوزر واستكتب وعقد لأخيه أبى ثابت الزعيم على ما وراء بابه من متون ملكهما وعلى القبيل والحروب واقتصر هو على ألقاب الملك واسمائه ولزم الدعة وتقبض لأول دخوله على عثمان بن يحيى بن جرار فأودعه المطبق الى أن مات فى رمضان من سنته ويقال قتيلا وكان من أول غزوات السلطان أبى ثابت غزاته الى كومية وذلك أن كبيرهم ابراهيم بن عبد الملك كان شيخا عليهم منذ حين من الدهر وكان يتسب فى بنى عابد وهم قوم عبد المؤمن بن على من بطون كومية فلما وقع الهرج بتلمسان حسب أنه لا يخلى

Marfat.com

غمامه وحدثته نفسه بالانتزاء فدعا لنفسه وأضرم بلاد كومية وما اليها من السواحل نارا وفتنة فجمع له السلطان أبو ثابت ونهض الى كومية فاستباحهم قتلا وسبيا واقتسم هنين ثم ندرومة بعدها وتقبض على ابراهيم بن عبد الملك الخارج فجاء به معتقلا الى تلمسان وأودعه السجن فلم يزل به الى أن قتل بعد أشهر وكانت أمصار المغرب الاوسط وثغوره لم تزل على طاعة السلطان أبي الحسن والقيام بدعوته وبها حاميته وعماله وأقربها الى تلمسان مدينة وهران كان بها القائد عبد بن سعيد بن جانا من صنائع بني مرين قد ضبطها ولقبها وملأها أقواتا ورجالا وسلاحا وملأ مرساها أساطيل فكان اول ما قدموه من أعمالهم النهوض اليه فنهض السلطان أبو ثابت بعساكر جمع قبائل زناتة والعرب ونزل على وهران وحاصرها أياما وكان في قلوب بني راشد احلافهم مرض فداخلوا قائد البلد في الانقضاض على السلطان أبي ثابت ووعدوه الوفاء بذلك عند المناجزة فبرز وناجزهم الحرب فانهزم بنو راشد وجرّوا الهزيمة على من معهم وقتل محمد ابن يوسف بن عثمان بن فارس أخي يغمراسن بن زيان من أكابر القرابة وانتهب المعسكر ونجا السلطان أبو ثابت الى تلمسان الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن لقاء أبي ثابت مع الناصر ابن السلطان أبي الحسن وفتح وهران بعدها)

كان السلطان أبو الحسن بعد وقعة القيروان قد لحق بتونس فأقام بها والعرب محاصرون له ينصبون الاعياس من الموحدين لطلب تونس واحدا بعد آخر كما ذكرناه في أخبارهم وبينما هو مؤمّل الكرّة ووصول المدد من المغرب الاقصى اذ بلغه الخبر بانتثار السلك أجمع وبانتقاض ابنه وحافده ثم استيلاء بني عثمان على المغرب كله ورجوع بني عبد الواد ومغراوة وتوجين الى ملكهم بالمغرب الاوسط للدعوة التي كانت قائمة له أمصاره في الجزائر ووهران وجبل وانشريس وكان به نصير بن عمر بن عثمان بن عطية قائما بدعوته وأن يكون عريف بن يحيي في جملة الناصر لمكانه من السلطان ومكان قومه من الولاية وكان ذلك من عريف تفاديا من المقام بتونس فأجاب اليه السلطان وبعثهم جميعا ولحق الناصر ببلاد حصين فأعطوه الطاعة وارتحلوا معه ولقيه العطاف والديالم وسويد فاجتمعوا اليه وتألبوا معه وارتحلوا يريدون مقدمات وبينما الامير أبو ثابت يريد معاودة الغزو الى وهران اذ فجأه الخبر بذلك فطير به الى السلطان أبي عنان وجاءه العسكر من بني مرين مددا صحبة أبي زيان ابن أخيه أبي سعيد كان مستقرا بالمغرب منذ نهضهم الى القيروان وبعث عنه أبوه فجاء مع المدد من العساكر والمال ونهض أبو ثابت من تلمسان أول المحرم سنة خمسين وبعث الى مغراوة بالخبر فقعدوا عن مناصرته ولحق ببلاد العطاف فلقيه الناصر هنالك في جموعه بوادي ورك آخر شهر

Marfat.com

ربيع الاول فانكشفت جموع العرب وانهزموا ولحق الناصر بالزاب فنزل على أبي مزني ببسكرة الى أن أصحبه من رجالات سليم من أوصله الى أبيه بتونس ولحق عريف ابن يحيى بالمغرب الاقصى واحتل عند السلطان أبي عنان بمكانه من مجلسهم فحصل على البغية ورجع العرب كلهم الى طاعة أبي ثابت وخدمته واستراب بصغير بن عامر بن ابراهيم فتقبض عليه وأشخصه معتقلا مع البريد الى تلمسان فاعتقل بها الى أن أطلق بعد حين وقفل أبو ثابت الى تلمسان فنلوم بها أياما ثم نهض الى وهران في جمادى من سنته فحاصرها أياما ثم افتتحها عنوة وعفا عن علي بن جانا القائم بعد مهلك أخيه عبو وعمن معه وأطلق سبيلهم واستولى على ضواحي وهران وما اليها ورجع الى تلمسان وقد استحكمت العداوة بينه وبين مغراوة وكان قد استجرها ما قدمناه من قعودهم عن نصره فنهض اليهم في شوال من سنته والتقوا عدوة وادي زهير فاقتتلوا ملياً ثم انكشفت مغراوة ولحقوا بمعاقلهم واستولى أبو ثابت على معسكرهم وملك نازونة وبعث ببيعتها الى أخيه السلطان أبي سعيد وكان على اثر ذلك وصول السلطان أبي الحسن من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

{الخبر عن وصول السلطان أبي الحسن من تونس ونزوله بالجزائر وما دار بينه وبين أبي ثابت من الحروب ولحوقه بعد الهزيمة بالمغرب}

كان السلطان أبو الحسن بعد واقعة القيروان طال مقامه بتونس وحصار العرب اياه واستدعاء أهل المغرب الاقصى وانتقض عليه أهل الجريد وبايعوا الفضل بن مولانا السلطان أبي يحيى فأجمع الرحلة الى المغرب وركب السفن من تونس أيام الفطر من سنة خمسين فعصفت به الريح وأدركه الغرق فغرق أسطوله على ساحل بجاية ونجا بذمائه على بعض الجزائر هنالك حتى لحقه أسطول من أساطيله فنجا فيه الى الجزائر وبها حمو ابن يحيان العسري قائده وصنيعة أبيه فنزل عليه وبادر اليه أهل ضاحيتها من مليكش والثعالبة فاستخدمهم وبث فيهم العطاء واتصل خبره بونزمار بن عريف وهو في أحياء سويد فوفد عليه في مشيخة من قومه ووفد معه نصر بن عمر بن عثمان صاحب جبل وانشريس من بني يتعرين وعدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي الثائر بنواحي المرية من ولد عبد القوي فأعطوه الطاعة واستحثوه للخروج معهم فردهم للحشد فجمعوا من اليهم من قبائل العرب وزناتة وبينما الامير أبو ثابت ببلاد مغراوة محاصر اياهم في معاقلهم اذ بلغه الخبر بذلك في ربيع سنة احدى وخمسين فعقد السلم معهم ورجع الى قتال هؤلاء فأخذ على متداس وخرج الى السرسو قبلة وانشريس وأجفل أمامه ونزمار وجموع العرب الذين معه ولحق به هنالك مدد السلطان أبي

Marfat.com

عنان قائدهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى فاتبع آثار العرب وشرّدهم ولحقت حياء حصين بمعاقلهم من جبل تيطرى ثم عطف على المرية ففتحها وعقد عليها لعمر بن موسى الجلولى من صنائعهم ثم نهض الى حصين فاقتحم عليهم الجبل فلاذوا بالطاعة وأعطوا أبناءهم رهنا عليها فتجاوزهم الى وطاء حمزة فدوّخها واستخدم قبائلها من العرب والبربر والسلطان أثناء ذلك مقيم بالجزائر ثم قفل أبو ثابت الى تلمسان وقد كان استراب بيحيى بن رحو اوعسكره من بنى مرين وأنهم داخلوا السلطان أبا الحسن وبعث فيه الى السلطان أبى عنان فأدّاله بعيسى بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد ابن يعقوب فبعثه قائدا على الحصة المرينية فتقبض على يحيى بن رحو ولحقوا مع أبى ثابت بتلمسان ثم أجاز الى المغرب وأوعز السلطان أبو الحسن الى ابنه الناصر مع أوليائه من زناتة والعرب فاستولى على المرية وقتل عثمان بن موسى الجلولى ثم تقدم الى مليانة فملكها والى تيمرو غت كذلك وجاء على اثره السلطان أبو الحسن كذلك أبوه وقد اجتمعت اليه الجموع من زغبة ومن زناتة ومن عرب افريقية سليم ورياح مثل محمد بن طالب بن مهلهل ورجال من عشيرته وعمر بن على بن أحمد الذوادى وأخيه أبى دينار ورجالات من قومهما وزحف على هذه التعبية وابنه الناصر أمامه فأجفل على بن راشد وقومه مغراوة عن بلادهم الى البطحاء وطير الخبر الى أبى ثابت فوافاه فى قومه وحشوده وزحفوا جميعا الى السلطان أبى الحسن وقومه فالتقى الجمعان بتيمغرين من شلب وصابروا مليا ثم انكشف السلطان أبو الحسن وقومه وطعن ولده الناصر بعض فرسان مغراوة وهلك آخر يومه وقتل محمد بن على بن العربى قائد أساطيله وابن البواق والقبائلى كاتباه واستبيح معسكره وما فيه من متاع وحرم وخلص بناته الى وانشريس وبعث بهن أبو ثابت الى السلطان أبى عنان بعد استيلائه على الجبل وخلص السلطان أبو الحسن الى أحياء سويد الى الصحراء فنصابه نزمار بن عريف الى سجلماسة كما يأتى فى أخباره ودوّخ أبو ثابت بلاد بنى توجين وقفل الى تلمسان والله تعالى أعلم

{الخبر عن حروبهم مع مغراوة واستيلاء أبى ثابت على بلادهم ثم على الجزائر ومقتل على بن راشد بتنس على اثر ذلك}

كان بين هذين الحيين من عبد الواد ومغراوة فتن قديمة سائر أيامهم قد ذكرنا الكثير منها فى أخبارهم وكان بنو عبد الواد قد غلبوهم على أوطانهم حتى قتل راشد بن محمد فى جلائه أمامهم بين زواوة ولما اجتمعوا بعد نكبة القيروان على أميرهم على بن راشد وجاؤوه من افريقية الى أوطانهم مع بنى عبد الواد ولم يطيعوهم حينئذ أن يغلبوهم رجعوا حينئذ الى توثيق العهد وتأكيد العقد فأبرموه وقاموا على الموادعة

Marfat.com

والتظاهر على عدوهم وعروق الفتنة تنبسط من كل منهم ولما جاء الناصر من افريقية وزحف اليه أبو ثابت قعد عنه على بن راشد وقومه فاعتدها عليهم وأسرها فى نفسه ثم اجتمع بعد ذلك للقاء السلطان أبى الحسن حتى انهزم ومضى الى المغرب فلما رأى أبو ثابت أنه قد كفى عدوه الاكبر وفرغ الى عدوه الاصغر نظر فى الانتقاض عليهم فبينما هو يروم أسباب ذلك اذ بلغه الخبر أن بعض رجالات بنى كمين من مغراوة جاء الى تلمسان فاغتالوه فحمى له أنفسة وأجمع لحربهم وخرج من تلمسان فاتحة ثنتين وخمسين وبعث فى أحياء زغبة من بنى عامر وسويد فجاءوه بفارسهم وراجلهم وظعنهم وزحف الى مغراوة فخافوا من لقائه وتحصنوا بالجبل المطل على تنس فحاصرهم فيه أياما اتصلت فيها الحروب وتعددت الوقائع ثم ارتحل عنهم فجال فى نواحى البلد ودوخ أقطارها وأطاعته مليانة والمرية وبرشك وشرشال ثم تقدم بجموعه الى الجزائر فاحاط بها وبها قل بنى مرين وعبد الله بن السلطان أبى الحسن تركه هنالك صغيرا فى كفالة على بن سعيد ابن جانا فغلبهم على البلد وأشخصهم فى البحر الى المغرب وأطاعته الثعالبة وملينة وقبائل حصين وعقد على الجزائر لسعيد بن موسى بن على الكردى ورجع الى مغراوة فحاصرهم بمعقلهم الاول بعد أن انصرفت العرب الى مشاتيها فاشتد الحصار على مغراوة وأصابهم واشيهم العطش فانحطت دفعة واحدة من الجبل تطلب المورد فأصابهم الدهش ونجا من نجا واعتذر على بن راشد الى تنس فأحاط به أبو ثابت أياما ثم اقتحمها عليه غلابا منتصف شعبان من سنته فاستعجل المنية وتحامل على نفسه فذبح نفسه وافترقت مغراوة من بعده وصارت أوزاعا فى القبائل وقفل أبو ثابت الى تلمسان الى أن كان من حركة السلطان أبى عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن استيلاء السلطان ابى عنان على تلمسان وانقراض أمر بنى عبد الواد ثانية

لما لحق السلطان أبو الحسن بالمغرب وكان من شأنه مع ابنه أبى عنان الى أن هلك بجبل هنتاتة على ما نذكره فى أخبارهم فاستوسق ملك المغرب للسلطان أبى عنان وفرغ لعدوه وسما لاسترجاع الممالك التى ابتزها أبوه وانتزعها ممن توثب عليه وكان قد بعث اليه على ابن راشد من مكان امتناعه من جبل تنس يسأل منه الشفاعة فرد أبو ثابت شفاعته وأحفظه ذلك وبلغه مقتل على بن راشد فاجمع غزو تلمسان ونذر بذلك أبو سعيد وأخوه فخرج أبو ثابت وحشد القبائل من زناتة والعرب منتصف ذى القعدة ونزل بوادى شلب واجتمع الناس اليه وواصلته هنالك بيعة تداس فى ربيع من سنة ثلاث غلب عليها الموحدون جانا الخراسانى من صنائعه وبلغه من مكانه ذلك زحف السلطان أبى

Marfat.com

عنان فرجع الى تلمسان ثم خرج الى المغرب و جاء على اثره أخوه السلطان أبو سعيد
فى العساكر من زناتة ومعه بنو عامر من زغبة والفل من سويد اذ كان جمهورهم قد
لحقوا بالمغرب لمكان عريف بن يحيى وابنه من ولاية بنى مرين فزحفوا على هذه
التعبية وزحف السلطان أبو عنان فى أمم المغرب
والعرب المعقل والمصامدة وسائر طبقات الجنود والحشد وانتهوا جميعا الى
انكاد من بسيط وجدة فكان اللقاء هنالك آخر ربيع الثانى من سنة ثلاث وخمسين
واجتمع بنو عبد الواد على صدمة العساكر وقت القائلة وبعد ضرب الابنية
وسقاء الركاب وانتزاف أهل المعسكر فى حاجاتهم فاعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب
السلطان أبو الحسن لتلافى الامر فاجتمع اليه اوشاب من الناس وانفض سائر المعسكر
ثم زحف اليهم فيمن حضره وصدقوهم القتال فاختل مصافهم ومنحوا اكتافهم
وخاضوا بحر الظلماء واتبع بنو مرين آثارهم وتقبض على أبى سعيد للتثذ مقيدا
أسيرا الى السلطان أبى عنان بمشهد الملا وبخه ثم نقل الى محبسه
وقتل لتاسعة من ليالى اعتقاله وارتحل السلطان أبو عنان الى تلمسان ونجا الزعيم
أبو ثابت بمن معه من فل بنى عبد الواد ومن خلص اليه منهم ذاهبا الى بجاية ليمد فى ايالة
الموحدين وليجة من عدوه فبيته زوارة فى طريقه وألد عن أصحابه وأرجل عن فرسه
وذهب راجلا عاريا ومعه رفقاء من قومه منهم أبو زيان محمد ابن أخيه السلطان أبو سعيد
وأبو حمو وموسى ابنا أخيهم يوسف ابن أخيه ووزيرهم يحيى بن داود بن فكن وكان
السلطان أبو عنان أوعز الى صاحب بجاية يومئذ المولى أبى عبد الله حافد مولانا
السلطان أبى بكر بأن يأخذ عليهم الطرق ويذكى فى طلبهم العيون فعثر عليهم بساحة
البلد وتقبض على الامير أبى ثابت الزعيم وابن أخيه محمد بن أبى سعيد ووزيرهم يحيى
ابن داود وأدخلوا الى بجاية ثم خرج صاحبها الامير أبو عبد الله الى لقاء السلطان أبى
عنان واقتادهم فى قبضة أسره فلقيه بمعسكره من ظاهر المرية فأكرم وفادته وشكر
صنيعه وانكفأ راجعا الى تلمسان فدخلها فى يوم مسعود وحمل يومئذ أبو ثابت ووزيره
يحيى على جملين يتهاديان بهما بين سماطى ذلك المحمل فكان شأنهما عجبا ثم سقاهما
يومهما الى مصرعهما بصحراء البلد فقتلا قعصا بالرماح وانقرض ملك آل زيان
وذهب ما أعاده لهم بنو عبد الرحمن هؤلاء من الدولة بتلمسان الى أن كانت لهم الكرة
الثالثة على يد أبى حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن المتوليها لهذا العهد على
ما سنذكره ونستوفى من أخباره ان شاء الله تعالى

Marfat.com

كان يوسف بن عبد الرحمن هذا في ايالة أخيه السلطان أبي سعيد بتلمسان هو وأخوه أبو حمو موسى وكان متكاسلا عن طلب الظهور متجافيا عن التهالك في طلب العز جانحا الى السكون ومذاهب أهل الخير حتى اذا عصفت به ولتهم رياح بني مرين وتغلب السلطان أبو عنان عليهم وابتزهم ما كان بيدهم من الملك وخلص ابنه أبو حمو موسى مع عمه أبي ثابت الى الشرق وقذفت النوى بيوسف مع أشراف قومه الى المغرب فاستقر به ولما انقبض على أبي ثابت على وطن بجاية أغفل أمر أبي حمو من بينهم ونبت عنه العيون فنجا الى تونس ونزل بها على الحاجب أبي محمد تافراكين فأكرم نزله وأحله بمكان أعباص الملك من مجلس سلطانه ووفر جرايته ونظم معه آخرين من فل قومه وأوعز السلطان أبو عنان اليه بازعاجهم عن قرارهم في دولته فحمى لها انفه وأبى عن الهضيمة لسلطانه فأغرى ذلك أبا عنان بمطالبته وكانت حركته الى بلاد افريقية ومنابذة العرب من رياح وسليم لعهده ونقضهم لطاعته كما نستوفي أخباره ولما كانت سنة تسع وخمسين قبل مهلكه اجتمع أمر الزواودة من رياح الى الحاجب أبي محمد بن تافراكين ورغبوه في لحاق أبي حمو موسى بن يوسف بالعرب من زغبة وانهم ركابه لذلك ليجلب على نواحي تلمسان ويجعل السلطان أبي عنان شغلا عنهم وسألوه أن يجهز عليه بعض آلة السلطان ووافق ذلك رغبة صغير بن عامر أمير زغبة في هذا الشأن وكان يومئذ في أحياء يعقوب بن علي وجواره فأصلح الموحدون شأنه بما قدروا عليه ودفعوه الى مصاحبة صغير وقومه من بني عامر وارتحل معهم من الزواودة عثمان بن سباع ومن احلافهم بنو سعيد دعار بن عيسى بن رحاب وقومه ونهضوا بجموعهم يريدون تلمسان وأخذوا على القفر ولقيهم أثناء طريقهم الخبر عن مهلك السلطان أبي عنان فقويت عزائمهم على ارتجاع ملكهم ورجع عنهم صولة بن يعقوب وأغذ السير الى تلمسان وبها الكتائب المجمهرة من بني مرين واتصل خبر ابي حمو بالوزير الحسن بن عمر القائم بالدولة من بعد مهلك السلطان أبي عنان والمتغلب على ولده السعيد من بعده فجهز المدد الى تلمسان من الحامية والاموال ونهض أولياء الدولة من أولاد عريف بن يحيي أمراء البدو من المغرب في قومهم من سويد ومن اليهم من العرب لموافقة السلطان أبي حمو وأشياعه فانفض جمعهم وغلبوا على تلك المواطن واحتل السلطان أبو حمو وجموعه بساحة تلمسان وأناخوا ركابهم عليها ونازلوها ثلاثا ثم اقتحموها في صبيحة الرابع وخرج ابن السلطان أبي عنان الذي كان أميرا عليها في لمة من قومه فنزل على

Marfat.com

صغير بن عامر أمير القوم فأحسن تجلته وأصحبه من عشيرته الى حضرة أخيه ودخل السلطان أبو حمو تلمسان لثمان خلون من الربيع الاول سنة ستين واحتل منها بقصر ملكه واقتعد أريكته وبويع بيعة الخلافة ورجع الى النظر فى تمهيد قواعد ملكه واخراج بنى مرين من أمصار مملكته والله أعلم

(الخبر عن اجفال أبى حمو عن تلمسان أمام عساكر المغرب ثم عوده اليها)

كان القائم بامر المغرب من بعد السلطان ابى عنان وزيره الحسن بن عمر كافل ابنه السعيد الذى أخذله البيعة على الناس فاستبد عليه وملك أمره وجرى على سياسة السلطان الهالك واقتفى أثره فى الممالك الدانية والقاصية فى الحماية والنظر لهم وعليهم ولما اتصل به خبر تلمسان وتغلب أبى حمو عليها قام فى ركابه وشاور الملأ فى النهوض اليه فأشاروا عليه بالقعود وتسريح الجنود والعساكر فسرح لها ابن عمه مسعود بن رحو بن على بن عيسى بن ماساى بن فودود وحكمه فى اختيار الرجال واستجادة السلاح وبذل الاموال واتخاذ الآلة فزحف الى تلمسان واتصل الخبر بالسلطان أبى حمو وأشياعه من بنى عامر فأفرج عنها ولحق بالصحراء ودخل الوزير مسعود بن رحو تلمسان وخالفه السلطان أبى حمو الى المغرب فنزل بسيط انكاد وسرح اليهم الوزير مسعود بن رحو ابن عمه عامر بن عبد بن ماساى فى عسكر من كتائبه ووجوه قومه فأوقع بهم العرب وأبو حمو ومن معهم واستباحوهم وطار الخبر الى تلمسان واختلفت أهواء من كان بها من بنى مرين وبدا ما كان فى قلوبهم من المرض لتغلب الحسن بن عمر على سلطانهم ودولتهم فتحيزوا زرافات لمبايعة بعض الاعياص من آل عبد الحق وفطن الوزير مسعود بن رحو لما دبروه وكان فى قلبه مرض من ذلك فاغتنمها وبايع لمنصور ابن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق كبير الاعياص المنفرد بالتجلة وارتحل به وبقومه من بنى مرين الى المغرب وتجافى عن تلمسان وشأنها واعترضه عرب المعقل فى طريقهم الى المغرب فأوقع بهم بنو مرين وصمدوا لصليهم ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان واستقر بحضرته ودار ملكه ولحق به عبد الله بن مسلم فاستوزره وأسام اليه فاشتد به أزره وغلب على دولته كما نذكره الى أن هلك والبقاء لله وحده

{الخبر عن مقدم عبد الله بن مسلم من مكان عمله بدرعة ونزوله من ايالة بنى مرين الى أبى حمو وتقليده اياه الوزارة وذكر أوليته ومصاير أموره}

كان عبد الله بن مسلم من وجوه بنى زرداال من بنى بادين اخوة بنى عبد الواد وتوجين ومصاب الا أن بنى زرداال اندرجوا فى بنى عبد الواد لقلتهم واختلطوا بنسبهم ونشأ عبد الله

ابن مسلم فى كفالة موسى بن على اعهد السلطان آبى تاشفين مشهورا بالبسالة والاقدام طار له بها ذكر وحسن بلاؤه فى حصار تلمسان ولما تغلب السلطان أبو الحسن على بنى عبد الواد وابتزهم ملكهم استخدمهم وكان ينتقى أولى الشجاعة والاقدام منهم فرمى بهم ثغور المغرب ولما اعترض بنو عبد الواد ومن به عبد الله هذا ذكره شأنه ونعت ببأسه فبعثه الى درعة واستوصى عامله به فكان له عنه غناء فى مواقفه مع خوارج العرب وبلاء حسن جذب ذلك بضبعه ورقى عند السلطان منزلته وعرفه على قومه ولما كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان ومرج أمر المغرب وتوثب أبو عنان على الامر وبويع بتلمسان واستجمع حاشده منصور بن أبى مالك عبد الواحد لمدافعته وحشد حامية الثغور للقائه وانفضت جموعه بتازى وخلص الى البلد الجديد ونازله وكان عبد الله بن مسلم فى جملته ولما نازله السلطان أبو عنان واتصلت الحرب بينهم أياما كان له فيها ذكر ولما رآى انه أحيط بهم سابق الناس الى السلطان أبى عنان فرأى سابقيته وقلده عمل درعة فاضطلع بها مدة خلافته وتأكدت له أيام ولايته مع عرب المعقل وصله وعهد ضرب بهما فى مواخاتهم بسهم وكان السلطان أبو عنان عند خروج أخيه أبى الفضل عليه لحقه بجبل ابن حميدى من معاقل درعة أو عز اليه بأن يعمل الحيلة فى القبض عليه فدا خل ابن حميدى ووعده وبذل له فأجاب وأسلمه وقاده عبد الله بن مسلم أسيرا الى أخيه السلطان أبى عنان فقتله ولما استولى السلطان أبو سالم رفيق أبى الفضل فى مثوى اغترابهما بالاندلس على بلاد المغرب من بعد مهلك السلطان أبى عنان وما كان اثره من الخطوب وذلك آخر سنة ستين خشيه ابن مسلم على نفسه ففارق ولايته ومكان عمله وداخل أولاد حسين أمراء المعقل فى النجاة به الى تلمسان فأجابوه ولحق بالسلطان أبى حمو فى ثروة من المال وعصبة من العشيرة وأولياء من العرب فسر بمقدمه وقلده لحينه وزارته ورشد به أواخى سلطانه وفوض اليه تدبير مملكه فاستقام أمره وجمع القلوب على طاعته وجاء بالمعقل من مواطنهم الغربية فاقبلوا عليه وعكفوا على خدمته وأقطعهم مواطن تلمسان وآخى بينهم وبين زغبة فعلا كعبه واستفحل أمره واستقامت رياسته الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

الخبر عن استيلاء السلطان أبى سالم على تلمسان ورجوعه الى المغرب بعد أن ولى عليها أبو زيان حافد السلطان أبى تاشفين وما آل أمره

لما استوسق للسلطان أبى سالم ملك المغرب ومحا أثر الخوارج على الدولة عما الى امتداد ظله الى أقصى تخوم زناتة كما كان لابيه وأخيه وحرّكه الى ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الى تلمسان بحيالة عمله فأجمع أمره على النهوض الى تلمسان وعسكر

Marfat.com

بظاهر فاس منتصف احدى وستين وبعث فى الحشود فتوافت ببابه واكتملت ثم ارتحل اليها وبلغ الخبر الى السلطان أبى حمو ووزيره عبد الله بن مسلم فنادوا فى العرب من زغبة والمعقل كافة فأجابوهم الا شرذمة قليلة من الاحلاف وخرجوا بهم الى الصحراء ونازل حلهم بعسكره ولما دخل السلطان أبو سالم وبنو مرين تلمسان خالفوهم الى المغرب فنازلوا وطاط وبلاد ملوية وكرسف وحطموا زروعها وانتسفوا أقواتها وخربوا عمرانها وبلغ السلطان أبا سالم ما كان من صنيعهم فأهمه أمر المغرب واجلاب المفسدين عليه وكان فى جملته من آل يغمراسن محمد بن عثمان ابن السلطان أبى تاشفين ويكنى بأبى زيان ويعرف بالفنز ومعناه العظيم الرأس فدفعه للامر وأعطاه الآلة وكتب له كتيبة من توجين ومغراوة كانوا فى جملته ودفع اليه أعطياتهم وأنزله بقصر أبيه بتلمسان وانكفأ راجعا الى حضرته فأجفلت العرب والسلطان أبو حمو أمامه وخالفوه الى تلمسان فأجفل عنها أبو زيان وتحيز الى بنى مرين بأمصار الشرق من البطحاء وملیانة ووهران وأوليائهم من بنى توجين وسويد من قبائل زغبة ودخل السلطان أبو حمو ووزيره عبد الله بن مسلم الى تلمسان وكان مقبر بن عامر هلك فى مذهبهم ذلك ثم خرجوا فيمن اليهم من كافة عرب المعقل وزغبة فى اتباع أبى زيان ونازلوه بجبل وانشريس فيمن معه الى أن غلبوا عليه وانفض جمعه ولحق بمكانه من اياله بنى مرين بفاس ورجع السلطان أبو حمو الى معاقل وطنه يستنقذها من ملكة بنى مرين فافتتح كثيرها وغلب على ملیانة والبطحاء ثم نهض الى وهران ونازلها أياما واقتحمها غلابا واستلحم بها من بنى مرين عددا ثم غلب على المرية والجزائر وأزعج عنها بنى مرين فلحقوا بأوطانهم وبعث رسله الى السلطان أبى سالم فعقد معه المهادنة ووضعوا أوزار الحرب ثم كان مهلك السلطان أبى سالم سنة ثنتين وستين وقام بالامر من بعده عمر بن عبد الله بن على من أبناء وزرائهم مبايعا لولد السلطان أبى الحسن واحدا بعد آخر كما نذكره عند ذكر أخبارهم ان شاء الله تعالى

{الخبر عن قدوم أبى زيان ابن السلطان أبى سعيد من المغرب لطلب ملكه وما كان من أحواله}

كان أبو زيان هذا وهو محمد ابن السلطان أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن لما انقبض عليه مع عمه أبى ثابت ووزيرهم يحيى بن داود بهاية من أعمال الموحدين وسيقوا الى السلطان ابى عنان فقتل أبا ثابت ووزيره واستبقى محمدا هذا وأودعه السجن سائر أيامه حتى اذا هلك واستوسق أمر المغرب لاخيه أبى سالم من بعد خطوب وأهوال يأتى ذكرها امتن عليه السلطان أبو سالم وأطلقه من الاعتقال

Marfat.com

ونظمه بمجلس ملكه فى مراتب الاعيان وأعده لمزاحمة ابن عمه وجرت بينه وبين السلطان أبي حمو سنة ثنتين وستين بين يدى مهلكه ذكرى بعد مرجعه من تلمسان ومرجع أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين من بعده تحقق السعى فيما نصبه له فسماله أمل فى أبي زيان هذا أن يستأثر بملك أبيه ورأى أن يحسن الصنيع فيه فيكون فتنة له فأعطاه الآلة ونصبه للملك وبعثه الى وطن تلمسان وأتى الى تازى ولحقه هنالك الخبر بهلاك السلطان أبي سالم ثم كانت فتن واحداث نذكرها فى محلها وأجلب عبد الحليم ابن السلطان ابى على ابن السلطان أبي سعيد بن يعقوب بن عبد الحق على فاس واجتمع اليه بنو مرين ونازلوا البلد الجديد ثم انفض جمعهم ولحق عبد الحليم بتازى كما نذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى ورجا من السلطان أبي حمو المظاهرة على أمره فراسله فى ذلك واشترط عليه ابن عمه أبي زيان فاعتقله مرضاة له ثم ارتحل الى سجلماسة كما نذكره بعد ونازله فى طريقه أولاد حسين من المعقل بحلالهم واحيائهم فاستغفل أبو زيان ذات يوم الموكلين به ووثب على فرس قائم حذاءه وركضه من معسكر عبد الحليم الى حلة أولاد حسين مستنجدا بهم فأجاروه ولحق ببني عامر على حين غفلة وجفوة كانت بين السلطان أبي حمو وبين خالد بن عامر أميرهم ذهب لها مغاضبا فأجلب به على تلمسان وسرح اليهم السلطان أبو حمو عسكرا فشردهم عن تلمسان ثم بذل المال لخالد بن عامر على أن يقصيه الى بلاد رياح ففعل وأوصله الى الزواودة فأقام فيهم ثم دعاه أبو الليل بن موسى شيخ بني يزيد وصاحب وطن حمزة وبني حسن وما اليه ونصبه للامر مشاقة وعنادا للسلطان أبي حمو ونهض اليه الوزير عبد الله بن مسلم فى عساكر بني عبد الواد وحشود العرب وزناتة فأيقن أبو الليل بالغلب وبذل له الوزير المال وشرط له التجافى عن وطنه على أن يرجع عن طاعة أبي زيان ففعل وانصرف الى بجاية ونزل بها على المولى أبي اسحق ابن مولانا السلطان أبي يحيى أكرم نزل ثم وقعت المراسلة بينه وبين السلطان أبي حمو وتمت المهادنة وانعقد السلم على اقصاء أبي زيان عن بجاية المتاخمة لوطنه فارتحل الى حضرة تونس وتلقاه الحاجب أبو محمد بن تافراكين قيوم دولة الحفصيين لذلك العهد من المبرة والترحيب واستناء الجراية له وترفيع المنزلة بما لم يعهد لمثله من الاعيان ثم لم تزل حاله على ذلك الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم أبي زيان حافد السلطان أبي تاشفين ثانية من المغرب الى تلمسان لطلب ملكها وما كان من أحواله

كان العرب من سويد احدى بطون زغبة فئة لبني مرين وشيعة من عهد عريف بن يحيى مع السلطان أبي الحسن وابنه أبي عنان فكانوا عند بني عبد الواد فى عداد

عدوهم من بنى مرين مع طاغية الدولة لبنى عامر أقتالهم فكانوا منابذين لبنى عبد الواد
آخر الايام وكان كبيرهم وتزمار بن عريف أوطان كرسف فى جوار بنى مرين مذ مهلك
السلطان أبى عنان وكان مرموقا بعين التجلة يرجعون الى رأيه ويستمعون الى
قوله وأهمه شأن اخوانه فى وطنهم ومع اقتالهم بنى عامر فاعتزم على نقض الدولة من
قواعدها وحمل صاحب المغرب عمر بن عبد الله على أن يسرح محمد بن عثمان حافد
أبى تاشفين لمعاودة الطلب لملكه ووافق ذلك نفرة استحكمت بين السلطان أبى حمو
وأحمد بن رحو بن غانم كبير أولاد حسن من المعقل بعد ان كانوا فئة له ولوزيره عبد الله
ابن مسلم فاغتنمها عمر بن عبد الله وخرج أبو زيان محمد بن عثمان سنة خمس وستين فنزل
فى حلل المعقل بعلوية ثم نهضوا به الى وطن تلمسان وارتاب السلطان أبو حمو بخالد
ابن عمر أمير بنى عامر فتقبض عليه وأودعه المطبق ثم سرح وزيره عبد الله بن مسلم
فى عساكر بنى عبد الواد والعرب فأحسن دفاعهم وانفضت جموعهم ورحلهم الى
ناحية السرو وهو فى اتباعهم الى أن نزلوا المسيلة من وطن رياح وصاروا فى جوار
الزواودة ثم نزل بالوزير عبد الله بن مسلم داء الطاعون الذى عاود أهل العمران عامئذ
من بعد ما أهلكهم سنة تسع وأربعين قبلها فانكفأ به ولده وعشيرته راجعين وهلك
فى طريقه وأرسلوا شلوه الى تلمسان فدفن بها وخرج السلطان أبو حمو الى مدافعة
عدوه وقد فت مهلك عبد الله فى عضده ولما انتهى الى البطحاء وعسكر بها ناجزته جموع
السلطان أبى زيان الحرب وأطلت رايانه على المعسكر فداخلهم الرعب وانفضوا
وأعجلهم الأمر عن ابنيتهم وأزوادهم فتركوها وانفضوا وتسلل أبو حمو يبغى النجاة الى
تلمسان واضطرب أبو زيان فسطاطه بمكان معسكره وساقه أحمد بن رحو أمير المعقل الى
منجاته فلحقه بسك وكر اليه السلطان أبو حمو فيمن معه من خاصته وصدقوه الدفاع
فكبا به فرسه وقطع رأسه ولحق السلطان أبو حمو بحضرته وارتحل أبو زيان والعرب فى
اتباعه الى أن نازلوه بتلمسان أياما وحدثت المنافسة بين أهل المعقل وزغبة واسف
زغبة استبداد المعقل عليهم وانفرادا أولاد حسين برأى السلطان دونهم فاغتنمها
أبو حمو وأطلق أميرهم عامر بن خالد من محبسه وأخذ عليه الموثق من الله ليخذلن
الناس عنه ما استطاع وليرجعن بقومه عن طاعة أبى زيان وليفرقن جموعه ففى له
بذلك العهد ونفس عليه المخنق وتفرقت احزابهم ورجع أبو زيان الى مكانه من ايالة
بنى مرين واستقام أمر السلطان أبى حمو وصلحت دولته بعد الالتياث الى ان كان
من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان أبى حمو على ثغور المغرب)

كان وتزمار بن عريف متولى كبر هذه الفتن على أبى حمو وبعث الاعياص عليه واحدا بعد واحد لما كان بينهم من العداوة المتصلة كما قدمناه وكان منزله كرسيف من ثغور المغرب وكان جاره محمد بن زكراز كبير بنى على من بنى واكاس الموطنين بجبل دبدو وكانت أيديهما عليه واحدة فلما سكن الثوار عنه وأزاحهم عن وطنه الى المغرب وانعقد سلمه معهم رأى أن يعتور هذين الاميرين فى ثغورهما فاعمل الحركة الى المغرب فاتح سنة ست وستين وانتهى الى دبدو وكرسيف واجفل وتزمار وامتنع بمعاقل الجبال فانتهب أبو حمو الزروع وشمل بالتخريب والعيث سائر النواحى وقصد محمد بن زكراز أيضا فى معقل دبدو فامتنع بحصنه الذى اتخذه هنالك وعاج عليه أبو حمو بركابه وجاس خلال وطنه وشمل بالتخريب والعيث نواحى بلده وانكفأ راجعا الى حضرته وقد عظمت فى نحوم بنى مرين وثغورهم نكايته وثقلت عليهم وطأته وانعقدت بينهما بعد بدء المهادنة والسلم فلما عرفت عزائمه الى بلاد افريقية فكانت حركته الى بجاية من العام المقبل ونكبته عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن حركة السلطان أبى حمو الى بجاية ونكبته عليها) *

كان صاحب بجاية المولى الامير أبو عبد الله لما استولى عليها وعادت اليه العودة الثانية سنة خمس وستين كما ذكرناه فى أخباره زحف الى تدلس فغلب عليها بنى عبد الواد وأنزل بها عامله وحاميته ثم أظلم الجو بينه وبين صاحب قسنطينة السلطان أبى العباس ابن عمه الامير أبى عبد الله لما جرته بينهما المتاخمة فى العمالات فنشأت بينهما فتن وحروب شغل بها عن حماية تدلس وألحت عليها عساكر بنى عبد الواد بالحصار وأحيط بها فأوفد رسله على السلطان أبى حمو صاحب تلمسان فى المهادنة على النزول له عن تدلس فتسلمها أبو حمو وأنزل بها حاميته وعقد معه السلم وأصهر اليه فى ابنته فأجابه وزفها اليه فتلقاها قبلة زواوة آخر عملهم من حدود بجاية وفرغ صاحب بجاية لشأنه وكان أثناء الفتنة معه قد بعث الى تونس عن أبى زيان ابن عمه السلطان أبى سعيد لينزله بتدلس ويشغل به السلطان أبا حمو عن فتنته وكان من خبر أبى زيان هذا انه أقام بتونس بعد مهلك الحاجب أبى محمد بن تافراكين كما ذكرناه الى أن دس اليه مرضى القلوب من مشيخة بنى عبد الواد بتلمسان بالاجلاب على السلطان أبى حمو ووعدوه عن أنفسهم الخروج معه فصغى اليها واعتدها وارتحل يريد تحوم تلمسان وعمل بجاية وسرى بقسنطينة فتجافى عن الدخول اليها وتنكر لصاحبها وبلغ خبره السلطان أبا العباس صاحبها يومئذ فأجمع أمره على صده عن وجهه وحبسه بقسنطينة

واتصلت الفتنة بينه وبين ابن عمه صاحب بجاية وكان شديد الوطأة على أهل بلده مرهف الحد لهم بالعقاب الشديد حتى لقد ضرب أعناق خمسين منهم قبل أن يبلغ سنتين في ملكه فاستحكمت النفرة وساءت الملكة وعضل الداء وفزع أهل البلد الى مداخلة السلطان أبي العباس باستنقاذهم من ملكة العسف والهلاك بما كان أتيح لهم من الظهور على أميرهم فنهض اليها آخر سنة سبع وستين وبرز الامير أبو عبد الله للقائه وعسكر بنا مروا الجبل المطل على تاكردت وصبحه السلطان أبو العباس بعسكره هنالك فاستولى عليه وركض هو فرسه ناجيا بنفسه ومرت الخيل تعادى في أثره حتى أدركوه فأحاطوا به وقتلوه قعصا بالرماح عفا الله عنه وأجاز السلطان أبو العباس الى البلد فدخلها منتصف يوم العشرين من شعبان ولاذ الناس به من دهش الواقعة وتمسكوا بدعوته وآثروه طاعتهم فانجلت القيامة واستقام الامر وبلغ الخبر الى السلطان أبي حمو فأظهر الامتعاض لهلكه والقيام بثاره وسوء من ذلك حشوده في ارتقاء ونهض بجزء الامم الى بجاية من العرب وزناتة والحشد حتى أناخ بها وملأت مخيماته الجهات بساحتها وجنح السلطان الى مبارزته فتمهد به أهل البلد ولاذوا بعقامه فأسعفهم وطير البريد الى قسنطينة فأطلق أبازيان من الاعتقال وسوغه الملابس والمراكب والآلة وزحف به مولاه بشير في عسكر الى أن نزل حذاء معسكر أبي حمو واضطربوا محلهم بسفح جبل بني عبد الجبار وشنوا الغارات على معسكر أبي حمو صباحا ومساء لما كان نمى اليهم من مرض قلوب جنده والعرب الذين معه وبدا للسلطان أبي حمو ما لم يحتسب من امتناعها وكان تقدم اليه بعض سماسرة الفتن بوعد على لسان المشيخة من أهل البلد أطمعه فيها ووثق بأن ذلك يغنيه عن الاستعداد فاستبق اليها وأغفل الحزم فيما دونها فلما امتنعت عليه انطبق الجوع على معسكره وفسدت السابلة على العير للميرة واستحجم الزبون في احياء معسكره بظهور العدو المناهم في الملك وتفاسدت رجالات العرب من سوء المغبة وسطوة السلطان فتمشوا بينهم في الانفاض وتحينوا ذلك وقت المناوشة وكان السلطان لما كذبه وعد المشيخة أجمع قتالهم واضطرب الفساطيط مضايقة للاسوار متسنمة وعرا من الجبل لم يرضه أهل الرأي وخرج رجل الجبل على حين غفلة فحاولوا من كان بتلك الاخبية من المقاتلة فانهزموا أمامهم وتركوها بأيديهم فزقوها بالسيوف وعاين العرب على البعد انتهاب الفساطيط فأجفلوا وانفض المعسكر بأجمعه وحمل السلطان أبو حمو أثقاله للرحلة فأجهضوه عنها فتركها وانتهب مخلفه أجمع وتصايح الناس بهم من كل حدب وضاقت المسالك من ورائهم وأمامهم وركضت بزحامهم وتواقعوا الجنوبهم فهلك الكثير منهم

Marfat.com

وكانت من غرائب الواقعات تحدث الناس بها زمانا وسيقت حظاياه الى بجاية واستأثر الامير أبو زيان منهن بخطيته الشهيرة ابنة يحيي الزابي ينسب الى عبد المؤمن بن علي وكان أصهر فيها الى أبيها أيام تقلبه في سبيل الاغتراب ببلاد الموحدين كما سبق وكانت أعلق بقلبه من سواها فخرجت في مغانم الامير أبي زيان وتحرج عن مواقعتها حتى أوجده أهل الفتيا السبيل الى ذلك لحنث زعموا وقع من السلطان أبي حمو في نسائه وخلص السلطان أبو حمو من هوة ذلك العصب بعد غصة الريق ونجا الى الجزائر لا يكاد يرتد النفس من شناعة ذلك الهول ثم خرج منها ولحق بتلمسان واقتعد سرير ملكه واشتدت شوكة أبي زيان ابن عمه وتغلب على القاصية واجتمعت اليه العرب وكثر تابعه وزاحم السلطان أبا حمو بتلك الناحية الشرقية سنين تباعا نذكرها الآن أخبارها ان شاء الله تعالى

الخبر عن خروج أبي زيان بالقاصية الشرقية من بلاد حصين وتغلبه على المرية والجزائر وملبانة وما كان من الحروب معه

لما انهزم السلطان أبو حمو بساحة بجاية عشي يومه من أوائل ذي الحجة خاتم سنة سبع وستين قرع الامير أبو زيان طبوله واتبع أثره وانتهى الى بلاد حصين من زغبة وكانوا ساعين من الهضيمة والعسف اذ كانت الدول تجريهم مجرى الرعايا المعبدة في المغرم وتعدل بهم عن سبيل اخوانهم من زغبة أمامهم ووراءهم لبغية الغزو فيايعوه على الموت الاحمر ووقفوا بمعتصم من جبل تيطري الى أن دهمتهم عساكر السلطان ثم أجلبوا على المرية وكان بها عسكر ضخم للسلطان أبي حمو لنظر وزرائه عمران بن موسى بن يوسف وموسى بن عوت وواد فل بن عبو بن حماد ونازلوهم أياما ثم غلبوهم على البلد وملكها الامير أبو زيان ومن على الوزراء ومشيخة بني عبد الواد وترك سبيلهم الى سلطانهم وسلك سبيلهم الثعالبة في النجافي عن ذل المغرم فأعطوا يد الطاعة والانقياد للامير أبي زيان وكانت في نفوس أهل الجزائر نفرة من جور العمال عليهم فاستمالهم بها سالم بن ابراهيم بن نصر أمير الثعالبة الى طاعة الامير أبي زيان ثم دعا أبو زيان أهل ملبانة الى مثلها فأجابوه واعتقل السلطان أبو حمو نظره في الحركة الحاسمة لدائهم فبعث في العرب وبذل المال وأقطع البلاد على اشطاط منهم في الطلب وتحرك الى بلاد توجين ونزل قلعة بني سلامة سنة ثمان وستين يحاول طاعة أبي بكر بن عريف أمير سويد فلم يلبث عنه خالد بن عامر ولحق بأبي بكر بن عريف واجتمعا على الخلاف عليه ونقض طاعته وشنوا الغارة على معسكره فاضطرب وأجفلوا وانتهبت محلاته وأثقاله ورجع الى تلمسان ثم نهض الى ملبانة فافتتحها وبعث الى رياح على حين صاغية اليه من يعقوب بن علي بن أحمد وعثمان

ابن يوسف بن سليمان بن على أمير الزواودة لما كان وقع بينهما و بين السلطان مولانا أبى العباس من النفرة فاستنظره للحركة على الامير أبى زيان و بعدها الى بجاية وضمنوا له طاعة البدو من رياح و بعثوا اليه رهنهم على ذلك فردها وثوقا بهم ونهض من تلمسان وقد اجتمع اليه الكثير من عرب زغبة ولم يزل أولاد عريف بن يحيى وخالد بن عامر فى احيائهما منحرفين عنه بالصحراء وصمم اليهم فاجفلوا أمامه وقصد المخالفين من حصين والامير أبا زيان الى معتصمهم بجبل تيطرى وأغذ اليه السير يعقوب بن على وعثمان بن يوسف بمن معهم من جموع رياح حتى نزلوا بالقلعة حذاءهم وبدر أولاد عريف وخالد بن عامر الى الزواودة ليشردوهم عن البلاد قبل أن يد السلطان بيدهم فصبحوهم يوم الخميس أخريات ذى القعدة من سنة تسع وستين ودارت بينهم حرب شديدة وأجفلت الزواودة أولا ثم كان الظهور لهم آخرا وقتل فى المعركة من زغبة عدد و يئسوا من صدهم عما جاؤا اليه فانعطفوا الى حصين والامير أبى زيان وصعدوا اليهم بناجعتهم وصار والهم مددا على السلطان أبى حمو وشنوا الغارة على معسكره فصمدوا نحوه وصدقوه القتال فاختل مصافه وانهزمت عساكره ونجا بنفسه الى تلمسان على طريق الصحراء وأجفل الزواودة الى وطنهم وتحيز كافة العرب من زغبة الى الامير أبى زيان واتبع آثار المنهزمين ونزل بسيرات وخرج السلطان أبو حمو فى قومه ومن بقى معه من بنى عامر وتقدم خالد الى مصادمته فقفله السلطان وأجفل القوم من ورائه ثم تلطف فى مراسلته وبذل المال له وأوسع له فى الاشتراط اليه والتبس بخدمته ورجع الامير أبو زيان الى أوليائه من حصين متمسكا بولايته أولاد عريف ثم نزع محمد بن عريف الى طاعة السلطان وضمن له العدول بأخيه عن مذاهب الخلاف عليه وطال سعيه فى ذلك فاتهمه السلطان وحمله خالد بن عامر عدوه على نكبته فتقبض عليه وأودعه السجن واستحكمت نفرة أخيه أبى بكر ونهض السلطان بقومه وكافة بنى عامر اليه سنة سبعين واستغلظ أمر أبى بكر فجمع الحرث بن أبى مالك ومن وراءهم من حصين واعتصموا بالجبال من درالة وتيطرى ونزل السلطان بجموعه لعود بلاد الديالمة من الحرث فانتسفها والتهمها وحطم زروعها ونهب مدائرها وامتنع عليه أبو بكر ومن معه من الحرث وحصين والامير أبى زيان بينهم فارتحل عنهم وعطف على بلاد أولاد عريف وقومهم من سويد فلأها عيثا وخرب قلعة ابن سلامة لما كانت أحسن أوطانهم ورجع عليهم الى تلمسان وهو يرى أن قد شفا نفسه فى أولاد عريف وغلبهم على أوطانهم ورجع عليهم منزلة عدوهم فكان من لحاق أبى بكر بالمغرب وحركة بنى مرين ما نذكره

لما انقبض أبو حمو على محمد بن عريف وفرق شمل قومه سويد وعاث في بلادهم أجمع رأي أخيه الاكبر على الصريخ بملك المغرب فارتحل اليه بناجعته من بني مالك أجمع من أحياء سويد والديالم والعطاف حتى احتل بساتط ملوية من تخوم المغرب وسار الى أخيه الاكبر وترمار بمقره من قصر مرادة الذي اختطه بارجاع وادي ملوية في ظل دولة بني مرين وتحت جوارهم لما كان ملاك أمرهم بيده ومصادرهم عن آرائه خطة ورثها عن أبيه عريف بن يحيى مع السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن وابنه أبي عنان فتقبل ملوك المغرب مذاهب سلفهم فيه وتيمنوا برأيه واستأمنوا الى نصيحته فلما قدم عليه أخوه أبو بكر مستصفيا بملك المغرب وأخبر باعتقال أخيه الآخر محمد قدح عزائمه وأوفد أخاه أبا بكر ومشيخة قومهم من بني مالك على السلطان عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن منصرفه من افتتاح جبل هنتاتة وظفر بعامر بن محمد ابن علي النازع الى الشقاق في معتصمه فلقوه في طريقه ولقاهم مبرة وتكرمة واستصرخوه لاستنقاذ أخيهم فأجاب صريختهم ورغبوه في ملك تلمسان وما وراءها فوافق صاغيته لذلك بما كان في نفسه من الموجدة على السلطان أبي حمو لقبوله كل من ينزع اليه من عربان المعقل أشياع الدولة وبدوها وما كان بعث اليه في ذلك و عن استماعه فاعتزم على الحركة الى تلمسان وألفى زمامه بيد وترمار وعسكر بساحة فاس وبعث الحاشدين في الثغور والنواحي من المغرب فتواقف الحاشدون ببابه وارتحل بعد قضاء النسك من الاضحى سنة احدى وسبعين واتصل الخبر بالسلطان أبي حمو وكان معسكرا بالبطحاء فانكفأ راجعا الى تلمسان وبعث في أوليائه عبيد الله والاحلاف من عرب المعقل فصموا عن اجابته ونزعوا الى ملك المغرب فأجمع رأيه الى التحيز الى بني عامر وأجفل غرة المحرم سنة ثنتين وسبعين واحتل السلطان عبد العزيز تلمسان في يوم عاشوراء بعدها وأشار وترمار بن عريف بتسريح العساكر في اتباعه فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازي بن السكاء حتى انتهى الى البطحاء ثم لحق به هنالك وترمار وقد حشد العرب كافة وأوغذ السير في اتباع السلطان أبي حمو وبني عامر وكانوا قد أبعدوا المذهب ونزلوا على الزواودة وسرح اليهم السلطان يومئذ عبد العزيز يحملهم على طاعته والعدوى بهم عن صحابة بني عامر وسلطانهم وسرح فرج بن عيسى بن عريف الى حصين لاقتضاء طاعتهم واستدعاء أبي زيان الى حضرته ونبذهم عهده وانتهيا جميعا الى أبي زيان مقدمة أوليائه ولحق بأولاد يحيى بن علي بن سباع من الزواودة وانتهيت أنا اليهم فخفضت عليهم

Marfat.com

الشأن فى جواره لما كانت مرضاة السلطان وحذرتهم شأن أبى حمو وبنى عامر
وأوفدت مشيختهم على وزمار والوزير أبى بكر بن غازى فدلوهما على طريقه فأغذوا
السير وبيتوهم منزلهم على الدوس آخر عمل الزاب من جانب المغرب فنضوا جموعهم
وانتهبوا جميع معسكر السلطان أبى حمو بأموالهم وأمتعته وظهره ولحق فلهم بعصاب
ورجعت العساكر من هنالك فسلكت على قصور بنى عامر بالصحراء قبلة جبل راشد
التى ربا رلون ساعون اليها فانتهبوها وخربوها وعاثوا فيها وانكفؤا راجعين الى
تلمسان وفرق السلطان عماله فى بلاد المغرب الاوسط من وهران ومليانة والجزائر والمرية
وجبل وانشريس واستوسق به ملكه ونزع عنه عدوه ولم يبق به يومئذ الا ضرمة من نار
الفتنة ببلاد مغراوة — من ولد على بن راشد سخط خالد فى الديوان ولحق
بجبل بنى سعيد واعتصم به فجهز السلطان الكتائب لحصاره وسرح وزيره عمر بن مسعود
لذلك كما ذكرنا فى أخبار مغراوة واحتقر شأنه وأوفدت أنا عليه يومئذ مشيخة الزواودة
فأوسعهم حباء وكرامة وصدروا مملوءة حقائبهم خالصة قلوبهم منطلقة بالشكر ألسنتهم
واستمر الحال الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبى زيان الى تيطرى واجلاب أبى حمو على تلمسان ثم انهزامهما وتشريدهما على سائر النواحى

كان بنو عامر من رئبة شيعة خالصة لبنى عبد الواد من أول أمرهم وخلص ود بنى
مرين كما قدمناه فكان من شأن عريف وبنيه عند السلطان أبى الحسن وبنيه ما هو
معروف فلما استبيحت أحياؤهم بالدوس مع أبى حمو ذهبوا فى القفر اشفاقا ويأسا من
قبول بنى مرين عليهم لما كان وزمار بن عريف واخوانه من الدولة فخدموا على سلطانهم
أبى حمو يتقلبون معه فى القفار ثم نزع اليهم رحو بن منصور فيمن أطاعه من قومه
عبيد الله من المعقل وأجلبوا على وجدة فاضطرم الشقاق على الدولة نارا وحتى حسين
مغبة أمرهم من السلطان بما اتسموا به من الشقاق والعناد فخدموا أبيهم على سلطانهم
أبى زيان وأوفدوا مشيختهم لاستدعائه من حلة أولاد يحيى بن على فاحتفل بهم وأجلبوا
به على المرية فملكوا بلدها واستتب عليهم سلطانها واستمر الحال على ذلك واضطرب
المغرب الاوسط على السلطان واتقضت طاعته وسرح الجيوش والعساكر فى قتال
مغراوة وحشم فاجمع أبو حمو وبنو عامر على قصده بتلمسان حتى اذا احتلوا قريبا منها
دس السلطان عبد العزيز بعض شيعته الى خالد بن عامر وزغبة فى المال — منه
وكان أبو حمو قد أساء بخالطة بعض عشيرته وتعقب رأيه برأيه ممن لم يسم الى خطته
ولم يرتض كفاءته فخلع الى ملك المغرب ونزع يده من عهد أبى حمو وسرح السلطان

Marfat.com

عبد العزيز عسكره الى خالد فأوقع بأبى حمو ومن كان من العرب عبيد الله و بنى عامر وانتهب معسكره وأمواله واحتقبت حرمه وحظاياه الى قصر السلطان وتقبض على مولاه عطية فن عليه السلطان وأصاره فى حاشيته ووزرائه وأصفقت زغبة على خدمة ملك المغرب وافق هذا الفتح عند السلطان فتح بلاد مغراوة وتغلب وزيره أبو بكر بن غازى على جبل بنى سعيد وتقبض على حمزة بن على بن راشد فى لمة من أصحابه فضرب أعناقهم وبعث بها الى سدة السلطان وصلب أشلاءهم بساحة مليانة فعظم الفتح واكتمل الظهور وأوعز السلطان الى وزيره أبى بكر بن غازى بالنهوض الى حصين فنهض اليهم وخاطبنى وأنا مقيم ببسكرة فى دعايته بأن احتشد أولياءه من الزواودة ورياح والتقى الوزير والعساكر على حصن تيطرى فنازلناه أشهرا ثم انفض جمعهم وفروا من حصنهم وتمزقوا كل ممزق وذهب أبو زيان على وجهه فلحق ببلد وارکلا قبلة الزاب لبعدها عن منال الجيوش والعساكر فأجاروه وأكرموا نزله وضرب الوزير على قبائل حصين والثعالبة المغارم الثقيلة فأعطوها عن يد و جهضهم باقتضائها ودوخ قاصية الثغور ورجع الى تلمسان عالى الكعب عزيز السلطان ظاهر اليد وقعد له السلطان بمجلسه يوم وصوله قعودا لخما وصل فيه اليه وأوصل من صحبه من وفود العرب والقبائل فقسم فيهم بره وعنايته وقبوله على شاكلته واقتضى من أمراء العرب رغبة أبناءهم الاعزة رهنا على الطاعة وسرحهم لغزو أبى حمو بمنتبذه من تيكورارين فانطلقوا لذلك وهلك السلطان عبد العزيز لليال قلائل من مقدم وزيره وعساكره أواخر شهر ربيع الآخر من سنة أربع وسبعين لمرض من من كان يتفادى بالكتمان والصبر من ظهوره وانكفأ بنو مرين راجعين الى ممالكهم بالمغرب بعد أن بايعوا لولده دراجا حماسيا ولقبوه بالسعيد وجعلوا أمره الى الوزير أبى بكر بن غازى فذلك أمرهم عليهم واستمرت حاله كما نذكره فى أخباره ان شاء الله تعالى

الخبر عن عود السلطان أبى حمو الاخير الى تلمسان الكرة الثالثة لبنى عبد الواد فى الملك

لما هلك السلطان عبد العزيز وجع بنو مرين الى المغرب نصبوا من أعياص بنى يغمراسن لمدافعة أبى حمو من بعدهم عن تلمسان ابراهيم بن السلطان أبى تاشفين كان ناشئا بدولتهم مذ هلك أبوه وتسلل من جملتهم عطية بن موسى مولى السلطان أبى حمو وخالفهم الى البلد غداة رحيلهم فقام بدعوة مولاه ودافع ابراهيم بن تاشفين عن مرامه و بلغ الخبر أولياء السلطان أبى حمو من عرب المعقل أولاد يغمور ابن عبد الله فطيروا اليه النجيب على حين غلب عليه الناس وأجمع الرحلة الى بلاد

Marfat.com

السودان لما بلغه من اجتماع العرب للحركة عليه كما قلناه فأغذ السير من مطرح اغترابه وسابقه ابنه ولى عهده فى قومه عبد الرحمن أبو تاشفين مع ظهيرهم عبد الله بن صغير فدخلوا البلد وتلاهم السلطان لرابعة دخولهم وعاود سلطانه واقتعد أريكته وكانت احدى الغرائب وتقبض ساعتئذ على وزرائه اتهمهم بمداخلة خالد بن عامر فيما نقض من عهده وظاهر عليه عدوه فأودعهم السجن ليومهم حنقا عليهم واستحكم له بانفرة خالد وعشيرته وحصلت ولاية أولاد عريف بن يحيى لمنافرة بنى عامر اياه واقتال السلطان عبد العزيز عليه ووثق بمكان وترمار كبيرهم فى تسكين عادية ملوك المغرب عليه ورجع الى تمهيد وطنه وكان بنو مرين عند انقضاضهم الى مغربهم قد نصبوا من اقتال مغراوة ثم بنى منديل على بن هرون بن ثابت بن منديل وبعثوه الى مزاحمة للسلطان أبى حمو ونقضا الاطراف ملكه وأجلب أبو زيان بن عمه على بلاد حصين فكان من خبره معهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن رجوع أبى زيان بن السلطان أبى سعيد الى بلاد حصين ثم خروجه عنها)

كان الامير أبو زيان بن السلطان أبى سعيد لما هلك السلطان عبد العزيز وبلغه الخبر بمنجانه من واركلا نهض منها الى التلول واسف الى الناحية التى كان منتزيا بها ومسماها لابى حمو فيها فاقتطعت لدعوته كما كانت ورجع أهلها الى ما عرفوا من طاعته فنهض السلطان أبو حمو لتمهيد نواحيه وتثقيف أطراف ملكه ودفع الخوارج عن ممالكه وظاهره على ذلك أمير البدو من زغبة أبو بكر ومحمد ابنا عريف بن يحيى دس اليهما بذلك كبيرهما وترمار وأخذهما بمناصحة السلطان ومخالصته فركبا من ذلك أوضح طريق وأسهل مركب ونبذ السلطان العهد الى خالد وعشيرته فضاقت عليهم الارض ولحقوا بالمغرب لسابقة نزوعهم الى السلطان عبد العزيز وابتدأ السلطان بما يليه فأزعج بظاهرتهما على بن هرون عن أرض شلف سنة خمس وسبعين بعد حروب هلك فى بعضها اخوه رحمون بن هرون وخلص الى بجاية فركب منها السفن الى المغرب ثم تخطى السلطان أبو حمو الى ما وراء شلف وسفر محمد بن عريف بينه وبين ابن عمه بعد أن زحف اليه الكثير من أوليائه حصين والثعالبة بما بذل لهم من الاموال وتباسموا من طول الفتنة فشارطه على الخروج من وطنه الى جيرانهم من رياح على أتاوة تحمل اليه فقبل ووضع أوزار الحرب وفارق مكان ثورته وكان لمحمد بن عريف فيها أثر محمود واستألف سالم بن ابراهيم كبير الثعالبة المتغلب على بسيط متيجة وبلاد الجزائر بعد أن كان خبّ فى الفتنة وأوضع فاقتضى له من السلطان عهده من الامان والولاية على قومه وعمله وقلد السلطان أبناءه ثغور أعماله فأنزل ابنه بالجزائر لنظر سالم بن ابراهيم

من تحت استبداده وابنه آبار بان عالديه وانقلب السلطان الى حضرته بتلمسان
بعد أن دوخ قاصيته وثقف أطراف عمله وأصلح قلوب أوليائه واستألف شيعة عدوه
فكان فتحا لا كفاء له من بعد ما خلع من ربقة الملك ونزع من شرع السلطان
وانتبذ من قومه وعماله الى قاصية الارض فى جوار من لا ينفذ أمره ولا يقوم بطاعته
والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء

{الخبر عن اجلاب عبد الله بن صغير وانقباض أبى بكر بن} {عريف وبيعتهما للامير أبى زيان ورجوع أبى بكر الى الطاعة}

كان خالد بن عامر وابن أخيه عبد الله بن صغير وسائر اخوانهم من ولد عامر بن ابراهيم
قد لحقوا بالمغرب صريخا بنى مرين لما وقع بينهم وبين أبى حمو من الفعلة التى فعل خالد
معه ويئس عبد الله بن صغير من صريخهم بما عقد وترمار بن عريف من السلم بين
صاحب المغرب وصاحب تلمسان فخاض القفر عن معه من قومه ولحق بوطن رغبة
وأجلب على جبل راشد وبه العمور اخلاف سويد من بنى هلال فاعترضتهم سويد
ودارت بينهم حرب شديدة كان الظهور فيها لسويد عليهم وفى خلال ذلك فسد ما بين
السلطان وبين أبى بكر بن عريف بسبب صاحب جبل وانشريس يوسف بن عمر
ابن عثمان أراده السلطان عن النزول عن عمله فغضب له أبو بكر لقديم الصداقة بين
سلفهما ووصل يده بعبد الله بن صغير بعد الواقعة ودعاه الى بيعة أبى زيان فأجابه وأوفدوا
رحالتهم عليه بمكانه من مجالات رياح فوصلوه معهم ونصبوه للامر وتحير محمد بن
عريف فاى السلطان فى جموع سويد ونهض السلطان من تلمسان سنة تسع وستمائة
فيمن معه من قبائل بنى عبد الواد وعرب المعقل وزغبة ودس الى أولياء أبى زيان برغبهم
وحكم أبا بكر فى الاشتراط عليه فجاء الى الطاعة والمخالصة ورجع أبو زيان الى مكانه من
حلل الزواودة وأغذ السلطان السير الى حضرته فتملى أريكته وحدث بعد ذلك ما نذكره
ان شاء الله تعالى

{الخبر عن وصول خالد بن عامر من المغرب والحرب التى دارت} {بينه وبين سويد وأبى تاشفين هلك فيها عبد الله بن صغير واخوانه}

لما بلغ خالد بن عامر بمكانه من المغرب خبر عبد الله ابن أخيه صغير قفل من المغرب ينشأ
من مظاهرة بنى مرين فخنق السعى فى صريخه بهم لما كانوا عليه من افتراق الامر
كما ذكرناه قبل ووصل معه ساسى بن سليم فى قومه بنى يعقوب وتظاهر الحيان على العيث
فى البلاد أى حمو واجتمع اليهم أشياع الفتنة من كل أوب فأجابوا على الاطراف وشنوا
الغارة فى البلاد وجمع أولاد عريف بغرهم وممن معهم من سويد واحلافهم من العطاف

وبعثوا بالصريخ الى السلطان فسير لحربهم عدوه وعدوهم ابنه أبا تاشفين ولى عهده فى قومه وبرز لذلك فى العساكر والجنود ولما انتهى الى بلاد هوارة واضطرب عسكره بها أعجله صريخ أوليائه عن مناخ الركاب فاستعجل الراحة ولحق بأوليائه أولاد عريف ومن معهم من أشياع الدولة من زغبة وأغذوا السير الى وادهنالك شرق القلعة فتلاقى الجمعان وتواقفوا للقاء ما ترجوه منهم واستضاؤا باضرام النيران مخافة البيات وأصبحوا على التعبية وتمشت الرجالات فى مواضعة الحرب فأعجبهم مناشبة القوم وتزاحفت الصفوف وأعلم الكماة وكشفت الحرب عن ساقها وحمى الوطيس وهبت الريح المبشرة فخفقت لها رايات الامير وهدرت طبوله ودارت رحى الحرب وصمدت اليها كتائب العرب فبرئ فيها الابطال منهم وانكشفوا وأجلت المعركة عن عبد الله بن صغير صريعا فأمر أبو تاشفين فاحتز رأسه وطيربه البريد الى أبيه ثم عثرت المراكب بأخيه ملولئ بن صغير مع العباس ابن عمه موسى بن عامر ومحمد بن زيان من وجوه عشيرتهم متواقعين بجنودهم متضاجعين فى مراقدهم كانما أقعدوا للردى فوطأتهم سنابك الخيل وغشيهم قتام المراكب وأطلقت العساكر أعنتها فى اتباع القوم فاستاقوا نعمهم وأموالهم وكثرت يومئذ الانفال وغشيهم الليل فستروا بجناحه ولحقهم فلهم بجبل راشد وأطرب أبو تاشفين أباه بمشتهى ظهوره وأملاه السرور بما صنع الله على يده وما كان له ولقومه من الاثر فى مظاهرة أوليائه وطار له بها ذكر على الايام ورجع الى أبيه بالحضرة مملوء الحقائب بالانفال والجوانح بالسرور والايام بالذكر عنه وعن قومه ومدنى خالد لوجهه فى قل من قومه ولحق بجبل راشد الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله والله تعالى أعلم

الخبر عن انتقاض سالم بن ابراهيم وظاهرته خالد بن عامر على الخلاف وبيعتهما للامير أبى زيان ثم مهلك خالد ومراجعة سالم الطاعة وخروج أبى زيان الى بلاد الجريد

كان سالم بن ابراهيم هذا كبير الثعالبة المتغلبين على حصن متيجة منذ انقراض ملك بنى وكانت الرياسة فيهم لاهل بيته حسبما ذكرناه فى أخبارهم عند ذكر الدول ولما كانت فتنة أبى زيان بعد نكبة أبى حمو على بجاية وهبت ريح العرب واستغلظ أمرهم وكان سالم هذا أول من غمز يده فى تلك الفتنة ومكر بعلى بن غالب من بيوتات الجزائر كان مغربا عنها منذ تغلب بنى مرين على المغرب الاوسط أيام بنى عثمان ولحق بها عند ما أظلم الجو بالفتنة واستحكمت فترة أهل الجزائر عن أبى حمو فأظهر بها الاستبداد واجتمع بها ليه الاوشاب والطغام سالم من الضاحية

Marfat.com

أطمعه في الاستيلاء على الجزائر فدا خل في شأنه الملأ من أهل المدينة وحذرهم منه أنه يروم الدعوة للسلطان أبي حمو فاستشاطوا غيرة وثاروا به حتى ادار أي أنه قد أحيط به خلصه من أيديهم وأخرجه الى حيه وأبلغه هنالك وحول دعوة الجزائر الى الامير أبي زيان تحت استبداده حتى اذا كان من أمر بني مرين وحلول السلطان عبد العزيز بتلمسان كما قدمناه أقام دعوتهم في الجزائر الى حين مهلكه ورجوع أبي حمو الى تلمسان وأقبل جيش أبي زيان الى تيطري فأقام سالم هذا دعوته في احيائه وفي بلاد الجزائر أمر ابن عمه ولما كان من خروج أبي زيان الى أحيائه وباح على يد محمد بن عريف مافقدناه واقتضى سالم عهده من السلطان وولى سالم على الجزائر أقام سالم على أمره من الاستبداد بتلك الاعمال واستضافة جبايتها لنفسه وأوعز السلطان الى سائر عماله باستيفاء جبايتها فاستراب وبقي في أمره على المداهنة وحدثت اثر ذلك فتنة خالد بن عامر فتربص دوائرها رجاء أن يكون الغلب له فيشغل السلطان عنه ثم بدا له مالم يحتسب وكان الغلب للسلطان ولأوليائه وكان قد حدثت بينه وبين بني عريف عداوة حتى أن يحمل السلطان على النهوض اليه فبادر الى الانقاض على أبي حمو واستقام الامير أبو زيان وجانبه خالد بن عامر من المخالفين معه من المغرب فوصلوا اليه أول سنة ثمان وسبعين وعقد بينهم حلفا مؤكدا وأقام الدعوة للامير أبي زيان بالجزائر ثم زحفوا الى حصارها ليلا وبها حامية السلطان فامتنعت عليهم ورجعوا الى الجزائر فهلك خالد بن عامر على فراشه ودفن بها وولى أمر قومه من بعده المسعود ابن أخيه صغير ونهض اليهم السلطان أبو حمو من تلمسان في قومه وأوليائه من العرب فامتنعوا بجبال حصين وباوئهم جيوش السلطان القتال بأسافل الجبل فغلبوهم عليها وانفضت الناجعة عنهم من الديالم والعطاف وبني عامر فلحقوا بالقفر ورأى سالم أصحابه أن قد أحيط بهم فلاذ بالطاعة وحمل عليها أصحابه وعقد لهم السلطان من ذلك ما أرادوه على أن يفارقوا الامير أبا زيان ففعلوا وارتحل عنهم فلحق ببلاد المغرب ربيع ثم أجازها الى نفلة من بلاد الجريد ثم الى توزر فنزل على مقدمها يحيى بن يملول فأكرم نزله وأوسع قراره الى أن كان من أمره ما نذكر ورجع السلطان أبو حمو الى تلمسان وفي نفسه من سالم حرارة لكثرة اضطرابه ومراجعته الفتن حتى توسط فصل الشتاء وأبعدت العرب في مشاتيها فنهض من تلمسان في جيوش زناتة وأغذ السير فصبح بعصن متيجة بالغارة الشعواء وأجفلت الثعالبة فلحقوا برؤس الجبال وامتنع سالم بجبل بني خليل وبعثوا ابنه وأولياءه الى الجزائر فامتنعوا بها وحاصروه أياما ثم غلبوه على مكامنه فانتقل الى بني ميسرة من جبال صنهاجة وخلف أهله ومتاعه وصار الكثير من الثعالبة الى الطاعة

Marfat.com

وابتهلوا بامان السلطان وعهده الى متيجة وبعث هو أخاه تاشفين الى السلطان باتقاضه العهد ونزل من رأس ذلك الشاهق الى ابنه أبى تاشفين فأوصله الى السلطان احدى ليالى العشر الاواخر من رمضان فأخفر عهده وذمة ابنه وتقبض عليه صبيحة ليلته وبعث قائده الى الجزائر فاستولى عليها واقام دعوته بها وأوفد عليه مشيختها فتقبض عليهم وعقد على الجزائر لوزيره موسى بن مرعوت ورجع الى تلمسان فقضى بها عيد النحر ثم أخرج سالم بن ابراهيم من محبسه الى خارج البلد وقتل قعصا بالرماح ونصب شلوه وأصبح مثلا للآخرين ولله البقاء وعهد السلطان لابنه المنتصر على مليانة واعمالها ولابنه أبى زيان على وهران وراسله ابن يملول صاحب توزر وصهره ابن قرى صاحب بسكرة وأولياؤهما من الكعوب والزواودة مما أهمهم أمر السلطان أبى العباس وخافوه على أمصارهم فراسلوا أباحمو يضمنون له مسالمة أبى زيان على أن يوفى لهم بما اشترط لهم من المال وعلى أن يشب نار الفتنة من قبله على بلاد الموحدين ليشغل السلطان أبا العباس عنهم على حين عجزه وضعف الدولة عنه فأوهمهم من نفسه القدرة وأطمعهم فى ذلك ومازال يراجعهم ويراجعونه بالمقاربة والوعد الى أن أحيط بابن يملول واستولى السلطان على بلده فلحق ببسكرة وهلك بها السنة من خروجه آخر سنة احدى وثمانين وبقى ابن مزنى من بعده متعللا بتلك الاماني الكاذبة الى أن ظهر أمره وتبين عجزه فراجع طاعة السلطان أبى العباس واستقام على الموادعة ولحق الامير أبو زيان بحضرة السلطان بتونس فنزل بها أكرم نزل مؤملا منه المظاهرة على عدوه والحال بالمغرب الاوسط لهذا العهد على ما شرحناه مرارا من تغلب العرب على الضواحى والكثير من الامصار وتقلص ظل الدولة عن القاصية وارتدادها على عقبها الى مراكزها بسيف البحر وتضاؤل قدرتها على قدرتهم واعطاء اليد فى مغالبتهم بلد زغائب الاموال واقطاع البلاد والنزول عن الكثير من الامصار والقنوع بالتغريب بينهم واغراء بعضهم ببعض والله ولى الامور

(فسحة السلطان للاعمال بين ولده وما حدث بينهم من التنافس)

كان لهذا السلطان أبى حمو جماعة من الولد كبيرهم أبو تاشفين عبد الرحمن ثم بعده أربعة لام واحدة كان تزوجها محلة من اعمال قسنطينة أيام جولته فى بلاد الموحدين كبيرهم المنتصر ثم أبو زيان محمد ثم عمرو يلقب عميرا ثم بعد ولد كثيرون ابناء علات وكان أبو تاشفين ولى عهده وقد رفعه على الناقين وأشركه فى رأيه وأوجب له الحق على وزراء دولته فكان لذلك رديفه ومظهر سلطانه وكان مع ذلك يتعاهد أولئك الاخوة الاشقاء بحنوه ويقسم لهم من ترشيحه والنجاء فى خلوته فتنفس أبو تاشفين منهم فلما استفحل أمر

السلطان وانمحت من دولته آثار الخوارج أعمل نظره فى قسمة الاعمال بين ولد وترشيحهم للامارة والبعد بهم عن أخيهم أبى تاشفين أن يصيبهم بمكروه عندا يناس الغيرة منهم فولى المنتصر كبيرهم على مليانة واعمالها وأنفذه اليها ومعه أخوه عمر الاصغرة فى كفالته وولى أخاهما الاوسط أبا زيان على المرية وما اليها من بلاد حصين وولى ابنه يوسف ابن الزايية على تدلس وما اليها من آخر اعماله واستقرأ مرهم على ذلك ثم كان من انتقاض سالم الثعلبى بالجزائر ما قدمناه فنمى الى السلطان أن ابنه أبا زيان داخله فى الخلاف فلما فرغ من أمر سالم كما مر وطرد أبا زيان ابن عمه عن أعماله الى الجريد أعمل نظره فى نقل ابنه أبى زيان من المرية الى ولاية وهران وأعمالها بعد اله عن العرب المجلبين فى الفتن وأنزل معه بعض وزرائه عيناعليه وأقام واليا عليها والله اعلم

(وثبة أبى تاشفين بيحيى بن خلدون كاتب أبيه)

كان أول شئ حدث من منافسة أبى تاشفين لاخوته ان السلطان لما ولى ابنه أبا زيان على وهران وأعمالها طلبه أبو تاشفين فى ولايتها لنفسه فأسعفه ظاهرا وعهد الى كاتبه يحيى بن خلدون بما طلبه فى كتابها حتى يرى المخلص من ذلك فأقام الكاتب يطاوله وكان فى الدولة لئيم من سفلة الشرط يدعى موسى بن يخلف صحبهم أيام الاغتراب بتيكورارين أيام ملك تلمسان عليهم السلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن كما مر وخلاله وجه السلطان أبى حمو وابنه فتقرب اليه بخدمته ورعاها له فلما رجع السلطان الى تلمسان بعد مهلك عبد العزيز قدمه وآثره واستخلصه فكان من أخلص بطانته وكان أبو تاشفين أيضا استخلصه وجعله عينا على أبيه وكان هو أيضا يغص بابن خلدون كاتب السلطان ويغار من تقدمه عنده ويغرى به أبا تاشفين جهده فدس اليه أثناء هذه المطاولة أن الكاتب ابن خلدون انما مطله بالكتاب خدمة لابى زيان أخيه رايثارا له عليه فاستشاط له أبو تاشفين وترصد له منصرفه من القصر الى بيته بعد التراويح فى احدى ليالى رمضان سنة ثمانين فى رهط من الاوغاد كان يطوف بهم فى سكك المدينة ويطرق معهم بيوت أهل السر والحشمة فى سبيل الفساد فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتا وغدا الخبر على السلطان صبيحة تلك الليلة فقام فى ركابه وبث الطلب عن أولئك الرهط فى جوانب المدينة ثم بلغه أن ابنه أبا تاشفين صاحب الفعلة فأغضى وطوى عليها جوانحه وأقطع أبا تاشفين مدينة وهران كما وعده وبعث ابنه أبا زيان على بلاد حصين والمرية كما كان ثم طلب أبو تاشفين من ابيه أن تكون الجزائر خالصة له فأقطعه اياها وأنزل بها من اخوته يوسف بن الزايية بما كان شيعة له من بينهم وفئة فى صحبته ومخالصته فأقام واليا عليها والله أعلم

Marfat.com

{حركة أبي حمو على ثغور المغرب الاوسط}
{ودخول ابنه أبي تاشفين الى جهات مكناسة}

كان أبو العباس بن السلطان أبي سالم ملك بني مرين بالمغرب الاقصى قد نهض في عساكره سنة ثلاث وثمانين الى مراكش وبها الامير عبد الرحمن بن يغلوس بن السلطان أبي علي مقاسمه في نسبه وملكه وكان قد سوغ له مراكش وأعمالها عند ما أجلب معه على البلد الجريد سنة خمس وسبعين كما في أخبارهم واستقر الامير عبد الرحمن بمراكش ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أحمد ونهض اليه من فاس فحاصره أولا وثانيا يفرج فيهما عنه ثم نهض اليه سنة أربع وثمانين فحاصره وأخذ بمخنقه وأطال حصاره وكان يوسف بن علي بن غانم أمير المعقل من العرب منتقضا على السلطان وقد بعث السلطان العساكر الى احيائه فهزموه وخربوا بيوته وبساتينه بسجلماسه ورجعوا وأقام هو بصحرائه منتقضا فلما جهد الحصار الامير عبد الرحمن بمراكش بعث أبا العشائر ابن عمه منصور بن السلطان أبي علي الى يوسف بن علي بن غانم ليجلب به على فاس وبلاد المغرب فيأخذ بحجزة السلطان عنه وينفس من مخنقه فسار يوسف بن علي مع أبي العشائر الى السلطان أبي حمو بتلمسان يستنجده على هذا الغرض لاقدرته عليه دون العرب بما له من العساكر والابهة فأنجده على ذلك وقدم ابنه أبا تاشفين معهم وخرج هو في أثرهم فساروا الى المغرب ونزل يوسف بن علي بقومه قريبا من مكناسة ومعه الاميران أبو العشائر وأبو تاشفين وجاء أبو حمو من خلفهم فحصر تازى سبعا وخرب قصر تازروت المعد هنالك لنزل السلطان وكان السلطان قد استخلف على فاس في مغيبه علي بن مهدي العسكري من عمال دولته ووجوه قبيله وكان هنالك عرب المنبهة من المعقل قد أخذوا الميرة فأهاب بهم وترمار بن عريف ولي الدولة من عرب سويد وهو نازل بقصر مرادة من جوار تازى فاستألفهم لمدافعة أبي حمو وابنه وخرجوا بهم علي بن مهدي ثم وصل الخبر باستيلاء السلطان على مراكش منتصف خمس وثمانين فأجفل أبو تاشفين وأبو العشائر ومن معهما من العرب واتبعهم علي بن مهدي بمن معه من المنبهة وأجفل أبو حمو على تازى ومر بمرادة على قصر وترمار فهدمه وعاث فيه وانكفأ راجعا الى تلمسان وفارق ابنه أبو تاشفين أصحابه أبا العشائر [illegible] ولحق بأبيه الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

{نهوض السلطان أبي العباس صاحب المغرب الى تلمسان}
{واستيلاؤه عليها واعتصام أبي حمو بجبل تاجموت}

لما استولى السلطان أبو العباس على مراكش كما قلناه رجع الى دار ملكه بفاس

Marfat.com

وقد آسفه السلطان أبو حمو باجلابه على وطنه هو وابنه أبو ثابت ففين مع العرب أيام مغيبه بمراكش فأجمع الرحلة الى تلمسان وخرج في عساكره وراجع يوسف بن علي الطاعة ورحل معه في جموعه وبلغ الخبر الى السلطان أبي حمو فتردد بين الحصار بتلمسان ومفارقتها وكان بينه وبين ابن الاحمر صاحب الاندلس مواصلة ولابن الاحمر دالة على السلطان أبي العباس كما فكان يحفظ له الشأن في قصد تلمسان ويلبثه عنها فيعطيه المقادة في ذلك فيعلل هو السلطان أبا حمو بأن السلطان أبا العباس لا يصل اليه ثم أجمع السلطان أبو العباس أمره ونهض على حين غفلة معتدا الى تلمسان وتقدم الخبر الى أبي حمو فأجمع مفارقة تلمسان بعد أن أظهر لاوليائه وأهل دولته أنه على الحصار ثم خرج حين عشية الى معسكره بالصعيف وافتقده أهل بلده من صيحتهم فتبادر أكثرهم اليه متعلقين بأذياله خوفا من معرة العدو ثم ارتحل يطوى المراحل الى البطحاء ودخل السلطان أبو العباس تلمسان واستولى عليها وجهز العساكر لاتباع أبي حمو وقومه فأجفل من البطحاء ولحق بتاجموت فاعتصم بمعلقها ولحق به ابنه المنتصر من مليانة بما كان معه من الذخيرة فاستمدها وأقام هنالك عازما على الامتناع والله تعالى أعلم

رجوع السلطان أبي العباس الى المغرب واختلال دولته ورجوع السلطان أبي حمو الى ملكه بتلمسان

كان السلطان أبو العباس لما استولى على مملكة تلمسان طير كتبه ورسله بفتحها الى ابن الاحمر صاحب الاندلس ويعتذر اليه من مخالفة رأيه في الحركة اليها وقد كان ابن الاحمر آسفه ذلك الى ما انتظم اليه من النزعات الملوكية التي يؤسف بها بعضهم بعضا وهو يطوى جوانحه عليها واطلع على فساد طاقة السلطان أبي العباس في أهل دولته وفقد ضمائرهم له فأزعج لوقته موسى ابن السلطان أبي عنان من أعياص ملكهم كان عنده بالاندلس وجهزه بما يحتاج اليه وبعث في خدمته مسعود بن رحو بن ماسالى وزيرهم المشهور وأركبه السفن الى سبتة فنزلوا بساحتها أول ربيع سنة ست وثمانين واستولوا عليها ثم تقدموا الى فاس فنازلوا دار الملك أياما وبها محمد بن حسن كاتب محمد ابن عنان القائم بدولة السلطان أبي العباس والمستبد عليه واشتد وافي حصارها ونوافت اليهم الامداد والحشود فداخله الخور وألقى بيده ودا خل السلطان موسى الى دار الملك تاسع عشر ربيع الاول من السنة وجلس على أريكته وآتاه الناس طاعتهم وطار الخبر الى السلطان أبي العباس بتلمسان وقد تجهز لاتباع أبي حمو ونزل على مرحلة من تلمسان بعد أن أغراه وترمار بن عريف أمير سويد بتخريب قصور الملك بتلمسان

Marfat.com

وكانت لايعبر عن حسنها اختطها السلطان أبو حمو الاول وابنه أبو تاشفين واستدعى لها الصناع والفعلة من الانداس لحضارتها و بداوة دولتهم يومئذ بتلمسان فبعث اليهما السلطان أبو الوليد صاحب الانداس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالاندلس فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله فأشار وتزمار على السلطان أبي العباس بتخريب هذه القصور وأسوار تلمسان انتقاما بزعمه من أبي حمو وأخذا بالثار منه فيما اعتمده من تخريب قصر الملك بتازى وتخريب قصره هو بمرادة فأتى عليها الخراب أسرع من لمح البصر و بينما هو في ذلك وهو يروم السفر لاتباع أبي حمو اذ جاءه الخبر بأن السلطان موسى بن عمه السلطان أبي عنان قد استولى على دار ملكهم بفاس واقتعد أريكتهم فكر راجعا الى المغرب لايلوى على شئ وترك تلمسان لشأنها وكان من أمره ما يأتي ذكره في أخبارهم وطار الخبر الى السلطان أبي حمو بمكانه من تاجموت فاغذ السير الى تلمسان ودخلها وعاد الى ملكه بها وتفجع لتلك القصور بما ذهب من رونق حسنها وراجع دولته بني عبد الواد وسلطانهم بتلمسان والله سبحانه وتعالى أعلم

(تجدد المنافسة بين أولاد السلطان أبي حمو ومجاهرة أبي تاشفين بذلك لهم ولايته)

كان التنافس بين هؤلاء الاولاد خفياء على الناس بما كان السلطان أبوهم يؤامل بينهم ويداري بعضهم عن بعض فلما خرجوا أمام بني مرين وعادوا الى تلمسان صار تنافسهم الى العداوة واتهم أبو تاشفين أباه بما لاءة اخوته عليه فشعر لعقوقه وعداوته وشعر السلطان بذلك فأعمل الحركة الى ناحية البطحاء موريا باصلاح العرب ومعتزما على لقاء ابنه المنتصر بعليانة جناحه و يتخطى الى الجزائر فيجعلها دار ملكه بعد أن استخلف بتلمسان ابنه أبا تاشفين وحالفه على المناصحة واطلع موسى بن يخلف على خبيئة السلطان بذلك فدس بها الى أبي تاشفين على عادته فطار به الاسف كل مطار وأغذ السير من تلمسان فيمن معه من العسكر وصبح أباه بأساقل البطحاء قبل أن يتصل بالمنتصر وكشف القناع عن التكبر والتسخط على ما بلغه فخلفه السلطان على ذلك وأرضاه بالرجوع معه الى تلمسان فرجعا جميعا

(خلع السلطان أبي حمو واستبداد ابنه أبي تاشفين بالملك واعتقاله اياه)

ولما رجع السلطان من البطحاء وبطل ما كان يؤمله من الاتصال بالمنتصر دس اليه مع خالصة من أهل دولته يعرف بعلي بن عبد الرحمن بن الكليب بأحمال من المال يودعها الى أن يجد السبيل لحاجة نفسه وكتب له بولاية الجزائر ليقيم بها حتى يخلص اليه واطلع موسى على ذلك فأطلع أبا تاشفين على الخبر فبعث في أثره من حاشيته من اغتال ابن

Marfat.com

الكتاب وجاءه بالمال والكتب فاطلع منها على حقيقة أمرهم وأنهم متربصون به فاستشاط وجاهر أباه وغداه عليه بالقصر فأوقفه على الكتاب وبالغ فى عذله وتحيز موسى ابن يخلف الى أبى تاشفين وهجر باب السلطان وأغرى به ابنه فغداه على أبيه بالقصر بعد أيام وخلعه وأسكنه بعض حجر القصر ووكل به واستخلص ما كان معه من الاموال والذخيرة ثم بعث به الى قصبة وهران فاعتقله بها واعتقل من حضر بتلمسان من اخوته وذلك آخر ثمان وثمانين وبلغ الخبر الى المنتصر بمليانة وأبى زيان وعمير فلحقوا بقبائل حصين واستدمتوا بهم فأدمتوهم وأنزلوهم عندهم بجبل تيطرى وجمع أبو تاشفين العساكر واستألف العرب من سويد وبنى عامر وخرج فى طلب المنتصر واخوته ومن بمليانة فلحقهما ثم تقدم الى جبل تيطرى وأقام فى حصارهم به وهم ممتنعون عليه والله تعالى أعلم

(خروج السلطان أبى حمو من الاعتقال ثم القبض عليه وتغريبه الى المشرق)

لما طال مقام أبى تاشفين على تيطرى لحصار اخوته ارتاب بأمر أبيه وطول مغيبه عنه وشاور أصحابه فى شأنه فأشاروا بقتله واتفقوا على ذلك فبعث أبو تاشفين ابنه أبا زيان فى لمة من حاشيته فيهم ابن الوزير عمران بن موسى وعبد الله بن الخراسانى فقتلوا من كان معتقلا بتلمسان من أبناء السلطان وتقدموا الى وهران وسمع أبو حمو بقدومهم فأوجس الخيفة منهم واطلع من جدران القصبة ينادى بالصريخ فى أهل البلد فتبادروا اليه من كل جهة وتدلى لهم بحبل وصله من عمامته التى كان معتما بها فشالوه حتى استقر بالارض واجتمعوا اليه وكان الرهط الذين جاؤا لقتله بباب القصر وقد أغلقه دونهم فلما سمعوا الهيمة واستيقنوا الامر طلبوا النجاة بذمائهم واجتمع أهل البلد على السلطان وتولى كبر ذلك خطيبهم وجددوا له البيعة وارتحل من حينه الى تلمسان فدخلها أوائل تسع وثمانين وهى يومئذ عورة بما كان بنو مرين هدموا من أسوارها وأزالوا حصنها وبعث فيمن كان مخلفا بها من أحياء بنى عامر من أكابرهم ووجوههم فقدموا عليه وطار الخبر الى أبى تاشفين بمكانه من حصار تيطرى فانكفأ راجعا الى تلمسان فيمن معه من العساكر والعرب وبادره قبل أن يستكمل أمره فأحيط به ونجا الى مأذنة الجامع فاعتصم بها ودخل أبو تاشفين القصر وبعث فى طلبه وأخبر بمكانه فجاءه بنفسه واستنزله من المأذنة وأدركته الرقة فجهش بالبكاء وقبل يده وغدا به الى القصر واعتقله ببعض الحجر هنالك ورغب اليه أبوه فى تسريحه الى المشرق لقضاء فرضه

بعض تجار النصارى المتردين الى تلمسان من القبط لان على حمله الى الاسكندرية وأركبه السفن معهم بأهله من مرصة وهران ذاهبا لطيبة موكلا به وأقبل أبو تاشفين

Marfat.com

على القيام بدولته والله تعالى أعلم

نزول السلطان أبي حمو ببجاية من السفين واستيلاؤه على تلمسان ولحاق أبي تاشفين بالمغرب

لما ركب السلطان أبو حمو السفين ذاهبا الى الاسكندرية وفارق أعمال تلمسان وحاذى بجاية داخل صاحب السفينة في أن ينزله ببجاية فأسعفه بذلك فخرج من الطارمة التي كان بها معتقلا وصار الموكلون به في طاعته و بعث الى محمد بن أبي مهدي قائد الاسطول ببجاية المستبد على أميرها ابن ولد السلطان أبي العباس بن أبي حفص وكان محمد خالصة المستنصر بن أبي حمو من ناحية دولتهم فدخلص الى بجاية من تيطري بعد ما تنفس الحصار عنهم فبعثه ابن أبي مهدي الى السلطان أبي حمو بالاجابة الى ما سأل وأنزله ببجاية آخر تسع وثمانين وأسكنه بستان الملك المسمى بالرفيع وطير بالخبر الى السلطان بتونس فشكر له ما آتاه من ذلك وأمره بالاستبلاغ في تكريمه وأن يخرج عساكر بجاية في خدمته الى حدود عمله متى احتاج اليها ثم خرج السلطان أبو حمو من بجاية ونزل متيجة واستنفر طوائف العرب من كل ناحية فاجتمعوا اليه ونهض يريد تلمسان واعصوصب قومه بنو عبد الواد على أبي تاشفين بما بذل فيهم من العطاء وقسم من الاموال فنابذوا السلطان أبا حمو واستصعب أمرهم وخرج الى الصحراء وخلف ابنه أبا زيان في جبال شلف مقيما لدعوته و بلغ الى تاسة من ناحية المغرب و بلغ الخبر الى أبي تاشفين فبعث عسكرا الى شلف مع ابنه أبي زيان ووزيره محمد بن عبد الله بن مسلم فتواقفوا مع أبي زيان بن السلطان أبي حمو فهزمهم وقتل أبو زيان بن أبي تاشفين ووزيره بن مسلم وجماعة من بني عبد الواد وكان أبو تاشفين لما بلغه وصول أبيه الى تاسة سار اليه من تلمسان في جموعه فأجفل أبو حمو الى وادي صاو استجاش بالاحلاف من عرب المعقل هنالك فجاؤا لنصره ورعوا زمامه فنزلها وأقام أبو تاشفين قبالته وبلغه هنالك هزيمة ابنه ومقتله فولى منهزما الى تلمسان وأبو حمو في اتباعه ثم سرح أبو تاشفين مولاه سعادة في طائفة من العسكر لمحاولة العرب في التخلي عن أبي حمو فانتهز فيه الفرصة وهزمه وقبض عليه و بلغ الخبر الى أبي تاشفين بتلمسان وكان يؤذن النجاح عند سعادة فيما توجه فيه فأخفق سعيه وانفض عنه بنو عبد الواد والعرب الذين معه وخرج فارا بمن تلمسان مع أوليائه من سويد الى مشاتيهم بالصحراء ودخل السلطان أبو حمو تلمسان في رجب سنة تسعين وقدم عليه أبناؤه فأقاموا معه بتلمسان فطرق المنتصر ابنه المرض فهلك بها لايام من دخوله تلمسان واستقر الامر على ذلك والله أعلم

Marfat.com

لما خرج أبو تاشفين من تلمسان امام أبيه واتصل بأحياء سويد أجمعوا رأيهم على الاستنجاد بصاحب المغرب فوفد أبو تاشفين ومعه محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبي العباس صاحب فاس وسلطان بني مرين صريخين على شأنهما فقبل وفادتهما ووعدهما بالنصر من عدوهما وأقام أبو تاشفين عنده ينتظر انجاز وعده وكان بين أبي حمو وابن الاحمر صاحب الاندلس وشيجة ود وعقيدة وصلة ولابن الاحمر دالة وتحكم في دولة ابي العباس صاحب المغرب بما سلف من مظاهرته على أمره مذ ولي دولته فبعث أبو حمو في الدفاع عنه من اجازة أبي تاشفين من المغرب اليه فلم يجبه صاحب المغرب وفاء بذمته وعلله بالقعود عن نصره وألح عليه ابن الاحمر في ذلك فتعلل بالمعاذير وكان أبو تاشفين قد عقد لاول قدومه مع وزير الدولة محمد بن يوسف بن علال حلفا اعتقد الوفاء به فكان هواه في انجاده ونصره من عدوه فلم يزل يفتل لسلطانه في الذروة والغارب ويلوي عن ابن الاحمر المواعيد حتى أجابه السلطان الى غرضه وسرح ابنه الامير أبا فارس والوزير محمد بن يوسف بن علال في العساكر لمصارخة أبي تاشفين وفصلوا عن فاس أواخر احدى وتسعين وانتهوا الى تازى وبلغ خبرهم الى السلطان أبي حمو فخرج من تلمسان وجمع أشياعه من بني عامر والحراج بن عبيد الله وقطع جبل بني ورنيد المطل على تلمسان وأقام بالغيران من جهاته وبلغ الخبر الى أبي تاشفين فقدم الى تلمسان مجدد المكر والخديعة وشيطان الفتنة والشر موسى بن يخلف فاستولى عليها وأقام دعوة أبي تاشفين فيها فطير الخبر الى أبي حمو ابنه عمير فصبحه بها لليلة من مسيرة فأسلمه أهل البلد وتقبض عليه وجاء به أسيرا الى أبيه بمكانه من الغيران فوبخه أبو حمو على فعاله ثم أذاقه أليم عقابه ونكاله وأمر به فقتل أشنع قتلة وجاءت العيون الى أبي فارس بن صاحب المغرب ووزيره ابن علال بمكان أبي حمو واغرابه بالغيران فنهض الوزير ابن علال في عساكر بني مرين لغزوه وسار أمامهم سليمان بن ناجي من الاحلاف احدى بطون المعقل يدل بهم طريق القفر حتى صبحوه ومن معه من احياء الحراج في مكان مقامتهم بالغيران وناوشوهم القتال فلم يطيقوهم لكثرتهم وولوا منهزمين وكاد بالسلطان أبي حمو فرسه فسقط وأدركه بعض فرسانهم وعرفه فقتله قعصا بالرماح وجاؤا برأسه الى الوزير بن علال وأبي تاشفين وجيء بابنه عمير أسيرا وهم أبو تاشفين أخوه بقتله فنعوه أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل أبو تاشفين تلمسان لثواخر احدى وتسعين وخيم الوزير وعساكر بني مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى المغرب وأقام هو بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب

Marfat.com

ويخطب له على منابره ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على نفسه الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(مسير أبي زيان بن أبي حمو لحصار تلمسان ثم اجفاله عنها ولحاقه بصاحب المغرب)

كان السلطان أبو حمو قد ولى على الجزائر ابنه أبا زيان لما عاد الى ملكه بتلمسان وأخرج منها أباتاشفين فلما قتل أبو حمو بالغيران كما قلناه خرج أبو زيان من الجزائر نابيا الى أحياء حصين يؤمل الكرة بهم والاخذ بثار أبيه وأخيه فاشتملوا عليه وأجابوا صريخه ثم وفد عليه أمراء بني عامر من زغبة يدعونه لملكه فسار اليهم وقام بدعوته وطاعته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان في رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصروها أياما وسرب أبو تاشفين المال في العرب فافترقوا على أبي زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه في شعبان من السنة ولحق بالصحراء واستألف أحياء المعقل وعاود حصار تلمسان في شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريخا الى المغرب فجاءه بمدد من العسكر ولما انتهى الى تاوريرت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام عنده الى حين مهلك أبي تاشفين والله تعالى أعلم

(وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين مملكا على تلمسان ومقيما فيها الدعوة صاحب المغرب أبي العباس بن السلطان أبي سالم ومؤديا للضريبة التي فرضها عليه منذ أول ملكه وأخوه الامير أبو زيان مقيم عند صاحب المغرب ينتظر وعده في النصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبي تاشفين في بعض النزغات الملوكية فأجاب داعي أبي زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازى وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم هلك منه في رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العز من صنائعهم وكان يميت اليه بخولة فولى بعده مكانه صبيا من ابنائه وقام بكفالته وكان يوسف بن أبي حمو وهو بن الزيانية والي على الجزائر من قبل ابي تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب ودخل تلمسان فقتل أحمد بن العز والصبي المكفول ابن أخيه تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبي العباس صاحب المغرب خرج الى تازى وبعث من هنالك ابنه أبا فارس في العساكر وردأ بازيان بن أبي حمو الى فاس ووكل به وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم وزير أبيه صالح بن حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتداس الى حدود بجاية واعتصم يوسف بن الزيانية بحصن تاجموت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بني عبد

{ وفاة أبي العباس صاحب المغرب واستيلاء أبي زيان بن أبي حمو على تلمسان والمغرب الاوسط }

كان السلطان أبو العباس بن أبي سالم لما وصل الى تازى و بعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فملكها وأقام هو بتازى يشارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذى تقدم لفتح البلاد الشرقية وكان يوسف بن على بن غانم أميراً ولاد حسين من المعقل قد حج سنة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان فتنه واخبرته بحمله من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجة هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم بها يوسف على السلطان أبي العباس عظم موقعها و جلس فى مجلس جعله لعرضها والمباهاة بها وشرع فى المكافأة عنها بتخيير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما رضيه واعتزم على انفاذها مع يوسف بن على حاملها الاول وانه يرسله من تازى أيام مقامته هنالك فطرقه هنالك مرض كان فيه حتفه فى محرم سنة ست وتسعين واستدعوا ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازى وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبي حمو من الاعتقال و بعثوا به الى تلمسان أميراً عليها وقائماً بعد السلطان أبي فارس فيها فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزيانية قد اتصل بأحياء بني عامر بروم ملك تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك و بذل لهم عطاء جزيلا على أن يبعثوا به اليه فأجابوه الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبي زيان وساروا به فاعترضهم بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى أخيه أبي زيان فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره وقد انتهى بناء القول فى دولة بني عبد الواد من زناتة الثانية (وبقى) علينا خبر الرهط الذين تحيزوا منهم الى بني مرين منذ أول الدولة وهم بنو كمى من فضائل على ابن القائم اخوة طاع الله بن على وخبر بني كندوز أمرائهم بمراكش فلنرجع الى ذكر أخبارهم و بهذا نتوفى الكلام فى أخبار بني عبد الواد والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

Marfat.com

يوسف بن محمد ـ

يحيى بن داود بن ـــن مسكي ـ

عبد الله بن أبي حفص عمر ـ
أبو العاص يرهوم ـ

يوسف بـــن الساطان أبي حمو موسى بن يوسف بـــن عبد الرحمن بن يحيى بـــن يغمراسن بن زيان بن ثابت بـــن محمد بن زكرار بن بندوكس بن طاع الله

أبو زيان ـ
المتصر ـ

أبو ثابت بن
عمر ـ

أبو زيان محمد بن عثمان ـ
أبو ثابت ـ

أبو ثابت بن أبي حمو موسى بن عثمان ـ
فارس ـ

عثمان ـ

الحسن بن طاهر بن يوسف ـ
عبد الله بن محمد بن قاسم بن مدرع ـ

عثمان بن يحيى بن محمد بن أحمد بن يعلى ـ

الخبر عن بني كمي احد بطون بني القاسم بن عبد الواد وكيف نزعوا الى بني مرين وما صار لهم بنواحي مراكش وأرض السوس من الرياسة

قد تقدم لنا أول الكلام في بني عبد الواد أن بني كمي هؤلاء من شعوب القاسم وأنهم بنو كمي بن يمسل بن يزكن بن القاسم اخوة طاع الله و بني دلول و بني معطي دلول و بني معطي بن جوهر بن علي وذكرنا ما كان بين طاع الله و بين اخوانهم بني كمي من الفتنة وكيف قتل كندوز بن عبد الله كبير بني كمي زيان بن ثابت بن محمد كبير بني طاع الله وأن جابر بن يوسف بن محمد القائم بالامر من بعده ثار منهم بزيان وقتل كندوزا غيلة أو حربا وبعث برأسه الى يغمراسن بن زيان فنصب عليها أهل البيت القدور شفاية لنفوسهم واستمر الغلب بعده على بني كمي فلحقوا بحضرة تونس وكبيرهم اذذاك عبد الله ابن كندوز ونزلوا على الامير أبي زكريا حتى كان من استيلائه على تلمسان ما قدمنا ذكره وطمع عبد الله في الاستبداد بتلمسان فلم يتفق ذلك ولما هلك مولانا الامير أبو زكريا وولي ابنه المنتصر أقام عبد الله صدرا من دولته ثم ارتحل هو وقومه الى المغرب ونزل على يعقوب بن عبد الحق قبل فتح مراكش فاهتز يعقوب لقدومه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مراكش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل السلطان انتجاع ابله ورواحله في أحيائهم وقدم على رعايتها حسان ابن أبي سعيد الصبيحي وأخاه موسى وصلا في لفيفهم من بلاد المشرق وكانا عارفين برعاية الابل والقيام عليها وأقاموا يتقلبون في تلك البلاد ويتعدون في نجعتها الى أرض السوس وأوفد يعقوب بن عبد الحق عبد الله بن كندوز هذا على المنتصر صاحب افريقية سنة خمس وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه والتحم بنو كمي ببني مرين وأصبحوا احدى بطونهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم من بعده لابنه عمر بن عبد الله فلما نهض يوسف بن يعقوب بن عبد الحق الى المغرب الاوسط وشغل بحصار تلمسان وتحدث الناس بما نزل بعبد الواد من بني مرين أخذت بني كمي الحمية واستعضوا لقومهم وأجمعوا الخلاف والخروج على السلطان ولحقوا بحاجة سنة ثلاث وسبعمائة واستولوا على بلاد السوس فخرج اليهم أخو السلطان الامير بمراكش يعيش بن يعقوب فناجزوه الحرب بتادارت وغلبوه واستمروا على خلافهم ثم عاودهم محاربتهم بتامطولت سنة أربع بعدها فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم وقتل عمر بن عبد الله وجماعة من كبرائهم وفر وا أمامه الى الصحراء ولحقوا بتلمسان وهدم يعيش بن يعقوب تارودنت قاعدة أرض السوس وأقام بنو كندوز

Marfat.com

بعدها بتلمسان نحوا من ستة أشهر ثم توجسوا الغدر بن ولد عثمان بن يغمراسن فرجعوا
الى مراكش واتبعهم عساكر السلطان وأبلى منهم فى القتال عنهم محمد بن أبى بكر بن
حلمة بن كندوز وخلصوا الى مغناتهم مشردين بصحراء السوس الى أن هلك
السلطان يوسف بن يعقوب وراجعوا طاعة المولى بالمغرب فعفوا لهم عما سلف من
هذه الجزيرة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأمحضوا النصيحة والمخالصة وكان
أميرهم من بعد عمر ابنه محمد وأقام فى امارتهم سنين ثم ابنه موسى بن محمد من بعده كذلك
واستخلصه السلطان أبو الحسن أيام الفتنة بينه وبين أخيه أبى على لعهد أبيهما
السلطان أبى سعيد ومن بعيده فكانت له فى المدافعة عن نواحى مراكش آثار وأيام
ثم هلك موسى بن محمد فولى السلطان أبو الحسن مكانه ابنه يعقوب بن موسى ولما غلب
على تلمسان وأصار بنى عبد الواد فى خوله وجنوده تمشت رجالاتهم وساموا أشجانهم
حتى اذا كانت واقعة القيران وتواقف السلطان وبنى سليم داخلهم يعقوب بن موسى
فى أن يخذل عن السلطان اليهم ببنى عبد الواد ومن اليهم من مغراوة وتوجين وأوعدهم
لذلك ثم مشى فى قومه وكافة بنى عبد الواد فأجابوه الى ذلك ولحقوا جميعا ببنى سليم فجروا
بذلك الهزيمة على السلطان بالقيران المشهورة ولحقوا بعدها بتلمسان وولوا أمرهم
فى بنى يغمراسن وهلك يعقوب بن موسى بافريقية ولحق أخوه رحو بالمغرب وكان
السلطان أبو عنان قد استعمل على جماعتهم وعملهم عبو بن يوسف بن محمد وهو ابن عمهم
ديناً فأقام فيهم كذلك حتى هلك فولى من بعده ابنه محمد بن عبو وهم على ذلك لهذا العهد
يعسكرون للامير بمراكش ويتولون من خدمة السلطان مالهم فيه الغناء والكفاية
فكأنهم يعزل عن بنى عبد الواد لاحتكام العداوة بمقتل زيان بن ثابت والله وارث
الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره ولا معبود سواه

Marfat.com

يعقوب بن داود بن يعقوب بن محمد بن عمر بن عبد الله بن كندوز

محمد بن أبي بكر بن حمامة

(الخبر عن بني راشد بن محمد بن يادين وذكر أولياتهم وتصاريف أحوالهم)

وانما قدمنا ذكرهم قبل استقام بني يادين لانهم لم يزالوا أحلافا لبني عبد الواد ومن جملتهم فكانت أخبارهم من أخبارهم وأمار اشد أبوهم فهو أخو يادين واختص بنوه كما قلنا ببني عبد الواد وكانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد اسم أبيهم وكانت مواطن مدينة من قبائل البربر قبلة تاسالت وبنو ورند من بطون دمر قبلة تلمسان الى قصر سعيد وكان جبل هوارة موطنا بني يلوما الذين كان لهم الملك كما قدمنا ولما انتحل أمر بني يلوما وذهبت دولتهم زحف بنو راشد هؤلاء من بطونهم بجبل راشد الى بسائط مدينة وبني ورند فشنوا عليهم الغارات وطالت بينهم الحرب الى أن غلبوهم على مواطنهم وألجؤهم الى الاوعار فاستوطن بنو ورند الجبل المطل على تلمسان واستوطن مدينة جبل تاسالت وملك بنو راشد بسائطهم ثم استوطنوا جبالهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلد بني يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان لاول الاسلام وكان منهم أبو قرة الصفري كما قدمناه وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمد الامير الذي قتله جوهر الصقلي قائد الشيعة كما ذكرناه في أخبارهم ويعلى هو الذي اختط بهذا الجبل مدينة ايفكان الذي هدمها جوهر يوم قتله فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصنا لهم ومجالاتهم في ساحة القبلة الى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد وألجؤهم الى الجبل وكان غلب بني راشد على هذه الاوطان بين دخول بني عبد الواد الى المغرب الاوسط وكانوا شيعة لهم وأحلافا في فتنتهم مع بني توجين وبني

Marfat.com

مرين وكانت رياستهم في بيت منهم يعرفون ببني عمران وكان القائم بها الاول دخولهم ابراهيم بن عمران واستبد عليه اخوه وترمار وقام بأمرهم الى أن هلك فولى ابنه مقاتل بن وترمار وقتل عمه ابراهيم وافترقت رياسة بني عمران من يومئذ بين بني ابراهيم وبني وترمار الا أن رياسة بني ابراهيم أظهر فولي بعد ابراهيم بن عمران ابنه وترمار وكان معاصر اليغمراسن بن زيان وطال عمره ولما هلك لتسعين من المائة السابعة ولي أمرهم غانم ابن أخيه محمد بن ابراهيم ثم كان فيهم من بعده موسى بن يحيى بن وترمار لا أدري معاقبا لغانم أو توسطهما أحد ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان أبي الحسن وشيخهم لذلك العهد أبو يحيى موسى بن عبد الرحمن بن وترمار بن ابراهيم وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجون بن وترمار وانقرض أمر بني عبد الواد وأشياعهم ونقل بنو مرين رؤس زناتة أجمع الى المغرب الاقصى فكان بنو وترمار هؤلاء ممن صار الى المغرب وأوطنوه الى أن صار الامر لبني عبد الواد الكرة الثالثة على يد أبي حمو الاخير موسى بن يوسف وكان شيخ بني راشد لعهده ابن أبي يحيى بن موسى المذكور أقبل اليهم من المغرب من ايالة بني مرين فاتهمه أبو حمو بعد اخلتهم فتقبض عليه واعتقله مدة بوهران وفر من معتقله فلحق بالمغرب وارتحل بين أحيائهم مدة ثم رجع الى الطاعة واقتضى العهد من السلطان أبي حمو وولاه على قومه ثم تقبض عليه واعتقله الى أن قتله بمحبسه سنة ثمان وستين وسبعمائة وانقرض أمر بني وترمار بن ابراهيم وأما بنو وترمار بن عمران فقام بأمرهم بعد مقاتل ابن وترمار أخوه أبو زركن بن وترمار ثم ابنه يوسف بن أبي زركن ثم آخرون من بعدهم لم تحضرني أسماؤهم الى أن غلب عليهم بنو وترمار بن ابراهيم وقد ذهبت لهذا العهد رياسة أولاد عمران جميعا وصار بنو راشد هؤلاء مخولا للسلطان و بقيتهم بجبلهم على الحال التي ذكرناها والله وارث الارض ومن عليها

Marfat.com

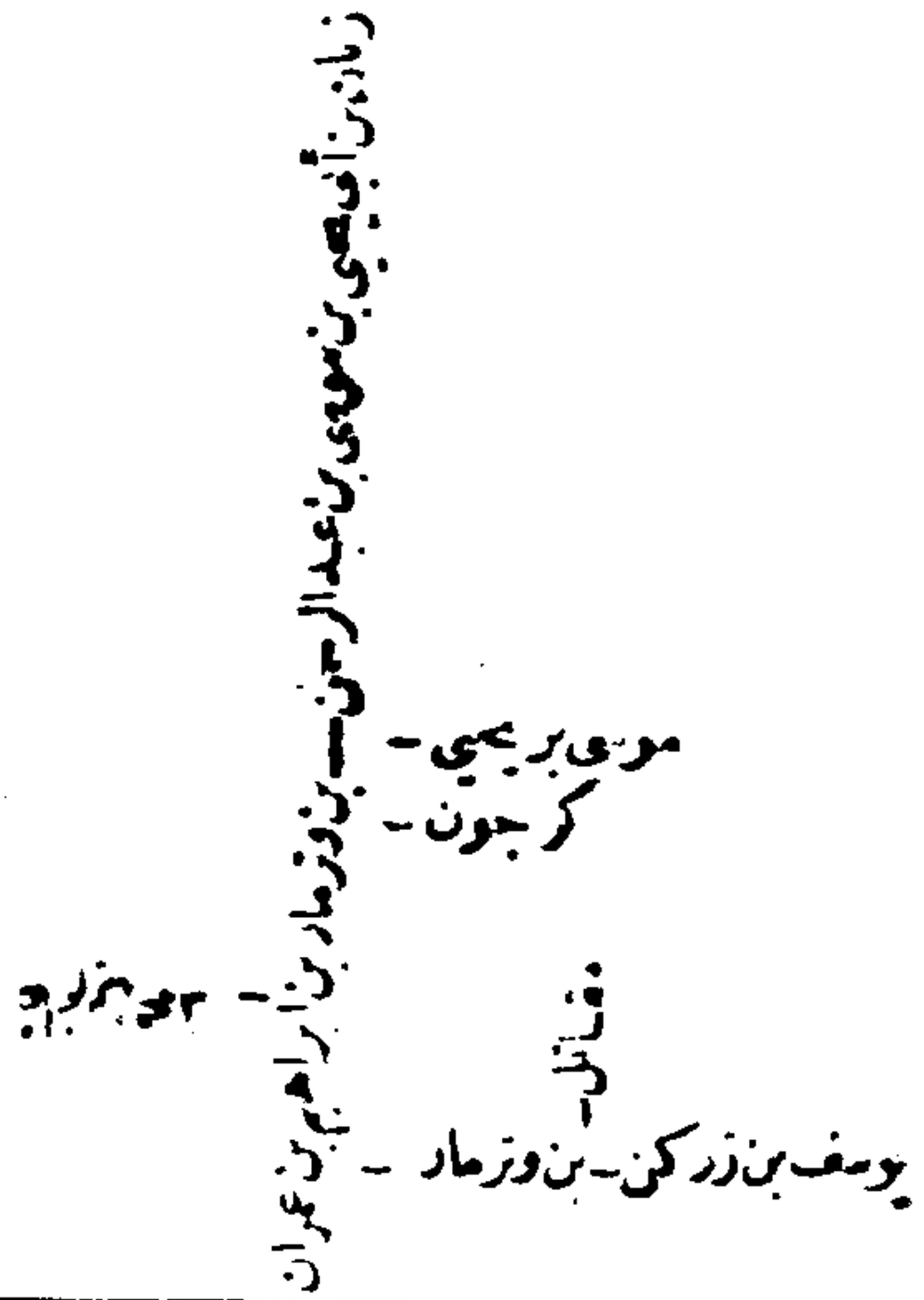

{الخبر عن بني توجين من شعوب بني يادين من أهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصايره}

كان هذا الحي من أعظم أحياء بني يادين وأوفرهم عددا وكانت مواطنهم حفافي وادي شلف قبلة جبل وانشريس من أرض السرسو وهو المسمى لهذا العهد نهرصا وكان بأرض السرسو بجهة الغرب منه بطون من لواتة وغلبهم عليها بنو وجديجن ومطماطة ثم صارت أرض السرسو لبني توجين هؤلاء واستضافوها الى مواطنهم لاولى وصارت مواطنهم مابين مدوطن بني راشد وجبل درا الى جانب القبلة وكانت لهم رياسة أيام صنهاجة لعطية بن دافلتن وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرقيق ولما كانت فتنة حماد بن بلكين مع عمه باديس ونهض اليه باديس من القيروان حتى احتل بوادي شلف تحيز اليه بنو توجين هؤلاء وكان لهم في حروب حماد آثار مذكورة وكان لقمان بن المعتز أظهر من عطية بن دافلتن وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة آلاف وأوفد لقمان ابنه بدرا على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحيازا فلما انهزم حماد رعى لهم باديس انحيازهم اليه وسوغ لهم ماغنموه وعقد للتلمان على قومه ومواطنه وعلى مايفتحه من البلاد بدعوته ثم انفرد بريا ستهم بعد حين بنو دافلتن ويقال انه دافلتن بن أبي بكر بن الغلب وكانت رياستهم لعهد الموحدين لعطية بن منادبن العباس بن دافلتن وكان يلقب

Marfat.com

عطية الحيو وكانت بينهم لعهده و بين بنى عبد الوادحروب كان متولى كبرها من بنى عبد الواد شيخهم بذلك العهد اعدوى بن يكنيجن بن القاسم فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى أن غلبهم بنو عبد الواد آخرا على مواطنهم كما نذكره ولما هلك عطية الحيو قام بأمرهم أبو العباس وكانت له آثار فى الاجلاب على ضواحى المغرب الاوسط ونقض طاعة الموحدين الى أن هلك سنة سبع وستمائة دس عامل تلمسان يومئذ أبو زيد بن لوحان من اغتاله فقتله وقام بأمرهم من بعده ابنه عبد القوى فانفرد برياستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره وكان من أشهر بطون بنى توجين هؤلاء يومئذ بنو يدللتن وبنو قرى و بنو مادون وبنو زند الذ وبنو وسيل وبنو قاضى وبنو مامت ويجمع هؤلاء الستة بنو مدن ثم بنو تيغرين وبنو يرناتن و بنو منكوش ويجمع هؤلاء الثلاثة بنو سرغين ونسب بنى زند الذ خيل فيهم وانما هم من بطون مغراوة وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوى بن العباس بن عطية الحيو هكذا رايت نسبه لبعض مؤرخى زناتة المنكوشى وكانت رياسة بنى توجين جميعا عند انقراض أمر بنى عبد المؤمن لعبد القوى بن العباس بن عطية الحيو واحيازهم جميعا بتلك المجالات القبلية فلما وهن أمر بنى عبد المؤمن وتغلب مغراوة على بسائط متيجة ثم على جبل وانشريس نازعهم عبد القوى هذا وقومه أمر وانشريس وغالبوهم الى أن غلبوهم عليه واستقر فى ملكهم وأوطنه بنو تيغرين و بنو منكوش من أحيائهم ثم تغلبوا على منداس وأوطنها أحياء بنى مدن جميعا وكان الظهور منهم لبنى يدللتن ورياسة بنى يدللتن لبنى سلامة وبقى بنو يرناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة وانشريس وكان من أحلاف بنى عطية الحيو بنو تيغرين منهم خاصة وأولاد عزيز بن يعقوب ويعرفون جميعا بالوزراء ولما تغلبوا على الاوطان والتلول وأزاحوا مغراوة عن المدية ووانشريس وتافركينت واستأثروا بملكها وملك الاوطان عن غربيها مثل منداس والجعبات وتاوغزوت ورئيسهم لذلك العهد عبد القوى بن العباس والكل لأمر مفصار له ملك بدوى ولم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحلتين يتنابون فى مشاتيهم الى مصاب والزاب وينزلون فى المصايف بلادهم هذه من التل ولم يزل هذا شأن عبد القوى وابنه محمد الى أن تنازع بنوه الامر من بعده وقتل بعضهم بعضا وتغلب بنو عبد الواد على عامة أوطانهم وأحيائهم واستبد عليهم بنو يرناتن وبنو يدللتن فصاروا الى بنى عبد الواد وبقى أعقابهم بجبل وانشريس الى أن انقرضوا على ما نذكره بعد وكان عبد القوى لما غلب مغراوة على جبل وانشريس اختط حصن مرات بعد أن كان منديل المغراوى شرع فى اختطاطه فبنى منه القصبة ولم يكمله فاكمله محمد بن عبد القوى من بعده ولما استبد بنو أبى حفص بأمر افريقية وصارت لهم

Marfat.com

خلافة الموحدين نهض الامير أبو زكريا الى المغرب الاوسط ودخلت فى طاعته قبائل صنهاجة وفرت زناتة أمامه وردّد اليهم الغزو فأصاب منهم وتقبض فى بعض غزواته على عبد القوى بن العباس أمير بنى توجين فاعتقله بالحضرة ثم منّ عليه وأطلقه على أن يستألف له قومه فصار واشيعة له ولقومه آخر الدهر ونهض الامير أبو زكريا بعدها الى تلمسان فكان عبد القوى وقومه فى جملته حتى اذا ملك تلمسان ورجع الى الحضرة عقد لعبد القوى هذا على قومه ووطنه وأذن له فى اتخاذ الآلة فكانت أول مراسم الملك لبنى توجين هؤلاء وكانت حالهم مع بنى عبد الواد تختلف فى السلم والحروب ولما هلك السعيد على يد يغمراسن وقومه كما ذكرناه استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة لغزو المغرب وسابقة بنى مرين اليه فنفر معه عبد القوى فى قومه سنة سبع وأربعين واتهوا الى تازى واعترضهم أبو يحيى بن عبد الحق أمير بنى مرين فى قومه فنكصوا واتبعهم الى انكاد فكان اللقاء وانكشفت جموع بنى يادين وكانت الهزيمة التى ذكرناها فى أخبار بنى عبد الواد وهلك عبد القوى مرجعه منها فى سنته بالموضع المعروف باحون من مواطنهم وتصدّى للقيام بعده بامرهم ابنه يوسف فمكث فى تلك الامارة اسبوعا ثم قتله على جدث أبيه أخوه محمد بن عبد القوى ولى عهد أبيه سابع مواراته وفرّ ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صنهاجة بجبال المدية فأقام بها هو وبنوه واستقل محمد برياسة بنى توجين واستغلظ ملكه وكان الفحل الذى لا يقرع أنفه ونازعه يغمراسن أمره ونهض الى حربه سنة تسع وأربعين وعمد الى حصن تافركينت فنازله وبه يومئذ حافده على بن زيان بن محمد فى عصابة من قومه فحاصره أياما وامتنعت عليه فارتحل عنها ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه أباه من غزو بنى مرين فى بلادهم فأجاب ونهضوا سنة سبع وخمسين ومعهم مغراوة فانتهوا الى كلدمان ما بين تازى وأرض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق فى جموعه فانكشفوا ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه وكانت بينه وبين يغمراسن بعد ذلك فتن وحروب فنازله فيها بجبل وانشريس مرات وجاس خلال وطنه ولم يقع بعدها بينهما مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك وسموّه الى التغلب على زناتة أجمع وبلادهم وكانوا جميعا منحاشين الى الدولة الحفصية وكان محمد بن عبد القوى كثير الطاعة للسلطان المستنصر (ولما نزل) النصارى الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين وطمعوا فى ملك الحضرة بعث المستنصر الى ملوك زناتة بالصريخ فصرفوا وجوههم اليه وخف من بينهم محمد بن عبد القوى فى قومه ومن احتشد من أهل وطنه ونزل على السلطان بتونس وأبلى فى جهاد العدو أحسن البلاء وكانت له فى أيامه معهم مقامات مذكورة ومواقف

Marfat.com

مشهورة وعند الله محتسبة معدودة ولما ارتحل العدو عن الحضرة وأخذ محمد بن عبد القوى فى الانصراف الى وطنه أسنى السلطان جائزته وعمّ بالاحسان وجوه قومه وعساكره وأقطعه بلاد مغراوة وأوماش من وطن الزاب وأحسن متقلبه ولم يزل بعد ذلك معتقلا بطاعته مستظهرا على عدوه بالانحياش اليه ولما استغلظ بنو مرين على يغمراسن بعد استيلائهم على أمصار المغرب واستبدادهم بملكه وصل محمد يده بهم فى الاستظهار على يغمراسن وأوفد ابنه زيان بن محمد عليهم ولما نهض يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان سنة سبعين وأوقع بيغمراسن فى الوقيعة التى هلك فيها ابنه فارس نهض محمد بن عبد القوى لمقاتلته ومرّ فى طريقه بالبطحاء وهى يومئذ ثغر لاعمال يغمراسن فهدمها ولحق يعقوب بن عبد الحق فى ساحة تلمسان مباهيا بآلته فأكرم يعقوب وفادته وبرّ مقدمه ونازلوها أياما فامتنعت عليهم وأجمعوا على الافراج وتأنى لهم يعقوب بن عبد الحق متلوما عليها الى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم حذرا عليهم من غائلة يغمراسن ففعل وملأ حقائبهم بالتحافه وجنب لهم مائة من الجياد العتاق بالمراكب المثقلة وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والاخبية والعملان وارتحلوا ولحق محمد بن عبد القوى بمكانه من جبل وانشريس واتصلت حروبه مع يغمراسن وكثرا جلابه على وطنه وعيثه فى بلاده وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب والتحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف حتى ان يعقوب اذا اشترط على يغمراسن فى مهادنته جعل سلمهم من سلمه وحربهم من حربه وبينهم كان نهوض يعقوب بن عبد الحق سنة ثمانين لما اشترط عليه ذلك ولج فى قبوله فنهض اليه واوقع به بخرزوزة ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هنالك محمد بن عبد القوى فلقيه بالقصاب وعاثوا فى نواحى تلمسان نهبا وتخريبا ثم أذن يعقوب لمحمد وقومه فى الانطلاق الى بلادهم وتلوم هو بمكانه من ضواحى تلمسان مدة منحاتهم الى مكانهم من وانشريس حذرا عليهم من اعتراض يغمراسن ولم يزل شأنهما ذلك الى أن هلك يغمراسن بسدلونة من بلاد مغراوة خاتمة احدى وثمانين وفى خلال ذلك استغلظ بنو مرين على بنى عبد الواد واستوسق لمحمد هذا ملكه فتغلب على أوطان صنهاجة بجبال لمدية وأخرج الثعالبة من جبل تيطرى بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم فارتحلوا عنه الى بسائط متيجة وأوطنوها واستولى محمد على حصن لمدية وهو المسمى بأهله لمدية بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وهاء النسب فى آخرها وهم بطن من بطون صنهاجة وكان المختط لها بلكين بن زيرى ولما استولى محمد عليها وعلى ضواحيها انزل أولاد عزيز بن يعقوب من حشمه بها وجعلها لهم موطنا وولاية وفر بنو صالح بن

أخيه يوسف بن عبد القوى من مكانهم بين صنهاجة منذ مقتل أبيه يوسف كما ذكرناه ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية فلقوهم مبرة وتكريما وقطعوا لهم بضواحى قسنطينة فى ايالة الملوك من آل أبى حفص يعسكرون معهم فى غزواتهم ويبلون فى حروبهم ويقومون بوظائف خدمتهم وكان الموالى من أولاد عزيز على لمدية حسن بن يعقوب وبنوه من بعده يوسف وعلى وكانت مواطنهم ما بين لمدية وموطنهم الاول ماخنون وكان بنو يدللتن أيضا من بنى توجين قد استولوا على حصن الجعبات وقلعة تاوغزوت ونزل القلعة كبيرهم سلامة بن على مقيما على طاعة محمد بن عبد القوى وقومه فاتصل ملك محمد بن عبد القوى فى ضواحى المغرب الاوسط ما بين مواطن بنى راشد الى جبال صنهاجة بنواحى لمدية وما فى قبله ذلك من بلاد السرسو وجباله الى أرض الزاب وكان يبعد الرحلة فى مشتاه فينزل الروسن ومغرة والمسيلة ولم يزل دأبه ذلك ولما هلك يغمراسن سنة احدى وثمانين كما ذكرناه استجدت الفتنة بين عثمان ابنه وبين محمد بن عبد القوى على اثر ذلك سنة أربع وثمانين وولى من بعده ابنه سيد الناس فلم تطل مدة ملكه وقتله أخوه موسى لسنة أو نحوها من بعده هلك أبيه وقام موسى بن محمد فى امارة بنى توجين نحوا من عامين وكان أهل مرات من أشد أهل وطنه شوكة وأقواهم غائلة فحدثته نفسه أن يستلم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم فأجمع لذلك ونزلها ونذروا بشأنه ورأيه فيهم فاستماتوا جميعا وثاروا به فقاتلهم ثم انهزم مثخنا بالجراحة وألجؤه الى مهاول الحصن فتردى منها وهلك وولى من بعده عمر بن اخيه اسمعيل بن محمد مدة اربعة أعوام ثم غدر به أولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه وولوا كبيرهم ابراهيم بن زيان وكان حسن الولاية عليهم يقال ما ولى بعد محمد فيهم مثله وفى خلال هذه الولايات استغلظ عليهم بنو عبد الواد واشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم بعد مهلك أبيهم محمد فنهض اليهم سنة ست وثمانين وحاصرهم بجبل وانشريس وعاث فى أوطانهم ونقل ندوعها الى مازونة حين غلب عليها مغراوة ثم نازل حصن تافركينت وملكها بعد اخلاء القائد بها غالب الحصى مولى سيد الناس بن محمد وقفل الى تلمسان ثم نهض الى أولاد سلامة بقلعة تاوغزوت وامتنعوا عليه مرارا ثم أعطوه اليد على الطاعة ومفارقة بنى محمد بن عبد القوى فنبذوا لهم العهد وصاروا الى ايالة عثمان بن يغمراسن وفرضوا لهم المغارم على بنى يدللتن وسلك عثمان بن يغمراسن مسلك التضريب بين قبائل بنى توجين وتحريضهم على ابراهيم بن زيان أميرهم فعدا عليه زكرار بن أعجمى شيخ بنى مادون وقتله البطحاء فى احدى غزواته لسبعة أشهر من ملكه وولى بعده موسى بن زرارة بن محمد بن عبد القوى بايع له بنو تيغرين واختلف سائر بنى توجين فأقام بعض سنة

Marfat.com

وعثمان بن يغمراسن فى خلال هذا يستألف بنى توجين شعبا فشعبا الى أن نهض الى جبل وانشريس فملكه وفر أمامه موسى بن زرارة الى نواحى المدية وهلك فى سفر ذلك ثم نهض عثمان الى المدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها بعد اخلاء المدية من قبائل صنهاجة غدروا بأولاد عزيز وأمكنوه منها ثم انتقضوا عليه لسبعة أشهر ورجعوا الى اياله أولاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن عبد القوى وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين ثم شغل بما دهمه من مطالبة بنى مرين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بنى توجين من بنى محمد بن عبد القوى أبو بكر بن ابراهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس وأساء السيرة ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده أخاه عطية المعروف بالاصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف ابن زيان بن محمد وزحفوا الى جبل وانشريس فحاصروا به عطية وبنى تيغرين بعاصما أويربد وكان يحيى بن عطية كبير بنى تيغرين هو الذى تولى البيعة لعطية الاصم فلما اشتد بهم الحصار واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورغبه فى ملك جبل وانشريس فبعث معه الجيوش لنظر أخيه أبى سرحان ثم أخيه أبى يحيى وكان نهوض أبى يحيى سنة احدى وسبعمائة فتوغل فى ناحية الشرق ولما رجع صمد الى جبل وانشريس فهدم حصونه وقتل ونهض ثانية الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها وأطاعه أهل تافركينت ثم انتهى الى المدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه يوسف بن يعقوب فانتقض أهل تافركينت بعد صدوره عنهم ثم راجع بنو عبد القوى بصائرهم فى التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم الى بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وجعل وزارته ليحيى بن عطية فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتقض بين يدى مهلكه سنة ست وحمل قومه على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعده الى بنى يغمراسن عن جميع الامصار التى تملكوها بالمغرب الاوسط استمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا المتغلبين عنها ولحق القل من أولاد عبد القوى ببلاد الموحدين فخلوا من دولتهم محل الايثار والتكرمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوى مع الملوك من آل أبى حفص مقام الخلة والمصافاة الى أن هلك وبقى عقبه فى جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين تغلب على جبل وانشريس من بعدهم كبير بنى تيغرين أحمد بن محمد من أعقاب يعلى بن محمد سلطان بنى يغرن فأقام يحيى بن عطية هذا فى رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده أخوه عثمان بن عطية ثم هلك وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل

Marfat.com

وانشريس واستقل أولادعزيز بلمدية ونواحيها وراسهم ليوسف وعلى ابنى حسن
ابن يعقوب والكل فى طاعة أبى حمو سلطان بنى عبدالواد لما غلبهم على أمرهم وانتزع
الرياسة من بنى عبدالقوى أمرائهم الى أن خرج على السلطان أبى حمو ابن عمه يوسف
ابن يغمراسن ولحق بأولاد عزيز فبايعوه وداخلوا فى كتائبه عمر بن عثمان كبير بنى
تيغرين وصاحب جبل وانشريس فأجابهم وأصفق معهم سائر الاعشار ويكوشة
وبنو يرناتن وزحفوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبى حمو فى عسكره بتهل ففضوه
وكان من شأن فتنته معهم ماذكرناه فى أخبار بنى عبدالواد الى ان هلك السلطان
أبو حمو وولى ابنه أبو تاشفين فنهض اليهم فى العساكر وكان عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة
من مخالصة محمد بن يوسف لاولاد عزيز دون قومه فداخل السلطان أبا تاشفين فى
الانحراف عنه فلما نزل بالجبل ولحق محمد بن يوسف بحصن توكال ليمتنع به نزع عنه عمر
ابن عثمان ولحق بأبى تاشفين ودله على مكامن الحصن فدلف اليه أبو تاشفين وأخذ بمخنقه
وافترق عن محمد بن يوسف أولياؤه وأشياعه فتقبض عليه وقيد أسيرا الى السلطان أبى
تاشفين فقتل بين يديه قعصا بالرماح سنة تسع عشرة وبعث برأسه الى تلمسان وصلب شلوه
بالحصن الذى امتنع فيه أيام انتزائه ورجع أمر وانشريس الى عمر بن عثمان هذا
وحصلت ولايته لابى تاشفين الى أن هلك بتلمسان فى بعض أيامهم مع بنى مرين أعوام
نازلها السلطان أبو الحسن كما ذكرنا فى أخبار الحصار ثم لما تغلب بنو مرين على المغرب
الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل وكان خير وال وفاه
بالذمة والطاعة وخلوصا فى الولاية وصدقا فى الانحياش واحسانا للمملكة وتوفيرا
للجباية ولما كانت نكبة السلطان أبى الحسن بالقيروان وتطاول الاعياص من زناتة
الى استرجاع ملكهم انتزى بضواحى المدية من آل عبدالقوى عدى بن يوسف بن زيان
ابن محمد بن عبدالقوى وناغى الخوارج فى دعوتهم واشتمل عليه بنو عزيز وولاه
وبنو يرناتن جيرانهم وزحف الى جبل وانشريس لينال مع الحشم من يلى أمرهم
والمداخلين لعدوهم فى قطع دابرهم وكبيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان وبايع نصر
المسعود بن أبى زيد بن خالد بن محمد بن عبدالقوى من أعقابهم ثم خلص اليهم من جملة
عدى بن يوسف حذرا على نفسه من أصحابه وقاتلهم عدى وقومه فامتنعوا عليه
ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه ثم دخل عدى
فى جملة السلطان أبى الحسن لما خلص من تونس الى الجزائر وبقى مسعود بينهم وملكه
أبو سعيد بن عبدالرحمن لما ملك تلمسان هو وقومه فلم يزل هنالك الى أن غلبهم السلطان
أبو عنان فصار فى جملته بعد أن فر الى زواوة واستنزله منها ونقله الى فاس وانقضى

ملكهم ودولتهم وانقطع أثر بنى محمد بن عبد القوى وأقام نصر بن عمرفى ولاية جبل وانشريس وعقد له السلطان أبو عنان عليه سائر دولته ولم يزل قائما بدعوة بنى حرين من بعده الى أن غلبهم السلطان أبو حمو الاخير وهو ابن موسى بن يوسف على الامر فأعطاه نصر الطاعة ثم اضطرمت نار الفتنة بين العرب وبين بنى عبد الواد أعوام سبعين وسبعمائة وقاموا بدعوة أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو فانحاش نصر بن عمر اليهم وأخذ بدعوة الامير أبى زيان حينا ثم هلك أيام تلك الفتنة وقام بأمرهم من بعده أخوه يوسف بن عمر متقبلا مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين صاحب جبل وانشريس وحاله مع أبى حمو مختلف فى الطاعة والخلاف والله مالك الامور لا رب غيره ولا معبود سواه

Marfat.com

فالوا

محمد بن عيسى بن موسى بن محمد

عمر

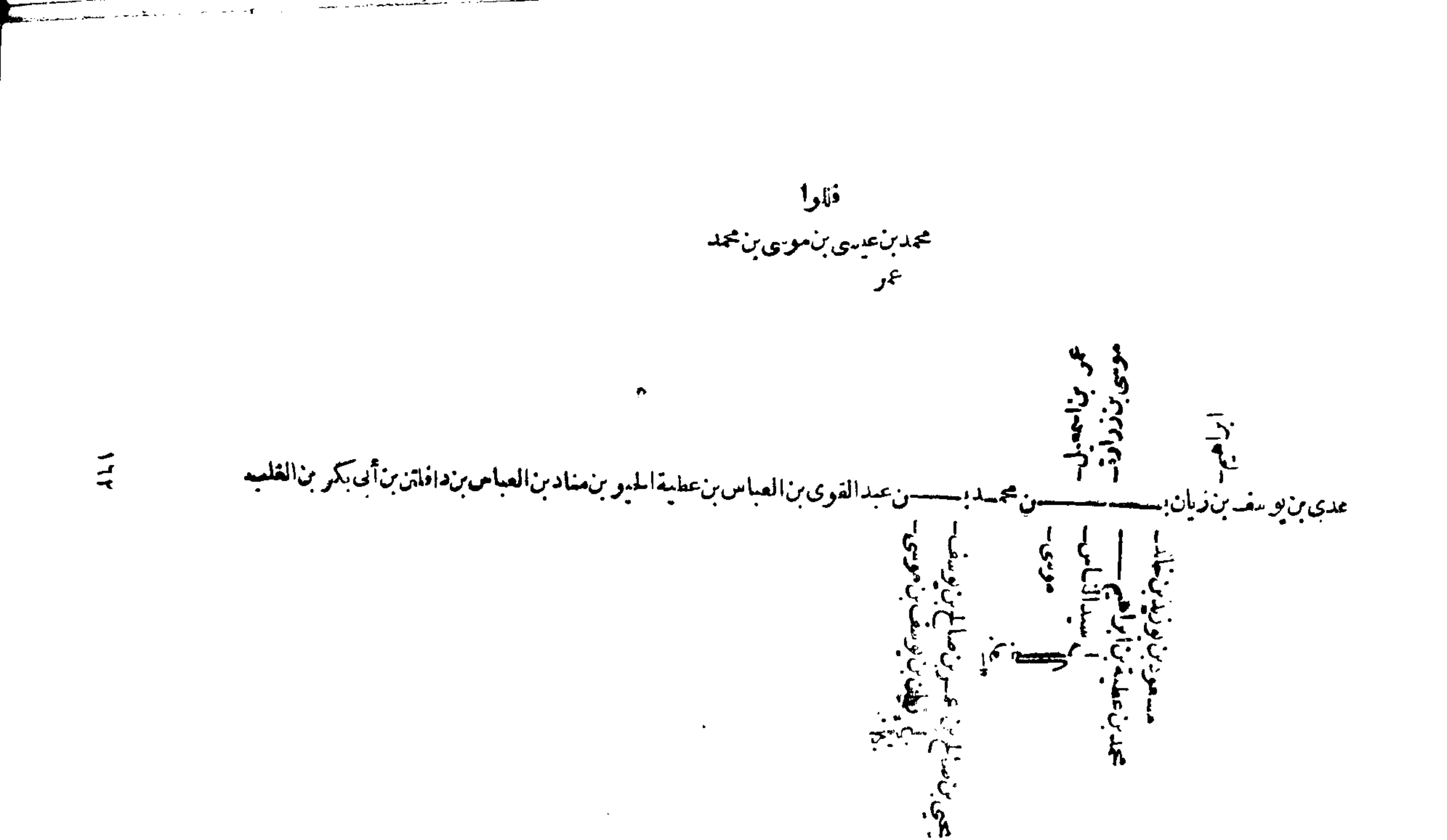

كان بنو يدلتن هؤلاء من شعوب بنى توجين وأشدهم شوكة وأوفرهم عددا وكان لهم ظهور من بين سائر تلك البطون وكان بنو عبد القوى ملوك بنى توجين يعرفون لهم ذلك ويوجبون لهم حقه ولما دخل الى التلول بعد انقراض بنى يلومى وبنى ومانو ابنو قاضى وبنو مادون بأرض منداس فأوطنوها وجاء بنو يدلتن على اثرهم فأوطنوا الجبال وتاوغزوت ورياستهم يومئذ لنصر بن سلطان بن عيسى ثم هلك فقام بأمرهم ابنه مناد بن نصر ثم أخوه على بن نصر ثم ابنه ابراهيم بن على من بعده ثم هلك وقام بأمرهم أخوه سلامة بن على على حين استفحل ملك عبد القوى وبنيه فاستفحل أمره هو فى قومه واختط القلعة بتاوغزوت المنسوبة اليه والى بنيه وكانت من قبل رباطا لبعض المنقطعين من عرب سويد ويزعم بنو سلامة هؤلاء أنهم دخلاء فى نسب توجين وأنهم من العرب من بنى سليم بن منصور وجاء جدهم عيسى أو سلطان نازعا عن قومه لدم أصابه فيهم فخلطه شيخ بنى يدلتن من بنى توجين بنسبه وكفل بنيه من بعده ولما هلك سلامة بن على قام بأمرهم من بعده ابنه يغمراسن بن سلامة على حين استغلظ بنو عبد الواد على بنى توجين من بعد مهلك محمد بن عبد القوى سلطانهم الأكبر فكان عثمان بن يغمراسن يترتد الى بلادهم بالغزو ويطيل فيها العيث ونازل فى بعض غزواته قلعتهم هذه وبها يغمراسن فامتنع عليه وخالفه يوسف بن يعقوب وبنو مرين الى تلمسان فأجفل على القلعة وسابق بنى مرين الى دار ملكه واتبعه يغمراسن بن سلامة مغيرا فى أعقابه فكر عليه بالمكان المعروف بتليوان ودارت بينهم هنالك حروب هلك فيها يغمراسن بن سلامة وقام بالامر من بعده أخوه محمد بن سلامة فأذعن لطاعته عثمان بن يغمراسن وخالف بنو عبد القوى وجعل الاتاوة على قومه ووطنه للملوك بنى عبد الواد فلم تزل عليهم للملوك تلمسان ولحق أخوه سعد بالمغرب وجاء فى جملة السلطان يوسف بن يعقوب فى غزوته التى حاصر فيها تلمسان حصاره الطويل فرعى لسعد بن سلامة هجرته اليه وولاه على بنى يدلتن والقلعة وفر أخوه محمد بن سلامة فلحق بجبل راشد وأقام هنالك الى أن هلك يوسف بن يعقوب ورجع أمر المغرب الاوسط لبنى عبد الواد فوضعوا الاتاوة على بنى توجين وأصاروهم الى الجباية ولم يزل سعد على ولايته الى أن هلك أبو حمو وولى أبو تاشفين فسخط سعدا وبعث عن أخيه محمد من جبل راشد فولاه مكانه ولحق سعد بالمغرب وجاء فى جملة السلطان أبى الحسن ودخل أخوه محمد مع أبى تاشفين فانحصر بتلمسان وولى سعد بن سلامة مكانه ثم هلك محمد فى بعض أيام الحصار وحروبه ولما انقرض أمر بنى عبد

Marfat.com

الوادرغب سعد من السلطان تخلية سبيله لقضاء فرضه فحج وهلك مرجعه من الحج فى طريقه وعهد الى السلطان أبى الحسن واستوصاه بنيه على لسان وليه عريف بن يحيى كبير بنى سويد فولى السلطان أبو الحسن ابنه سليمان بن سعد على بنى يدلتن والقلعة وانتقض أمر السلطان أبى الحسن وعاد الامر الى أبى سعيد وأبى ثابت ابنى عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فكانت بينه وبينهم ولاية وانحراف وكان أولياؤهم من العرب بنى سويد من زغبة لما كانوا جيرانهم فى مواطنهم من ناحية القبلة فطمع وترمار بن عريف شيخهم فى التغلب على وطن بنى يدلتن ومانعه دونه سليمان هذا وبالغ فى دفاعه الى أن ملك السلطان أبو عنان بلاد المغرب الاوسط ورعى لوترمار وابنه عريف حق انحيازهم اليه وهجرتهم الى قومه فأقطع وترمار بن عريف القلعة وما اليها وجباية بنى يدلتن أجمع وألحق سليمان بن سعد بن سلامة فى جنده ووجوه عسكره الى أن هلك السلطان وعاد الامر لبنى عبد الواد على يد أبى حمو الاخير فولى سليمان على القلعة وعلى قومه واستغلظ أمر العرب عليه فاستراب سليمان هذا ونذر بالشر منه فلحق باولاد عريف ثم راجع الطاعة فتقبض عليه واعتماله وذهب دمه هدرا ثم غلبه العرب على عامة المغرب الاوسط وأقطع القلعة وبنى يدلتن لأولاد عريف استئلافا لهم ثم أقطعهم بنى مادون ثم منداس فأصبحت بطون بنى توجين كلها خولا لسويد وعبدا لجبايتهم الاجبل والشريس فانه لم يزل لبنى تيغرين والوالى عليهم يوسف بن عمر منهم كما قلناه ونظام أبو حمو أولاد سلامة فى جنده وأثبتهم فى ديوانه وأقطعهم القصبات من نواحى تلمسان فى عطائهم وهم على ذلك لهذا العهد ولله الخلق والامر لارب سواه ولا معبود الا اياه له الحمد والبه ترجعون وهو نعم المولى ونعم النصير وهو على كل شئ قدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

سليمان بن سعد بن سلامة بن على بن تفسر بن سلطان بن عيسى

يغمراسن - ١٢٦٠

يغمراسن - ١٣٣٠

Marfat.com

كان بنو يرناتن هؤلاء أوفر قبائل بنى توجين وأعزهم جانبا وأكبرهم صيتا ولما دخل بنو توجين الى ثلول المغرب الاوسط أقاموا بمواطنهم الاولى ما بين ماحون ورمتة ثم يعود من القبلة يجولون جانبى نهر واصل من أعلى وادى شلف

وكانت رياستهم فى نصر بن على بن تميم بن يوسف بن يونوال وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم وكان عبد القوى بن العباس وابنه محمد أمراء بنى توجين يختصونهم بالاثرة والتعظيم لمكانهم من قومهم وما يؤثرون من عظيم غنائهم وكان محمد بن عبد القوى فى سلطانه يؤثر عليهم من أولاد عزيز وكان واليهم لعهده وعهد بنيه عبو بن حسن بن عزيز وقد كان أصهر مهيب بن نصر الى عبد القوى فى ابنته فأنكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب فشرفت خؤلته لمحمد بن عبد القوى وعلاكعبه فى امارته ثم ولى بعده ابنه على بن نصر وكان له من الولد نصر وعشر وآخرون يعرفون بأمهم واسمها تاسرغينت وولى بعده ابنه نصر بن على فطال أمد امارته فى قومه واختلف بنو عبد القوى وغلب بنو عبد الواد على ما بأيديهم فصرفت ملوك زناتة وجه العناية اليه فبعد صيته وعرف بنوه من بعده بشهرته وكان ولودا فيقال انه خلف ثلاثة عشر من البنين ما منهم الا صاحب حرب أو مقنب ومن مشاهيرهم عمر الذى قتله السلطان أبو الحسن بمرات حين سعى به أنه داخل فى اغتياله ففروا أدرك فقتل بمرات ومنهم منديل الذى قتله بنو يغمراسن أيام ولوا على بن الناصر وقتلوا معه عبو بن حسن بن عزيز ومنهم عنان ومات قتيلا فى حصار تلمسان أيام أبى تاشفين ومنهم مسعود ومهيب وسعدود اود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف فى آخرين معروفين عندهم هذا شأن أولاد نصر بن على بن نصر بن مهيب وأما ولد عشر أخيه فكان منهم أبو الفتوح بن عشر ثم من ولده عيسى بن أبى الفتوح فكان رئيسا على بنى أبيه وكانت احدى وصائفهم سقطت بدار عثمان بن يغمراسن واتخذت الحمل من سيدها أبى الفتوح وجاءت بأخ لعيسى يسمى معروفا ربى بدارهم واستوزره أبو حمو وابنه من بعده وبلغ المبالغ فى دولتهم وكان يدعى معروفا الكبير ولحق به أيام رياسته فى دولة أبى حمو الاول أخوه عيسى بن أبى الفتوح مغاضبا لقومه فى الولاية على بنى راشد وجبايته أوطانهم وأنزله بلد سعيدة فكانت له بها امارة وكان له من الولد أبو بكر وعبو وطاهر وو ترمار وعند ما بلغ بنو مرين على بنى عبد الواد ولاهم السلطان أبو الحسن على بنى يرناتن متداولين وأما ولد تاسرغينت من بنى على بن نصر بن مهيب فلم يكن لهم ذكر فى رياسة قومهم الا أن بعض وصائفهم سقطت أيضا الى دار أبى

Marfat.com

تاشفين فولدت غلاما يعرف بعطية بن موسى نشأ في دارهم ينسب الى بني تاسرغينت هؤلاء وتناولته النجابة في خدمتهم فولوه الاعمال النبيهة وهو لهذا العهد عامل أبي حمو الاخير على شلف وما اليها وقد غلب العرب لهذا العهد على وطن بني يرناتن وملكوا عليهم بعود وماحون وبقيت ضباتهم بجبل ورنيد وعليهم لهذا العهد سعيد بن عمر من ولد نصر بن علي بن نصر بن مهيب يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب بالاتاوة وبيد الله تصاريف الامور سبحانه لا رب غيره

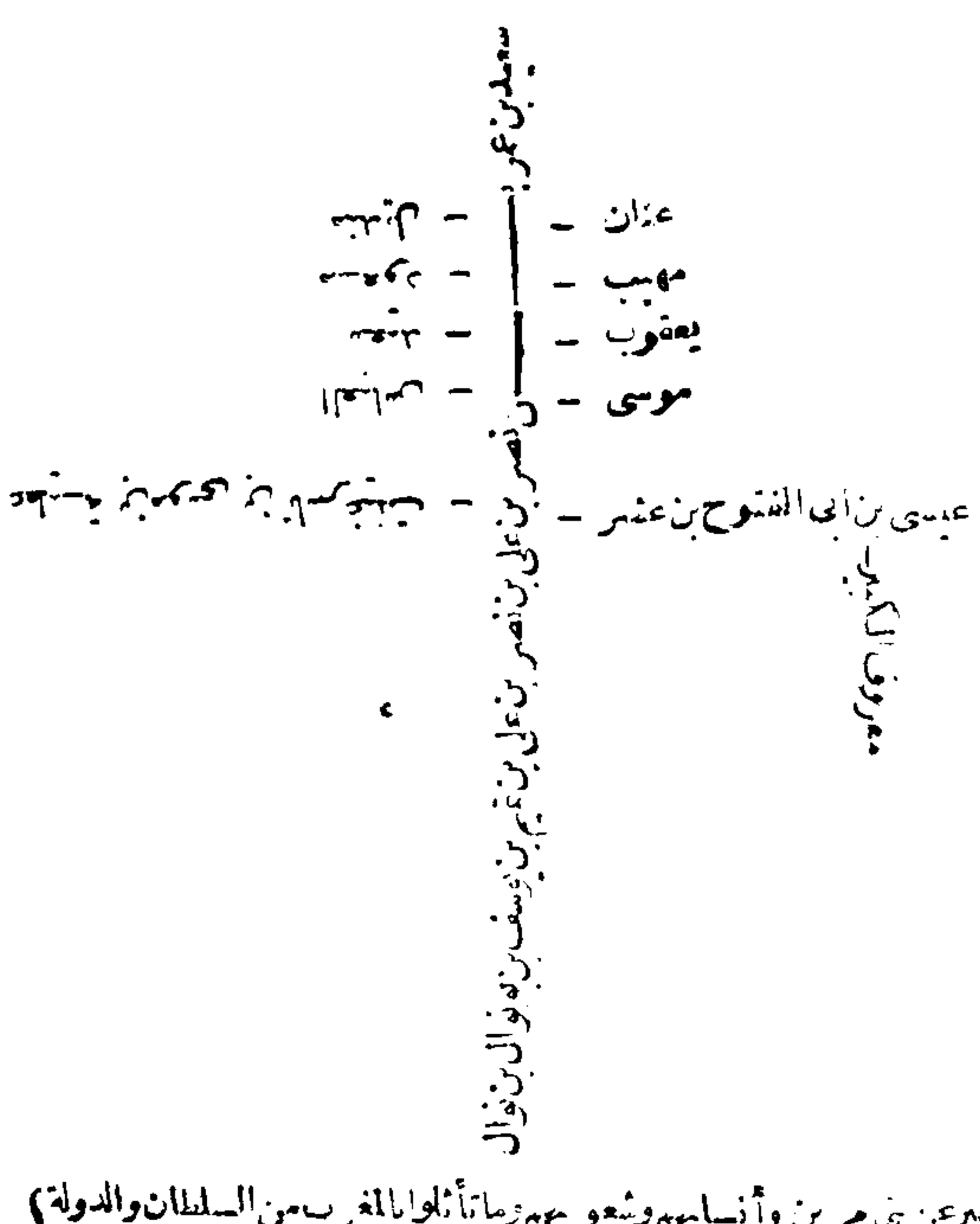

الخبر عن بني مرين وأنسابهم وشعوبهم وما تأثلوا بالمغرب من السلطان والدولة التي استعملت سائر زناتة وانتظمت كراسي الملك بالعدوتين وأولية ذلك ومصايره

قد ذكرنا أن بني مرين هؤلاء من شعوب بني واسين وذكرنا نسب واسين في زناتة وذكرنا أنهم بنو مرين بن ورتاجن بن مانخوخ بن جديج بن فاتن بن يدر بن يحفت بن عبد الله بن ورتنيص بن المعز بن ابراهيم بن سجيك بن واسين وأنهم اخوة بني يلومي ومديونة وربما

Marfat.com

وعقد له على ذلك الثغر وضم اليه الاعمال اليه وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى فأهمه الشأن وأحضر الملأ من الموحدين وفاوضهم واعتزم على حرب بنى مرين وسرح العساكر سنة خمسين فأحاطت بسلا فافتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابى عبد الله بن أبى يعلوا من مشيخة الموحدين وكان المرتضى قد صمد بنفسه سنة تسع وأربعين الى محاربة بنى مرين فى جموع الموحدين وعساكر الدولة وصمد بنو مرين للقائه والتقى الجمعان بأميلوا فانفضوا جموعه وكانت الدبرة عليه وانظه وبرلهم ثم كان بعد فتح سلا وغلب الموحدين عليها وأجمع المرتضى بعدها على احتشاد أهل سلطانه ومعاودة الخروج بنفسه الى غزوهم لما خشى من امتداد أمرهم وتقلص ظل الموحدين فعسكر خارج حضرته سنة ثلاث وخمسين وبعث الحاشد فى الجهات فاجتمع اليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة وأغذ السير تلقاءهم حتى اذا انتهوا الى جبال بهلولة من نواحى فاس وصمد اليه الامير أبو يحيى فى عساكر بنى مرين ومن اجتمع اليهم من ذويهم والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين القتال فاختل مصاف السلطان وانهزمت عساكره وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مغلولا واستولى القوم على معسكره واستباحوا سرادقه وفساطيطه وانتهبوا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر وامتلأت أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يومالله مابعده واغزى اثره هذه الحركة ببنى مرين تادلا واستباح بنى جابر حاميتها من جشم ببلد بنى نفيس واستلحم ابطالهم ولا أن من حتفهم وخضد من شوكتهم وفى أثناء هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى يحيى عرمنه بفساد الدخلة والاجماع للتوثب به فدس لابنه أبى حديدة فتاح بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين والله تعالى أعلم

(الخبر عن فتح سجلماسة وبلاد القبلة وما كان فى ذلك من الاحداث)

لما يئس بنو عبد المؤمن من غلبهم بنى مرين على ماصار فى أيديهم من بلاد المغرب وعادوا الى مدافعتهم عن صمامة الدولة التى تحملت اياها شفافيههم لو أطاقوا المدافعة عنها وملك بنو مرين عامة بلاد التلول اعتزم الامير أبو يحيى بعدها على الحركة الى بلاد القبلة ففتح سجلماسة ودرعة وما اليها سنة ثلاث وخمسين وافتتحها بتدا خله من ابن القطرانى غدر بعامل الموحدين فتقبض عليه وأمكن منها الامير أبا يحيى فملكها وما اليها من درعة وسائر بلاد القبلة وعقد لابنه أبى حديدو بلغ الخبر الى المرتضى فسرح العساكر سنة أربع وخمسين لاستنقاذها وعقد عليهم لابن عطوش فقرر اجعا الى مراكش ثم نهض سنة خمس وخمسين الى محاربة يغمراسن وبنيه بأبى سليط فأوقع بهم

Marfat.com

عبدالحق بن محيو ابن أبي بكر بن حمامة بـــــــــن محمد بن ورزير بن فكوس بن ـــــكر ماط بن مرين بن ورتاجن بن ماخوخ بن جديج بن

لما هلك محيو بن أبى بكر بن حمامة من جراحته كما قلناه وكان له من الولد عبد الحق ومسای ويحياتن وكان عبد الحق أكبرهم فقام بأمر بنى مرين وكان خير أمير عليهم قياما بمصالحهم وتعهدا عما فى أيديهم وتقويما لهم على الجادة ونظرا فى العواقب واستمرت أيامهم ولما هلك الناصر رابع خلفاء الموحدين بالمغرب سنة عشر وستمائة مرجعه من غزاة العقاب وقام بأمر الموحدين بعده ابنه يوسف المستنصر نصبه الموحدون غلاما لم يبلغ الحلم وشغلته أحوال الصبا وجنونه عن القيام بالسياسة وتدبير الملك فأضاع الحزم وأغفل الامور وتواكل الموحدون بما أرخى لهم من طيل الدالة عليه ونفس عن مخنقهم من قبضة الاستبداد والقهر فضاعت الثغور وضعفت الحامية وتهاونوا بأمرهم وفشلت ريحهم وكان هذا الحى لذلك العهد بمالات القفار من فيكيك الى صا وملوية كما قدمناه من شأنهم وكانوا يطرقون فى صعودهم الى التلول والارياف منذ أول دولة الموحدين وما قبلها جهات كرسيف الى وطاط ويأنسون بمن هنالك من بقايا زناتة الاولى مثل مكناسة بجبال تازى وبنى يدين ومغراوة الموطنين قصور طاط من أعالى ملوية يتقلبون بتلك الجهات عامة المربع والمصيف وينحدرون الى مشاتيهم بما يمتارونه من الحبوب لاقواتهم فلما رأوا من اختلال بلاد المغرب ما رأوا انتهزوا فيها الفرصة وتخلصوا اليه من القفر ودخلوا من ثنايا وتفرقوا فى جهاته وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ساكنيه واكتسحوا بالغارة والنهب سائر بسائطه ولجأت الرعايا الى معتصماتهم ومعاقلهم وكثر شاكيهم وأظلم الجو بينهم وبين السلطان والدولة فأذنوهم بالحرب وأجمعوا الغزو لهم وقطع دابرهم وأغزى الخليفة المستنصر عظيم الموحدين أبا على بن وانودين بجميع العساكر والحشود من مراكش وسرحه الى السبد أبى ابراهيم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بمكانه من امارة فاس وأوعز اليه أن يخرج بهم لغزو بنى مرين وأمره أن يثخن ولا يستبقى واتصل الخبر ببنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أثقالهم بحصن تاروطا وصمدوا اليهم فالتقوا بالجمعان بوادى بكور فكان الظهور لبنى مرين والدبرة على الموحدين وامتلأت أيدى من اسلابهم وأمتعتهم ورجعوا الى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب حينئذ واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلا حتى لقد سميت الواقعة يومئذ بيوم المشعلة وصمد بنو مرين بعدها الى تازى فنازلوا حامية لها أخرى ثم اختلفت بنو محمد رؤساؤهم وانتبذ عنهم من عشائرهم بنو

Marfat.com

عسكر بن محمد لمنافسة وجدوها فى أنفسهم من استقلال بنى عمهم حامة بن محمد بالرياسة
دونهم بعد أن كان أوضن عندهم منها فى عسكر وابنه المخضب ايماض أخلف بارقه
فخافوا عبد الحق أميرهم وقومه الى مظاهرة أولياء الموحدين وحامية المغرب من
قبائل رياح الموطنين بالهبط وازغار الحديث عهدهم بالتعرش والعز منذ انزال
المنصور اياهم بذلك المنظر من افريقية فحيزوا اليهم وكاثروهم على قومهم وصمدوا
أجمعون الى لقاء بنى مرين بمنة أربع عشرة ودارت بينهم حرب توالى الصبر مقامها وهلك
فيها أميرهم عبد الحق وكبير بنيه ادريس وقد أمر لهلكها بنو مرين وجلا فى تلك
الحومة حامة بن يصلتن من بنى عسكر وطير ابن محيو بن السكمى فانكشف رياح آخرا
وقتل منهم ابطال وولى بنو مرين عليهم بعد مهلك عبد الحق ابنه عثمان تلو ادريس
وشهرته بينهم ادرغال ومعناه برطانتهم الاعور وكان لعبد الحق من الولد عشرة تسعة
ذكور وأختهم ورتطليم فادريس وعبد الحق ورحو لامرأة من بنى على اسمها سوط
النساء وعثمان ويحمد لامرأة من بنى ونكاس تسمى السوار بنت تصاليت وأبو بكر
لامرأة من بنى تنالفت وهى تاغزونت بنت أبى بكر بن حفص وزيان لامرأة من بنى
ورتاجن وأبو عياد لامرأة من بنى وللواحدى بطون عبد الواد اسمها أم الفرح
ويعقوب لام النين بنت على من بطوية وكان أكبرهم ادريس الهالك مع أبيه عبد الحق
فقام بأمر بنى مرين من بعد عبد الحق ابنه عثمان بايعه لوقته حامة بن يصلتن وطير بن
محيو ومن اليهما من مشيخة قومهما واتبعوا منهزمة رياح وأنحنوا فيهم وثأر عثمان
بأبيه وأخيه حتى شفى نفسه منهم ولاذوا بالسلم فسالموهم على اتاوة يؤدونها اليه ولقومه
كل سنة ثم استشرى من بعد ذلك داء بنى مرين وأعضل خطبهم وكثر الثوار بالمغرب
واستنه عامة الرعايا عن المغرب وفسدت السابلة واعتصم الامراء والعمال من
السلطان فمن دونه بالامصار والمدن وغلبوا أولئك على الضاحية وتقلص ظل الحكام
عن البدو جملة وافتقد بنو مرين الحامية دون الوطن والرباع فقدوا البلاد بدا وساربهم
أميرهم أبو سعيد عثمان بن عبد الحق فى نواحى المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه ويضع
المغارم على أهله حتى دخل أكثرهم فى أمره فبايعوه من الضواحى عن الشاوية
والصبائل الى تازة وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم صدراتة وبهلولة
ومغيلة فرض عليهم الخراج وألزمهم المغارم وفرق فيهم العمال ثم فرض على أمصار
المغرب مثل فاس وتازى ومكناسة وقصر كتامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس
كل حول على أن يكف الثائرة عنهم ويصلح سابلتهم ثم أغزى ضواحى زناتة سنة عشرين
وألفين فيهم حتى أذعنوا وفض ليديهم عما امتدت اليه من الفساد والنهب وعطف

Marfat.com

بعدها على رياح آهل ازغار والهبط وآثار بابيه فأثخن فيهم ولم يزل دأبه ذلك الى أن هلك باغتيال عليه سنة سبع وثلاثين وقام بامر بنى مرين بعده أخوه عبد الحق فتقبل سنن أخيه فى تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم والوصال من ضواحيه وبدوه وسائر رعاياه وبعث الرشيد أبا محمد بن واندين لحربهم وعقد له على مكناسة وأجحف بأهلها فى المغارم ثم نزل بنو مرين وغيرهم من نواحيها فنادى فى عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من الروم واختلفا ضربتين هلك العلج باحداهما واندمل جرحه فصار أثرا فى وجهه لقب من أجله بالضربة ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع ابن واندين الى مكناسة مغلولا وبقى بنو عبد المؤمن أثناء ذلك فى مرض من الايام وتثاقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم ايماضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستمائة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعته أهل المغرب انصرفت عزائمه الى غزو بنى مرين وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تلك المواطن فأغرى عساكر الموحدين بقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الروم فنهضوا سنة ثنتين وأربعين فى جيش كثيف يناهز عشرين ألفا فيما زعموا وزحف اليهم بنو مرين بوادى ماعاش وصبر الفريقان وهلك الامير محمد بن عبد الحق فى الجولة بيد زعيم من زعماء الروم وانكشفت بنو مرين وأتبعهم الموحدون ودخلوا تحت الليل فلحقوا بجبال عياثة من نواحى تازى واعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا يحيى بن عبد الحق فقام بأمرهم على ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن دولة الامير أبى يحيى بن عبد الحق مديل الامر لقومه بنى مرين وفاتح الامصار وقيم الرسوم الملوكية من الآلة وغيرها لمن بعده من أمرائهم

لما ولى أبو يحيى بن عبد الحق أمر بنى مرين سنة ثنتين وأربعين كان من أول ما ذهب اليه ورآه من النظر لقومه ان قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل كلا منهم بناحية سوغها سائر الايام طعمة فاشتركوا الرجل اتباعهم والتحقوا من معاشيتهم وتوفرت عساكرهم ثم نار المنافسة بين أحيائهم وخالف بنو عسكر جماعتهم وصاروا الى الموحدين فحرضوهم على أبى يحيى بن عبد الحق وبنى حمامة وأغروهم بهم وبعثوا الصريخ الى يغمراسن بن زيان فوصل فى قومه الى فاس فاجتمعوا جميعا الى قائد الموحدين وأعطوا الرهن على صدق اللقاء فى الامير أبى يحيى وأشياعه وصمدوا اليهم حتى انتهوا الى ورغة ثم الى كرت وأعجزهم فانكفؤا راجعين

Marfat.com

الى فاس وندر يغمراسن بغدر الموحدين فخرج فى قومه مع أوليائه بنى عسكر وعارضهم الامير أبو يحيى بوادى سبو فلم يطق حربهم ورجع عنهم عسكر الموحدين لما صرخ فى معسكرهم من موت الخليفة السعيد ثم بعثوا اليه للاطفتهم فى القيئة الى الطاعة ومذاهب الخدمة القائد عنبر الخصى مولى الخليفة فى حصة من الروم والناشبة فتقبض عليهم بنو عسكر وقيدوهم فى رهنهم وقتلوا كافة النصارى فأطلق أبناءهم ولحق يغمراسن وقومه بتلمسان ثم رجع بنو عسكر الى ولاية أميرهم أبى يحيى واجتمع بنو مرين لشأنهم وتملكوا الاعمال ثم مدوا عيونهم الى تلك الامصار فنزل أبو يحيى بجملته جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبى زكريا بن حفص صاحب افريقية لما انه كان يومئذ على دعوته وفى ولايته وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات ومقادات الحرب الى أن أذعنوا لطاعته فاقتحمها صلحا بداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبى الحسن بن أبى العافية وبعثوا بيعتهم الى الامير أبى زكريا وكانت من انشاء أبى المطرف بن عميرة كان قاضيا فيهم يومئذ فأقطع السلطان ليعقوب ثلث جبايتها ثم أحس الامير أبو يحيى بن عبد الحق من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الآلة وبلغ الخبر الى السعيد بتغلبه على مكناسة وصرفها لابن أبى حفص فوجم لها وفاوض الملأ من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف اقتطع الامر عنهم شيأ فشيأ فابن أبى حفص اقتطع افريقية ثم يغمراسن بن زيان وبنو عبد الواد اقتطعوا تلمسان والمغرب الاوسط وأقاموا فيها دعوة ابن أبى حفص وأطمعوه فى الحركة الى مراكش بظاهرتهم وابن هود اقتطع عدوة الاندلس وأقام فيها دعوة بنى العباس وابن الاحمر بالجانب الآخر مقيم لدعوة ابن أبى حفص وهؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحى المغرب ثم سموا الى تلك أمصاره ثم افتتح أبو يحيى أميرهم مكناسة وأظهر فيها دعوة ابن أبى حفص وجاهر بالاستبداد ويوشك ان رضينا بهذه الدنية وأغضينا عن هذه الواقعات أن يختل الامر وتنقرض الدعوة فتدامروا وامتعضوا وتداعوا للصمود اليهم فجهز السعيد عساكر واحتشد عرب المغرب وقبائله واستنفر الموحدين والمصامدة ونهض من مراكش سنة خمس وأربعين يريد مكناسة وبنى مرين أولا ثم تلمسان ويغمراسن ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخرا واعترض العساكر والحشود بوادى بهت ووصل الامير أبو يحيى بعسكره متوازيا عنهم عينا لقومه حتى صدقهم كنه الخبر وعلم أن لا طاقة له بهم فأفرج عن البلاد وتناذر بنو مرين بذلك من أماكنهم فتلاحقوا واجتمعوا اليه بتازوطا من بلاد الريف ونزل السعيد مكناسة ولاذ أهلها بالطاعة وسألوا العفو عن الجريرة واستشفعوا بالصاحف برزبها الاولاد على رؤسهم وانتظموا مع النساء

فى صعيد حسرات منكسرات الطرف من الخشوع ووجوم الذنب والتوسل فقبلهم
وتقبل فيئتهم وارتحل الى تازى فى اتباع بنى مرين وأجمع بنو واطاس الفتك بأبى يحيى
بن عبد الحق غيرة ومنافسة ودس اليه بذلك مهيب من مشيختهم فترحل الى بنى يرناسن
ابن نزول بعين الصفائح راجع نظره فى مسالمة الموحدين واغضاء الى أمورهم
وظاهرتهم على عدوهم يغمراسن وقومه من بنى عبد الواد ليكون فيه شفاء نفوسهم
فأرفد مشيخة قومه عليه بتازى فأذوا طاعته وفيئته فتقبلها وصفح لهم عن الجرائر التى
أتوها وسألوه أن يستكفى بالامير أبى يحيى فى أمر تلمسان ويغمراسن على أن يمده بالعساكر
راجحة وناشبة فاتهمهم الموحدون وحذروا منهم غائلة العصبية فأمرهم السعيد
بالعسكرة معه فأمده الامير أبو يحيى بخمسمائة من قبائل بنى مرين وعقد عليهم لابن عمه
أبى عباد بن أبى يحيى بن حمامة وخرجوا تحت رايات السلطان ونهض من تازى يريد
تلمسان وما وراءها وكان من خبره هلكه على جبل تامزردكت بنى عبد الواد
كما ذكرناه فى أخبارهم ولما هلك وانفضت عساكره متسابقين الى مراكش وجوههم
مجتمعون الى عبد الله ابن الخليفة السعيد ولى عهده وتحت رايات أبيه وطار الخبر بذلك
الى الامير أبى يحيى بن عبد الحق وهو بجهات بنى يرناسن وقد خاص اليه هنالك ابن عمه
أبو عباد وبعث بنى مرين من تيارت تلك الصدمة فانتهز الفرصة وأرمد العساكر
الموحدين وفلهم بكرسف فأوقع بهم وامتلأت أيدى بنى مرين من اسلابهم وانتزعوا
الآلة من أيديهم وأصار اليه كتيبة الروم والناشبة من الغزو واتخذ المركب
الملوكى وهلك الامير عبد الله بن السعيد فى جوانب تلك الملحمة و للموحدين
بعدها من الكرة فنهض الامير أبو يحيى وقومه الى بلاد المغرب مسابقين اليه
يغمراسن بن زيان بما كان ملوك الموحدين أوجبوهم السبيل الى ذلك باشتجاشته على بنى
مرين أيام فتنتهم معهم فكانوا يبيحونه حرم المغرب ويوطونه عساكر قومه ما بين تازى الى
فاس الى القصر مع عساكر الموحدين فكان ليغمراسن وقومه بذلك طمع فيها ولا مكافحتهم
بأس بنى مرين وجدعهم من أنوفهم وكان أول ما بدا به أبو يحيى بن عبد الحق أعمال
وطاط فافتتح حصونهم بملوية ودوخ جبلهم ثم رجع الى فاس وقد أجمع أمره على انتزاع
من ملكة بنى عبد المؤمن واقامة الدعوة لابن أبى حفص بها وبسائر نواحيها والناس يو
يومئذ السيد أبو العباس بن فأناخ عليها بركابه وتلطف فى مداخلة أهلها
وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم والحماية للكفيل لهم بحسن
المغبة وصالح العائدة فأجابوه ووثقوا بعهده وغشيانه واووا الى ظله وركنوا الى طاعته
وانتحال الدعوة الحفصية بأمره ونبذ واطاعة بنى عبد المؤمن بأسامن صريخهم وحضر

Marfat.com

أبو محمد الفشتالي وأنشده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وحسن الملك والكفالة وتقبل مذاهب العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التي يعرف أثرها خلفهم في تلك البيعة وكانت البيعة بالرابطة خارج باب الفتوح ودخل قصبة فاس لشهرين اثنين من مهلك السعيد فاتح ست وأربعين وخرج السيد أبو العباس من القصبة وأخرج معه سبعين فارسا أجازوه أم الربيع ورجعوا ثم نهض الى منازلة تازى وبها السيد أبو علي بن فنازلها أربعة أشهر ثم نزلوا على حكمه فقتلهم ومن على آخرين منهم وسد ثغرها وثلث أطرافها وأقطع رباط تازى وحصون ملوية لاخيه يعقوب بن عبد الحق ورجع الى فاس فوفد عليه بها مشيخة أهل مكناسة وبعدوا بيعتهم وعاودوا طاعتهم ولحق بهم على أثرهم أهل سلا ورباط الفتح فتملك الامير أبو يحيى هذه البلاد الاربعة أمهات أمصار المغرب واستولى على نواحيها الى وادى ربيع وأقام فيها دعوة ابن أبي حفص وبعث بها اليه واستبد بنو مرين بملك المغرب الاقصى وبنو عبد الواد بملك المغرب الاوسط وبنو أبي حفص بافريقية وخدت ذبال عبد المؤمن وركدت ريحهم وأذنت بالانقراض دولتهم وأشرف على الفناء أمرهم والى الله عاقبة الامور سبحانه ما أعظم شأنه لا اله غيره

لما ملك الامير أبو يحيى بن عبد الحق مدينة فاس سنة ست وأربعين واستولى على بلاد المغرب بعد مهلك السعيد وقام بأمر الموحدين بمراكش أبو حفص عمر المرتضى بن السيد ابراهيم بن اسحق الذى كان قائد عسكر الموحدين في سربهم مع بني مرين عام المشعلة بن أمير المؤمنين أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن كان السعيد تركه والبا بقصبة رباط الفتح من سلا فاستدعاه الموحدون وبايعوه وقام بأمرهم فلما تغلب الامير أبو يحيى على بلاد المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرناه وخرج الى بلاد فازازو العدن افتتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستعمل على فاس مولاه المسعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وصنائعهم وكان الامير أبو يحيى استبقى من كان فيها من عسكر الموحدين من غير عيصهم في السبيل التي كانوا عليها من الخدمة وكان فيهم طائفة من الروم استخدمهم لنظر قائدهم فكانوا من حصة المسعود هنالك ووقعت بينهم وبين شيع الموحدين من أهل البلد مداخلة وفتكوا بالمسعود عاملهم وقاموا الدعوة للمرتضى الخليفة بمراكش ومحلف المصار وكان المتولى لكبر تلك الثورة ابن نعشلا المشرفي وأخوه ابن أبي طاهر وابنه اجتمعوا الى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي زعيم فقه الشورى بينهم يوشذ وتآمروا فيها وأعزوا قائد الروم فقتل

Marfat.com

المسعود وعدوا عليه بعد حكمه من القصبة وهاجوه ببعض المحاورات فغضب
ووثب عليه الرومي فقتله وطار برأسه الهاتف بسكك المدينة في شوال سنة سبع
وأربعين وانتهبت داره واستبيحت حرمه ونصبوا قائد الروم لضبط البلد وبعثوا
ببعثهم الى المرتضى واتصل الخبر بالامير أبي يحيى وهو نازل بلاد فازاز فأفرج عنها
وأغذ السير الى فاس فأناخ بعساكره عليها وشمر لحصارها وقطع السابلة عنها وبعثوا
الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا فعلا لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لما نزل بهم
وجها غير انه استجاش بالامير أبي يحيى يغمراسن بن زيان على أمره وأغراه بعدوه وأمله
لكشف هذه النازلة عمن انجاش الى طاعته وتعلقت أطماع يغمراسن بطروق بلاد
المغرب فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير أبي يحيى عن فاس
وأجاب صريخ الخليفة لذلك وبلغ الامير أبا يحيى خبرهم وضه اليه لتسعة أشهر من منازلة
البلد فجمر الكتائب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده والتقى الجمعان باسيلى من
بسائط وجدة فتزاحف القوم وأبلوا وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن
عبد الحق بيد ابراهيم بن هشلم من بني عبد الواد ثم انكشف بنو عبد الواد وهلك
يغمراسن بن تاشفين من أكابر مشيختهم ونجا يغمراسن بن زيان الى تلمسان وانكف
الامير أبو يحيى بعسكره للاخذ بمخنق فاس فسقط في أيدي أهلها ولم يجدوا وليجة من دون
طاعته فسألوه الامان فبذله لهم على غرم ما تلف له من المال بداره يوم الثورة وقدره مائة
ألف دينار فتحملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها في جمادى من سنة ثمان وأربعين
وطالبهم بالمال فعجزوا ونقضوا شرطه فحق عليهم القول وتقبض على القاضي أبي عبد
الرحمن وابن أبي طاطوا وابنه وابن حشار وأخيه المتولي كبر الفعلة فقتلهم ورفع على
الشرفات رؤسهم وأخذ الباقين بغرم المال طوعا أو كرها فكان ذلك مما عبد رعيته فاس
وقادهم لاحكام بني مرين وضرب الرهب على قلوبهم لهذا العهد فخشعت منهم
الاصوات وانقادت الهمم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يد في فتنة والله مالك
الارض ومن عليها سبحانه

{الخبر عن تغلب الامير أبي يحيى على مدينة سلا وارتجاعها من يده وهزيمة المرتضى بعدها}

لما كمل للامير أبي يحيى فتح مدينة فاس واستوسق أمر فاس مرين بها رجع الى ما كان
فيه من منازلة بلاد فازاز فافتتحها ودوخ أوطان زناتة واقتضى مغارمهم وحسم
علل الثائرين فيها ثم تخطى الى مدينة سلا [illegible] سنة تسع وأربعين فملكها
وتاخم الموحدين بثغرها واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق

يشهد بذلك جوار مواطنهم قبل الملك ما بين صا وملوية وذكرنا كيف اقتسموا الضاحية والقفر مع اخوانهم بني يادين بن محمد وكيف اتصلت فتنتهم معهم سائر أيامهم وكان الغلب أولا لبني يادين بن محمد لكثرة عددهم فانهم كما ذكرنا خمسة بطون بنو عبد الواد وتوجين ومصاب و بنو زردال واخوانهم بنو راشد بن محمد وكانوا أهل تلول المغرب الاوسط دونهم وبقي هذا الحي من بني مرين بمجالات القفر من فكيك الى سجلماسة الى ملوية وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة فيهم قبل تلك العصور وكانت لمحمد بن و رزير بن فكوس بن كرماط بن مرين وأنه كان لمحمد اخوة آخرون يعرفون بأمهم تنابعت وكان بنو عمه ونكاس بن فكوس وكان لمحمد سبعة من الولد شقيقان وهما حمامة وعسكر وابناء علات أمهات أولادهم سنكيان وسكيمان وسكم وورتاغ وفروت و يسمى هؤلاء الخمسة في لسانهم تيربيعين ومعناه عندهم الجماعة ويزعمون أن محمدا لما هلك قام بأمره في قومه ابنه حمامة وكان الاكبر ثم من بعده أخوه عسكر وكان له من الولد ثلاثة لكوم وأبو يكى و يلقب المخضب وعلي و يلقب الاعذر ولما هلك قام برياسته فيهم ابنه المخضب فلم يزل أميرا عليهم الى أن كان أمر الموحدين وزحف عبد المؤمن الى تاشفين بن علي لمحاصره بتلمسان وسرح أبا حفص في العساكر لحرب زناتة بالمغرب الاوسط وجمع له بنو يادين كلهم وبنو يلومي و بنو مرين ومغراوة ففض الموحدون جموعهم واستلحموا أكثرهم ثم راجع بنو يلومي و بنو يادين طاعتهم وأخلص بنو عبد الواد في خدمتهم ونصيحتهم ولحق بنو مرين بالقفر فلما غلب عبد المؤمن بن علي على وهران واستولى على أموال المتوغة وذخيرتهم بعث بتلك الغنائم الى جبل تيمال حيث كانت داره ومن أين كان منبعث الدعوة وبلغ الخبر الى بني مرين بمكانهم بالزاب وشيخهم يومئذ المخضب بن عسكر فأجمع اعتراضها بقومه ولحق العير بوادي تلاغ فاحتازوها من أيدي الموحدين واستنفر عبد المؤمن لاستنقاذها أولياءه من زناتة وسرحهم مع الموحدين لذلك فأبلى بنو عبد الواد فيها بلاء حسنا وكان اللقاء في فحص حسون وانكشف بنو مرين وقتل المخضب بن عسكر واكتسح بنو عبد الواد حللهم وذلك سنة أربعين وخمسمائة فلحق بنو مرين بعدها بصحرائهم ومجالات قفرهم وقام بأمرهم من بعد المخضب ابن عمه حمامة بن محمد الى أن هلك فقام بأمرهم ابنه محيو ولم يزل مطاعا فيهم الى أن استنفرهم المنصور لغزاة الارك فشهدوها وأبلوا فيها البلاء الحسن وأصابت محيو يومئذ جراحة هلك منها بصحراء الزاب سنة احدى وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده و بقائها في عقبه ما نذكره ان شاء الله سبحانه وتعالى

واعتزم على اتباعه فثناه عن رأيه فى ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع ولما انتهى الى المقر مدة هذه بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة من بعض أهلها أطمعته فى ملكها فأغذ اليهما السير بجموعه ودخلها ولصيحة دخوله وصل يغمراسن لشأنه فلما علم بمكان أبى يحيى من البلد سقط فى يده ويئس من نجاحه ودارت بينهم حرب تكافؤا فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق ابن أخى الامير أبى يحيى وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو يحيى على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاورنى وداود بن يوسف وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم

الخبر عن مهلك أبى يحيى وما كان اثر ذلك من الاحداث التى تمخضت عن استبداد أخيه يعقوب بن عبد الحق بالامر

لما رجع الامير أبو يحيى من حرب يغمراسن بسجلماسة أقام أياما بفاس ثم نهض الى سجلماسة متفقدا الثغور بها فانقلب منها عليلا وهلك حتف أنفه على سرير ملكه فى رجب سنة ست وخمسين أمضى ما كان عزما وأطول الى تناول الملك يدا اختطفته المنون عن شأنه ودفن بمقبرة باب الفتوح من فاس ضجيعا للولى أبى محمد الفشتالى كما عهد لأهل بيته ونصب للقيام بأمره ابنه عمر واشتمل عليه عائلة قومه وموالى المشيخة وأهل الحل والعقد الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عن مهلك أخيه بتازى فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر وأحس عمر بصاغية الناس اليه وحرضه أتباعه على الفتك بعمه فاعتصم بالقصبة وسعى الناس فى اصلاح ذات بينهما فتفادى يعقوب عن الامر ودفعه لابن أخيه على أن تكون له بلاد تازى وبطوية وملوية ولما لحق بتازى واجتمع اليه كافة بنى مرين عذلوه فيما كان منه فاستلأم وحملوه على العودة فى الامر ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والموازرة فأجاب وبايعوه وصمد الى فاس وبرز عمر للقائه فانتهى الى ولما تراءى الجمعان خذله جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مغلولا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر فأجابه الى ذلك ودخل السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وتمشت طاعته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وسجلماسة وقصر كتامة واقتصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله من عشيره عمر وابراهيم ابنا عمه عثمان بن عبد الحق والعباس بن عمه محمد بن عبد الحق فقتلوه وثأروا منه بدم كانوا يعتدونه عليه وهلك لعام أو بعد عام من امارته فكفى يعقوب شأنه واستقام سلطانه وذهب التنازع والشقاق عن أمره وكان يغمراسن بعد مهلك قرنه

Marfat.com

الامير أبي يحيى بمآله أمل في الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه واستجاش بني توجين ومغراوة وأطاعهم في غيل الاسد ونهض الى المغرب حتى انتهوا الى كلدامان وصمد السلطان يعقوب بن عبد الحق الى لقائهم فغلبهم ورجعوا الى تفيئته ومر يغمراسن ببلاد بطوية فأحرق وانتسف واستباح وأعظم فيها النكاية ورجع السلطان الى فاس وتقبل مذاهب أخيه الامير أبي يحيى في فتح أمصار المغرب وتدويخ أقطاره وكان مما أكرمه الله به أن فتح أمره باستنقاذ مدينة سلا من أيدي النصارى فكان له بها أثر جميل وذكر خالد على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن فجأة العدو مدينة سلا واستنقاذها من أيديهم)

كان يعقوب بن عبد الله قد استعمله عمه الامير أبو يحيى على مدينة سلا لما ملكها كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام يتغلب في جهاتها مراصدا لاهلها وحامينها ولما بويع عمه يعقوب بن عبد الحق اسفته بعض الاحوال فذهب مغاضبا حتى نزل مخبولة وألطف الحيلة في تملك رباط الفتح وسلا يعتدها ذريعة لما أسر في نفسه فقتله الحيلة وركب عاملها ابن يعلو البحر فارا الى أزمور وخلف أمواله وحرمه فتملك يعقوب بن عبد الله البلد وجاهر بالخلاع وصرف الى منازعة عمه السلطان أبي يوسف وجوه العزم وداخل تجار الحرب في الامداد بالسلاح فتماروا في ذلك وكثر سفر المتردين بينهم حتى كثروا أهلها وأسملوا فيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين عند شغل الناس بعيدهم وثاروا بسلا وسبوا الحرم وانتهبوا الاموال وضبطوا البلد وامتنع يعقوب بن عبد الله برباط الفتح وطار الصريخ الى السلطان أبي يوسف وكان بتازى مستشرفا لاحوال يغمراسن فنادى في قومه وطار بأعنة الخيول ووصلها اليوم وليلة وتلاحقت به امداد المسلمين من أهل الديوان والمطوعة ونازلها أربع عشرة ليلة ثم اقتحمها عليهم عنوة وأثخن فيهم بالقتل ثم رمم بالبناء ما كان متثلما بسورها الغربي حيث أمكنت منه الفرصة في البلد وتناول البناء فيه بيده والله لا يضيع عمل عامل وخشي يعقوب بن عبد الله بادرة السلطان فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد تامسنا وأنفى فلكها وضبطها ولحق يعقوب ابن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلي بن زيان لمنازلته وسار الى لقاء يغمراسن لقاء المهادنة فلقيه بجوحرمان وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه أبناء أخيه أولاد ادريس ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا يعقوب ابن عمهم عبد الله على رأيه واجتمعوا الى اكبيرهم محمد بن ادريس فبعث اليهم من العشير والصنائع فنهض

اليهم واعتصموا بجبال غمارة ثم استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس سنة ستين على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المطوعة من بني مرين وأغزاهم الى العدوة لجهاد العدو وحملهم وفرض لهم وشفع بها عمله في واقعة سلا وهو أول جيش أجازمن بني مرين فكان لهم في الجهاد والمرابطة مقامات محمودة وذكر خالد تقبل سلفهم فيما خلفهم من بعدهم حسبما نذكره وأقام يعقوب بن عبد الله خارجا بالنواحي منقلا في الجهات الى أن قتله طلحة بن علي بساقية غبولة من ناحية سلا سنة ثمان وستين فكفى السلطان شأنه وكان المرتضى مذ توالت عليهم الوقائع واستمر الظهور لبني مرين انحجر في جدرانه وتوارى بالاسوار عن عدوه فلم يسم الى لقاء زحف ولا حدث نفسه بشهود حرب واستأسد بنو مرين على الدولة وشرهوا الى التهام وأسفوا الى منازلة مراكش دار الخلافة كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن منازلة السلطان أبي يوسف حضرة مراكش دار الخلافة وعنصر الدولة وما كان اثر ذلك من نزوع أبي دبوس اليه وكيف نصبه للامر وكان مهلك المرتضى على يده ثم انتقاضه عليه

لما فرغ السلطان من شأن الخوارج عليه من عشيرة استجمع لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم ورأى أنه أوهن لدولتهم وأقوى لامره عليهم وبعث قومه واحتشد أهل ممالكه واستكمل تعبيته وسار حتى انتهى الى ايكليز واعتزم على ذلك سنة ستين وشارف دار الخلافة ثم نزل بقعرها وأخذ بمخنقها وعقد المرتضى لحربهم للسيد أبي العلاء ادريس يكنى بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله ابن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن فعبى كتائبه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر انصرة فكانت بينهم حروب بعد العهد بمثلها استشهد فيها الامير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق وكانوا يسمونه برماتهم المحبوب فقت مهلكه في عضدهم وارتحلوا عنها الى أعمالهم واعترضهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى بن عبد الله بن وانودين فاقتتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين وكان في مسيل الوادي كدى تحسر عنها غمر الماء تبدو كأنها أرجل فسميت الواقعة بها أم الرجلين ثم سعى سماسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وفائد حربه السيد أبي دبوس بطلبه الامر لنفسه وشعر بالسعاية فحشي بادرة المرتضى ولحق بالسلطان أبي يوسف مدخله الى فاس من منازلته آخر سنة احدى وستين نازعا اليه فأقام عنده مليا ثم سأل منه الاعانة على أمره بعسكر يمده وآلة ينفذها للملكة ومال يصرفه في ضروراته على أن يشركه في القسمة والفتح والسلطان فامده بخمسة آلاف من بني مرين وبالكفاية من المال والمستجاد من الآلة وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل

مملكته ومن سواهم أن يكونوا يدا معه وسار فى الكتائب حتى شارف الحضرة ودس
الى أشياعه ومن يداخله من الموحدين فى أمره فثاروا بالمرتضى وأخفضوه عنها فلحق
بازمور مستجيشا بصهره ابن عطوش ودخل أبو دبوس الحضرة فى المحرم فاتح خمس
وستين وتقبض ابن عطوش عامل أزمور على المرتضى وافتاده أسيرا الى أبى دبوس
فبعث مولاه مزاحما فاحتز رأسه فى طريقه واستقل بالخلافة وصار به آل عبد المؤمن
ثم بعث اليه السلطان فى الوفاء بالمشارطة فاستنكف وعتا ونقض العهد وأساء الخطاب
فنهض اليه فى جموع بنى مرين وعساكر المغرب فحام عن اللقاء وانحجز بمراكش
ونازله السلطان أياما تباعا ثم سار فى الجهات والنواحى يحطم الزرع وينسف الاقوات
وعجز أبو دبوس عن دفاعه فاستجاش عليه بيغمراسن بن زيان ايفت فى عضده ويشغله
عما وراءه ويأخذ بحجزته عن التهامه على ما ذكر لو أمهلته الايام وانفسح له الاجل

{ الخبر عن وقعة تلاغ بين السلطان يعقوب بن عبد الحق وبيغمراسن بن زيان باغراء أبى دبوس وتضريبه }

لما نازل السلطان أبو يوسف حضرة مراكش وقعد على ترائبه للتوثب عليها لم يجد أبو
دبوس وليجة من دون قصده الاستجاشة بيغمراسن وقومه عليه ليأخذوا بحجزته عنه
ويشغلوه من ورائه فبعث اليه الصريخ فى كشف بلواه ومدافعة عدوه وأكد العهد
وأسنى الهدية فشمر بيغمراسن لاستنقاذه وجذب عدوه من ورائه وشن الغارات على
ثغور المغرب وأضرم نارا فأهاج عليه وعلى قومه من السلطان يعقوب اشاعا دياوأ رهف
منه عزما ماضيا وأفرج يعقوب على مراكش بعزم النهوض الى تلمسان ونزل بفاس
فتلوم بها اياما حتى أخذ أهبة الحرب وأكمل استعدادها ورحل فاتح ست وستين وسلك
على كرسيف ثم على تافرطا وتزاحف الفريقان بوادى تلاغ وعبى كل منهم كتائبه وزحف
مصافه وبرزا النساء سافرات الوجوه على سبيل التحريش للحسن وسعد بن ويرغين
ولما فاء الفىء ومال النهار وكثرت عثور المغرب وجموع بنى عبد الواد ومن اليهم
انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك أبو حفص عمر كبير ولد يغمراسن وولى عهده
فى جماعة من عشيرة ذكرناهم فى أخباره وأخذ يغمراسن بأعقاب قومه فكان لهم ردأ
الى أن خلصوا من المعترك ووصلوا الى بلادهم فى جمادى من سنتهم وعاد السلطان أبو
يوسف الى مكانه من حصار مراكش والله أعلم

{ الخبر عن السفارة والمهادنة التى وقعت بين السلطان يعقوب ابن عبد الحق وبين المنتصر الخليفة بتونس من آل أبى حفص }

كان الامير أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص منذ دعا لنفسه بتونس سنة خمس

Marfat.com

وعشرين طموحا الى ملك مراكش مقر الدعوة ومنبعث الدعوة وأصل الخلافة وكان يؤمل لذلك زنانة من خضد شوكة آل عبد المؤمن وتقليم أظافر بأسهم وردهم على أعقابهم أن يخلصوا اليه وتغلب على تلمسان سنة أربعين ودخل يغمراسن بن زيان فى دعوته وصار فئة له وشيعة على عدوه كما ذكرناه فوصل به جناحه للمدافعة وناغاه بنو مرين فى مراسلة ابن أبى حفص ومخاطبته والتخفيض عليه فيما يهمه من شأن عدوه وحمل ما يفتحون من بلاد المغرب على البيعة له والطاعة مثل فاس ومكناسة والقصر وكان هو يلاطفهم بالتحف والهدايا ويريهم البر فى الكتاب والخطاب والمعاملة والتكريم للوفد غير سبيل آل عبد المؤمن فكانوا يجنحون بذلك الى مراسلته وايثاد قرابتهم عليه وولى ابنه المستنصر بعده سنة سبع وأربعين فتقبل مذاهب أبيه وأوفى عليه بالايعاز اليهم بمنازلة مراكش وضمان الانفاق عليهم فيها فكان يبعث لذلك أموالا من المال والسلاح وأعدادا وافرة من الخيل بمراكبها للحملان ولم يزل ذلك دأبه معهم ولما فعل أبو دبوس فعلته فى نقض العهد واستجمع السلطان لمنازلته قدم بين يدى عمله مراسلة الخليفة المستنصر يخبره الخبر ويتلطف له فى استنزال المدد فأوفد عليه ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق وأصحبه عبد الله بن كندور لعبد الواد كبير بنى كمى وقريع يغمراسن الذى ثأر يغمراسن من أبيه كندور بأبيه زيان كما ذكرناه فى أخبارهم وكان خلص اليه من حضرة المستنصر فلقاه مبرة وتكريما وأوفد معهم الكاتب أبا عبد الله محمدا الكانى من صنائع دولة آل عبد المؤمن كان نزع الى أخيه الامير أبى يحيى لما رأى من اختلال الدولة وأنزله مكناسة وآثره بالمحبة والخالة فجمع له يعقوب بن عبد الحق فى هذا الوفد من الاشراف من يحسن الرياسة ويعرب عما فى ضمائر الناس ويدله على شرف مرسله فوفدوا على المستنصر سنة خمس وستين وأدوا رسالتهم وحركوا له جوار الظاهرة على صاحب مراكش عنانه فرن واهتز سرورا من أعواده ولقاهم مبرة التكريم واحسان النزل ورد الامير عامر بن ادريس وعبد الله بن كندور لوقتهما وتمسك بالكانى من بينهم لمصاحبة وفده فطال مقامه عنده الى أن كان من فتح مراكش ما نذكره ثم أوفد المستنصر على السلطان يعقوب بن عبد الحق آخر سنة سبع وثمانين بعدها شيخ الجماعة من الموحدين لعهده أبا زكريا يحيى بن صالح الهنتاتى مع جماعة من مشيخة الموحدين فى مرافقة محمد الكانى وبعث معهم الى السلطان هدية سنية يلاطفه بها ويتاحفه انتخب فيها من الجياد والسلاح وأصناف الثياب الغريبة العمل ما انتقاه ووفق رضاه وهمته على الاستكثار منه فحسن موقعها وتحدث وانقلب وفده أحسن منقلب بعد أن تلطف محمد الكانى فى ذكر الخليفة المستنصر على منبر مراكش فتم له

Marfat.com

وشهد له وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا محبورين مسرورين واتصلت به بعد ذلك مهاداة المستنصر ليعقوب بن عبد الحق الى أن هلك وحذا ابنه الواثق من بعده على سننه فبعث اليه سنة سبع وستين هدية حافلة بعث بها القاضى أبا العباس الغمارى قاضى بجاية فعظم موقعها وكان لابى العباس الغمارى بالمغرب ذكر تحدث به الناس والله أعلم

(الخبر عن فتح مراكش ومهلك أبى دبوس وانقراض دولة الموحدين من المغرب)

لما رجع السلطان أبو يوسف من حرب يغمراسن ورأى أن قد كفى عدوه وكف غربه ورد من كيده وكيد أبى دبوس صريخه صرف حينئذ عزائمه الى غزو مراكش والعود الى مضايقتها كما كان لاول أمره ونهض لغزاته من فاس فى شعبان من سنته ولما جاوزوا أم الربيع بث السرايا وسرح الغارات وأطلق الايدى والاعنة للنهب والعيث فخطموا رزوعها وانتسفوا آثارها وتعرى نواحيها كذلك بقية عامه ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأثخن فيهم واستباحهم ثم نزل وادى العبيد ثم غزا بلاد صنهاجة ولم يزل ينقل ركابه بأنحاء البلاد المراكشية واحوازها حتى حضرت صدور بنى عبد المؤمن وقومه وأعزاهم أولياء الدولة من عرب جشم بنهوض الخليفة لمدافعة عدوه فجمع لذلك وبرز فى جيوش ضخمة وجموع وافرة واستجره أبو يوسف بالفرار أمامه ليبعد عن مدد الصريخ فيتمكن منه حتى نزل عفو ثم كر اليه والتحم القتال فاختل مصافه وخر صريعا للبدين وللفم واجتز رأسه وهلك بهلكه وزيره عمران وكاتبه على بن عبد الله المغيلى وارتحل السلطان أبو يوسف الى مراكش وفر من كان بها من الموحدين فلحقوا بجبل تيمال وبايعوا اسحق أخا المرتضى فبقى ذبالة هنالك سنين ثم تقبض عليه سنة أربع وسبعين وسيق الى السلطان هو وأبو سعيد ابن عمه السيد أبى الربيع والقبائلى وأولاده فقتلوا جميعا وانقرض أمر بنى عبد المؤمن والله وارث الارض ومن عليها وخرج الملأ وأهل الشورى من الحضرة الى السلطان فأتتهم ووصلهم ودخل مراكش فى بروزنهم فاتح سنة ثمان وستين وورث ملك آل عبد المؤمن وتمالأه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن الناس لباسه وسكنوا الظل سلطانه وأقام بمراكش الى رمضان من سنته وأغزى ابنه الامير أبا مالك الى بلاد السوس فافتتحها وأوغل فى ديارها ودوخ أقطارها ثم خرج بنفسه الى بلاد درعة فأوقع بهم الوقيعة المشهورة التى خضدت من شوكتهم ورجع لشهرين من غزاته ثم أجمع الرحلة الى داره بفاس فعقد على مراكش وأعمالها لمحمد بن على بن يحيى من كان أولياءهم ومن أهل دولته وكان من طبقة الوزراء حسبما يأتى التعريف به وبعشيرته وأنزله بقصبة مراكش وجعل المصالح فى أعمالها النظر وعهد اليه بتدويخ الاقطار ومحو آثار بنى

Marfat.com

عبد المؤمن وفصل الى حضرته فى شوال وأراح بسلا فكان من خبر عهده لابنه ماذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن عهد السلطان لابنه أبى مالك وما كان عقب ذلك من} {خروج القرابة عليه أولاد أخيه ادريس واجازتهم الى الاندلس}

لما تلوم السلطان بسلا من صرفه من رباط الفتح وأراح بها ركابه عرض له طائف من المرض ووعك وعكا شديدا فلما أقفل جمع قومه وعهد لابنه فيهم أبى مالك عبد الواحد كبير ولده لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم فأعطوها طواعية وأسف القرابة من ولد أخويه عبد الله وادريس لانهما سوط النساء ووجدوا فى أنفسهم لما يرون أن عبد الله وادريس أكابر ولد عبد الحق ولهما التقدم على من بعدهما من ولده وأنهما أحق بالامر فرجعت هنت الى أذنابها ونفسوا عن ابن السلطان لما أخذ له من البيعة والعهد ونزعوا عنه الى جبل علودان من جبال غمارة عش خلافهم ومدرج فتنتهم وذلك سنة تسع وستين وريا ستهم يومئذ لمحمد بن ادريس وموسى بن رحو بن عبد الله وخرج معهم ولد أبى عياد بن عبد الحق وأغزاهم السلطان ولده أبا يعقوب يوسف فى خمسة آلاف من عسكره فأحاط بهم وأخذ بمخنقهم ولحق به أخوه أبو مالك فى عسكره ومعه مسعود بن كانون شيخ بسفيان ثم خرج فى أثرهم السلطان أبو يوسف واجتمع معسكرهم بتافركا ونازلوهم ثلاثا وهلك فى حروبهم منديل بن ورتطليم ولما رأوا ان أحيط بهم سألوا الامان فبذله وأنزلهم واستلم سخائمهم ومسح ما فى صدورهم ووصل بهم الى حضرته وسألوا منه الاذن فى اللحاق بتلمسان حيا هو من أكبر ما ارتكبوه فأذن لهم وأجازوا البحر الى الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما أنس من صاغية السلطان اليه فتخلف عنهم بتلمسان حتى يوثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان بتلمسان كما ذكره الآن واحتل بنو ادريس وعبد الله وابن عمهم أبو عياد بالاندلس على حين أقفر من الحامية ثغرها واستأسد العدو على ثغرها وغلبت شفاههم فاحتلوها أسود اضارية وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع الحتوف والنزال مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش فعظمت نكايتهم فى العدو واعترضوا الحمى فى صدره دون الوطن الذى كان طعمة له فى ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من هم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمدافعة طاغيتهم وزاحموا أمير الاندلس فى رياستها بمنكب فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل العدوة من أعياصهم وقبائلهم ومن سواهم من أمم البربرة وتناقلوه وساهموه فى الجباية لفرط العطاء والديوان فبذله لهم واستمدوا على العدو وحسن أثرهم

فيها كما نذكره بعد في أخبار القرابة ثم أعمل السلطان نظره في غزو تلمسان على ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن حركة السلطان أبي يوسف الى تلمسان وواقعته على يغمراسن وقومه بايسيلي

لما غلب السلطان أبو يوسف على بني عبد المومن وفتح مراكش واستولى على ملكهم سنة ثمان وستين وعاد الى فاس كما ذكرناه تحرك لما كان في نفسه من ضغائن يغمراسن وبني عبد الواد وما أسفوا به من تخذيل عزائمه ومجادلته عن قصده ورأى أن واقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطمأنت داره وجدته فأجمع أمره على غزوهم واقتدر بما صار اليه من الملك والسلطان على حشد أهل المغرب لحربهم وقطع دابرهم فعسكر بفاس وسرح بلده وولى عهده أبا مالك الى مراكش في خواصه ووزرائه حاشدين في مدائنها وضواحيها وقبائل العرب والمصامدة وبني وراو غمرة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الانصار من جند الروم وناشبة العز فاستكثر من أعدادهم واستوفى حشدهم واحتفل السلطان بحركته وارتحل عن فاس سنة سبعين وستمائة وتلوم بملوية الى أن لحقته الحشود وتوافت اليه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاثبج وقبائل ذوي حسان والشبانات من المعقل أهل السوس الاقصى وقبائل رياح أهل ازغار والهبط فاعترض هنالك عساكره وعبى عموا كبه فيقال بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان ولما انتهى الى انكاد وافته رسل ابن الاحمر هنالك ووفد المسلمين بالاندلس صريخا على العدو يستجيشون باخوانهم المسلمين ويسألونهم الاعانة فتحركت همته للجهاد ونصر المسلمين من عدوهم ونظر في صرف الشواغل عن ذلك ووجه الى السلم مع يغمراسن وهو يوب الملأ في ذلك رأيه لما كانوا عليه من ايثار الجهاد وانتدب جماعة من المشيخة الى السعي في صلاح ذات بينهما وانكفاد عن غرب عدوتهما وساروا الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبته واستعد للقاء واحتشد زناتة أهل ممالكه بالشرق من بني عبد الواد وبني راشد ومغراوة وأحلافهم من العرب زغبة فلج في ذلك واستكبر وصم عن اسعافهم وزحف في جموعه والتقى الجمعان بوادي ايسيلي من بسائط وجدوة والسلطان أبو يوسف قد عبى كتائبه ورتب مصافه وجعل ولديه الاميرين أبا مالك وأبا يعقوب في الجناحين وسار في القلب فدارت بينهم حرب شديدة أجلت عن هلاك فارس بن يغمراسن وجماعة من بني عبد الواد وكاثرهم حشود المغرب الاقصى وقبائله وعساكر الموحدين والبلاد المراكشية فولوا الادبار وهلك عامة عسكر الروم

Marfat.com

لشباتهم بثبات السلطان فطحنتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم بيرنيس ونجا يغمراسن بن زيان فى فله مدافعا دونه الى تلمسان ومر بفساطيطه فأضرمها نارا وانتهب معسكره واستبيحت حرمه وأقام السلطان أبو يوسف على وجدة حتى خربها وأصرع بالتراب أسوارها وألصق بالرغام جدرانها ثم نهض الى تلمسان فحاصرها أياما وأطلق الايدى فى ساحتها بالنهب والعيث وشن الغارات على البسائط فاكتسحها سلبا ونسفها نسفا وهلك فى طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساى وكان من علية وزرائه وحماة ميدانه له فى ذلك أخبار مذكورة وكان مهلكه فى شوال من هذه السنة ووصله بمثواه من حصارها محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين ومستصرخه على بنى عبد الواد لما نال منه يغمراسن من طبخ القهر وذل الغلب والنحيف فى كافة قبيله مباهيا بآلته وأكرم السلطان أبو يوسف وفادته واستركب الناس للقائه وبرور مقدمه واتخاذ زينة السلاح لمباهاته وأقام محاصر التلمسان معه أياما حتى وقع اليأس وامتنع البلد واشتد شوكة حاميته ثم أجمع السلطان أبو يوسف على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوى وقومه بالقفول قبل قفوله وأن يغذوا السير الى بلادهم ولا حقا بهم باتحافه وجنب لهم من المائة من المقربات بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعمهم بالخلع مع الصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا وتلوم السلطان أياما لمنجاتهم الى مقرهم من جبل وانشريس حذرا من غوائله يغمراسن من انتهاز الفرصة فيهم ثم دخل الى فاس ودخلها مفتتح احدى وسبعين وهلك ولده الامير أبو مالك ولى عهده لأيام من مقدمه فأسف لهلكه ثم تعزى بالصبر الجميل عن فقده ورجع الى حاله فى افتتاح بلاد المغرب وكان فى غزوته هذه ملك حصن تاونت وهو معقل مطغرة وشحنه بالاقوات لما رآه ثغرا مجاورا لعدوه وأسلمه لنظر هرون بن شيخ مطغرة ثم ملك حصن مليلة بساحل الريف عن رجعه من غزاته هذه وأقام هرون بحصن تاونت ودعا لنفسه ولم يزل يغمراسن يرتد الغزو اليه حتى فرمن الحصن واستلمه سنة خمس وسبعين ولحق بالسلطان أبى يوسف كما ذكرناه فى أخباره عند ذكر قبيلة مطغرة وكان من شأنه ما ذكرناه

الخبر عن افتتاح مدينة طنجة وطاعة أهل سبتة وفرض الاتاوة عليهم وما قارن ذلك من الاحداث

كانت هاتان المدينتان سبتة وطنجة من أول دولة الموحدين من أعظم عمالاتهم وأكبر ممالكهم بما كانت ثغر العدوة ومرفأ الاساطيل ودار الانشاء الآلات البحرية وفرضة الجواز الى الجهاد فكانت ولايتها مختصة بالقرابة من السادة بنى عبد المؤمن وقد ذكرنا

Marfat.com

أن الرشيد كان عقد على أعمالها لابى على بن الخلاص من أهل بلنسية وأنه بعد استقلال الامير أبى زكريا بافريقية ومهلك الرشيد صرف ملك دولته اليه سنة أربعين وبعث اليه بالمال والبيعة مع ابنه أبى القاسم وولى على طنجة يوسف بن محمد بن عبد الله بن أحمد الهمدانى المعروف بابن الامير قائدا على الرجل الاندلسيين وضابطا للقصبة وعقد الامير أبو زكريا على سبتة لابى يحيى بن أبى زكريا ابن عمه أبى يحيى السيد بن الشيخ أبى حفص فنزل بها واستراب أبو على بن خلاص من العواقب عند مهلك ابنه الوافد على السلطان غريقا فى البحر فرحل بجملته الى تونس فى السفن وأراح ببجاية فكان فيها هلاكه سنة ست وأربعين ويقال هلك فى سفينته ودفن ببجاية ولما هلك الامير أبو زكريا سنة سبع بعدها انتقض أهل سبتة على ابنه المنتصر وطردوا ابن الشهيد وقتلوا العمال الذين كانوا معه وصرفوا الدعوة للمرتضى وتولى ذلك جفون الرنداحى بمداخلة أبى القاسم الغرفى كبير المشيخة بسبتة وأعظمهم تجلة نشأ فى حجر أبيه الفقيه الصالح أبى العباس أحمد مكنوفا بالجلالة مغذوا بالعلم والدين لما كان له فيها قدم الى أن هلك فاوجب أهل البلد لابنه ما عرفوه من حقه وحق أبيه من قبله وكانوا يفزعون اليه فى المهمات ويسلمون له فى الشورى فأغرى الرنداحى بهذه الفعلة ففعلها وعقد المرتضى لابى القاسم الغرفى على سبتة مستقلا من غير اشراف أحد من السادة ولا من الموحدين واكتفى بغنائه فى ذلك الثغر وعقد لجفون الرنداحى على قيادة الاساطيل بالمغرب فورثها عنه بنوه الى أن زاحمهم الغرفى بمناكب رياسته فقوضوا عن سبتة فمنهم من نزل بمالقة على ابن الاحمر ومنهم من نزل ببجاية على أبى حفص ولهم فى الدولتين آثار تشهد برياستهم واستقل الفقيه أبو القاسم الغرفى برياسة سبتة وأورثها بنيه من بعده على ما نذكره بعد وكانت طنجة تالية سبتة فى سائر الاحوال وتبعا لها فاتبع ابن الامير صاحبها امارة الفقيه أبى القاسم ثم انتقض عليه لسنة واستبد وخطب لابن أبى حفص ثم للعباسى ثم لنفسه وسلك فيها مسلك الغرفى فى سبتة ولبثوا كذلك ماشاء الله حتى اذا ملك بنو مرين المغرب وثبوا فى شعابه ومدوا اليد فى ممالكه فتنا ولوها ونزلوا معاقله وحصونه فافتتحوها وهلك الامير أبو يحيى عبد الحق وابنه عمر من بعده وتميز بنوه فى ذويهم واتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة وأصيلا فأوطنوا ضاحيتها وأفسدوا سابلتها وضيقوا على ساكنها واكتسحوا ما حوالها وشارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وتردد الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ثم مكروا وأضمروا الغدر ودخلوا فى بعض أيامهم متأبطين السلاح وفتكوا بابن الامير غيلة فثارت بهم العامة لحينهم واستلحموا فى مصرع واحد

Marfat.com

سنة خمس وستين واجتمعوا الى ولده وبقيت فى ملكته خمسة أشهر ثم استولى عليها الغرفى فنهض اليها بعساكره من الرجل برّا و بحرا واستولى عليها وفرّ ابن الامير ولحق بتونس ونزل على المستنصر واستقرّت طنجة فى ايالة الغرفى فضبطها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملأ من أشرافها فى الشورى ونازلها الامير أبو مالك سنة ست وستين فامتنعت عليه وأقامت على ذلك حتى اذا انتظم السلطان أبو يوسف بلاد المغرب فى ملكته واستولى على حضرة مراكش ومحا دولة بنى عبد المؤمن وفرغ من أمر عدوة يغمراسن وهم بتلك الناحية واستضافة عملها فأجمع الحركة اليها ونازل طنجة مفتتح سنة ثنتين وسبعين بما كانت فى البسيط من دون سبتة وأقام عليها أياما ثم اعتزم على الافراج عنها فقذف الله فى قلوبهم الرعب وافترق بينهم وتنادى فى بعض الناشئة من السور بشعاب بنى مرين فبادر سرعان أناس الى ثغور حيطانها فلكوها عليهم وقاتلوا أهل البلد ظلام ليلتهم ثم دخلوا البلد من صيحتها عنوة ونادى منادى السلطان فى الناس بالامان والعفو عن أهل البلد فسكن روعهم ومهد وفرغ من شأن طنجة ثم بعث ولده الامير أبا يعقوب فى عساكر ضخمة لمنازلة الغرفى فى سبتة وارغامه عن الطاعة فنازلها أياما ثم لاذ بالطاعة على المنعة واشترط على نفسه خراجا يؤديه كل سنة فتقبل السلطان منه وأفرجت عساكره عنهم وقفل الى حضرته وصرف نظره الى فتح سجلماسة وازعاج بنى عبد الواد المتغلبين عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن فتح سجلماسة الثانى ودخولها عنوة على بنى عبد الواد والمنبات من عرب المعقل

قد ذكرنا ما كان من تغلب الامير أبى يحيى بن عبد الحق على سجلماسة وبلاد درعة وأنه عقد عليها وعلى سائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن وأنزل معه ابنه مفتاحا المكنى بأبى حديد فى مشيخته لمباطنتها وأن المرتضى سرّح وزيره ابن عطوش سنة أربع وخمسين فى العساكر لارتجاعها فنهض الامير أبو يحيى اليه وشرّده عنها ورجعه على عقبه وأن يغمراسن بن زيان من بعد واقعة أبى سليط سنة خمس وخمسين قصدها لعورة دلّ عليها وغرة أمل اصابتها فسابقه اليها الامير أبو يحيى وما لقه من دونها ورجع عنها خائب المسعى. فلول الحامية وكان الامير أبو يحيى من بعد أن عقد عليها ليوسف ابن يزكاسن عقد عليها من بعده لسنة ونصف من ولايته ليحيى بن أبى منديل كبير بنى عسكر اقتالهم ومقاسميهم نسب محمد بن وطيص ثم عقد عليها الشهرين لمحمد بن عمران ابن عبلة من بنى يرسان صنائع دولتهم واستعمل معه على الجباية أبا طالب الحبشى وجعل مسلحة الجند بهم النظر أبى يحيى القطرانى وملكه قيادتهم وأقاموا على ذلك

سنة ثنتين ولما هلك الامير أبو يحيى وشغل السلطان أبو يوسف بحرب يغمراسن ومنازلة مراكش سما القطراني أمل في الاستبداد بها وداخل في ذلك بعض أهل الفتن وظاهره يوسف بن الغزي وفتكوا بعمار الورندغزاني شيخ الجماعة بالبلد وائتمروا بمحمد بن عمران بن عبلة تفرج ولحق بالسلطان واستبد القطراني بها ثم ثار به أهل البلد سنة ثمان وخمسين سنة ونصف من لدن استبداده وقتلوه وصرفوا بيعتهم الى الخليفة المرتضى بمراكش وتولى كبر ذلك القاضي بن حجاج وعلي بن عمر فعقد له المرتضى عليها وأقام بها أميرا ونازلهم عساكر بني مرين والسلطان أبو يوسف سنة ستين ونصب عليها آلات الحصار فأحرقوها وامتنعوا وأفرج عنهم وأقام علي بن عمر في سلطانه ذلك ثلاث سنين ثم هلك وكان الامير يغمراسن بن زيان منذ غلب الموحدين على تلمسان والمغرب الاوسط وصار في ملكته تحيز اليه من عرب المعقل قبيل المنبات من ذوي منصور بما كانت مجالات المعقل مجاورة لمجالات بني يادين في القفر وانما ارتحلوا عنها من بعد ما جأ يغمراسن من بني عامر بمجالاتهم من مصاب ببلاد بني يزيد فزاحموا المعقل بالمناكب عن مجالاتهم ببلاد فيكيك وصاروا حولهم الى ملوية وماوراءها من بلاد سجلماسة فلكوا تلك المجالات ونبذ يغمراسن العهد الى ذوي عبيد الله منهم واستخلص المنبات هؤلاء فكانوا له حلفاء وشيعة ولقومه ودعوته خاصة وكانت سجلماسة في مجالاتهم ومتقلب ظعنهم وناجعتهم ولهم فيها طاعة معروفة فلما هلك علي بن عمر آثروا يغمراسن بملكها فحملوا أهل البلد على القيام بطاعته وخاطبوه وجاؤوا به فغشيها بعساكره وملكها وضبطها وعقد عليها العبد الملك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع من ولد محمد بن زكراز بن يندوكس ويعرف بابن حنينة نسبة الى أم أبيه أخت يغمراسن ومعه يغمراسن بن حمامة وأنزل معهما ولده الامير يحيى لاقامة الرسم الملوكي ثم أداله بأخيه من السنة الاخرى وكذا كان شأنه في كل سنة ولما فتح السلطان أبو يوسف بلاد المغرب وانتظم أمصاره ومعاقله في طاعته وغلب بني عبد المؤمن على دار خلافتهم ومحا رسمهم وافتتح طنجة وطوع سبتة مرفأ الجواز الى العدوة وثغر المغرب سما أمله الى بلاد القبلة فوجه عزمه الى افتتاح سجلماسة من أيدي بني عبد الواد المتغلبين عليها وادالة دعوته فيها من دعوتهم فنهض اليها في العساكر والحشود في رجب من سنة ثنتين وسبعين فنازلها وقد حشد اليها أهل المغرب أجمع من زناتة والعرب والبربر وكافة الجنود والعساكر ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وهندام القذف بجميع الحديد ينبعث من حرته أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة باريها فأقام عليها حولا كريتا يغاديها القتال ويراوحها الى أن سقطت

Marfat.com

ذات يوم على حين غفلة طائفة من سورها بالحاح الحجارة من المنجنيق عليها فبادروا الى اقتحام البلد فدخلوها عنوة من تلك الفرجة فى صفر من سنة ثلاث وسبعين فقتلوا المقاتلة والحامية وسبوا الذرية وقتل القائد ان عبد الملك بن حنينة ويغمراسن بن حمامة ومن كان معهم من بنى عبد الواد وأسراء المنباة وكل فتح بلاد المغرب للسلطان أبى يوسف وتمشت طاعته فى أقطاره فلم يبق فيه معقل يدين بغير دعوته ولا جماعة تحيز الى غير ئته ولا امل ينصرف الى سواه ولما كملت له نعم الله فى استيساق ملكه وتمهيد أمره انصرف أمله الى الغزو وايثار طاعة الله بجهاد أعدائه واستنقاذ المستضعفين من وراء البحر من عباده على ما نذكره ان شاء الله تعالى ولما انكفأ راجعا من سجلماسة قصد مراكش من حيث جاء ثم وقف الى سلا فأراح بها أياما ونظر فى شؤنها وسد ثغورها وبلغه الخبر بوفادة أبى طالب صاحب سبتة الفقيه أبى القاسم الغرفى على فاس فأغذ السير الى حضرته وأكرم وفادته وأحسن منقلبه الى أبيه مملوء الحقائب ببره رطب اللسان بشكره ثم شرع فى اجازة ولده كما نذكره الآن ان شاء الله تعالى

الخبر عن شأن الجهاد وظهور السلطان أبى يوسف على النصارى وقتل زعيمهم ذنبة وما قارن ذلك

كانت عدوة الاندلس منذ أول الفتح ثغر المسلمين فيه جهادهم ورباطهم ومدارج شهادتهم وسبيل سعادتهم وكانت مواطنهم فيه على مثل الرصف وبين الظفر والناب من أسود الكفرة وفرأتهم جوارها واحاطتهم بها من جميع جهاتها وحجز البحر بينهم وبين اخوانهم المسلمين منها لانقطاعهم عن قومهم وأهل دينهم وبعدهم عن الصريخ وشاور فى ذلك كبار التابعين وأشراف العرب فرأوه رأيا واعتزم عليه لولا ما عاقه من المنية وعلى ذلك فكان للاسلام فيه اعتزاز على من جاورهم من أهل الكفر بطول دولة العرب من قريش ومضر واليمن وكانت نهاية عزهم وسورة غلبهم أيام بنى أمية بها الطائرة الذكر الباسطة جناحها على العدوتين منذ ثلاث مئين من السنين أو ما يقاربها حتى انتثر سلكها بعد المائة الرابعة من الهجرة وافترقت الجماعة طوائف وفشلت ريح المسلمين وراء البحر بفناء دولة العرب واعتز البربر بالمغرب واستفحل شأنهم وجاءت دولة المرابطين فجمعت ما كان مفترقا بالمغرب من كلمة الاسلام وتمسكوا بالسنة وتشوفوا الى الجهاد واستدعاهم اخوانهم من وراء البحر للمدافعة عنهم فأجازوا اليهم وأبلوا فى جهاد العدو أحسن البلاء وأوقعوا بالطاغية بن أدفوش يوم الزلاقة وغيرها وفتحوا حصونا واسترجعوا أخرى واستنزلوا الثوار ملوك الطوائف وجمعوا الكلمة بالعدوتين وجاء على اثرهم الموحدون سالكين أحسن مذاهبهم فكان لهم فى الجهاد آثار وعلى

Marfat.com

الطاغية أيام منها يوم الاردليعقوب بن المنصور وغيره من الايام حتى اذا فشلت ريح الموحدين وافترقت كلمتهم وتنازع الامر سادة بنى عبد المؤمن الامراء بالاندلس وتحاربوا على الخلافة واستماشوا بالطاغية وأمكنوه من كثير من حصون المسلمين طفق همة على الاستظهار نفشى أهل الاندلس على أنفسهم وثاروا بالموحدين وأخرجوهم وتولى ذلك ابن هود بمرسية وشرق الاندلس وعم بدعوته سائر أقطارها وأقام الدعوة فيها للعباسيين وخاطبهم ببغداد كما ذكرناه فى أخبارهم واستوفينا كلا بما وضعناه فى مكانه ثم انحجز ابن هود على الغربية لبعدها عنه وفقده للعصابة المتناولة لها وانه لم تكن صنعته فى الملك مستحكمة وتكالب الطاغية على الاندلس من كل جهة وكثر اختلاف المسلمين منهم وشغل بنو عبد المؤمن بعمادهم من المغرب من شأن بنى مرين من زناتة فتكافى محمد بن يوسف بن الاحمر أمر الغربية وثار بحصنه أرجولة وكان شجاعا قرما ثبتا فى الحروب فتلقف الكرة من يد ابن هود يجاذبه الحبل ويقارعه على عمالات الاندلس واحدة بعد أخرى الى أن هلك ابن هود سنة خمس وثلاثين وتكالب العدو وخلال ذلك على جزيرة الاندلس من كل جانب ووفر له ابن هود الجزية وبلغ بها أربعمائة ألف من الدنانير فى كل سنة ونزل له على ثنتين من حصون المسلمين وخشى ابن الاحمر أن يستغلظ عليه بالطاغية فخم هواليه وتمسك بعروته ونفرق جملته الى منازلة اشبيلية نكاية لأهلها واما هلك الامير أبو زكريا نبذ الدعوة الحفصية واستبد لنفسه وتسمى بأمير المسلمين ونازعه بالشرق أعقاب ابن هود وبنى مرد نيش ودعاه الامر الى النزول للطاغية من بلاد الفرنتيرة فنزل عليها بأسرها وكانت هذه المدة من سنة سبعين فترة ضاعت فيها ثغور المسلمين واستبيح حماهم والتهم العدو بلادهم وأموالهم نهبا فى الحروب ووضيعة ومداراة فى السلم واستولى طواغيت الكفر على أمصارها وقواعدها فملك ابن أدفونش قرطبة سنة ست وأربعين وتملك قط برشلونة مدينة بلنسية سنة سبع وثلاثين الى ما بينهما من الحصون والمعاقل التى لا تعد ولا تحصى وانتهض أمر الثوار بالشرق وانفرد ابن الاحمر بغرب الاندلس وضاق نطاقه عن الممانعة دون البسائط الفسيح من الفرنتيرة وما قاربها ورأى أن التمسك بها مع قلة العدد وضعف الشوكة مما يوهن أمره ويطمع فيه عدوه فعقد السلم مع الطاغية على النزول عنها أجمع وبلأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين بأوعاره من عدوهم واختار لنزله مدينة غرناطة وابتنى بها السكاء حصن الحمراء حسبما شرحنا ذلك كله فى مواضعه وفى أثناء هذا كله لم يزل صريخه ينادى بالمسلمين من وراء البحر والملأ من أهل الاندلس يفدون على أمير المسلمين أبى يوسف للاعانة ونصر الملة واستنقاذ الحرم والولدان من أنياب العدو فلا يجد مفزعا الى

ذلك بما كان فيه من مجاذبة الحبل مع الموحدين ثم مع بغمراسن ثم شغله بفتح بلاد المغرب وتدويخ أقطاره الى أن هلك السلطان أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الاحمر المعروف بالشيخ وأبي دبوس لقبين كانا له على حين استكمال أمير المسلمين فتح المغرب وفراغه من شأن عدوه سنة احدى وسبعين على أن بني مرين كانوا يؤثرون الجهاد ويسمون اليه وفي نفوسهم جنوح اليه وصاغية ولما استوحش بنو ادريس بن عبد الحق وخرجوا سنة احدى وستين على السلطان يعقوب بن عبد الحق واسترضاهم واستصلحهم انتدب الكثير منهم للغزو واجازة البحر لصريخ المسلمين بالاندلس واجتمع اليهم من مطاوعة بني مرين عسكر ضخم من الغزاة ثلاثة آلاف او يزيدون وعقد السلطان على ذلك العسكر لعامر بن ادريس فوصلوا الى الاندلس فكان لهم فيها ذكر ونكاية في العدو وكان الشيخ ابن الاحمر عهد الى ولده القائم بالامر بعده محمد الشهير بالفقيه لاتصاله طلب العلم أيام أبيه وأوصاه أن يتمسك بعروة أمير المسلمين ويخطب نصره ويدرأ به ويقدمه عن نفسه وعن المسلمين تكالب الطاغية فبادر لذلك لحين مواراة أبيه وأوفد مشيخة الاندلس كافة عليه ولقيه وفدهم منصرفا من فتح سجاماسة خاتم الفتوح بالثغور المغربية وملاذ العز ومقاد الملك وتبادروا للاسلام وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فيما وفدهم ورؤساءهم وبادر لاجابة داعي الله واستثمار الجنة وكان أمير المسلمين منذ أول أمره مؤثرا أعمال الجهاد كافا به محتد ربه حتى أعطى الخيار مما ترآماله حتى لقد كان اعتزم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبي يحيى وطلب اذنه في ذلك عند ما ملكوا مكناسة سنة ثلاث وأربعين فلم يأذن له وفصل الى الغزو في حشمه وذويه ومن أطاعه من عشيرته وأوعز الامير أبو يحيى لصاحب الامر بسبتة لذلك العهد أبي علي بن خلاص بأن يمنعه الاجازة ويقطع عنه أسبابها ولما انتهى الى قصر الجواز ثنى عزمه عن ذلك الولي يعقوب بن هرون الخبري ووعده بالجهاد أميرا مستنفرا للمسلمين ظاهرا على العدو فكان في نفسه من ذلك شغل واليه صاغية فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزائمه وذكروا همته فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير ونهض من فاس شهر شوال من سنة ثلاث وسبعين الى فرضة المجاز من طنجة وجهز خمسة آلاف من قومه أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم وعقد عليهم لابنه منديل وأعطاه الراية واستدعى من الغد في صاحب سبتة السفن لاجازتهم فوافاه بقصر الجواز عشرون من الاساطيل فأجازوا العسكر ونزل بطريف وأراح ثلاثا ودخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلأت أيديهم من المغانم واثخنوا بالقتل والاسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريس فحام حاميتها عن اللقاء

Marfat.com

وانحجروا فى البلاد وقفل عنها الى الجزيرة وقد امتلأت أيديهم من الاموال وحفلوا بهم من السبى وركابهم من الكراع والسلاح ورأى أهل الاندلس قد ثاروا بعام العقاب حتى جاءت بعدها الطاعة الكبرى على أهل الكفر واتصل الخبر بأمير المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه وخشى على ثغور بلاده من عادية يغمراسن فى الفتنة فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد فى وفد من بنى مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه وبادر الى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذا السلم من أمير المسلمين لما كان فى نفسه من الصاغية الى الجهاد وايثاره مبرورات الاعمال وبث الصدقات يشكر الله على ما منحه من التفرغ لذلك ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين الى الجهاد وخاطب فى ذلك كافة أهل المغرب من زناته والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البرابرة وأهل المغرب من المرتزقة والمطوعة وأهاب بهم وشرع فى اجازة البحر فأجازه من فرضة طنجة لصفر من سنة أربع وسبعين واحتل بساحة طريف وكان لما استصرخه السلطان ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس اشترط عليه النزول عن بعض الثغور بساحل الفرضة لاحتلال عساكره فتجافى له عن رندة وطريف ولما احتل بطنجة بادر اليه ابن هشام السائر بالجزيرة الخضراء وأجاز البحر اليه والقيه بظاهر طنجة فأدى له طاعته وأمكنه من قياد بلده وكان الرئيس أبو محمد بن لمشقيلولة وأخوه أبو اسحق صهر السلطان ابن الاحمر تعاله فى أمره وموازراله على شأنه كله وأبوهما أبو الحسن هو الذى تولى كبر الثورة على ابن هود ومداخلة أهل اشبيلية فى القتك بابن الباجى فلما استوت قدمه فى ملكه وغاب الثوار على أمره فسد ما بينهما بعد أن كان ولى أبا محمد على مقاله وأبا اسحق على وادى آش فامتنع أبو محمد بن اشقيلولة بمالقة واستأثر بها ونفر بيتها دونه ومع ذلك فكانوا على الصاغية فئة ولحمة ولما أحس أبو محمد باجازة السلطان يعقوب بن عبد الحق قدم اليه الوفد من أهل مالقة ببيعتهم وصريخهم وانحاش الى جانب السلطان وولايته وأمحضه الخالصة والنصيحة فلما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كتائبه ساحة الارض ما بينها وبين الجزيرة وتسابق السلطان ابن الاحمر وهو الشقيه أبو محمد بن الشيخ أبى دبوس صاحب غرناطة والرئيس أبو محمد بن اشقيلولة صاحب مالقة والغربية الى لقاء السلطان وتنازعوا فى بروز مقدمه والاذعان له فقاوضهم فى أمور الجهاد وأرجعهما لحينه الى بلديهما وانصرف ابن الاحمر مغاضبا لبعض النزغات

Marfat.com

أحفظته وأغذ السير الى الفرتيرة وعقد لولده الامير أبي يعقوب على خمسة آلاف من عسكره وسرح كتائبه في البساط وخلال المعاقل تنسف الزرع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتنتهب الاموال وتكتسح الشرح وتقتل المقاتلة وتسبي النساء والذرية حتى انتهى الى المدور وتالسة وأبد واقتحم حصن بلة عنوة وأتى على سائر الحصون في طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها وقتل والارش غوج سبيا الى أن عرس باستجة من تخوم دار الحرب وجاء النذير باتساع العدو آثارهم لاستنقاذه أسراهم وارتجاع أموالهم وان زعيم الروم وعظيمهم ذنته خرج في طلبهم بأمم بلاد النصرانية من المحتلم فما فوقه فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا من الفرسان أمامها وسار يقتفيها حتى اذا طلت رايات العدو من ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وبرد وذكر وراجعت زناتة بصائرها وعزائمها وتحركت هممها وأبلت في طاعة ربها والذب عن دينها وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها ولم يكن الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم ذنته والكثير من جموع الكفر ومنح الله المسلمين اكتافهم واستمر القتل فيهم وأحصى القتلى في المعركة فكانوا ستة آلاف واستشهد من المسلمين ما بناهز الثلاثين أكرمهم الله بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أولياءه ونصر دينه وبد العدو ما لم يحتسبه بحماية هذه العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث أمير المسلمين برأس الزعيم ذنته الى ابن الاحمر فرده زعموا سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولايته أخلصها لهم مداراة وانحرافا عن أمير المسلمين ظهرت شواهده عليه بعد حين كما نذكره وقفل أمير المسلمين من غزاته الى الجزيرة منتصف ربيع من سنته فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم وأسراهم وكراعهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا ومن الاسارى سبعة آلاف وثمان مائة وثلاثين ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة وأما الغنم فانسعت عن الحصر كثرة حتى لقد زعموا بيع الشاة في الجزيرة بدرهم واحد وكذلك السلاح وأقام أمير المسلمين بالجزيرة أياما ثم خرج غازيا الى أشبيلية فجاس خلالها وقرى نواحيها وأقطارها وأثخن بالقتل والنهب في جمهاتها وعمرانها وارتحل الى شريش فأذاقها وبال العيث والاكتساح ورجع الى الجزيرة لشهرين من غزاته ونظر في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدوة لنزل عسكره منتبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتحيزها مكانا لصق الجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية وجعل ذلك انتظار من يثق به من

Marfat.com

ذويه ثم أجاز البحر الى المغرب فى رجب من سنة أربع وسبعين فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ الجواز ببلاد غمارة وتولى ذلك ابراهيم بن عيسى كبير بنى وسناف بن محيو ثم رحل الى فاس فدخلها فى شعبان وصرف النظر الى أحوال دولته واختطاط البلد الجديد لنزله ونزل حاشيته واستنزال الثوار عليه بالمغرب على ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن اختطاط البلد الجديد بفاس وما كان على بقية ذلك من الاحداث)

لما قفل السلطان أمير المسلمين من غزاته الجهادية وتم صنع الله لديه فى ظهور الاسلام على يديه واعتزاز أهل الاندلس بفيئته راح بالمغرب الى نعمة أخرى من ظهور أوليائه وحسم أدواء الفساد فى دولته شفعت مواهب السعادة وأجلت عوائد الصنع وذلك ان صبابة بنى عبد المؤمن وفلهم لما فروا من مراكش عند الفتح لحقوا بجبل تيغمال جرثومة أمرهم ومنبعث دعوتهم وملاحد خلفائهم وحضرة سلفهم ودار امامهم ومسجد مهديهم كانوا يعكفون عليه متيمنين بطيره ملتمسين بركة زيارته ويقدمون ذلك أمام غزواتهم قربة بين يدى أعمالهم يعتدونها من صالح مساعيهم فلما خلص الفل اليه اعتصموا بمعقله وآووا الى ركونه ونصبوا للقيام بأمرهم عيصا من أعياص خلفاء بنى عبد المؤمن ضعيف المنبه خاسر الصفقة من مواهب الحظ وهو اسحق أخو المرتضى وبايعوه سنة تسع وستين يرجون منه رجع الكرة واعادة الدولة وكان المتولى لكبر ذلك وزيرهم ابن عطوش ولما عقد السلطان يعقوب بن عبد الحق لمحمد بن على بن محلى على أعمال مراكش لم يقتدم عملا على محاربتهم وتخذيل الناس عنهم واستمالة أشياعهم وجمعوا السنة أربع وسبعين على غرة ظنوها فأوقع بهم وفل من غربهم ثم صمد الى الجبل لشهر ربيع من سنته فانقض عذرته ونقض ختامه واقتحمه عليهم عنوة بعد مطاولة النزال والحرب وهلك الوزير ابن عطوش فى جوانب الملحمة وتقبض على خليفته المستضعف وابن عمه أبى سعيد بن السيد أبى الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبوا الى مصارعهم بباب الشريعة بمراكش فضربت أعناقهم وصلبت اشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم كاتبه القبائلى وأولاده وعاثت العساكر فى جبل تيغمال واقتحمت أمواله و قبور خلفاء بنى عبد المؤمن واستخرج يوسف وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤسهم وتولى كبر ذلك أبو على الملياني النازع الى السلطان أبى يوسف من ملبانة عش غوانيه ومواطن انتزائه كما قدمناه وكان السلطان قطعه بلاد اغوات اكراما لوفادته فحذر هذه الغزاة فى جملة العساكر ورأى أن قد شفى نفسه باخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعيث باشلائهم لما تقدم منه الموجدون

وعثمان بن يغمراسن فى خلال هذا يستألف بنى توجين شعبا فشعبا الى أن نهض الى جبل وانشريس فملكه وفر أمامه موسى بن زرارة الى نواحى المدية وهلك فى سفره ذلك ثم نهض عثمان الى المدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها بمداخلة المدية من قبائل صنهاجة غدروا بأولاد عزيز وأمكنوه منها ثم انتقضوا عليه لسبعة أشهر ورجعوا الى اياله أولاد عزيز فصالحوا عثمان بن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن عبد القوى وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد بنى توجين ثم شغل بما دهمه من مطالبة بنى مرين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بنى توجين من بنى محمد بن عبد القوى أبو بكر بن ابراهيم بن محمد مدة عامين أخاف فيها الناس وأساء السيرة ثم هلك فنصب بنو تيغرين بعده أخاه عطية المعروف بالاصم وخالفهم أولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف ابن زيان بن محمد وزحفوا الى جبل وانشريس فحاصروا به عطية وبنى تيغرين عاما أو يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بنى تيغرين هو الذى تولى البيعة لعطية الاصم فلما اشتد بهم الحصار واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورعه فى ملك جبل وانشريس فبعث معه الجيوش لنظر أخيه أبى سرحان ثم أخيه أبى يحيى وكان نهوض أبى يحيى سنة احدى وسبعمائة فتوغل فى ناحية الشرق ولما رجع صعد الى جبل وانشريس فهدم حصونه وقتل ونهض ثانية الى بلاد بنى توجين فشردهم عنها وأطاعه أهل تافركينت ثم انتهى الى المدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه يوسف بن يعقوب فانتقض أهل تافركينت بعد صدوره عنهم ثم راجع بنو عبد القوى بصائرهم فى التملك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم الى بلادهم وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وجعل وزارته ليحيى بن عطية فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن عطية الاصم واستقام على طاعته وقتا ثم انتقض بين يدى مهلكه سنة ست وجعل قومه على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعدها لبنى يغمراسن عن جميع الامصار التى تملكوها بالمغرب الاوسط استمكن بنو يغمراسن منها ودفعوا المتغلبين عنها ولحق القل من أولاد عبد القوى ببلاد الموحدين فخلوا من دولتهم محل الابناء والتكرمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوى مع الملوك من آل أبى حفص مقام الخلة والمصافاة الى أن هلك وبقى عقبه فى جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين تغلب على جبل وانشريس من بعدهم كبير بنى تيغرين أحمد بن محمد من أعقاب يعلى بن محمد سلطان بنى يغرن فأقام يحيى بن عطية هذا فى رياستهم أياما ثم هلك وقام بأمره من بعده أخوه عثمان بن عطية ثم هلك وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل

Marfat.com

ن العساكر فجاس خلاله ثم انكفأ راجعا وخطب قبائل المغرب كافة بالتغرير فتباطؤا واستمرّ على تحريضهم ونهض الى رباط الفتح وتلوم بها فى انتظار الغزاة فتنبطوا خف فى خاصته وحاشيته واحتل بالفرضة من قصر المجاز وتلاحق به الناس فأجازوا البحر واحتل بظريف آخر محرم ثم ارتحل الى الجزيرة ثم الى رندة ووافاه هنالك الرئيس أبو اسحق بن اشقيلولة صاحب قارش وأبو محمد صاحب مالقة للغزو معه وارتحلوا الى منازلة اشبيلية فعرسوا عليها يوم المولد النبوى وكان بها ملك الجلالقة بن ادفونش فحام عن اللقاء وبرز الى ساحة البلد محاميا عن أهله ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل ولده الامير أبا يعقوب فى المقدمة وزحف فى التعبية فأجروا العدو فى البلد واقتحموا اثرهم الوادى وأثخنوا فيهم وباتت العساكر ليلتهم يجادون فى متون الخيل وقد أضرموا النيران بساحتها وارتحل من الغد الى أرض الشرق وبث السرايا والغوازى فى سائر النواحى وأناخ بجمهور العسكر عليها فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها ودخل حصن قطيانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأثخن فى القتل والسبى ثم ارتحل بالغنائم والاثقال الى الجزيرة لسرار شهره فأراح وقسم الغنائم فى المجاهدين ثم خرج غازيا الى شريش منتصف ربيع الآخر فنازلها وأذاقها نكال الحرب وأقفر نواحيها وقطع أشجارها وأباد خضراءها وحرق ديارها ونسف آثارها وأثخن فيها بالقتل والاسر وبعث ولده الامير أبا يعقوب فى سرية من معسكره للغوار على اشبيلية وحصون الوادى فبالغ فى النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقه وغليانة والقناطير ثم صبح اشبيلية بغاره فاكتسحها وانكفأ الى أمير المسلمين فقفلوا جميعا الى الجزيرة وأراح وقسم فى المجاهدين غنائمهم ثم ندب الى غزو قرطبة ورعثهم فى عمرانها وثروة ساكنها وخصب بلادها فانعطفوا الى اجابته وخاطب ابن الاحمر بستنفره وخرج لاول جمادى من الجزيرة ووافاهم ابن الاحمر بناحية أرشدونة فأكرم وصوله وشكر حفوفه الى الجهاد وبداره ونازلوا حصن بنى بشير فدخله عنوة وقتلت المقاتلة وسبيت النساء ونقلت الاموال وخرب الحصن ثم بث السرايا والغارات فى البسائط فاكتسحها وامتلأت الايدى وأثرى العسكر وتقرّوا المنازل والعمران فى طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وانحجرت حامية العدو من وراء الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياه فى نواحيها فنسفوا آثارها وخربوا عمرانها واكتسحوا قراها وضياعها وتردّدوا على جهاتها ودخل حصن بركونة عنوة ثم ارجونة كذلك وقدم بعثا الى حيانة فاسمها حظها من الخسف والدمار وخام الطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلده فخنع الى السلم وخطبه من أمير المسلمين فدفعه الى

Marfat.com

ابن الاحمر وجعل الامر فى ذلك اليه تكرمة لمشهده ووفاء بحقه وأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين والتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانعقد السلم وقفل أمير المسلمين من غزاته وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ودخل أمير المسلمين الى الجزيرة فى أول رجب من عامئذ فأراح ونظر فى ترتيب المسالح على الثغور وتملك مالقة كما ذكره

(اخبر عن تملك السلطان مدينة مالقة من يدابن اشقيلولة)

كان بنو اشقيلولة هؤلاء من رؤساء الاندلس المؤثلين لمدافعة العدو وكانوا نظراء لابن الاحمر فى الرياسة وهما أبو محمد عبد الله وأبو اسحق ابراهيم ابنا أبى الحسن بن اشقيلولة وكان أبو محمد منهم صهرا له على ابنته فكانوا له بذلك خاصة فأشركهم فى أمره واعتضد بعصابتهم وبابيهم من قبل على مقاومة بنى هود وسائر الثوار حتى اذا استمكن من فرصته واستوى على كرسيه استبد دونهم وأنزلهم الى مقامات الوزراء وعقد لابى محمد صهره على ابنته على مدينة مالقة والغربية وعقد لابى الحسن صهره على أخته على وادى آش وما اليها وعقد لابنه أبى اسحق ابراهيم بن على على قمارش وما الى ذلك ووجدوا فى أنفسهم واستمر الحال على ذلك ولما هلك الشيخ ابن الاحمر سنة احدى وسبعين وولى ابنه الفقيه محمد سموا الى منازعته وأوفد أبو محمد صاحب مالقة ابنه أبا سعيد على السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو منازل طنجة ووفد معه أبو محمد الى السلطان بطاعته وبيعته أهل مالقة سنة ثلاث وسبعين وعقد له عليها ونزع ابنه أبو سعيد فرجع الى دار الحرب ثم رجع لسنته فقتل بمالقة ولما أجاز السلطان الى الاندلس اجازته الاولى سنة أربع وسبعين تلقاه أبو محمد بالجزيرة مع ابن الاحمر وفاوضهما السلطان فى أمر الجهاد وردهما الى أعمالهما ولما أجاز اجازته الثانية سنة ست وسبعين لقيه بالجزيرة الرئيسان ابنا اشقيلولة أبو محمد صاحب مالقة واخوه اسحق صاحب وادى آش وقمارش فشهدا معه الغزاة ولما قفل اعتل أبو محمد صاحب مالقة ثم هلك غرة جمادى من سنته فلحق ابنه محمد بالسلطان آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة منصرفه من الغزاة كما ذكرناه فنزل له عن البلد ودعاه الى احتيازها فعقد عليها لابنه أبى زيان محمد بن السلطان اليها فى بعث وكان ابن اشقيلولة لحين فصوله الى لقاء السلطان أمر بن [illegible] الازرق بن أبى الحجاج يوسف بن الزرقاء باخلاء منازل السلطان بالقصبة واسداد مافتح ذلك لثلاث ليال واضطرب الامير أبو زيان معسكره بخارجها وأنفذ محمد بن عمران بن عبلة فى رهط من رجال بنى مرين الى القصبة فنزلها وملك أمر البلد وكان السلطان بن الاحمر لما بلغه

وفاة أبي محمد بن اشقيلولة سما أميرها الى استيلائه على مالقة وان ابن أخته شيعة له وبعث لذلك وزيره أباسلطان عزيزا الدانى فوافى معسكر الامير أبى زيان بساحتها ورجا أن يتجافى عنها السلطان فأعرض عن ذلك وتجهم له ودخل اليها الثلاث بقين من رمضان وانقلب الدانى عنها بخفى حنين ولما قضى السلطان بالجزيرة صومه ونسكه خرج الى مالقة فوافاها سادس شوال وبرز اليه أهلها فى يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان ودخولهم فى ايالته وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلى من صنائع دولتهم وأنزل معه المسالح وزيان بن أبى عياد بن عبد الحق فى طائفة لنظره من ابطال بنى مرين واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب سنة سبع وسبعين وقد اهتزت الدنيا لقدومه وامتلأت القلوب سرورا بما كيفه الله من نصر المسلمين بالعدوة وعلو راية السلطان على كل راية وعظمت لذلك موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن تظاهر ابن الاحمر والطاغية على منع السلطان أبى يوسف من اجازة ابن الاحمر واصفاق يغمراسن بن زيان معهم من وراء البحر على الاخذ بحجزته عنهم وواقعة السلطان على يغمراسن بخر زوزة

لما أجاز أمير المسلمين الى العدوة اجازته الاولى ولقى العدو باستجه وقتل الله ذئبه بأيدى عسكره وصنع له من الظهور والعز ما لا كفاءله ارتاب ابن الاحمر بمكانه فبدا له ما لم يكن يحتسب وظن بأمير المسلمين الظنون واعترض ذكره شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد سلطان الاندلس وأكد ذلك عنده جنوح الرؤساء من بنى اشقيلولة وغيرهم اليه وانقيادهم لامره فشرق بمكانه وحذر غوائله وتكدر الجو بينهما واجاز الاجازة الثانية فانقبض ابن الاحمر عن لقائه ودارت بينهما مخاطبات شعرية فى معنى العتاب على السنة كتابهما نسردها الآن (فمن ذلك) قصيدة كتبها اليه ابن الاحمر سنة أربع وسبعين بعد واقعة ذئبه واعتزامه على الرجوع الى المغرب نخاطبه بها ليلة الاقامة بالجزيرة حذرا من غائلة العدو ويخوفها منحى الاستعطاف وهى من نظم كاتبه أبى عمر بن المرابط

هل من معينى فى الهوى أو منجدى * من متهم فى الارض أو من منجد
هذا الهوى داع فهل من مسعف * باجابة وانابة أو مسعد
هذا سبيل الرشد قد وضحت فهل * بالعدوتين من امرئ مسترشد
يرجو النجاة بجنة الفردوس أو * يخشى المصير الى الجحيم الموقد
يا آمل النصر العزيز على العدا * أجب الهدى تسعد به وتؤيد

Marfat.com

سر النجاة الى النجاة مشعرا * ان الهدى لهو النجاة لمن هدى
يامن يقول غدا أتوب ولا غد * ألديك علم أن تعيش الى غد
لاتغترر بنسيئة الاجل الذى * ان لم يحن لك نقده فكان قد
سفر عليك طويلة أيامه * لم تستعد الطوله فاستعدد
أوما علمت بأنه لابد من * زاد لكل مسافر فتزود
هذا الجهاد رئيس أعمال التقا * خذ منه زادك لارتحالك تسعد
هذا الرباط بأرض اندلس فرح * منه لما يرضى الهك واغتد
سودت وجهك بالمعاصى فالقس * وجها للقيا الله غير مسود
واح الخطايا بالذنوب فربما * محت الدموع خطيئة المتعمد
من ذا يتوب لربه من ذنبه * أو يقتدى بنبيه أو يهتدى
من ذا يطهر نفسه بعزيمة * مشهورة فى نصر دين محمد
أتعز من أرض العدو ومدائن * والله فى أقطارها لم يعبد
وتذل أرض المسلمين وتبتلى * بمثلثين سطوا بكل موحد
كم جامع فيها أعيد كنيسة * فاهلك عليه أسى ولا تتجلد
القس والناقوس فوق مناره * والخمر والخنزير وسط المسجد
أسفا عليها أقفرت صلواتها * من قانتين وراكعين وسجد
وتعوضت منهم بكل معاند * مستكبر قد كان لم يتشهد
كم من أسير عندهم وأسيرة * فكلاهما يبغى الفداء فلا فدى
كم من عقيلة معشر معقولة * فيهم تود لو أنها فى ملحد
كم من وليد بينهم قد ودمن * ولداه ودا أنه لم يولد
كم من تقى فى السلاسل موثق * يبكى لآخر فى الكبول مقيد
وشهيد معترك توزعه الردى * مابين حدى ذابل ومهند
ضجت ملائكة السماء لحالهم * ورثى لهم من قلبه كالجلمد
أفلا تذوب قلوبكم اخوانتا * عما دهانا من ردى أو من ردى
أفلا تراعون الاذمة بيننا * من حرمة ومحبة وتودد
أكذا يعيث الروم فى اخوانكم * وسيوفكم للثار لم تتقلد
ياحسرتى لحمية الاسلام قد * خمدت وكانت قبل ذا تتوقد
أين العزائم مالها لاتقتضى * هل يقلع الهندى غير مجرد
أبنى مرين أنتم جير انتا * وأحق من فى صرخة بهم ابتدى

Marfat.com

فالجار كان به يوصى المصطفى * جبريل حقا فى الصحيح المسند
ابنى مرين والقبائل كلها * فى المغرب الادنى لنا والابعد
كتب الجهاد عليكم فتبادروا * منه الى الفرض الاحق الاوكد
وارضوا باحدى الحسنين وأقرضوا * حسنا تفوزوا بالحسان الخرد
هذى الجنان تفتحت أبوابها * والحور قاعدة لكم بالمرصد
هل من بايع من ربه من مشتر * منه الحصول على النعيم السرمد
لله فى نصر الخليفة موعد * صدق فثوروا والانتجاز الموعد
هذى الثغور بكم اليكم تشتكى * شكوى العديم الى الغنى الاوجد
مابال شمل المسلمين مبدد * فيها وشمل الكفر غير مبدد
أنتم جيوش الله ملء فضائه * تأسون للدين الغريب المفرد
ماذا اعتذاركم غدا لنبيكم * وطريق هذا العذر غير ممهد
ان قال لم فرطتم فى أمتى * وتركتموهم للعدو المعتدى
تالله لو أن العقوبة لم تخف * لكفى الحياء من وجه ذاك السيد
اخوانا صلوا عليه وسلموا * وسلوا الشفاعة منه يوم المشهد
واسعوا لنصرة دينه يسقيكم * من حوضه فى الحشر أعذب مورد

وصدر جوابها من نظم عبد العزيز شاعر السلطان يعقوب بن عبد الحق بمانصه
ابشر لاتخش اعتداء المعتدى الخ وكذلك أجاب عنها أيضا مالك بن المرحل بقوله
شهد الاله وأنت يا أرض اشهدى الخ فأجابهما أبو عمرو بن المرابط كاتب ابن الاحمر بقوله
قل للبغاة وللعداة الحسد الخ ولما أجاز السلطان يعقوب بن عبد الحق الاجازة الثانية سنة
ست وسبعين كما ذكره صار ابن الاحمر الى الاستعتاب والرضا ولقى يعقوب بن عبد الحق
فأنشد كاتبه أبو عمرو بن المرابط يوم اجتماعهما قوله * بشرى لحزب الله والايمان
الخ ولما انقضى المجلس امر السلطان شاعره عبد العزيز بما جلة قصيدته وأنشدها
ثانى المجلس بحضرة ابن الاحمر وندمائها * اليوم كن فى غبطة وأمان * الخ ثم كان أثناء
ذلك ماوقع من ابتلاء السلطان يعقوب بن عبد الحق على مدينة مالقة والغربية جل
عمله بعد مهلك صاحبها أبى عبد الله بن اشقيلولة فبرم لذلك وخيل عليه فنزع الى مداخلة
الطاغية فى شأنه واتصال يده بيده وان يعود الى مكان أبيه من ولايته ليدافع به السلطان
ويقرسه على أرضه ويأمن سعيه من زوال سلطانه لما كانت كلمة الاسلام جرادونه فاهتبل
الطاغية غرتها ونكث عهد أمير المسلمين ونقض السلم ونبذ اليه العهد واغزى أساطيله
الجزيرة الخضراء حيث مسالح السلطان وعساكره وأرست بالزقاق حيث فراض الجواز

وانقطع المسلمون من جنود السلطان وقومه وراء البحر ويئسوا من صريخه وانتبذ عمر ابن يحيي بن محلى عن قومه بمكان امارته مالقة وكان بنو محلى هؤلاء من كبار قومهم ببطوية وكانوا حلفاء لبني حماسة بن محمد منذ دخولهم المغرب وأصهر عبد الحق أبو الاملاك الى أبيهم محلى في ابنته أم اليمن فكان من ولدها السلطان يعقوب بن عبد الحق وكانت امرأة صالحة خرجت الى الحج سنة ثلاث وأربعين فقضت فريضة الله عليها وعادت الى المغرب رابعة من السنين سنة سبع وأربعين ثم خرجت ثانية سنة ثنتين وخمسين فتطوعت بحجة أخرى وهلكت بمصر منصرفها من تلك السنة سنة ثلاث وخمسين فكان لبني محلى أبيها مكان من الدولة والة على السلطان لخولتهم وغنائهم في قومهم ولما استولى السلطان على حضرة الموحدين مراكش عقد لمحمد بن علي بن محلى على جميع أعمالها فكانت له بالاصطناع بها مقاما محمودة واتصلت ولايته عليها من لدن سنة ثمان وستين الى سنة سبع وثمانين ثم كان مهلكه أيام يوسف بن يعقوب كما نذكر ولما نزع محمد ابن اشقيلولة الى السلطان بالجزيرة سنة ست وسبعين متجافيا له عن ولاية مالقة بعد وفاة أبيه الرئيس أبي محمد واستولى السلطان عليها واعتزم على الاجازة كما قدمناه وعقد على مالقة والغربية وسائر ثغورها وأعمالها لعمر بن يحيي بن محلى وكان أخوه طلحة بن يحيي ذا بأس وصرامة وقوة شكيمة واعتزاز على السلطان بمكان الخولة وهو الذي قتل يعقوب بن عبد الحق سنة ثمان وستين كما قلناه وظاهر فتح الله الهدراي مولى السلطان ووزيره على قتال أبي العلاء بن أبي طلحة بن أبي قريس عامر المغرب بكدية العرايس بظاهر فاس سنة ثنتين وستين ونزع سنة أربع وسبعين الى جبل آزروا عند مرجع السلطان من أمر مالقة وأجاز البحر الى بلاد الريف ثم رجع الى القبلة وأقام بين بني توجين ثم أجاز الى الاندلس سنة سبع وسبعين عندما أضرم نار هذه الفتنة بين هذا السلطان وبين ابن الاحمر والطاغية واحتل أسطول النصارى بالزقاق وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وأحس أخوه عمر صاحب مالقة باظلام الجو بينه وبين السلطان بما كان من أمر أخيه طلحة من قبل فلاطفه ابن الاحمر عند استقراره بغرناطة في مداخلة أخيه عمر في النزول على مالقة والاعتياض عنها بشلوبانية والملك طعمة وخاطبه في ذلك أخوه طلحة فأجاب وخرج ابن الاحمر بعساكره الى مالقة وقبض عمر بن محلى على زيان بن بوعياد قائد بني مرين ومحمد بن اشقيلولة وأمكن ابن الاحمر من البلد فدخلها آخر رمضان من سنته ونزل ابن محلى بشلوبانية واحتمل ذخيرته وما كان السلطان ائتمنه عليه من المال والعدد الجهادية واتصلت يد ابن الاحمر بيد الطاغية على منع أمير المسلمين من الاجازة وراسلوا يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم في

Marfat.com

مشافة السلطان وافساد ثغوره وازال العوائق به الملتعسة من حركته والاخذ باذياله
عن النهوض الى وأسنوا فيما بينهما الانحاف والمهاداة وجنب يغمراسن الى ابن
الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف وبعث اليه ابن الاحمر صحبة
ابن مروان التجاني كفء ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال في هديته وردها
وأصفقت أيديهم جميعا على السلطان ورأوا أن قد بلغوا في احكام أمرهم وسد مذاهبه
اليهم واتصل الخبر بأمير المسلمين وهو بمراكش كان صمد اليها مرجعه من الغزو في شهر
المحرم فاتح سبع وسبعين لما كان من عيث العرب جشم بشامسنا وافسادهم السابلة
فنقف أطرافها وحسم أدواءها ولما بلغه خبر ابن محلى ومالقة ومنازلة الطاغية للجزيرة
نهض لثالثة من شوال يريد طنجة ولما انتهى الى تامسنا وافاه الخبر بنزول الطاغية
على الجزيرة واحاطة عساكره بها بعد ان كانت أساطيله منازلها
منذر ببيع وانه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستعدونه فاعتزم على الرحيل ثم
اتصل به الخبر بخروج مسعود بن كانون أمير سفيان من جشم ببلاد تفيس من المصامدة
خامس ذي القعدة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم فكر اليه راجعا وقدم
بين يديه حافده تاشفين بن أبي مالك ووزيره يحيى حازم وجاء على ساقتهم وفرقوا أمام
جيوشه وانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحرث بن سفيان ولحق مسعود
بعقل الكسيوى ونازله السلطان بعساكره أياما وسرح ابنه الامير أبا زيان مندبل
الى بلاد السوس لتمهيدها وتدويخ أقطارها فأوغل في ديارها وقفل الى أبيه خامس
سفته واتصل بالسلطان ما نال أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال واعواز
الاقوات وانهم قتلوا الاصاغر من أولادهم خشية عليهم من معرة الكفر فأهمه ذلك
وأعمل النظر فيه وعقد لولي عهده ابنه الامير أبي يعقوب من مراكش على الغزو اليها
وأغزى الاساطيل في البحر الى جهاد عدوهم فوصل الى طنجة لصفر من سنة ثمان
وتسعين وأوعز الى البلاد البحرية لاعداد الاساطيل ببتة وطنجة وسلا وقسم
الاعطيات وتوفرت هممهم المسلمين على الجهاد وصدقت عزائمهم على الموت وأبلى
الفقيه أبو حاتم العزفي صاحب سبتة لما بلغه خطاب أمير المسلمين في ذلك البلاء الحسن
وقام فيه المقام المحمود واستقر كافة أهل بلده فركبوا البحر أجمعين من المحتلم فما فوقه
ورأى ابن الاحمر ما نزل بالمسلمين في الجزيرة وأشراف الطاغية على أخذها فندم في
عمالاته ونبذ عهده وأعد أساطيل سواحله من والمرية ومالقة مدد المسلمين
واجتمعت الاساطيل بمرفا سبتة تناهز السبعين قد أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زي
وأحسن قوة وأكمل عدة وأوفر عدد وعقد عليهم الامير أبو يعقوب رايته وأقلعوا

عن طنجة ثلمن ربيع الاول واتشرت فلوعهم فى البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكريم بمرفا الجبل وصبحوا العدو وأساطيلهم تناهز أربعمائة فتظاهروا فى دروعهم وأسبغوا من شكتهم وأخلصوا لله عزائمهم وصدقوا مع الله نياتهم وتنادوا بالجنة شعارهم ووعظ وذكر خطباؤهم والتحم القتال ونزل الصبر ولم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل فانكشفوا وتساقطوا فى العباب فاستلمهم السيف وغشيهم اليم وملك المسلمون أساطيلهم ودخلوا مرفا الجزيرة وفرضتها عنوة فاختل معسكر الطاغية وداخلهم الرعب من اجازة الامير أبى يعقوب ومن معه من الحامية فأفرج لحينه عن البلد وانتشرت النساء والصبيان بساحته وغلبت المقاتلة كثيرا من العسكر على مخلفهم فغنموا من الخطة والادام والفواكه مملا أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحى وأجاز الامير أبو يعقوب من حينه فأرهب العدو فى كل ناحية وصده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر فرأى أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل به لمنازلة غرناطة يدا وأجابه الى ذلك الطاغية رهبة من بأسه ومو جدة على ابن الاحمر فى مدد أهل الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك فأجازهم الامير أبو يعقوب الى أبيه أمير المسلمين فغضب لها وأنكر على ابنه وروى عنه وجه رضاه ورجعهم الى طاغيتهم مخفق السعى وأجاز أبو يعقوب بن السلطان الى أبيه ومعه وفد أهل الجزيرة لقوا السلطان بمكانهم من السوس وولى عليهم ابنه أبا زيان فنزل بالجزيرة وأحكم العقدة مع الطاغية ونازل المريلة من طاعة ابن الاحمر برا وبحرا فامتنعت عليه وانضوى اليه أهل الحصون الغربية بطاعتهم حذرا من الطاغية فتقبلهم ثم جاءه المدد من المغرب ونازل رقدة فامتنعت والطاغية أثناء ذلك يجوس خلال الانداس ونازل ابن الاحمر بغرناطة مع بنى اشقيلولة وابن الدليل ثم راجع ابن الاحمر مسالمة بنى مرين وبعث لابى زيان بن السلطان بالصلح واجتمع معه باحواز مريلة كما ذكر بعد ولما ارتحل السلطان من معسكره على جبل السكيوى يريد السوس ثم أغزى العساكر ورجع من طريقه الى مراكش حتى اذا انقضت غزاة البربر رجع الى فاس وبعث خطابه الى الآفاق مستنفرا فى الجهاد وفصل فى رجب من سنة ثمان وسبعين حتى انتهى الى طنجة وعاين ما اختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وما جرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما احدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ومن فيها وظاهره على ابن الاحمر منافسوه فى رياسته ببنى اشقيلولة فاستجره الرئيس أبو الحسن بن أبى اسحق صاحب وادى آش ونازل معه غرناطة سنة تسع وسبعين خمسة عشر يوما ثم أفرجوا ولقيهم عساكر غرناطة من زناتة بعد ذلك من سنتهم وغلبهم طلحة بن محلى وتاشفين بن معطى كبير

Marfat.com

يتربصون بحصن المسلى فأظهرهم الله عليهم وهلك من النصارى ما يناهز سبعمائة من فرسانهم واستشهد فيها من أعيان بنى مرين عثمان بن محمد بن عبد الحق واستجر الطاغية بعدها الرئيس أبو محمد عبد الله أخو صاحب وادى آش الى منازلة غرناطة فنازلها الطاغية وأقام عليها أياما ثم ارتحل وقد اعتز عليهم وأشفق السلطان على المسلمين وعلى ما نال ابن الاحمر من خسف الطاغية فراسله فى الموادعة واتفاق الكلمة وشرط عليه النزول عن مالقة فرجع السلطان الى ازالة العوائق عن شأنه من الجهاد وكان من أعظمها فتنة بغمراسن واستيقن مادار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية بن أخى أدفونش من الاتصال والاصفاق فى تجديد الصلح والاتفاق فلج وكشف الوجه فى العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدوة مسلمهم وكافرهم من الوصلة وانه معتزم على طى بلاد المغرب فصرف أمير المسلمين عزمه الى غزو بغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة أشهر من نزوله طنجة فدخلها آخر شوال وأعاد الرسل الى بغمراسن لاقامة الحجة عليه والتهيأ لمقاتلة بنى توجين والنجاة عنهم لموالاتهم أمير المسلمين فقام بغمراسن فى ركابه وقعد ولج فى طغيانه وارتحل أمير المسلمين من فاس سنة تسع وقدم ابنه أبا يعقوب فى العساكر وأدركه بتازى ولما انتهى الى ملوية تلوم فى انتظار العساكر ثم ارتحل الى تاسة ثم تاقيا وصمد اليه بغمراسن بحشود زناتة والعرب بحللهم وكانة تاجمتهم والتقت عيون القوم فكانت بينهما حرب وركب على آثارهما العسكران والتحم القتال وكان الزحف بخرزوزة من ملعب سبعى ورتب أمير المسلمين مصافه وجعل كتيبته وكتيبة ابنه الامير أبى يعقوب جناحين للعسكر واشتد القتال سائر النهار وانكشف بنو عبد الواد عند ما أراح القوم وانتهب جميع مخلفهم وما كان فى معسكرهم من المتاع والكراع والسلاح والفساطيط وبات عسكر أمير المسلمين ليلتهم فى صهوات خيلهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع بغمراسن واستلأثت أيدى بنى مرين من نعمهم وشائهم ودخلوا بلاد بغمراسن وزناتة ووافاه هنالك محمد بن عبد القوى أمير بنى توجين لقيه بناحية القصبات وعاثوا جميعا فى بلاده نهبا وتخريبا ثم أذن لبنى توجين فى اللحاق ببلادهم وأخذ هو بمضيق تلمسان متلوما لوصول محمد بن عبد القوى وقومه الى منجاتهم من جبل والنشريس حذرا عليهم من غائلة بغمراسن ثم أفرج عنها وقفل الى المغرب ودخل فاس شهر رمضان من سنة ثمانين ثم نهض الى مراكش فاحتل بها احدى وثمانين بعدها وسرح ابنه الامير أبا يعقوب الى السوس لتدويخ أقطاره ووافاه بمراكش صريخ الطاغية على ابنه شانجة الخارج عليه فاغتنم الفرصة فى فساد بينهم

Marfat.com

لقضاء أربه من الجهاد وارتحل مبادرا بالاجازة الى الاندلس والله تعالى أعلم

الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف صريخا للطاغية لخروج ابنه شانجة عليه وافتراق كلمة النصرانية وما كان في هذه الاخبار من الغزوات

لما رجع السلطان من غزاة تلمسان الى فاس وارتحل الى مراكش وافاه بها وفد الطاغية من بطارقته وزعماء دولته وقواميس ملته صريخا على ابنه شانجة خرج عليه في طائفة من النصارى وغلبوه على أمره فانتصر أمير المسلمين ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من أيديهم فأجاب أمير المسلمين داعيه رجاء للكرة بافتراقهم وارتحل حتى انتهى الى قصر المجاز وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد وأجاز الى الخضراء فاحتل بها لربيع الثاني من سنة احدى وثمانين واجتمعت عليه صالح الثغور بالاندلس وسار حتى نزل صخرة عباد فوافاه بها الطاغية ذليلا لعز الاسلام مؤتملا صريخ السلطان فأكبر وفادته وأكرم موصله وعظم قدره وأمده لافتقاده بمائة ألف من مال المسلمين استرهن فيها التاج الذخيرة عند سلفه وبني بدارهم نفرا للاعتاب لهذا العهد ودخل معه دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها شانجة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفة فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتثقل في جهاتها ونواحيها وارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرب عمرانها حتى انتهى الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلأت أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها الشعبان من سنته وكان عمر بن محلى نزع الى طاعة السلطان فهم به ابن الاحمر ونبذ اليه عهده وارتجع المنكب من يده ونازله بعساكره فاتح هذه السنة فجهز السلطان اليه لوصوله الجزيرة اسطوله وأفرج ابن الاحمر فبادر الى السلطان بطاعته ووصل بيعة شلوبانية فأبقاه فيها بدعوته ثم راجع طاعة ابن الاحمر في شوال من سنته فتقبل فيئته وأعاضه عنها بالمنكب الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن شأن السلم مع ابن الاحمر وتجافي السلطان له عن مالقة ثم تجدد الغزو بعد ذلك

لما اتصلت يد السلطان بيد الطاغية خشي ابن الاحمر غائلته فخلع الى الخارج عن أبيه ووصل يده بيده وأكد له العقد وأضرمت له الاندلس نارا وتغلغل تغلغل شانجة عن ابن الاحمر شيأ ورجع السلطان من غزاته مع الطاغية وقد ظاهر على ابنه فأجمع على منازلة مالقة ونهض اليها من الجزيرة فاتح ثنتين وثمانين فتغلب على الحصون الغربية كلها ثم أسعف الى مالقة فأناخ عليها بعساكره وضاق النطاق على ابن الاحمر وبدا له سوء المغبة في شأن مالقة ومداخلة ابن محلى في الغدر بها وأعمل نظره في الخلاص

Marfat.com

من ورطتها ولم يرلها الاولى عهد السلطان ابنه أبا يوسف فخاطبه بمكانه من المغرب مستصرخا رقع هذا الخرق وجمع كلمة المسلمين على عدوهم فأجابه واغتنم المثوبة في مسعاه وأجاز لشهر صفر فوافى أمير المسلمين بمعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاحمر عن شأن مالقة والتجافى له عنها فأسعف رغبة ابنه لما يؤمل في ذلك من رضا الله في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقد السلم وانبسط أمل ابن الاحمر وتجددت عزائم المسلمين وقفل السلطان الى الجزيرة وبث السرايا في دار الحرب فأوغلوا وأثخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غزة ربيع الثاني من سنة ثنتين وثمانين حتى انتهى الى قرطبة فأثخن وغنم وخرب العمران وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وخلف معسكره بظاهر رسانة وأغذ السير في أرض قفر للبلتين انتهى الى البرت من نواحي طليطلة فسرح الخيل في البسائط حتى تقرى جميع ما فيها ولم ينته الى طليطلة لتثاقل الناس بكثرة الغنائم وأثخن في القتل وقفل على غير طريقه فأثخن وخرب وانتهى الى ووقف بساحتها والعدو معجزون ثم رجع الى معسكره برسانة وأراح ثلاثا ينسف آثارها ويقتلع أشجارها وقفل الى الجزيرة فاحتل بها شهر رجب وقسم الغنائم ونفل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن الامير أبي مالك ابنه فهلك شهيدا بالمعرى لشهرين من ولايته وأجاز السلطان غزة شعبان الى المغرب ومعه ابنه أبو زيان منديل وأراح بطنجة ثلاثا وأغذ السير الى فاس فاحتل بها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسكه ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا وازدرد فأقام برباط الفتح شهرين اثنين واحتل مراكش فاتح ثلاث وثمانين وبلغه مهلك الطاغية ابن أدفونش واجتماع النصرانية على ابنه شانجة الخارج عليه فتحركت الى الجهاد عزائمه وسرح الامير أبا يعقوب ولى عهده بالعساكر الى بلاد السوس لغزو العرب وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المتحيزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار مسغبة وعطشا وقفل لما بلغه من اعتلال أمير المؤمنين ووصل الى مراكش وقد أبل وقد اعتزم على الجهاد والغزو شكر الله كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن اجازة السلطان أبي يوسف الرابعة} {ومحاصرة شريش وما تخلل ذلك من الغزوات}

لما اعتزم أمير المسلمين على الاجازة واعترض جنوده وحاشيته وأزاح علتهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة الثلاث وثمانين

واحتل رباط الفتح منتصف شعبان ففقدنى به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر مصمودة وشرع فى اجازة العساكر والجنود من المرتزقة والمطوعة خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه غزة صفر من سنة أربع بعدها واحتل بظاهرها ثم سار من الخضراء وأراح أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادلك وسرّح الخيول فى بلاد العدو وبسائطها يحرق وينسف فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها وبث السرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالح التى كانت بالثغور فتوافت لديه ولحقه حافده عمر بن أبى مالك بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافته حصة العزفى من سبتة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة رأس وعزالى ولى عهده الامير أبى يعقوب باستنفار من بقى من العدوة واعطاء الراية وسرّحه لغزو اشبيلية لآخر صفر من سنته فغنموا ومرّوا بترمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأثخنوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم وبعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن عمران بن عبلة عيونا فوافوا نواحى القاطر وروضه واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور فعقد ثالثة لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان لثالثة من ربيع وأعطاه الراية وسرّحه الى بسائط وادلك فرجعوا من الغنائم بما ملأ العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها ثم سرح ثامن ربيع عسكرا للاغارة على حصن أركش ووافوه على غرة فاكتسحوا أموالهم ثم عقد تاسع ربيع لابنه أبى معروف على ألف من الفرسان وسرّحه لغزو اشبيلية فسار واحتى عليها واغبرت منه حامتها فخرب عمرانها وقطع شجرها وامتلأت أيدى عسكره سبيا وأموالا ورجع الى معسكر السلطان مملوءا الحقائب ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع لغزو حصن كان بالغرب من معسكره وسرّح الرجل من الناشبة والفعلة بالآلات وأمده بالرجل من المصامدة وغزاه سنته فاقتحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية وأرغموا خده بالتراب ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن سقوط قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى أهله ولعشرين من شهره وصل ولى عهده الامير أبو يعقوب من العدوة بنفير أهل المغرب وكافة القبائل فى جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب أمير المسلمين للقائهم وبرز قدمهم واعترض العساكر الموافية يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب متطوعون كلهم بالجهاد فعقد السلطان له على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر لفا من الرجلين وألفين من الناشبة وسرّحه

Marfat.com

لغزوا شبيلية والانخان فى نواحيها فعبى كتائبه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأثخنوا وسبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسحوا الاموال وعاج على الشرق والغابة من بسيط اشبيلية فتسنف قراها واقتحم من حصونها وقفل الى معسكر أمير المسلمين فوصله غداة وصوله وأمده بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادى الكبير فأغار على قرمونة وطمعت حاميتها فى المدافعة فبرز واله وصدقهم القتال فانكشفوا حتى أحجزوهم فى البلد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشبيلية فأغار واقتحم برجا كان هنالك بناء على المسلمين وأضرمه نارا وامتلأت أيدى عساكره وقفل الى معسكر أمير المسلمين ولثلاث عشرة من ربيع الثانى عقد للامير أبى يعقوب لمنازلة جزيرة كيوثر فصمد اليها وقاتلها واقتحمها عنوة وفى ثانى جمادى عقد لطلحة بن يحيى بن محمد بن على وكان بعد مداخلته أخاه عمر فى شأن مالقة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج فقضى فرضه ورجع ومر فى طريقه بتونس واتهمه الدعى بن أبى عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة ثنتين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم أجاز الاندلس غازيا فى ركاب السلطان فعقد له فى هذه الغزاة على مائتين من الفرسان وسرحه الى اشبيلية ليكون رتبة للمعسكر ويشيعه لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية شانجة وأمير المسلمين أثناء ذلك بغادى شريش ويراوحها بالقتال والتخريب ونسف الآثار وبث السرايا كل يوم وليلة فى بلاد العدو فلا يخلو يوما عن تجهيز عسكر أو اغزاء جيش أو عقد رايات وبعث سرية حتى اتسف العمران فى جميع بلاد النصرانية وخرب بسائط اشبيلية وليلة وقرمونة واستجة وجبال الشرق وجميع بسائط الدرتيرة وأبلى فى هذه الغزوات عباد العاصمى من شيوخ جشم وخضر الغزى أمير الاكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وكذلك غزاة سبتة وسائر المجاهدين والعرب من جشم وغيرهم فلما دمرها تدميرا ونسفها تخريبا واكتسحها اغارة ونهبا وزحم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر اعتزم على القفول وأفرج عن شريش لآخر رجب ووافاه مدد غرناطة من عساكر الغزاة وقائدهم يعلى بن أبى عباد بن عبد الحق بوادى بردة فلقاهم بمرة وتكريما وانقلبوا الى أهلهم واتصل به أن العدو اوعز الى اساطيله باحتمال الزقاق والاعتراض دون الفرائض فأوعز أمير المسلمين الى جميع سواحله من سبتة وطنجة والمنكب وجزيرة وطريف وبلاد الزيف ورباط الفتح واستدعى أساطيله فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا منه كامله فى عدتها فأجمعت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل بالجزيرة غرة رمضان واستيقن الطاغية شانجة وأهل ملته أن بلادهم

Marfat.com

قدفنيت وأرضهم خربت وتبينوا العجز عن المدافعة والحماية فنحوا الى السلم وضرعوا
الى أمير المسلمين فى كف عاديته عنهم على مايذكر ووصل الى السلطان بمكانه من منازلة
شريش عمر بن أبى يحيى بن محلى نازعا الى طاعته فاتهمه لما سبق من تلاعبه وأمر أخاه
طلحة فنكبه واحتمل الى طريف فاعتقل بها وسار طلحة الى المنكب فاستصفى أموال
أخيه عمر وذخائره وسار الى السلطان و أخاه وسى على عمله بالمنكب
وأمده بعسكر من الرجل ثم أطلق عمر للبال من اعتقاله وأجاز طلحة وعمر فى ركاب
السلطان ونزع منصور بن أبى مالك حافد السلطان الى غرناطة ثم لحق منها بالمنكب
وأقام مع موسى بن يحيى بن محلى فأقره السلطان ورضى بمقامه والله تعالى أعلم

(الخبر عن وفادة الطاغية شانجة وانعقاد السلم ومهلك السلطان على تفيئة ذلك)

لما نزل ببلاد النصرانية بلاد ابن أدفونش من أمير المسلمين ما نزل من تدمير قراهم
واكتساح أموالهم وسبى نسائهم وابادة مقاتلتهم وتخريب معاقلهم وانتساف عمرانهم
زاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لاعاصم من أمير المسلمين
فاجتمعوا الى طاغيتهم شانجة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود
الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين فى السلم وابعاد
الملام من كبار النصرانية عليه فى ذلك والافلا تزال تصيبهم منه قارعة وتحل قريبا من
دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهضيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وفدا
من بطارقتهم وشمامستهم وأساقفتهم يخطبون السلم ويضرعون فى المهادنة والابقاء
ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة
على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسعفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن
من صاغيتهم اليه وذلهم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من
مسالمة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته فى ولاية جيرانه من
الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار الحرب من بلاده وترك
التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم فى فتنة وبعث لعمه عبد الحق بن الترجمان
باشتراط ذلك واحكام عقده فاستبلغ وأكد فى الوفاء ووفدت رسل ابن الاحمر
الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه دون أمير المسلمين على قومه ومدافعته عنهم
فأحضرهم بمشهد ابن الترجمان وأسمعهم ما عقد أمير المسلمين على قومه وأهل ملته وقال
لهم انما أنتم عبيد آبائى فلستم معى فى مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين ولست
أطيق مقاومته ولا دفاعه عنكم فانصرفوا ولما رأى عبد الحق صاغيته الى مرضاة
السلطان وسوس اليه بالوفادة لتمكن الالفة وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك فى حل

Marfat.com

السخيمة وتسكين الحفيظة وتمكين الالفة فصغى الى وفاقه وسأل لقى الامير أبى يعقوب ولى عهده من قبل ليطمئن عليه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء أمير المسلمين وقد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعار الاسلام وأهبته فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية ولقيه أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقى بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية أتحف بها أمير المسلمين وابنه من ظرف بلاده كان فيها زوج من الحيوان الوحشى المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الظرف فقبلها السلطان وابنه وقابلوه بكفائها ومضاعفتها وكمل عقد السلم وتقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام عنه وانقلب الى قومه بمل صدره من الرضا والمسرة وسأل منه أمير المسلمين أن يبعث من كتب العلم التى بأيدى النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فاستكثر من أصنافها فى ثلاثة عشر حملا بعث بها اليه فوقفها السلطان بالمدرسة التى أسسها بفاس لطلب العلم وقفل أمير المسلمين الجزيرة لليلتين بقيتا لرمضان فقضى صومه ونسكه وجعل من قيام ليله جزأ لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم الفطر بمشهد الملا فى مجلس أمير المسلمين وكان من أسبقهم فى ذلك الميدان شاعر الدولة عزوز المكناسى ذكر فيها سير أمير المسلمين وغزواته على نسق ثم أعمل أمير المسلمين نظره فى الثغور فرتب بها المصالح وعقد عليها لابنه الامير أبى زيان منديل وأنزله بركوان مقربة مالقة واستوصاه بأن لا يحدث فى بلاد ابن الاحمر حدثا وعقد لعياد بن أبى عياض العاصمى على مسلة أخرى وأنزله باطبونة وأجاز ابنه الامير أبا يعقوب لتنفقد أحوال المغرب ومباشرة أموره فأجاز فى أسطول القائد محمد بن القاسم الرندا حى قائد سبتة وأوعز اليه بالبناء على قبر أبيه أبى الملوك عبد الحق ولقيه ادريس بتافرطست اختط هنالك رباطا وبنى على قبورهم أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء التلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وفدنا وهلك خلال ذلك وزيره يحيى بن أبى منديل العسكرى لمنتصف رمضان ثم اعتل بعد ذلك أمير المسلمين لشهر ذى الحجة واشتد وجعه وهلك لآخر محرم سنة خمس وثمانين وستمائة والله أعلم

(الخبر عن دولة السلطان وما كان فيها من الاحداث وشأن الخوارج لاول دولته)

لما اعتل أمير المسلمين أبو يوسف بالجزيرة مرضه نساؤه وطبرن الخبر الى ولى العهد الامير أبى يعقوب وهو بمكانه من المغرب فأغذ السير وقضى على أمير المسلمين قبل وصوله فأخذ له البيعة على الناس وزراء أبيه وعظماء قومه وأجاز اليهم البحر فجددوا بيعته غرة

صفر سنة خمس وثمانين وأخذوها على الكافة وانعقد أمر السلطان يومئذ ففرق
الاموال وأجزل الصلات وسرح السجون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر
ووكلهم فيها الى أماناتهم وقبض أيدى العمال عن الظلم والاعتداء والجور على الرعايا
ورفع المكوس ومحا رسم الرتب وصرف اعتناءه الى اصلاح السابلة وكان أول شئ
أحدث من أمره الى ان بعث ابن الاحمر وضرب موعد اللقائه فبدر اليه ولقيه بظاهر
مربالة لاول ربيع ولقاه مبرة وتكريما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التى
كانت لملكته ماعدا الجزيرة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات
المصافاة والوصلة ورجع السلطان الى الجزيرة ووافاه بها وفد الطاغية شانجة مجددين
عقد السلم الذى عقد له أمير المسلمين عفا الله عنه فأجابهم ولما تمهد أمر الاندلس ومر
عن النظر فيها عهد لأخيه ابى عطية العباس على الثغور الغربية والامارة عليها وعقد
لعلى بن يوسف بن على مصالحها وأمده بثلاثة آلاف من عساكره وأجاز
الى المغرب فاحتل بقصر مصمودة سابع ربيع الثانى ثم ارتحل الى فاس واحتل بها
لثنتى عشرة خلت من جمادى ولحين استقراره بدار ملكه خرج عليه محمد بن ادريس
ابن عبد الحق فى اخوته وبنيه وذويهم ولحق بجبل ورغة ودعا لنفسه وسرح اليه
السلطان أخاه أبا معروف فبداله فى النزوع اليهم ولحق بهم فأغزاهم السلطان عساكره
وردد اليهم البعوث والكتائب وتلطف فى استنزال أخيه فنزل عن الخلاف وعاد الى
أحسن طاعته وفر أولاد ادريس الى تلمسان وتقبض عليهم أثناء طريقهم وسرح
السلطان أخاه أبا زيان الى تازى وأوعز اليه بقتلهم خارج تازى لرجب من سنة
خمس وثمانين ورهب الاعياص عند ذلك من بادرة السلطان ففرقوا ولحق بغرناطة
أولاد أبى العلاء ادريس بن عبد الحق وأولاد يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان ابن يزول
ورجع أولاد أبى يحيى الى السلطان بعد اقتضاء عهده وامانه وهلك أخوه محمد بن
يعقوب بن عبد الحق لشعبان من سنته وهلك عمر بن أخيه أبى مالك بطنجة ثم خرج على
السلطان عمر بن عثمان بن يوسف العسكرى بقلعة قندلاوة ونبذ الطاعة وأذن بالحرب
وأوعز السلطان الى بنى عسكر ومن اليهم من القبائل المجاورين لها فاحتشدوا له ونازلوه
ثم نهض بركابه وعساكره الى منازلته واحتل بسدورة وخافه عمر على نفسه وأيقن أنه
أحيط به فسأل الامان وبذله السلطان على شريطة اللحاق بتلمسان فبعث من يوثق به من
الخيرة فنزل فوفى له السلطان بعهده ولحق بتلمسان بأهله وولده ثم ارتحل السلطان فى
رمضان من سنته الى مراكش لتمهيد انحائها وتثقيف أطرافها واحتل بها فى شوال
واعتمل النظر فى مصالحها ونزع خلال ذلك طلحة بن محلى البطوى الى بنى حسان من

Marfat.com

لمعقل وخرج على السلطان ودعا لنفسه وعقد السلطان لمنصور بن أخيه أبي مالك على عساكر وعهد له بولاية البوس وسرّحه لاستنزال الخوارج ومحو آثار الفساد بارتاب بمكان أخيه عمر فغربه الى غرناطة فقتله أولاد أبي العلاء يوم وصوله اليها فسار الامير منصور في الجيوش والكتائب وغزا عرب المعقل وأثخن فيهم وقتل طلحة بن محلى في بعض حروبهم لثلاثة عشر في جمادى سنة ست وثمانين وبعث براسه الى سدة السلطان فعلق بتازى ثم نهض في رمضان لغزو المعقل بصحراء درعة لما أضرّوا العمران وأفسدوا السابلة وسار اليهم في اثني عشر ألفا من الفرسان ومرّ على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم بالقفر نواجع فأثخن فيهم بالقتل والسبي واستكثر من رؤسهم فعلقت بشرافات مراكش وبعلماسة وفاس وعاد من غزوه الى مراكش آخر شوال فنكب محمد بن علي بن محلى عاملها القديم الولاية عليها من لدن غلب الموحدين لما وقع من الارتياب بأولاد محلى لما آتاهم كبيرهم طلحة فنكب غرة المحرم من سنة سبعين وهلك في محبسه لشهر صفر بعده وهلك على ذلك المزوار قاسم بن عتو وعقد السلطان على مراكش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتي من موالي دولتهم ولاء الحلف وترك معه ابنه أبا عامر ثم ارتحل الى حضرة فاس فاحتل بها منتصف ربيع ووافته بها عرسه بنت موسى بن زحو بن عبد الله بن عبد الحق من غرناطة في وفد من وزراء ابن الاحمر وأهل دولته فأعرس بها وكان بعث الى أبيها من قبل في الاصهار بها ووافت معها رسل ابن الاحمر يسألونه التجافي عن وادي آش وأعفهم بها كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

* (الخبر عن دخول وادي آش في طاعة السلطان ثم رجوعها الى طاعة ابن الاحمر) *

كان أبو الحسن بن اشقيلولة ظهير السلطان بن الاحمر على ملكه ومعينه على شأنه وكان له في الدولة بذلك مكان ولما هلك خلف من الولد أبا محمد عبد الله وأبا اسحق ابراهيم فعقد ابن الاحمر لابي محمد على مالقة ولابي اسحق على قمارش ووادي آش ولما هلك السلطان ابن الاحمر حدثت مغاضبات ومنافسات بينهما وبينه وتأدى ذلك الى الفتنة كما نقلناه ودخل أبو محمد في طاعة السلطان أبي يوسف ثم هلك فلحق ابنه محمد بالسلطان ونزل له عن البلد سنة ست وسبعين ثم هلك أبو اسحق سنة ثنتين وثمانين وغلب ابن الاحمر على حصن قمارش وصار اليه وكان الرئيس أبو اسحق قد عقد لابنه أبي الحسن على وادي آش وحصونها واتصلت الفتنة بينه وبين ابن الاحمر وظاهر أبو الحسن عليه الطاغية وأجلب أخوه أبو محمد معه على غرناطة هو وابن الدليل وطال أمر الفتنة بينهما وبين ابن الاحمر ثم انعقد السلم بين المسلمين والنصارى وخشي أبو محمد بن اشقيلولة على نفسه عادية

ابن الاحمر فتذمم بطاعة صاحب المغرب وأقام دعوته بوادى آش سنة ست وثمانين فلم يعرض لها ابن الاحمر حتى اذا وقعت المواصلة بينه وبين ابن السلطان أبى يعقوب، وكان شأن هذا الصهر على يده بعث رسله الى السلطان يسأله التجافى عن وادى آش فتجافى له عنها وبعث الى أبى الحسن بن اشقيلولة بذلك فتركها وارتحل اليه سنة سبع وثمانين ولقيه بسلا فأعطاه القصر الكبير وأعمالة طعمة سوغه اياها ثم لم تزل البنية آخرد ولتهم واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم

(الخبر عن خروج الامير أبى عامر ونزوعه الى مراكش ثم فيئته الى الطاعة)

لما احتل السلطان بفاس وأقام بها خرج عليه ابنه أبو عامر ولحق بمراكش ودعا لنفسه اخريات شوال من سنة سبع وثمانين وساعده على الخلاف والانتزاء عاملها محمد بن عطو وخرج السلطان فى أثره الى مراكش فبرز الى لقائه فكانت الدائرة عليهم وحاصرهم السلطان بمراكش أياما ثم خلص أبو عامر الى بيت المال فاستصفى ما فيه وقتل المشرف بن أبى البركات ولحق بجبال المصامدة ودخل السلطان من عدته الى البلد يوم عرفة فقضاوسكن ونهض منصور ابن أخيه الامير أبو مالك من السوس الى حاجة فدوخ انحاءها ثم سرح اليه المدد من مراكش فأوقعوا بركنة من برابرة السوس وقتل منهم ما يناهز أربعين من سرواتهم وكان فيمن قتل منهم شيخهم حيون بن ابراهيم ثم ان ابنه أبا عامر ضاق ذرعه بسخط أبيه واجلابه فى الخلاف فلحق بتلمسان ومعه وزيره ابن عطو فاتح سنة ثمان وثمانين فآواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان ولبثوا عنده أياما ثم عطفت السلطان على ابنه رحم كما عطفت ابنه عليه فرضى عنه وأعاده الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطو الناجم فى النفاق مع ابنه فأبى من اضاعة جواره واختفارذمته وأغلظ له الرسول فى القول فسطا به واعتقله فثارت من السلطان الحفائظ الكامنة وتحركت الاحن القديمة والنزلات المتوارثة واعتزم على غزو تلمسان والله أعلم

{الخبر عن تجدد الفتنة مع عثمان بن يغمراسن} {وغزو السلطان مدينة تلمسان ومنازلته اياها}

كانت الفتنة بين هذين الحيين قديمة من لدن مجالاتهم بالقفر من حمراء ملوية الى صا الى فيكيك ولما انتقلوا الى التلول وتغلبوا على الضواحى بالمغرب الاقصى والاوسط لم تزل فتنتهم متصلة وأيام حروبهم فيها مذكورة وكانت دولة الموحدين عند اختلالها والتياثها تستنصر منهم بالتضريب بينهم والفتنة فتشكاءت لذلك أحوالها واتصلت

Marfat.com

أيامها وكان بين يغمراسن بن زيان وأبي يحيي بن عبد الحق فيها وقائع ومشاهد نقلنا
بعضها من كل واستظهر الموحدون بيغمراسن عليه في بعضها وكان الغلب أكثر
ما يكون لابي يحيي عبد الحق لوفور قبيله الا أن يغمراسن كان يتصدى لمقاومته في سائر
وقائعه ولما طمس أثر بني عبد المؤمن واستولى يعقوب بن عبد الحق على ملكهم
وصارت في جملته عساكرهم وتضاعف عليه وأسف على ملك يغمراسن ملكه وجمع له
فأوقع به في تلاعيغ الواقعة المعروفة ثم أوقع به ثانية وثالثة ولما استوت قدم يعقوب بن
عبد الحق في ملكه واستكمل فتح المغرب وسائر أمصاره وكبح يغمراسن عن التطاول
الى مقاومته ورهن قواه بثقل جموعه ومنازلته في داره ومظاهرة أقتاله من زناتة بني
توجين ومغراوة عليه فانصرف بعد ذلك الى الجهاد فكان له فيه شغل عما سواه كما نقلناه
في أخباره ولما انصرف ارتاب بن الاحمر بمكان السلطان يعقوب بن عبد الحق من
الاندلس وحذره على ملكه وتظاهر مع الطاغية على منعه من الاجازة الى عدوتهم
ثم خشوا أن لا يستقلوا بمدافعته فراسلوا يغمراسن في الاخذ بحجزته وأجابهم اليها
وجرد عزائمه لها واتصلت أيديهم في التظاهر عليه ثم فسد ما بين ابن الاحمر والطاغية
ولم يكن له بد من ولاية يعقوب بن عبد الحق فتولى بواسطة ابنه يوسف بن يعقوب كما
ذكرناه وأطلعوه على خبء يغمراسن في مظاهرتهم فأغزاه سنة تسع وسبعين وهزمه
بخرزونة ونازله بتلمسان ووطأ عدوه من بني توجين بساحته كما ذكرناه ثم انصرف الى
شأنه من الجهاد وهلك يغمراسن بن زيان على تفيئة نهلك سنة احدى وثمانين وأوصى
ابنه عثمان ولي عهده زعموا أن لا يحدث نفسه بمقاومة بني مرين ومساماتهم في الغلب
وأن لا يبرز الى لقائهم بالصحراء وان يلوذ منهم بالجدران متى سموا اليه وألقى اليه زعموا
أن بني مرين بعد تغلبهم على مراكش وانضياف سلطان الموحدين الى سلطانهم
ازدادت قوتهم وتضاعف غلبهم وقال له زعموا فيما أوصاه ولا يغرنك اني رجعت اليهم
بعدها وبرزت الى لقائهم فاني أنفت ان أرجع عن مقاومتهم بعد اعتيادها وأترك
مبارزتهم وقد عرفها الناس وأنت لا يضرك العجز عن مبارزتهم والنكول عن لقائهم
فليس لك في ذلك مقام معلوم ولا عادة سالفة واجهد جهدك في التغلب على افريقية
وراءك فان فعلت كانت المناهضة وهذه الوصاة زعموا هي التي حملت عثمان وبنيه من
بعده على طلب ملك افريقية ومنازلة بجاية وحربهم مع الموحدين ولما هلك يغمراسن
ذهب ابنه الى مسالمة بني مرين فبعث أخاه محمدا الى السلطان يعقوب بن عبد الحق
وأجاز البحر اليه بالاندلس ووافاه بأركش في اجازته الرابعة سنة أربع وثمانين فعقد له
ما جاء اليه من السلم والمهادنة ورجعه الى أخيه وقومه ممتلئا كرامة وسرورا وهلك

Marfat.com

يعقوب بن عبد الحق اثر ذلك سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وانتزى الخوارج عليه بكل جهة فشمر لهم واستنزلهم وحسم أدواءهم ثم خرج عليه ابنه آخرا كما ذكرناه بمالاة وزير السلطان محمد بن عطوا ثم فاء الى طاعة أبيه ورضى عنه وأعاده الى مكانه من حضرته وطالب عثمان بن يغمراسن كما ذكرناه فى ابن عطوا المنتزى عليه مع ابنه فأبى عثمان من تسليمه وتحركت حفيظة السلطان واعتزم على غزوهم فارتحل من مراكش لصفر من سنة سبع وثمانين وعقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن ثم نهض لغزاته من فاس آخر ربيع من سنته فى عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نزل تلمسان فانحجز عثمان وقومه بها ولاذوا منه بمجدرانها فسار فى نواحيها ينسف الآثار ويخرب العمران ويحطم الزرع ثم نزل بذراع الصابون بساحتها ثم انتقل منه الى تامة وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتنعت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفاء من بلاد بنى يرناتن ونسك الاضحى وقربانه بتازى وتلبث بها ومنها كان فصوله للغزو عند انتقاض الطاغية كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الطاغية واجازة السلطان لغزوه)

لما رجع السلطان من غزو تلمسان وافاه الخبر بأن الطاغية شانجة انتقض ونبذ العهد وتجاوز الحدود وأغار على الثغور فأوعز الى قائد المسالح على بن يوسف بن يرناسن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية فنهض لذلك فى ربيع الآخر من سنة تسعين وجاس خلالها وتوغل فى أقطارها وأبلغ فى النكاية وفصل السلطان من تازى غازيا على اثره فى جمادى واحتل قصر مصمودة واستنفر أهل المغرب وقبائله ونفروا وشرع فى اجازتهم البحر وبعث الطاغية اساطيله الى الزقاق حجرا دون الاجازة فأوعز السلطان الى قواد اساطيله بالسواحل فأغزاهم والتقت الاساطيل ببحر الزقاق فى شعبان فاقتتلوا وانكشف المسلمون ومحصهم الله ثم أغزاهم ثانية وخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق وملكته أساطيل السلطان فأصاب أخريات رمضان واحتل بطرين ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن جبيرلانة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا فى أرض العدو وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى أن بلغ فى النكاية والاثخان وقضى من الجهاد وطرا وزاحه فصل الشتاء وانقطاع المبرة عن العسكر فأفرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة ثم أجاز الى المغرب فاتح احدى وتسعين فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه كما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

Marfat.com

(الخبر عن انتقاض ابن الاحمر وظاهرته للطاغية على طريف اعادها الله للمسلمين)

لما فقل السلطان من غزاته فاتح احدى وتسعين كما ذكرناه وقد أبلغ فى نكاية العدو وأثخن فى بلاده فأهم الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته والتمس الوليجة من دونه وحذر ابن الاحمر غائلته ورأى أن مغبة حاله الاستيلاء على الاندلس وغلبه على أمره ففاوض الطاغية وخلصوا نجيا وتحدثوا أن استمكانه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافيه لتصرف شوانيهم وسفنهم متى أرادوا فضلا عن الاساطيل وان أم تلك الثغور طريف وأنهم اذا استمكنوا منها كانت ربيئة لهم على بحر الزقاق وكان اسطولهم يرفأ بها بمرصد الاساطيل صاحب المغرب الخائضين لجة ذلك البحر فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وزعم له ابن الاحمر بظاهرته على ذلك وشرطه المدد والميرة لاقوات العسكر ايام منازلتها على ان تكون له ان خلصت وتعاونوا على ذلك وأناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف والح عليها بالقتال ونصب الآلات وانقطع عنها المدد والميرة واختلت أساطيله بحر الزقاق فخالوا دون الصريخ من السلطان واخوانهم المسلمين واضطر ابن الاحمر معسكره بمالقة قريبا منه يسرب اليه المدد من السلاح والرجال والميرة من الاقوات وبعث عسكر المنازلة حصن اصطخونة وتغلب عليه بعد مده من الحصار واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية فى الصلح والنزول عن البلد فصالحهم واستنزلهم سنة احدى وتسعين ووفى لهم بعهده واستشرف ابن الاحمر الى تحاف الطاغية عنها لما عقد واعليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان نزل له عن مدينة من الحصون عوضا منها ففسدت بينهما ورجع ابن الاحمر الى تمسكه بالسلطان واستعانته به لاهل ملته على الطاغية وأوفد ابن عمه الرئيس أبا سعيد فرج بن اسمعيل ابن يوسف ووزيره أبا السلطان عزيز الدانى فى وفد من أهل حضرته لتجديد العهد وتأكيد المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف فوافوه بمكانه من منازلة تازوطا كما يذكر بعد فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاحمر سنة ثنتين وتسعين باسعاف غرضه من المواخاة واتصال اليد وهلك خلال ذلك قائد المالح بالاندلس على بن يزكاسن فى ربيع الاول سنة ثنتين وتسعين وعقد السلطان لابنه ولى عهده الامير أبى عامر على ثغور الاندلس التى فى طاعته وعهد له بالنظر فى مصالحها وأنفذه الى قصر المجاز بعساكر فوافاه هنالك السلطان ابن الاحمر كما يذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن وفادة ابن الاحمر على السلطان والتقائهما بطنجة)

Marfat.com

لما رجعت الرسل الى ابن الاحمر وقد كرمت وفادتهم وقضيت حاجتهم وأحكمت فى المواخاة مقاصدهم وقع ذلك من ابن الاحمر أجمل موقع وطار سرورا من اعواده وأجمع الرحلة الى السلطان لاحكام الود والاستبلاغ فى العذر عن واقعة طريف وشأنها واستعدادهم لاغاثة المسلمين ونصرهم من عدوهم فاعتزم على ذلك وأجاز البحر ذا القعدة سنة ثنتين وتسعين واحتل ببنيونش من ساحة سبتة ثم ارتحل الى طنجة وقدم بين يدى نجواه هدية أتحف بها السلطان كان من أحفلها وأحسنها موقعا لديه فيما زعموا المصحف الكبير أحد مصاحف عثمان بن عفان أحد الاربعة المنبعثة الى الآفاق المختص هذا منها بالمغرب كما نقله السلف كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة فتلقاه الامير أبو عامر هنالك وأخوه الامير أبو عبد الرحمن ابنا السلطان واحتفلا فى مبرته ثم جاء السلطان على اثرهما من حضرته لتلقيه وبرور مقدمه ووافاه بطنجة وبلغ فى تكرمته وبره وفادته ما يكرم به مثله وبسط ابن الاحمر العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان عن العذل وأعرض عنه وقبل منه وبره واحتفى ووصل وأجزل ونزل له ابن الاحمر عن الجزيرة وريدة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس كانت من قبل لطاعة صاحب المغرب ونزل عساكره وعاد ابن الاحمر الى الاندلس خاتم ثنتين وتسعين محبورا وأجازت عساكر السلطان معه لحصار طريف وعقد على حربها ومنازلتها الوزير الطائر الذكر عمر بن السعود بن الخرباش الجشمى فنازلها مدة وامتنعت فأفرج عنها وصرف السلطان همته الى غزو تلمسان وحصارها كما يذكر ان شاء الله تعالى

﴿ الخبر عن انتزاء الوزير الوساطى بحصن تازوطا ﴾
﴿ من جهات الريف واستنزال السلطان اياه ﴾

كان بنو الوزير هؤلاء رؤساء بنى واطاس من قبل بنى مرين ويرون ان نسبهم دخيل فى بنى مرين وأنهم من أعقاب على بن يوسف بن تاشفين لحقوا بالبدو ونزلوا على بنى واطاس ورسخت فيهم عروقهم حتى لبسوا جلدتهم ولم يزل السرو متربعا بين أعينهم لذلك والرياسة شامخة بأنوفهم وكانوا يرون الفتك بالامراء من أولاد عبد الحق فلم يطيقوه ولما احتل السعيد بتازى غازيا الى تلمسان كما ذكرناه ولحق ببلدهم الامير أبو يحيى بن عبد الحق ائتمروا فى الفتك به ونذر بشأنهم فارتحل فمروا الى غبولة وعين السفا من بلاد بنى يرناسن وهنالك بلغه خبر مهلك السعيد وكانت بلاد الريف لبنى واطاس من لدن دخول بنى مرين المغرب واقتسامهم لاعماله فكانت ضواحيها لنزالهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع المعاقل بالمغرب وكان الملوك من أولاد عبد الحق يعتنون بشأنه وينزلونه من أوليائهم من يثقون بغنائه

واطلاعه ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط وشجا في صدورهم عما يسيمون اليه وكان السلطان قد عقد عليه لمنصور ابن أخيه الامير أبي مالك بعد مهلك ابنه أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق وكان عمر بن يحيى بن الوزير وأخوه عامر رئيسين على واطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان بعد مهلك أبيه وحدثوا أنفسهم بالانتزاء بتازوطا والاستبداد بتلك الناحية فوثب عمر منهم بمنصور ابن أخي السلطان شهر شوال من سنة احدى وتسعين وقتل برجاله وذويه وأزعجه عنها وغلبه على مال الجباية الذي كان بقصره فاستصفاه وتأثر به واستبد وشحن الحصن برجاله وحاشيته ووجوه قومه ووصل منصورا الى السلطان وهلك المال من منجاته أسفا لما أصابه وسرح السلطان وزيره الطائر الذكر عمر بن السعود بن خرباش بالعساكر لنازلته فأناخ عليه ثم نهض السلطان على أثره ووافاه واضطرب معسكره بساحته وخالف عامر أخاه عمر الى السلطان بقومه حذرا من مغبة الامر وأشفق عمر اشدة الحصار ويئس من الخلاص وظن أن قد أحيط به ودس الى أخيه عامر فاستأذن السلطان في مداخلته في الدخول على الحصن فأذن له واحتمل ذخيرته وفر الى تلمسان وبدا لعامر في رأيه عند ما خلص الى الحصن وخلا له من أخيه عمر الجو وحذر غائلة السلطان وخشي أن يثأر منه بابن أخيه فامتنع بالحصن ثم ندم وسقط في يده وفي خلال ذلك كان وصول وفد الاندلس وأرسوا أساطيلهم بمرسى عساسة فبعث اليهم عامر أن يشفعوا له عند السلطان لو جاههم اديه فتقبلت شفاعتهم على شريطة اجازته الى الاندلس وكره ذلك وقدم بين يديه بعض حاشيته الى الاسطول مكرا بهم وخاض الاثيل الى تلمسان وتقبض السلطان على ولده وقتا واسلم أهل الاسطول من كان من حاشيته لديهم وتجافوا عن اجازتهم على السلطان لما مكر بهم عامر فامر فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم وغلك السلطان حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادى من سنة ثنتين وتسعين والله تعالى أعلم

(الخبر عن نزوع أبي عامر ابن السلطان الى بلاد الريف وجهات غمارة)

كان الامير أبو عامر بعد اجازة ابن الاحمر الى السلطان أبيه ورضاه عنه وتأكيد مواخاته واغراء وزيره بمنازلة طريف واستنزاله أولاد الوزير المتحصنين بحصن تازوطا رجع من قصر مصمودة الى بلاد الريف بايعاز أبيه اليه بتكبين أحوالها وكان أولاد الامير أبي يحيى بن عبد الحق قد نزعوا الى تلمسان لسعاية فيهم وقرت في صدر السلطان فأقاموا بها أياما ثم استعطفوا السلطان واسترضوه فرضي وأذن لهم في الرجوع الى محلهم من قومهم ودواتهم وبلغ الخبر الامير أبا عامر وهو بمعسكره من الريف فأجمع على

Marfat.com

اعتيالهم في طريقهم فظن أنه يرضى بذلك أباه واعترضهم بوادي القطف من ملوية سنة خمس وتسعين فاستلمهم وانتهى الخبر الى السلطان فقام في ركابه وقعد وتبرأ الى ابنه من احتقار ذمته ومن ضنيع ابنه وسخطه وأقصاه فذهب مغاضبا ولحق ببلاد الريف ثم صاعد الى جبل غمارة فلم يزل طريدا بينهم ونازلته عساكر أبيه لنظر ميمون بن وردار الجشمي ثم لنظر يزريكن بن الولاة تاميمونت وأوقع بهم مرارا آخرها ببرزيكن سنة سبع وتسعين وذكر الربيعي مؤرخ دولتهم أن خروجه بجبل غمارة كان سنة أربع وتسعين وقتله لأولاد الامير أبي يحيى كان سنة خمس وتسعين بعدها أغزاهم من مثوى انتزائه وقتلهم كما ذكرناه والله أعلم ولم يزل هذا دأبه الى أن هلك ببني سعيد من جبال غمارة سنة ثمان وتسعين ونقل شلوه الى فاس فووري بباب الفتوح مطمد قومهم هنالك وأعقب ولدين نقلهما السلطان جدهما فكانا الخليفتين من بعده على ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

*(الخبر عن حصار تلمسان الكبير وما تخلل ذلك من الاحداث)

كان عثمان بن يغمراسن بعد افراج السلطان سنة تسع وثمانين وانتقاض الطاغية وابن الاحمر عليه كما قلناه صرف الى ولايتهما وجه تدبيره وأوفد على الطاغية ابن بريدى من صنائع دولته سنة ثنتين وتسعين ووجهه الطاغية مع الريك ريكس رسول من كبار قومه ثم عاد اليه الحاج مسعود من حاشيته ووصل يده بيده يظن ذلك دافعا عنه واعتدها السلطان عليه وطوى له على الغش حتى اذا فرغ من شأن الاندلس وهلاك الطاغية ثامنة سنة ثلاث وتسعين لاحدى عشرة من سني ملكه وارتحل السلطان الى طنجة لمشارفة أحوال الاندلس سنة أربع وتسعين فأجاز اليه السلطان ابن الاحمر ولقيه بطنجة وأحكم معه المواخاة ولما استيقن سكون أحوالها نزل لابن الاحمر عن جميع الثغور التي بها الطاغية وأجمع غزو تلمسان ولحق به بين يدي ذلك ثابت بن منديل المغراوي صريخا على ابن يغمراسن ومستجيشا بقومه فتقبله وأجاره وكان أصاب الناس أعوام ثنتين وتسعين قحط ونالتهم سنة وهنوالها ثم ان الله رحم خلقه وأدر نعمته وأعاد الناس الى ما عهدوه من سبوغ نعمهم وخصب عيشهم ووفد عليه سنة أربع وتسعين ثابت بن منديل أمير مغراوة مستصرخا به من عثمان بن يغمراسن فبعث من كبار قومه موسى بن أبي حمو الى تلمسان شفيعا في ثابت بن منديل فرده عثمان أقبح رد وأساء في اجابته فعاود الرسالة اليهم في شأنه فلم يزدهم الا اصرارا فاعتزم على غزو بلادهم واستعد لذلك ونهض سنة أربع وتسعين حتى انتهى الى بلاد تاوريرت وكانت تخم العمل بين مرين وبني عبد الواد في جانبها عامل السلطان أبي يعقوب وفي جانبها

الآخر عامل عثمان بن يغمراسن فطرد السلطان عامل ابن يغمراسن واختط الحصن الذى هنالك لهذا العهد تولاه بعسكره بغادى الفعلة ويراوحهم وأكمل بناءه فى شهر رمضان من سنته واتخذه ثغرا لملكه وأنزل بنى عسكر لحياطته وسد فروجه وعقد عليهم لاخيه أبى يحيى بن يعقوب وانكفأ راجعا الى الحضرة ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين غازيا الى تلمسان ومر بوجدة فهدم أسوارها وتغلب على مسيفة والزغاوة وانتهى الى ندرومة ونازلها أربعين يوما ورماها بالمنجنيق وضيق عليها وامتنعت عليه فأفرج عنها ثانى الفطر ثم أغزى تلمسان سنة ست وتسعين وبرز لمدافعته عثمان بن يغمراسن فهزمه وحجزه بتلمسان ونزل بساحتها وقتل خلقا من أهلها ونازلها أياما ثم أقلع عنها وقفل الى المغرب وقضى منسك الاضحى من سنته بتازى فأعرس هنالك لحافدة أبى ثابت بن منديل كان أصهر فيها الى جدها قبل مهلكه سنة ست وتسعين قتيلا ببحيرة الزيتون من ظاهر فاس قتله بعض بنى ورتاجن فى دم كان لهم فى قومه فثأر السلطان به من قاتله وأعرس بحافدته وأوعز ببناء القصر بتازى وقفل الى فاس فاتح سنة سبع وتسعين ثم ارتحل الى مكناسة وانكفأ الى فاس ثم نهض فى جمادى غازيا تلمسان ومر بوجدة فأوعز ببنائها وتحصين أسوارها واتخذ بها قصبة ودار السكناه ومسجدا وأوعز الى تلمسان ونزل بساحتها وأحاطت عساكره احاطة الهالة بها ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار ازدلف اليه الصناع والمهندسون فعملها وكانت توقر على احد عشر بغلا ثم لما امتنعت عليه تلمسان أفرج عنها فاتح سنة ثمان ومر بوجدة فأنزل بها الكتائب من بنى عسكر لنظر أخيه أبى يحيى بن يعقوب كما كانوا يشاورون وأوعز اليهم بترديد الغزاة على أعمال يغمراسن وافسادها بالتها وضاقت أحوالهم ويئسوا من صريخ صاحبهم فأوفدوا على الامير أبى يحيى وفدا منهم يسألون الامان بمن وراءهم من قومهم على أن يمكنوه من قياد بلادهم ويدينوا بطاعة السلطان فمذل لهم من ذلك ما أرضاهم ودخل البلد بعساكره واتبعهم أهل تاوونت وأوفد مشيختهم جميعا على السلطان آخر جمادى فقدموا عليه لحضرته وأدوا طاعتهم فقبلها ورغبوا اليه فى الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم ابن يغمراسن ووصفوا من عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما استنهض السلطان لذلك على ما يذكر ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن الحصار الكبير لتلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما توفرت عزائم السلطان عن النهوض الى تلمسان ومطاولة حصارها الى أن يظفر بها ويقومها واستيقن أنه لا مدافع له عن ذلك نهض من فاس شهر رجب من سنة ثمان

Marfat.com

وتسعين بعد ان استكمل حشده ونادى فى قومه واعترض عساكره وأبرز أعطياتهم وأزاح علهم وارتحل فى التعبية واحتل بساحة تلمسان ثانى شعبان وأناخ عليها واضطرب معسكره بفنائها وحجز عثمان بن يغمراسن وحاميتها من قومه وأدار الاسوار سياجا على عمرانها كله ومن ورائها نطاق الحفير البعيد المهوى وهتب المسالح على أبوابها وفروجها وسرح عساكره لمحاصرتها فاقتحموها وآتوا طاعتهم وأوفد مشيختهم وسط شعبان ثم سرح عساكره لمحاصرة وهران وتقرى البسائط ومنازلة الامصار فأخذت مازونة فى جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وتنس فى شعبان بعده وتالموت والقصبات وتامزردكت فى رمضان منه وفيه كان فتح مدينة وهران وسارت عساكره فى الجهات الى أن بلغت بجاية كما نذكره وأخذ الرعب بقلوب الامم بالنواحى وتغلب على ضواحى مغراوة وتوجين وسارت فيها عساكره ودوختها كتائبه واقتحمت أمصارها مثل مليانة ومستغانم وشرشال والبطحاء ووانشريس والمرية وتافركينت وأطاعه زيرى المنتزى ببرشك وأتى بيعته وابن علان المنتزى بالجزائر وأزعج الناكثين منهم عن طاعته واستألف أهل الطاعة كما نذكره وحذره الموحدون من ورائهم بافريقية ملوك بجاية وملوك تونس فمدوا اليه يد المواصلة ولاطفوه بالمتاحفة والمهاداة كما نذكره وخاطب صاحب الديار المصرية ملك الترك وهاداه وراجعه كما نذكره ووفد عليه شرفاء مكة بغى نمى كما نذكر وهو فى خلال ذلك مستجمع للمطاولة بالحصار والتضييق متجاف عن القتال الا فى بعض الايام ولم تبلغ أربعة أو خمسة ينزل شديد العقاب والسطوة بمن يميرها ويأخذ بالمرصاد على من يتسلل بالاقوات اليها قد جعل سرداق الاسوار المحيطة ملاكا لامره فى ذلك فلا يخلص اليهم الطيف ولا يكاد يصل اليهم العيث مدة مقامه عليها الى أن هلك بعد ماثة شهر كما نذكره واختط بمكان فسطاط المعسكر قصر الكتاه واتخذ به مسجد الصلاة وأدار عليها السور وأمر الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحيبة والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجروا الماء ثم أمر بادارة السور سياجا على ذلك سنة ثنتين وسبعمائة وصيرها مصرا فكانت من أعظم الامصار والمدن وأحفلها اتساع خطة وكثرة عمران ونفاق أسواق واحتفال بناء وتشييد منعة وأمر باتخاذ الحمامات والمارستان وابتنى مسجدها جامعا وشيد له مأذنة رفيعة فكان من أفضل مساجد الامصار وأعظمها وسماها المنصورة واستجر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجر بالبضائع من الآفاق فكانت احدى مدائن المغرب وخربها آل يغمراسن عند مهلكه وارتحال كتائبه بعد أن كان بنو عبد الواد أشرفوا على الهلاك وأذنوا بالانقراض كما نذكره فتدار كهم من

لطف الله ماشأنه أن يتدارك المتورطين في المهالك والله غالب على أمره

(الخبر عن افتتاح بلاد مغراوة وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما أناخ السلطان على تلمسان وتغلب على ضواحي بني عبد الواد وافتتح أمصارهم سما الى التغلب على ممالك مغراوة وبني توجين وكان ثابت بن منديل قد وفد على السلطان بمقر ملكه من فاس سنة أربع وتسعين وأصهر اليه في حافدته فعقد له عليها وهلك ثابت بمكان وفادته من دولتهم وأعرس السلطان بحافدته سنة ست وتسعين كما ذكرنا ذلك من قبل فلما تغلب السلطان على مال بني عبد الواد جهز عساكره الى بلاد مغراوة وعقد عليها لعلي بن محمد من عظماء بني ورتاجن فتغلبوا على الضواحي وشردوا مغراوة الى رؤس المعاقل واعتصم راشد بن محمد بن ثابت بن منديل صهر السلطان بمليانة فنازلوه بها ثم استنزلوه على الامان سنة تسع وتسعين فأوفدوه على السلطان فلقاه مبرة وتكرمة وخلطه بجملة صهره معه ثم افتتحوا مدينة تداس ومازونة وشرشال وأعطى زيري بن حماد المنتزى على برشك من بلادهم يد الطاعة واوفد على السلطان البيعة واستولوا على ضواحي شلف كلها ولاذت مغراوة بطاعة السلطان وعقد عليهم وعلى جميع بلادهم لعمر بن ويفرن بن منديل فآسف ذلك راشد بن محمد لما كان يراه لنفسه من الاختصاص ولما كانت أخته حظية السلطان وكريمته ونافس عمر بن ويفرن في امارة قومه فلحق بجبال متيجة وأجلب على من هنالك من عمال السلطان وعساكره وانحاش اليه مرضى القلوب من قومه فاعتصموا عليه وداخلوا أهل مازونة فانتقضوا على السلطان وملكوه أمرهم في ربيع من المائة السابعة ثم بيت عمر بن ويفرن بعسكره من أزمور فقتله واستباح العسكر وبلغ الخبر الى السلطان فسرح العساكر من بني مرين وعقد لعلي بن الحسن بن أبي الطلاق على قومه من بني عسكر ولعلي بن محمد الخيري على قومه من بني ورتاجن وجعل الامر شورى بينهما وأشرك معهما عليا الحساني من صنائع دولته وأبا بكر بن ابراهيم بن عبد القوي من أعياص بني توجين وعقد على مغراوة لمحمد ابن عمر بن منديل واشركه معهم وزحفوا الى راشد ولما أحس بالعساكر لجأ الى معقل بني بوسعيد فيمن معه من شيعة مغراوة وأنزل بمازونة عليا وحمو ابني عمه يحيى بن ثابت واستوصاهم بضبط البلد وأنه مشرف عليهم من الجبل وجاءت عساكر السلطان الى بلاد مغراوة فتغلبوا على البسائط وأثاخوا بمازونة واضطربوا بمعسكرهم بساحتها وأخذوا بخناقها واهتبل علي وقومه غرة معسكر بني مرين فبيتهم سنة احدى وسبعمائة وانقض المعسكر على علي بن محمد الخيري ثم امتنعوا عليه وعاد المعسكر الى مكانهم من حصارهم وجهدهم حالهم فنزل اليهم حمو بن يحيى على حكم السلطان وأنفذوه اليه

Marfat.com

فتقبض عليه ثم نزل على ثانية من غير عهد فأشخصوه الى السلطان فلقاه مبرة وتكريما
تأنيسا لراشد المنتزى بمعقله واقتحمت على أهلها غزوة سنة ثلاث فمات منهم عالم واحتملت
رؤسهم الى سدة السلطان فرميت فى خفائر البلد المحصور ارها بالهم وتخذيلا ولما عقد
السلطان لأخيه أبى يحيى على بلاد الشرق وسرحه لتدويخ النخوم نازل راشد بمعقله
من بنى يوسف فبيت راشد معسكرهم احدى ليالية فانفضوا وقتل طائفة من بنى مرين
ووجد السلطان لها فأمر بقتل على وحموا بنى عمه يحيى ومن كان معتقلا معهما من
قومهما ورفعوا على الجذوع وأثبتوهم بالسهام ونزل راشد بعدها عن معقله ولحق
بمتيجة وانحاش اليه منيف بن ثابت وأوشاب من مغراوة وتحيز الآخرون الى أميرهم
محمد بن عمر بن منديل الذى عقد له السلطان عليهم ثم ناشبت على راشد ومنيف خوارج
التعالبة وملكش وصمد اليهم الامير أبو يحيى فى عساكره ثانية ونازلهم بعاقتهم ورغبوا
فى السلم فبذله السلطان لهم وأجاز منيف بن ثابت الى الاندلس فيمن اليه من بنيه وعشيره
فاستقروا بها آخر الايام ولحق راشد ببلاد الموحدين ووفد محمد بن عمر بن منديل سنة
خمس على السلطان فأوسعه حباوتكريما وتمهدت بلاد مغراوة واستبد بملكها
السلطان وصرف اليها العمال ولم يزل كذلك الى أن هلك سنة ست والله تعالى أعلم

(الخبر عن افتتاح بلاد توجين وما تخلل ذلك)

لما نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وأحاط بها وتغلب على بنى عبد الواد وسما الى تملك بلاد
توجين وكان عثمان بن يغمراسن قد غلبهم على مواطنهم وملك جبل وانشريس
وتصرف فى بنى عبد القوى بالولاية والعزل وأخذ الاتاوة سنة احدى وسبعمائة وأوعز
اليه السلطان ببناء البطحاء التى هدمها محمد بن عبد القوى فبناها وتوغل فى قاصية
المشرق ثم انكفأ راجعا الى حضرة أخيه وعطف على بلاد بنى توجين سنة ثنتين وفر بنو
عبد القوى الى ضواحيهم بالقفر ودخل الى جبل وانشريس وهدم حصونهم به ورجع
الى الحضرة ثم بادر أهل تافركينت سنة ثلاث بايتاء طاعتهم وانتقضوا طاعتهم بعدها ثم
بعث أهل المرية بطاعتهم السلطان فتقبلها وأوعز ببناء قصبتها وراجع بنو عبد القوى
بعد ذلك بصائرهم فدخلوا فى طاعة السلطان ووفدوا عليه بمكانه من المنصورة مدينته
المحيطة على تلمسان سنة ثلاث فتقبل طاعتهم ورعى سابقتهم وأعادهم الى بلادهم
وأقطعهم وولى عليهم على بن الناصر بن عبد القوى وأوعز ببناء قصبة المرية سنة أربع
وكملت سنة خمس وهلك على بن الناصر خلال ذلك فعقد عليهم لمحمد بن عطية الاصم كما
ذكرناه فاستمر على الطاعة ثم انتقض سنة ست وحمل قومه على الخلاف وانتبذوا عن
الوطن الى أن هلك يوسف بن يعقوب كما نذكره ان شاء الله تعالى والله تعالى أعلم

Marfat.com

كان لبنى أبى حفص ملوك افريقية مع زناتة هؤلاء أهل المغرب من بنى مرين وبنى عبد الواد سوابق مذكورة فكان لهم على يغمراسن وبنيه طاعة معروفة يؤدون بيعتها ويخطبون على منابرهم بدعوتها من تغلب الامير أبى زكريا بن عبد الواحد على تلمسان وعقده عليها ليغمراسن واستمر حالهم على ذلك وكانت لهم أيضا مع بنى مرين ولاية وسابقة بما كان بنو مرين مذاول أمرهم يخاطبون الامير أبا زكريا ويبعثون له بيعة البلاد التى يتغلبون عليها مثل مكناسة والقصر ومراكش آخرا ثم صارت مخالصته من لدن عهد المستنصر يعقوب بن عبد الحق وكانوا يتحفونهم بالمال والهدايا فى سبيل المدد على صاحب مراكش وقد ذكرنا السفارة التى وقعت بينهما سنة خمس وستين وأن يعقوب أوفد عامر بن ادريس وعبد الله بن كندوز ومحمد الكانى وأوفد عليه المستنصر سنة سبع بعدها كبير الموحدين يحيى بن صالح الهنتاتى فى وفد من مشيخة الموحدين ومعهم هدية سنية ثم أوفد الواثق ابنه سنة تسع وسبعين قاضى بجاية المذكور أبا العباس أحمد القمارى وأسنى الهدية معه ولم يزل الشأن بينهم هذا الى أن افترق أمر آل أبى حفص وطار الامير أبو زكريا بن الامير أبى اسحق بن يحيى بن عبد الواحد من عشه تلمسان فى وكر عثمان بن يغمراسن وأسف الى بجاية فاستولى عليها سنة ثلاث وثمانين واستضاف اليها قسنطينة وبونة وصيرهما عملا لملكه ونصب لهما كرسيا لأمره وأسف عثمان بن يغمراسن لفراره من بلده لما كان عليه من التملك بدعوة عمه أبى حفص صاحب تونس فشق ذلك عليه ونكره واستمر الحال على ذلك ولما نزل السلطان يوسف بن يعقوب بمخنق تلمسان وأرسى قواعد ملكه بساحتها وسرح عساكره لالتهام الامصار والجهات وتوجس الموحدون الخيفة منه على أوطانهم وكان الامير أبو زكريا فى جهات تدلس محاميا عن حوزته وعمله ووصله هنالك راشد بن محمد نازعا عن السلطان أبى يعقوب ثم طلعت العساكر على تلك الجهات فى اتباعه فزحف اليه عسكر الموحدين سنة تسع وتسعين بناحية جبل الزاب فنضوا جمعه وأوقعوا به واستلحموا جنوده واستمر القتل فيهم وبقيت عظامهم سنة بمصارعهم سنين ورجع الامير أبو زكريا الى بجاية فانحصر بها وهلك على تفيئة ذلك على رأس المائة السابعة وقارن ذلك مغاضبة بينه وبين أمير الزواودة لعهده عثمان بن سباع بن يحيى بن دريد بن مسعود الباط فوفد على السلطان أخريات احدى وسبعمائة ورغبه فى ملك بجاية واستمده للسير اليها فأوعز الى أخيه الامير أبى يحيى بمكانه من منازلة مغراوة وملكش والثعالبة بأن ينهض الى أعمال الموحدين وسار عثمان بن سباع وقومه بين يدى العساكر يتقصون الطريق الى

أن تجاوز الامير أبو يحيى بعساكره بجاية واحتل بتاكرارت من أوطان سدويكش من أعمال بجاية وأطل على بلاد سدويكش وانكفأ راجعا فأوطأ عساكره ساحة بجاية وبها الامير خالد بن يحيى وناشبهم القتال بعض أيام جلا فيها أولياء السلطان أبي البقاء عن أنفسهم وسلطانهم وأمر بروض السلطان المسمى بالبديع فخربه وكان من آنق الرياض وأحفلها وقفل الى مكانه من تدويخ البلاد وأعرض عن اعمال الموحدين وكان صاحب تونس لذلك العهد محمد بن المستنصر الملقب بابي عصيدة بن يحيى الواثق فأوفد على السلطان شيخ الموحدين بدولته محمد بن اكماز يرعاقدا أسباب الولاية ومحكما مذاهب الوصلة ومقررا سوابق السلف فوفد في مشيخة من قومه لشعبان سنة ثلاث وناغاه الامير أبو البقاء خالد صاحب بجاية وأوفد مشيخة من أهل دولته كذلك وبر السلطان وفادتهم وأحسن منقلبهم ثم عاد ابن اكماز يرسنة أربع وسبعمائة ومعه شيخ الموحدين وصاحب السلطان أبو عبد الله بن يزريكن في وفد من عظماء الموحدين وأوفد صاحب بجاية حاجبه أبا محمد الرخامي وشيخ الموحدين بدولته عياد بن سعيد بن عشمين ووفدوا جميعا على السلطان ثالث جمادى فأحسن السلطان في تكرمتهم ما شاء ووصلهم الى نفسه بمساكن داره وأراهم أريكة ملكه وأطافهم قصوره ورياضه بعد أن فرشت ونمقت فلا قلوبهم جلالا وعظمة ثم بعثهم الى المغرب ليطوفوا على قصور الملك بفاس ومراكش ويشاهدوا آثار سلفهم وأوعز الى عمال المغرب بالاستبلاغ في تكرمتهم واتحافهم فاتتهم وامن ذلك الى الغاية وانقلبوا الى حضرته آخر جمادى وانصرفوا الى ملكهم بالحديث عن شأن رسالتهم وكرامة وفدهم ثم أعاد ملوكهم مراسلة السلطان سنة خمس بعدها فوفد أبو عبد الله بن اكماز يرمن تونس وعياد بن سعيد من بجاية وأوفد السلطان على صاحب تونس مع رسوله صاحب الفتيا بحضرته الفقيه أبا الحسن التونسي وعلي بن يحيى البركشي رسولين يسألان المد بأسطوله ففضوا رسالتهم وانقلبوا سنة خمس ووصل بخبرها أبو عبد الله المزدوري من مشيخة الموحدين واقترن بذلك وصول حسون بن محمد بن حسون المكناسي من صنائع السلطان كما أوفد مع ابن عشمين على مراسلة الامير أبي البقاء خالد صاحب بجاية في طلب الاسطول أيضا فرجعوه بالمعاذير وأوفدوا معه عبد الله بن عبد الحق بن سليمان فتلقاهم السلطان بالمبرة وأوعز الى عامله بوهران أن يستبلغ في تكريم عمرة الاسطول فجرى في ذلك على مذهبه وانقلبوا جميعا أحسن منقلب وغنى السلطان عن أسطولهم لفوات وقت الحاجة اليه من منازلة بلاد الساحل اذ كان قد تملكها أيام مماطلتهم به مثه واتصل الخبر بصاحب تلمسان الامير أبي زيان بن عثمان المبايع أيام الحصار عند مهلك أبيه عثمان

Marfat.com

ابن يغمراسن آخر سنة ثلاث فبلغه صنيع الموحدين في موالاة عدوه السلطان يوسف ابن يعقوب ومظاهرته بأساطيلهم عليه فأسفهم ذلك وأخر سواء منابرهم عما كانت تنطق به من الدعاء من عهد يغمراسن فلم يراجعوا دعوتهم من بعد وهلك السلطان على نقيضة ذلك والبقاء لله وحده

{الخبر عن مراسلة ملوك المشرق الاقصى ومهاداتهم} {ووفادة أمراء الترك على السلطان وما تخلل ذلك}

لما استولى السلطان على المغرب الاوسط بممالكه وأعماله وهنأته ملوك الاقطار واعراب الضواحي والقفار وصلت السابلة ومشت الرفاق الى الآفاق واستجد أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم ورغبوا من السلطان اذنه لركب الحاج في السفر الى مكة فقد كان عهدهم بمثلها الفساد السابلة واستهجان الدول فبينما السلطان في ذلك آمل اذ داخله لحرم الله وروضة نبيه صلى الله عليه وسلم شوق فأمر بانتساخ مصحف رائق الصنعة كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن واستوسع في جرمه وعمل غشاءه من بديع الصنعة واستكثر فيه من معالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت وجعلت منها حصاة وسط المعاق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا واستكثر من الاصونة عليه ووقفه على الحرم الشريف وبعث به مع الحاج سنة ثلاث وعنى بشأن هذا الركب فسرح معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة من الابطال وقلد القضاء عليهم محمد بن رغبوش من أعلام أهل المغرب وخاطب صاحب الديار المصرية واستوصاه بحاج المغرب من أهل مملكته وأتحفه بهدية من طرف بلاده استكثر فيها من الخيل العراب والمطايا الفارهة يقال المطايا كانت منها أربعمائة تحدثني بذلك من لقيته الى ما يناسب ذلك من طرف المغرب وما عونه ونهج بها السبيل للحاج من أهل المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها وعقد السلطان على دلالتهم لابي زيد الغفاري وفصلوا من تلمسان لشهر ربيع الاول وفي شهر ربيع الآخر بعده كان مقدم الحاج الاولين حاملا المصحف ووفد معهم على السلطان الشريف لبيدة بن أبي نمي نازعا عن سلطان الترك لما كان تقبض على اخويه حميضة ورميثة اثر مهلك أبيهم أبي نمي صاحب مكة سنة احدى وسبعمائة فاستبلغ السلطان في تكريمه وسرحه الى المغرب ليجول في أقطاره ويطوف على معالم الملك وقصوره وأوعز الى العمال بتكريمه واتحافه على شاكلته ورجع الى حضرة السلطان سنة خمس وفصل منها الى المشرق وصحبه من أعلام المغرب أبو عبد الله موري حاجا واشعبان من سنة خمس وصل أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الآخرين ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان لما اسفهم صاحب مصر بالتقبض على

اخوانهم وكان شأنهم ذلك حتى عاظهم السلطان فقد سبق فى أخبار المستنصر بن أبى حفص منشاها وأهدوا الى السلطان ثوبا من كسوة البيت شغف به واتخذ منه ثوبا للباسه فى الجمع والاعياد يستظله بين ثيابه تبركا به ولما وصلت هدية السلطان الى صاحب مصر لعهده الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى حسن موقعها لديه وذهب الى المكافأة فجمع من طرف بلاده من الثياب والحيوان ما يستغرب جنسه وشكله من نوع الفيل والزرافة وأوفد بها من عظماء دولته الامير البيلى وفصل من القاهرة أخريات سنة خمس ووصلت الى تونس فى ربيع من سنة ست بعدها ثم كان وصولها الى سدة السلطان بالمنصورة من البلد الجديد فى جمادى الآخرة واهتز السلطان لقدومها وأركب الناس الى لقائها واحتفل للقائه هذا الامير البيلى ومن معه من أمراء الترك وبروفادتهم واستبالغ فى تكريمهم نزلا وقرى وبعثهم الى المغرب على العادة فى مبرة أمثالهم وهلك السلطان خلال ذلك وتقبل أبو ثابت سنة من بعده فى تكريمهم فأحسن منقلبهم وملأ حقائبهم صلة وانصرفوا من المغرب لذى الحجة سنة سبع ولما انتهوا الى بلاد بنى حسن فى ربيع من سنة ثمان اعترضهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم وخلصوا الى مصر الزمن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يؤوبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون فى ذلك كله على الخطاب شيأ وكان الناس لعهدهم ذلك يتهمون أن الذين نهبوهم اعراب حصين بدسيسة من صاحب تلمسان أبى حمو لعهدهم منافسة لصاحب المغرب لما بينهم من العداوات والاحن القديمة (أخبرنى) شيخنا محمد ابن ابراهيم الابلى قال حضرت بين يدى السلطان وقد وصله بعض الحاج من أهل بلده مستصحبا كتاب الملك الناصر بالعتاب عن شأن هؤلاء الامراء وما أصابهم فى طريقهم من بلاده وأهدى له مع ذلك كوبين من دهن البلسان المختص ببلدهم وخمسة غلمان من الترك رماة بخمسة أقواس من قسى الغزالمؤنقة الصنعة من العرى والعقب فاستقل السلطان هديته تلك بالنسبة الى ما أهدوا الى ملك المغرب ثم استدعى القاضى محمد بن هدية وكان يكتب عنه فقال له اكتب الآن الى الملك الناصر كما أقول لك ولا تصرف كلمة عن موضعها الا ما تقتضيه صناعة الاعراب وقل له أما عتابك عن [illegible] وما أصابهم فى طريقهم فقد حضروا عندى [illegible] أصابهم وأريتهم مخاوف بلادنا وما فيها من غوائل الاعراب فكان جوابهم انا جئنا من عند ملك المغرب فكيف نخاف مغترين بشأنهم يحسبون أن أمره نافذ فى اعراب فلاتنا وأما الهدية فترد عليك أمام دهن البلسان فنحن قوم بادية لا نعرف الا الزيت

Marfat.com

وحسبنا به دهنا وأما الممالك الرماة فقد انتحبناهم اشيبلية وصرفناهم اليك لتستفتح بهم بغداد والسلام قال لى شيخنا وكان الناس اذذاك لا يشكون ان انتهابهم كان باذن منه وكان هذا الكتب دليلا على ما فى نفسه وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون

الخبر عن انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس سعيد على سبتة وخروج عثمان بن العلاء فى غمارة

لما أحكم السلطان عقد المهادنة والولاية مع السلطان بن الاحمر المعروف بالفقيه محمد اجازته اليه بطنجة سنة ثنتين وتسعين كما ذكرناه وفرغ لعدوه عمد ابن الاحمر بولايته تلك الى أن هلك سنة احدى وسبعمائة فى شهر شعبان منه وقام بالامر الاندلسى من بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله بن الحكيم من مشايخ رندة كان اصطفاه لكتابته أيام أبيه فاضطلع بأموره وغلب عليه وكان هذا السلطان المخلوع ضرير البصر ويقال انه ابن الحكيم فغلب عليه واستبد الى أن قتلهما أخوه أبو الجيوش نصر سنة ثمان كما ذكره وكان من أول آرائه عند استيلائه على الامر من بعد أبيه المبادرة الى احكام ولاية السلطان واتصال يده بيده فأوفد اليه لحين ولايته وزير أبيه السلطان أبى عزيز الدانى ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم فوصلا الى السلطان بعسكره من حصار تلمسان وتلقاهما بالقبول والمبرة وجددت له أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرسلهما خير منقلب وتقدم السلطان اليهم فى المدد برجل الاندلس وناشيتهم المعودين منازلة الحصون والمناغرة بالرباط فتبادروا الى اسعافه وبعثوا حصتهم لحين مرجعهم الى سلطانهم فوصلت سنة ثنتين وسبعمائة وكانت لهم نكاية فى العدو وأثر فى البلد المخروب ثم بدا لمحمد بن الاحمر المخلوع فى ولاية السلطان لمنافسات جرت الى ذلك وبعث الى ادفونش هراندة بن شانجة وأحكم له عقد السلم ولاطفه فى الولاية فانعقد ذلك بينهما سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان فسخطه ورجع اليهم حصتهم آخر سنة ثلاث واتصل خبره بالسلطان لسنة من مقدمهم بعد أن أبلوا وأثخنوا وطوى الهم عن البث واعتمل ابن الاحمر وشيعته فى الاستعداد لمدافعة السلطان والارصاد لسطوته بهم وأوعز الى صاحب مالقة ابن عمه الرئيس أبى سعيد فرج بن اسمعيل بن محمد ابن نصر وليه من دون القرابة بما كان له من الصهر على أخته والمضطلع له بثغر الغربية فأوعز اليه بمداخلة أهل سبتة فى خلع طاعة السلطان والقبض على ابن العزفى والرجوع الى ولاية ابن الاحمر وكان أهل سبتة منذ ابراهيم الفقيه أبو القاسم العزفى سنة سبع وسبعين قام بأمرهم ولده أبو حاتم وكان أبو طالب رديفا له فى الامر الا أنه استبد عليه بصاغيته الى الرياسة وايثار أبى حاتم للخمول مع ايجابه حق أخيه الاكبر واجابته الداعى

Marfat.com

من دون دفع اليه فاستقام أمرهما مدة وكان من سياستهما من أول أمرهما الاخذ
بدعوة السلطان فيما النظر هما والعمل بطاعته والتجافي عن السكنى بقصور الملك
والتحرج من أبهة السلطان امكانهم فأنزلوا بالقصبة عبد الله بن مخلص قائدا من
البيوتات اصطنعوه وجعلوا اليه أحكام البلد وضبط الحامية له فاضطلع بذلك سنين ثم
اسفه يحيى بن أبي طالب ببعض النزغات الرياسية وجرى عليه الاحكام في ذويه ثم أغرى به
أباه وطالبه بحساب الخرج لعطاء الحامية وغفلوا عما وراءهما من التظنن فيه والريبة به
ثقة بمكانه واستنامة اليه وهم مع ذلك على أولهم في موالاة السلطان والاخذ بدعوته
والوفود عليه في أوقاته ولما فسدت ولاية ابن الاحمر للسلطان وعقد على محاولة سبتة
وجد السبيل الى ذلك بما طوى صاحب الاحكام بالقصبة على البث فداخله الرئيس أبو
سعيد صاحب الثغر بمالقة جاره بسبتة ووعده الغدر ببني العزفي وأن يصيرهم في أساطيله
فشرع الرئيس أبو سعيد في انشاء الاساطيل البحرية واستنفار الناس للمثاغرة وان العدو
لمالقة بالمرصاد وشحنها بالفرسان والرجل والناشبة والاقوات وأخفى وجه قصده عن
الناس حتى اذا أقلعت أساطيله بيت سبتة لسبع وعشرين من شوال سنة خمس وأربعين
بساحتها لموعد صاحب القصبة فأدخله الى حصنه فملكه ونشر راياته بأسوارها وسرب
جيوشه الى البلد فتسايلوا وركب الى دور بني العزفي فقبض عليهم وعلى والدهم
وحاشيتهم وطير الخبر الى السلطان بغرناطة فوصل الوزير أبو عبد الله بن الحكيم ونادى
في الناس بالامان وبسط المعدلة وأركب ابن العزفي السفن الى مالقة ثم أجاز واغرناطة
وقدموا على ابن الاحمر فأجل قدومهم وأركب الناس الى لقائهم وجلس لهم مجلوسا
فخما حتى أدوا بيعتهم وقضوا وفادتهم وأنزلوا بالقصور وأجريت عليهم سنية الارزاق
واستقروا بالاندلس الى أن صاروا بعد الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد
بأمر سبتة ونتف أطرافها وسد ثغورها وأقام دعوة ابن عمه صاحب الاندلس بانحائها
وكان عثمان بن أبي العلاء بن عبد الله بن عبد الحق من أعياص الملك المريني أجازه عبد
البحر اليها أميرا على الغزاة بمالقة وقائد العصبة تحت ولاية نوه بنصبه للملك بالمغرب
وخاطب قبائل غمارة في ذلك فوقضوا بين الاقدام والاحجام واتصل ذلك كله بالسلطان
وهو بعسكره من حصار تلمسان فاستشاط لها غيظا وحمى أنفه نفرة واستنفره
الصريخ فبعث ابنه الامير أبا سالم لسد تلك الفرجة وجمع اليه العساكر وتقدم اليه
باحتشاد قبائل الريف وبلاد تازى فأغذ السير اليها وأحاطت عساكره بها فحاصرها
مدة ثم بيتته عثمان بن أبي العلاء فاختل معسكره وأفرج عنها منهزما فسخطه السلطان
وذوى عنه وجه رضاه وسار عثمان بن أبي العلاء في نواحي سبتة وبلاد غمارة وتغلب على

Marfat.com

تكيساس وانتهى الى قصر ابن عبد الكريم فى آخر سنة ست لسنة من استيلائهم على سبتة مقيما رسم السلطان مناديا بالدعاء لنفسه فاعتزم السلطان عند النهوض اليه من أمر تلمسان لما كانت على شفا هلكة ومحاينة انقضاض لولا عوائق الاقدار جهلكة كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض بنى كمى من بنى عبد الواد وخروجهم بأرض السوس)

كان هؤلاء الرهط من بنى عبد الواد من بطون بنى على من شعب ايت الناسم وكانوا يرجعون فى رياستهم الى كندوز بن بنى كمى ولما انتقل زيان برياسة أولاد على بن ثابت بن محمد من أولاد طاع الله ونفس عليه كندوز هذا ما آتاه الله من الرياسة وجاذبه حبالها واحتقر زيان شأنه فلم يحفل به ثم تأشب عليه اخلاط من قومه وواضعه الحرب وهلك زيان بيد كندوز وقام بأمر أولاد على جابر بن يوسف بن محمد ثم تناقلت الرياسة فيهم الى أن عادت لولد ثابت بن محمد واستقل بها أبو عزة زكار بن زيان ولم تطل أيامه والتحم بين أولاد كمى وبين أولاد طاع الله وتناسوا الاحن وصارت رياسة طاع الله لولد يغمراسن بن زيان واتبعوا قبائل عبد الواد كافة واعتمل يغمراسن فى التأرب بأبيه زيان من قاتله كندوز فاغتاله ببيته دعاه لأدبة جمع بنى أبيه حتى اذا اطمأن المجلس تصاوروه بأسيافهم واحتزوا رأسه وبعثوا به الى أمهم فنصبت عليه القدر ثالث أثافيها اتشفيا منه وحفيظة لطالب يغمراسن بثأرة بنى كندوز ففروا أمام مطالبته وأبعدوا المذهب ولحقوا بالامير أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص فأقاموا بساحته أحوالا وكانوا يرجعون فى رياستهم لعبد الله بن كندوز ثم تذكروا عهد البداوة وحنوا الى عشير زناته فراجعوا المغرب ولحقوا ببنى مرين اقتالهم ونزل عبد الله بن كندوز على يعقوب بن عبد الحق خير نزل فلقاه من البر والترحيب بما ملأ صدره وأكد غبطته وأقطعه بناحية مراكش الكفاية له ولقومه وأنزلهم هنالك وجعل انتجاع ابله ورحلته لحسان بن أبى سعيد الصنهاجى وأخيه موسى من ذويهم وحاشيتهم وألطف منزلة عبد الله ورفع مكانه بمجلسه واكتفى به فى كثير من أموره وأوفده على المستنصر صاحب افريقية سنة خمس وستين مع عامر بن أخيه ادريس كما قدمناه واستقر بنو كندوز هؤلاء بالمغرب الاقصى واستمرت الايام على ذلك وصاروا من جملة قبائل بنى مرين وعدادهم وهلك عبد الله بن كندوز وصارت رياستهم لعمر ابنه من بعده ولما لفت السلطان يوسف بن يعقوب عزائمه الى بنى عبد الواد ونازل تلمسان وطاول حصارها واستطال بنو مرين وذووهم على بنى عبد الواد وأحسوا بهم أخذتهم العزة بالاثم وأدركتهم النعرة فأجمع بنو كندوز هؤلاء الخلاف والخروج على السلطان

Marfat.com

ولحقوا بها حتى سنة ثلاث وسبعمائة واحتفل الامير بمراكش يعيش بن يعقوب لغزوهم سنة أربع وسبعمائة فناجزه الحرب بتادرت واستمروا على خلافهم ثم قاتلهم يعيش وعساكره ثانية بتامطريت سنة أربع فهزمهم الهزيمة الكبرى التي قصت جناحهم وأوهت من رياستهم وقتل جماعة من بني عبد الوادبازغار وتاسكما وأثخن يعيش بن يعقوب في بلاد السوس وهدم تارودانت قاعدة أرضها وأم قراها كان بها عبد الرحمن ابن الحسن بن يدر بقية الامراء على السوس من قبل عبد المؤمن وقد مر ذكرهم وكانت بينه وبين عرب المعقل من الشبانات وبني حسان منذ انقرضت دولة الموحدين حرب سجال هلك في بعضها عمه علي بن يدر سنة ثمان وستين وصارت امارته بعد حين الى عبد الرحمن هذا ولم يزالوا في حربه الى أن قتل السوس يعيش بن يعقوب وهدم تارودانت قاعدة أرضها ثم راجع عبد الرحمن أمره وبنى بلده تارودانت هذه سنة ست بعدها ويزعم بنو يدر هؤلاء انهم مستقرون بذلك القصر من لدن عهد الطوالع من العرب وانهم لم يزالوا أمراء به تعقد لهم ولايته كابرا عن كابر ولقد أدركت على عهد السلطان أبي عنان وأخيه أبي سالم من بعده شيخا كبيرا من ولد عبد الرحمن فحدثني بمثل ذلك وانهم من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله أعلم ولم يزل بنو صكدوز مشاركين بمصر اء السوس الى أن هلك السلطان وراجعوا طاعة الملوك من بني مرين من بعده وعفوا لهم عما سلف من هذه الجريمة وأعادوهم الى مكانهم من الولاية فأخلصوا النصيحة والمخالصة الى هذا العهد كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مهلك المشيخة من المصامدة بتلمسان أبي الملياني)

قد ذكرنا شأن أبي علي الملياني وأوليته في أخبار مغراوة الثانية وما كان من ثورته بمليانة وانتزائه عليها ثم ازعاج العساكر اياه منها ولحاقه بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين وما أحله من مراتب التكرمة والمبرة وأقطعه بلد أغمات طعمة فاستقر بها وما كان منه في العبث باشلاء الموحدين ونبش أجداثهم وموجدة السلطان والناس عليه وأرصدله المصامدة الغوائل لما كان منه في ذلك ولما هلك يعقوب بن عبد الحق استعمله يوسف بن يعقوب على جباية المصامدة فلم يضطلع بها وسعى به مشيخة السلطان انه احتجر المال لنفسه وحاسبوه فصدقوه السعاية فاعتقله السلطان وأقصاه وهلك سنة ست وثمانين واصطنع السلطان أحمد ابن أخيه واستعمله في كتابته واقام على ذلك ببابه في جملته وكان السلطان سخط على مشيخة المصامدة علي بن محمد كبير هنتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير كرمتة وأوعز الى ابنه الامير علي بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما فيمن لهما من الولد والحاشية وأحس بذلك أحمد بن الملياني فاستعجل الثار وكانت

العلامة السلطانية على الكتاب فى الدولة لم تختص بكاتب واحد بل كل منهم يضع العلامة بخطه على كتابه اذا أكمله لما كانوا كلهم ثقاتا امناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط فكتب أحمد بن الملياني الى ابن السلطان الامير بمراكش سنة سبع وتسعين كتابا عن أمر أبيه بأمره فيه بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليها العلامة التى تنفذ بها الاوامر وختم الكتاب وبعث به مع البريد وفجا بنفسه الى البلد الجديد وعجب الناس بشأنه ولما وصل الكتاب الى ابن السلطان بمراكش أخرج أولئك الرهط المعتقلين من المصامدة الى مصارعهم وقتل على بن محمد وولده وعبد الكريم بن عيسى وولده عيسى وعلى ومنصور وابن أخيه عبد العزيز وطير الامير وزيره الى أبيه بالخبر فقتله لحينه حنقا عليه وأنفذ البريد باعتقال ابنه وجرد على ابن الملياني فقد ولحق بتلمسان ونزل على آل زيان ثم لحق من بعدها بالاندلس عند افراج السلطان عنها فى تلك السنة كما ذكرناه وبها هلك واقتصر السلطان من يومئذ فى علامته على من يختاره من صنائعه ويثق بأمانته وجعلها الذلك العهد لعبد الله بن أبى مدين خالصته المضطلع بأمور مملكته فاختصت من بعده لهذا العهد والله تعالى أعلم

كان السلطان يعقوب فى صباه مؤثرا للذاته ومستترا بها عن أبيه يعقوب بن عبد الحق لمكانه من الدين والوقار وكان يشرب الخمر ويعاقر بها الندمان وكان خليفة بن وقاصة من اليهود المعاهدين بفاس قهرمانا لداره على عادة الامراء فى مثله من المعاهدين فكان يزدلف اليه بوجوه الخدم ومذاهبها فاستعمله هذا الامير فى اعتصارها والقيام على شؤنها فكانت له بذلك خلوة منه أوجبت له الحظ عنده حتى اذا هلك يعقوب بن عبد الحق واستقل ابنه يوسف باعباء ملكه واتصلت خلواته فى معاقرة الندمان وانفرد ابن وقاصة بخلوته لذلك مع ما كان من القهرمة عظمت رياسته وعلا كعبه فى الدولة وتلقى الخاصة الاوامر منه فصار له الوجه بينهم وعظم قدره بعظم الدولة (أخبرنى) شيخى الابلى قال وكان للخليفة هذا أخ يسمى ابراهيم وابن عم يسمى خليفة لقبوه بالصغير لمكانه هو من هذا الاسم وكان له صهر يعرفون ببنى السبتى كبيرهم موسى وكان رديفه فى قهرمته فلم يفق السلطان من نشوة صباه وملهاه حتى وجدهم على حال استتبعوا فيها الغيلة من القبيل والوزراء والشرفاء والعلماء فأهمه ذلك وترصدهم وتفطن بمذهبه فيهم خالصته عبد الله بن أبى مدين فسعى عنده فيهم وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة واحدة واعتقلوا فى شعبان من سنة احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه ابراهيم وموسى بن السبتى واخوته بعد أن امتحنوا ومثل

بهم وأتت النكبة على حاشيتهم وذويهم وآثارهم فلم تبق منهم باقية واستبقى منهم خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ماذكر وعبث بسائرهم وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله سبحانه

(الخبر عن مهلك السلطان أبي يعقوب)

كان في جملة السلطان وحاشيته مولى من العبيد الخصيان من موالي أبي الملياني يسمى سعادة صار الى السلطان من لدن استعماله اياه بمراكش وكان شيطانا من الجهل والغباوة بمكان وكان السلطان يخلط الخصيان بأهله ويكشف لهم الحجاب عن ذوات محارمه ولما كانت واقعة العزفي ولاه واتهم بعد اخذله بعض الحرم وقتل بالظنة واستراب السلطان بكثير من حاشيته الملابسين لداره اعتقل جملة من الخصيان كان فيهم عنبر الكبير مربيهم وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وسولت لهذا الخدي الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض الحجر من قصره وآذنه فأذن له فألفاه مستلقيا على فراشه مختضبا بالحناء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاءه وخرج هاربا وانطاق بعض الاولياء في اثره فأدرك من العشي بناحية تاسلة فقبض عليه ورد الى القصر فقتله العبيد والحاشية وصابر السلطان ميتته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بجامع سلفه والبقاء لله وحده

(الخبر عن ولاية السلطان أبي ثابت)

كان الامير أبو عامر بن السلطان أبي يعقوب وولي عهده لما هلك طريدا بيلاد بني سعيد بغمارة والريف سنة ثمان وتسعين كما ذكرنا خلف ولديه عامرا وسليمان في كفالة السلطان جدهما فكان لهما بعينه حلاوة وفي قلبه لوطة لمكان حبه فيهما واغترابه عنه فحدب عليهما وآثرهما من نفسه بمكان وكان الامير أبو ثابت عامر أصغر قومه اقداما وشجاعة وجراءة وكانت له في بني ورتاجن خؤلة فلما حضر مهلك السلطان عرضوا له ودعوه للبيعة فبايعوه وحضرها الامير أبو يحيى بن يعقوب عم أبيه عز بمجتمعهم اتفاقا وحملوه على الطاعة وكان أقرب للامر منه لو حضره رجال فأعطى القياد في المساعدة وطوى على البث وبادر الحاشية والوزراء بالبلد الجديد عند مهلك السلطان فبايعوا ابنه الامير أبا سالم وكاد أمر بني مرين أن يفترق وكلمتهم أن تفسد فبعث الامير أبو ثابت لحينه الى تلمسان للامير أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن وعقد له ما حلفا على الافراج عنهم ثم أمره أن يمده بالآلة ويرفعاله كسر البيت إن كان غرما أمل وحضر للعقد أبو حمو فأحكمه ومال أكثر بني مرين وأهل الحل والعقد الى الامير أبي ثابت وتفرد

Marfat.com

بيعة أبي سالم البطانة والوزراء والحاشية والاجناد ومن تخلف منهم كان بالبلد الجديد
مسكنه وأشاروا عليه بالمناجزة فخرج وقد عبى كتائبه فوقف وتهيب وخام عن اللقاء
ووعدهم الاقدام بالغداة وكر راجعا الى قصره فيئسوا منه وتسللوا اذا الى الامير
أبي ثابت وهو بمرقب من الجبل مطل عليهم حتى اذا انحجر أبو سالم بالبلد انحاش اليه
الجل دفعة واحدة فلما استوفت القبائل والعساكر لديه زحف الى البلد الجديد مثوى
السلطان ومباح قصوره ومحتط عزه وانتهى الى ساحتها مغتنما الفرصة وخرج اليه
أبو زيان مخلفا عن عمران المودودي فأرسل عن فوره بأمر أبي يحيى وقتل بين يديه
[illegible] وكان عهد بالوزارة استوزره السلطان قبيل مهلكه في
[illegible] وفر أبو سالم الى جهة المغرب وصحبه من عشيره من أولاد رحو
[illegible] على اثار رحو وابن أخيهم جمال الدين بن
[illegible] الامير أبو ثابت شرذمة من عسكره أدركوهم بندرومة فتقبضوا
[illegible] أمر السلطان بقتل أبي سالم وجمال الدين واستبقى الآخرين وأمر
[illegible] فاطل عليهم قهرمان دارهم عبد الله بن أبي مدين
[illegible] بمرأى أبي يحيى بانتقال أبي الحجاج ابن ثقيلولة فاعتقله لقديم من العداوة كان بينهما
[illegible] واضاف رأسه فقتل وأمر السلطان ليلتئذ باضرام النيران حتى اذا أضاء
الطلام وبات راكبا ودخل القصر لصبحه فوارى جسده بعد أن صلى عليه وغص بمكان
الامير أبي يحيى لما عسى ان يدفع به الترشيح وفاوض في شأنه كبير القرابة يومئذ عبد الحق بن
عثمان بن الامير أبي يعقوب محمد بن عبد الحق ومن حضره من الوزراء مثل ابراهيم بن عبد
الجليل الونشريسي وابراهيم بن عيسى البرنياني وغيرهما من الخاصة فأشاروا بقتله
وعبث عنه كلمات في معنى التربص بالسلطان ودولته وابتغاء العصابة لامره وركب
الامير أبو يحيى الى القصر ثالث البيعة فأخذ السلطان بيده ودخل معه الى الحرم
فنزع ثوب الامارة عن أكتاف السلطان ثم خرج على الخاصة وتخلف عنه السلطان وقدس الى
عبد الحق بن عثمان أن يقبض عليه ففعل ثم برز السلطان اليهم وهو موثق فأمر
بالاجهاز عليه ولم يمهله والحق به يومئذ وزيره عيسى بن موسى الفودودي وفشا الخبر
بهلك هؤلاء الرهط فرهب منه القرابة وفر يعيش بن يعقوب أخو السلطان وابنه عثمان
المعروف بأمه فضيلت ومسعود بن الامير أبي مالك والعباس بن رحو بن عبد الله بن
عبد الحق ولحقوا جميعا بعثمان بن أبي العلاء بمكانه من غمارة وخلا الجو من المرشحين

Marfat.com

واستبد السلطان بملك قومه وأمن غوائل المنازعين ولما تم له الامر واستوسق أمر الملك
وفى لبنى عثمان بن يغمراسن بالافراج عنهم ونزل لهم عن جميع البلاد التى كانت فى
طاعته من بلاد المغرب الاوسط من أعمالهم وأعمال تونس وقسنطينة ودعاء الى
بدار المغرب ما حكان من اختلال عثمان بن أبى العلاء عن عبد الله بن
بسبتة ودعائه لنفسه بين يدى سلطان السلطان ورجوعه الى بلاد
قصر كامفاعتزم على الرحلة الى المغرب وقوض الامر
الجديدة للوزير ابراهيم بن عبد السلام لما كانت عليه
فى الاعتمار ممتلئة من الخرق والاله فأصبح السلطان فى أمر
الآجال والمواعيد الى أن استوثق الرحلة
بغمراسن عند رحلته بخمسين الى المغرب
طامسا ونسفوها نسفا وقدم السلطان بين يديه من
النجون فى العساكر الجنود وعقد له على
لموافاة المسالح التى كانت بتلمسان والمغرب
ارتحل غرة ذى الحجة ودخل فاس

لما فصل أبو ثابت عن معسكرهم بتلمسان الى المغرب
ابن عامر بن عبد الحق النجون ابن السلطان
على حرب عثمان بن أبى العلاء كما ذكرناه وعقد على
الآخر يوسف بن محمد بن أبى حفص عبد المؤمن وهو
واحتل بها ثم حدثته نفسه بالاستبداد فقتل الوالى
الآلة وجاهر بالخلاف وتغلب على والى البلد فقتل
وسبعمائة ودعا لنفسه واتصل الخبر بالسلطان
ابن عيسى بن العمود الجشمى وبعثوا من
ودفعهم الى حربه وخرج فى اثرهم بنفسه
الربيع فانهزم أمام الوزير وتبعها الى
مسكورة ولحق به موسى بن سعيد المديونى
يوسف الى مراكش ثم خرج أثرهم
بمسكورة ودخل السلطان أبو ثابت
يقتل أربعة المداخلة كانوا له فى انتزاعه فاستطاعوا

هسكورة ونزل على مخلوف بن هنوا وتذمم بجواره فلم يجره على السلطان وتقبض عليه واقتاده الى مراكش مع ثمانية من أصحابه تولوا كبر ذلك الامر فقتلوا في مصرع واحد بعد ان مثل بهم السلطان بالسياط وبعث برأس يوسف الى فاس فنصب بسورها وأثخن القتل فيمن سواهم ممن داخله في الانتزاء فاستلحم منهم أمم بمراكش وأغمات وسخط خلال ذلك وزيره ابراهيم بن عبد الجليل فاعتقله واعتقل عشيرة من بني دولين ومن بني ومكاسن وقتل الحسن بن دولين منهم ثم عفا عنهم وخرج منتصف شعبان الى منازلة السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فتلقاه السكسيوى بطاعته المعروفة واسنى الهدية فتقبل طاعته وخدمته ثم سرح قائده يعقوب بن آصناد في اتباع زكنة حتى توغل في بلاد السوس ففرقوا أمامه الى الرمال وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان وانكفأ السلطان بعساكره الى مراكش فاحتل بها غرة رمضان ثم قفل الى فاس بعد أن قتل جماعة من بني وراو وجعل طريقه في بلاد صنهاجة وسار في بلاد تامسنا وتلقاه عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبني جابر والعاصم فاستعدبهم الى آنفا وتقبض على ستين من أشياخهم فاستلحم منهم عشرين ممن نمى عنه افساد السابلة ودخل رباط الفتح أخريات رمضان فقتل هنالك من الاعراب أمة ممن توثر عنه الحرابة ثم ارتحل منتصف شوال لغزو رياح أهل آزغار والهبط وأثار بالاحن القديمة فأثخن فيهم بالقتل والسبي وقفل الى فاس فاحتل بها منتصف ذي القعدة وفجأه الخبر بهزيمة عبد الحق بن عثمان واستلحام الروم من عساكره ومهلك عبد الواحد الفودودى من رجالات دولته وأن عثمان بن أبي العلاء قد استفحل أمره بجهات غمارة فأجمع لغزوه والله أعلم

الخبر عن غزاة السلطان لمدافعة عثمان بن أبي العلاء ببلاد الهبط ومهلكه بطنجة بعد ظهوره

لما ملك الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر سبتة سنة خمس وسبعمائة وأقام بها الدعوة لابن عمه المخلوع محمد بن محمد الفقيه ابن محمد الشيخ بن يوسف بن نصر كما ذكرناه وأجاز معه رئيس الغزاة المجاهدين بعمل امارته من مالقة عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق من أعيان هذا البيت كان مرشحا للملك فيهم واستقدمه معه ليفرق به الكلمة في المغرب بفتنة الدولة مدافعة عن سبتة لما كان هاج السلطان قومه فأخذها واستقام ملكها وطمع عثمان في ملك المغرب بامدادهم وظاهرتهم وسولت له نفسه ذلك فخرج من سبتة وولى على جيش الغزاة بعده عمر ابن عمه رحو بن عبد الله ونجم هو ببلاد غمارة فدعا لنفسه واجابته القبائل

منهم واحتل بحصن علودان من أمنع معاقلهم و بايعوه على الموت ثم نهض الى أصيلا والعريش فغلب عليها واتصل ذلك كله بالسلطان الهالك أبي يعقوب فلم يحركه استهانة بأمرهم و بعث ابنه أبا سالم بالعساكر فنازل سبتة أياما ثم أقلع عنها و بعث بعده اخاه يعيش بن يعقوب. وأنزله طنجة وجمع معه الكتائب وجعلها ثغرا وزحف اليه عثمان بن أبي العلاء فتأخر عن طنجة الى القصر ثم اتبعه فخرج اليه أهل القصر فرسانا ورجالا ورماة مع يعيش فوصلوا الى وادى وراء ثم انهزموا الى البلد ومات عمر بن ياسين ونزل عثمان عليهم القصر أياما ثم دخله من غده ثم كان مهلك السلطان وفر يعيش بن يعقوب خيفة من أبي ثابت فلحق بعثمان بن أبي العلاء واستقام أمره بتلك الجهات برهة وكان السلطان أبو ثابت لما احتل بالمغرب شغله ما كان من انتزاء يوسف بن ابي عباد بمراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء مكان عمه يعيش بن يعقوب لعبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق من رجال بيته فزحف اليه ونهض عثمان الى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع فهزمه واستلحم من كان معه من جند الروم وهلك في تلك الوقعة عبد الواحد الفودودى من رجالات السلطان المرتضين ردفاء الوزارة وسار عثمان الى قصر كتامة فنزله واستولى على جهاته وعلى تفيئة ذلك كان رجوع السلطان من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحا أثر النفاق فاعتزم على الحركة الى بلاد غمارة يحو منها أثر دعوة بن أبي العلاء التي كادت تلج عليه مما لكه بالمغرب ويردده على عقبه ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر لما صارت ركابا لمن يروم الانتزاء والخروج من القرابة والاعياض المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله فنهض من فاس منتصف ذي الحجة من سنة سبع ولما انتهى الى قصر كتامة تلوم به ثلاثا حتى توافت عساكره وحشوده وكمل اعتراضها وفر عثمان بن أبي العلاء أمامه وارتحل السلطان في اتباعه فنازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ثم نازل بلد الدمنة واقتحمها وأثخن فيها قتلا وسبيا لتمسكهم بطاعة ابن أبي العلاء ومظاهرتهم له ثم كبس القصر واستباحه ثم ارتحل الى طنجة واحتل بها غرة ثمان وانحجر ابن أبي العلاء بسبتة مع أرليائه وسرح السلطان عساكره فتفرقت نواحي سبتة بالاكتساح والغارة وأمر باختطاط [illegible] لنزول معسكره والاخذ بخنق سبتة وأوفد كبير الفقهاء بجلسه أبا يحيى بن [illegible] في شأن النزول له عن البلد وفي خلال ذلك اعتل السلطان فرض وتوفي أيام العلل وهلك في ثامن صفر من سنته ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك رحمة الله عليه وعليهم

(الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع وما كان فيها من الاحداث)

[illegible] السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن السلطان أبي يعقوب
المعروف بأنه رزيكة وخلص اللاذ من غمرة أهل الحل والعقد الى أخيه الربيع
[illegible] على عمه على بن رزيكة المستام للامرة فاعتقله بطنجة الى أن هلك بها
[illegible] العطاء في الناس وأجزل وارتحل نحو فاس واتبعه عثمان بن أبي
[illegible] بالحضرة فأيقظوا ليلتهم ووافاهم على الظهر
[illegible] وكانت الدائرة على عثمان وقومه وتقبض على رأسه
[illegible] أولياء السلطان فيهم بالقتل والسبي وكان الظهور الذي
[illegible] أبي الصبر الى الانتاس وقد أحكم عقدة الصلح وقد كان
[illegible] السلطان أبي ثابت ووصل الى الجزيرة الخضراء فأدركه خبره بهلكه
[illegible] أبي الصبر بأحكام المواثيق واجتاز عثمان بن أبي العلاء الى
[illegible] فلحق بغرناطة وأخذ السلطان السير الى حضرته فدخل
[illegible] واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب
[illegible] وأقام وافد بحضرته وكانت أيامه خير أيام هدنة
[illegible] تغالى الناس في أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق
[illegible] من الذهب العين وتنافس
[illegible] والصور المشيدة بالصخر والرخام وزخرفوها
[illegible] الحمر وركوب القفاره وأكل الطيب واقتناء الحلي
[illegible] والترف والسلطان وادع بداره
[illegible] ان شاء الله تعالى والله أعلم

[illegible] أبو حفص من أبي عثمان من قبائل كلمة المجاورين للقصر الكبير
[illegible] ولما أجلب بنو مرين على المغرب وبالوافي بسائطه
[illegible] منهم المرو الفاجر من أهله منزله وكان بنو عبد الحق قد
[illegible] من أهل الدين فكان امام صلاتهم وكان
[illegible] وأوفى عهده فما ملك تصل به حبله واتصلت صحابته
[illegible] وربى بنو شعيب
[illegible] وأبو القاسم ومن بعدهم من اخوتهم بقدر كلمة
[illegible] بن عبد الحق فاستخلصهم يوسف بن عبد الحق
[illegible] واختصاصه ثم ترقوا بهم في رتبة خدمته وأخصائه درجة بعد

Marfat.com

آخرى الى أن هلك أبوهم أبو مدين شعيب سنة سبع وتسعين وكان المتقدم منهم عند السلطان عبد الله فاربى على ثنيات العز والوزارة والحلة والولاية وتقدم لحظوته في مجلسه كل حظوة واختصه بوضع علامته على الرسائل والاوامر الصادرة عنه وجعل اليه حسبان الخراج والضرب على أيدى العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاة الخلوات والافضاء بذات الصدور فوقف به الاشراف من الخاصة والقبيل والقرابة والولد وسودوه وخطبوا نائله وكان غمرا واستعمل مع ذلك أخاه محمدا على جباية المصادرة بمراكش وهنأ أبا القاسم الدعة بفاس فأقام بها مقدارا حتى عريضا جاهه طاعما كاسيا تتسرب اليه أموال العمال في سبيل الاتحاف وتقف ببابه صدور الكاتب الى أن هلك السلطان أبو يوسف ويقال ان له مائة في حمه مع سعاية الملباني ولما ولى السلطان أبو ثابت ضاعف رتبته وشفع لديه حظه ورفع على الاقدار قدره ثم ولى من بعده أخوه أبو الربيع فتقبل فيه مذاهب سلفه وكان يوقاصة اليهودى حين نكبوا باشر نكبتهم لمكانه من اصدار الاوامر ويزعمون ان له فيهم سعاية وكان خليفة الاصغر منهم قد استبق كما ذكرناه فلما أفضى الامر الى السلطان أبى الربيع استعمل خليفة بداره في بعض المهن وباشر الخدم حتى اتصل بمباشرة السلطان فجعل غايته السعاية بعبد الله بن أبى مدين وكان يوثر عن السلطان أبى الربيع أنه لا يؤمن بوائقه مع حرم ذويه وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فلقى الى السلطان أن عبد الله بن أبى مدين يمرض باتهام السلطان في ابنته وان صنيعه ويمثل بسالف وأنه مترصد بالدولة وكان يخشى الغائلة بما كان عليه من مداخلة القبيل ولما حمله داعيته من دواعى آل يعقوب فتعجل السلطان دفع غائلته واستدعاه صبيحة زفاف بنته زعموا عن زوجها فاستحثه قائد الروم بقصبة ابى يحيى بن المرابى فطعنه القائد هنالك من ورائه طعنة أكبته على ذقنه واحتز رأسه وألقاه بين يدى السلطان ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجده بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة واسفا وأيقظ السلطان لمكر اليهودى فوقفه على براءة عثمان ابن أبى مدين بعثها للسلطان معه بالتنصل والحلف فتيقظ وعلم مكر اليهودى به فقدم وقتله بخليفة بن وقاصة وذويه من اليهود المتصدين للخدمة وسطاهم سعاوة الى هلاك مثلا للآخرين والله أعلم

(الخبر عن نورة أهل سبتة بالاندلسيين ومراجعتهم طاعة السلطان)

لما قفل السلطان أبو الربيع من غزاة سبتة بعد أن شرد عثمان بن أبى العلاء وأجره بسبتة وأجاز منها الى العدوة ومن كان معه من القرابة كما قلناه بلغه الخبر بضعو

Marfat.com

أهل سبتة ومرض قلوبهم من ولاية الاندلسيين وسوء ملكتهم ودس اليه بعض أشياعه بالبلد بمثل ذلك فأغزى صنيعته تاشفين بن يعقوب الوطاسي أخا وزيره في عساكر ضخمة من بني مرين وسائر الطبقات من الجند وأوعز اليه بالتقدم الى سبتة ومنازلتها فأخذ اليها السير ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت وتنادوا بشعارهم وثاروا على من كان بينهم من قواد ابن الاحمر وعماله وأخرجوا منها حاميته وجنوده واقتسمها العساكر واحتل بها تاشفين بن يعقوب عاشر صفر من سنة تسع وطير بالخبر الى السلطان فعم السرور وعظم الفرح وتقبض على قائد القصبة أبي زكريا يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبي الحسن بن كماشة وعلى قائد الحروب بها من الاعياص عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق كان صاحب الاندلس عقد له مكان ابن عمه عثمان بن أبي العلاء عند اجازته البحر الى الجهاد كما ذكرناه وكتب الى السلطان بالفتح وأوفد عليه الملأ من مشيخة أهل سبتة وأهل الشورى وبلغ الخبر الى ابن الاحمر فارتاع لذلك وخشي عادية السلطان وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وقد كان الطاغية في تلك الايام نازل الجزيرة الخضراء وأقلع عنها على الصلح بعد أن أذاقها من الحصار شدة وبعد أن نازل جبل الفتح فتغلب عليه وانهزم زعيم من زعمائه يعرف بالفنش بيرس هزمه أبو يحيى بن عبد الله بن أبي العلاء صاحب الجيش بمالقة لقيه وهو يجوس خلال البلاد بعد تملكه الجبل فهزم النصارى وقتل أبرح وأهم المسلمين شأن الجبل فبادر السلطان أبو الجيوش بانفاذ رسله راغبين في السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيبا للسلطان في الجهاد فتقبل منه السلطان وعقد له الصلح على ما رغب وأصهر اليه في أخته فأنكحه اياها وبعث بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع عثمان بن عيسى البرزالي واتصلت بينهما الولاية الى مهلك السلطان والبقاء لله وحده

الخبر عن بيعة عبد الحق بن عثمان بمالاة الوزير والمشيخة وظهور السلطان عليهم ثم مهلكه باثر ذلك

كانت رسل ابن الاحمر خلال هذه المهادنة [illegible] الباب السلطان ووصل منهم في بعض أحيانها خلف من مترفيهم يظاهر بالكفر فكشف صفحة وجهه في معاقرة الخمر والادمان عليه وكان السلطان منذ شهر جمادى الاولى سنة تسع قد عزل القاضي بفاس أبا غالب المغيلي وعهد باحكام القضاء لشيخ الفتيا المذكور بها أبي الحسن الملقب بالصغير وكان على نهج من تغيير المنكرات والتعسف فيها حتى لقد كان مطاوعا في ذلك وسواس الفسل الاعجمي ومتجاوزا به الحدود المتعارفة بين أهل الشريعة

Marfat.com

فى سائر الامصار وأحضر عنده ذات يوم هذا الرسول بملا وحضر العدول فاستروحوه ثم أمضى حكم الله فيه وأقام عليه الحد وأضرمته هذه الموجدة فاضطرم غيظا وتعرض للوزير رحو بن يعقوب الوطاسى منصرفه من دار السلطان فى موكبه وكشف عن ظهره بوربه السياط وبنى عليهم سوء هذا المرتكب مع الرسل فبرم لذلك الوزير وأدركته الحفيظة وسرح وزعته وحشمه فى احضار القاضى على أسوا الحالات من التنكيل والتل لذقنه فضو التلك الوجهة واعتصم القاضى بالمسجد الجامع ونادى المسلمين فثارت العامة فيهم ومرج أمر الناس واتصل الخبر بالسلطان فتلافاه بالبعث فى أولئك النفر من وزعة الوزير وضرب أعناقهم وجعلهم عظة لمن وراءهم فأسرها الوزير فى نفسه وداخل الحسن بن على بن أبى الطلاق من بنى عسكر بن محمد شيخ بنى مرين والمسلم له فى شوارهم وقائد الروم عنصالة المنفرد برياسة العسكر وشوكته وكان لهم بالوزير اختصاص آثروه على سلطانه فخدعاهم لبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص وخلع طاعة السلطان فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم نجيبا ثم خرج عاشر جمادى من سنة عشر الى ظاهر البلد الجديد بمكان

وجاهروا بالخلعان وأقاموا الآلة وبايعوا لسلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو اتازى وخرج السلطان فى اثرهم فعسكر بسبو اتلوم لاعتراض العساكر وازاحة العلل واحتل القوم برباط تازى ووفدوا على موسى ابن عثمان بن يغمراسن سلطان بنى عبد الواد يدعونه الى المظاهرة واتصال المدد بالعساكر والاموال جذرا لما هى آثر لديه من تفريق كلمة عدوه فتثاقل عن ذلك لمكان السلم الذى عقده السلطان مذ اول الدولة ولتستبين سبيل القوم وقدم السلطان بين يديه يوسف بن عيسى الجشمى وعمر بن موسى الفودودى فى جموع كتيبة من بنى مرين وسار فى ساقتهم فانكشف القوم عن تازى ولحقوا بتلمسان دمرخا وحمد السلطان مغبة تثاقله عن نصرهم ووجد بها الحجة عليهم اذ غاية مظاهرته اياهم أن يملكهم تازى وقد انكشفوا عنها فيئسوا من صريخه وأجاز عبد الحق بن عثمان ورحو بن يعقوب الى الاندلس فأقام رحو بها الى أن قتله أولاد ابن أبى العلاء ورجع الحسن بن على الى مكانه من مجلس السلطان بعد أن اقتضى عهده بالامان على ذلك ولما احتل السلطان بتازى حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأثخن فى حاشية الخوارج وذويهم بالقتل والسبى ثم اعتل أثناء ذلك وهلك لليال من اعتلاله سلخ جمادى الاخيرة من سنة عشر وورى بصحن الجامع الاعظم من تازى وبويع السلطان أبو سعيد كما ذكره ان شاء الله

(الخبر عن دولة السلطان أبى سعيد وما كان فيها من الاحداث)

لما هلك السلطان أبو الربيع تازى تداول الامر عمه عثمان بن السلطان أبي يعقوب المعروف بأمه فضنيت واستام المنصب وأسدى فى ذلك وألحم وحضر الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هدء من الليل واستشاروا شيخ القرابة يومئذ وكبير الاعياس المرشحين وسربت اليهم الاموال وجاءهم عثمان بن السلطان أبي يعقوب مستاما فزجروه واستدعوا السلطان أبا سعيد فحضر وبايعوه ليلتئذ وأنفذ كتبه الى النواحى والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الاميرأ با الحسن الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر ودخل القصر واطلع على أمواله وذخيرته وفى غد ليلته أخذت البيعة للسلطان بظاهر تازى على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والقبائل والعساكر والحاشية والموالى والصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين ورفع الظلامات وحط المغارم والمكوس وسرح المحبوسين ورفع عن أهل فاس وظيفة الرباع وارتحل لعشرين من رجب الى حضرته فاحتل بفاس وقدم عليه وفود التهنئة من جميع بلاد المغرب ثم خرج لذى القعدة بعدها الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر فى أحوال الرعايا واهتم بالجهاد وأنشأ الاساطيل للغزو فى سبيل الله ولما قضى منسك الاضحى بعده رجع الى حضرته بفاس ثم عقد سنة احدى عشرة لاخيه الامير أبى البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة وريدة وما اليها من الحصون ثم نهض من الحصون سنة ثلاث عشرة الى مراكش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنداله سكورى ونقضه للطاعة فنازله وحاصره مدة واقتحم حصنه عنوة عليه وحمله الى دار ملكه عنوة فأودعه المطبق ثم رجع الى غزو تلمسان والله أعلم

(الخبر عن حركة السلطان أبى سعيد الى تلمسان أولى حركاته اليها)

لما خرج عبد الحق بن عثمان على السلطان ابى الربيع وتغلب على تازى بمظاهرة الحسن ابن على بن أبى الطلاق كبير بنى عسكر واختلف رسلهم الى أبى حمو موسى بن عثمان سلطان بنى عبد الواد اسف ذلك بنى مرين وحرك من احنهم ولما لحق الخارجون على الدولة بالسلطان أبى حمو وأقبل عليهم أضرم ذلك حقد بنى مرين وولى السلطان أبو سعيد الامر وفى أنفسهم من بنى عبد الواد غصة فلما استوسق أمر السلطان ودوخ الجهات المراكشية وعقد على البلاد الاندلسية وفرغ من شأن المغرب اعتزم على غزو تلمسان فنهض اليه سنة أربع عشرة ولما انتهى الى وادى ملوية قدم ابنيه أبا الحسن وأبا على فى عسكرين عظيمين فى الجناحين وسار فى ساقتهما ودخل بلاد بنى عبد الواد على هذه التعبية فاكتسح نواحيها واصطلم نعمها ونازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا وامتنعت

Marfat.com

عليه ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها والحجره وسى بن عثمان من وراء أسوارها وغلب على معاقلها ورعاياها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسف جهاتها نسفا وداخ جبال بنى يرناسن وفتح معاقلها وأثخن فيها وانتهى الى وجدة وكان معه فى معسكره أخوه يعيش بن يعقوب وقد أدركته بعض استرابة بأمره ففرّ الى تلمسان ونزل على أبى حمو ورجع السلطان على تعبيته الى تازى فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا على الى فاس فكان من خروجه على ابيه ما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الامير أبى على وما كان بينه وبين أبيه من الواقعات)

كان للسلطان أبى سعيد اثنان من الولد أكبرهما لامته الحبشية وهو على والاصغر لمملوكة من سبى النصارى وهو عمر وكان هذا الاصغر آثرهما الديه وأعلقهما بقلبه منذ نشأ فكان عليه حدبا وبه مشغوفا ولما استولى على ملك المغرب رشحه بولاية عهده وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصيّر معه الجلساء والخاصة والكاتب وأمره باتخاذ العلامة فى كتبه وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليرنيانى من صنائع دولتهم وكبار المرشحين بها ولما رآه أخوه الاكبر أبو الحسن صاغية أبيه اليه وكان شديد البر والديه انحاش اليه وصار فى جملته وخلط نفسه بحاشيته طاعة لابيه واستمرت حال الامير أبى على على هذا وخاطبه الملوك من النواحى وخاطبهم وهادوه وعقد الرايات وأثبت فى الديوان ومحا وزاد فى العطاء ونقص وكاد أن يستبد ولما ثقل السلطان أبو سعيد من غزاته الى تلمسان سنة أربع عشرة أقام بتازى وبعث ولده الى فاس فلما استقرّ الامير أبو على بفاس حدّثته نفسه بالاستبداد على أبيه وخلعه وراوضه المداخلون له فى المكر بالسلطان حتى يتقبض عليه فأبى وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه فأطاعه الناس لما كان السلطان جعل اليه من أمرهم وعسكر بساحة البلد الجديد يريد غزو السلطان فبرز من تازى بعسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم بدا للامير أبى على فى شأن وزيره وحدّثته نفسه بالتقبض عليه استرابة به لما كان بلغه من المكاتبة بينه وبين السلطان فبعث لذلك عمر بن يخلف الفردودى وتفطن الوزير لما حاوله من المكر فتقبض عليه ونزع الى السلطان أبى سعيد فتقبله ورضى عنه وارتحل الى لقاء ابنه ولما تراءى الجمعان بالقرمدة ما بين فاس وتازى واختل مصاف السلطان وانهزم عسكره وأفلت بعدان أصابته جراحة فى يده ومن لها ولحق بتازى فليلا جريحا ولحق به ابنه الامير أبو الحسن نازعا اليه من جملة أخيه أبى على بعد المحنة وداء لحق أبيه فاستبشر السلطان بالظهور والفتح وحمد المغبة وأناخ الامير أبو على بعساكره على تازى وسعى الخواص بين السلطان وابنه فى الصلح على أن يخرج له السلطان عن الامر

ويقتصر على تازى وجهاتها فتم ذلك بينهما وانعقد وشهد الملأ من مشيخة العرب وزناتة وأهل الامصار واستحكم عقده وانكفأ الامير أبو على الى حضرة فاس مملكا وتوافت اليه بيعات الامصار بالمغرب ووفودهم واستوسق أمره ثم اعتل على اثر ذلك واشتد وجعه وصار الى حال الفوت وخشى الناس على أنفسهم تلاشى الامر بهلكه فسايلوا الى السلطان بتازى ثم نزع على الامير أبى على وزيره أبو بكر بن الذوار وكاتبه عمر بن يدلل بن محمد الكانى وسائر خواصه ولحقوا بالسلطان وحملوه على تلافى الامر فنهض من تازى واجتمع اليه كافة بنى مرين والجند وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصرا لها وابتنى دارا لسكناه وجعل لابنه الامير أبى الحسن ما كان لاخيه أبى على من ولاية العهد وتفويض الامر وفرد أبو على بطائفة من النصارى المستخدمين بدولتهم كان قائدهم يمت اليه بخؤولة وضبط البلد مدة مرضه حتى اذا أفاق وتبين اختلال أمره بعث الى أبيه فى الصلح ويحتمل من المال والذخيرة من دراهم فأجابه لذلك وانعقد بينهما سنة خمس عشرة وخرج الامير أبو على بخاصته وحشمه وعسكر بالزيتون من ظاهر البلد ووفى له السلطان بما اشترطوا وارتحل الى سجلماسة ودخل السلطان الى البلد الجديد ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كتبه وسائر ما كان لاخيه ووفدت اليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا الى طاعته ونزل الامير أبو على لسجلماسة فأقام بها ملكا ودون الدواوين واستحق واستركب وفرض العطاء واستخدم طواعن العرب من بنى المعقل وافتتح معاقل الصحراء وقصور تاورت وتكورارين وتمنطيت وغزا بلاد السوس فافتتحها وتغلب على ضواحيها وأثخن فى اعرابها من ذوى حسان والسفانات وزكنة حتى استقاموا على طاعته وبيت عبد الرحمن بن يدر أمير الانصار بالسوس فى تارودانت مقره فافتتحها عليه عنوة وقتله واصطلم نعمته وأباد سلطانه وأقام ابنى مرين فى بلاد القبلة ملكا وسلطانا وانتقض على السلطان سنة عشرين وتغلب على درعة وسما الى طلب مراكش فعقد السلطان على حربه لاخيه الامير أبى الحسن وجعله اليه وأغزاه ونهض على اثره واعتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم علالها وعقد عليها الكندوز بن عثمان من صنائع دولتهم وثقل بعساكره الى الحضرة ثم نهض الامير أبو على سنة ثنتين وعشرين بجموعه من سجلماسة وأغذ السير الى مراكش فاختلفت عساكره بها قبل أن يجتمع الكندوز أمره فتقبض عليه وضرب عنقه ورفعه على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من حضرته فى عساكره بعد أن احتشد وأزاح العلل

Marfat.com

واستوفى الاصطبلات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن ولى عهده الغالب على أمره
فى عساكره وجموعه وجاء فساقته وسار على هذه التعبية ولما انتهى الى بونو من وادى
ملو به تدروا بالبيات من أبى على وجنوده فحذروهم وأيقنوا ببلتهم وبيتهم بعسكرهم
ذلك فكانت الدبرة عليه وقل عسكره وارتحنوا من الغد فى اثره وسلك على جبال درن
وافترقت جنوده فى أوعاره ولحقهم من معراتها شتات حتى ترجل الامير أبو على
عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق
بسجاماسة ومهد السلطان نواحى مراكش وعقد عليها لموسى بن على الهنتاتى فعظم
غناؤه فى ذلك واضطلاعه واستدت أيام ولايته وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه
الامير أبو على بالخضوع فى الصفح والرضا والعودة الى السلم فأجابه السلطان لما كان
شغفه من حبه فقد كان يؤثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو
على بمكانه من ملك القبلة الى أن هلك السلطان وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن
كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة مندبل الكتانى ومقتله)

كان أبو محمد بن محمد الكتانى من علية الكتاب بدولة الموحدين ونزع من مراكش عند
ما انحل نظام بنى عبد المؤمن وانفض جمعهم الى مكناسة فأوطنها فى ايالة بنى مرين واتصل
بالسلطان يعقوب بن عبد الحق فصحبه فيمن كان يثاثر على صحابته من أعلام المغرب
وسفرعنه الى الملوك كما ذكرناه فى مغازيه الى المستنصر سنة خمس وستين وهلك السلطان
يعقوب بن عبد الحق فازداد الكتانى عند ابنه يوسف بن يعقوب حظوة ومكانة الى أن
سخطه ونكبه سنة سبع وستين وأقصاه من يومئذ وهلك فى حلل سخطته وبقى من بعده
ابنه مندبل هذا فى جملة السلطان أبى يعقوب متبرما بمقام عبد الله بن أبى مدين
المستولى على قهرمة دار السلطان ومخالصته فى خلواته مغضيا لذلك متوقعا النكبة
فى أكثر أيامه مضطرمة له بالحسد جوانحه مع ما كان عليه من القيام على سبان
الديوان عرف فيه بسبقه وتشابه صديقه وعدوه وما انقلب السلطان على ضواحى شلف
ومغراوة واستعمل على سبان الجباية وجعل اليه ديوان العسكر هنالك والى نظر
اعتراضهم وتعييضهم فنزل على ملينة مع من كان هنالك من الامراء مثل على بن محمد
الخيرى والحسن بن على بن أبى العلاق العسكرى الى أن هلك السلطان أبو يعقوب
ورجع أبو ثابت البلاد الى أبى زيان وأخيه أبى حمو فخلف عليهما وحلا بعيونهما
واستبلغا فى تكريمه وانصرف الى مغربه وكان معسكر السلطان يوسف بن يعقوب على
تلمسان قد حصب أخاه أبا سعيد عثمان بن يعقوب فى حال خموله وقد كدت بينهما الخلة

Marfat.com

التى رعاها له السلطان أبو سعيد فلما ولى أمر المغرب مت بذلك اليه فعرفه له واختصه وخالصه وجعل اليه وضع علامته وحسبان جبايته ومستخلص أحواله والمفاوضة بذات صدره ورفع مجلسه فى بسائطه وقدمه على خاصته وكان كثير الطاعة للامير أبى على ابنه المتغلب على أبيه قبل أول أمره ولما استبد وخلع أباه انحاش منديل هذا اليه ثم نزع عنه حين تبين اختلال أمره وكان الامير أبو الحسن يعقد عليه ولاية أخيه أبى على لما كان بينهما من المنافسة وكان كثيرا ما يوغر صدره بايجاب حق عمر عليه وامتهانه فى خدمته وطوى له على البث حتى اذا انفرد بمجلس أبيه وفصل عمر الى سجلماسة أحكم السعاية فيه والحاح فى الهلكة التى أحكم السلطان عليها أذنا واعية حتى أذن الله باهلاكه وكان منديل هذا كثيرا ما يغضب السلطان فى المحاورة والخطاب دالة عليه وكبرا فاعتقله من ذلك كلمات وأحوالا وسخطه سنة ثمان عشرة واذن لابنه الامير أبى الحسن فى نكبته فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه واعتصنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا ويقال جوعا وذهب مثلا فى الغابرين والله خير الوارثين

{ الخبر عن انتقاض العز فى بسبتة ومنازلته ثم } { مصيرها الى طاعة السلطان بعد مهلكه }

كان بنو العزفى لما تغلب عليهم الرئيس أبو سعيد ونقلهم الى غرناطة سنة خمس استقروا بها فى ايالة المخلوع ثالث ملوك بنى الاحمر حتى اذا استولى السلطان أبو الربيع على سبتة سنة تسع أذنوه فى الاجازة الى المغرب فأجازوا الى فاس فاستقروا بها وكان يحيى وعبد الرحمن ابنا أبى طالب من سراتهم وكبارهم وكانوا يغشون مجالس أهل العلم لما كانوا عليه من اتصال الطلب وكان السلطان ابو سعيد أيام امارة بنى أبيه يجلس بالمسجد جامع القرويين شيخ الفتيا أبا الحسن الصغير وكان يحيى بن أبى طالب يلازمه فاتصل به وصارت له وسيلة يحتسبها عنده فلما ولى الامر واستقل به رعى لهم زمام صحابتهم ووفى لهم مقاصدهم وعقد ليحيى على سبتة ورجعهم الى مقر اماوتهم منها ومحل رياستهم فارتحلوا اليها سنة عشر وأقاموا دعوة السلطان أبى سعيد والتزموا طاعته ثم تغلب الامير أبو على على أمر أبيه واستبد عليه فعقد على سبتة لابى زكريا يحيون بن ابى العلاء القرشى وعزل يحيى بن أبى طالب عنها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه حاتم واستقروا فى جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس خلال ذلك حتى اذا كان من خروج الامير أبى على على أبيه ما قدمناه لحق يحيى بن أبى طالب وأخوه بالسلطان نازعين من جملة الامير أبى على فلما اعتقل بالبلد الجديد ونازله السلطان بها يومئذ عقد السلطان ليحيى بن أبى طالب على سبتة وبعثه اليها ليقيم دعوته بتلك الجهات

Marfat.com

وتمسك بابنه محمد رهنا على طاعته فاستقل بامارتها وأقام دعوة السلطان وطاعته بها وأخذ بيعته على الناس واتصل ذلك سنتين وهلك عمه أبو حاتم هنالك بعد مرجعه معه من المغرب سنة ست عشرة ثم انتقض على طاعة السلطان ونبذ طاعة الامراء ورجع الى حال سلفه من أمر الشورى فى البلد واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق الكلمة به ويوهن بأسه عزائم السلطان فى مطالبته وجهز السلطان اليه العساكر من بنى حرين وعقد على حربه للوزير ابراهيم بن عيسى فزحف اليه وحاصره وتغلل عليهم بطلب ابنه فبعث به السلطان الى وزيره ابراهيم ليعطى طاعته فيسلمه وجاءه الخبر من عيون كانت بالعسكر وان ابنه كائن بفسطاط الوزير باحة البحر بحيث تتأتى الفرصة فى أخذه فبيت المعسكر وهجم عبد الحق بن عثمان بجشمه وذويه على فسطاط الوزير فاحتمله الى أبيه وركبت العساكر للهيعة فلم يقفوا على خبر حتى تفقد الوزير بن العزفى واتهموا قائدهم ابراهيم بن عيسى الوزير بمماالاة العدو على ذلك فاجتمعت مشيختهم وتقبضوا عليه وحملوه الى السلطان ابتلاء للطاعة واستبصارا فى نصح السلطان فشكر لهم وأطلق وزيره لابتلاء نصيحته ورغب يحيى بن العزفى بعدها فى رضا السلطان وولايته ونهض السلطان سنة تسع عشرة الى طنجة لاختبار طاعته فعقد له على سبتة واشترطه على نفسه لجباية السلطان وأسنى هديته فى كل سنة واستمرت الحال على ذلك الى أن هلك يحيى العزفى سنة عشرين وقام بالامر بعده ابنه محمد الى نظر عمه محمد ابن على بن الفقيه أبى القاسم شيخ قرابتهم وكان قائدا الاساطيل بسبتة وولى النظر فيها بعد أن نزع القيادة يحيى الرداحى الى الاندلس واختلف الغوغاء بسبتة وانتهز السلطان الفرصة فاجمع على النهوض اليها سنة ثمان وعشرين وبادروا بابتاء طاعتهم وعجز محمد ابن يحيى عن المناهضة وظنها محمد بن عيسى من نفسه فتعرض للامر فى أوغاد من اللفيف فاجتمعوا اليه ودافعهم الملا عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفى الى السلطان فانقادوا واحتل السلطان بقصبة سبتة وثقف جهاتها ورتم منشلها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه فى أعمالها فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله المصدراتى على حامیتها وعقد لابى القاسم بن أبى مدين على جبايتها والنظر فى مبانيها واخراج الاموال للنفقات فيها وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبتة فشرعوا فى بنائها سنة تسع وعشرين وانكفأ راجعا الى حضرته والله تعالى أعلم

(الخبر عن استقدام عبد المهيمن للكتابة والعلامة)

كان بنو عبد المهيمن من بيوتات سبتة ونسبهم فى حضرموت وكانوا أهل نجدة ووفار

متصلين للعلم وكان أبو محمد قاضيا بسبتة أيام أبي طالب وأبي حاتم وكان له معهم صهر ونشأ ابنه عبد المهيمن هذا في حجر الطلب والجلالة وقرأ صناعة العربية على الاستاذ الغافقي وحذق فيها ولما نزلت بهم نكبة الرئيس أبي سعيد سنة خمس واحتلوا الى غرناطة احتمل نبهم القاضي محمد بن عبد المهيمن وابنه وقرأ عبد المهيمن بغرناطة على مشيختها وازداد علما وبصرا باللسان والحديث واستكتب ببدار السلطان محمد المخلوع واختص بوزيره المتغلب على دولته محمد بن الحكيم الرندي فيمن اختص به من رؤساء بني العزفي ثم رجع بعد نكبة ابن الحكيم الى سبتة وكتب عن قائدها يحيى بن سلمة مدة ولما استخلص بنو مرين سبتة سنة تسع اقتصر على الكتابة وأقام منتحلا مذاهب سلفه في انتحال العلم ونزول المروءة ولما استولى السلطان أبو سعيد على المغرب واستقل بولاية العهد وتغلب على الامر ابنه أبو علي وكان محبا للعلم مولعا بأهله منتحلا لفنونه وكانت دولته خلوا من صناعة التراسل مذ عهد الموحدين للبداوة الموجودة في أولهم وحصل للامير أبي علي بعض البصر بالبلاغة واللسان تفنن به لشأن ذلك وخلود ولتهم من الكتاب المرسلين وأنهم انما يحكمون الخط الذي حذقوا فيه ورأى الاصابع تشير الى عبد المهيمن في رياسة تلك الصناعة فولع به وكان كثير الوفادة مع أهل بلده أوقات وفادتهم يختصه الامير أبو علي بمزيد بره وكرامته ويرفع مجلسه ويخطبه للكتابة وهو يمتنع عليه حتى اذا أمضى عزيمته في ذلك أو عز الى عامله بسبتة سنة ثنتي عشرة أن يشخصه الى بهم فقلده كتابته وعلامته حتى اذا خرج أبو علي على أبيه تخير عبد المهيمن الى الامير بي الحسن فلما صولح أبو علي على النزول عن البلد الجديد وكتب شرطه على السلطان كان من جملتها كون عبد المهيمن معه وأمضى له السلطان ذلك وأنف الامير أبو الحسن منها فأقسم ليقتلنه ان عمل بذلك فرفع عبد المهيمن أمره الى السلطان ولاذ به وألقى نفسه بين يديه فرق لشكواه وأمره باعتزالهما والرجوع الى خدمته وأنزله بمعسكره وأقام على ذلك واختصه منديل الكتائي كبير الدولة وزعيم الخاصة وأنكحه ابنته ولما نكب منديل جعل السلطان علامته لابي القاسم بن أبي مدين وكان غفلا خلوا من الآداب فكان يرجع الى عبد المهيمن في قراءة الكتب واصلاحها وانشائها حتى عرف السلطان له ذلك فاقتصر عليه وجعل وضع العلامة اليه سنة ثمان عشرة فاضطلع بها ورسخت قدمه في مجلس السلطان وارتفع صيته واستمر على ذلك أيام السلطان وابنه أبي الحسن من بعده الى أن هلك بتونس في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين والله سبحانه وتعالى خير الوارثين

* (الخبر عن دخول أهل الاندلس وهلاك بطرة على غرناطة) *

Marfat.com

كان الطاغية شانجة بن ادفونش قد تكالب على أهل الاندلس من بعد أبيه هراندة الهالك سنة ثنتين وثمانين منذ غلب على طريف شغل السلطان يوسف بن يعقوب بعده ببني يغمراسن ثم تشاغل حفدته من بعده بأمرهم وتقاصرت مددهم وهلك شانجة سنة ثلاث وسبعين وولى ابنه هراندة ونازل الجزيرة الخضراء فرضة الجهاد لبني مرين حولا كاملا ونازلت أساطيله جبل الفتح واشتد الحصار على المسلمين وراسل هراندة بن ادفونش صاحب برشلونة أن يشغل أهل الاندلس من ورائهم ويأخذ بحجزتهم فنازل المرية وحاصرها الحصار المشهور سنة تسع ونصب عليها الآلات وكان منها برج العود المشهور بطول الاسوار بمقدار ثلاث قامات وتحيل المسلمون على احراقه فأحرق وحفر العدو تحت الارض مسربا مقدار ما يسير فيه عشرون راكبا وتفطن المسلمون واحتفر قبالتهم مثله الى أن نفذ بعضهم لبعض واقتتلوا من تحت الارض وعقد ابن الاحمر لعثمان بن أبي العلاء زعيم الاعياص على عسكر بعثه مددا لاهل المرية فلقيه جمع من النصارى كان الطاغية بعثهم لحصار مرشانه فهزمهم عثمان واستلحمهم ونزل قريبا من معسكر الطاغية خلال ذلك على جبل الفتح وأقامت عساكره على سمانة واسطبونة وزحف العباس بن رحو بن عبد الله وعثمان بن أبي العلاء في العساكر لاغاثة البلدين فاوقع عثمان بعسكر اسطبونة وقتل قائدهم الفنش بيرش في نحو ثلاثة آلاف فارس واستلحموا ثم زحف عثمان لاغاثة العباس وكان دخل عوجين فحاصرته جموع النصارى به فانفضوا لخبر زحفه وبلغ الخبر الى الطاغية بمكانه من ظاهر الجزيرة بفتكه عثمان في قومه فسرح جموع النصرانية اليه ولقيهم عثمان فأوقع بهم وقتل زعماءهم وارتحل الطاغية يريد لقاءهم فخالف أهل البلد الى معسكره وانتهبوا محلاته وفساطيطه وأتيحت للمسلمين عليهم الكرة وامتلأت الايدي من غنائمهم واسراهم ثم هلك الطاغية اثر هذه الهزائم سنة ثنتي عشرة وهو هراندة بن شانجة وولى بعده ابنه الهنشة طفلا صغيرا جاءوه لنظر عمه دون بطرة بن شانجة وزوجه النصرانية جوان فكفلاه واستقام أمرهم على ذلك وشغل السلطان أبو سعيد عنهم المغرب بشأن ابنه وخروجه فاهتبل النصرانية الغرة في الاندلس وزحفوا الى غرناطة سنة ثمان عشرة وأناخوا عليها بعسكرهم وأممهم وبعث أهل الاندلس صريخهم الى السلطان واعتذر لهم بمكان أبي العلاء من دولتهم ومحله من رياستهم وأنه مرشح للامر في قومه بني مرين يخشى معه تفريق الكلمة وشرط عليهم أن يدفعوه اليه برمته حتى يتم الجهاد ويعيده اليهم حوطة على المسلمين ولم يمكنهم ذلك لمكان عثمان بن أبي العلاء لصرامته وعصابته من قومه فأخفق سعيهم واستلحموا وأطالت أمم النصرانية

بغرناطة وطمعوا فى التهامها ثم ان الله نفس محنتهم ودافع بيد قدرته عنهم وكيف لعثمان بن أبى العلاء وعصبته واقعة كانت أغرب الوقائع صمموا الى موقف الطاغية بجملتهم وكانوا زهاء مائتين أو أكثر وصابروهم حتى خالطوهم فى مراكزهم فصرعوا بطرة وجوان وولوهم الادبار واعترضتهم من ورائهم مسارب الماء للشرب من شقيل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وأعز الله دينه وأهلك عدوه ونصب رأس بطرة بسور البلد عبرة لمن يذكر وهو باق هنالك لهذا العهد والله تعالى أعلم

(الخبر عن صهر الموحدين والحركة الى تلمسان على اثره وما تخلل ذلك من الاحداث)

لما انفرج الحصار عن ولد يغمراسن بن زيان أحد ملوك بنى عبد الواد سنة ست وتجافى أبو ثابت عن بلادهم ونزل لهم عما كان بنو مرين ملكوه منها بسيوفهم واستقل أبو حمو بملك بنى عبد الواد على رأس الحول منها صرف نظره واهتمامه الى بلاد المشرق فتغلب على بلاد مغراوة ثم على بلاد بنى توجين ومحا منها أثر سلطانهم ولحق أعياصهم من ولد عبد القوى بن عطية وولد منديل بن عبد الرحمن بالموحدين بنى أبى حفص مع من تبعهم من رؤس قبائلهم وصاروا فى جملة عساكرهم واستلحق مولانا السلطان أبو يحيى وحاجبه يعقوب بن عمر منهم جندا كثيفا أثبتهم فى الديوان وغالب بهم الخوارج والمنازعين للدولة ثم زحف أبو حمو الى الجزائر وغلب بن علان عليها سنة ونقله الى تلمسان ووفى له وفتر بنو منصور أمراء ملكش أهل بسيط متيجة من صنهاجة فلحقوا بالموحدين واصطنعوهم وتملك قاصية المغرب الاوسط وتاخم عمل الموحدين بعمله ثم تغلب على تدلس سنة ثنتى عشرة وتحنى على مولانا السلطان أبى يحيى بما وقع بينهم من المراسلة أيام انتزى ابن مخلوف ببجاية كما ذكرناه فى أخباره فحث عزائمه لنزلتها وطلب بلاد الموحدين وأوطأ عساكره أرضهم ونازل أمصارهم ببجاية وقسنطينة واختص بجاية بشوكته من ذلك وجهز العساكر مع مسعود ابن عمه أبى عامر ابراهيم بعض ايقتها وكان خلال ذلك ما قدمناه من خروج محمد بن يوسف بن يغمراسن عنه سنة

وقيام بنى توجين بأمره واقتطاع جبل وانشريس من عمالة ملكه واستمرت الحال على ذلك حتى هلك السلطان أبو حمو سنة ثمان عشرة وقام بأمرهم ابنه أبو تاشفين عبد الرحمن فصنع له فى ابن عمه محمد بن يوسف ونهض اليه بعساكر بنى عبد الواد حتى نازله بمعتصمه من جبل وانشريس وداخله عمر بن عثمان كبير بنى يغمراسن فى المكر به فتقبض عليه وقتله سنة تسع عشرة وارتحل الى بجاية حتى احتل بساحتها وامتنع

Marfat.com

عليه الحاجب ابن عمر فأقام يوما أو بعضه ثم انكفأ راجعا الى تلمسان وردّ البعوث
الى أوطان بجاية وابتنى المحصون لتجمير الكتائب فابتنى بوادى بجايه من أعلاه حصن
بكر ثم حصن تامزيزدكت ثم اختط بتيكلات على مرحلة منها بلدا سماها تامزيزدكت
على اسم المعقل الذى كان لاوليهم بالجبل قبالة وجدة وامتنع بغمراسن به على السعيد كما
قدمناه فاختط بلد تيكلات هذه وشحنها بالاقوات والعساكر وصيرها ثغر المملكة وأنزل
بها جنده وعقد عليها لموسى بن على الكردى كبير دولته ودولة أبيه واستحثه أمراء
الكعوب من بنى سليم لملك افريقية حين مغاضبتهم لمولانا السلطان أبى يحيى اللحيانى
وأبى عبد الله محمد بن أبى بكر بن أبى عمران وأبى اسحق بن أبى يحيى الشهيد مرّة بعد
أخرى كما ذكرناه فى أخبارهم جميعا وكانت حروبهم سجالا الى أن كان بين جيوش زناتة
والموحدين الزحف المشهور بالرياش من نواحى مرماجنة سنة تسع وعشرين زحفت
فيه الى السلطان أبى يحيى عساكر زناتة مع حمزة بن عمر أمير بنى كعب ومن اليه من البدو
وعليهم يحيى بن موسى من صنائع دولة آل يغمراسن وقد نصبوا للملك محمد بن أبى عمران
ابن أبى حفص ومعهم عبد الحق بن عثمان من أعياص بنى عبد الحق فى بنيه وذويه كان
نزع اليهم من عند الموحدين كما ذكرناه فاختل مصاف مولانا السلطان أبى يحيى وانهزم
واستولوا على فساطيطه بما فيها من الذخيرة والحرم وانتهبوا معسكره وتقبضوا على
ولديه المولين أحمد وعمر وأثخنوهما الى تلمسان وأصيب السلطان فى بدنه بجراحات
أوهنته وخاص الى بونة تاجيا برمقه وركب السفين منه الى بجاية فأقام يداوى
جراحه واستولت زناتة على تونس ودخلها محمد بن أبى عمران وسموه باسم السلطان
ومقادته فى يد يحيى بن موسى أمير زناتة واعتزم مولانا السلطان أبو يحيى على الوفادة
على ملك المغرب السلطان أبى سعيد صريخا على آل يغمراسن وأشار حاجبه محمد بن سعيد
الناس بانفاذ ابنه الامير أبى زكريا صاحب الثغر استنادا كما فاله عن مثلها فتقبل اشارته
وأركب ابنه البحر لذلك وبعث اليه معه أبا محمد عبد الله بن تاشفين من مشيخة الموحدين
ناقضا امامه طرف المقاصد والمحاورات ونزلوا بقسنطينة من سواحل المغرب وقدموا
على السلطان أبى سعيد بحضرته وأبلغوه صريخ مولانا السلطان أبى يحيى فاهتز لذلك
هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لابنه الامير فى ذلك المحفل يا بنى لقد قصدك أكبر أقوامنا
وموصلك والله لابذان فى مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولاسيرن بعساكرى الى
تلمسان فأنزلها مع أبيك فانصرفوا الى منازلهم مسرورين وكان فيما شرطه عليهم
السلطان أبو سعيد مسير مولانا السلطان أبى يحيى بعساكره الى منازلة تلمسان معه
فقبلوا ونهض السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين ولما انتهوا الى وادى ملوية

Marfat.com

وعسكر بصره جاءهم الخبر اليقين باستيلاء السلطان أبي يحيى على حضرة تونس واجتياضه ثمانية وسلطانهم عنها فاستدعى مولانا السلطان الامير أبا زكريا يحيى ابنه ووزيره أبا محمد عبد الله بن تافراكين وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم واسنى جوائزهم وحاجاتهم وركبوا أساطيلهم من غساسة وأرسل معهم لخطبة الصهر ابراهيم ابن أبي حاتم العزفي والقاضي بحضرته أبي عبد الله بن عبد الرزاق وانكفأ على عقبه راجعا الى حضرته ولما انعقد الصهر بين الامير أبي الحسن والسلطان أبي يحيى في ابنته شقيقة الامير يحيى زفها اليهم في أساطيله مع مشيخة من الموحدين كبيرهم أبو القاسم بن عبو ووصلوا بها الى مرسى غساسة سنة احدى وثمانين بين يدي مهلك السلطان أبي سعيد فقاموا لها على أقدام البر والتكرمة وبعثوا الظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها وصيغت حكمات الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل لوافدها واعراسها غاية الاحتفال بما لم يسمع مثله في دولتهم وتولت قهارمة الدار من عجز النساء ما يتولاه مثلهم من ذلك فطم الصنيع وتحدث الناس به وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها والبقاء لله وحده

الخبر عن مهلك السلطان أبي سعيد عفا الله عنه وولاية السلطان أبي الحسن وما تخلل ذلك من الاحداث

كان السلطان لما بلغه وصول العروس بنت مولانا السلطان أبي يحيى سنة احدى وثلاثين واهتزت الدولة لقدومها عليهم تعظيما لحق أبيها وقومها واحتفاء بها ارتحل السلطان أبو سعيد الى تازى ليشارف أحوالها بنفسه احتفاء في تكرمتها وسرورا بعرس ابنه واعتل هنالك ومرض حتى اذا أشفى على الهلكة ارتحل به ولي العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة وحمله في فراشه على اكتاد الحاشية والخيول حتى نزل بسبو ثم أدخله كذلك ليلا الى داره وأدركته المنية في طريقه فقضى رحمة الله عليه فوضعوه بمكانه من البيت واستدعى الصالحين لمواراته فووري لشهر ذي الحجة سنة احدى وثلاثين والبقاء لله وحده وكل شيء هالك الا وجهه ولما هلك السلطان أبو سعيد اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة لولاية عهد الامير أبي الحسن وعقدوا له على أنفسهم وآلوه طاعتهم وبيعتهم وأمر بنقل معسكره من سبو واضطرب بالزيتون من ساحة فاس ولما ووري السلطان خرج الى معسكره بالتعبية واجتمع اليه الناس على طبقاتهم لاداء البيعة وتولى بغطاطه وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس المزوار عبو بن قاسم رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب القديم الولاية بذلك في دارهم منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب ونقلت اليه يومئذ عروسه بنت السلطان أبي يحيى فأعرس بها

Marfat.com

بمكانه من العسكر وأجمع أمره على الانتقام لابيهامن عدوه وبدا باستكشاف حال أخيه أبي علي وكان السلطان أبوهما يستوصيه به لما كان له بقلبه من العلاقة وكان ولي العهد هذا موثرا رضاه جهده فاعتزم على الحركة الى سجلماسة لمشارفة أحواله والله تعالى أعلم

الخبر عن حركة السلطان أبي الحسن الى سجلماسة وانكفائه عنها الى تلمسان بعد الصلح مع أخيه والاتفاق

لما هلك السلطان أبو سعيد وكملت بيعة السلطان ابي الحسن وكان كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبي علي لما كان كلفا به شفوقا عليه فأراد مشارفة أحواله قبل النهوض الى تلمسان فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة وتلقاه في طريقه وفود الامير أبي علي أخيه مؤذنا بحقه موجبا مبرته مهنئا له بما آتاه الله من الملك متجافيا عن المنازعة فيه قانعا من تراث أبيه بما حصل في يده طالبا العقد له بذلك من أخيه فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل وعقد له على سجلماسة وما اليها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيهما وشهد الملأ من القبيل وسائر زناتة والعرب وانكفأ راجعا الى تلمسان لاجابة صريخ الموحدين وأغذ السير اليها ولما انتهى الى تلمسان تنكب عنها متجاوزا الى جهة المشرق لوعد مولانا السلطان أبي يحيى بالنزول معه على تلمسان كما كان عليه وفاقهم ومشارطتهم مع الامير أبي زكريا الرسول اليهم فاحتل بنا سالت في شعبان من من سنة ثنتين وثلاثين وتلوم بها وأوعز الى أساطيله بمراسي المغرب فأغزاها الى سواحل تلمسان وجهز لمولانا السلطان أبي يحيى مددا من عسكره أركبهم الاساطيل من سواحل وهران وعقد عليهم لمحمد البطوي من صنائع دولته ونزلوا بجاية ونفروا بها لمولانا السلطان أبا يحيى فصاروا في جملته ونهضوا معه الى تيكلاتة فغربي عين الوادا المحمر قبها الكتائب لحصار بجاية وبها يومئذ بن عزرع من قوادهم في جحفل من كان بها من العسكر قبل وصوله اليهم فلحقوا بآخر عملهم من المغرب الاوسط وأناخ مولانا السلطان أبو يحيى عليها بعساكر من الموحدين والعرب والبربر وسائر المعشرة فخربوا عمرانها وانتهبوا ما كان من الاقوات مختزنا بها وكان بحر الابيار لما كان السلطان أبو حمو من لدن اختطها قد أوعز الى العمال بسائر البلاد منذ عمل البطحاء أن ينقلوا أعشار الحبوب اليها وسائر الاقوات وتقبل ابنه السلطان أبو تاشفين مذهبه في ذلك ولم يزل دأبهم الى حين حلت بها سنة المجاعة فانتهب الناس من تلك الاقوات ما لا كفاء له وأضرعوا محتطبها بالارض فنسفوها نسفا وذروها اذاعا صفصفا والسلطان أبو الحسن خلال ذلك متشوف لاحوالهم منتظر لقدوم مولانا

Marfat.com

السلطان أبي يحيى عليه لمنازلة تلمسان حتى وافاه الخبر بانتقاض أخيه كما نذكره فانكفأ راجعا واتصل الخبر بمولانا السلطان أبي يحيى فنقل الى حضرته وحمل البطوى معه واسنى جائزته وجوائز عسكره وانصرفوا الى السلطان مرسلهم من مداعتها وانقبض عنان السلطان أبي تاشفين عن غزو بلاد الموحدين الى أن انقرض أمره والبقاء لله وحده

(الخبر عن انتقاض الامير أبي علي ونهوض السلطان أبي الحسن اليه وظفره به)

لما توغل السلطان أبو الحسن في غزاة تلمسان وتجاوزها الى تاسالت لوعد مولانا السلطان أبي يحيى دس أبو تاشفين الى الامير أبي علي في اتصال اليد والاتفاق على السلطان أبي الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه حتى ذم به وانعقد بينهما على ذلك وانتقض الامير أبو علي على أخيه السلطان أبي الحسن ونهض من مجلماسة الى درعة فقتل بها عامل السلطان واستعمل عليه من ذويه وسرح العسكر الى بلاد مراكش واتصل الخبر بالسلطان وهو بمعسكره بتاسالت فأحفظه شأنه وأجمع على الانتقام منه فانكفأ راجعا الى الحضرة وأنزل بثغر تاوريرت تخم عمله معسكرا وعقد عليه لابنه تاشفين وجعله الى نظر وزيره مندبل بن حمامة بن تيربين وأغذ السير الى مجلماسة فنزل عليها وأحاطت عساكره بها وأخذ بخنقها وشدد القتال والصناع لعمل الآلات لحصارها والبناء بساحتها وأقام بغاديها القتال ويراوحها حولا كريتا ونهض أبو تاشفين في عساكره وقومه الى ثغر المغرب ليوطئه عساكره وبعث في نواحيه يجاذب السلطان عن مكانه من حصاره ولما انتهى الى تاوريرت برز اليه ابن السلطان في وزرائه وعساكره وزحفوا اليه في التعبية فاختل مصافه وانهزم ولم يلق أحدا وعاد الى معجره وبادر الى امداد الامير أبي علي بعسكره فعقد على حصة من جنده وبعث بهم اليه فتسرعوا الى البلد زرافات ووحدانا حتى استكملوا عنده وطاولهم السلطان الحصار وأنزل بهم أنواع الحرب والنكال حتى تغلب عليهم واقتحم البلد عنوة وتقبض على الامير أبي علي عند باب قصره وسبق الى السلطان فأمهله واعتقله واستولى على ملكه وعقد على مجلماسة واستعمل عليها ورحل منكفئا الى الحضرة فاعتقل بها سنة ثلاث وثلاثين واعتقل أخاه في احدى حجر القصر الى أن قتله لاشهر من اعتقاله خنقا بحبسه وعدد له هذا الفتح بفتح الجبل واسترجاعه من يد العدو دمره الله بأيدي عسكره وتحت راية ابنه أبي مالك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن منازلة جبل الفتح واستئثار الامير أبي مالك والمسلين به)

Marfat.com

لما هلك السلطان أبو الوليد ابن الرئيس أبي سعيد المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبي الجيوش قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا تنظر وزيره محمد بن المحروق من بيوت الاندلس وصنائع الدولة واستبد عليه فلما شب وناهز أنف من الاستبداد عليه وأغراه المعلوجي من حشمه بالوزير فاغتاله وقتله سنة تسع وعشرين وشهر للاستبداد وشد أواخي الملك وكان الطاغية قد أخذ جبل الفتح سنة تسع وجاورت النصرانية به ثغور الفرضة وكان شجا في صدرها وأهم المسلمين شأنه وشغل عنهم صاحب المغرب بما كان فيه من فتنة ابنه فرجعوا الجزيرة وحصونها الى ابن الاحمر منذ سنة ثنتي عشرة لاول المائة الثامنة واستغلظ الطاغية عليهم بعد ذلك فرجعوا الجزيرة الى صاحب المغرب سنة تسع وعشرين وولى عليها السلطان أبو سعيد من أهل دولته سلطان بن مهلهل من عرب الخلط أخواله وأسف الطاغية الى حصونها عند مهلك السلطان أبي سعيد فملك أكثرها ومنع البحر من الاجازة وقارن ذلك استبداد صاحب الاندلس وقتله لوزيره ابن المحروق وأهمه شأن الطاغية فبادر لاجازة البحر ووفد على السلطان أبي الحسن بدار ملكه من فاس سنة ثنتين وثلاثين فأكبر موصله وأركب الناس للقائه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبلغ في تكريمه وفاوضه ابن الاحمر في شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكا اليه حال الجبل واعتراضه شجا في صدر الثغور فأشكاه السلطان وعامل الله في أسباب الجهاد وكان مثغورا به متقبلا مذهب جده يعقوب فيه وعقد لابنه الامير أبي مالك على خمسة آلاف من بني مرين وأنفذه مع السلطان محمد بن اسمعيل لمنازلة الجبل فاحتل بالجزيرة وتتابع اليه الاسطول بالمدد وأرسل ابن الاحمر حاشرين في الاندلس فتسايلوا اليه واضطرب معسكرهم جميعا بساحة الجبل وأبلوا في حربه ومنازلته البلاء الحسن الى أن تغلبوا عليه سنة ثلاث وثلاثين واقتحمه المسلمون عنوة وتغلهم الله من كان به من النصرانية بما معهم ووافاه الطاغية بأمم الكفر لثالثة فتحه وقد شحنه المسلمون بالاقوات نقلوها من الجزيرة على خيولهم وباشر نقلها الامير أبو مالك وابن الاحمر فنقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من وزراء أبيه ووصل الطاغية بعد ثلاث فأناخ عليه وبرز أبو مالك بعساكره فنزل بحذائه وبعث الى الامير أبي عبد الله صاحب الاندلس فوصل بحشد المسلمين بعد أن دوخ أرض النصرانية وخرج فنزل بازاء عسكر الطاغية وتحصن العدو في محلتهم وقاموا كذلك عادية لقرب العهد بارتجاعه وخفة ما به من الحامية والسلاح فبادر السلطان ابن الاحمر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلا بانعاش نفسه من الله في رضا المسلمين وسد فرجتهم فتلقاه الطاغية راجلا

حاسرا اعظاما للوصله وآيابه الى ملسا لحين الافراج عن هذا المعتقل وأنحطه بفنائر
مما لديه وارتحل بفوره وأخذ الامير أبو مالك فى تثقيف أطراف الثغر وستغر وجه
وأنزل الحامية به ونقل الاقوات اليه وكان فتحها طوق دولة السلطان أبى الحسن قلادة
الفخر الى آخر الايام ثم جمع بعدها الى شأنه من منازلة تلمسان والله تعالى أعلم

الخبر عن حصار تلمسان وتغلب السلطان أبى الحسن
على ما انقرض من أمر بنى عبد الواد بهلك أبى تاشفين

لما تغلب السلطان على أخيه وحسم علة انتزائه ومنازعته وسد ثغور المغرب وعظمت
لديه نعمة الله بظهور عسكره على النصرانية وارتجاع جبل الفتح من أيديهم بعد أن
أقام فى ملكة الطاغية نحوا من عشرين سنة فرغ لعدوه وأجمع لتلمسان ووفد عليه
الامير السلطان أبى يحيى فى سبيل التهنئة بالفتح والاخذ بحجزة أبى تاشفين
على الثغور وأوفد السلطان الى أبى تاشفين شفعاء فى أن يتخلى عن عمل الموحدين
جملة ويتراجع لهم عن تدلس ويرجع الى تخوم عمله منذ أول الامر ولو عامئذ لعلم
الناس جاه السلطان عند الملوك ويقدروه حق قدره واستنكف أبو تاشفين مع ذلك
وأغلظ للرسل فى القول وأفحش بمجلسه بعض السفهاء من العبيد فى الرد عليهم والنيل
من مرسلهم فانقلبوا اليه بما أحفظه فانبعثت عزائم السلطان للصمود اليهم وعسكر
بساحة البلد الجديد وبعث وزراءه الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل
والعساكر ثم تحمل فاعترض جنوده وأزاح علالهم وعبى مواكبه وسار فى التعبية وفصل
عسكره من فاس أواسط خمس وثلاثين وساق يجر الشوك والمدر من أمم المغرب
وجنوده ومر بوجدة فحمر الكتائب لحصارها ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم
واقتحمها فقتل حاميتها واستولى عليها آخر سنة خمس ثم سار على تعبيته حتى أناخ على
تلمسان وبلغه الخبر بتغلب عساكره على وجدة سنة ست وثلاثين فأوعز اليه بتخريب
أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت امداد النواحى وجهاتها وحشودها وربض
على فريسته ووفدت اليه قبائل مغراوة وبنى توجين فآتوه طاعتهم ثم سرح عساكره
الى الجهات فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتنس والجزائر كذلك سنة ست
وثلاثين ونزع اليه يحيى بن موسى صاحب القاصية الشرقية من عمله والمتاخم كان
لعمل الموحدين والقائم بحصار بجاية بعد نكبة موسى بن على فلقاه مبرة وتكريما
ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى
ابن سليمان العسكرى كبير بنى عسكر بن محمد وشيخ بنى مرين وصاحب شوراهم بمجلس
السلطان والمخصوص بصهره من السلطان عقد له على ابنته فسار فى الولاية والجنود

Marfat.com

وطوع ضاحيـة الشرق وقبائله وافتتح أمصاره حتى انتهى الى المرية ونظم البـلاد
فى طاعـة السلطان واحتشـد مقاتلتها الى معسـكره فلحقوا به وكاثروا جنوده
واسـتعمل السلطان على وانشريس وعمل الجشم من بنى توجين وعقد لسعد بن سلامة
ابن على على بنى يدلتن وجعل الوالى بالقلعة الى نظره وكان خلص اليه بالمغرب قبل فصوله
نازعا عن أبى تاشفين لمكان أخيه قريعه محمد من الدولة واستعمل السلطان أيضا على
شلف وسائر أعمال المغرب الاوسط واختط السلطان بغربى تلمسان البلد الجديد لسكناه
ونزل عساكره وسماه المنصورية وأدار على البلد المخروب سياجا من السور وانطاقا من
الخندق ونصب المجانيق والآلات من وراء خندقه ينضح رماته بالنبل رماتهم
ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر أقرب منه وترتفع شرفاته فوق خندقهم
ويماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليها ورتب المجانيق الى رجمها ودكها فنالت من ذلك
فوق الغاية واشتد الحرب وضاق نطاق الحصار وكان السلطان يصبحهم كل يوم بالبكور
والتطواف على البلد من جميع جهاته لتفقد المقاتلة فى مراكزهم وربما ينفرد فى
طوافه بعض الايام عن حاشيته فاهتبلوا الامر يحسبونه غرة وصفوا جيوشهم من وراء
السور مما يلى الجبل المطل على البلد حتى اذا حاذاه السلطان فى تطوافه فتحوا أبوابهم
وأرسلوا عليه عقبان جنودهم واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد أن
ينزل عن فرسه هو وليه عريف بن يحيى أمبرسو يدو وصل الصائح الى المعسكر من كل
جانب فشمر جنود بنى عبد الواد الى مراكزهم ثم دفعوهم عنها وحملوهم على هوة
الخندق فتطارحوا فيه وتزادفوا وهلك بالكظيظ أكثر ممن هلك بالقتل واستلحم فى ذلك
اليوم زعماء ملئهم مثل عمر بن عثمان كبير الحشم من بنى توجين ومحمد بن سلامة بن على
كبير بنى يدلتن منهم أيضا وغيرهم وكان يومالله ما بعده واعتز بنو مرين عليهم من يومئذ ونذر
بنو عبد الواد بالتغلب عليهم واتصلت الحرب مدة عامين ثم اقتحمها السلطان غلابا السبع
وعشرين من رمضان سنة سبع وثلاثين ووقف أبو تاشفين بساحة قصره مع خاصته
وقاتل هنالك حتى قتل ابناه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على وليه عبد الحق
ابن عثمان من أعياص عبد الحق نزع اليه من جملة الموحدين كما أشرنا اليه واستوفى
خبره فهلك هو وابنه وابن أخيه وأثخنت السلطان أبا تاشفين الجراحة ووهن لها
فتقبض عليه واختبنه بعض الفرسان الى السلطان فلقيه الامير أبو عبد الرحمن
تلك الحروب وأورد غمرتها بنفسه فاعترضه وقد غض الطرف بموكبه
فأمر به فى الحين فقتل واحتز رأسه وسخط ذلك السلطان من فعله لحرصه على توبيخه
وتقريعه وذهب مثلا فى الغابرين واقتحم السلطان البلد بكافة عساكره ووقع الناس

Marfat.com

بباب كشوط لجنوبهم من كطيظ الزحام فهلك منهم أمم وانطلقت أيدى النهب على البلد فلحقت الكثير من أهله معرات فى أموالهم وحرمهم وخلص السلطان الى المسجد الجامع مع لفة من خواصه وحاشيته واستدعى شيوخ الفتيا بالبلد أبو زيد وأبو موسى ابنا الامام وفاء بحق العلم وأهله فخلصوا اليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب فركب لذلك بنفسه وسكن وأوزع جنوده وأشياعه من الرعية وقبض أيديهم عن الفساد وعاد الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر وشهد ذلك اليوم أبو محمد بن تافراكين وافاه رسولا عن مولانا السلطان أبى يحيى ومجدد العهد فأعجله السلطان الى مرسله بالخبر وسابق السابقين ودخل تونس لسبع عشرة ليلة من نوبة الفتح فعظم السرور عند السلطان أبى يحيى بمهلك عدوه والانتقام منه بثأره واعتدها بما عيه ورفع السلطان أبو الحسن القتل عن بنى عبد الواد أعدائهم وشفى نفسه بقتل سلطانهم وعفا عنهم وأثبتهم فى الديوان وفرض لهم العطاء واستتبعهم على راياتهم ومراكزهم وجمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وتوجين وسائر زناتة وأنزلهم ببلاد المغرب وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله وساروا عصابات لوائه فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس حامية ومرابطين واندرجوا فى جملته واتسع نطاق ملكه وأصبح ملك زناتة بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان المغرب والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

(الخبر عن نكبة الامير عبد الرحمن بمتيجة وتقبض السلطان عليه ثم مهلكه آخرا)

قد قدمنا ما كان من اشتراط السلطان أبى سعيد على الموحدين منازلتهم تلمسان مع عساكره وتلوم السلطان أبى الحسن بتاسالت لانتظار مولانا السلطان أبى يحيى والانازل تلمسان بعساكره المرة الثانية لم يطالبهم بذلك وكان أبو محمد بن تافراكين يتردد اليه وهو بمعسكره من حصار تلمسان مؤديا حقه مستخبرا ما آل عدوهم فلما تغلب على تلمسان أسرّ اليه سفيره أبو محمد بن تافراكين بأن سلطانه قادم عليه للقائه وتهنئته بالظفر بعدوه وتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به وارتحل من تلمسان سنة ثلاث وثلاثين وعسكر بمتيجة منتظرا وفادة مولانا السلطان أبى يحيى عليه وتكاسل السلطان عنها لما أراه المتحكم فى دولته محمد بن الحكيم من حذر مغبتها وقال له ان لقاء سلطانين لا يتفق الا فى يوم على أحدهما فكره ذلك السلطان وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبى الحسن فى انتظار الموعد الذى ألقى اليه أبو محمد بن تافراكين واعتل لاشهر من لقائه ومرض بفسطاطه وتحدث أهل المعسكر بمهلكه وكان ابناه

Marfat.com

الامير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين فى ولاية عهده منذ أيام جدهما أبى سعيد وكان السلطان قد جعل لهما من أول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان والانفراد بالعساكر فكانا من ذلك على نهج وجعل لهما مع ذلك الجلوس لمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له فى سلطانه ولما اشتد وجع السلطان تمشت مماسرة الفتن بين هذين الاميرين وحزب أهل المعسكر لهما أحزابا وبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصارت شيعا وانقسموا فرقا وهم الامير أبو عبد الرحمن بالتوثب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطانته بذلك وتفطن خاصة السلطان لها فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى الناس قبل أن يتفاقم الامر ويتسع الخرق فبرز الى فسطاط جلوسه وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا على مجلسه وتقبيل يده وتقبض على أهل الظنة من العساكر وتسامع أهل المعسكر فأودعهم السجن وسخط على الاميرين ورحل الناس من معسكرهما فردهما الى معسكره ثم رجع الى فسطاطه فارتاب الاميران لذلك ووجما وطفئت نار فتنتهما وسكن سعي المفسدين وانتبذ الناس عنهما فاشتدت روعة الامير أبى عبد الرحمن وركب من فساطيطه وخاض الليل وأصبح بحله أولاد على أمراء زغبة الموطنين بأرض حمزة فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبى الفضل وردّه الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب العيون لحراسته من حشمه الى أن قتل بعد ذلك سنة ثنتين وأربعين وثب بالسهان فقتله وأنفذ السلطان حاجبه علان بن محمد فقضى عليه ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسى بالموحدين فأجاروه ورضى السلطان صيحة نزوع أبى عبد الرحمن عن أخيه أبى مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ الى تلمسان والله أعلم

* (الخبر عن خروج ابن هيدور وتلبسه بأبى عبد الرحمن) *

لما تقبض السلطان على ابنه عبد الرحمن وأودعه السجن تفرق حرمه وحشمه وانذعروا فى الجهات وهمل جازر من مطبخه كان يعرف بابن هيدور كان شبيها له فى الصورة فلحق ببنى عامر من زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن الطاعة خوارج على الدولة لما كان السلطان وأبوه اختصاعريف بن يحيى أمير سويد أقتالهم منذ نزع اليهم عن أبى تاشفين فركبوا سنن الخلاف ولبسوا جلدة النفاق وانتبذوا بالقفار ورياستهم لذلك العهد لاصغير بن عامر واخوته وعقد السلطان على حربهم لوتزمار ابن وليه عريف وكان سيد البدو يومئذ فجمع لهم وشمر لطلبهم وأبعدوا أمامه فى المذاهب وأوقع بهم من اراد ولحق بهم هذا الجازر وانتسب لهم الى السلطان أبى الحسن وأنه أبو عبد الرحمن ابنه النازع

Marfat.com

عنه فشبه لهم وبايعوه وأجلبوا به على نواحى المرية وبرز اليهم قائدها مجاهد بن
من صنائع الدولة ففضوا جمعه وانهزم أمامهم ثم جمع لهم وترمار وفتروا عن
تلك النواحى وافترق جمعهم ونبذوا لذلك الجاز عهده فلحق ببنى يرناتن من زواوة ونزل
على سيدتهم شمسى فقامت بأمره وحمل بنوها من بنى عبد الصمد قومهم على طاعته
وشاع فى الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب حتى تبينت ووقفوا على كذبه فى انتسابه
فنبذوا عهده ولحق بالزواودة أمراء رياح ونزل على سيدهم يعقوب بن على وانتسب
له فى مثل ذلك فأجاره ان صدق نسبه وأوعز السلطان الى الطان أبى يحيى صاحب
افريقية فى شأنه فبعث الى يعقوب وأنحضه الى السلطان مع ذويه فلحق به بمكانه من
سبتة فامتحنه السلطان وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقى بالمغرب تحت جراية من
الدولة الى أن هلك سنة ثمان وثمانين والله تعالى أعلم

لما فرغ السلطان من أمر عدوه وما تبع من ذلك الاحوال صرف اعتزامه الى الجهاد
لما كان كفاه به وكان الطاغية منذ شغل بنى مرين عن الجهاد منذ عهد يعقوب بن عبد
الحق قد اعتزوا على المسلمين بالعدوة ونازلوا دعاقلهم وتغلبوا على الكثير منها وارتجعوا
الجبل ونازلوا السلطان أبا الوليد فى عقر داره بغرناطة ووضعوا عليه الجزية فتقبلها
وأسفوا الى التهام المسلمين بالاندلس فلما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت
على الايدى يده وانفسح نطاق ملكه دعته نفسه الى الجهاد وأوعز الى ابنه الامير أبى
مالك أمير الثغور من عمله بالعدوة سنة أربعين بالدخول الى دار الحرب وجهز اليه
العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء فشخص غازيا فى الحفل وتوغل فى بلاد الطاغية
واكتسحها وخرج بالسبى والغنائم الى أدنى صدره من أرضهم وأناخ بها وتصل به الخبر
بأن النصارى جمعوا له وأغذوا السير فى اتباعه واشارعليه الملأ بالخروج من أرضهم
واجازة الوادى الذى كان بخما بين أرض الاسلام ودار الحرب وأن يصير الى مدن
المسلمين فيمتنع بها فلج فى ابايته وصمم على التعريس وكان قرما ثبتا الا أنه غير بصير بالحروب
لمكان سنه فصبحهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل أن يركبوا وخاطبوهم فى
ابايتهم وأدرك الامير أبو مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجدلوه واستلحموا
الكثير من قومه واحتووا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا
على أعقابهم واتصل الخبر بالسلطان فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله
أجره وفى سبيله قتله وشرع فى اجازة العساكر للجهاد وتجهيز الاساطيل

Marfat.com

لما بلغ الخبر الى السلطان باستشهاد ابنه آخر وزاره الى السواحل لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء واعترض الجنود وأزاح علتهم واستنفر أهل المغرب وارتحل الى سبتة ليباشر أحوال الجهاد وتسامعت أمم النصرانية بذلك فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مراسى العدوة وبعث الى الموحدين بتجهيز أسطولهم اليه فعقدوا عليه لزيدان فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم ووافى سبتة فى ستة عشر من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية ووافت أساطيل المغربيين بمرسى سبتة تناهز المائة وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفى الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد اكتمل عديدهم وعدتهم فاستلأموا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا ملياً ثم قربوا الاساطيل بعضها الى بعض وقرنوها للمصاف فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم المائد واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكنير من رؤسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشدت الشعراء بين يديه وكان يوما من أعز الايام والمنة لله

(الخبر عن واقعة طريف وتمحيص المسلمين)

لما ظفر المسلمون باسطول النصارى وخمدوا شوكتهم عن ممانعة الجواز شرع السلطان فى اجازة العساكر الغزاة من المطوعة والمرتزقة وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدوة الى العدة ولما استكمل اجازة العساكر أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين ونزل بساحة طريف وأناخ بعساكره عليها واضطرب معسكره بفنائها وبدأ بمنازلتها ووافاه سلطان الاندلس أبو الحجاج ابن السلطان أبى الوليد بعسكر الاندلس من غزاة زناتة وحامية الثغور ورجل البدو فعسكر واحذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بهم أنواع القتال ونصبوا عليها الآلات وجهز الطاغية أسطوله آخرا عترض به الزقاق لقطع الرافق عن المعسكر وطال ثواؤهم بمكانهم من حصار البلد ففنيت أزودتهم وافتقدوا العلوفات فوهن الظفر واختلت أحوال المعسكر واحتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس فجاء معه فى قومه وزحف اليهم استة أشهر من نزولهم ولما قرب معسكرهم سرب الى طريف جيشا من النصارى أكمنهم بها فدخلوه ليلا على حين غفلة من العسس الذى أرصد لهم

Marfat.com

وأحسوا بهم آخر ليلتهم فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا ولبسوا على السلطان بأنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ورعف الطاغية من الغد في جموعه وعبى السلطان مواكب المسلمين صفوفا وتزاحفوا ولما نشب الحرب برز الجيش الكمين من البلد وخالفوهم الى المعسكر وعمدوا الى فسطاط السلطان ودافعهم عنه الناشبة الذين أعدوا لحراسته فاستلموهم ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن وخلصوا الى حظايا السلطان عائشة بنت عمه أبي يحيى ابن يعقوب وفاطمة بنت مولانا السلطان أبي يحيى ملك افريقية وغيرهما من حظاياه فقتلوهن واستلبوهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر نارا وأحس المسلمون بمناورتهم في معسكرهم فاختل صفوفهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان ابن السلطان سلم في طائفة من قومه وذوبه حتى خالطهم في صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وولى السلطان منحيزا الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة ووصل الطاغية الى فسطاط السلطان من الحملة وأنكر قتل النساء والولدان ووقف منه لمنتهى أثره وانكفأ راجعا الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة وخلص السلطان الى الجزيرة ثم الى الجبل ثم ركب السفين الى سبتة في ليله ومحص الله المسلمين وأجزل ثوابهم

لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع في التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل قلعة بني سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها وجمع الآلات والايدي على حصارها واشتد محنقها وأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة ثنتين وأربعين وآل الله الطيب منها بالخبيث وانصرف الى بلده وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعودة الى الجهاد لرجع الكرة وبعث في الامصار للاستنفار وأخرج قواده الى سواحل البحر لتجهيز الاساطيل حتى اكتمل له منها عدد ثم ارتحل الى سبتة لمشارفتها وقدم عساكره الى العدوة مع وزيره عسكر بن تاحضريت وبعث على الجزيرة محمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم اليرنياني من المرشحين للوزارة نيابة وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافعته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق وملكوه دون المسلمين وأقبل الطاغية من اشبيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة الجهاز وأمل أن ينظمها في مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدي عليها وطاولها الحصار واتخذ

Marfat.com

أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاولة وجاء السلطان أبو الحجاج بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح فى سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة ليسرّب عليها المدد من الفرسان والمال والزرع فى الغلة من أساطيلهم وتحت جناح الليل فلم يغنهم ذلك واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد وأجاز اليه السلطان أبو الحجاج يفاوضه فى شأن السلم مع الطاغية بعد اذن الطاغية له فى الاجازة مكرابه وترصد له بعض الاساطيل فى طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق وضاق أحوال الجزيرة ومن كان بها من عساكر السلطان وسألوا من الطاغية الامان على أن ينزلوا عن البلد فبذله وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين فأنزلهم السلطان بلاده على خير نزل واقطاهم من المبرّة والكرامة ما أعاضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم وأجازهم بما تحدث به الناس وتقبض على وزيره مسكر بن تاحضريت عقوبة على تقصيره فى المدافعة مع تمكنه منها من العساكر وانكفأ السلطان الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده فى رجوع الكرّة وعلو الدين والله متم نوره ولو كره الكافرون

كان عثمان بن أبى العلاء من أعيان آل عبد الحق شيخ الغزاة المجاهدين من زناتة والبربر بالاندلس وكان له فيها مقام معلوم فى حماية الثغور ومدافعة العدو وغزو دار الحرب ومساهمة صاحب الاندلس الجهاد كما نستوفى أخباره وكان السلطان أبو سعيد لما استصرخ بأهل الاندلس اعتذر بمكانه بينهم واشترط عليهم أن يمكنوه من قياده حتى يقضى نوبة الجهاد فلم يسعفوه بذلك ولما هلك عثمان بن أبى العلاء قام بالامر من بعده فى مراسم الجهاد بنوه وكانوا يرجعون فى رياستهم الى كبيرهم أبى ثابت عامر وقويت عصابتهم بالموالى والاتباع وغلبت على يد السلطان واستبدوا عليه فى أكثر الاحوال واستنكف لها وكان ذلك مما دعاه الى القدوم على السلطان أبى الحسن وارتاب بنو أبى العلاء فى اجازته اليه واتهموه على أنفسهم وأسعدهم الى منازلة جبل الفتح على كره فلما تغلب المسلمون عليه وقضى ابن الاحمر من مدافعة الطاغية منه لرغبة ما قضى كان كرين واعتزم على القفول الى حضرته أجمعوا الفتك به فى طريقه ودخلوا فى ذلك مولاه ابن المعلوجى لما أسفهم به من ارهاقه والتضييق عليهم فى جاههم فنزلوا وأوطؤا على البث حتى اذا وجدوا من أبى العلاء مساغية الى ذلك نفوا الى اجابتها وندبهم محمد ابن الاحمر فبعث عن السفن تعرضه فى طريقه وساحل اليهم وتسابقوا الشأنهم قبل فوته فأدركوه دون حصن اصطبونة وعتبوه فاستعتب واغلظوا له فى القول وقتلوا

Marfat.com

مولاه عاصما صاحب ديوان العطاء تجنيا عليه ونكر ذلك السلطان فتناولوه بالرماح
فعصاروطعنا حتى أقعصوه ورجعوا الى المعسكر فاستدعوا من كان داخلهم من الموالى
وجاؤا بأخيه أبى الحجاج يوسف بن أبى الوليد فبايعوا له وأصفقوا على تقديمه وسرح
لحينه قائده ابن عزون فاستولى له على دار ملكه وتم أمره وعجبه رضوان مولى أبيهم
واستبد عليه وسكن بين جنبيه من بنى أبى العلاء وقتلهم لأخيه داء دخيل حتى
اذا سما السلطان أبو الحسن الى الجهاد وأجاز المدد الى ثغور عمله بالاندلس وعقد لابنه
الامير أبى مالك أسر اليهم فى شأن بنى أبى العلاء بما كان أبوه السلطان أبو سعيد اشترط
عليهم فى مثالها ووافق منه داعية لذلك فتقبض عليهم أبو الحجاج وأودعهم المطبق أجمع
ثم أشخصهم فى السفين الى مراسى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبى يحيى
و بعث فيهم السلطان أبو الحسن اليه فاعتقله ثم أوعز اليه مع عريف الوزعة يابه ميمون
ابن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف عنها وأبى من اخفار ذمتهم ووسوس اليه
وزيره أبو محمد بن تافراكين بأن مقصد السلطان فيهم غير ما ظنوا به من الشر ورغب
ببعثهم اليه والمبالغة فى الشفاعة فيهم علما بأن شفاعته لا ترد فأجابه لذلك وجنبوهم اليه
مع بكرون واتبعهم أبو محمد بن تافراكين بكتاب الشفاعة فيهم من السلطان وقدموا على
السلطان أبى الحسن مرجعه من الجهاد سنة ثنتين وأربعين فتلقاهم بالبر والترحيب
اكراما لشفيعهم وأنزلهم بمعسكره وجنب لهم المقربات بالمراكب الثقيلة وضرب لهم
الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملته
ولما احتل ببسيتة لمشارفة أحوال الجزيرة سعى عنده فيهم بأن كثيرا من المفسدين
يداخلونهم فى الخروج والتوثب على الملك فتقبض عليهم وأودعهم فى السجن بمكاسة
الى أن كان من خبرهم مع ابنه أبى عنان ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن هدية السلطان الى المشرق وبعثه نسخ المصحف من خطه الى الحرمين والقدس

كان للسلطان أبى الحسن مذهب فى ولاية ملوك المشرق والكلف بالمعاهد الشريفة
تقبله من سلفه وضاعفه لديه متن ديانته ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى وتغلب على
المغرب الاوسط وصار أهل النواحى تحت رتبة منه واستطال بجناح لطافه خاطب
لحينه صاحب مصر والشأم محمد بن قلاوون الملك الناصر وعرفه بالفتح وارتفاع
العوائق عن الحاج فى سابلتهم وكان فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار
وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين السلف وأجمع السلطان على كتب نسخة عتيقة
من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف قربة الى الله تعالى وابتغاء

Marfat.com

للمثوبة فانتسخها وجمع الوراقين لمعاناة تذهيبها وتنميقها والقراءة لضبطها وتهذيبها حتى اكتمل شأنها وصنع لها وعاء مؤلفا من خشب الابنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ونظم بالجوهر والياقوت واتخذ له اصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب من فوقها غلاف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أم والاعينها الشراء النياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها وأوفد على الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر والشام خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير زغبة والسابق المقدم في بساطه على كل خالعة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير الحولة وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد ابن أبي مدين وعريف الوزعة يبابه وصاحب دولته عبو بن قاسم المزوار واحتفل في الهدية للمزوار للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا ووقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدين هذا الرسول ووعيته وأنسيته وذكر لي بعض قهارمة الدار أنه كان فيها خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى وحمولها خمسمائة حمل من متاع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وازرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المحلوبة من بلاد الصحراء المحكمة بالدباغ المعارف وتنسب الى اللمط ومن خزائن المغرب وما عونه ومايستظرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجوهر والياقوت راعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ركابه ذلك فأذن لها واستبلغ في تكريمها واوفده وسلطان مصر في كتابه وفصلوا من تلمسان سنة وأتوا رسالتهم الى الملك الناصر وهديتهم فتقبلها وحسن لديه موقعها وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث به الناس دهرا واقاهم في طريقهم أنواع البر والتكرمة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبهم واسنى هدية السلطان من فسافيطهم الغريبة الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكريمهم ووصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد ثم انتسخ للسلطان نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراءة بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وولي الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل فخاطبه السلطان وأتحفه وعزاه

عن أبيه وأوفد عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل بن عبد الله بن أبي مدين فقضى من وفادته ما حسن وكان شأنه عجبا في اظهار بهجة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم ثم شرع بعد استيلائه على افريقية كما نذكره في كتاب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن هدية السلطان الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب) *

كان للسلطان أبي الحسن مذهب في الفخر يتطاول به الى مناغات الملوك الاعاظم واقتفاء سننهم في مهاداة الاقتال والامصار وايفاد الرسل على ملوك النواحي القاصية والنجوم البعيدة وكان ملك مالى أعظم ملوك السودان لعهده ومجاور الملكه بالمغرب على مائة مرحلة في القفر من ثغور ممالكه القبلية ولما غلب بنو عبد الواد على تلمسان وابتزهم ملكهم واستولى على ممالك المغرب الاوسط وتحدث الناس بشأن أبي تاشفين وحصاره ومقتله وما كان للسلطان في ذلك من سورة التغلب وآية العز وشاعت أخبار ذلك في الآفاق وسما سلطان مالى منساموسى المتقدم ذكره في أخبارهم الى مخاطبته فأوفد عليه فرا فقيه من أهل مملكته مع ترجمان من الملثمين المجاورين لممالكهم من صنهاجة فوفدوا على السلطان في التهنئة بالغلب والظفر فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم ونزع الى طريقته في الفخر فأتحف طرفا من متاع المغرب وما عونه من ذخيرة داره واسناها وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي وأوفدهم بها على ملك مالى منسا سليمان بمهلك أبيه قبل مرجع وفده وأوعز الى اعراب الفلاة من المعقل بالسير معهم ذاهبين وجائين فشمر لذلك علي بن غانم أميرا ولاد جابر الله من المعقل وصحبهم في طريقهم امتثالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركاب في القفر الى بلد مالى بعد الجهد وطول الشقة فأحسن مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم وعادوا الى مرسلهم في وفد من كبار مالى يعظمون سلطانه ويوجبون حقه ويؤدون طاعته من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان واعتداله في مرضاته ما استوصاهم به فأدوا رسالتهم وبلغ السلطان أربا من اعتزازه على الملوك وخضوعهم لسلطانه وقضاء حق الشكر لله في صنعه

* (الخبر عن ادهار السلطان الى صاحب تونس) *

لما هلكت ابنة لسلطان أبي يحيى بطريف فيمن هلك من حظايا السلطان أبي الحسن فساط عطة بقي في نفسه منها شئ حنينا الى ما شغفته به من خلالها وعزة سلطانها وقيامها

على بيتها وظفرها فى تصريفها والاستمتاع بأصول الترف ولذاذة العيش فى عشيرتها فسما أمله الى الاعتياض عنها ببعض أخواتها وأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير زغبة وكاتب الجباية والعساكر بدولته أبا الفضل بن عبد الله بن أبى مدين وفقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى فوفدوا يوم من سنة ست وأربعين وأنزلوا منزل البر واستبلغ فى تكريمهم ودس الحاجب أبو عبد الله ابن تافراكين الى سلطانه غرض وقادتهم فأبى من ذلك صونا لحرمه عن جولة الاقطار وتحكم الرجال واستعظاما لمثل هذا العرس ولم يزل حاجبه ابن تافراكين يخفض عليه الشأن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع الاذمة السابقة بينهما من الصهر والمخالصة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك اليه فانعقد الصهر بينهم وأخذ الحاجب فى شوار العروس وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال ثواء الرسل الى أن استكمل وارتحلوا من تونس لربيع من سنة تسع وأربعين وعزم مولانا السلطان أبو يحيى الى ابنه الفضل صاحب بونة وشقيق هذا العروس أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابه مشيخة من الموحدين مقدمهم عبد الواحد بن محمد ابن كماز يصحبوا اركابها اليه ووفدوا جميعا على السلطان واتصل الخبر أثناء طريقهم بهلك مولانا السلطان أبى يحيى عفا الله عنه فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ماوصلوا اليه واستبلغ فى تكريمهم وأجل موعد أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرته على تراث أبيه فأطمأنت به الدار الى أن سار فى جملة السلطان وتحت ألويته الى افريقية كما نذكر ان شاء الله تعالى

(الخبر عن حركة السلطان الى افريقية واستيلائه عليها)

كان السلطان أبو الحسن قد امتدت عينه الى ملك افريقية لولا مكان السلطان أبى يحيى من ولايته وصهره وأقام يتحين لها الاوقات ولما بعث اليه فى الصهر وأشيع بتلمسان أن الموحدين ردوا خطبته نهض من المنصورة بتلمسان وأغذ السير الى فاس ففتح ديوان العطاء وأزاح علل العسكر وعقد على المغرب الاقصى لحافده منصور بن الامير أبى مالك وفوض الى الحسن بن سليمان بن ترزيكن فى أحكام الشرطة وعقد له على الضاحية وارتحل الى تلمسان مضمرا الحركة الى افريقية حتى اذا جاء الخبر اليقين بالاسعاف والزفاف سكن عزمه وهدأ طائره فلما هلك السلطان أبو يحيى فى رجب من سنة سبع وأربعين وكان من قيام ابنه عمر بالامر ونزوع الحاجب أبى محمد بن تافراكين فى رمضان منها ماذكرناه تحركت عزائم السلطان لذلك ورغبه ابن تافراكين فى ملك الموحدين فرغب وجاء على أثره الخبر بما كان من قبل عمر لاخيه أحمد ولى العهد

Marfat.com

وكان يستظهر على عهده بكتاب أبيه وما أودعه السلطان بحاشيته من الوفاق على ذلك بخطه واقتضاه منه حاجبه أبو القاسم بن عتو في سفارته اليه فامتعض السلطان لما أضاع عمر من عهد أبيه وهدر من دم أخيه وارتكب مذاهب العقوق فيهم وخرق السياج الذي فرضه بخطه عليهم فأجمع الحركة الى افريقية ولحق به خالد بن حمزة بن عمر نازعا اليه ومستعدا مسيره ففتح ديوان العطاء ونادى في الناس بالمسير الى افريقية وأزاح عللهم وكان صاحب بجاية المولى أبو عبد الله محمد مولانا الامير أبي يحيى وفد على السلطان أبي الحسن ائرمه لك جدته بقرب المآب بسفارة أبيه اليه ويطلب الاقرار على عمله فلما استيأس منه واستيقن حركته بنفسه الى افريقية طلب الرجوع الى مكانه فأسعف وفصل الى بجاية ولما قضى السلطان منسك الاضحى من سنة تسع وأربعين عقد لابنه الامير أبي عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر في أموره كافة وجعل اليه جبايته وارتحل يريد افريقية وسار في جملته هو وخالد بن حمزة أمير البدو ولما احتل بوهران ووافاه هنالك وفد قسطيلة وبلاد الجريد يقدمهم أحمد بن مكي أمير حربه وردف أخيه عبد الملك في امارته ويحيى بن محمد بن يملول أمير توزر سقط اليها بعد خروج الامير أبي عمر العباس ولي العهد عنها ومهلكه بتونس وأحمد بن عامر بن العابد رئيس نفطة رجعا اليهما كذلك بعد مهلك ولي العهد فلقيه هؤلاء الرؤساء بوهران في ملا من وجوه بلادهم فأتوه ببيعتهم وقضوا حق طاعته محمد ابن ثابت أمير طرابلس عن اللحاق به فبعث ببيعته معهم فأكرم وفدهم وعقد لهم على أمصارهم وصرفهم الى أعمالهم وتلك أحمد بن مكي اصحابة ركابه وفي جملته وأغذ السير ولما احتل بني حسن من أعمال بجاية وافاه بها منصور بن فضل بن مزني أمير بسكرة وبلاد الزاب في وفد من أهل وطنه ويعقوب بن علي بن أحمد سيد الزواودة وأمير البدو بضاحية بجاية وقسنطينة فتلقاهم بالمبرة والاحتفاء وألزمهم ساقته وسرح بزيبه قائده حمو بن يحيى العسكري من صنائع أبيه فلما عسكر بساحة بجاية أبى أبو عبد الله وأبى عليه أهل البلد رهبة من السلطان ورغبة فيه وانفض وا من حوله ولحقت مشيختهم من القضاة وأهل الفتيا والشورى بمجلس السلطان وسابقتهم اليه حاجبه فارح بن سيد الناس فأدى طاعته ورجعه اليه للخروج للقاء ركابه وارتحل حتى اذا أطلت رايته على البلد برز المولى أبو عبد الله وألقى بساحة البلد واعتذر عن تخلفه فتقبل عذره وأنزله من البر والكرامة محل الولد العزيز وأقطعه عمل كومية من نواحي قسنطينة واسنى جرايته بتلمسان وأصحبه الى ابيه أبي عنان صاحب المغرب الاوسط واستوصاه به ودخل بجاية فرفع عنهم الظلامات وحط عنهم الربع من المغارم ونظر في أحوال ثغورها

Marfat.com

فشقفها وسدّ فروجها وعقد عليها لمحمد بن الثوار من طبقة الوزراء والمرشحين لها وأنزل معه حامية من بني مرين وكاتب الخراج يبابه بركات بن حسون بن البواق وارتحل معذ السيره حتى احتل بقسنطينة وتلقاه أميرها أبو زيد حافد مولانا السلطان أبي يحيي وأخواه أبو العباس أحمد وأبو يحيي زكريا وسائر اخوتهم فأتوه ببيعتهم ونزلوا له عن عملهم وادالهم السلطان منه بندرومة من عمل تلمسان عقد للمولى أبي زيد على امارتها وجعل له اسوة اخوته في اقطاع جبايتها ودخل البلد وعقد عليها لمحمد بن العباس وانزل معه العباس بن عمر في قومه من بني عسكر وأمضى اقطاعات الزواودة ووافاه هنالك عمر بن حمزة سيد الكعوب لعهده وأمير البدو يستحثار كابه وأخبره برحيل السلطان عمر ابن مولانا السلطان أبي يحيي من تونس فيمن اجتمع اليه من أولاد مهلهل اقتالهم من الكعوب موجها الى ناحية قابس وأشار على السلطان بتسريح العساكر لاعتراضه قبل أن يخلص الى طرابلس فسرّح معه حمو بن يحيي العكري قائده في عسكر من بني مرين والجند وارتحلوا في اتباع السلطان أبي حفص وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة واعترض عساكره بسطح الجعاب منها وصرف يوسف ابن مزني الى عمله بالزاب بعد أن خلع عليه وحمله ثم عقد للمولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيي على مكان عمله ببونة وملأ حقائبه جائزة وخلعا نفيسة وسرّحه ثم ارتحل على أثرهم وأوعز حمو بن يحيي مع الساجعة من أولاد أبي الليل ولحقوا بالامير أبي حفص لمباركة من ناحية قابس فأوقعوا به وتردى عن فرسه في حومة القتال هو ومولاه ظافر السنان القائم بدولته من المعلوج فتقبض عليهما وسيقا الى أبي حفص فاعتقلهما الى الليل ثم ذبحهما وأنفذ برؤسهما الى السلطان ولحق الذل بقابس فتقبض عبد الملك بن مكي على أبي القاسم بن عتو صاحب الامير أبي حفص وشيخ الموحدين وولي صخر بن موسى شيخ بني سكين من سدويكش فيمن تقبض عليه من ذلك الفصل وأنفذهم مقرنين في الاصفاد الى السلطان وسرّح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم ليحيي بن سليمان صهره من بني عسكر على ابنته وأنفذ معه أحمد بن مكي فاحتلوا بتونس واستولوا عليها وانطلق ابن مكي الى مكان عمله من هنالك لما عقد له السلطان عليه وسرّحه اليه بعد أن خلع عليه وعلى حاشيته وحملهم ونزل السلطان بناحية فوافاه هنالك البريد برأس الامير أبي حفص وعظم الفتح ثم ارتحل الى تونس واحتل بها يوم الاربعاء الثامن لجمادى الآخرة من سنة ثمان وتلقاه وفد تونس وملؤها من شيوخ الشورى وأرباب الفتيا فتواطاعتهم وانقلبوا مسرورين لمكتهم ثم عبي يوم السبت الى دخولها مواكبه وصف جنوده سماطين من معسكره

Marfat.com

بتيجوم الى باب البلد يناهز ثلاثة أميال أو أربعة وركب بنو مرين الى مراكزهم
فى جموعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطه وراكبه من على يمينه وليه
عريف بن يحيى أمير زغبة ويليه أبو محمد عبد الله بن تافراكين ومن على يساره الامير
أبو عبد الله محمد أخو مولانا السلطان أبى يحيى ويليه الامير أبو عبد الله ابن أخيه
خالد كانا لمعتقلين بقسنطينة مع ولدهما منذ خروج أخيه الامير الى فارس
فأطلقهم السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طرازا فى ذلك الموكب فيمن
لا يحصى من أعباس بنى مرين وكبرائهم وهدرت طبوله وخفقت راياته وكانت يومئذ
مائة وجاء والمواكب تجتمع عليه صفا صفا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض
بالجيوش وكان يوما لم ير مثله فيما عاينا ودخل السلطان الى القصر وخلع على أبى محمد
ابن تافراكين كسوته وقرب اليه فرسه بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا
ودخل السلطان مع أبى محمد بن تافراكين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف
عليها ودخل منه الى الرياض المتصلة به المدعوة برأس الطابية فطاف على بساتينه
وأفضى منه الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس فى عسكر
لحمايتها ووصل اليه فل الامير أبى حفص والاسرى يقبس مقرنين فى أصفادهم
فأودعهم السجن بعد ان قطع أبا القاسم بن عتو وصخر بن موسى من خلاف لفتيا
الفقهاء بجرايتهم وارتحل من الغد الى القيروان فجال فى نواحيها ووقف على آثار
الاوائل ومصانع الاقدمين والطلول الماثلة لصنهاجة والعبيديين وزار أجداث العلماء
والصالحين ثم سار الى المهدية ووقف على ساحل البحر ونظر فى عاقبة الذين كانوا من قبل
أشد قوة وآثارا فى الارض واعتبر بأحوالهم ومر فى طريقه بقصر الاجم ورباط
المنستير وانكفأ راجعا الى تونس واحتل بها غرة رمضان وأنزل المسالح على ثغور
افريقية وأقطع بنى مرين البلاد والضواحى وأمضى اقطاعات الموحدين للعرب
واستعمل على الجهات وسكن القصر وقد عظم الفتح وعظمت فى الاستيلاء على الممالك
والدول المنة واتصلت ممالكه ما بين مسرانة والسوس الاقصى من هذه العدوة والى
رندة من عدوة الاندلس والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * ودفع
اليه الشعراء بتونس يهنؤنه بالفتح وكان سابقهم فى تلك النوبة أبو القاسم الرحوى
من ناشئة أهل الادب فرفع اليه قوله

أجابك شرق اذ دعوت ومغرب * فكة هشت للقاء وثوب
وناداك مصر والعراق وشامه * بدا رافع الدين عندك يشعب
وحيث أو كادت تحيى منابر * عليها دعاة الحق باسمك تخطب

Marfat.com

فسارع منا كل دار وسامع * الى طاعة من طاعة الله تحسب
وتاقت لك الارواح حبا ورغبة * وأنت على الآمال تنأى وتقرب
فى البلدة البيضاء لبالك معشر * وأنت بأفق الناصرية ترقب
ووافتك من ذات النخيل وفودها * فلقاهم أهل لديك ومرحب
ولم تتلكأ عن اباء بجاية * ولكن تراض الصعب ثم توثب
تأبت فلما ان أطلت عساكر * ترى الشهب منها تستباح وتنهب
تبادر منهم مذعن ومسلم * وأذعن منهم شاغب ومؤلب
وما تونس الا بمصر مروع * وفى حرم أمست لديك تسرب
وما أهلها الا بغاث لصائد * وبالعز منها استنسروا وتعقبوا
وقد كنت قبل اليوم كهف زعيمهم * فها أنت كهف للجميع ومهرب
فكان يرى أن الزمان أداله * بكم فأجاب العيش والعيش مخصب
كذلك إن طائع وان اعتلت * به السن أحوالا وأنت له أب
وما ذاك الا أن عدلك ينتمى * الى الخلفاء الراشدين وينسب
تسامت فى ملك ونسك بحظه * حذياك محراب لديها ومركب
اذا الذ للاملاك خرمداومة * فلذلك القرآن يتلى ويكتب
وان أد من القوم الصبوح فانما * على ركعات بالضحى أنت تدأب
وان حمدوا الشرب الغبوق فانما * شرابك بالامساء ذكر مرتب
وان خشنت أخلاقهم وتجبوا * فما أنت قطبل ولا متجبب
لقد كرمت منك السجايا فأصبحت * اذا ما أمر الدهر تحلو وتعذب
كما شيدت بيتا ذؤابة معشر * يزيدهم فخرا ويعرب
هم التاركو قلب القساور خضعا * وعن شأوهم كفت عبيد وأغلب
هم الناس والاملاك تحت جوارهم * هم العظم والارض العظيمة مغرب
هم المالكو الملك العظيم فبيتهم * على كاهل السبع الشداد مطنب
لقد أصبحت بغداد تحسد باسهم * وحلة ودت أن تكون مناسب
تجلت ببيت المجد منهم كواكب * لقد حل منها شارق ومغرب
فلله منهم ثلة بغريبة * يروم بناها الاعجمى فيعرب
لقد قام عبد الحق للحق طالبا * فما فاته منه الذى قام يطلب
وأعقب يعقو بايؤم سبيله * فلم يخطه وهو السبيل المهذب
وخلف عثمانا فلله صارم * به بان للاسلام شرع ومذهب

Marfat.com

فكم في سبيل الله شن اغارة * لما شاد أهل الكفر أست تخرب
ولما أراد الله اتمام منه * تقلدها منا مطيع ومذنب
أبى لك لادين الحنيفي آية * تعزى بها عن لامع الحق غيهب
فجئت بما يرضى به الله سالكا * سبيلا الى رضوانه بك يذهب
وقمت بأمر الله حق قيامه * يناضل عنه منك نضل مدرب
وأصبح أهل الله أهلا وشيعة * لكم ولهم منكم مكان ومنصب
وحل بأهل الفتك ما حل عزمهم * وقام لديهم واعظ متر قب
وجاهدت في الرحمن حق جهاده * فراهب أهل الكفر بأسك يرهب
وأنقذت من أيدي الاغارة أمة * وأولى جهاد كان بل هو أوجب
فأصبحت الدنيا عروسا بزفها * لامرك من جارى المقادير مغرب
فلا مصر الا قد تمالك أهله * ولا أرض الا بادكارك تخصب
وما الارض الا منزل أنت ربه * وما حلها الا الودود المرحب
تملكت شطر الارض كسبا وشطرها * وراثا فطاب الكل ارثا ومكسب
بجيش على الالواح والماء يعتلى * وجيش على الضمر السوابق يركب
وجيش من الاحسان والعدل والتقى * وذلك لعمر الله أغلى وأغلب
فلا مركب الا بزين راكبا * ولا راكب الا به ازدان مركب
ولا رمح الا وهو أهيف خاطر * ولا سيف الا وهو أبيض قاضب
فكم كاتب خطبه ودواته * ولم يقر خطا يغتدى وهو يكتب
يقر على الابطال وهو كانه * هزبر وابطال الفوارس ربرب
وكم كاتب لا ينكر الطعن رمحه * خبير بأيام الاعارب معرب
له من عجيب السحر بالقول أضرب * وفي هامة القوم المضارب مضرب
فها هو في الاقوال واش محبر * وها هو في الامثال ثاو مجرب
ومن ساحب بردا من العلم والتقى * عليه ذيول الداودية تسحب
له صبغة في العلم جاءت بأصبغ * وشهبان فهم لم يشمهن أشهب
فيا عسكر قد ضم أعلام عالم * به طاب في الدنيا لنا متقلب
هم الفئة العلياء والمعشر الذى * اذا حل شعبا فهو للحق مشعب
لك الفضل في الدنيا على كل قاطن * ومرتحل أنى يجيء ويذهب
و يا مالك العدلا رضا متورعا * مناقبه العلياء تتلى وتكتب
شرعت من الاحسان فينا شريعة * تساوى بها أنا وأدنى قرب

Marfat.com

وأسميت أهل الفسك اذ كنت منهم * فضلك أخوالتقوى قريب مقرب
وأعليت قدرالعلم اذ كنت عالما * ففيه وفي طلابه للّه أرب
فحدك محتوم على كل قائل * ومن ذا الذي يحصي الرمال ويحسب
فلله كم تعطي وتعلي وتجتبي * فللجمر من كفيك قد صح منسب
فلا برحت كفاك في الارض مزنة * يطيب بها للخلق مرعى ومشرب
ولازلت في علياء مجدك راقيا * وشانئك المدحوض ينكي و ينكب
توافي على أقصى أمانيك آمنا * فلا برستعصي ولايتعصب

{الخبر عن واقعة العرب مع السلطان أبي الحسن بالقيروان وما تخللها من الاحداث}

كان هؤلاء الكعوب من بني سليم رؤساء البدو بافريقية وكان لهم اعتزاز على الدولة لايعرفون غيره مذ اولها بل وماقبله اذ كان سليم هؤلاء منذ تغلب العرب من مضر على الدول والممالك أول الاسلام انتبذوا الى الضواحي والقفار وأعطوا من صدقاتهم عن عزة وارتاب الخلفاء بهم لذلك حتى لقد أوصى المنصور ابنه المهدى أن لايستعين بأحد منهم كما ذكر الطبري فلما انثالت الدولة العباسية واستبدالموالي من العجم عليهم اعتز بنو سليم هؤلاء بالقفر من أرض نجد وأجلبوا على الحاج بالحرمين ونالتهم منهم معرات ولما انقسم ملك الاسلام بين العباسية والشيعة واختطوا القاهرة نفقت لهم أسواق الفتنة والتعزز وساموا الدولتين بالهضيمة وقطع السابلة ثم أغراهم العبيديون بالمغرب وأجازوا الى برقة على اثر الهلاليين فخربوا عمرانها وأجروا في خلالها حتى اذا خرج ابن غانية على الموحدين وانتزى بالثغور الشرقية طرابلس وقابس واجتمع معه قراقش الغزي مولى بني أيوب ملوك مصر والشام وانضاف اليهم أفاريق العرب من بني سليم هؤلاء وغيرهم أجلبوا معه على الضواحي والامصار وصاروا في جملتهم من ناعق فتنتهم ولما هلك قراقش وابن غانية واستبد آل أبي حفص بافريقية وأعزالزاوده على الامير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص استظهر عليهم ببني سليم هؤلاء وزاحمهم بظواعنهم وأقطعهم بافريقية ونقلهم عن مجالاتهم باطرابلس وأنزلهم بالقيروان فكان لهم من الدولة مكان وعليها اعتزاز ولما افترق سلطان بني أبي حفص واستبد الكعوب برياسة البدو وضربوا بين أعياصها وسعوا في شقاقها وأصابت منهم وأصابوا منها وكان بين مولانا الامير أبي يحيى و بين حمزة بن عمر أخي الامير منازعة وفتن وحرب بمجال اعانه عليها ما كان من رغب بني عبد الواد الى افريقية وطمعهم في تملك ثغورها فكان يستجر جيوشهم لذلك وينصب الاعياص من بني أبي

حفص يزاحمهم ثم غلبه مولانا السلطان أبو بكر آخرا واستجره الى الطاعة ما كان
من قطع كلمة الزبون عن مولانا السلطان أبي يحيى وهلاك عدوه من آل يغمراسن
بسيف وليه وظهيره السلطان أبي الحسن فأذعن وسكن غرب اعتزازه وحمل بني سليم
على اعطاء صدقاتهم فأعطوها باكراهه ثم هلك باغتيال الدولة له فيما يزعمون وقام
بالامر بنوه ولم يعرفوا عواقب الامور ولا أبلوا باعتساف الدولة ولم يعهدوا ولا سمعوا
لسالفهم غير الاعتزاز فحدثتهم أنفسهم بالفتنة والاعتزاز على قائد الدولة وحاربوه
فغلبوه وأجلبوا على السلطان في ملكه ونازلوه بعقر داره سنة ثنتين وأربعين ولما
سامهم الامير ابن مولانا السلطان أبي يحيى الهضيمة بعد مهلك أبيه نزعوا الى أخيه
ولي العهد فجاء الى تونس وملكها بيعاثم اقتحم عليه أخوه الامير أبو حفص فقتله
ونقض يوم اقتحامه البلد على أبي الهول بن حمزة أخيهم فقتله صبرا بباب داره بالقصبة
فأسفهم بها ونزعوا الى السلطان أبي الحسن ورغبوه في ملك افريقية واستعدوه
اليها ولما تغلب السلطان على الوطن وكانت حاله في الاعتزاز على من في طاعته غير حال
الموحدين وملكته للبدو غير ملكتهم وحين رأى اعتزازهم على الدولة وكثرة ما أقطعتهم
من الضواحي والامصار نكره وأدالهم من الامصار التي أقطعهم الموحدون بأعطيات
فرضالهم في الديوان واستكثر جبايتهم فنقصهم الكثير منها وشكا اليه الرعية من
البدو وما ينالونهم به من الظلامات والجور بفرض الاتاوة التي يسمونها الخفارة فقبض
أيديهم عنها وأوعز الى الرعايا بمنعهم منها فارتابوا لذلك وفسدت نياتهم وثقلت وطأة
الدولة عليهم فترصدوا لها وتسامع ذوبانهم وبواديهم بذلك فأغاروا على تخوم طين بني
مرين ومسالمهم بثغور افريقية وفروجها واستاقوا أموالهم وكثر شاكيهم وأظلم
الجو ملهم بينهم وبين السلطان والدولة ووفد عليه بتونس بعد مرجعه من المهدية وفد
من مشيختهم كان فيهم خالد بن حمزة منتمية الى افريقية وأخوه أحمد وخليفة بن عبد
الله بن مسكين وابن عمه خليفة بن بوزيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان وأكرمهم
ثم رفع اليه الامير عبد الرحمن ابن السلطان أبي يحيى زكريا بن اللحياني كان في جملته وكان
من خبره انه رجع من المشرق بعد مهلك أبيه بمصر كما قدمناه سنة ثنتين وثلاثين فدعا
لنفسه بجهات طرابلس وتابعه اعراب ذباب وبايع له عبد الملك بن مكي صاحب قابس
ونهض معه الى تونس في غيبة السلطان لتخريب تامزيزدكت كما ذكرناه فملكها أياما
وأحس بمرجع السلطان فأجفل عنها ولحق عبد الواحد بن اللحياني الى تلمسان الى
أن دلف اليها السلطان أبو الحسن بعساكره فقارفهم وخرج اليه فأحله محل
التكرمة والمبرة واستقر في جملته الى أن ملك تونس ورفع اليه عن مقدم هذا الوفد

Marfat.com

انهم دسوا اليه مع بعض حشمه وطلبوه فى الخروج معهم لينصبوه للامر بافريقية وتبرأ الى السلطان من ذلك فأحضروا بالقصر ووبخهم الحاجب عسلال بن محمد بن المعمود وأمر بهم فسحبوا الى السجن وفتح السلطان ديوان العطاء وعسكر بسيجوم من ساحة البلد بعد قضائه منسك الفطر من سفته وبعث فى المسالح والعساكر فتوافت اليه واتصل الخبر بأولاد أبى الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وعسكرة السلطان لهم فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتعاقدوا على الموت وبعثوا الى اقتالهم أولاد مهلهل بن قاسم بن أحمد وكانوا بعد مهلك سلطانهم أبى حفص قد لحقوا بالقفر وانتبذوا عن افريقية فرارا من مطالبة السلطان بما كانوا شيعة لعدوهم فأخذ السير اليهم أبو الليل بن حمزة متطارحا عليهم بنفسه فى الاجتماع على الخروج على السلطان فأجابوه وارتحلوا معه وتوافت احياء بنى كعب وحكيم جميعا بتوزر من بلاد الجريد فهدروا الدماء بينهم وتدامروا وتبايعوا على الموت والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من أعقاب أبى دبوس فريسة بنى مرين من خلفاء بنى عبد المؤمن بمراكش عندما استولى عليها وكان من خبره ان أباه عثمان بن ادريس بن أبى دبوس لحق بمهلك أبيه بالاندلس وصحب هنالك مرغم بن صابر شيخ بنى ذباب ببرشلونة فلما انطلق من أسره صحبه الى وطن ذباب بعد أن عقد قص برشلونة بينهما حلفا وأمدهما باسطول على مال التزماه ونزل بضواحى طرابلس وجبال البربر بها ودعا لنفسه هنالك وقام بدعوته كافة العرب من ذباب وقاتل طرابلس فامتنعت عليه ثم بايعه أحمد بن ابى الليل شيخ الكعوب بافريقية وأجلب به على تونس فلم يتم أمره لرسوخ دعوة الحفصيين بافريقية وانقطاع أمر بنى عبد المؤمن منها وآثارهم منذ الاحوال العديدة والآماد المتقادمة فنسى أمرهم وهلك عثمان بن ادريس هذا بجربة ثم ابنه عبد السلام بعده وترك من الولد ثلاثة أصغرهم أحمد وكان صناع البدين ولحقوا بتونس بعد ما طوحت بهم طوائح الاغتراب وظنوا ان قد تنوسى شأن أبيهم فتقبض عليهم مولانا السلطان أبو يحيى وأودعهم السجن الى أن غربهم الى الاسكندرية سنة أربع وأربعين ورجع أحمد الى افريقية واحتل بتوزر محترفا بالخياطة يتعيش فاستدعاه بنو كعب هؤلاء حين اتفقت أهواؤهم ومن اتبعهم من احلافهم أولاد القوس وسائر شعوب علاق وخرج اليهم من توزر فنصبوه للامر وجمعوا له شيأ من الفساطيط والآلة والكسوة الفاخرة والمقربات وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بحللهم وفساطينهم وارتحلوا لمنابزة السلطان ولما قضى منسك الاضحى من سنة ثمان وأربعين ارتحل من ساحة تونس يريدهم فوافاهم فى الفرح بين بسيط تونس وبسيط

Marfat.com

القيروان المسمى بالثنية فأجفلوا أمامه وصدقوه القتال منهزمين وهو في اتباعهم الى أن حصل بالقيروان ورأوا أن لا ملجأ منه فتدامروا واتفقوا على الاستمانة ودس اليهم من عسكر السلطان بنو عبد الواد ومغراوة وبنو توجين فغلبوا بني مرين ووعدوهم بالمناجزة صبيحة يومهم ليتحيزوا اليهم برياتهم وصبحوا معسكر السلطان وركب اليهم في الآلة والتعبية فاختل المصاف وتحيز اليهم الكثير ونجا السلطان الى القيروان فدخلها في القل من عساكره ثامن المحرم سنة تسع وأربعين وتدافعت ساقات العرب في اثره وتسابقوا الى المعسكر فانتهبوه ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمه وأحاطوا بالقيروان وأحاطت حللهم بها سياجا وتعاوت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة من كل مكان وبلغ الخبر الى تونس فاستحصن بالقصبة أولياء السلطان وحرمه ونزع ابن تافراكين من جملة السلطان بالقيروان اليهم فعقدوا له على حجابة سلطانهم أحمد بن أبي دبوس ودفعوه الى محاربة من كان بالقصبة بتونس وأغذ اليها السير واجتمع اليه أشياخ الموحدين وزعانف الغوغاء والجند وأحاطوا بالقصبة وعاودها القتال ونصب المنجنيق لحصارها وصل سلطانه أحمد على اثره فامتنعت عليهم ولم يغنوا فيها غناء وافترق أمر الكعوب وخالف بعضهم بعضا الى السلطان وتساقطوا اليه فتنفس مخنق الحصار عن القيروان واختلفت اليه رسل أولاد مهلهل وأحسن بهم أولاد أبي الليل بن حمزة بنفسه وعاهد السلطان على الافراج ولم يفوا بعهده وداخل السلطان أولاد مهلهل في الخروج معهم الى سوسة فعاهدوه على ذلك وأوعز اسطوله بمرساها وخرج معهم ليلا على تعبية فلحق بسوسة وبلغ الخبر الى ابن تافراكين بمكانه من حصار القصبة فركب السفين ليلا الى الاسكندرية وارتاب سلطانهم ابن أبي دبوس لما وقف على خبره فانفض جمعهم وأفرجوا عن القصبة وركب السلطان أسطوله من سوسة ونزل بتونس آخر جمادى واعتمل في اصلاح اسوارها وادارة الخندق عليها وأقام لها من الامتناع والتحصين رسما ثبت له من بعده ودفع به في نحر عدوه واستقل من نكبة القيروان وعثرتها وخلص من هوتها والله يفعل ما يشاء ولحق أولاد أبي الليل وسلطانهم أحمد بن أبي دبوس بتونس فأحاطوا بالسلطان واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ثم راجع بنو حمزة رأيهم في طاعة السلطان فدخل كبيرهم عمر اليه في شعبان وتقبضوا على سلطانهم أحمد بن أبي دبوس وقادوه الى السلطان استبلاغا في الطاعة وامحاضا للولاية فتقبل فيئتهم وأودع ابن أبي دبوس السجن وأصهر الى عمر بابنه أبي الفضل فعقد له على بنته واختلفت أحوالهم في الطاعة والانحراف الى أن كان ما نذكره والله غالب

Marfat.com

على أمره

(الخبر عن انتقاض الثغور الغربية ورجوعها الى دعوة الموحدين)

كان المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى لما قدم على السلطان أبي الحسن بتلمسان في زفاف شقيقته سنة سبع وأربعين بعدما اتصل به في طريقه مهلك أبيه أوسع له السلطان كنفه ومهد له جانب كرامته وبره وعمره بوعد في المظاهرة على ملك أبيه تعزى به عن فقده وارتحل السلطان الى افريقية والمولى الفضل يرجو أن يجعل سلطانها اليه حتى اذا استولى السلطان على الثغرين بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على مكان امارته أيام أبيه ببونة فصرفه اليه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قدروا من الدولة واستثقلوا وطأة الابالة لما اعتادوا من الملك الرفيق فاشرأبوا الى الثورة عند ما بلغهم خبر النكبة وقد كان توافى بقسنطينة ركاب من المغرب في طوائف من الوفود والعساكر وكان فيهم ابن صغير من أبناء السلطان عقد له على عسكر من أهل المغرب وأوعز اليه باللحاق بتونس وفيهم أعمال المغرب قدموا عند رأس الحول بجبايتهم وحسبانهم وفيهم أيضا وفد من زعماء النصارى بعثهم الطاغية بن أدفونش مع تاشفين ابن السلطان لما أطلقه من الاسر بعد ما عقد السلم والمهادنة وكان أسيرا عندهم من لدن واقعة طريف كما ذكرناه وكان أصابه مس من الجنون فلما خلصت الولاية بين السلطان والطاغية وعظم عنده الاتحاف والمهاداة وبلغه خبر السلطان وتملكه افريقية أطلق ابنه تاشفين وبعث معه هؤلاء الزعماء للتهنئة وفيهم أيضا وفد من أهل مالى ملوك السودان بالمغرب أوفدهم ملكهم منسا سليمان للتهنئة بسلطان افريقية وكان معهم أيضا يوسف بن مزني عامل الزاب وأميره قدم بجباية عمله واتصل به خبر الركاب بقسنطينة فلحق مؤثرا صحابتهم الى سدة السلطان ووافت هؤلاء الوفود جميعا بقسنطينة واعصوصبوا على ولد السلطان فلما وصل خبر النكبة اشرأبت الغوغاء من أهل البلد الى الثورة وتحلبت شفاههم الى ما بأيديهم من اموال الجباية وأحوال الثورة فنقموا عليهم سوء الملكة ودس مشيختهم الى المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبي يحيى بمكانه من بونة وقد كشف القناع في الانتزاء على عمله والدعاء لنفسه فخطبوه للامر واستحثوه للقدوم فأغذ السير وتسامع بخبره أولياء السلطان فخشي ابن مزني على نفسه وخرج الى معسكره بحلة أولاد يعقوب ابن علي أمير الزواودة ولحأ ابن السلطان وأولياؤه الى القصبة ومكربهم أهل البلد في الدفاع دونهم حتى اذا أطلت رايات المولى الفضل وثبوا بهم وحجزوهم الى القصبة

Marfat.com

وأحاطوا بها حتى استنزلوهم على أمان عقدوه لهم ولحقوا بجملة يعقوب فعسكروا بها بعد أن نقض أهل البلاد عهدهم فى ذات يدهم فاستصفوه وأشار عليهم ابن مزنى باللحاق ببسكرة لتكون ركابهم الى السلطان فارتحلوا جميعا فى جوار يعقوب لماله فى تلك الضواحى حتى لحقوا ببسكرة ونزلوا منها على ابن مزنى خير نزل وكفاهم كل شئ يهمهم على طبقاتهم ومقاماتهم وعناية السلطان بمن كان وافدا منهم حتى ساربهم يعقوب بن على الى السلطان وأوفدهم عليه فى رجب من سنته واتصل الخبر بأهل بجاية بالفعلة التى فعل اهل قسنطينة فساجلوهم فى الثورة وكنسوا منازل أولياء السلطان وعماله فاستباحوها واستلبوهم وأخرجوهم من بين ظهرانيهم عراة فلحقوا بالمغرب وطيروا الخبر الى المولى الفضل واستحثوه للقدوم فقدم عليهم وعقد على قسنطينة وبونة لمن استكفى به من خاصته ورجالات دولته واحتل ببجاية لشهر ربيع من سنته وأعاد ملك سلفه واستوسق أمره بهذه الثغور الى أن كان من خبره مع السلطان بعد خروجه من بجاية ما نذكره ان شاء الله

الخبر عن انتزاء أولاد السلطان بالمغرب الاوسط والاقصى ثم استقلال أبى عنان بملك المغرب

لما اتصل خبر النكبة بالقيروان بالامير أبى عنان ابن السلطان وكان صاحب تلمسان والمغرب الاوسط وتساقط اليه القلل من عسكر أبيه عراة زرافات ووحدانا وأرجف الناس بهلك السلطان بالقيروان فتطاول الامير أبو عنان للاستئثار بسلطان أبيه دون الابناء لما كان له من الايثار عند أبيه لصيانته وعفافه واستظهاره القرآن فكان بعين أبيه لامثالها وكان عثمان بن يحيى بن جرار من مشيخة بنى عبد الواد وأولاد يندوكس ابن طاع الله منهم وكان له محل من الدولة كما ذكرناه عند أخباره وكان السلطان أذن له فى الرجوع الى المغرب فرجع من معسكره بالمهدية ونزل بزاوية العباد من تلمسان وكان مسمتا وقورا جهينة خبرة منعا فى حديثه وكان مرجعا فيه الوقوف على الحدثان وكان الامير أبو عنان متشوفا الى خبر أبيه ففزع الى عثمان بن جرار فى تعرفها واستدعاه وأنس به وكان فى قلبه مرض من السلطان فأودع اذن الامير أبى عنان ما أراد من الامانى بتورط السلطان فى المهلكة وبشره بمصير الامر اليه فصادف منه اذنا واعية واشتمل عليه ابن جرار من بعدها ورد الخبر بنكبة السلطان فأغراه ابن جرار بالتوثب على الملك وسول له الاستئثار به من دون اخوانه بقينا بهلك السلطان ثم أوهمه الصدق بارجاف الناس بموت السلطان فاعتزم وشحذ عزيمته فى ذلك ما اتصل به من حافد السلطان منصور ابن الامير أبى مالك صاحب فاس وأعمال المغرب من الانتزاء على

Marfat.com

عمله وأنه فتح ديوان العطاء واستلحق واستركب لغيبة بنى مرين عن بلادهم وخلاء جوه
من عساكرهم وأظهر العسكر والحشد لاستنقاذ السلطان من هوة القيروان يسد منها
حسوا فى ارتقاء وتفطن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس
وصاحب الشرطة بالضواحى فاستأذنه باللحاق بالسلطان فأذن له راحة من مكانه
وأصحبه عمال المصامدة ونواحى مراكش ليستقدمهم على السلطان بجباياتهم فلحق
بالامير أبى عنان على حين أمضى عزيمته على التوثب والدعاء لنفسه فقبض أموالهم
وأخرج ما كان بموضع السلطان بالمنصورة من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه
وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره فى ربيع من سنة تسع فبايعه الملأ وقرأ كتاب
بيعتهم على الاشهاد ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد عقد سلطانه ورست قواعد ملكه
وركب فى التعبية والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطم الناس وانتشروا وعقد على
وزارته للحسن بن يرزيكن ثم لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له وتبعا ورفع
مكان ابن حدار عليهم واختص لولايته ومناجاة خلوته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن
أبى عمرو وسنذكر خبره ثم فتح الديوان واستركب من تساقط اليه من فل أبيه وخلع عليهم
ودفع اليهم أعطياتهم وأزاح علتهم وبيناهو يريد الرحلة الى المغرب بلغه أن وترمار بن
عريف ولى السلطان وخالصته عريف بن يحيى وكان أمير زغبة لعهده ومقدما على
سائر البدو أنه قد جمع له يريد حربه وغلبه على ماصار اليه من الانتزاء والثورة على أبيه
وانه قصد تلمسان بجموعه من العرب وزناتة المغرب الاوسط فعقد للحسن بن سليمان
وزيره على حربه وأعطاه الآلة وسرحه للقائه وسرح معه من حشر من بنى عامر
اقتال سويد وارتحل فى عسكره حتى احتل تسالة وناجزه وترمار الحرب ففلت جموعه
ومنحوا اكتافهم واتبع الوزير عسكره هم واكتسح أموالهم وحللهم وعاد الى سلطانه
بالفتح والغنائم وارتحل الامير أبو عنان الى المغرب وعقد على تلمسان لعثمان بن جرار
وأنزله بالقصر القديم منها حتى كان من أمره مع عثمان بن عبد الرحمن ماذكرناه
فى أخبارهم ولما انتهى الى وادى الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان انه مضمر
القتل به تازى تزلفا الى السلطان ووفاء بطاعته وانه داخل فى ذلك الحافد منصور
صاحب أعمال المغرب بما كان يظهر من طاعة جده فارتاب الامير أبو عنان به
واستظهر واشيه على ذلك بكتابه فلما قرأه تقبض عليه وقتله بالماء خنقا وأغذ السير الى
المغرب وبلغ الخبر منصور بن أبى مالك صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بناحية تازى وبوادى أبى الاجراف فاختل مصاف منصور وانهزمت جموعه ولحق
بفاس وانحجر بالبلد الجديد وارتحل الامير أبو عنان فى اثره وتسايل الناس على

طبقاتهم اليه وآثره الطاعة وأناخ بعساكره على البلد الجديد في ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وأخذ بمخنقها وجمع الايدى والفعلة على الآلات لحصارها ولحين نزوله على البلد الجديد أوعز الى الوالى بمكانه أن يطلق أولاد أبى العلاء المعتقلين بالقصبة فأطلقهم ولحقوا به فأقاموا معه على حصار البلد الجديد وطال تمترسه بها الى أن ضاقت أحوالهم واختلفت أهواؤهم ونزع اليه أهل الشوكة منهم ونزع اليهم عثمان بن ادريس بن أبى العلاء فيمن اليه من الحاشية باذنه له فى ذلك سرا ليمكن اليه فدس اليه وواعدوه الثورة بالبلد فثار بها واقتحمها الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور بن أبى مالك على حكمه فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على دار الملك وما ثر أعمال المغرب ونسابقت البلد وفود الامصار للتهنئة بالبيعة وتملك أهل سبتة بطاعة السلطان والانقياد لقائدهم عبد الله بن على بن سعيد من طبقة الوزراء حسنا ثم توثبوا به وعقدوا على أنفسهم للامير أبى عنان وقادوا عاملهم اليه وتولى كبر الثورة فيهم زعيمهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع من بيت أبى الشرف من آل الحسين كانوا انتقلوا اليها من صقلية واستوسق للامير أبى عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين للامر وأقام مع السلطان بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكثرة على الكعوب النا كثين لعهده الناكبين عن طاعته فأقام بتونس يرجو الايام ويؤمل الكثرة والاطراف تنتقض والثوائر تتجدد الى أن ارتحل الى المغرب بعد اليأس كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن انتقاض النواحى وانتزاء بنى عبد الواد بتلمسان ومغراوة بشلف وتوجين بالمرية

لما كانت نكبة السلطان بالقيروان وانتثر ملك زناتة وانتقضت قواعد سلطانهم اجتمع كل قوم منهم لابرام أمرهم والنظر فى شأن جماعتهم وكانوا جميعا نزعوا الى الكعوب الخارجين على السلطان وينزوعهم عن الطاعة ولحقوا بتونس مع الحاجب أبى محمد بن تافراكين ليلحقه وامنها بأعمالهم وكان فى جملة السلطان جماعة من أعياصهم منهم عثمان واخوته الزعيم ويوسف وابراهيم ابناء عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان سلطان بنى عبد الواد صار فى ايالة السلطان منذ فتح تلمسان وانزالهم بالجزيرة للرباط ثم رجعوا بعد استثمار الغاغية بها من مكانهم من دولته وساروا الى القيروان تحت لوائه وملهم على بن راشد بن محمد بن منديل وقد ذكرنا أخبار أبيه وانه ربى فى ايالة السلطان وجو الدولة يتيما وكفلته نعمتها منذ نشأته حتى كأنه لا يعرف سواها فاجتمع بنو عبد الواد بتونس وعقدوا على أنفسهم لعثمان بن عبد الرحمن لما كان كبيرا خوته وأنوه

بيعتهم شرقى المصلى العتيق المطل على سيجوم من ساحة البلد لعهدى بهم يومئذ وقد
وضعوا له درقة بالارض من اللمط أجلسوه عليها ثم ازدحموا مكبين على يده يقبلونها
للبيعة ثم اجتمع من بعدهم مغراوة الى على بن راشد وبايعوه وحفوا به وتعاهد بنو عبد
الوادوسغراوة على الالفة وانتظام الكلمة وهدر الدماء وارتحلوا الى أعمالهم بالمغرب
الاوسط فنزل على بن راشد قومه بموضع عملهم من ضواحى تلمسان وتغلبوا على أمصاره
وافتتحوا تدلس وأخرجوا منها أولياء السلطان وعساكره وقتلوا القاضى بمازونة
سرحان كان مقيما بها لدعوة السلطان ثم سولت له نفسه التوثب والانتزاء فدعا لنفسه
وقتله على بن راشد وقومه وأجاز عبد الرحمن وقومه من بنى عبد الواد الى محل ملكهم
بتلمسان فألفوا عثمان بن جرار قد انتزى بها بعد منصرف الامير أبى عنان ودعا لنفسه
فتجهم له الناس لتوثبه على المنصب الذى ليس لأبيه واستمسك بالبلد أياما يؤمل نزوع
قومه اليه ثم زحف اليه بنو عبد الواد وسلطانهم فصدقوه الزحف وثارت بهم الغوغاء
وكسروا أبواب البلد وخرجوا الى السلطان فأدخلوه القصر واحتل به فى جمادى من
سنة تسع وتسابق الناس الى مجلسه مشق وفرادى وبايعوه البيعة العامة ثم تفقد ابن
جرار ثم أغرى به البحث فعثر عليه ببعض زوايا القصر واحتمل الى المطبق فأودع به الى
أن سرب اليه الماء فمات غريقا فى هوته وساهم السلطان أبو سعيد عثمان أخاه أبا ثابت
الزعيم فى سلطانه وأشركه فى أمره وأردفه فى ملكه وجعل اليه أمر الحرب والنواحى
والبدو كلها واستوزر قريبه يحيى بن داود بن مكن من ولد محمد بن يندوكس بن طاع الله
واستوسق ملكهم وأوفدوا مشيختهم على الامير أبى عنان صاحب المغرب وسلطان بنى
مرين فعقدوا معه السلم والمهادنة واشترطوا له عن أنفسهم دفاع السلطان اليه
وزحفوا الى وهران من ثغور أعمالهم ونازلوا بها أولياء السلطان وعساكره وعاملها
يومئذ عبد الله بن اجانا من صنائع السلطان أبى الحسن الى أن غلبوه عليها واستنزلوه
صلحا لاشهر من حصارها واستمسك أهل الجزائر بطاعة السلطان واعتصموا بها وعقد
عليها قائده محمد بن يحيى بن العسكرى من صنائع أبيه بعثه اليهم من تونس بعد نكبة
القيروان ونجم بلدية على ابن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوى داعيا لنفسه وطالبا
سلطان سلفه وامتنع عليه معقل ملكهم بجبل وانشريس لمكان ولد عمر بن عثمان
وقومهم من بنى تيغرين فى رياسته وانحاش اليه أولاد عزيز من بنى توجين أهل ضاحية
المدية فقاموا بأمره واعصوصبوا عليه وكانت بينه وبين أبناء عمر بن عثمان بن انشريس
حرب سجال الى أن هلك وخلص أمر بنى توجين لابناء عمر بن عثمان وهم على مذهبهم من
طاعة السلطان وتمسكهم بدعوته وهو مقيم خلال هذا بتونس الى أن أزمع لرحله

Marfat.com

واحتل بالجزائر كما ذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن رجوع الثغور الغربية لامراء الموحدين ببجاية وقسنطينة) *

لما توثب الامير أبو عنان على ملك أبيه وبويع بتلمسان وكانت للامير أبي عبد الله محمد ابن الامير أبي زكريا صاحب بجاية لديه خلة ومصافاة من لدن بعثه اليه السلطان أمره من بجاية وأنزله بتلمسان فدعاله السابقة وآثره بالامارة وعقد له على محل امارته من بجاية وأمده بما رضيه من المال والسلاح ودفعه اليها ليكون حجرا دون السلطان بتونس وضمن له هذا الامير صدده عن الخلوص اليه وسد المذاهب دونه وأوعز أبو عنان الى أساطيله بوهران فركبها الامير الى تدلس ودخلها ونزل اليه صنهاجة أهل ضاحية بجاية عن عمه الامير أبي العباس الفضل واعصوصبوا عليه وقاموا بأمره لقديم نعمته وسالف امارة أبيه ولما ارتحل الامير أبو عنان الى المغرب رحل في جملته الامير أبو زيد عبد الرحمن ابن الامير أبي عبد الله صاحب قسنطينة ومعه اخوته فاختصهم يومئذ بتقريبه وخلطهم بنفسه فلما غلب الامير أبو عنان منصور ابن أخيه أبي مالك على البلد الجديد واستولى على المغرب رأى أن يبعث ملوك الموحدين الى بلادهم ويدفع في صدر أبيه بمكانهم فسرح الامير أبا زيد واخوته وكان منهم السلطان أبو العباس الذي جبر الله به الصدع ونظم الشمل فوصلوا الى وطن ملكهم ومحل امارتهم وكان مولاهم نبيل صاحب أبيهم قد تقدم الى بجاية ولحق بالامير أبي عبد الله من حصارها ثم تقدم الى قسنطينة وبها مولى من موالي السلطان المتغلب عليها وهو الامير أبو العباس الفضل فطمن اطلاله على جهاتها وشعور أهلها بمكانه لقعت منهم عزائم المودة وذكروا جميع الايالة وأجمعوا التوثب بواليهم واحتل نبيل بظاهر قسنطينة فشرهت العامة الى امارته والقيام بدعوته واليه وتوثب أشياعهم على أولياء عهم فأخرجوهم واستولى القائد نبيل على قسنطينة وأعمالها واقام دعوة الامير أبي زيد واخوته كما كانت أول مرة بها وجاؤا من المغرب الى مراكز امارتهم ودعوتهم بها قائمة ورايتهم على ضحائها خافقة فاستلوا بها حلوك الاسداد بعرائنها والكواكب بآفاقها ونهض الامير أبو عبد الله محمد فيمن اجتمع اليه من البطانة والاولياء الى محاصرة بلد بجاية فأجر عمه بالبلد وأخذ بخنقها أياما ثم أفرج عنها ثم رجع الى مكانه من حصارها ودس اليه بعض أشياعه بالبلد وسرب اليه المال في الفوغاء فواعدوه فتح أبواب الربض في احدى ليالي رمضان سنة تسع وأربعين واقتحم البلد وملأ الفضاء بهدير طبوله فهب الناس من مراقدهم فزعين وتدول الامير وقومه البلد ونجا الامير المتغلب الى شعاب الجبل وكواريه المطل على القصبة راجلا حافيا فاختفى به الى أن عثر عليه ضحى النهار وسيق الى ابن أخيه فحن

Marfat.com

عليه وأركبه السفين الى محل امارته من بونة وخلص ملك بجاية للامير أبى عبد الله هذا واقتعد سرير آبائه بها وكتبوا للامير أبى عنان بالفتح وتجديد المخالصة والموالاة والعمل عن مدافعة أبيه عن جهاته والله تعالى أعلم

{الخبر عن نهوض الناصر ابن السلطان وليه عريف بن يحيى من تونس الى المغرب الاوسط}

لما بلغ السلطان خبر ما وقع بالمغرب من انتقاض أطرافه وتغلب الاعياص من قومه وسواهم على أعماله ووصل اليه يعقوب بن على أمير لزواقدة بولده وعماله ووفده نظر فى تلافى أمره بتسريح ولده الناصر الى المغرب الاوسط لارتجاع ملكه ومحو آثار الخوارج من أعمالهم فنهض مع يعقوب بن على وأصحبه وليه عريف بن يحيى أمير زغبة ليستظهر به على ملك المغرب وقدمها طليعة بين يديه وسار الناصر الى بسكرة واضطرب معسكره بها ثم فصل من بلاد رياح الى بلاد زغبة واجتمع اليه أولياؤهم من العرب ومن زناتة من بنى توجين أهل وانشريس وغيره وزحف اليهم الزعيم أبو ثابت من تلمسان فى قومه من بنى عبد الواد وغيرهم للمدافعة والتقى الجمعان بوادى ورك فانفضت جموع الناصر وانذعروا راجعين على عقبه الى بسكرة وخلص عريف بن يحيى الى قومه سويدا ثم قطع القفر الى المغرب الاقصى ولحق بالامير أبى عنان فنزل منه بألطف محل ورجع الناصر الى بسكرة وارتحل مع أوليائهم أولاد مهلهل لمدافعة أولاد أبى الليل وسلطانهم المولى الفضل عن تونس كما ذكرناه وأحس رابه فنهض اليهم وفرقوا أمامه الى أن خلص الناصر الى بسكرة ثانية واتخذها مثوى الى أن لحق بأبيه بالجزائر عند رحلته من تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن رحلة السلطان أبى الحسن الى المغرب وتغلب المولى الفضل على تونس وما دعا الى ذلك من الاحوال}

لما خلص المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبى يحيى من نكبة بجاية وامتن عليه ابن أخيه فلحق بمحل امارته من بونة وافته بها مشيخة أولاد أبى الليل أوفدهم عليه بنو حمزة ابن عمر يستحثونه لملك افريقية ويرغبونه فيه فأجاب داعيتهم ونهض اليهم بعد قفوله من غزاة الفطر من سنة تسع وأربعين ونزل بحلالهم وأوجفوا بخيلهم وركابهم على ضواحى افريقية وجبوها وصمدوا الى تونس فنازلوها وأخذوا بمخنقها أياما ثم أخذ بحجزتهم عنها شيعة السلطان وأولياؤه من أولاد مهلهل وابنه الناصر عند قفوله من المغرب الاوسط مغلولا فرحلوهم وشردوهم ثم رجعوا الى مكانهم من حصارها ثم انفضوا عنها وتحيز خالد بن حمزة الى شيعة السلطان أبى الحسن مع أولاد مهلهل وقومه فاعتزوا به

Marfat.com

ودهب عمر بن حمزة الى المشرق لقضاء فرضه وأجفل أبو الليل أخوه مع المولى الفضل الى القفر حتى كان من دخول أهل الجريد فى طاعته ماذكره ان شاء الله تعالى وكان السلطان لما خلص من القيروان الى تونس وفد اليه أحمد بن مكى مهنيا ومفاوصا فى شأن الثغر وما نمى به من انتقاض الاطراف وفساد الرعية وتدارك السلطان أمره عند فواته بالتولية على أهل القطر من جنسهم استئلافا للكافة واستبقاء لطاعتهم فعقد على عمل قابس وجربة والحامة وما اليها العبد الواحد ابن السلطان زكريا بن أحمد اللحيانى وأنفذه مع أحمد بن مكى الى عمله فهلك بجربة لليال من مقدمه فى الطاعون الجارف عامئذ وعقد لابى القاسم بن عتو شيخ الموحدين على توزر ونفطة وسائر بلاد الجريد بعد أن كان استخلصه بعد مفر أبى محمد بن تافراكين قريبه وما أضمر من سوء دخلته فنزل بتوزر وجمع أهل الجريد على الولاية والمخالصة ولما نازل المولى أبو العباس الفضل تونس مرتين وثار دأولاد مهلهل وامتنعت عليه عمد الى الجريد سنة خمس يحاول فيه ملكا وخاطب أبا القاسم بن عتو يذكره عهده وعهد سلفه وحقوقهم فتذكر وحن رنظر الى ما ناله به السلطان من المثلة فى أطرافه واستئثاركا من حقده فانحرف وحمل الناس على طاعة المولى الفضل ابن مولانا السلطان أبى يحيى فسارعوا الى الاجابة وبايعه أهل توزر وقفصة ونفطة والحامة ثم دعا ابن مكين الى طاعته فأجاب اليها وبايعه أهل قابس وجربة أيضا وانتهى الخبر الى السلطان باستيلاء المولى الفضل على أمصار افريقية وأنه ناهض الى تونس فأهمه الشأن وخشى على أمره وكانت بطانته يوسوسون اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه فأجابهم اليها وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ولما قضى منسك الفطر من سنة خمس ركب البحر أيام استفحال فصل الشتاء وعقد لابنه أبى الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين أولاد حزة من الصهر وتفاديا بمكانه من معرة الغوغاء وثورتهم وأقلع من مرسى تونس ولما دخل مرسى بجاية وقد احتاجوا الى الماء فمنعهم صاحب بجاية من الورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم فزحفوا الى الساحل وقاتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا وعصفت بهم الريح ليلتئذ فجاءهم الموج من كل مكان وألقاهم اليم بالساحل بعد أن تكسرت الاجفان وغرق الكثير من بطانته وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان فألقاه الى الجزيرة قرب الساحل من بلاد زواوة مع بعض حشمه عراة فكثوا ليلتهم وصبحهم جفن من الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف فقربوا اليه حين رأوه وقد تصايح به البربر من الجبال وتواثبوا اليه فاختطفه أولياؤه من أهل الجفن قبل أن يصل اليه البربر وقذفوا به الى الجزائر فنزل بها ولأم صدعه وخلع على من وصل من فل

Marfat.com

الاسماعيل ومن خرج اليه من أوليائه ولحق به ابنه الناصر من بسكرة واتصل بالمولى
الفضل خبر رحيله من تونس وهو ببلاد الجريد فأغذ السير الى تونس ونزل بها على ابنه
ومن كان بها من مخلف أوليائه فغلبوهم عليها واتصل أهل البلد بهم وأحاطوا يوم منى
بالقصبة واستنزلوا ابن السلطان أبا الفضل الامير بالقصبة على الامان فخرج الى بيت أبى
الليل بن حمزة وأنفذ معه من أبلغه الى مأمنه فلحق بأبيه بالجزائر وبادر الى السلطان
على بن يوسف المنتزى بلمدية من بنى عبد القوى فصار فى جملته وخرج له عن الامر وزعم
أنه انما كان قائما بدعوته فتقبل منه وأقره على عمله ووفد عليه أولياؤه من العرب سويد
والحرث والحصين ومن اليهم ممن اجتمع الى وليه وترمار بن عريف المتملك بطاعته
ووفد عليه أيضا على بن راشد أمير مغراوة وأغزاه بنى عبد الواد واشترط عليه اقراره
بوطنه وعمله اذا تم أمره فأبى من قبول الاشتراط ضنا بعهده عن النكث فنزع عنه
وصار الى مظاهرة بنى عبد الواد وبعث أبو سعيد عثمان صاحب تلمسان الى الامير أبى
عنان فى المدد فبعث اليه بعسكر من بنى مرين عقد عليهم ليحيى بن رحو بن تاشفين بن
معطى من تيربيعن وزحف الزعيم ابو ثابت الى حرب السلطان أبى الحسن فيمن اجتمع له
من عسكر بنى مرين ومغراوة وخرج السلطان من الجزائر وعسكر بمتيجة واحتشد
وترمار سائر العرب بحللهم ووافاهم وارتحلوا الى شلف ولما التقى الجمعان بشد بونة
صدقه مغراوة الحملة وصابرهم ابنه الناصر وطعن فى الجولة فهلك واختل مصاف
السلطان واستبيح معسكره وانتهب فساطيطه وخلص مع وليه وترمار بن عريف وقومه
بعد ان استبيحت حللهم فخرجوا الى جبل وانشريس ثم لحقوا بجبل راشد ورجع القوم
عن اتباعهم وانكفؤا الى الجزائر فتغلبوا عليها وأخرجوا من كان بها من أولياء
السلطان ومحوا آثار دعوته من المغرب الاوسط جملة والامر بيد الله يؤتيه من يشاء

الخبر عن استيلاء السلطان على سجلماسة ثم فراره عنها وامام ابنه الى مراكش واستيلائه عليها وما تخلل ذلك

لما انفضت جموع السلطان بشد بونة وقل عساكره وهلك الناصر ابنه خلص الى
الصحراء مع وليه وترمار ولحق بحلل قومه سويد وأوطانهم قبلة جبل وانشريس
أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه وارتحل معه وليه وترمار
بالنازعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم أبعدوا المذاهب وقطعوا المفاوز الى
سجلماسة فى القفر فلما أطلوا عليها رعاين أهلها السلطان تهافتوا عليه تهافت الفراش
وخرج اليه العذارى من وراء ستورهن صاغية اليه وايثارا لايالته وفر العامل
بسجلماسة الى منجاته وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد سجلماسة وارتحل اليها

Marfat.com

فى قومه وكافة عساكره بعد أن أزاح علاتهم وأفاض عطاءه فيهم وكان بنى مرين نفرة عن السلطان وحذر من غائلته لجنايتهم بالتخاذل فى المواقف والفرار عنه فى الشدائد ولما كان يعدهم فى الاسفار ويتجشم بهم المهالك فكانوا لذلك مجتمعين على منابذته ومخلصين فى مناصحة ابنه منازعة فحالت السلطان أن جاءه الخبر بوصولهم اليه فى العساكر الضخمة مغذين السير الى دفاعه وعلم من حاله انه لا يطيق دفاعهم وأجفل عنه وترمار وليه فى قومه سويد وكان من خبره ان عريف بن يحيى كان نزع الى الامير أبى عنان وأحله بمحله المعهود من تشريفهم وولايتهم حتى اذا بلغه الخبر بمناصحة وترمار للسلطان ومظاهرته وقصده المغرب معه بناجعته زوى عنه وجه رضاه بعض الشئ وأقسم له ان لم تفارق السلطان لاوقعن بك وبابناك عشر وكان معه فى جملة الامير أبى عنان وأمره بأن يكتب له بذلك فاثر وترمار رضا أبيه وعلم أن غناءه عن السلطان فى وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق ن قومه وألقى عصاه ببسكرة فكان ثواؤه بها الى أن لحق بالامير أبى عنان على ماذكره ولما أجفل السلطان عن سجلماسة دخل الامير أبو عنان اليها وثقف أطرافها وستد فروجها وعقد عليها ليحيى بن عمر بن عبد المؤمن كبير بنى ونكاسن وبلغه قصد السلطان الى مراكش فاعتزم على الرحلة اليها واثنى عليه قومه فرجع بهم الى فاس الى أن كان من خبرهم مع السلطان ماذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن استيلاء السلطان على مراكش ثم انهزامه أمام الامير أبى عنان ومهلكه بجبل هنتاتة عفا الله عنه

لما أجفل السلطان عن سجلماسة سنة احدى وخمسين بين يدى الامير أبى عنان وعسكر بنى مرين قصد مراكش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ولما شارفها تسارع اليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ونسلوا من كل حدب ولحق عامل مراكش بالامير أبى عنان ونزع الى السلطان صاحب ديوان الجباية أبو محمد بن محمد بن أبى مدين بما كان فى المودع من مال الجباية فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته واستركب واستلحق وجبى الاموال وبث العطاء ودخل فى طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة وثاب له بمراكش ملك أمل معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره من يده مبتزه وكان الامير أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع فى العطاء وازاحة العلل وتنبض على كاتب الجباية يحيى بن حمزة بن شعيب بن محمد بن أبى مدين اتهمه بمالاة بنى مرين فى الامالة عليه عن اللحاق بمراكش من سجلماسة وأثار حقده فى ذلك ما كان من نزوع عمه أبى المجد الى السلطان بأموال الجباية ووسوس اليه فى السعاية به كاتبه وخالصته أبو عبد الله محمد بن أبى محمد بن أبى عمر لما بينهما من المنافسة فتقبض عليه

Marfat.com

وامتحنه ثم قطع لسانه وهلك فى ذلك الامتحان وارتحل الامير أبو عنان وجموع بنى مرين الى مراكش وبرز السلطان الى لقائهم ومدافعتهم وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادى أم ربيع وتربص كل بصاحبه اجازة الوادى ثم اجازه السلطان أبو الحسن وأصبحوا جميعا فى التعبية والتقى الجمعان بتامرغوست فى آخر صفر من سنة احدى وخمسين فاختل مصاف السلطان وانهزم عسكره ولحق به أبطال بنى مرين فرجعوا عنه حياء وهيبة وكبا به فرسه يومئذ فى مفرّه فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله واعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن على بن أحمد أمير الزواودة وردّيف أخيه يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل فى جملته الى يومئذ فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه ردأ له وتقبض على حاجبه علال بن محمد فصار فى يد الامير أبى عنان وأودعه السجن الى أن امتن عليه بعد مهلك أبيه وخلص السلطان الى جبل هنتاتة ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن على فنزل عليه وأجاره واجتمع اليه الملأ من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمروا وتعاهدوا على الدفاع عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على اثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هنتاتة ورتب المسالح لحصاره وحربه وطال عليه تواؤه وطلب السلطان من ابنه الابقاء وبعث فى حاجبه محمد بن أبى عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الامير أبى عنان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز اليه بأن يبعث له مالا وكسا فسرّح الحاجب بن أبى عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أولياؤه وخاصته وافتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء لفصده للطهارة فورم وهلك لليال قريبة عفا الله عنه لثلاث وعشرين من ربيع الثانى سنة ثنتين وخمسين وبعث أولياؤه الخبر الى ابنه بعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواده اليه فتلقاه حافيا حاسرا وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذى رضوه من دولته ووارى أباه بمراكش الى أن نقله الى مقبرة سلفهم بشالة فى طريقه الى فاس وتلقى أبا دينار بن على بن أحمد بالقبول والكرامة وأحله محل الرحب والسعة وأسنى جائزته وخلع عليه وحمله وانصرف من فاس الى قومه [illegible] للقاء السلطان أبى عنان بتلمسان لما كان أجمع على الحركة اليها بعد [illegible] ورعى لعبد العزيز بن محمد أمير هنتاتة اجارته للسلطان واستمانته دونه فعقد له على قومه وأحله بالمحل الرفيع من دولته ومجلسه واستبلغ فى تكريمه والله تعالى أعلم

{الخبر عن حركة السلطان أبى عنان الى تلمسان وايقاعه ببنى عبد الواد بانكاد ومهلك سلطانهم سعيد}

Marfat.com

لما هلك السلطان أبو الحسن وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل الى أبيه الى مقبرتهم بشالة فدفنه مع من عنا لك من سلفه وأغذ السير الى فاس وقد استبد بالامر وخلت الدولة عن المنازع فاحتل بفاس وأجمع أمره على غزو بنى عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذى سموا الاستخلاص منه ولما كان فتح سنة ثلاث وخمسين نادى بالعطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد واعترض العساكر وارتحل يريد تلمسان واتصل الخبر بأبى سعيد وأخيه فجمعوا قومهم ومن اليهم من الاشياع والاحزاب من زناتة والعرب وارتحلوا الى لقائه ونزل السلطان بعساكره وادى مسلوية وتلوم به أياما لاعتراض الحشود والعرب ثم رحل على التعبية حتى اذا احتل ببسيط أنكاد وتراءى الجمعان انقض سرعان المعسكر ولحقوا بالعرب وركب السلطان فى التعبية وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو به حتى اذا خلص اليهم من غمره وخالطهم فى صفوفهم ولوهم الادبار ومنحوهم الاكتاف واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوه واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى وغشيهم الذل وهم متسايلون فى اثرهم وتقبض على أبى سعيد سلطانهم فسيق الى السلطان فأمر باعتقاله وأطلق أيدى بنى مرين من الغدعلى حلل العرب من المعقل فاستباحوهم واكتسحوا أموالهم جزاء بما شرهوا اليه من النهب فى المحلة فى هيعة ذلك المجال ثم ارتحل على تعبيته الى تلمسان فاحتل بهار بيع من سنته واستوت فى ملكها قدمه وأحضر أبا سعيد فقرعه وبخه وأراه أعماله حسرة عليها وأحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بحرابته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح فى محبسه لتاسعة من اعتقاله وجعله مثلا للآخرين وخلص أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق فكان من خبره ما نذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

{الخبر عن شأن أبى ثابت وايقاع بنى مرين به بوادى شلف وتقبض الموحدين عليه بجاية}

لما أوقع السلطان ببنى عبد الواد بانكاد وتقبض على أبى سعيد سلطانهم خلص أبو ثابت أخوه فى فل منهم ومر بتلمسان فاحتمل حرمهم ومخلفهم وأجفل الى الشرق فاحتل بشلف من بلاد مغراوة وعسكر هنالك واجتمع اليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والثبات وسرح السلطان وزيره فارس بن ميمون بن ودرار فى عساكر بنى مرين والجند فأغذ السير اليهم وارتحل من تلمسان على اثره ولما تراءى الجمعان صدق الفريقان المحاولة وخاضوا النهر بالقراع ثم صدق بنو مرين الحملة واجتازوا النهر اليهم فانكشفوا واتبعوا آثارهم واستلحموهم واستباحوا معسكرهم

واستاقوا أموالهم ودوابهم ونساءهم وارتحلوا في اتباعهم وكتب الوزير بالفتح الى السلطان ومر أبو ثابت بالجزائر طارقا وأجاز الى قاصية المشرق فاعترضهم قبائل زواوة وأرجلوهم عن خيلهم وانتهبوا أسلابهم ومر واحفاة عراة واحتل الوزير بالجزائر واستولى عليها واقتضى بيعة السلطان منهم فأتوها واحتل الوزير بلدية وأوعز الى أمير بجاية المولى أبي عبد الله حافد مولانا الامير أبي يحيى مع وليه وترمار وخالصته يعقوب بن علي بالتقبض على أبي ثابت فأذكوا العيون عليهم رقعدوا لهم بالمرصاد وعثر بعض الحشم على أبي ثابت وأبي زيان ابن أخيه أبي سعيد ووزيرهم يحيى بن داود فرفعوهم الى الامير ببجاية فاعتقلهم وارتحل للقاء السلطان بلدية وبعثهم مع مقدمته وجاء على اثرهم ونزل على السلطان بعسكره من لدية خير نزل بعد ان تلقاه بالمبرة والاحتفاء وركب للقائه ونزل عن فرسه للسلطان فنزل السلطان بواءله وأودع أبا ثابت السجن ووافت اليه وفود الزواودة بمكانه من لدية فأكرم وفدهم وأسنى أعطياتهم من الخلع والحملان والذهب وانقلبوا خير منقلب ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل الزاب ووفدهم فأكرمهم ووصلهم وفرغ السلطان من شأن المغرب الاوسط وبث العمال في نواحيه وثقف اطرافه ومما الى ملك افريقية كما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن تملك السلطان أبي عنان بجاية وانتقال صاحبها الى المغرب) *

لما وصل السلطان أبو عبد الله محمد بن الامير أبي زكريا يحيى صاحب بجاية الى السلطان بمكانه من لدية في شعبان من سنته وأقبل السلطان عليه وبوأه كنف ترحيبه وكرامته خلص الامير به نجيا وشكا اليه ما يلقاه من أهل عمله من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وما يتبع ذلك من زبون الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان متشوفا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يدير له عنها بما شاء من بلاده فسارع الى قبول اشارته ودس اليه مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤس الملا ففعل ونقم عليه بطانته ذلك وفر بعضهم من معسكره فلحق بافريقية ومنهم علي ابن القائد محمد بن الحكيم وأمره السلطان أن يكتب بخطه الى عامله على البلد بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل وعقد السلطان عليها لعمر بن علي الوطاسي من أولاد الوزير الذي ذكرنا خبر انتزائهم بتازوطا من قبل ولما قضى السلطان حاجته من الامر الاوسط واستولى على بجاية انكفأ راجعا الى تلمسان لشهود الفطر بها ودخلها في يوم مشهود وحمل أبا ثابت ووزيره يحيى بن داود على جملين يخطوان بهما في ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر وجنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا فعصبا بالرماح وأنزل السلطان المولى الامير أبا عبد الله صاحب بجاية خير نزل وفرش له في مجلسه تكرمة له

Marfat.com

الى أن كان من توثب صنهاجة وأهل بجاية بعمر بن على ما نحن ذاكروه ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ثورة اهل بجاية ونهوض الحاجب اليها فى العساكر)

كان صنهاجة هؤلاء من أعقاب ملكانة ملوك القلعة وبجاية نزل أولوهم بوادى بجاية بين القبائل من برابرتها الكتاميين فى مواطن بخور يا كل منذ أول دولة الموحدين وأقطعوهم على العسكرة معهم ولما ضعفت جنود الموحدين وقل عددهم انفردوا بالعسكرة مع السلطان وصار لهم بذلك اعتزاز وزبون على الدولة وكان الامير أبو عبد الله هذا قد أصاب منهم لاول أمره وقتل محمد بن تميم من أكابر مشيختهم وكان صاحبه فارح مولى ابن سيد الناس عريفا عليهم من عهد أبيه الامير أبى زكريا وكان مستبدا على المولى أبى عبد الله فلما نزل عن امارته للسلطان أبى عنان سخط ذلك ونقمه عليه وأسرها فى نفسه ولم يبدها لكماله وسرحه أميره مع عمر بن على الوطاسى لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره فوصل اليها وشكا اليه الصنهاجيون مغبة أمرهم فى ثقل الوطأة وسوء الملكة فأشكاهم ودعاهم الى الثورة ببنى مرين والقيام بدعوة الموحدين للمولى أبى زيان صاحب قسنطينة فأجابوه وتواعدوا بالفتك بعمر بن على بمجلسه من القصبة وتولى كبرها منصور بن الحاج من مشيختهم وباكره بداره على عادة الامراء ولما أكب عليه ليلثم أطرافه طعنه بخنجره وفر الى بيته جريحا فوثبوا عليه واستلحموه وثارت الغوغاء من أهل البلد فى ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وركب الحاجب فارح وهتف الهاتف بدعوة المولى أبى زيد صاحب قسنطينة وطيروا بالخبر واستدعوه فتثاقل عن اجابتهم وبعث مولى ابن المعلوجى للقيام بأمرهم وبلغ الخبر الى السلطان فأتهم المولى أبا عبد الله بمداخلة حاجبه فاعتقله بداره واعتقل وفدا من ملا بجاية كان ببابه وثبتت آراء المشيخة من أهل بجاية وتمشت رجالاتهم وأولوا الرأى والشورى منهم فى الفتك بصنهاجة والعلج وداخلهم القائد هلال مولى ابن سيد الناس وتواعدوا للفتك بفارح يوم وصول النائب من قبل صاحب قسنطينة فجهروا بالنكير على الحاجب ودعوه الى المسجد ليؤامروه وينذر بأمرهم فاعتذر بأمر شيخ الفتيا أحمد بن ادريس فاقتحموا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس فطعنه وأشواه ورمى بشلوه من سقف الدار وقطع رأسه فبعثوا به الى السلطان وفر منصور بن الحاج وقومه صنهاجة من البلد وكان بالمرسى أحمد بن سعيد القرمونى من خاصة السلطان جاء فى السفن لبعض حاجاته من تونس ووافى مرسى بجاية يومئذ فأنزلوه واعتصموا عليه وتنادوا بدعوة السلطان وطاعته فأشار عليهم أحمد القرمونى أن يبعثوا الى قائد تدلس من مشيخة بنى مرين يحيا تن بن عمر بن عبد المؤمن الونكاسى فاستدعوه ووصل اليهم فى جملة من

العسكر وبعثوا بأخبارهم الى السلطان وانتظروا فلما بلغ الخبر الى السلطان أمر حاجبه محمد بن أبي عمر بالنهوض الى بجاية فعسكر بساحة تلمسان وانتقى له السلطان من قومه وجنوده خمسة آلاف فارس أزاح عللهم واستوفى أعطياتهم وسرحه فنهض من تلمسان بعد قضاء منسك الاضحى وأغذ السير الى بجاية ولما نزل ببني حسن جمع له صنهاجة ثم خاموا عن اللقاء ولحقوا بقسطينة وأجازوا منها الى تونس واحتل الحاجب بعسكرهم من تيكلات وخرج اليه المشيخة والوزراء فتقبض على القائد هلال وأشخصه الى السلطان ودخل البلد على التعبية واحتل بقصبتها المحرم فاتح أربع وخمسين وسكن الناس وخلع على المشيخة واختص على بن ومحمد بن سيد الناس واستظهر بهم على أمره وتقبض على جماعة من الغوغاء وعلى من تحت أيديهم ممن يتهم بالمداخلة في الثورة يناهزون مائتين واعتقلهم وأركبهم السفن الى المغرب فودع الناس وسكنوا وتوافت وفود الزواودة من كل جهة فأجزل صلاتهم واقتضى الطاعة منهم ووصل عامل الزاب يوسف وستدفر وجه وارتحل الى تلمسان أول جمادى لشهرين من مدخله وأغذ السير بمن معه من العرب والوفود وكنت يومئذ في جملتهم وقد خلع علي وحملني وأجزل صلتي وضرب لي الفساطيط فوفدت في ركابه وقدم تلمسان لاول جمادى الاخيرة فجلس السلطان للوفد واعترض ما جنب له من الجياد والهدية وكان يوما مشهودا ثم أسنى السلطان جوائز الوفد واختص يوسف بن مزني ويعقوب بن علي بمزيد من البر والصلة وخصوا بجاه من الكرامة وآمرهم في شأن افريقية ومنازلة قسنطينة ورجع معهم الحاجب ابن أبي عمر على كره منه لما نذكره من أخباره وانصرفوا الى مواطنهم لاول شعبان من سنة أربع وخمسين وانقلبت معه بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديدها الى قومه ببلده من الاقطاع والله أعلم

الخبر عن الحاجب ابن أبي عمرو وما عقد له السلطان على ثغر بجاية وعلى منازلة قسنطينة ونهوضه لذلك

سلف هذا الرجل من أهل المهدية من أجواد العرب من بني تميم بافريقية وانتقل جده علي الى تونس باستدعاء السلطان المستنصر وكان فقيها عارفا بالفتيا والاحكام وقلده القضاء بالحضرة واستعمله على كتب علامته في الرسائل والاوامر الكبرى والصغرى فاضطلع بذلك وهلك على حالة من التجلة والمنصب وقلد ابنه عبد الله من بعده العلامتين أيام أبي حفص عمر ابن الامير أبي زكريا كما كان لابيه فاضطلع لذلك وكان أخوه أحمد بن علي مستنا وقورا منتحلا للعلم ونشأ ابنه محمد وقرأ بتونس وتفقه على

Marfat.com

مشيختها ولما التاثت أمورهم وتلاشت أحوالهم خرج محمد بن أحمد بن على مبتغيا للرزق والمعاش وطوحت به العلوائح الى بلد القل وكان منتحلا للطلب والكتابة فاستعمل شاهدا بمرسى القل أيام رياسة الطالب ابن أبى عمرو وكانت له صحبة مع حسن بن محمد السبتى المنتحل بنسب الشرف وكانا رفيقين فى مطارح اغترابهما فسعى له فى مرافقة الشهرة فأسعفا واتصلا بابن أبى عمرو فحمد مذاهبهما ولما نزع الشريف عبد الوهاب زعيم تدلس الى طاعة الموحدين أيام التباث أبى حمو بخروج محمد بن يوسف عليه واعتلال الدولة ودخل فى أمر ابن أبى عمرو وحملته فبعث محمد بن أبى عمرو هذا وصاحبه الى تدلس واستعمل حسن الشريف فى القضاء ومحمد بن أبى عمرو فى شهادة الديوان فلما برئت الدولة من مرضها واستفحل أمر أبى حمو وتغلب على تدلس وصار رئيس القتيا من الاعمام لاقتضاء طاعتها وانفاذ أهلها على السلطان فى الوفد واستقر بتلمسان يومئذ واستعملا فى خطة القضاء متعاقبين أيام بنى عبد الواد وأيام السلطان أبى الحسن وتعصب على ابن أبى عمرو وأيام قضائه جماعة من مشيخة البلد وسعوا به الى السلطان أبى الحسن وتظلموا فأشكاهم على عليه واختصه بتأديب ولده فارس هذا وتعليمه فأفرغ وسعه فى ذلك ورعى ولده محمد هذا الطالب مع السلطان أبى عنان نوأما وخليلا وألقى عليه محبته حتى اذا خلص له الملك رفع رتبة محمد بن أبى عمرو هذا ورقاه من منزلة الى أخرى حتى اذا أربى على سائر المراتب وجعل اليه العلامة والقيادة والحجابة والدارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر القاب دولته وخصوصيات داره فانصرفت اليه الوجوه ووقفت ببابه الاشراف من الاعياص والقبائل والشرفاء والعلماء وسرب اليه العمال أموال الجباية تزلفا وطال أمره واستيلاؤه على السلطان ونفس عليه رجال الدولة ووزراؤها ما آتاه الله من الحظ حتى اذا خلا لهم وجه السلطان منه عندهم وضه الى بجاية فحامت أغراض السعاية على مكانه فقرطس وألقى السلطان أذنه الى استماعها فلما رجع من بجاية وكانت له الدولة على السلطان وجد عليه فى قبول واقيه مغاضبا فتنكر له السلطان ثم تجنى بطلب الغيبة عن الدولة ويعقد له على بجاية ستوهما ان السلطان ضنين به فبادر السلطان الى اسعافه وبدا له مالم يحتسب من الاعراض عنه ورجع الى الرغبة فى الاقالة فلم يسعف وعقد له على حرب قسنطينة وحكمه فى المال والجيش وارتحل فى شعبان من سنة أربع وخمسين واحتل بجاية آخرها ونصب الموحدون تاشفين ابن السلطان أبى الحسن المعتقل عندهم من لدن عهد المولى الفضل واعتقاله اياه فنصبوه للامر لتفريق كلمة بنى مرين وجمعوا له الالة والقساطيط وقام بأمره ميمون بن على لمنافسته مع أخيه يعقوب وتسمع بخبره يعقوب

Marfat.com

فأغذ السير بحاله من بلاد الزاب وفرق جمعهم وردهم على أعقابهم وأعجزهم بالبلد ولما انصرم الشتاء وقضى منسلك الاضحى عسكر بساحة البلد واعترض العساكر وأزاح علله‌م وفرق أعطياتهم وارتحل الى منازله قسنطينة واجتمع اليه الزواودة بحلهم وجمع المولى أبو زيد صاحب قسنطينة من كان على دعوته من أحياء توبة ويمرون ابن على بن أحمد وشيعته من الزواودة وعقد عليهم لحاجبه نبيل وسرحه للقاء ابن أبي عمرو وعساكره فأوقع بهم الحاجب لجمادى من سنة خمس وخمسين وتكتسح أموالهم ونازل قسنطينة حتى تفادوا منه بتمكينه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنصوب للامر فاقتادوه اليه وأنحصر الى أخيه السلطان وأوفد المولى أبو زيد ابنه على السلطان أبي عنان فتقبل وفادته وشكر من اجتهاده وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو الى جايه وأقام بها الى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين فذهب سعيد السيد عند أهل البلد وتشجعوا لهلكه وبعث السلطان ولده لارتحال عماله وولده وتنقل شلوه الى مقبرة أبيه بتلمسان وسرح ابنه أبا زيان في عساكر من [illegible] لمحاربة عبد الله بن على بن سعيد وزيره فنهض اليه الى شهر ربيع من سنة ست وخمسين وهزمهم وارتقبل ما حمله الناس من مذاهب الحاجب وسيرته فيهم على ما ذكرنا وتوجه راجعا الى مقصده قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن
{ بجبل الكسيري وتغلبه على [illegible]

كان السلطان أبو عنان بعد ما [illegible] في حقد الخوان أبو الفضل عبد الرحيم ابراهيم وتدبر في ترشيحهما وانصرف عن [illegible] منهما الى الاندلس واستقر بها في ايالة أبي الحجاج ابن السلطان أبي [illegible] أبو سعيد عثمان على ما أنلمه من ذلك فلما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى [illegible] أغذ السير الى اتباعه أن يشتتهما السلطان [illegible] وقد تقدم ذكر ذلك وأنباء الرسل بأنه لا يتقدم [illegible] الى الحاجب عثمان بن أبي عمرو بان يخاطبه في [illegible] وقفى عليه الحاجب بذلك أيام كبر [illegible] أبو الحجاج دس الى [illegible] أبي الفضل [illegible] وخالصة منذ هلك أبيه الوفد على جبل الفتح [illegible] اليه أبو الفضل وجهز له أسطولا الى مراسي المغرب وأنزله بمدينة السوس فطرق

بالسكسيوى عبد الله ودعا لنفسه و بلغ الخبر الى السلطان بن مقدم حاجبه ابن
أبى عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين فجهز عساكره الى المغرب وعقد على حرب
الكسيوى لوزيره فارس بن ميمون بن وردار وسرّحه اليه فنهض من تلمسان لربيع
سنة أربع وخمسين وأغذ السير الى السكسيوى ونزل بمخنقه وأحاط به واختط مدينة
لعسكره وتجهيز كتائبه بسفح جبله سماها القاهرة واستبدّ الحصار على السكسيوى
وأرسل الى الوزير فى الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل
ففارقه وانتقل الى جبال المصامدة ودخل الوزير فارس الى أرض السوس فدوّخ
أقطارها ومهد الحال وسارت الولاية والجيوش فى جهاته ورتب المسالح فى ثغوره
وأمصاره مثل وتارودانت وثقف أطرافه وسدّ فروجه وسار أبو الفضل
فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى بنفسه على ابن حميدى منهم مما يلى بلاد
درعة فأجاره وقام بأمره ونازله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة
دولة بنى عبد الواد كان اصطنعه السلطان أبو الحسن منذ تغلبه عليهم وفتحه لتلمسان
سنة سبع وثلاثين فاستقر فى دولتهم ومن جملة صنائعهم فأخذ بمخنق ابن حميدى وأرهبه
بوصول العساكر والوزراء اليه وداخله فى التقبض على أبى الفضل وان يبذل له
فى ذلك ما أحب من المال فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل ووعده من
نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه عبد الله
ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترطه من المال وأشخصه معتقلا الى أخيه
السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله
للمال من اعتقاله خنقا بحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان
ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض عيسى بن الحسين بجبل الفتح ومهلكه)

كان عيسى بن الحسين بن على بن أبى الطلاق هذا من مشيخة بنى مرين وكان صاحب
شوراهم لعهده وقد كنا قصصنا من أخبار أبيه الحسن عند ذكر دولة أبى الربيع وكان
السلطان أبو الحسن قد عقد له على ثغور عمله بالاندلس وأنزله بجبل الفتح عند ما أكمل
بناءه وجعل اليه النظر فى مسالح الثغور وتفريق العطاء على مسالحها فطال عهد ولايته
وربح فيها قدمه وكان السلطان أبو الحسن يبعث عنه فى الشورى متى عنت وحضرة
عند سفره الى افريقية وأشار عليه بالاقتصار عنها وأراه ان قبائل بنى مرين لا تفى
اعدادهم بمسالح الثغور اذا رتبت شرقا وغربا وعدوة البحر وان افريقية تحتاج من
ذلك الى أوفر الاعداد وأشد الشوكة لتغلب العرب عليها وبعد عهدهم بالانقياد

Marfat.com

فأعرض السلطان عن نصيحته لما كان شره الى تملكها وصرفه الى مكان عمله بالثغور الاندلسية ولما كانت نكبة القيروان وانتزى الابناء بفاس وتلمسان أجاز البحر لحسم الداء ونزل بقسانسة ثم انتقل الى وطنه بتازى وجمع قومه بنى عسكر السلطان أبى عنان قد هزم عساكر ابن أخيه وأخذ بمخنقه فأجلب عليه وبيته بعسكره من سلحة البلد الجديد وعقد السلطان أبو عنان على حربه لصنيعته سعيد بن موسى العجيسى وأنزله بثغر بلاد بنى عسكر على وادى بوحلوا وتواقفا كذلك أياما حتى تغلب السلطان أبو عنان على البلد الجديد ثم أرسل عيسى بن الحسن فى الرجوع الى الطاعة وأبطأ عنه صريخ السلطان أبى الحسن بافريقية فراجعه واشترط عليه فتقبل وسار اليه فتلقاه السلطان واستلأ سرورا بمقدمه وأنزله بصدوره وجعل الشورى اليه فى مجلسه واستمرت على ذلك حاله ولما حال ابن أبى عمرو انفرد بخلة السلطان ومناجاته وحجبه عن الخاصة والبطانة أحفظه ذلك ولم يبدها واستأذن السلطان فى الحج فأذن له وقضى فرضه ورجع الى محله من بساط السلطان سنة ست وخمسين ولقى ابن أبى عمرو ببجاية وتطارح عليه فى أن يصلح حاله عند سلطانه فوعده فى ذلك ولما وفد على السلطان وجده قد استبد فى الشورى وتنكر للخاصة والجلساء فاستأذنه فى الرجوع الى محله من الثغر لاقامة رسم الجهاد فأذن له وأجاز البحر الى جبل الفتح من سنته وكان صاحب ديوان العطاء بالجبل يحيى الفرقاجى وكان مستظهرا على العمال وكان ابنه أبو يحيى قدم برم بمكانه فلما وصل عيسى الى الجبل اتبعه السلطان بأعطيات المسالح مع مسعود بن كندوس من صنائع دولته فسرب الفرقاجى الى الضرب على يده شأنه مع ابنه أيام مغيبه وأنف عيسى من ذلك فتقبض عليه وأودعه المطبق ورد ابن كندوس على عقبه وأركبه السفين من ليلته الى سبتة وجاهر بالخلعان وبلغ الخبر الى السلطان أبى عنان فقلق لذلك وقام فى ركابه وقعد وأوعز بتجهيز الاساطيل وظن أنه قد تدبر من الطاغية وابن الاحمر وبعث أحمد بن الخطيب قائد البحر بطنجة عيناعلى شأنهم فوصل الى مرسى الجبل وكان عيسى بن الحسين لما جاهر بالخلعان تمشت رجالات الثغر وعرفاء الرجل من غمارة الغزاة الموظفون بالجبل وتحدثوا فى شأنه وامتنعوا من الخروج على السلطان وتآمروا [illegible] سليمان بن داود من عرفاء العسكر كان من خواصه وأهل شوراه وكان عيسى قد مكن قومه عند السلطان واستعمله على رندة فلما جاهر عيسى بالخلعان وركب ظهر الغدر خالفه سليمان هذا الى طاعة السلطان وأنفذ [illegible] وطاعته واشتبه عليه الامر فندم اذ لم يكن بنى أمره على أساس من الرأى فلما احتل أسطول أحمد بن الخطيب بمرسى الجبل خرج اليه وناشده الله والعهد أن يبلغ السلطان طاعته والبراءة مما صنع أهل

Marfat.com

الجبل ونسبها اليهم فعند ذلك خشى غمارة على أنفسهم فثاروا به ولجأ الى الحصن فاقتحموه
عليه وشدوه وثاقا وألقوه فى أسطول ابن الخطيب وأنزله بسبتة رطير للسلطان
بالخبر فخلع عليه وأمر خاصته فخلعوا عليه وبعث عمر ابن وزيره عبد الله بن على وعمر بن
العجوز قائد جند النصارى فأحضروهما بدار السلطان يوم مئى من سنة ست وجلس
لهما السلطان ووقفا بين يديه وتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وشدد
وثاقهما حتى قضى نحبه الاضحى ولما كان ختم سنته أمر بهما فجنبا الى مصارعهما
وقتل عيسى قصاصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى من مداراة قطعه فلم يزل
يتخبط قدمه الى أن هلك لثالثة قطعه وأصحا مثلا فى الآخرين وعقد على جبل الفتح
وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داود الى أن كان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن خروج السلطان الى فتح قسنطينة وفتحها ثم فتح تونس عقبها) *

لما هلك الحاجب محمد بن أبى عمر وعقد السلطان على ثغور بجاية وما وراءها من بلاد
افريقية لوزيره عبد الله بن على بن سعيد وسرحه اليها وأطلق يده فى الجباية والعطاء
وكانت جبال ضواحى قسنطينة قد تملكها السلطان لما كانت الزواودة متغلبة عليها
وكان عامة ذلك الوطن قبائل سدويكش وعقد السلطان عليهم لموسى بن ابراهيم
ابن عيسى وأنزله بتاوريرت آخر عمل بجاية وأخذ بخنق قسنطينة ثم ارتحل عنها على
ما قدمنا من السلم على المولى الامير أبى زيد أنزل موسى بن ابراهيم بميلة فاستقر بها ولما
ولى المولى عبد الله بن على أمر افريقية أوعز اليه السلطان بمنازلة قسنطينة فنزلها
سنة سبع وأخذ بخنقها وناصب المجنيق عليها واشتد الحصار بأهلها وكادوا أن يلقوا
باليد ولولا ما ألقى العسكر من الارجاف بمهلك السلطان فأفرجوا عنها ولحق المولى أبو زيد
بمراكش وأسلم البلاد لأخيه مولانا الامير أبى العباس أيده الله تعالى عندما وصل اليه
من افريقية وكان بها مع العرب ظالبا لملكهم بتونس ومجلبا بهم على ابن تافراكين
منذ ثار بتونس سنة ثلاث وخمسين وستمائة ورجع الآن الى قسنطينة مع خالد بن حمزة
وانتقل المولى أبو زيد فى خروجه الى مصاب تونس واقامة مولانا أبى العباس بقسنطينة
فأجاب العساكر [illegible] مولانا أبو العباس الى قسنطينة ودعا لنفسه وضبط
قسنطينة وكان مدة مقامه بها وقد امتد وردا خله بعض المنحرفين من بنى مرين من أولاد
[illegible] موسى بن ابراهيم بعسكره من ميلة فبيتوه وانتهبوا
[illegible] الى تاوريرت من بجاية ولحق بمولانا السلطان مفلولا
وتنكر السلطان [illegible] موسى بن ابراهيم وانه قصر فى امداده
فسرح سعيد بن سيون وقبض عليه وبعثه الى السلطان معتقلا وعقد على بجاية

Marfat.com

مكانه يحيي بن ميمون بن مصمود من صنائع دولته وفي خلال ذلك راسل المولى أبو زيد الحاجب أبا محمد عبد الله بن تافراكين المتغلب على عمه ابراهيم في النزول لهم على قومه والقدوم عليهم بتونس فقبلوه وأحلوه محل ولي العهد واستعملوه على بونة من صنائعهم ولما بلغ خبر موسى بن ابراهيم الى السلطان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين اعتزم على الحركة الى افريقية واضطرب معسكره بساحة البلد الجديد وبعث في الحشد الى مراكش وأوعز الى بني مرين بأخذ الاهبة للسفر وجلس للعطاء والاعتراض من لدن وصول الخبر اليه الى شهر ربيع من سنة ثمان وخمسين ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار في ساقته على التعبية الى أن احتل ببجاية وتلوم لازاحة العلل ونازل الوزير قسنطينة ثم جاء السلطان على اثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بعساكره ذعر أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان وانفضوا من حول سلطانهم مهطعين الى السلطان وتحيز صاحب البلد في خاصته الى القصبة ووصل أخوه المولى الفضل فطلب الامان فبذله السلطان لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ثم بعث بالسلطان في الاسطول الى سبتة فاعتقله بها الى أن كان من أمره ما نذكره بعد وعقد على قسنطينة لمنصور ابن الحاج خلوف البابانى من مشيخة بني مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة في شعبان من سنته ووصل اليه بعسكره من ساحة قسنطينة بيعة يحيي بن يملول صاحب توزر وبيعة علي بن الخلف صاحب نفطة ووفد ابن مكي مجددا طاعته ووصل اليه أولاد مهلهل أمراء الكعوب وأقيال بني أبي الليل يستحثونه لملك تونس فسرح معهم العساكر وعقد عليهم ليحيي بن رحو بن تاشفين وبعث اسطوله في البحر مددا لهم وعقد عليهم للرئيس محمد بن يوسف الابكم وساروا الى تونس وأخرج الحاجب أبا محمد بن تافراكين سلطانه أبو اسحق ابن مولانا السلطان أبي يحيي مع أولاد أبي الليل وجهز معه العساكر لما أحس بقدوم عساكر السلطان ووصل الاسطول الى مرسى تونس فقاتلهم يوما أو بعض يوم وركب الليل الى المهدية فتحصن بها ودخل أولياء السلطان الى تونس في رمضان من سنة ثمان وخمسين وأقاموا بها يدعونه واحتل يحيي بن رحو بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتبوا الى السلطان بالفتح ونظر السلطان بعد ذلك في أحوال ذلك وقبض أيدي العرب من رياح عن الاتاوة التي يسمونها الخفارة فارتابوا وطالبهم بالرهن فأجمعوا على الخلاف فأرهف بهم حده و يعقوب بن علي أميرهم فخرج معهم ولحقوا معا بالزاب وارتحل في اثرهم وسار يوسف بن مزني عامل الزاب ببعض الطريق أمامه حتى نزل ببسكرة ثم ارتحل الى طولقة

Marfat.com

فتقبض على دمقدمها عبد الرحمن بن أحمد بن باشادة بن مزنى وخرب حصون يعقوب ابن على وأجفلوا الى القفر أمامه ورجع عنهم وحمل له ابن مزنى جبايه الزاب بعد أن ردّ عامّة معسكره بالقرى من الادم والحنطة والحلان والعلوفة ثلاث ليال

فى ذلك وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس وضاق ذرع العساكر بشأن النفقات والابعاد فى المذهب وارتكاب الخطر فى دخول افريقية فمشت رجالاتهم فى الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فوافقهم على ذلك وأذن المشيخة والنقباء لمن تحت أيديهم من القبائل فى اللحاق بالمغرب حتى يفردوا وأنهى الى السلطان انهم تآمروا فى قتله ونصب ادريس بن أبى عثمان بن أبى العلاء للأمر فأسرها فى نفسه ولم يبدها لهم ورأى قلة من معه من العساكر وعلم بانفضاضهم فكتر راجعا الى المغرب بعد أن ارتحل عن قسنطينة مرحلتين الى الشرق وأغذ السير الى فاس واحتل بها غرة ذى الحجة من سنته وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون اتهمه بمداخلة بنى مرين فى شأنه وقتله رابع أيام التشريق قعصا بالرماح وتقبض على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع منهم السجن وبلغ الى الجهات خبر رجوعه من قسنطينة الى المغرب فارتحل أبو محمد بن تافراكين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها ثار شيعته بالبلد على من كان بها من عساكر السلطان وخلصوا الى السفين فنجوا الى المغرب وجاء على اثرهم يحيى بن رحو بمن معه من العساكر من أولاد مهلهل كان بناحية الجريد لاقتضاء جبايته واجتمعوا جميعا بباب السلطان وأزجأ حركته الى العام القابل فكان ما نذكره ان شاء الله تعالى

* (الخبر عن وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية) *

لما رجع السلطان من افريقية ولم يستتم فتحها بقى فى نفسه منها شئ وخشى على ضواحى قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الزواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بثغور الاندلس وعقد له على وزارته وسرّحه فى العساكر الى افريقية فارتحل اليها فى ربيع من سنة تسع وخمسين وكان يعقوب بن على لما كشف وجهه فى الخلاف أقام السلطان مكانه أخاه ميمون بن على منازعه وقدمه على أولاد محمد من الزواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو والضواحى ونزع اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومهم وتملك بطاعة السلطان طوائف من أولاد سباع بن يحيى وكبيرهم يومئذ عثمان بن يوسف بن سليمان فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا على معسكره بحلاتهم وارتحل السلطان فى اثره حتى احتل بتلمسان فأقام بها للمشارفة احواله منها واحتل

Marfat.com

الوزير سليمان بوطن قسنطينة وأغذ السير الى عامل الزاب يوسف بن مزنى بأن يكون يده معه وأن يأمره فى أحوال الزواودة لرسوخه فى معرفتها فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أوراس واقتضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الزواودة عن العيث فى الوطن فتم غرضهم من ذلك وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر مجالات رياح وانكفأ راجعا الى المغرب ووافى السلطان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم وحملهم وفرض لهم العطاء بالزاب وكتب لهم به وانقلبوا الى أهلهم ووفد على اثرهم أحمد ابن يوسف بن مزنى أوفده أبوه بهدية السلطان من الخيل والرقيق والرزق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته وأنزله واستصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته ويستبلغ فى الاحتفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنه تسع وخمسين والله أعلم

الخبر عن مهلك السلطان أبى عنان ونصب السعيد للأمر باستبداد الوزير حسن بن عمر فى ذلك

لما وصل السلطان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدى العيد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض وأعجله طائف الوجع عن الجلوس يوم العيد على العادة فدخل الى قصره ولزم فراشه واستبد به وجعه وأطاف به النساء يمرضنه وكان ابنه أبو زيان ولى عهده وكان وزيره يحيى بن موسى القنولى من صنائع دولتهم وأبنائهم وزراتهم قد عقد له السلطان على وزارته واستوصاه به فتعجل الامر وداخل رؤس بنى مرين فى الانحياش الى أمرهم والفتك بالوزير الحسن بن عمر وداخله فى ذلك عمر بن ميمون لعداوة بينه وبين الوزير فحشيهما الحسن بن عمر على نفسه وفاوض عليه أهل المجلس بذات صدره وكانت نفرتهم عن ولى العهد مستحكمة لما أبلوا من سوء خلته وشره لمكته فاتفقوا على تحويل الامر عليه ثم نمى اليهم أن السلطان مشرف على الهلكة لا محالة وأنه موقع بهم من قبل مهلكه فأجمعوا أمرهم على الفتك به والبيعة لاخيه السعيد طفلا خماسيا وباكروا دار السلطان فتقبضوا على وزيره موسى بن عيسى وعمر بن ميمون فقتلوهما وجلسوا للبيعة وأغروا وزيره مسعود بن رحو بن ماسى بالتقبض على أبى زيان من نواحى القصر فدخل اليه وتلطف فى اخراجه من بين الحرم وفاده الى أخيه فبايع وتل الى بعض حجر القصر فأتلف فيه مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين لذى الحجة من سنة تسع وخمسين والسلطان أثناء ذلك على فراشه يجود بنفسه وارتقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشا الكلام وارتاب الجماعة فأدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من بيته من غطه حتى أتلفه

ودفن يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للأمر وأغلق عليه بابه وتفرد بالامر والنهى دونه ولحق عبد الرحمن ابن السلطان أبي عنان بجبل الكاى يوم بيعة أخيه وكان أسن منه وانما آثروه لمكان ابن عمه مسعود بن ماسى من وزارته فبعثوا اليه من لاطفه واستنزله على الامان وجاء به الى أخيه فما عتقله الحسن بالقصبة من فاس وبعث على أبناء السلطان الاصاغر الامراء بالثغور فجاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتمد بمراكش وكان بها فى كفالة عامر بن محمد الهنتاتى استوصاه به السلطان وجعله هنالك لنظره فمنعه من الوصول وخرج به من مراكش الى معقله من جبل هنتاتة وجهز الوزير العساكر لمحاربته ولم يزل هنالك الى أن استنزله عمه السلطان أبو سالم عند استيلائه على ملك المغرب كما ذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

الخبر عن تجهيز العساكر الى مراكش ونهوض الوزير سليمان بن داود لمحاربة عامر بن محمد

كان عامر بن محمد بن على شيخ هنتاتة من قبائل المصامدة وكان السلطان يعقوب قد استعمل أباه محمد بن على على جبايتهم والسلطان أبو سعيد استعمل عمه موسى بن على وربى عامر هذا فى كفالة الدولة وصار فى جملة السلطان الى افريقية وولاه السلطان أحكام الشرطة بتونس ولما ركب البحر الى المغرب أركب حرمه وحظاياه فى السفن وجعلهم الى نظر عامر بن محمد وأجاز البحر الى الاندلس وبلغهم غرق السلطان أبى الحسن وعسكره فأقام بهم بمكانه من لمدية ودعى للسلطان أبى عنان فلم يجب داعيه وفاء ببيعة أبيه حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بدا رهم بالجبل دعاه لهم السلطان أبو عنان وأحسن نزله ثم عقد له على جباية المصامدة سنة أربع وخمسين وبعثه له من تلمسان فاضطلع بهذه الولاية وأحسن الغناء فيها والكفاية عليها حتى كان السلطان أبو عنان يقول وددت لو أصبت رجلا يكفينى ناحية المشرق من سلطانى كما كفانى عامر بن محمد ناحية المغرب وأتودع ونافسه الوزراء فى مقامه ذلك عند السلطان ورتبته وانفرد الحسن بن عمر آخر الامر بوزارة السلطان واشتدت منافسته وانتهت الى العداوة والسعاية وكان السلطان بين يدى مهلكه ولى أبناءه الاصاغر على أعمال ملكه فعقد لابنه محمد المعتمد على مراكش واستوزر له وجعله الى نظر عامر واستوصاه به فلما هلك السلطان واستقل الحسن بن عمر بالامر ونصب السعيد للملك استقدم الابناء من الجهات فبعث عن المعتمد من مراكش فأبى عليه عامر من الوفادة عليهم وصعد به الى معقله من جبل هنتاتة وبلغ الحسن بن عمر خبره فجهز اليه العساكر وأزاح علله وعقد على حربه للوزير سليمان بن داود مساهمه فى القيام بالامر وسرحه فى المحرم سنة ستين وسبعمائة فأغذ السير الى

Marfat.com

مراكش واستولى عليها وصعد الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر وطاول منازلته وأشرف على اقتحام معقله الى أن بلغه خبر افتراق بنى مرين وخروج منصور بن سليمان من أعياص الملك على الدولة وأنه منازل للبلد الجديد فانتقض العسكر من حوله وتسابقوا الى منصور بن سليمان فلحق به الوزير سليمان بن داود وتنفس الحصار عن عامر الى أن استولى السلطان أبو سالم على ملك المغرب فى شعبان من سنة ستين واستقدم عامر او المعتمد ابن أخيه من مكانهم بالجبل فتقدم عليه وأسلمه اليه كما نذكر ان شاء الله تعالى

الخبر عن ظهور أبى حمو بنواحى تلمسان وتجهيز العساكر لمدافعته ثم تغلبه وما تخلل ذلك

كان ولد عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن هؤلاء أربعة كما ذكرناه فى أخبارهم وكان يوسف كبيرهم وكان سكوتا منتحلا لطرق الخير لا يريد علوا فى الارض ولما هلك أخوه عثمان بتلمسان عقد له على هنين وكان ابنه يوسف بن موسى مستقبلا لمذهبه فى السكوت والدعة ومجانبة أهل الشر ولما تغلب السلطان أبو عنان عليهم سنة ثلاث وخمسين وفر أبو ثابت الى قاصية المشرق واستلبهم قبائل زواوة وأرجاءهم عن خليهم سعيا على أقدامهم وانتبذ أبو ثابت وأبو زيان ابن أخيه أبى سعيد ويوسى ابن أخيه يوسف ووزيرهم يحيى بن داود ناحية عن قومهم وسلكوا غير طريقهم وتقبض على أبى ثابت ويحيى بن داود ومحمد بن عثمان وخلص موسى الى توقس فنزل على الحاجب محمد بن تافراكين وسلطانه خير نزل وأجارهم مع قل من قومه خلصوا اليهم وأسفوا جراياتهم وبعث السلطان أبو عنان فيهم الى ابن تافراكين فأبى من اسلامهم وجاهر باجارتهم على السلطان ولما استولت عساكر السلطان على توقس وأجفل عنها سلطانها أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبى يحيى خرج موسى بن يوسف هذا فى جماعة ولما رجع السلطان الى المغرب صحب المولى أبو اسحق ابراهيم ابن مولانا السلطان أبى يحيى وابن أخيه المولى أبى زيد صاحب قسنطينة مع يعقوب بن على وقومه من الزواودة الى منازلة قسنطينة وارتجاعها وسار فى جماتهم موسى بن يوسف هذا فيمن كان عندهم من زناتة قومه وكان بنو عامر من زغبة خارجين على السلطان أبى عنان منذ غلبه أبو محمد الوادعلى تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم ملك تافراكين فضة فى قومه ونزلوا على يعقوب بن على وجاوروه بطنهم وظعنهم على أن فرجوا عن قسنطينة بعد امتناعها واعتزم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب فدعا موسى ابن يوسف هذا الى الرحلة معهم ليتسنموا ظلام ويجلوا به على تلمسان لقلى الموحدون

سبيله وأعانوه بما اقتدروا عليه لوقتهم وعلى حال سفرهم من آلة وفسطاط وارتحل مع بني عامر وارتحل مع صولة بن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان بن سباع من أمراء الزواودة وصغار بن عيسى في حال من سعيد احدى بطون رياح وأغذوا السير الى المغرب للعيث في نواحيه وجمع لهم أقيالهم من سويد أولياء السلطان والدولة والتقوا بقبلة تلمسان فانهزمت سويد وهلك عثمان بن وترمار كبيرهم وكان مهلك السلطان في خلال ذلك ولما اتصل الخبر بوفاة السلطان بالغرب أغذوا السير الى تلمسان وملكوا ضواحيها وجهز الحسن بن عمر لها عسكرا عقد عليه وعلى الحامية الذين بها لسعيد بن موسى الجيدي من صنائع السلطان وسرحه اليها وسار في جملته أحمد بن مرى فاصلا الى عمله بعد أن وصله وخلع عليه وحمله وسار سعيد بن موسى في العساكر الى تلمسان واحتل بها في صفر من سنة ستين وزحف اليه جموع بني عامر وسلطانهم أبو حمو موسى بن يوسف فغلبوهم على الضاحية وأحجزوهم بالبلد ثم ناجزوهم الحرب أياما واقتحموها عليهم لليال خلون من ربيع واستباحوا من كان بها من العسكر وامتلأت أيديهم من أسلابهم ونهابهم وخلص سعيد بن موسى بابن السلطان الى حلة صغير بن عامر فأجاره ومن جاء على اثره من قومه وأوفد برجالات من بني عامر ينصبون له الطريق أمامه الى أن أبلغوه مأمنه من دار ملكهم واستولى أبو حمو على ملك تلمسان واستأثر بالهدية التي أنفي بعودها كان السلطان أبقاها وبعث بها الى صاحب برشلونة ابن لقيط وبعث اليه فيها بفرس أدهم من مقربات بمركب ولجام مذهبين ثقيلين فاتخذ أبو حمو ذلك الفرس لركوبه وصرف الهدية في مصارفه ووجوه مذاهبه والله غالب على أمره

الخبر عن نهوض الوزير مسعود بن ماسي الى تلمسان وتغلبه عليها ثم انتقاضه ونصبه سليمان بن منصور للامر

لما بلغ الوزير الحسن بن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي حمو عليها جمع مشيخة بني مرين وأمرهم بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه وأشاروا بتجهيز العساكر ووعدوه مسيرهم كافة ففتح ديوان العطاء وفرق الاموال وأسنى الصلات وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ثم عقد عليهم لمسعود بن رحو بن ماسي وحمل معه المال وأعطاه الآلة وسار في الالوية والعساكر وكان في جملته منصور بن سليمان بن منصور بن أبي مالك بن يعقوب بن عبد الحق وكان الناس يرجفون بأن سلطان المغرب صائر اليه بعد مهلك بني عثمان وشاع ذلك على ألسنة الناس وذاع وتحدث به السمر والندمان وخشي منصور على نفسه لذلك فجاء الى الوزير الحسن وشكا اليه ذلك فانتهره أن يحتلج بفكره هذا الوسواس انتهارا خلا من وجه السياسة فانزجر واقتصر ولقد شهدت

Marfat.com

هذا الموطن ورحمت ذلة انكساره وخضوعه فى موقفه ورحل الوزير مسعود
فى التعبية وأفرج أبو حمو عن تلمسان ودخلها مسعود فى ربيع الثانى واستولى عليها
وخرج أبو حمو الى الصحراء وقد اجتمعت عليه جموع العرب من زغبة والمعقل ثم
خالفوا بنى مرين الى المغرب واحتلوا بانكاد بحللهم وظواعنهم وجهز اليهم مسعود بن
رحو عسكرا من جنوده انتفى فيه مشيخة بنى مرين وأمراءهم وعقد عليهم لعامر بن
عمه عجو بن ماسى وسرحهم فزحفوا اليه بساحة وجدة وصدقهم العرب الحملة
فانكشفوا واستبيح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيلهم ودخلوا الى
وجدة عراة وبلغ الخبر الى بنى مرين بتلمسان وكان فى قلوبهم مرض من استبداد الوزير
عليهم وحجره السلطانهم فكانوا يتربصون بالدولة فلما بلغ الخبر وحاص الناس لها حيصة
الحمر خلص بعضهم نجيا بساحة البلد واتفقوا على البيعة ليعيش بن على بن أبى زيان ابن
السلطان أبى يعقوب فبايعوه وانتهى الخبر الى الوزير مسعود بن رحو وكان
السلطان منصور بن سليمان فأكرهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الابكم من بنى الاحمر
وقائد جند النصارى القهردور وتسايل اليه الناس وتسامع الملأ من بنى مرين بالخبر
فتهاووا اليه من كل جانب وذهب يعيش بن أبى زيان لوجهه فركب البحر وخلص الى
الاندلس وانعقد الامر لمنصور بن سليمان واحتل بنى مرين على كلكله وارتحل بهم
من تلمسان يريد المغرب واعترضهم جموع العرب فى طريقهم فأوقعوا بهم وامتلأت
أيديهم من أسلابهم وظعنهم وأغذوا السير الى المغرب واحتلوا بسبو فى منتصف
جمادى الاخيرة وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فاضطرب معسكره بساحة البلد وأخرج
السلطان فى الآلة والتعبية الى أن أنزله بفسطاطه ولما غشيهم الليل انفض عنه الملأ
الى السلطان منصور بن سليمان فأوقد الشموع وأذكى النيران حوالى الفسطاط وجمع
المرالى والجند وأركب السلطان ودخل الى قصره وانحجر بالبلد الجديد وأصبح
منصور بن سليمان فارتحل فى التعبية حتى نزل بكدية العرائس فى الثانى والعشرين
لجمادى الاخيرة واضطرب معسكره بها وغدا عليها بالقتال وسدّ عليها الحالات وامتنعت
يومها ثم جمع الايدى على اتخاذ الآلات للحصار واجتمعت اليه وفود الامصار بالمغرب
للبيعة ولحقت به كتائب بنى مرين التى كانت محجرة بأراكش لحصار عامر مع الوزير
سليمان بن داود فاستوزره وأطلق عبد الله بن على وزير السلطان أبى عنان من معتقله
ببتة فخلص منه خلوص الابريز بعد السبك وأمر منصور بن سليمان بتسريح
المحبون فخرج من كان بها من دعار بجاية وقسنطينة وكانوا معتقلين من لدن استيلاء
السلطان أبى عنان على بلادهم وانطلقوا الى مواطنهم وأقام على البلد الجديد يغاديها

Marfat.com

القتال ويراوحها ونزع عنه الى الوزير الحسن بن عمر طائفة من بنى مرين ولحق آخرون بلادهم وانتقضوا عليه ينتظرون ما آل أمره ولبث على هذه الحال الى غرة شعبان فكان من قدوم السلطان أبى سالم لملك سلفه بالمغرب واستيلائه عليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن نزول المولى أبى سالم ببجيال غمارة واستيلائه على ملك المغرب ومقتل منصور بن سليمان

كان السلطان أبو سالم بعد مهلك أبيه واستقراره بالاندلس وخروج أبى الفضل بالسوس لطلب الامر ثم ظفر السلطان أبى عنان به ومهلكه كما ذكرناه قد نودع وسكن ثم لما هلك سلطان الاندلس أبو الحجاج سنة خمس وخمسين يوم الفطر بعد صلى العيد طعنه أسود مدسوس كان ينسب الى أخيه محمد من بعض اماء قصرهم ونصبوا للامر ابنه محمدا وحجبه مولاه رضوان واستبد عليه وكان للسلطان أبى عنان اعتزاز كما ذكرناه وكان يؤمل ملك الاندلس وأوعز اليهم عند ما طرقه طائف المرض سنة سبع وخمسين أن يبعثوا اليه طبيب دارهم ابراهيم بن زرور الذمى وامتنع من ذلك اليهودى واعتذر وردوه فتسكر لهم السلطان ولما وصل الى فاس من فتح قسنطينة وافريقية تقبض على وزيره والمشيخة وقتلهم تحنيا عليهم اذ لم يبادروا السلطان بنفسه أو حاجبه للتهنئة وأظلم الجو بينهم واعتزم على النهوض اليهم وكانوا منحاشين بالجملة الى الطاغية بطرة بن أدفونش صاحب قشتالة منذ مهلك أبيه الهنشة على جبل الفتح سنة احدى وخمسين ثم استبد رضوان على الدولة بعد مهلك أبى الحجاج فكانت له ساعية اليه ظاهرها النظر للمسلمين بمساءة عدوهم وكان السلطان أبو عنان يعتذر لذلك عليهم وعلم أنه لابد أن يمدهم بأساطيله ويدافعوه عن الاجازة اليهم وكان بين الطاغية بطرة وبين قيصر برشلونة فتنة هلك فيها أهل ملتهم فصرف السلطان قصده الى قيصر برشلونة وخاطبه فى اتصال اليد على ابن ادفونش واجتمع أسطول المسلمين وأسطول النصارى القمص بالزقاق وضربوا الذلك الموعد وأتحفه السلطان بهدية سنية من متاع المغرب وماعونه ومركب ذهبى صنيع ومقرب من جياده فبلغت تلمسان وهلك قبل وصولها الى محلها ولما هلك السلطان أبو عنان اقل اخوه المولى أبو سالم ملك أخيه وطمع فى مظاهرة أهل الاندلس له على ذلك لما كان بينهم وبين أخيه واستدعاه أشياع من أهل المغرب ووصل البعض منهم اليه بمكانه من غرناطة وطلب الاذن من رضوان فى الاجازة فأبى عليه فأحفظه ذلك ونزع الى ملك قشتالة متطارحا بنفسه عليه أن يجهز له الاسطول للاجازة الى المغرب فاشترط عليه وتقبل شرطه وأجازه فى أسطوله الى مراكش فامتنع عامر من قبوله لما كان فيه من

Marfat.com

التضييق والحصار بحضرة سليمان بن داود كما ذكرناه فانكفأ راجعا على عقبه فلما حاذى طنجة وبلاد غمارة ألقى بنفسه اليهم ونزل من الصفيحة من بلادهم واشتملت عليه قبائلهم وتسايلوا اليه من كل جانب وبايعوه على الموت وملك سبتة وطنجة وبها يومئذ السلطان أبو العباس بن أبي حفص صاحب قسنطينة لحق بها بعد الخروج من اعتقاله بسبتة كما ذكرناه فاختصه المولى أبو سالم بالحظوة والخلة والبواء في اقترابه ذلك الى أن استولى على ملكه وألقى بطنجة الحسن بن يوسف الورتاجني وكاتب ديوان الجند أبا الحسن بن علي بن السعود والشريف أبا القاسم التلمساني كان منصور بن سليمان ارتاب بهم واتهمهم بمداخلة الوزير الحسن بن عمر بمكانه من البلد الجديد فصرفهم من معسكره الى الاندلس فوافوا الامير أبا سالم عند استيلائه على طنجة فصاروا الى ايالته واستوزر الحسن بن يوسف واستكتب لعلامته أبا الحسن علي بن السعود واختص الشريف بالمجالسة والمراكبة ثم قام أهل الثغور الاندلسية بدعوته وأجاز يحيى بن عمر صاحب جبل الفتح بمن كان معه من العسكر وطالت المولى أبي سالم واتسع معسكره وبلغ الخبر الى الثائر على البلد الجديد منصور بن سليمان فجهز عسكر الدفاعه وعقد عليه لاخويه عيسى وطلحة وأنزلهما قصر كتامة وقاتلوه فهزموه واعتصم بالجبل وبادر الحسن بن عمر من وراء الجدران فبعث طاعته اليه ووعده بالتمكين من دار ملكه وداخل بعض أشياع المولى أبي سالم مسعود بن رحو بن ماسي وزير منصور في النزوع الى السلطان وكان قد ارتاب بمنصور وابنه علي فنزع وانفض الناس من حول منصور وتخاذل أشياعه من بني مرين ولحق بباديس من سواحل المغرب ومشى أهل العسكر بأجمعهم في ساقاتهم ومواكبهم على التعبية فلحقوا بالسلطان أبي سالم واستعدوه الى دار ملكه فأغذ السير وخلع الحسن بن عمر سلطانه الصغير من الامر لتسعة أشهر من خلافته وأسلمه الى عمه وخرج اليه فبايعه ودخل السلطان الى البلد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين واستولى على ملك المغرب وتوافت وفود النواحي بالبيعات وعقد للحسن بن عمر على مراكش وجهزه اليها بالعساكر رتبة بمكانه واستوزر مسعود بن رحو بن ماسي والحسن بن يوسف الورتاجني واصطفى من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبا عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل الى مؤلف هذا الكتاب توقيعه وكتابة سره وكنت نزعت اليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرايس لما رأيت من اختلال أحواله ومصير الامر الى السلطان فأقبل علي وأنزلني بمحل التنويه واستخلصني لكتابته واستوسق أمره بالمغرب، وتقبض شيعة السلطان بباديس على منصور بن سليمان وابنه علي وقادوهم مصفدين الى سدته وأحضرهم ووبخهم وجنبوا الى مصارعهم فقتلوا

Marfat.com

قصبا الرماح آخر شعبان من سنته وجمع الابناء والقرابة المرشحين من ولد أبيه
وأشخصهم الى رندة من ثغورهم بالاندلس ووكل بهم من يحرسهم ونزع محمدا ابن أخيه
أبو عبد الرحمن منهم الى غرناطة ثم لحق منهلا بالطاغية واستقر لديه حتى كان من تملكه
المغرب ما نقصه ان شاء الله تعالى وهلك الباقون غرقا بالبحر بايعاز السلطان بذلك بعد
مدة من سلطانه أركبهم السفن الى المشرق ثم غرقهم وخلص الملك من الخوارج
والمنازعين واستوسق له الامر والله غالب على أمره واحتفل السلطان فى كرامة مولانا
السلطان أبي العباس وأشاد لبره وأوعز دار عامر بن فتح الله وزير
أبيه لنزله ومهد له المجلس لضيق أربكته ووعده بالمظاهرة على ملكه الى أن بعثه من
تلمسان عند استيلائه عليها كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن خلع ابن الاحمر صاحب غرناطة ومقتل رضوان ومقدمه على السلطان)

لما هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين ونصب ابنه محمدا للامر واستبد عليه
رضوان مولى أبيه وكان قد رشح ابنه الاصغر اسمعيل بما ألقى عليه وعلى أمه من محبته
فلما عدلوا بالامر عنه جفوه ببعض قصورهم وقد كان له صهر من ابن عمه محمد بن اسمعيل
ابن الرئيس أبي سعيد فى شقته فكان يدعوه سرا الى القيام بأمره متى أمكنته فرصة
فى الدولة فخرج السلطان الى بعض متنزهاته برياضه فصعد سور الحمراء ليلة تسع
وعشرين من رمضان من سنة ستين فى بعض أوشاب جمعهم من الطعام لثروته وعمد الى
دار الحاجب رضوان فاقتحم عليه الدار وقتله بين حرمه وبنائه وقربوا الى اسمعيل فرسه
فركب فأدخلوه القصر وأعلنوا ببيعته وقرعوا طبولهم بسور الحمراء وفر السلطان من
مكانه بمتنزهه الى وادى آش بعد مقتل حاجبه رضوان واتصل الخبر بالسلطان المولى
أبي سالم فاغتاض لهلك رضوان وخلع السلطان رعيا لما سلف له فى جوارهم وأزعج
لحينه أبا القاسم الشريف من أهل مجلسه لاستقلاله فوصل الى الاندلس وعقد مع أهل
الدولة على اجازة المخلوع من وادى آش الى المغرب وأطلق من اعتقالهم الوزير
الكاتب أبا عبد الله بن الخطيب كانوا اعتقلوه لاول أمرهم لما كان رديفا للحاجب
رضوان وركن الدولة المخلوع فأوصى المولى أبو سالم اليهم باطلاقه فأطلقوه ولحق الرسول
أبو القاسم الشريف بسلطانه المخلوع بوادى آش للاجازة الى المغرب وأجاز لذى القعدة
من سنته وقدم على السلطان بفاس وأجل قدومه وركب للقائه ودخل به الى مجلس
ملكه وقد احتفل ترتيبه وغص بالمشيخة والعامة ووقف وزيره ابن الخطيب فأنشد
السلطان قصيدته الرائقة يستصرخه لسلطانه ويستحثه لمظاهرته على أمره
واستعطف واسترحم بما أبكى الناس شفقة له ورحمة ونص القصيدة

Marfat.com

سلا هل لديها من مخبرة ذكر * وهل أعشب الوادى ونم به الزهر
وهل باكر الوسمى دارا على اللوى * عفت آيها الا التوهم والذكر
بلادى التى حاطيت مشمولة الهوى * باكنافها والعيش فينان مخضر
وجوّى الذى ربى جناحى وكره * فهاانا ذا مالى جناح ولا وكر
نفت بى لا عن جفوة وملالة * ولانسخ الوصل الهنى لها هجر
ولكنها الدنيا قليل متاعها * ولذاتها دأبا تزور وتزورّ
فمن لى بنيل القرب منها ودونها * مدى ما ل حتى يومه ضدنا شهر
وقلّه لمن رآنا وللأسى * ضرام له فى كل جانحة جمر
وقد بتدت درّ الدموع بدا النوى * وللبين أنصبان يضيق لهما الصدر
بكينا على النهر السرور عشية * فعاد أجاجا بعد ما ذاك النهر
أقول لاظعانى وقد عالها السرى * وآنسها الحادى وأوحشها الزجر
رويدك بعد العسر يسر فأبشرى * بانجاز وعد الله قد ذهب العسر
وان تجبن الايام لم تجبن النهى * وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر
وان عركت منى الخطوب بمجربا * نقابا تسوّى عندها الحلو والمرّ
فقد جمعت عودا صليبا تقوّما * وعزما كما تمضى المهندة البتر
اذا أنت بالبيضاء قرّت منزلى * فلا اللحم حلّ ما جنيت ولا الظهر
زجرنا بابراهيم ملء همومنا * فلما رأينا وجهه صدق الزجر
يمتخب من آل يعقوب كلما * دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر
تناقلت الركبان طيب حديثه * فلما رأته صدق الخبر الخبر
ندى لو حواه البحر لذ مذاقه * ولم يتعقب مدّه أبدا جزر
وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى * وترفل فى اذياله الفتية البكر
أطاعته حتى العصم فى قنن الربا * وهشت الى تأمليه الانجم الزهر
قصدنا لنيا مولى الملوك على النوى * لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
كففنا بك الايام عن غلوائها * وقد رابنا رمنها التعسف والكبر
وعذنا بذاك المجد فانصرف الردى * ولذنا بذاك العز فانهزم الشرّ
ولما اتينا البحر نرهب موجه * ذكرنا نداك الغمر فاحتقر البحر
خلافتك العظمى ومن لم يدن بها * فايمانه لغو وعرفانه نكر
ووصفك يهدى المدح قصد صوابه * اذا ضل فى أوصاف من دونك الشعر
دعتك قلوب المسلمين وأخلصت * وقد طاب منها السرّ لله والجهر

Marfat.com

ومدّت الى الله الاكف ضراعة * فقال لهنّ الله قد قضى الامر
وألبسها النعمى ببيعتك التى * لها الطائر الميمون والمحتد الحرّ
فأصبح ثغر الثغر يبسم ضاحكا * وقد كان مما نابه ليس يفترّ
وأمنت بالسلم البلاد وأهلها * فلا ضيمة تعدو ولا روعة تعرو
وقد كان مولانا أبولك مصرّحا * بأنك فى أولاده الولد البرّ
وقد كنت حقا بالخلافة بعده * على الفور لكن كل شئ له قدر
فأوحشت من دار الخلافة أهلها * أقامت زمانا لا يلوح بها البدر
وردّ عليك الله حقك اذ قضى * بأن تشمل النعمى ويندل الستر
وقاد اليك الملك رفقا بخلقه * وقد عدموا ركن الامامة واضطروا
وزادك بالتمحيص عزا ورفعة * وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر
وأنت الذى تدعى اذا دهم الردى * وأنت الذى ترجى اذا أخلف القطر
وأنت اذا جار الزمان بحكمه * لك النقض والابرام والنهى والامر
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه * كسير ومن عليائك يلتمس النصر
غريب يرجى منك ما أنت أهله * فان كنت تبغى الفخر فقد جاءك الفخر
فعد يا أمير المؤمنين لبيعة * موثقة قد حل عقدتها الغدر
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا * بآل مرين جاءه العز والنصر
وخذ يا امام الحق للحق ثاره * ففى ضمن ما تأتى به العز والاجر
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم * بحق فما زيد يرجى ولا عمرو
فان قيل مال مالك الدثر وافر * وان قيل جيش عندك العسكر الحرّ
يكفيك العادى ويحميك الهدى * ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر
أعده الى أوطانه عنك ثانيا * وقلده نعماك التى مالها حصر
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها * فقد صدّهم منك التغلب والقهر
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة * تحاولها منك ما بعدها خسر
مرامك سهل لا يؤدك كفله * سوى أنه عرض له فى العلا خطر
وما العمر الا زينة مستعارة * ترد ولكنّ الثناء هو العمر
ومن باع ما يفنى بباق مخلد * فقد أنجح المسعى وقد ربح التجر
ومن دون ما تبغيه يا مالك العلا * جياد المذاكى والمجلة الغرّ
ورادوشقروا ضحات شياتها * فأجسامها تبر وأرجلها درّ
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة * مصممة غارت بها الانجم الزهر

Marfat.com

وأسر رجال من مرين أعزة * عمائمها بيض وآلتها سمر
عليهم من الماذى كل مفاضة * تدافع فى أعطافها اللجج الخضر
هم القوم ان هبوا لكشف ملمة * فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعر
اذا سئلوا أعطوا وان نوزعوا اسطوا * وان وعدوا وفوا وان عاهدوا برّوا
وان جمعوا العواء وافوا بأنفس * كرام على هاماتها فى الوغى البرّ
وان مدحوا هزوا ارتياحا كأنهم * نشاوى تمشت فى معاطفهم خمر
وتبسم ما بين الوشيج ثغورهم * وما بين قضب الدوح يتسم الزهر
أمولاى غاضت فكرتى وتبددت * طباعى فلا طبع يقينى ولا فكر
ولولا حنان منك داركتنى به * وأحييتنى لم يبق عين ولا أثر
فأوجدت منى فائتا أى فائت * وأنشرت ميتا ضم اشلاءه قبر
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه * بأهل لحمل اللطف وانشرح الصدر
وطوقتنى النعما المضعفة التى * يقل عليها منى الحمد والشكر
وأنت بتتميم الصنائع كافل * الى أن يعود العز والجاه والوفر
جزاك الذى أسنى مقامك رحمة * تفك بها العانى ويفسح مضطر
اذا نحن أثنينا عليك بمدحة * فبهات يحصى الرمل أو يحصر القطر
ولكننا نأتى بما نستطيعه * ومن بذل المجهود حق له العذر

ثم انقضى المجلس وانصرف ابن الاحمر الى نزله وقد فرشت له القصور وقربت له الجياد بالمراكب المذهبة وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتب الجرايات له ولمواليه من المعلوج وبطانته من الصنائع وانحفظ عليه رسم سلطانه فى الركب والرجل ولم يفقد من القاب ملكه الا الاداة أدبا مع السلطان واستقر فى حلته الى أن كان من لحاقه بالاندلس وارتجاع ملكه سنة ثلاث وستين ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض الحسن بن عمر وخروجه بتادلا وتغلب السلطان عليه ومهلكه)

لما فصل الوزير الحسن بن عمر الى مراكش واستقر بها تأثل به السلطان ورياسة نفسه أهل مجلس السلطان وسعوا فى تنكر السلطان له حتى أظلم الجو بينهما وشعر الوزير بذلك فارتاب بمكانه وخشى بادرة السلطان على نفسه وخرج من مراكش فى شهر صفر من سنة احدى وستين فلحق بتادلا منحرفا عن الطاعة مرتكسا أمره وانضاف اليه طوائف من جشم واعصر وصنهاجة وأجاروه وجهز السلطان عساكره الى حربه وعقد عليها لوزيره الحسن بن يوسف وسرحه اليه فاحتل بتادلا وحشد الحسن بن عمر بالجبل واعتصم به مع الحسين بن على الوردى كبيرهم وأحاطت بهم العساكر وأحدقوا بمعقلهم ودخل الوزير

Marfat.com

بعض أهل الجبل من صنهاجة فى الثورة بهم وسرّب اليهم المال فثاروا بهم وانفض جمعهم وتقبض على الحسن بن عمرو قاده برمّته الى عسكر السلطان فاعتقله الوزير وانكفأ راجعا الى الحضرة وقدم بها على السلطان فى يوم مشهود استركب السلطان فيه العسكر وجلس ببرج الذهب مقعده من ساحة البلد لاعتراض عساكره وجعل السلطان الحسن بن عمر على جمل طيف به بين أهل ذلك المحشر وقرّب الى مجلس السلطان وأومأ الى تقبيل الارض فوق جمله وركب السلطان الى قصره وانفض الجمع وقعد شهروا وصاروا عبرة من عبر الدنيا ودخل السلطان قصره فاقتعد أريكته واستدعى خاصته وجلساءه وأحضره فوبخه وقرّر عليه مرتكبه فتاوى بالمعاذير وفزع الى الانكار وحضرت هذا المجلس يومئذ فمن حضره من العلية والخاصة فكان مقاما تسيل فيه العيون رحمة وعبرة ثم أمر به السلطان فذهب على وجهه ونتفت لحيته وضرب بالعصى وتل الى محبسه وقتل لليال من اعتقاله قعصا بالرماح بساحة البلد ونصب شلوه بسور البلد عند باب المحروق وأصبح مثلا فى الآخرين

(الخبر عن وفد السودان وهديتهم واغرابهم فيها بالزرافة)

كان السلطان أبو الحسن لما أهدى الى ملك السودان منسا سليمان بن منسا موسى هديته المذكورة فى خبره اعتمل فى مكافأته وجمع لهاداته من طرف أرضه وغرائب بلاده وهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك ووصلت الهدية الى أقصى ثغورهم من الارس وهلك منسا سليمان قبل فصولها واختلف أهل مالى وافترق أمرهم وتواثب ملوكهم على الامر وقتل بعضهم بعضا وشغلوا بالفتنة حتى قام فيهم منسا زاطة واستوسق له أمرهم ونظر فى اعطاف ملكه وأخبر بشان الهدية واختزانها بوالات فأمر بانفاذها الى ملك المغرب وضم اليها حيوان الزرافة الغريب الشكل العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا الى فاس فى صفر من سنة اثنتين وستين وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان ببرج الذهب مجلس العرش ونودى فى الناس بالبروز الى الصحراء فبرزوا ينسلون من كل حدب حتى غص بهم الفضاء وركب بعضهم بعضا فى الازدحام على الزرافة اعجابا بخلقتها وأنشد الشعراء فى معرض المدح والتهنئة ووصف الحال وحضر الوفد بين يدى السلطان وأدوا رسالتهم بتأكيد الود والمخالصة والعذر عن ابطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل مالى وتواثبهم على الامر وتعظيم سلطانهم وما صار اليه والترجمان يترجم عنهم وهم يصدقونه بالنزع فى أوتار قسيهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان يحثون التراب على رؤسهم على سنة ملوك العجم ثم ركب السلطان وانفض ذلك الجمع وقد طار به الذكر

Marfat.com

واستقر ذلك الوفد فى ايالة السلطان وتمت جرايته وهلك السلطان قبل انصرافهم فوصلهم للقائم بالامر من بعده وانصرفوا الى مراكش وأجازوا منها الى ذوى حسان عرب المعقل من السوس المتصلين ببلادهم ولحقوا من هنالك بسلطانهم والامر لله وحده

الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وايثار أبى زيان حافد أبى تاشفين بملكها وما كان مع ذلك من صرف أمراء الموحدين الى بلادهم

لما استقل السلطان بملك المغرب سنة ستين كما ذكرناه وكان العامل على درعة عبد الله بن مسلم الزردالى من احلاف بنى عبد الواد وشيعة أبى زيان اصطنعه السلطان أبو الحسن عند تغلبه على تلمسان واستعمله أبو عنان بعد ذلك على بلاد درعة كما ذكرناه وتأتى له المكر بأبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن حين خروجه على أخيه السلطان أبى عنان بجبل ابن حميدى فارتاب عند استقلال المولى أبى سالم بالامر وخشى بادرته لما رآه من حقده عليه بسبب أخيه أبى الفضل لما كان بينهما من لحمة الاغتراب فداخل بطانته من عرب المعقل واحتمل ذخائره وأمواله وأهله وقطع القفر الى تلمسان ولحق بالسلطان أبى حمو آخر سنة ستين فنزل منه خير نزل وعقد له حين وصوله على وزارته وباهى به وبمكانه وفوض اليه فى التدبير والحل والعقد فشمر عن ساعده فى الخدمة وجاء بعرب المعقل من مواطنهم رغبة فى ولايته وايثارا لمكانته من الدولة ورهبة من سلطان المغرب لما كانوا ارتكبوه من موافقة بنى مرين مرة بعد أخرى فاستقروا بتلمسان وانحاشوا جميعا الى بنى عبد الواد وبعث السلطان أبو سالم الى أبى حمو فى شأن عاملهم عبد الله بن مسلم فلم يرجع له جوابا عنه وحضر عليه ولاية المعقل أهل وطنه فلج فى شانهم فأجمع السلطان أمره على النهوض اليهم واضطرب معسكره بساحة البلد وفتح ديوان العطاء ونادى فى الناس بالنفير الى تلمسان وأزاح العلل وبعث الحاشدين من وزرائه الى مراكش فتوافت حشود الجهات وفصل من فاس فى جمادى من سنة احدى وستين وجمع أبو حمو من فى ايالته وعلى التشييع لدولته من زناتة والعرب بنى عامر والمعقل كافة ماعدا العمارنة كان أميرهم الزبير بن طلحة متحيزا الى السلطان واجفلوا عن تلمسان وخرجوا الى الصحراء ودخل السلطان الى تلمسان ثالث رجب وخالفه أبو حمو وأشياعه الى المغرب فنزلوا كرسيف بلد وترمار بن عريف وخربوه واكتسحوا ما وجدوا فيه حقدا على وترمار وقومه بولاية بنى مرين وتخطوا الى وطاط فعاثوا فى نواحيه وانقلبوا الى انكاد وبلغ السلطان خبرهم فتلافى أمر المغرب وعقد على تلمسان لحافد من حفدة السلطان أبى تاشفين كان ربى فى حجرهم وتحت

Marfat.com

كفالة نعمتهم وهو ابو زيان محمد بن عثمان وشهرته بالفتى وأنزله بالقصر القديم من تلمسان
وعسكر عليه زناتة الشرق كلهم واستوزر له ابن عمه عمر بن محمد بن ابراهيم بن مكى ومن
أبناء وزرائهم سعيد بن موسى بن على وأعطاه عشرة أحمال من المال دنانير ودراهم
ودفع اليه الآلة وذكر حينئذ لمولانا السلطان أبى العباس سوابقه وايلافه فى المنزل
الخشن فنزل له عن محل امارته قسنطينة وصرف أيضا المولى أبا عبد الله صاحب بجاية
لاسترجاع بلده بجاية فعقد لهما بذلك وحملهما وخلع عليهما وأعطاهما حملين من المال
وكانت بجاية لذلك العهد قد تغلب عليها عمهم المولى أبو اسحق ابراهيم صاحب تونس
فكتب الى عاملهم على قسنطينة منصور بن الحاج خلوف أن ينزل عن بلدة مولانا
السلطان أبى العباس أحمد ويمكنه منها وودع هؤلاء الامراء وانكفأ راجعا الى حضرته
لسد ثغور المغرب وحسم داء العدو فدخل فاس فى شعبان من سنته ولم يلبث ان رجع
أبو زيان على اثره بعد أن أجفل عن تلمسان ولحق بوانشريس وتغلب عليه أبو حمو
وفض جموعه فلحق بالسلطان واستقل أبو حمو بملك تلمسان وبعث فى السلم الى السلطان
فعقد له من ذلك ما رضيه كما ذكرناه

{ الخبر عن مهلك السلطان أبى سالم واستيلاء عمر بن عبد الله
على ملك المغرب ونصبه للملوك واحدا بعد واحد الى أن هلك }

كان السلطان قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق وكان من خبره
ان سلفه من أهل رباط الشيخ أبى مدين كان جده قيما على خدمة قبره واستخدمه
واتصل القيام على هذا الرباط فى عقبه وكان جده الثالث محمد معروفا بالولاية ولما مات
دفنه بغمراسن بالقصر القديم ليعمروه بجدثه تبركا به وكان ابنه أحمد أبو محمد هذا قد
ارتحل الى المشرق وجاور الحرمين الى أن هلك وربى ابنه محمد بالمشرق ما بين الحجاز
ومصر وقفل الى المغرب بعد أن أسر أشياء فى الطلب وتفقه على أولاد الامام ولما ابتنى
السلطان أبو الحسن مسجد العباد ولاه الخطابة به وجعله يخطب على المنبر وقد أحسن
فى ذكره والدعاء له فخلا بعينه واستخلصه لنفسه وأحله محل القرب من نفسه وجعله
خطيبا حيث يصلى من مساجد المغرب وسفر عنه الى الملوك ولما كانت نكبة القيروان
خلص الى المغرب واستقر برباط العباد بجبل سلفه بعد أحوال أضربنا عن ذكرها
اختصارا ولما خلص السلطان الى الجزائر داخله أبو سعيد صاحب تلمسان فى السفارة
عنه الى السلطان أبى الحسن وصلاح ما بينهما فسار لذلك ونقمه أبو ثابت وبنو عبد
الواد ونكروه على سلطانهم وسرحوا صفير بن عامر فى اتباعه فتقبض عليه
وأودعوه المطبق ثم اشخصوه بعد حين الى الاندلس فاتصل بأبى الحجاج صاحب

Marfat.com

غرناطة وولاه خطابته لما اشتهر به من اجادة الخطبة للملوك بزعمهم وألف السلطان أبا سالم فى مثوى اغترابهما من غرناطة وشاركه عند أبى الحجاج فرعى السلطان وسائله وبوآته القديمة والحادثة الى مقامه عند أبيه فلما استوسق له ملك المغرب استخصه بولايته وألقى عليه محبته وعنايته وكان مؤامره ونجى خلوته والغالب على هواه فانصرفت اليه الوجوه وخضعت وطئ عقبه الاشراف والوزراء وعطف على بابه القواد والامراء وصار زمام الدولة بيده وكان ينجافى عن ذلك أكثر أوقاته حذرا من سوء المغبة ويزجر من يتعرض له فى الشكاية ويوهم الى أصحاب المراتب والخطط بباب السلطان وهم يعلمون انه قد ضرب على أيديهم فنقموا ذلك وسخطوا الدولة من أجله ومرضت القلوب أهل الحل والعقد من تقدمه ونفس عليه الوزراء ما ثبت له عند السلطان من الحظوة فتربصوا بالدولة وشمل هذا الداء الخاصة والعامة وكان عمر بن عبد الله بن على لما هلك أبوه الوزير عبد الله بن على فى جمادى سنة ستين عند استيلاء السلطان على ملكه تحلبت شفاه أهل الدولة على تراثه وكان مثريا فاستجاروا منهم بابن مرزوق وساهمه فى تراث أبيه بعد أن حملوا السلطان على النيل منه والاهانة له فأجاره منهم ورفع عند السلطان رتبته وحمله على الاصهار اليه فى أخته وقلده السلطان أمانة البلد الجديد دار ملكه منتقلا الرحلة عنها وأصهر عمر الى وزير الدولة مسعود بن ماسى تسكينا لروعته واستخلاصا لمودته وسفر عن السلطان الى صاحب تلمسان فى شعبان من سنة اثنين وستين ونمى عنه أنه داخل صاحب تلمسان فى بعض المكر فهم بنكبته وقتله ودافع عنه ابن مرزوق وخلص من عقابه وطوى على البث وتصرف فى الدولة وتربص بالدولة واعيد الى مكانه من الامانة على دار الملك أول ذى القعدة مرجعه من تلمسان لما كان السلطان قد تحول عنها الى القصبة بفاس واختط ابوانا نفسه بالجلوس بها الضيق قصوره بها فلما استولى عمر على دار الملك حدثته نفسه بالتوثب وسول له ذلك ما اطلع عليه من مرض القلوب به والنكير على الدولة لمكان ابن مرزوق فداخل قائد الجند عريسة بن افطول واتعدوا لذلك ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى القعدة سنة اثنين وستين وخلصوا الى تاشفين الموسوس ابن السلطان أبى الحسن بمكانه من البلد الجديد فقاموا عليه وألبسوه شارة الملك وقربوا له مركبه وأخرجوه الى أريكة السلطان فأقعدوه عليها وأكرهوا شيخ الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له وجاهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى مودع المال ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب وماج أهل البلد الجديد من الجند بعضهم فى بعض واختطفوا ما وصلوا اليه من العطاء وانتهبوا ما كان بالمخازن الخارجة من السلع والعدة وأضرموا النار فى بيوتها استرا

على ماضاع منها وأصبح السلطان بمكانه من القصبة فركب واجتمع اليه من حضر من الاولياء والقبائل وغدا على البلد الجديد وطاف بها يوم منها منفذا فاستصعب واضطرب معسكره بكدية العرائس لحصارها ونادى فى الناس بالاجتماع اليه ونزل عند قافلة الهاجرة بفسطاطه فتسايل الناس عنه الى البلد الجديد فوجا بعد فوج يمر أى منه الى أن سار اليها أهل مجلسه وخاصته فطلب النجاء بنفسه وركب فى ثلة من الفرسان مع وزرائه مسعود بن رحو وسليمان بن داود ومقدم الموالى والجند يابه سليمان بن نصار وأذن لابن مرزوق فى الدخول الى داره ومضى على وجهه ولما غشيهم الليل انفضوا عنه ورجع الوزير الى دار الملك فقبض عليها عمر بن عبد الله ومساهمه غريسة بن أنطول واعتقلاهما متفرقين وأنهض على بن مهدى وبدر يتجسن فى طلب السلطان فعثر عليه نائما فى بعض المحاشر بوادى ورغة وقد نزع عنه لباسه اختفاء بشخصه وتوارى على العيون بمكانه فقبض عليه وحمله على بغل وطير الخبر الى عمر بن عبد الله فأزعج لتلقيه شعيب بن ميمون بن وردار وفتح الله بن عامر بن فتح الله وأمرهما بقتله وانفاذ رأسه فلقياه بخندق القصبة ازاء كدية العرائس فأمر بعض جنود النصارى أن يتولى ذبحه وحمل رأسه فى مخلاة فوضعه بين يدى الوزير والمشيخة واستقل عمر بالامر ونصب الموسوس تاشفين يموه به على الناس وذوات الامور الى غاياتها ولكل أجل كتاب

{الخبر عن القتل بابن أنطول قائد العسكر من النصارى ثم خروج يحيى بن رحو وبنى مرين عن الطاعة}

لما قبض عمر بن عبد الله على الوزير كان معتقل سليمان بن داود بدار غريسة قائد النصارى ومعتقل بن ماسى بداره ضنابه عن الامتهان بمكان صهره ولما فيه من الاستظهار بعصابته من الابناء والاخوة والقرابة وكان غريسة بن أنطول صديقا لسليمان بن ونصار فلما رجع عن السلطان ليلة انفضاضهم نزل عليه وكان بعاقره الخمر فأتاه سحرا وتفاوضا فى اعتقال عمر واقامة معتقله سليمان بن داود فى الوزارة لما هو عليه من السن ورسوخ القدم فى الامر ونمى الى عمر الخبر فارتاب وكان خلوا من العصابة ففزع الى قائد المركب السلطانى من الرجل الاندلسيين يومئذ ابراهيم البطاروجى أمره وبايعه على الاستماتة دونه ثم استقل عصابتهم ففزع الى يحيى بن رحو شيخ بنى مرين وصاحب شوراهم فشكا اليه فأشكاه ووعده الفتك بابن أنطول وأصحابه وانبرم عقد ابن أنطول وسليمان ابن ونصار على شأنهم وغدوا الى القصر وداخل ابن أنطول طائفة من النصارى للاستظهار بهم ولما افتت بنو مرين بمجلس

Marfat.com

السلطان على عادتهم و عمر بن عبد الله القائد بن أنطول بين يدى يحيى بن رحو وقد أحضر البطروجى رجل الاندلسيين فسأله تحويل سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى وضن به عن الاهانة حتى سأل مثلها من ابن ماسى صاحبه فأمر عمر بالتقبض عليه فكشر فى وجوه الرجال واخترط سكينه للمدافعة فتواثبت بنو مرين وقتلوه لحينه واستلحموا من وجد بالدار من جند النصارى عند دخولهم وفزوا الى معسكرهم ويعرف بالملاح جوار البلد الجديد وأرجف الغوغاء بالمدينة ان ابن أنطول غدر بالوزير فقتل جند النصارى حيث وجدوا من سكك المدينة وتزاحفوا الى الملاح لاستلحام من به من الجند وركب بنو مرين لحماية جندهم من دعرة الغوغاء وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وآنيتهم وأمتعتهم وقتل النصارى كثيرا من الجان كانوا يعاقرون الخمر بالملاح واستبد عمر بالدار واعتقل سليمان بن وانصار الى الذل و بعث من قتله بمحبسه وحول سليمان بن داود ببعض الدور بدار الملك اعتقله بها واستولى على أمره ورجع فى الشورى الى يحيى بن رحو واعصوصب بنو مرين عليه واعتز على الامراء والدولة وكان عدوا الخاصة السلطان أبى سالم حريصا على قتلهم وكان عمر يريد استبقاءهم لما أمله فى ابن ماسى فخشنت صدورهم عليه ودبروا فى شأنه وخاطب هو عامر ابن محمد فى اتصال اليد واقتسام ملك المغرب وبعث اليه بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم اعتقه عنده وليجة لخلاصه من ربقة الحصار الذى هم به مشيخة بنى مرين وكان أبو الفضل هذا بالقصبة تحت الرقبة والارصاد فتفقد من مكانه وأغلظ المشيخة فى العتب لعمر فى ذلك فلم يستعتب ونبذ اليهم العهد وامتنع بالبلد الجديد ومنعهم من الدخول اليه فاعصوصبوا على كبيرهم يحيى بن رحو وعسكروا بباب الفتوح وجأجؤا بعبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان من خبره معه ما نذكره وأطاق عمر بن عبد الله مسعود بن ماسى من محبسه وسرحه الى مراكش وأوعده فى الاجلاب عليهم ان حاصروه كما نذكره ان شاء الله تعالى

• (الخبر عن وصول عبد الحليم بن السلطان من تلمسان وحصار البلد الجديد) •

كان السلطان أبو الحسن لما قتل أخاه السلطان أبا على وقضى الحق الذى له فى ذلك بالحق الذى عليه فى ذمته ولده وحرمه فكفلهم وغذاهم بنعمته وساوا هم ولده فى كافة شؤنهم وأنكح ابنته تاحضريت العزيزة عليه عليا منهم المكنى بأبى سلوس ونزع عنه وهو بالقيروان أيام النكبة ولحق بالعرب وأجلب معهم على السلطان بالقيروان وتونس ثم انصرف من افريقية ولحق بتلمسان ونزل على سلطانها أبى سعيد عثمان بن عبد الرحمن فبوأه كرامته ثم شرع فى الاجازة الى الاندلس وبعث فيه السلطان أبو عنان قبل فصوله

Marfat.com

فاشخصوه اليه فاعتقله ثم أحضره وو بخه على مرتكبه مع السلطان أبي الحسن وجده حقه ثم قتله لليلتين من شهور احدى وخمسين ولما هلك السلطان أبو الحسن ولحقت جملته من الخاصة والابناء بالسلطان أبي عنان وأشخص اخوته الى الاندلس وأشخص معهم ولد الامير أبي على هؤلاء عبد الحليم وعبد المؤمن والمنصور والناصر وسعيد ابن أخيهم زيان فاستقروا بالاندلس في جوار ابن الاحمر ثم طلب أبو عنان اشخاصهم بعدكما طلب اشخاص أخيه فأجارهم ابن الاحمر جميعا وامتنع من اسلامهم اليه وكان من المفاضبة لذلك ماقدمناه ولما اعتقل السلطان أبو سالم الابناء المرشحين وكان برندة كما قدمناه نزع منهم عبد الرحمن بن علي بن أبي يفلوس الى غرناطة فلحق بأعماله وكان السلطان أبو سالم بمكانهم مستريبا بشأنهم حتى لقد قتل محمد بن أبي يفلوس بن أخته تاحضريت وهو في حجرها وحجره استرابه بما نمى عنه ولما أجاز أبو عبد الله المخلوع ابن أبي الحجاج الى المغرب ونزل عليه وصار الى ايالته ورأى ان قد ملك أمره في هؤلاء المرشحين بغرناطة وأرسل الرئيس محمد بن اسمعيل عند توثبه على الامراء واستلحامه أبناء السلطان أبي الحجاج فراسله في اعتقالهم ثم فسد ما بين الرئيس والطاغية وأخذ منه كثيرا من حصون المسلمين وبعث الى السلطان أبي سالم في أن يخلي سبيل المخلوع اليه فامتنع وفاء للرئيس ثم دافع الطاغية عن ثغوره باسعاف طلبته فجهز المخلوع وملأ حقائبه صلة وأعطاه الآلة وأوعز الى أسطوله بسبتة فجهز وبعث علال بن محمد ثقة أبيه فأركبه الاسطول وركب معه الى الطاغية وخلص الخبر الى الرئيس بمكانه من ملك غرناطة وكان أبو حمو صاحب تلمسان يراسله في أولاد أبي علي وأن يجيزهم اليه ليجدهم زبونا على السلطان أبي سالم فبادر لحينه وأطلقهم من مكان اعتقالهم وأركب عبد الحليم وعبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيهما على أبي يفلوس في الاسطول وأجازهم الى مرسى هنين بين يدي مهلك السلطان أبي سالم فنزلوا من صاحب تلمسان بأعز جوار ونصب عبد الحليم منهم لملك المغرب وكان محمد السبيع بن موسى بن ابراهيم نزع عن عمر ولحق بتلمسان فتوافى معهم وأخبرهم بمهلك السلطان وبايع له واغراه بالرحلة الى المغرب ثم تتابعت وفود بني مرين بمثلها فسرحه أبو حمو وأعطاه الآلة واستوزره محمد السبيع وارتحل معه يغذ السير واتى في طريقه محمد بن زكار من أولاد علي من شيوخ بني ونكاس أهل دبدو واثغر المغرب منذ دخول بني مرين اليه فبايعه وحمل قومه على طاعته وأغذ السير وكان يحيى بن رحو والمشيخة لما بعد عمر بن عبد الله اليهم العهد وعسكروا بباب الفتوح أوفدوا مشيخة منهم على تلمسان لاستقدام السلطان عبد الحليم فوافوه بتازى ورجعوا معه وتلقته جماعة بني مرين بسبو ونزلوا على البلد الجديد يوم السبت سابع

محرم من سنة ثلاث وستين واضطرب معسكرهم بكدية العرائس وغادروا البلد القتال وراوحوها سبعة أيام وتتابعت وفودهم والحشود تتسايل اليهم ثم ان عمر بن عبد الله برز من السبت القابل فى مقدمة السلطان أبى عمر بمن معه من جند المسلمين والنصارى رامحة وناشبة ووكل بالسلطان من جاء به فى الساقة على التعبية المحكمة وناشبهم الحرب فدلفوا اليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقرهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ثم صمم نحوهم وانفرج القلب وانفضت الجموع وزحف السلطان فى الساقة فانذعروا فى الجهات وافترق بنو مرين الى مواطنهم ولحق يحيى بن رحو بمراكش مع مبارك بن ابراهيم شيخ الخلط ولحق عبد الحليم واخوته بتازى بعد أن شهدا لهم أهل المقام بصدق الجلاد وحسن البلاء فى ذلك المجال وصابر عمر بن عبد الله قدوم محمد بن أبى عبد الرحمن كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم الامير محمد بن الامير عبد الرحمن وبيعته بالبلد الجديد فى كفالة عمر بن عبد الله

لما نبذ بنو مرين عهدهم واعتصوا عليه ونكروا ما جاء به من البيعة لابى عمر مع فقده العقل الذى هو شرط الخلافة شرعا وعادة ونقموا عليه انتهم نفسه فى نظره وفرغ الى التماس المرشحين فوقع نظره على حافد السلطان أبى الحسن محمد ابن الامير أبى عبد الله النازع لاول دولة السلطان أبى سالم من رندة الى الطاغية وكان قد نزل منه بخبر مشوى فبعث اليه مولاه عتيقا الخصى ثم تلاه بعثمان بن الياسمين ثم تلاهما بالرئيس الابكم من بنى الاحمر فى كل ذلك يستحث قدومه وخاطب المخلوع ابن الاحمر وهو فى جوار الطاغية كما قدمناه قريب عهد بجواره فخاطبه فى استحثاثه واستخلاصه من يد الطاغية وكان المخلوع يرتاد لنفسه منزلا من ثغور المسلمين لما فسد بينه وبين الطاغية ورام النزوع عن ايالته فاشترط على الوزير عمر النزول له عن رندة فتقبل شرطه وبعث اليه الكتاب بالنزول عنها بعد أن وضع الملأ عليه خطوطهم من بنى مرين والخاصة والشرفاء والفقهاء فسار ابن الاحمر الى الطاغية وساله تسريح محمد هذا الى ملكه وأن قبيله دعوه الى ذلك فسرحه بعد أن شرط عليه وكتب الكتاب بقبوله وفصل من الشبلية فى شهر المحرم فاتح ثلاث وستين ونزل بسبتة وبها سعيد بن عثمان من قرابة عمر بن عبد الله أرصده لقدومه فطير بالخبر اليه فخلع أبا عمر من الملك لعام من بيعته وأنزله بدارهم مع حرمه وبعث الى السلطان أبى زيان محمد بالبيعة والآلة والفساطيط ثم جهز عسكرا للقائه فتلقوه بطنجة وأغذ السير الى الحضرة فنزل منتصف شهر صفر بكدية العرائس واضطرب معسكره بها وتلقاه الوزير يومئذ وبايعه وأخرج فسطاطه فاضطربه بمعسكره

Marfat.com

وتلوم السلطان حنالك ثلاثا ثم دخل فى الرابع الى قصره واقتعد أريكته وتوّدع ملكه وعمر مستبدّ عليه لا يكل اليه أمرا ولا نهيا واستطال عندذلك المتازعون أولاد أبى على كما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن واخوته الى سجلماسة بعد الوقعة عليهم بمكناسة السلطان عبد الحليم

لما سمع عبد الحليم بقدوم محمد بن أبى عبد الرحمن من سبتة الى فاس وهو بمكانه من تازى سرّح أخاه عبد المؤمن وعبد الرحمن ابن أخيه الى اعتراضه فانتهوا الى مكناسة وخاموا عن لقائه فلما دخل الى البلد الجديد أجلبوا بالغارة على النواحى وكثر العيث وأجمع الوزير عمر على الخروج اليهم بالعساكر فبرز بالتعبية والآلة وبات بوادى النجا ثم أصبح على تعبيته وأغذ السير الى مكناسة فزحف اليه عبد المؤمن وابن أخيه عبد الرحمن فى جموعهما فحاولهما القتال ساعة ثم صمم اليهم فدفعهم عن مكناسة وانكشفوا فلحقوا بأخيهم السلطان عبد الحليم بتازى ونزل الوزير عمر بساحة مكناسة وأوفد بالفتح على السلطان وكنت وافده اليه يومئذ فعمت البشرى واتصل السرور وتهنأ السلطان بملكه وتوّدع من يومئذ سلطانه ولما وصل عبد المؤمن الى أخيه عبد الحليم بتازى مفلولا انتقض معسكره ونزعوا عنه الى فاس وذهب لوجهه هو واخوته مع وزيرهم البيع بن محمد ومن كان معهم من عرب المعقل فلحقوا بسجلماسة وكان أهلها قد خلوا فى بيعتهم ودانوا بطاعتهم فاستعزوا بها وجدّدوا رسم الملك والسلطان الى أن كان من خروجهم ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن قدوم عامر بن محمد ومسعود بن ماسى من مراكش وما كان من وزارة ابن ماسى واستبداد عامر بمراكش

كان السلطان أبو سالم لما استقل بملك المغرب استعمل على جباية المصامدة وولايته مراكش محمد بن أبى العلاء بن أبى طلحة من أبناء العمال وكان مطلعا بها وناقش الكبير من ذوى عامر فأحفظه ذلك وربما تكررت سعايته فى عامر عند السلطان ولم يقبل ولما بلغ الى عامر مهلك السلطان أبى سالم وقيام عمر بالامر وكانت بينهما خلة بيت محمد ابن أبى العلاء فتقبض عليه وامتحنه وقتله واستقل بأمر مراكش وبعث اليه الوزير عمر بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم يعتده لما يقع من حصار بنى مرين اياه أن يجلب به عامر عليهم ويستنقضه كما ذكرناه ثم سرّح مسعود بن ماسى كما ذكرناه ولما أحاط بنو مرين بالبلد الجديد جمع عامر من اليه من الجند والحشود وزحف بأبى الفضل بن السلطان أبى سالم الى ونزل بوادى أم ربيع ولما انفض جمعهم من على

Marfat.com

البلد الجديد لحق به يحيي بن رحو وكان له صديقا ملاطفا فتنكر له توفية لعمر بن عبد الله وصاحبه مسعود وبعثه الى الجبل ولم يشهد الجمع فذهب مغاضبا ولحق بسجلماسة بالسلطان عبد الحليم وهلك في بعض حروبه مع العرب ولما انقرض عبد المؤمن وأجفل عبد الحليم من تازى ولحقوا بسجلماسة واستوسق الامر لعمر بن عبد الله وفرغ من شأن المنازعين ومضايقتهم له رجع الى ما كان يؤمله من الاستقلال على أمره بمسعود ابن ماسي واخوته وآثار به لمكان الصهر الذي بينهما فاستقدمه للوزارة مرضاة لبني مرين لما كانوا عليه من استمالتهم لجميع المذاهب والاغضاء عما نالوه به من النكاية وكان عامر بن محمد مجمعا القدوم على السلطان فقدم في صحابته ونزلا من الدولة بخير منزل وعقد السلطان لمسعود بن رحو على وزارته باشارة الوزير عمر فاضطلع بها ودفعه عمر اليها استمالة اليه وثقة بمكانه واستظهارا بعصابته وعقد مع عامر بن محمد الحلف على مقاسمة المغرب من لحم وأدم رفيع وجعل امارة مراكش لابي الفضل بن السلطان أبي سالم اسعافا بغرض عامر بن محمد في ذلك وأصهر عامر اليهم في بنت مولانا السلطان أبي يحيى المتوفى عنها السلطان أبو عنان فحملوا أولياءها على العقد عليها وانكفأ راجعا الى مكان عمله بمراكش يجر الدنيا وراءه عزا وثروة وتابعا الجهادي من سنة ثلاث وستين وصرف عمر عزيمته الى تشريد عبد الحليم وأخيه من سجلماسة كما ذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن زحف الوزير عمر بن عبد الله الى سجلماسة)

لما احتل عبد الحليم واخوته بسجلماسة اجتمع اليهم عرب المعقل كافة بحللهم واقتضوا خراج البلد فوزعوه فيهم وانتضوا على الطاعة رهنهم وأقطعهم جنبات المختص بأمرها واعصوصبوا عليه واستحثه يحيي بن رحو ومن هنالك من مشيخة بني مرين الى النهوض للمغرب فأجمع أمره على ذلك وتدبر الوزير عمر أمره وخشي أن يضطره جموه فأجمع اليه الحركة ونادى في الناس بالعطاء والرحلة فاجتمعوا اليه وبث العطاء فيهم واعترض العساكر وأزاح العلل وارتحل من ظاهر فاس في شعبان من سنة ثلاث وستين وارتحل معه ظهيره مسعود بن ماسي وبرز السلطان عبد الحليم الى لقائهم ولما تراءت الفيئات بتاغزوطت عند فرج الجبل المفضي من تلول المغرب الى الصحراء [illegible] باللقاء ثم توافقوا أياما وتمشت بينهم رجالات العرب في الصلح والتجافي لعبد الحليم عن سجلماسة تراث أبيه فعقد بينهما وافترقا ورجع كل واحد منهما الى عمله ومكانه من سلطانه ودخل عمر والوزير مسعود الى البلد الجديد في رمضان من سنته وتلقاهما سلطانهما بأنواع المبرة والكرامة ونزع الوزير محمد بن السبيع عن السلطان عبد الحليم الى الوزير عمر وسلطانه فتقبل وحل محل التكرمة وارداف للوزارة واستقر كل

Marfat.com

بمكانه وتوادعوا أمرهم الى ما كان من خلع عبد المؤمن لاخيه عبد الحليم ـ نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن بيعة العرب لعبد المؤمن وخروج عبد الحليم الى المشرق)

لما رجع عبد الحليم بعد عقد السلم مع الوزير عمر الى سجلماسة واستقر بها وكان عرب المعقل من ذوى منصور فريقين الاحلاف وأولاد حسين وكانت سجلماسة وطنا للاحلاف وفى مجالاتهم منذ أول أمرهم ودخولهم المغرب وكان من أولاد حسين فى مما لاة الوزير عمر ما قدمناه فكانت صاغية السلطان عبد الحليم الى الاحلاف بسبب ذلك أكثر فأسف ذلك أولاد حسين على الاحلاف وتجددت لذلك الفتنة وتزاحفوا وأخرج السلطان عبد الحليم أخاه عبد المؤمن لرفع ما بينهما من الخرق ولأمته فلما قدم على أولاد حسين دعوه الى البيعة والقيام بأمره فأبى فأكرهوه عليها وبايعوه وزحفوا الى سجلماسة فى صفر من سنة أربع وستين وبرز عبد الحليم اليهم فى أوليائه من الاحلاف ووقفوا ملبا وعقلوا رواحلهم وانكشف الاحلاف وانهزموا وهلك يحيى بن رحو كبير المشيخة من بنى مرين يومئذ فى حربهم وتغلبوا على سجلماسة ودخل اليها عبد المؤمن وتخلى له أخوه عبد الحليم عن الامر وخرج الى المشرق لقضاء فرضه فودعه وزوده بما أراد وارتحل الى الحج وقطع المفازة الى بلد مالى من السودان وصحب منها ركاب الحج الى مصر ونزل على أميرها المتغلب على سلطانها يومئذ وهو مليغا الخاصكى وأنهى خبره اليه وعرف بمكانه فاستبلغ فى تكريمه بما يناسب بيته وسلطانه وقضى حجه وانصرف الى المغرب فهلك بقرب الاسكندرية سنة ست وستين واستقل عبد المؤمن بأمر سجلماسة حتى كان من نهوض العسكر اليه ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض ابن ماسى بالعساكر الى سجلماسة واستيلائه عليها ولحاق عبد المؤمن بمراكش)

لما افترقت كلمة أولاد السلطان أبى عنان وخلع عبد المؤمن أخاه تطاول الوزير عمر الى التغلب عليهم ونزع اليه الاحلاف عدوا أولاد حسين وشيعة عبد الحليم المخلوع فجهز العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وسرح ظهيره مسعود بن ماسى الى سجلماسة فنهض اليها فى ربيع من سنة أربع وتلقاه الاحلاف بجالهم وناجعتهم وأغذ السير ونزع الكثير من أولاد حسين للوزير مسعود وبعث عامر بن محمد عن عبد المؤمن من سجلماسة فتركها ولحق بعامر فتقبض عليه واعتقله بداره من جبل هنتاتة ودخل الوزير مسعود الى سجلماسة واستولى عليها واقتلع منها جرثومة الشقاق بافتراق دعوة أولاد أبى على منها وكر راجعا الى المغرب لشهرين من حركته فاحتل بفاس الى

Marfat.com

ان كان من خبر انتقاضه على عمر وفساد ذات بينهما ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن انتقاض عامر ثم انتقاض الوزير بن ماسى على اثره)

لما استقل عامر بالناحية الغربية من جبال المصامدة ومراكش وما الى ذلك من الاعمال واستبدبها ونصب لامره أبا الفضل ابن السلطان أبى سالم واستوزره واستكفأ لامره وصارت كأنها دولة مستقلة فصرف اليه النازعون من بنى مرين على الدولة وجوه مفرهم ولجؤا اليه فأجارهم عن الدولة واجتمع اليه منهم ملأ وأشاروا اليه باستقدام عبد المؤمن وانه أبلغ ترشيحا من أبى الفضل بنسبه وقيامه على أمره وصاغية بنى مرين اليه فاستدعاه وأظهر لعمر أنه يروم بذلك مصلحته والمكر بعبد المؤمن وغما ذلك كله الى عمر فارتاب به ونزع اليه آخرا السيع بن موسى بن ابراهيم الوزير كان لعبد الحليم فكشف القناع فى بطانته وتجهيز العساكر اليه واستراب بأهل ولايته وعثر على كتاب من الوزير مسعود بن ماسى اليه يخالصه ويبذل له النصيحة فقبض على حامله وأودعه السجن فتنكر مسعود وأغراه صحابته الملاشون له من بنى مرين بالخروج ومنازعة عمر فى الامر ووعدوه النصر منه فاضطرب معسكره بالزيتون من خارج فاس موريا بالنزهة ابان الربيع وزخرف الارض فى شهر رجب من سنة خمس وبنى أصحابه الفساطيط فى معسكره حتى اذا استوفى جمعهم واعتزم على الخروج ارتحل مهاجرا بالحرف وعسكر بوادى النجا بمن كان معه بعده الخروج معه من بنى مرين ثم ارتحل الى مكناسة وكتب الى عبد الرحمن بن على بن يفلوس يستقدمه للبيعة تادلا قد خرج بها بعد انصرافهم من سجلماسة وتخلف عن عبد المؤمن وبعث عامر اليهم بعثا فهزموه ثم لحق ببنى ونكاسن فبعث اليه ابن ماسى وأصحابه فقدم عليهم وبايعوه وأخرج عمر سلطانه محمد بن أبى عبد الرحمن وعسكر بكدية العرائس وبث العطاء وأزاح العلل ثم ارتحل الى وادى النجا فبيته مسعود وقومه فثبت هو وعسكره فى مراكزهم حتى انجاب الظلام وفروا أمامهم فاتبعوا آثارهم وانفض جمعهم وبدالهم مالم يحتسبوه من اصفاق الناس على السلطان ووزيره عمر واعتصامهم بطاعته فاذعروا ولحق مسعود بن ماسى بن رحو بتادلا ولحق الامير عبد الرحمن ببلاد بنى ونكاسن و[illegible] عمر والسلطان الى مكانهما من الحضرة واستمال مشيخة بنى مرين فرجعوا الى [illegible] عنها واستصلحهم وتمسك أبو بكر بن حمامة بدعوة عبد الرحمن بن أبى يفلوس وأقامهما فى نواحيه وبايعه عليها موسى بن سيد الناس من بنى [illegible] أهل جبل دبروا من بنى ونكاسن بما كان صهره له وخالفه قومه الى الوزير عمرو واعدوه بالنهوض الى أبى بكر بن حمامة فنهض وغلبه على بلاده واقتحم حصنه انكاوان وقتره ووصهر موسى

Marfat.com

وقاموا سلطانهم عبد الرحمن ونبذوا اليه عهده ورجعوا الى طاعة صاحب وادى فدق هو بتلمسان ونزل على السلطان أبي حمو فاستبلغ فى تكريمه ولحق وزيره مسعود بن ماسى بدير واونزل على أميره محمد بن زكراز صاحب ذلك الثغر وبعث الى الامير عبد الرحمن من تلمسان ليطارده لفرصة ظنها فى المغرب ينتهزها أبى عليه أبو حمو من ذلك فركب مطية الفرار ولحق بابن ماسى وأصحابه فنصبوه للامر وأجلبوا على تازى ونهض الوزير اليهم فى العساكر واحتل بتازا وتعرضوا للقائه ففض جموعهم ورذهم على أعقابهم الى جبل دبرو اوسعى بينهم وترمار بن عريف ولى الدولة فى قبض عنانهم عن المنازعة والتجافى عن طلب الامر وأن يجيزوا الى الاندلس للجهاد فأجاز عبد الرحمن بن أبي يفلوس ووزيره ابن ماسى من غساسة فاتح سبع وستين وخلا الجو من اجلابهم وعنادهم ورجع الوزير الى فاس واحتشد الى مراكش كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نهوض الوزير عمر وسلطانه الى مراكش)

لما فرغ عمر من شأن مسعود وعبد الرحمن بن أبي يفلوس صرف نظره الى ناحية مراكش وانتزى عامر بن محمد بها وأجمع أمره على الحركة اليه فأفاض العطاء ونادى بالسفر الى حرب عامر وأزاح العلل وارتحل اليه لرجب من سنة سبع وصعد عامر وسلطانه أبو الفضل الى الجبل فاعتصم به وأطلق عبد المؤمن من معتقله ونصب له الآلة وأجلسه على سرير حذاء سرير أبى الفضل يوهم انه قد بايع له وانه أحكم أمره تحامى بذلك لبنى مرين لما يعلم من صاغيتهم اليه وخشى مغبة ذلك فالان له القول ولاطفه فى الخطاب وسعى بينهما فى الصلح حسون بن على الصبيحى فعقد له عمر من ذلك ما أرضاه وانقلب الى فاس ورجع عامر عبد المؤمن الى معتقله وأمر الاحوال على ما كانت من قبل الى أن بلغهم قتل الوزير لسلطانه كما نذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن مهلك السلطان محمد بن أبى عبد الرحمن وبيعة عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن}

كان شأن هذا الوزير عمر فى الاستبداد على سلطانه هذا عجبا حتى بلغ مبلغ الحجر من الصبيان وكان قد جعل عليه العيون والرقباء حتى من حرمه وأهل قصره وكان السلطان كثيرا ما يتنفس الصعداء مع ندمائه ومن يختصه بذلك من حرمه الى أن حدث نفسه باغتيال الوزير وأمر بذلك طائفة من العبيد كانوا يختصون به فمضى القول وأرسل به الى الوزير بعض الحرم كانت عيناله عليه تخشى على نفسه وكان من الاستبداد والدولة أن الحجاب ممنوع له عن خلوات السلطان وحرمه ومكاشفة رسله فخلص اليه فى حشمه

Marfat.com

وهو معاتر لتسدما مخطردهم عنه وتناولهما حتى قاض وألقوه على بساط الفرش الغزلان واستدعا الخاصة فأراهم مكانه وانه سقط عن دابته وهو ثمل فى تلك البئر وذلك فى المحرم فاتح ثمان وستين لست سنين من خلافته واستدعى من حينئذ عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن وكان فى بعض الدور من القصبة بفاس تحت الرقباء والحراسة من الوزير لما كان السلطان محمد يروم الفتك به غيرة منه على الملك لمكان ترشيحه فحضر بالقصر وجلس على سرير الملك وفتحت الابواب لبنى مرين والخاصة والعامة فازدحموا على تقبيل يده معطين الصفقة بطاعته وكمل أمره وبادر الوزير من حينه الى تجهيز العساكر الى مراكش ونادى بالعطاء وفتح الديوان وكمل الاعراض وارتحل بسلطانه من فاس فى شهر شعبان وأغذ السير الى مراكش ونازل عامر بن محمد بمعقله من جبل هنتاتة ومعه الامير أبو الفضل ابن السلطان أبى سالم وعبد المؤمن ابن السلطان أبى على أطلقه من الاعتقال أيضا وأجلسه موازى ابن عمه واتخذله الآلة يموه به فى شأنه الاول ثم سعى بينه وبين عمر فى الصلح فانعقد بينهما وانكفأ راجعا بسلطانه الى فاس فى شهر شوال فكان حتفه اثر ذلك كما ذكره ان شاء الله تعالى والله أعلم

(الخبر عن مقتل الوزير عمر بن عبد الله واستبداد السلطان عبد العزيز بأمره)

كان عمر قد عظم استبداده على السلطان عبد العزيز فحجره ومنعه من التصرف فى شئ من أمره ومنع الناس من النهوض له فى شئ من أمورهم وكانت أمه حذرة عليه اشفاقا وحبا وكان عمر لما ملك أمره واستبد عليه سما الى الاصهار اليهم فى بنت السلطان أبى عنان واشترط لها زعموا تولية أخيها الامير وغاظ ذلك الى السلطان وان عمر مغتاله لا محالة وقارن ذلك ان عمر أو عز الى السلطان بالتحول عن قصره الى القصبة فركب أسنة الغدر لاضطراره واعتزم على الفتك به وأكمن بزوايا داره جماعة من الرجال وأعدهم بالتوثب به ثم استدعاه الى بيته للمؤامرة معه سنته فدخل معه وأغلق الموالى من الخصيان باب القصر من ورائه ثم أغلظ له السلطان بالقول وعتبه ودلف الرجال اليه من زوايا الدار فقتلوه بالسيوف هبرا وصرخ ببطانته بحيث أسمعهم فحملوا على الباب فكسروا الغلاق ألفوه مضرجا بدمائه فولوا الادبار وانفضوا من القصر والبلد وخرج السلطان الى مجلسه فقعد أريكته واستدعى خاصته وعقد لعمر بن مسعود ابن منديل بن حمامة من بنى مرين وشعيب بن ميمون بن وردان من الحشم ويحيى بن ميمون بن المعز من الموالى وكملت بيعته منتصف ذى القعدة سنة ثمان وستين وتقبض على على بن الوزير عمر وأخيه وعمه وحاشيتهم وسربهم واعتقلهم حتى أتى القتل عليهم للميال واستأصل المكان شأفتهم وسكن وأمن ورد النافرين بأمانه وبسط لهم بشره

Marfat.com

ثم قبض لايام على سليمان بن داود ومحمد السبيع وكانا فى مخالصة عمر بمكان فاعتقلهما استرابة بهما ولشئ نمى له عنهما وأودعهما السجن الى أن هلكا واعتقل معهما علال بن محمد والشريف أبا القاسم ريبة بصحابتهما ثم امتن عليهما بشفاعة ابن الخطيب وزير ابن الاحمر وأقصاه ثم أطلق عنانه فى الاستبداد وقبض أيدى الخاصة والبطانة عن التصرف فى شئ من سلطانه الا باذنه وعن أمره وهلك لاشهر من استبداد الوزير سعيب ابن ميمون ثم هلك يحيى بن ميمون على ما نذكره ان شاء الله تعالى.

* (الخبر عن انتزاء أبى الفضل بن المولى أبى سالم ثم نهوض السلطان اليه ومهلكه) *

لما فتك السلطان عبد العزيز بعمر بن عبد الله المتغلب عليه سولت لابى الفضل ابن السلطان أبى سالم نفسه مثلها فى عامر بن محمد لما كان استبداده عليه وأغراه بذلك البطانة وتوحش لها عامر فتمارض بداره واستأذنه فى الصعود الى معتصمه بالجبل ليمرضه هنالك أقاربه وحرمه وارتحل بجملته ويئس أبو الفضل من الاستمكان منه وأغراه حشمه بالراحة من عبد المؤمن وللبال من منصرف عامر ثم أبو الفضل ذات ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمر بقتل عبد المؤمن بمكان معتقله من قصبة مراكش فجاء برأسه اليه وطار الخبر الى عامر فارتاع وحمد الله اذ خلص من غائلته وبعث ببيعته الى السلطان عبد العزيز وأغراه بابى الفضل ورغبه فى ملك مراكش ووعده بالمظاهرة فاجمع السلطان أمره على النهوض الى مراكش ونادى فى الناس بالعطاء وقضى أسباب حركته وارتحل من فاس سنة تسع وستين واستبد أبو الفضل من بعد مهلك عبد المؤمن واستوزر طلحة النورى وجعل علامته لمحمد بن محمد بن منديل الكتانى وجعل شوراه لمبارك بن ابراهيم بن عطية الخلطى ثم أشخص طلحة النورى لسعاية الكتانى فقتله واعتمد منازلة عامر ولما فصل لذلك من مراكش جاءه الخبر بحركة السلطان عبد العزيز اليه فانفض معسكره ولحق بتادلا ليعتصم بها فى معقل بنى جابر وعاجل السلطان بعساكره عن مراكش اليها فنازله وأخذ بمخنقه وقاتله فقتل عسكره وداخله بعض بنى جابر فى الاخلال بصافه يوم الحرب على مال يعطيه لهم ففعلوا وانهزمت عساكر أبى الفضل وجموعه وتقبض على أشياعه وسيق مبارك بن ابراهيم الى السلطان فاعتقله الى أن قتله مع عامر عند مهلكه كما نذكره وفر الكتانى الى حيث لم يعلم مسقطه ثم لحق بعامر بن محمد ولحق أبو الفضل بقبائل صناكة من ورائهم وداخلهم أشياع السلطان من بنى جابر وبذلوا لهم المال الدثر فى اسلامه فأسلموه وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاءه أسيرا وأحضره السلطان فوبخه وقرعه واعتقله بفسطاط جواره ثم غط من الليل وكان مهلكه فى رمضان من سنة تسع وثمان مئين من

Marfat.com

امارته على مراكش وبعث السلطان الى عامر يحضر طاعته بذلك فابى عليه وجاهر بالخلاف الى ان كان من شأنه ماتذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن نكبة الوزير يحيى بن ميمون بن محمود ومقتله)

كان يحيى بن ميمون هذا من رجالات دولتهم وربى فى دولة السلطان أبى الحسن وكان عمه علال عدوا له بعداوة أبيه ولما انتزى السلطان أبو عنان على ملك أبيه استخلص يحيى هذا لسائر أيامه وهلك عمر يوم مهلكه كما ذكرناه واستعمل يحيى هذا ببجاية فلم يزل بها الى أن تقبض عليه الموحدون لما استخلصوا بجاية من يده وسار الى تونس واعتقل بها مدة ثم صرفوه الى المغرب أيام عمر فاختص به ولما عقد له السلطان عبد العزيز على وزارته وكان قوى الشكيمة شديد الحزم صعب العداوة مرهف الحد وكان عمه علال بعد أن أطلقه السلطان من الاعتقال نكبه عن اذنه وأقامه متصرفا بين يديه فألقى الى السلطان استبدادا يحيى عليه وحذره من شأنه ورفع اليه انه يروم تحويل الدعوة لبعض القرابة من آل عبد الحق وانه داخل فى ذلك قواد الجند من النصارى وأصاب الوزير وجيع قعد به عن مجلس السلطان فاختلف الناس الى زيارته وعكف ببابه قواد النصارى فاستريب بأمرهم وتيقن الامر بعكوفهم فأرسل السلطان من حشمه من تقبض عليه وأودعه السجن ثم جنب الى مصرعه من الغد وقتل قعصا بالرماح وقتل المتهمون من القرابة وقواد الجند واستلحموا جميعا وصار وا مثلا فى الآخرين والامر لله

(الخبر عن حركة السلطان الى عامر بن محمد ومنازلته بجبله ثم الظفر به)

لما فرغ السلطان من شأن أبى الفضل عقد على مراكش لعلى بن محمد بن اجانا من صنائع دولتهم وأوعز اليه بالتضييق على عامر والاخذ بمخنقه والجائه الى الطاعة وانقلب الى فاس واعتزم على الحركة الى تلمسان وبينما هو فى الاستنفار لذلك اذ جاءه الخبر بأن على بن اجانا نهض الى عامر وحاصره أياما وان عامرا زحف اليه فقض معسكره وتقبض على بن اجانا والكثير من العسكر فاعتقلهم فقام السلطان فى ركابه وقعد وأجمع أمره على النهوض اليه بكافة بنى مرين وأهل المغرب فبعث فى [illegible] وبث العطاء وعسكر بظاهر البلد حتى استوفى الغرض وعقد على وزارته لابى بكر بن الغازى بن يحيى بن الكاس لمكان فيه من مخايل الرياسة وارتفع محله وارتحل سنة سبعين فاحتل بمراكش ثم خرج الى منازلة الجبل ونازله وكان عامر بن محمد قد نصب [illegible] الاعياص من آل عبد الحق من ولد أبى ثابت بن يعقوب اسمه تاشفين ولحق به على بن عمر ويعلان من شيوخ بنى ورتاجن كبير بنى مرين وصاحب الشورى فيهم لعهده فاشتد

Marfat.com

آزرمه وتوافى به كثير من الجند النازعين عن السلطان رهبة من بأسه وسخطة لحاله أو رغبة فيما عند عامر فرجعهم وأمسك الله يده عن العطاء فلم تنس بقطرة وطال مثوى السلطان بساحته وعلى حصاره ورتب المقاعد للمقاتلة وغاداه للقتال وراوحه وتغلب على حصونه شيأ فشيأ الى أن تعلق بأعلى جبل تامسكروط وكان لابى بكر بن غازى غناء مذكور وبنس أصحاب عامر وأشياعه من عطائه وفسد ما بينه وبين على بن عمر هذا فدس الى السلطان يطلب الامان ويوثق لنفسه ثم نزع اليه ودا خله فارس بن عبد العزيز أخى عامر فى القيام بدعوة السلطان والخلاف على عمه لما كان به من ارهاف الحد وتفضيل ابنه أبى بكر عليه فبلغ خبره الى السلطان واقتضى له وثيقة من الامان والعهد بعث به اليه فثار بعمه واستدعى القبائل من الجبل فأجابوه واستحث السلطان للزحف اليهم فزحفت العساكر والجنود واستولت على معتصم الجبل ولما استيقن عامر ان قد أحيط به أوعز الى ابنه أن يلحق بالسلطان عموها بالنزوع فألقى بنفسه اليه وبذل له الامان وألحقه بجملته واتبذ عامر عن الناس وذهب لوجهه ليخلص الى السوس فردته الثلج وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام بردا وثلجا حتى تراكم بالجبل بعضه على بعض وسدت المسالك فاقتحمه عامر وهلك فيه بعض حرمه ونفق مركوبه وعاين الهلكة العاجلة فرجع مختفيا أثره الى غار اوى اليه مع أدلاء بذل لهم المال يسلكون به ظهر الجبل الى الصحراء بالسوس وأقاموا ينتظرون امساك الثلج وأقام وأغرى السلطان بالبحث عنه فدلهم عليه بعض البربر عثروا عليه فسيق الى السلطان وأحضره بين يديه ووبخه فاعتذر وتخضع بالطاعة ورغب فى الاقالة واعترف بالذنب فحمل الى مضرب بنى له بازاء فسطاط السلطان واعتقل هنالك وتقبض يومئذ على محمد الكتانى فاعتقل وانطلقت الايدى على معاقل عامر وديارة فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات مالا عين رأت ولا خطر على قلب أحد منهم واستولى السلطان على الجبل ومعاقله فى رمضان من سنة احدى وسبعين لحول من يوم حصاره وعقد على هنتاتة لفارس بن عبد العزيز بن محمد ابن على وارتحل الى فاس واحتل بها آخر رمضان ودخلها فى يوم مشهود برز فيه الناس وحمل عامر وسلف انه تاشفين على جملين وقد أفرغ عليهما الرث وعبث بهما أيدى الاهانة فكان ذلك عبرة لمن راه ولما قضى من الفطر أحضر عامر فقرع بذنوبه وأوتى بكتابه بخطه يخاطب فيه أباحمو ويستنجده على السلطان فشهد عليه وأمر به السلطان فامتحن ولم يزل يجلد حتى انتن لحمه وضرب بالعصى حتى ورمت أعضاؤه وهلك بين يدى الوزعة وأحضر الكتانى ففعل به مثله وجنب تاشفين السلطانه الى مصرعه فقتل

Marfat.com

نعصابالرماح وجنب مبارك بن ابراهيم من محبسه بعد الاعتقال فالحق بهم ولكل اجل كتاب وصفا الجو للسلطان من المنازعين وفرغ لغزو تلمسان كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن ارتجاع الجزيرة الخضراء)

قد تقدم ذكر تغلب الطاغية ابن الهنشة على الجزيرة سنة ثلاث وأربعين وانه نازل بعدها جبل الفتح سنة احدى وخمسين وهلك بالطاعون وهو محاصره عندما استفحل أمره واشتدت شوكته وكفى الله شأنه وولى أمر الخلافة بعده ابنه بطرة وعدا على سائر اخوته وفر أخوه القمط بن حظية أبيه المسماة بلغتهم الريق همزة الى قط برشلونة فاجاره وأنزله خير نزل ولحق به من الزعماء المريكس بن خالته وغيره من اقاطهم وبعث اليه بطرة ملك قشتالة فى اسلام أخيه فأبى من اخفار جواره وحدثت بينهما بذلك الفتنة الطويلة افتتح بطرة فيها كثيرا من معاقل صاحب برشلونة وأوطأ عساكره نواحى أرضه وحاصر بلنسية فاعدة شرق الاندلس مرارا وجف عليها بعساكره وملأ البحر اليها بأساطيله الى أن ثقلت على النصرانية وطأته وساءت فيها ملكته فانتقضوا عليه ودعوا القمط أخاه فزحف الى قرطبة وثار على بطرة أهل الشيلية وتيقن صاغية النصارى اليه ففر عن ممالكه ولحق بملك الافرنج وراء جليقية فى الجوف عنها وهو صاحب انكلطرة واسمه الفلس غالس ووفد عليه صريخا سنة سبع وستين فجمع قومه وخرج فى صريخه الى أن استولى على ممالكه ورجع ملك الافرنج فعاد النصارى الى شانهم مع بطرة وغلب القمط على سائر الممالك فتحيز بطرة الى ثغوره مما يلى بلاد المسلمين ونادى صريخا بابن الاحمر فانتهز فيها الفرصة ودخل بعساكر المسلمين فأثخن فى أرض النصرانية وخرب معاقلهم ومدنهم مثل ايرة وجيان وغيرهما من امهات أمصارهم ثم رجع الى غرناطة ولم تزل الفتنة قائمة بين بطرة وأخيه القمط الى ان غلب عليه القمط وقتله وفى خلال هذه الفتن بقيت ثغورهم مما يلى أرض المسلمين عورة وتشوف المسلمون الى ارتجاع الجزيرة التى قرب عهدهم بانتظامها فى ملكة المسلمين وكان صاحب المغرب فى شغل عن ذلك بما كان فيه من انتقاض أبى الفضل ابن أخيه وعامر بن محمد فراسل صاحب الاندلس أن يزحف اليه بعساكره على أن على [illegible] وامداده بالمال والاساطيل على أن يكون مثوبة جهاده خالصة له فأجاب الى ذلك وبعث اليه أحمال المال وأوعز الى أساطيله بسبتة فعمرت وأقلعت من مرسى الجزيرة لحصارها وزحف ابن الاحمر بعساكر المسلمين على أثرها بعد أن قسم فيهم العطاء وأزاح العلل واستعد الآلات للحصار فنازلها أياما قلائل ثم أيقن النصارى بالهلكة لبعدهم عن الصريخ ويأسهم عن مدد ملوكهم والقوا باليد وسألوا النزول على حكم المسلم

Marfat.com

فأجابهم السلطان اليه ونزلوا عن البلد وأقيمت فيها شعائر الاسلام ومراسمه ومحيت منها كلمة الكفر وطواغيته وكتب الله أجرها لمن أخلص في معاملته وكان ذلك سنة سبعين وولى ابن الاحمر عليها من قبله ولم تزل لنظره الى أن تمحض النظر عن هدمها خشية استيلاء النصرانية عليها فهدمت أعوام ثمانين وأصبحت خاوية كان لم تغن بالامس والبقاء لله

{الخبر عن حركة السلطان الى تلمسان واستيلائه عليها وعلى سائر بلادها وفرار أبي حمو عنها}

كان مرب المعقل موطنين بصحراء المغرب من لدن السوس ودرعة وتافيلالت وملوية وبها وحشكان بنو منصور منهم أولاد حسين والاحلاف مختصين بطاعة بني مرين في وطنهم وكانوا مغلوبين للدولة تحت قهر من كان سلطانها ولما ارتجع بنو عبد الواد ملكهم تلمسان على يد أبي حمو وكان الاحلاف بالمغرب عاث هؤلاء المعقل وأكثروا في الوطن الفساد ولما استقالت الدولة من عثارها تحيزوا الى بني عبد الواد وأقطعوهم في أوطانهم واستقروا هنالك من لدن نزوع عبد الله بن مسلم العامل بدرعة الى أبي حمو وزيارته له وفسد ما بين سلطان المغرب وأبي حمو من جراء ذلك ونهض أبو حمو سنة ست وستين الى المغرب وعاث في نواحي دبر واثغر المغرب فنشأت لذلك نار العداوة بينه وبين صاحب الثغر محمد بن زكراز مكان داعيه بعد وصاحب المغرب به على الايام ولما استبد السلطان عبد العزيز وهلك صاحبهم عبد الله بن مسلم وترددت الرسل بين أبي حمو وبين السلطان عبد العزيز كان فيما اشترط عليه التصافي عن قبول عرب المعقل عرب وطنه لما فيه من الاستكثار بهم عليه وأبى عليهم أبو حمو منها لاستظهاره بهم على زغبة من أهل وطنه وغيرهم وكثر التلاحي في ذلك وأحفظ السلطان وهم بالنهوض اليه سنة سبعين وأقصر لما أخذ بحجزته من خلاف عامر وصاحب الثغر محمد بن زكراز أثناء ذلك يحرضه على الحركة الى أبي حمو ويرغبه في ملك تلمسان ولما قضى السلطان حركة مراكش وفرغ من شأن عامر ورجع الى فاس ولقي بها أبو بكر بن عريف أمير سويد في قومه من بني مالك بحللهم وناجعتهم صريخا على أبي حمو لما نال منهم وتقبض على أخيهم محمد رؤساء بني مالك جزاء بما يعرف لهم ولسلفهم من ولاية صاحب المغرب ووفد عليه رسل أهل الجزائر ببيعتهم يستحثون السلطان لاستنقاذهم من له وانه وأمر السلطان بذلك وليه وزمار ومحمد بن زكراز صاحب دبر وافز عموا له بالغناء في ذلك واعتزم على النهوض الى تلمسان وبعث الحاشدين الى مراكش للاحتشاد ووافى الناس به على طبقاتهم أيام منى من سنة احدى وسبعين وأفاض العطاء وأزاح العلل ولما قضى

Marfat.com

منسك الاضحى اعترض العساكر ورحل الى تلمسان واحتل بتازا وبلغ خبرهم وضه الى أبى حمو فجمع من اليه من زناتة الشرق و بنى عامر من عرب المعقل وزغبة ووافت جموعه بساحة تلمسان واضطرب هنالك معسكره واعترض جنوده واعتزم على الزحف للقاء بنى مرين ثقة بمكان المعقل وتحيز من كان معه من عرب المعقل الاحلاف وعبيد الله الى السلطان عبد العزيز بمداخلة وليهم وترمار واجتمعوا اليه وسرّح معهم صنائعه فارتحلوا بين يديه وسلكوا طريق الصحراء و بلغ خبر تحيزهم واقبالهم الى أبى حمو فأجفل هو وجنوده وأشياعه من بنى عامر وسلكوا على البطحاء ثم ارتحلوا عنها وعاجوا على مندلاس وخرجوا الى بلاد الديالم ثم لحقوا بوطن رياح فنزلوا على أولاد سباع بن يحيى واحتل السلطان عبد العزيز بتازا وقدم بين يديه وزيره أبا بكر بن غازى فدخل تلمسان وملكها ورحل السلطان على اثره واحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنتين وسبعين فدخلها فى يوم مشهود واستولى عليها وعقد لوزيره أبى بكر بن غازى على العساكر من بنى مرين والجنود والعرب من المعقل وسويد وسرّحه فى اتباعه وجعل شواره الى وليه وترمار وفوض اليه فى ذلك فارتحلوا من تلمسان آخر المحرم وكنت وافدا على أبى حمو فلما أجفل عن تلمسان ودّعته وانصرفت الى هنين للاجازة الى الاندلس ووشى بعض المفسدين الى السلطان بأنى احتملت مالا للاندلس فبعث جريدة من معسكره للقبض علىّ ووافونى بوادى الزيتون قبل مدخلى الى تلمسان فأحضرنى وسألنى وتبين كذب الواشى فأطلقنى وخلع علىّ ولما ارتحل الوزير فى اتباع أبى حمو استدعانى وأمرنى بالنهوض الى رياح والقيام فيهم بدعوته وطاعته وصرفهم عن طاعة أبى حمو وصريخه فنهضت لذلك ولحقت بالوزير بالبطحاء وارتحلت معه الى وادى ورلّ من بلاد الغطاف فودّعته وذهبت لوجهى وجمعت رياح على طاعة السلطان ونكبت بهم عن طاعة أبى حمو فنكبوا عنها وخرج أبو زيان من محل نزوله بحصين فلحق بأولاد محمد بن على بن سباع من الزواودة وارتحل أبو حمو من المسيلة فنزل بالدوسن وتلوّم بها وأوفدت من الزواودة على الوزير وترمار فكانوا أدلاءهم فى النهوض اليه ووافوه بمكانه من الدوسن فى معسكره من زناتة وحلل بنى عامر والوزير فى أمم زناتة والعرب من المعقل وزغبة ورياح مخيفة به فأجهضوه عن ماله ومعسكره فانتهب بأسرهم واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بدمائه الى مصاب ولحق به ولده وقومه متفرّقين على كل مفازة وتلوّم الوزير بالدوسن أياما ووافاه بذلك لحاق بنى مرين وانقلب الى المغرب ومرّ على قصور بنى عامر بالصحراء فاستباحها وشرّدهم عنها الى قاصية التفر ومفازة العطش ولحق بتلمسان فى ربيع الثانى ووفدت أنا بالزواودة

Marfat.com

على السلطان ورئيسهم أبو دينار بن علي بن أحمد فبرّ السلطان مقدمه ورعى له سابقه عند اخيه وخلع عليه وحمله وخلع على الوفد كافة وانصرفوا الى مواطنهم وبعث السلطان عماله على الامصار وعقد لصنائعه على النواحي وجهز الكتائب مع وزيره عمر ابن مسعود بن منديل بن حمامة لحصار حمزة بن علي بن راشد من آل ثابت بن منديل كان ربي في حجر الدولة ونشأ في جو نعمتها وسخط حاله لديهم فنزع الى وطن سلفه من مغراوة ونزل بجبل بني بوسعيد فاجاروه وبايعوه على الموت دونه وسرّح السلطان وزيره الى الاخذ بمخنقهم فنزل عليهم وقاتلهم وامتنعوا في رأس شاهقهم فأوطن الوزير بالخيس من وادي شلف وأحجرهم بمعتصمهم وتوافت لديه الامداد من تلمسان فجهزها كاتب وبوأهم المقاعد للحصار وأقام هنالك واستولى السلطان على سائر الوطن من الامصار والاعمال وعقد عليها واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسلفه والله تعالى أعلم

الخبر عن اضطراب المغرب الاوسط ورجوع أبي زيان الى تيطري واجلاب العرب بابي حمو على تلمسان الى أن غلبهم السلطان جميعا على الامر واستوسق له الملك

لما خلص أبو حمو من وقعة الدوسن هو وأحياء بني عامر أشياعه لحقوا بالصحراء وأبعدوا فيها عن قصورهم قبلة جبل راشد وجمع الوزير وتزمار بن عريف بأحياء العرب كافة من زغبة والمعقل وكان السلطان لما احتل بتلمسان طلب العرب منه اطلاق أيديهم على ما أقطعهم أبو حمو اياه من الوطن على الزبون والاعتزاز عليه فاستنكف من ذلك لعظم سلطانه واستبداده بملكه فسخطوا أحوالهم ورجوا أن يكون لابي حمو ظهور ينالون به من ذلك لما أمّلوه فلما انهزم وقلت عساكره وظهر السلطان ظهورا لا كفاء له أجمع رحو بن منصور أمير الخراج من عبيد الله احدى بطون المعقل الخروج على السلطان ولما خرج العرب الى مشاتيهم لحق بأبي حمو وأحياء بني عامر وكاثروهم وقادوهم الى العيث في الاوطان فأجلبوا على ممالك السلطان ونازلوا وجدة في رجب من سنة اثنتين وسبعين وصمدت نحوهم العساكر من تلمسان فأجفلوا وعاجوا الى البطحاء فاكتسحوا أوطانها ونهض اليهم الوزير في العساكر ففرّوا أمامه واتبع آثارهم الى أن أصحروا خلال ذلك حمزة بن علي بن راشد فبيت معسكر الوزير بمكانه من حصار شلف فقض جموعه ولحق مفلولا بالبطحاء وبلغ الخبر الى حصين وكانوا راهبين من السلطان لما اشتهر عنهم من الاجلاب على الدول والقيام بأمر الخوارج فأجوا بأبي زيان الثائر كان عندهم من مكانه باحياء أولاد يحيى بن علي بن سباع من الزواودة فلحق بهم وأجلبوا على ضواحي المدية ونازلوا عسكر السلطان

Marfat.com

بهم واضطرم المغرب الاوسط نارا واتصل ذلك به ولما كان سنة ثلاث وسبعين استمال السلطان يحيى بن منصور عن أبي حمو وبذل له مالا وأقطعه ما أحب من الضواحي وفعل ذلك بسائرهم وملأ صدورهم ترغيبا واعتزم على تجهيز العساكر معهم لحسم أدواء الفساد واخراج الثوار من النواحي واتهم وزيره عمر بن مسعود بالمداهنة في أمر المغراوي فسرح من دولته من تقبض عليه وأشخصه الى حضرته مقيدا واعتقله بفاس وجهز عساكره واعترض جنوده وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي على حرب الثوار والخوارج فنهض من تلمسان في رجب سنة ثلاث وسبعين واعتمد حمزة على ابن راشد في معتصمه بجبل بني بوسعيد وألح عليه بالقتال فعضتهم الحرب بنابها وداخلهم الرعب وأوفدوا مشيختهم على الوزير بالطاعة ونبذ العهد الى حمزة فعقد لهم ما ابتغوه ولحق حمزة بأبي زيان بمكانه من حصين ثم ثنى عزمه عن ذلك ورجع الى ضواحي شلف وبيته بعض الحامية فثبتوا في مراكزهم وانفض جمعه وتقبض عليه وسيق الى الوزير فاعتقله وبعث الى السلطان في شأنه وعلق أشلاءهم بسور مليانة ثم زحف الى حصين فأحجرهم بمعقلهم بتيطرا واجتمعت اليه أحياء زغبة كافة فأحاط بهم من كل جانب وطاولهم الحصار وعاودوهم الحرب وخاطبني السلطان بمكاني من الزاب وأوعز الى انفير رياح كافة الى معسكر الوزير فاستنزلهم بأحيائهم وناجعتهم ونازلنا الجبل من ناحية الصحراء مما يلي ضواحي رياح فأصابهم الجهد وداخلهم الرعب وانفضوا من المعقل وانتهب ما فيه واقتضى رهن حصين على الطاعة وقرر عليهم الوضائع والمغارم فأعطوها عن يد وكان أبو حمو في خلال ذلك قد أجلب على تلمسان ينتهز الفرصة في انتباذ العسكر عن السلطان وكان وليه خالد بن عامر أمير بني عامر من زغبة مريض الطاعة لما اتهم أبو حمو به من ولايته رديفه عبد الله بن عسكر بن معروف دونه فأسخطه ذلك وداخل السلطان عبد العزيز في الانحراف اليه عن أبي حمو على مال حمله اليه فنزع عنه وجهز له السلطان عسكر الحرب أبي حمو في ذي القعدة من سنة ثلاث وسبعين من بني عامر وأولاد يعقوب من المعقل وعقد عليهم لمحمد بن عثمان من قرابة أبي بكر بن غازي وتعرضوا للقائهم ففض جمعهم ومنحوا أكتافهم وأحيط بمعسكر أبي حمو وحلل العرب فاكتسح ما فيها واستولى بنو مرين على أمواله وحرمه وولده فاستاقوهم الى السلطان وأشخصهم الى فاس فأنزلهم بقصوره وتقبض على مولاه عطية بن موسى صاحب شلف فامتن عليه وألحقه وبعث معه الادلاء الى تيكورارين من بلاد القبلة فنزلها وكان ذلك بين يدي فتح تيطرا بليال واستوت قدم السلطان في ملكه واستولى على المغرب الاوسط ودفع الثوار والخوارج عنه واستمال كافة العرب الى طاعته فأنوها

Marfat.com

راغبين راهبين ووفد عليه للوزير أبو بكر بن غازى من قاصية الشرق ومعه مشيخة العرب من كل حى من أحيائهم فوصلهم واحتفى بقدومهم وركب للقاء الوزير وطلب المشيخة فى الرهن على الطاعة والاستعداد لتشريد أبى حمو من تكورارين وأوسع حفايتهم وبرهم وانصرفوا الى مشاتيهم معتملين فى أسباب الحركة الى تكورارين الى أن كان ماذكره ان شاء الله تعالى

{الخبر عن قدوم ابن الخطيب على السلطان بتلمسان
نازعا اليه عن سلطانه ابن الاحمر صاحب الاندلس}

أصل هذا الرجل من لوشة على مرحلة من غرناطة فى الشمال من البسيط الذى فيه ساحتها المسمى بالمرج على وادى سنجيل ويقال شنبيل المنحرف فى ذلك البسيط من الجنوب الى الشمال كان له بها سلف معروفون فى وزارتها وانتقل أبو عبد الله الى غرناطة واستخدم لملوك بنى الاحمر واستعمل على مخازن الطعام ونشأ ابنه محمد هذا بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم المشهور يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية وبرز فى الطب وانتحل الادب وأخذ عن أشياخه وامتلأ حوض السلطان من نظمه ونثره مع انتقاء الجيد منه وبلغ فى الشعر والترسيل حيث لا يجارى فيهما وامتدح السلطان أبا الحجاج من ملوك بنى الاحمر وملأ الدولة بمدايحه وانتشرت فى الآفاق قدماه فرقاه السلطان الى خدمته وأثبته فى ديوان الكتاب ببابه مرؤسا بابى الحسن بن الحباب شيخ العدوتين فى النظم والنثر وسائر العلوم الادبية وكاتب السلطان بغرناطة من لدن أيام محمد المخلوع من سلفه عند ما قتل وزيره محمد بن الحكيم المستبد عليه كما مر فى أخبارهم فاستبد ابن الحباب برياسة الكتاب من يومئذ الى أن هلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة فولى السلطان أبو الحجاج يومئذ محمد بن الخطيب هذا رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل فى مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ثم داخله السلطان فى تولية العمال على يديه بالمشارطات فجمع له بها أموالا وبلغ به المخالصة الى حيث لم يبلغ بأحد من قبله وسفر عنه الى السلطان أبى عنان ملك بنى مرين بالعدوة مغريا بأبيه السلطان أبى الحسن فجلى فى اغراض سفارته ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين عدا عليه بعض الزعانف يوم الفطر بالمسجد فى سجوده للصلاة وطعنه فأثواه لوقته وتعاورت سيوف الموالى المعلوجى هذا القاتل فمزقوه اشلاء وبويع ابنه محمد بالامر لوقته وقام بأمره مولاهم رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالدولة وأفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن

Marfat.com

الخطيب رديفاله فى أمره وتشاركا فى الاستبداد معا فجرت الدولة على أحسن حال وأقوم طريقة ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيرا الى السلطان أبى عنان مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها استأذنه فى انشاد شئ من الشعر يقدمه بين يدى نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم

خليفة الله ساعد لقدر * علاك مالاح فى الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته * ماليس يستطيع دفعه البشر
وجهك فى النائبات بدر دجا * انارفى المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس * لولاك ماأوطنوا ولاعمروا
ومن به مذوصلت حبلهم * ماجحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم نفوسهم * فوجهونى اليك وانتظروا

فاهتز السلطان لهذه الابيات وأذن له فى الجلوس وقال له قبل أن يجلس ماترجع اليهم الا بجميع عطائهم ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ماطلبوه وقال شيخنا القاضى أبو القاسم الشريف وكان معه فى ذلك الوفد لم يسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ومكثت دولتهم هذه بالاندلس خمس سنين ثم نازلهم محمد الرئيس ابن عم السلطان يشاركه فى جده الرئيس أبى سعيد وتحين خروج السلطان الى منتزهه خارج الحمراء وتسور دار الملك المعروفة بالحمراء فأخرجه وبايع له وقام بأمره مستبدا عليه وأحتبس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان فركب باديا الى وادى آش وضبطها وبعث بالخبر الى السلطان أبى سالم اثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب وقد كان مثواه أيام أخيه أبى عنان عندهم بالاندلس واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه فى محبسه وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالاندلس كما مر وكان غالبا على هوى السلطان أبى سالم فزين له استدعاء هذا السلطان المخلوع من وادى آش يعده زبونا على أهل الاندلس ويكتب به عاديا القرابة المرشحين هنالك متى طمعوا الى ملك المغرب فقبل ذلك منه وخاطب أهل الاندلس فى تسهيل طريقه من وادى آش اليه وبعث من أهل مجلسه الشريف أبا القاسم وحمله مع ذلك الشفاعة فى ابن الخطيب وحل معتقله فاطلق وصحب الشريف أبا القاسم الى وادى آش وسار فى ركاب السلطان وقدموا على السلطان أبى سالم فاهتز لقدوم ابن الاحمر وركب فى الموكب لتلقيه وأجلسه ازاء كرسيه وأنشد ابن الخطيب قصيدته كما مر يستصرخ السلطان بنصره فوعده وقد كان يوما مشهودا وقد مر ذكره ثم أكرم

منواه وأرغد نزله ووفر أرزاق القادمين فى ركابه لتصريه وأرغد عيش ابن الخطيب فى الجراية والاقطاع واستأذن السلطان فى التنقل الى جهات مراكش والوقوف على آثار الملك بها فأذن له وكتب الى العمال باقتضائه فتبادروا الى ذلك وحصل منه على حظ وعندما مر بسلا فى قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بشالة ووقف على قبر السلطان أبى الحسن وأنشد قصيدته على روى الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة، مطلعها

ان بان منزله وشطت داره * قامت مقام عيانه أخباره

قسم زمانك عبرة أو غبرة * هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان أبو سالم فى ذلك الى أهل الاندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا منتبذا عن سلطانه طول مقامه بالعدوة ثم عاد السلطان محمد المخلوع الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين كما مر فى أخباره وبعث عن مخلفه بفاس من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله بن على فاستقدم ابن الخطيب من سلا وبعثهم لنظره فسر السلطان بقدمه وردّه الى منزلته كما كان مع رضوان كافله وكان عثمان بن يحيى عمر شيخ الغزاة وابن أشياخهم قد لحق بالطاغية فى ركاب أبيه عندما أحس بالشر من الرئيس صاحب غرناطة وأجاز يحيى من هنالك الى العدوة وأقام عثمان بدار الحرب فنصب السلطان فى مثوى اغترابه هنالك وتغلب فى مذاهب خدمته وانحرفوا عن الطاغية بعد ما يئسوا من الفتح على يديه فتحولوا عنه الى ثغور بلاده وخاطبوا عمر بن عبد الله فى أن يمكنهم من بعض الثغور القريبة التى أطاعتهم بالايناس يرتقبون منها الفتح وخاطبنى السلطان المخلوع فى ذلك وكانت بينى وبين عمر بن عبد الله ذمة مرعية متأكدة فوفيت للسلطان بذلك من عمر بن عبد الله وحملته على أن يرد عليه مدينة رندة اذ هى من تراث سلفه فقبل اشارتى فى ذلك وتسورها السلطان المخلوع ونزل بها عثمان بن يحيى فى جملته وهو مقدم فى بطانته ثم غزوا منها مالقة فكانت ركابا للفتح وملكها السلطان واستولى بعدها على دار ملكها بغرناطة وعثمان بن يحيى مقدم القوم فى الدولة عريق فى المخالصة وله على السلطان دالة واستبداد على هواه فلما فصل ابن الخطيب بأهل السلطان وولده وأعاده السلطان الى مكانه من الدولة من علة بدء وقبل اشارته فأدركته الغيرة من عثمان ونكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الاعياص على ملكه فحذره السلطان وأخذ فى التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته فى رمضان سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم غرّبهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان وأخذ ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بنيه بندمائه واهل خلوته وانفرد ابن

Marfat.com

الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت عليه الآمال وغشى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقدم السلطان عن قبولها وغما الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشمر عن ساعده فى التقويض عنهم واستخدم للسلطان عبد العزيز بن السلطان أبى الحسن ملك العدوة يومئذ فى التحبض على ابن عمه عبد الرحمن بن أبى يغلوس بن السلطان أبى على كانوا قد نصبوه شيخا على الغزاة فى الاندلس لما أجاز من العدوة بعد ما جاس خلالها لطلب الملك وأضرم بها نار الفتنة فى كل ناحية وأحسن دفاعه الوزير عمر بن عبد الله القائم حينئذ بدولة بنى مرين فاضطر الى الاجازة الى الاندلس فأجازهو ووزيره مسعود بن ماسى ونزلوا على السلطان على المخلوع أعوام سبع وستين فاكرم نزلهم ووقف على بن بدر الدين شيخ الغزاة فقدم عبد الرحمن مكانه وكان السلطان عبد العزيز قد استبد بملكه بعد قتله الوزير عمر بن عبد الله فغص بما فعله السلطان المخلوع من ذلك وتوقع انتقاض أمره منهم ووقف على مخاطبات ابن عبد الرحمن يسر بها بنى مرين وأغرى ابن الخطيب سلطانه بالقبض على ابن أبى يغلوس وابن ماسى فتقبض عليهما وفى خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خيل أن السلطان مال الى قبولها وانهم قد أحفظوه عليه فأجمع التحول عن الاندلس الى المغرب واستأذن السلطان فى تفقد الثغور الغربية وسار اليها فى لمة من فرسانه ومعه ابنه على الذى كان خالصة السلطان وذهب لطيته فلما حاذى جبل الفتح فرشة المجاز الى العدوة مال اليه اذ تدنى بين يديه فخرج قائد الخيل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فأجاز الى سبتة وتلقاه بها بأنواع التكرمة وامتثال الاوامر ثم سار لقصد السلطان فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين بمقامته من تلمسان فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه بمحل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبى مدين سفيرا الى الاندلس فى طلب أهله وولده فجاءوهم على أكمل الحالات من الامن والتكرمة ثم لغط المنافسون له فى شأنه وأغروا سلطانه بتتبع عثراته وأبدوا ما كان كامنا فى نفسه من سقطات دابته واحصاء عصابته وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها اليه ورفعت الى قاضى الحضرة الحسن بن الحسن فاستدعاها وسجل عليه بالزندقة وراجع صاحب الاندلس رأيه فيه وبعث القاضى أبو الحسن الى السلطان عبد العزيز فى الانتقام منه بتلك السجلات وامضاء حكم الله فيه فصمم لذلك وأنف لذمته أن تخفر وبخواره أن يردى وقال لهم هلا انتقمتم وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه

Marfat.com

وأما أنا فلا يخلص اليه بذلك أحد مما كان فى جوارى ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس فى جملته فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين ورجع بنو مرين الى المغرب وتركوا تلمسان سارهو فى ركاب الوزير أبى بكر بن غازى القائم بالدولة فنزل بفاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق فى بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ عليه القائم بالدولة الرسوم التى رسمها له السلطان المتوفى واتصلت حاله على ذلك الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

الخبر عن مهلك السلطان عبد العزيز وبيعة ابنه السعيد واستبداد أبى بكر بن غازى عليه ورجوع بنى مرين الى المغرب

كان السلطان منذ أول نشأته قد أزمنت به الحمى بما أصابه من مرض الخمول ولاجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم على احتماله مع الابناء الى رندة ولما شب أفاق من مرضه وصلح بدنه ثم عاوده وجعه فى مثواه بتلمسان وتزايد نحوله ولما كمل الفتح واستفحل سلطانه واشتد به الوجع وصابر المرض وكتمه عن الناس خشية الارجاف واضطرب عسكره خارج تلمسان للحاق بالمغرب ولما كان ليلة الثانى والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين قضى متوددا بين أهله وولده ودس الحرم بالخبر الى الوزير فخرج على الناس وقد احتمل محمد السعيد ابن السلطان على كتفه فعزى الناس عن خليفتهم لسبع سنين من خلافته وألقى ابنه بين أيديهم فازدحموا عليه باكين متفجعين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة وأخرجوه للعسكر ثم أخرج الوزير شلو السلطان على أعواده وأنزله بفساطيطه وأيقظ الليل بحراسة المعسكر وأذن للناس بالرحيل فخرجوا أفواجا الى المحلة ثم ارتحلوا الثلاث وأغذوا السير الى فاس واحتل ابن السلطان بدار ملكه وجلس لبيعة العامة بقصره وتوافت وفود الامصار ببيعتهم على العادة واستبد عليه الوزير أبو بكر بن غازى وحجبه بقصره وحجره عن التصرف فى شىء من سلطانه ولم يكن فى سن التصرف واستعمل على الجهات وجلس مجلس الفصل واشتغل بأمر المغرب ابراما ونقضا الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن استيلاء أبى حمو على تلمسان والمغرب الاوسط)

لما فصل بنو مرين من تلمسان اثر مهلك السلطان عبد العزيز واحتلوا بتازا اجتمع المشيخة وعقدوا على تلمسان لابراهيم ابن السلطان أبى تاشفين كان ربى فى كفالة دولتهم منذ مهلك أبيه فآثروه بذلك لخلوصته وبعنوده مع رحو بن منصور أمير عبيد الله من المعقل وسرحوا معهما من كان بالمغرب من مغراوة الى وطن ملكهم بشلف وعقدوا عليهم لعلى بن هرون بن مندبل بن عبد الرحمن وانصرفوا الى بلادهم وكان

Marfat.com

عطية بن موسى مولى أبي حمو قد صار الى السلطان عبد العزيز وألحقه بجملته وبطانته فلما هلك السلطان خرج من القصر واختفى بالبلد حتى اذا انفصل بنو مرين من معسكرهم ظاهر البلد خرج من مكان اختفائه وقام بدعوة مولاه أبي حمو واجتمع اليه شيعة من أهل البلد مع من تشاب اليه من الغوغاء وحملوا الخاصة على البيعة لابي حمو ووصلهم ابراهيم بن أبي تاشفين مع رحو بن منصور وقومه من عبيد الله فنبذوه وامتنعوا عليه فرجع عنهم الى المغرب وطير أولاد يعمور أولياء أبي حمو من عبيد الله بالخبر اليه وهو بمثواه من تيكورارين واتصل بابنه تاشفين وهو عند يحيى بن عامر فدخل الى تلمسان ومن معه من بني عبد الواد وتساقط اليه فلهم من كل جانب ووصل السلطان على اثرهم بعد اليأس منه فدخلها في جمادى من سنة أربع وسبعين واستقل بملكه وتقبض على بطانته الذين آسفوه في اغترابه ونمى له عنهم السعي عليه فقتلهم ورجع ملك بني عبد الواد وسلطانهم ونهض الى مغراوة أولياء بني مرين بمكانهم من شلف فغلبهم عليه بعد مطاولة وحروب سجال هلك فيها رحو بن هرون ومحيي دعوة بني مرين من ضواحي المغرب الاوسط وأمصاره واستقل بالامر حسبما ذكرناه في أخباره واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم بالنهوض اليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الامير عبد الرحمن بناحية بطويه فشغله شأنه عن ذلك

{ الخبر عن اجازة الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن } { الى المغرب واجتماع بطويه اليه وقيامهم بشأنه }

كان محمد المخلوع ابن الاحمر قد رجع من رندة الى ملكه بغرناطة في جمادى من سنة ثلاث وستين وقتل له الطاغية عدوه الرئيس المتنزى على ملكهم حين هرب من غرناطة اليه وفاء بعهد المخلوع واستوى على كرسيه واستقل بملكه ولحق به كاتبه وكاتب أبيه محمد بن الخطيب واستخلصه وعقد له على وزارته وفوض اليه في القيام بملكه فاستولى عليه وملك هواه وكانت عينه ممتدة الى المغرب وسكناه الى ان نزلت به آفة في رياسته فكان لذلك يقدم السوابق عند ملوكه وكان لابناء السلطان أبي الحسن كلهم غيرة على ولد عمهم السلطان أبي علي ويحتسونهم على أمرهم ولما لحق الامير عبد الرحمن بالثغر اصطفاه ابن الخطيب واستخلصه لنجواه ورفع في الدولة رتبته وأعلى [illegible] وحمل السلطان على أن عقد له على الغزاة المجاهدين من زناتة فكان بين [illegible] من الاعياص فكانت له آثار في الاضطلاع بها ولما استبد السلطان عبد العزيز بأمره واستقل بملكه وكان ابن الخطيب ساعيا في مرضاته عند سلطانه فدس اليه باعتقال عبد الرحمن بن أبي يفلوس ووزيره المطارد به مسعود بن ماسي وأدار ابن الخطيب في ذلك مكره وحمل

السلطان عليهما الى أن سطا بهما ابن الاحمر واعتقلهما سائر أيام السلطان عبد العزيز سلطان المغرب سنة ثنتين وسبعين لما قدم من الوسائل ومهد من السوابق فقدمه السلطان وأحله من مجلسه محل الاصطفاء والقرب وخاطب ابن الاحمر في أهله وولده فبعثهم اليه واستقر في جملة السلطان ثم تأكدت العداوة بينه وبين ابن الاحمر فرغب السلطان في ملك الاندلس وحمله عليه ونواعده والذلك عند مرجعه من تلمسان الى المغرب ونمي ذلك الى ابن الاحمر فبعث الى السلطان بهدية لم يسمع بمثلها اتقى فيها من متاع الاندلس وماعونها وبغالها الفارهة ومعلوجي السبي وجواريه وأوفد بها رسله يطلب اسلام وزيره ابن الخطيب اليه فأبى السلطان من ذلك ونكره ولما هلك واستبد الوزير ابن غازي بالامر تحيز اليه ابن الخطيب وداخله وخاطبه ابن الاحمر فيه بمثل ماخاطب السلطان فلم يؤب واستنكف ذلك رأفجع الرد وانصرف رسله اليه وقد رهب سطوته فأطلق ابن الاحمر لحينه عبد الرحمن بن أبي يفلوس وأركبه الاسطول وقذف به الى ساحل بطوية ومعه الوزير مسعود بن ماسي ونهض الى جبل الفتح فنازله بعساكره ونزل عبد الرحمن ببطوية في ذي القعدة من سنة أربع وسبعين ومعه وزيره مسعود ابن ماسي فاجتمع قبائل بطوية اليه وبايعوه على القيام بدعوته والموت دونه واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فعقد لابن عمه محمد بن عثمان على سبتة وبعثه لسد ثغورها لما خشي عليها من ابن الاحمر ونهض من فاس بالآلة والعساكر ونازل عبد الرحمن ببطوية فقاتله أياما ثم رجع الى تازا ثم الى فاس ودخل الامير عبد الرحمن تازا واستولى عليها ودخل الوزير الى فاس وقعد بمجلس الفصل وهو مجمع العودة الى تازا لتشريد عدوه الى أن جاء الخبر ببيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم كما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن بيعة السلطان أبي العباس أحمد بن أبي سالم
واستقلاله بالملك وما كان خلال ذلك من الاحداث }

لما نزل محمد بن عثمان بالثغر من سبتة استدفر وجهها ومدافعة مايخشى من عادية ابن الاحمر عليها وكان قد طاول حصار جبل الفتح وأخذ بمخنقه وتكررت المراسلة بينه وبين محمد بن عثمان بالعتاب فاستعتب له وقبح ماجاءه ابن عمه من الاستغلاظ له فوجد ابن الاحمر بذلك السبيل الى غرضه وداخل في البيعة للسلطان أبي سالم من الابناء الذين كانوا بطنجة تحت الرقبة والحوطة وأن يقيمه للمسلمين سلطانا يحوط سياجهم ويدافع عنهم ولا يتركهم فوضى هملا ويجب بيعة الصبي الذي لم تنعقد بيعته شرعا واختص هذا السلطان من بين أولئك الابناء وفاء بحقوق أبيه ووعده بالمظاهرة على ذلك واشترط

عليه أن ينزلوا له عن الجبل اذا انعقد أمرهم ويشخصوا ابن الخطيب متى قدروا عليه ويبعثوا اليه بقية الابناء والقرابة فقبل محمد بن عثمان شرطهم وكان سفيره فى ذلك أحد المرغنى من طبقات كتاب الاشغال بسبتة كان السلطان أبو الحسن تزوج أمه ليلة اجازته من واقعة طريف وافتقاد حظاياه حتى لحق به الحرم من فاس فردها الى أهلها ونشأ المرغنى فى توهم هذه الكفالة فانتفخ نحره لذلك ويحسبها وصلة الى أبناء السلطان أبى الحسن وكان سفيرا بين محمد بن عثمان وابن الاحمر فأتم الرياسة فى هذه الدولة وركب محمد بن عثمان من سبتة الى طنجة وقصد مكان اعتقالهم واستدعى أبا العباس أحمد بن السلطان أبى سالم من مكانه مع الابناء فبايع له وحمل الناس على طاعته واستقدم أهل سبتة بكتاب للبيعة فقدموا وخاطب أهل الجبل فبايعوا وأفرج ابن الاحمر عنهم وبعث اليه محمد بن عثمان بالنزول عن جبل الفتح وخاطبوا أهله بالرجوع الى طاعته فارتحل من مالقة اليه ودخله واستولى عليه ومحا دعوة بنى مرين مما وراء البحر وأهدى للسلطان أبى العباس وأمده بعسكر من غزاة الاندلس وحمل اليه مالا للاعانة على أمره وكان محمد بن عثمان عند فصوله من فاس وودعه الوزير ابن عمه فاوضه فى شأن السلطان وأن يقدم للناس اماما يرجعون اليه ويترك له أمرهم وآمره فى ذلك ولم يفترقا على مبرم من أمرهم فلما ارتكب هذا المركب وجاء بهذا الامر خاطب الوزير يعوه عليه بأنه فعل بمقتضى المؤامرة وانه عن اذنه والله أعلم بما دار بينهما ولج الوزير فى تكذيبه والبراءة للناس مما رمى به ولاطفه فى نقض ذلك الامر وردّ أبا العباس الى مكانه مع الابناء تحت الحوطة وأبى محمد بن عثمان من ذلك ودافعه اجتماع الناس عليه وانعقاد الامر وبينما الوزير يروم ذلك جاءه الخبر بأن محمد بن عثمان أشخص الابناء المعتقلين كلهم الى الاندلس وانهم حصلوا فى كفالة ابن الاحمر فوجم وأعرض عن ابن عمه وسلطانه ونهض الى تازا ليفرغ من عدوه اليهم فنازل الامير عبد الرحمن وأخذ بمخنقه واهتبل محمد بن عثمان الغرة فى ملك المغرب فوصله مدد السلطان ابن الاحمر وعسكره تحت رايته عقدها عليهم ليوسف بن سليمان بن عثمان بن أبى العلاء من مشيخة الغزاة المجاهدين وعسكر آخر من رجل الاندلس الناشبة بسبعمائة وبعث ابن الاحمر رسله الى الامير عبد الرحمن باتصال اليد بابن عمه السلطان أبى العباس أحمد ومظاهرته على ملك سلفه بفاس واجتماعهما لمنازلتها وعقد بينهما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه فتراضيا وزحف محمد بن عثمان وسلطانه الى فاس خالفوا اليها الوزير وانتهوا الى قصر بن عبد الحليم وبلغ الخبر الى الوزير بمكانه من حصار تازا فانفض معسكره ورجع الى فاس ونزل بكدية العرائس وانتهى

السلطان أبو العباس أحمد الى زرهون فصمد اليه الوزير بعساكره وصم نحوه بمكانه من قنة الجبل فاختل مصافه وانهزمت ساقة العسكر من ورائه ورجع على عقبه فلولا وانتهب المعسكر ودخل الى البلد الجديد وجأ جأ بالعرب أولاد حسين أن يعسكروا له بالزيتون ظاهر فاس ويخرج بجموعه الى حللهم فنهض اليهم الامير عبد الرحمن من تازا عن كان معه من العرب الاحلاف وشردهم الى الصحراء وشارف السلطان أبا العباس أحمد بجموعه العرب وزناتة وبعثوا الى ولى سلفهم وزمار بن عريف بمكانه من قصر مراده الذى اختطه بملوية لجاءهم وأطاعوه على كامن اسرارهم فأشار عليهم بالاجتماع والاتفاق فاجتمعوا بوادى انجا وحضر لعقدهم واتفاقهم وحلفهم على اتصال اليد على عدوهم ومنازلته بالبلد الجديد حتى يمكن الله منه وارتحلوا بجمعهم الى كدية العرائس فى ذى القعدة من سنة خمس وسبعين وبرز اليهم الوزير بعساكره فدارت الحرب وحمى الوطيس واشتد القتال مليا ثم زحف اليه العسكران بساقتهما وآلتهما فاختل مصافه وانهزمت جيوشه وجموعه وأحيط به وخلص الى البلد الجديد بعد غص الريق واضطرب السلطان أبو العباس بمعسكره من كدية العرائس ونزل الامير عبد الرحمن بازائه وضربوا على البلد الجديد سياجا بالبناء للحصار وأنزلوا بها أنواع القتال والارهاف ووصلهم مدد السلطان ابن الاحمر من رجال الناشبة واحتكموا فى ضياع ابن الخطيب بفاس فهدموها وعاثوا فيها ولما كان فاتح سنة ست وسبعين داخل محمد بن عثمان ابن عمه أبا بكر فى النزول عن البلد الجديد والبيعة للسلطان لما كان الحصار قد اشتد ويئس من الصريخ وأعجزه المال فأجاب واشترط عليهم الامير عبد الرحمن التجافى له عن أعمال مراكش وان يدياوه بها من مصلحاسة فعقدوا له على كره وطووا على المكر وخرج الوزير أبو بكر للسلطان ابى العباس أحمد وبايعه واقتضى عهده بالامان وتخلية سبيله من الوزارة فبذله ودخل السلطان أبو العباس أحمد الى البلد الجديد سابع المحرم وارتحل الامير عبد الرحمن يومئذ الى مراكش واستولى عليها وارتحل معه على بن عمر بن ويعلان شيخ بنى مرين والوزير ابن ماسى ثم نزع عنه ابن ماسى الى فاس لعهد كان قد اقتضاه من السلطان أبى العباس وأجاز البحر الى الاندلس فاستقر بها فى ايالة ابن الاحمر واستقل السلطان أبو العباس ابن السلطان أبى سالم بملك المغرب ووزيره محمد بن عثمان وفوض اليه شؤنه وغلب على هواه وصار أمر الشورى الى سليمان بن داود كان نزع اليه من البلد الجديد من جملة أبى بكر ابن غازى بعد أن كان أطلقه من محبسه واستخلصه وجعل اليه مرجع أمره فتركه أحوج ما كان اليه ولحق بالسلطان أبى العباس بمكانه من حصار البلد الجديد فلما

Marfat.com

استوسق ملكه ألقى الوزير محمد بن عثمان مقاد الدولة له وصار اليه أمر الشورى ورياسة المشيخة واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاحمر وتأكدت المداخلة وجعلوا اليه المرجع فى نقضهم وابرامهم لمكان الابناء المرشحين من اياالتسه ولما ارتحل الامير عبد الرحمن الى مراكش نبذوا اليه العهد وتعللوا عليه بأن العقد الاول له انما كان على ملك سلفه ومراكش انما ألجأهم الى العقد عليها الجاء واعتزموا على النهوض اليه ثم أقصروا وانعقدت بينهما السلم سنة ست وسبعين وجعلوا التحكم بينهما أزمور وعقدوا على ثغرها لحسان الصيحى فلم يزل عليها الى أن هلك كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الخبر عن مقتل ابن الخطيب)

ولما استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد دار ملكه فاتح ست وسبعين واستقل بسلطانه والوزير محمد بن عثمان مستبد عليه وسليمان بن داود ردف له وقد كان الشرط وقع بينه وبين السلطان ابن الاحمر عند مابويع بطنجة على تكبة ابن الخطيب واسلامه اليه لما نمى اليه عنه انه كان يغرى السلطان عبد العزيز المالك الاندلس فلما زحف السلطان أبو العباس من طنجة ولقى الوزير أبا بكر بن غازى بساحة البلد الجديد فهزمه السلطان ولاذ منه بالحصار آوى معه ابن الخطيب الى البلد الجديد خوفا على نفسه فلما استولى السلطان على البلد أقام أياما ثم أغراه سليمان بن داود بالقبض عليه فقبضوا عليه وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر وكان سليمان ابن داود شديد العداوة لابن الخطيب لما كان سليمان قد تابع السلطان ابن الاحمر على مشيخة الغزاة بالاندلس حتى أعاده الله الى ملكه فلما استقر له سلطانه أجاز اليه سليمان سفيرا عن عمر بن عبد الله ومقتضيا عهده من السلطان فصده ابن الخطيب عن ذلك بأن تلك الرياسة انما هى لاعياص الملك من آل عبد الحق لانهم يعسوب زناته فرجع آيسا وحقد ذلك لابن الخطيب ثم جاور الاندلس بعمل امارته من جبل الفتح فكانت تقع بينه وبين ابن الخطيب مكاتبات يتنفس كل منهما لصاحبه بما يحفظه اما كمن فى صدورهما وبعين بلغ الخبر بالقبض على ابن الخطيب الى السلطان بمدينة سلا وزيره يعدا ابن الخطيب وهو أبو عبد الله بن زمرك فقدم على السلطان أبى العباس وأحضر الخطيب بالمشور فى مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرض عليه [illegible] فى كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب [illegible] الى محبسه واشتوروا فى قتله بمقتضى تلك المقالات المحمولة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه ودس سليمان بن داود اليه لبعض الاوغاد من حاشيته بقتله فطارقوا السجن ليلا ومعهم زعانفة جاؤا فى لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الاحمر وقتلوه خنقا فى

محبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن فى مقبرة باب الحروق ثم أصبح من الغد على شافة قبره طريحا وقد جمعت له أعواد واضرمت عليه نارا فاحترق شعره واسود بشره وأعيد الى حضرته وكان فى ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان واعتدوها من هنانه وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته والله الفعال لما يريد وكان عفى الله عنه أيام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فيتجيش هو انفه بالشعر يبكى نفسه (ومما قال فى ذلك)

بعدنا وان جاورتنا البيوت * وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانا سنا سكنت دفعة * يجهر الصلاة ثلاه القنوت
وكنا عظاما فصرنا عظاما * وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا * عزين فناحت عليها البيوت
فكم جزات ذا الحسام الظبا * وذو البحث كم جدلته التصوت
وكم سيق للقبر فى خرقة * فتى ملئت من كساه التخوت
فقل للعداذهب ابن الخطيب * وفات ومن ذا الذى لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له * فقل يفرح اليوم من لا يموت

* (الخبر عن اجازة سليمان بن داود الاندلس ومقامه الى أن هلك بها) *

كان سليمان بن داود هذا منذ عضته الخطوب واختلفت عليه النكبات يروم الفرار بنفسه الى الاندلس للمقامة مع غزاة المجاهدين من قومه ولما استقر السلطان ابن الاحمر بفاس عند حلفه ووفادته على السلطان أبى سالم سنة احدى وستين وداخله سليمان بن داود فى تأميل الكون عنده فعاهده على ذلك وأن يقدمه على الغزاة المجاهدين من قومه ولما عاد الى ملكه وفد عليه سليمان بن داود بغرناطة فى سبيل السفارة عن عمر بن عبد الله سنة ست وستين وأن يؤكد عقده من السلطان فحال دون ذلك ابن الخطيب ومارى السلطان عن ذلك بأن شياخة الغزاة مخصوصة بأعياص الملك من بنى عبد الحق لمكان عصابتهم بالاندلس فأخفق أمل سليمان حينئذ وحقدها على ابن الخطيب ورجع الى مرسله ثم كانت نكبته أيام السلطان عبد العزيز فلم يخلص منها الا بعد مهلكه أطلقه أبو بكر بن غازى المستبد بالامر من بعده ليعضد بمكانه على شأنه فلما استبد الحصار على ابن غازى خرج عنه سليمان ولحق بالسلطان أبى العباس ابن المولى أبى سالم بمكانه من ظاهر البلد الجديد فكان ذلك من أسباب الفتح ولما دخل السلطان الى دار ملكه من البلد الجديد فاتح سنة ست وستين واستوسق أمره رفع مجلس سليمان وأحله محل الشورى واعتضد به وزيره محمد بن عثمان واستخلصه كما ذكرناه وكان يرجع الى رأيه

Marfat.com

وهو فى خلال ذلك يحاول اللحاق بالاندلس فكان من أول عمله التقرب الى السلطان ابن الاحمر باغراء الوزير محمد بن عثمان بقتل ابن الوزير مسنويه فتم ذلك لاول الدولة وجرت الامور بعدها على الاعتمال فى مرضاته الى أن حاول السفارة اليه فى أغراض سلطانه سنة ثمان وستين فى صحابة وترمار بن عريف فتلقاهما السلطان ابن الاحمر بما يتلقى به أمثالهما وعزة فى تكرمتهما وأما وترمار فانقلب راجعا لاول تأدية الرسالة يتقضى من السلطان حظه بقواد أسطوله بتسهيل الاجازة اليه متى رامها وخرج يتصيد فلحق موسى بالقلعة ودفع أمر السلطان بخطه الى قائد الاسطول فاجازه الى سبتة ولحق بمكانه وأما سليمان فاعتزم على المقام عند ابن الاحمر وأقام هنالك خالصة ونجيا ومشاورا الى أن هلك سنة احدى وثمانين

{الخبر عن شأن الوزير أبى بكر ابن غازى وما كان من} {تغريبه الى مارقة ثم رجوعه واستقامته بعد ذلك}

لما اشتد الحصار بالوزير أبى بكر بن غازى وفنيت أمواله وأموال السلطان وظن أنه أحيط به داخله الوزير محمد بن عثمان من مكانهم بحصاره فى الاول من البلد على الامان والابقاء فأجاب وخرج الى السلطان أبى العباس بن أبى سالم فعقد له أمانا بخطه وتحول الى داره بفاس وأسلم سلطانه المنصوب للامس قبله منه الوزير محمد بن عثمان واستبد فى الاحتياط عليه الى أن بعثه الى السلطان ابن الاحمر وكان فى جملة الابناء عنده ودخل السلطان أبو العباس الى دار ملكه واقتعد سريره ونفذت فى الممالك أوامره وأقام أبو بكر بن غازى على حاله بداره والخاصة يباكرونه والنفوس منطوية على تأميله فنغص به أهل الدولة وترددت فيه السعاية وتقبض عليه السلطان وأنهضه الى غساسة وركب منها السفين الى مارقة آخر ست وسبعين وأقام بها اشهرا ومخاطباته متترددة الى الوزير محمد بن عثمان ثم عطفته عليه رحم فأذن له فى القدوم الى المغرب والمقامة بغساسة فقدمها أوائل سنة سبع واستبد بامارتها برأيه فى تأميل الوثبة وظهر ما كان يخفيه لابن عمه من المنافسة فخاطب ابن الاحمر وراء البحر ولاطفه بالتحف والهدايا فكتب الى ابن عمه محمد بن عثمان يحضه على اعانته الى مرامه دفعا لغوائله فأ
من ذلك وداخله وترمار بن عريف فى بعضها كذلك فلج فى الامتناع وحمل سلطانه على نبذ العهد لابى بكر بن غازى فتنكر له وأجمع المسير اليه بعساكر العرب فخرج من فاس سنة تسع وسبعين وبلغ الخبر الى أبى بكر بن غازى فاستجاش بالعرب وأحثهم للوصول فوصل اليه الاحلاف من المعقل وسرب فيهم أمواله وخرج من غساسة فألقى بينهم نفسه وعمد الى بعض الطارئين فنصبه للامر مشبها ببعض أبناء السلطان أبى الحسن

وزحف اليه السلطان حتى نزل بتازا فأجفلت أحياء العرب أمام العساكر من بني
مرين والجند ونجا ابن غازى معهم بدمائه ثم داخله وتر ما بن عريف فى الاذعان
للسلطان عن شق الخلاف فأجاب ووصل به الى سدة الملك فبعث به السلطان محتاطا
عليه الى فاس فاعتقل بها ونزلت مقدمات العساكر بوادى ملوية وداخل صاحب
تلمسان منها رعب فأوفد على السلطان من قومه وكبار مجلسه ملاطفا مداريا فتقبل منه
وعقد السلم وأصدر به كتابه وعهده بخطه وانكفأ راجعا الى حضرته بعد أن بث العمال
فى تلك النواحى على جبايتها فجمعوا له منها ما رضى ولما احتل بدار ملكه أنفذ أمره
بقتل أبى بكر بن غازى فقتل بمجلسه طعنا بالرماح واستوسق للسلطان أمره وأحكم
العقد مع الامير عبد الرحمن بن أبى يفلوس صاحب مراكش وتردّدت المهاداة بينهما
بعض الى بعض والى صاحب الأندلس واليه منهما عادل المغرب وبعث بساطا وغبطا
والحال متصلة على ذلك لهذا العهد آخر سنة احدى وثمانين أيام اشرافنا على هذا
التأليف

الخبر عن انتقاض الصلح بين الامير عبد الرحمن صاحب مراكش والسلطان أبى العباس صاحب فاس واستيلاء عبد الرحمن على ازمور ومقتل عاملها حسون بن على

كان على بن عمر كبير بنى ورتاجن وشيخ بنى يعلان منهم قد تحيز الى الامير عبد الرحمن
منذ اجازته الى الاندلس واستيلائه على تازا رجعه الى حصار البلد الجديد مع السلطان
أبى العباس كما مر فوصل فى جملته الى مراكش وكان صاحب شواره وكبير
دولته وكان يطعن على خالد بن ابراهيم الهريرى شيخ جاجة من قبائل المصامدة ما بين
مراكش وبلاد السوس وقد كان على بن عمر انتقض على ابن غازى الوزير المستبد بعد
السلطان عبد العزيز ولحق بالسوس ومرّ بخالد بن ابراهيم هذا فاعترضه فى طريقه وأخذ
الكثير من أثقاله وروا حله وخلص هو الى نجاته بالسوس وقد حقد ذلك لخالد ثم حث
شيوخ المعقل عند ما أجاز الامير عبد الرحمن من الاندلس الى نواحى تازا يروم اللحاق
بهم فوفدوا عليه وسار معهم الى احيائهم وأقام معهم وهو فى طاعة الامير عبد الرحمن
ودعوته الى أن اتصل به بين يدى حصاره البلد الجديد مع السلطان أبى العباس فلما فتح
السلطان البلد الجديد أول سنة ست وسبعين واستولى على ملكهم بها وفصل
عبد الرحمن الى مراكش كما كان الوفاق بينهم وسار على بن عمر فى جملة السلطان
عبد الرحمن الى مراكش واستأذنه فى قتل خالد صاحبه فلم يأذن له فأحفظه ذلك وطوى
عليه وبعد أيام صعد جبل ورىكة فى غرض من أغراض الدولة وتقدم الى حافده عامر

Marfat.com

بقتل خالد فقتله بظاهر مراكش جده علي بن عمر بوريكة فتلطف له الامير عبد الرحمن وراسله بالملاينة والاستعطاف ثم ركب اليه بنفسه واستصلحه ونزل به الى مراكش فأقام معه أياما ثم ارتاب ولحق بأزمور وعاملها يومئذ حسون بن علي الصنهاجي فأغراه بالاجلاب على عمل مراكش وزحفوا جميعا الى عمل صنهاجة وسرح الامير عبد الرحمن لمدافعتهم كبير دولته يومئذ وابن عمه عبد الكريم بن عيسى بن سليمان بن منصور ابن أبي مالك عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق فخرج في العساكر ومعه منصور مولى الامير عبد الرحمن فلقوا علي بن عمر فهزموه وأخذوا سواده ولجأ الى أزمور ثم وفد هو وحسون بن علي الى السلطان بفاس ووقعت أثناء ذلك المراسلة بين السلطانين وانعقد بينهما الصلح فأقام علي بن عمر بفاس ورجع حسون بن علي الى مكان عمله بأزمور ثم انتقض ما بين السلطانين ثانيا وكان عند الامير عبد الرحمن اخوان من ولد محمد بن يعقوب بن حسان الصنهاجي وهما علي وأحمد جرثومتا بغي وفساد وعداء على كبيرهما على ابن يعقوب بن علي بن حسان فقتله واستعدى أخوه موسى عليه السلطان فاعداه وأذن له في أن يثأر منه بأخيه فقتله فخرج لذلك أحد أخوي علي وهم بقتل موسى فاستجار بموسى بن يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بني ونكاسن وشهر الامير عبد الرحمن وأقام أياما في جواره ثم هرب الى أزمور فلحقت نار الفتنة ونهض الامير عبد الرحمن الى أزمور فلم يطق حسان بن علي دفاعه فملكها عليه وقتله واستباحها وبلغ الخبر الى السلطان بفاس فنهض في عساكره وانتهى الى سلا ورجع الامير عبد الرحمن الى مراكش وسار السلطان في اتباعه حتى نزل بحصن أكلميم من مراكش وأقام هنالك نحوا من ثلاثة أشهر والقتال يتردد بينهم ثم سعى بين السلطانين في الصلح فاصطلحوا على حدود العمالات أولا وانكفأ صاحب فاس الى عمله وبلده وبعث الحسين بن يحيى بن حسون الصنهاجي عاملا على الثغر بأزمور فأقام بها وكان أصله من صنهاجة أهل وطن أزمور وله سلف في خدمة بني مرين منذ أول دولتهم وكان أبوه يحيى في دولة السلطان أبي الحسن عاملا في الجباية بأزمور وغيرها وهلك في خدمته بتونس أيام مقام السلطان بها وترك ولده يستعمل في مثل ذلك ونزع الحسن هذا منهم الى الجندية فلبس شارتها وتصرف في الولاية المناسبة لها واتصل بخدمة السلطان أبي العباس لاول بيعته بطنجة وكان يومئذ عاملا بالقصر الكبير فدخل في دعوته وصار في جملته وشهد معه الفتح واستعمله في خطط السيف حتى ولاه أزمور هذه الولاية فقام بها كما ذكره (وأما الصبيحيون) فالخبر عن أوليتهم ان جدهم حسان من قبيلة صبيح من أفاريق سويد جاء مع عبد الله بن كندوز الكمي من بني عبد الواد حين جاء من تونس وأوفد على السلطان

Marfat.com

ابن عبد الحق ولقبه بكامتر وكان حسان من رعاء ابله فلما استقر عبد الله بن كندوز بناحية مراكش وأقطعه السلطان يعقوب فى أعمالها وكان الظهر الذى يحمل عليه السلطان متفرقا فى سارية المغرب فجمعه وجعله لنظر عبد الله بن كندوز فجمع له الرعاء وكبيرهم يومئذ حسان الصبيحى فكان يباشر السلطان فى شان ذلك الظهر ويطالعه فى مهماته فحصلت له مداخلة أجلبت اليه الحظ حتى ارتفع وكبر ونشؤا فى ظل الدولة وغيرها وتصرفوا فى الولايات فيها وانفردوا بالشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد الى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات وكان لحسان من الولد على ويعقوب وطلحة وغيرهم ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم فى ولده وهم لهذا العهد متصرفون فى الدولة على ما كان سلفهم من ولاية الشاوية والنظر فى رواحل السلطان والظهر الذى يحمل من الابل ولهم عدد وكثرة ونباهة فى الدولة والله أعلم

الانتقاض الثانى بين صاحب فاس وصاحب مراكش ونهوض صاحب فاس اليه وحصاره ثم عودهما الى الصلح

لما رجع السلطان الى فاس على ما استقر من الصلح طلب الامير عبد الرحمن أن يدخل عمالة صنهاجة ودكالة فى أعماله وكتب السلطان الى الحسن بن يحيى عامل أزمور وتلك العمالة بأن يتوجه اليه ويبتدئ المذاهب فى ذلك دونه وكان الحسن بن يحيى مصطنعا على الدولة فلما وصل اليه داخله فى الخلاف وان يملكه تلك العمالة فازداد الامير عبد الرحمن بذلك قوة على أمره وتعال على صاحب فاس بأن يكون حدا بين الدولتين وادام ربيع واستمر صاحب فاس على الاباية من ذلك فنهض الامير عبد الرحمن من مراكش ودخل الحسن بن يحيى فى طاعته فملكها وبعث مولاه منصورا فى العساكر الى انفاه فاستولى عليها وصادر اعيانها وقاضيها واليها وبلغ الخبر الى السلطان فنهض من فاس فى عساكره وانتهى الى سلا فهرب منصور من انفاه وتركها ولحق بمولاه عبد الرحمن فأجفل من أزمور الى مراكش والساط ن فى أثره حتى انتهى الى قنطرة الوادى على غلوة من البلد وأقام خمسة أشهر يحاصرها واتصل الخبر بالسلطان ابن الاحمر صاحب الاندلس فبعث خالصته الوزير أبا القاسم الحكيم الرندى ليعقد الصلح بينهما فعقده على أن يسترهن السلطان أولاد الامير عبد الرحمن من بنى مرين وغيرهم نزعوا عنه وكان محمد بن يعقوب الصبيحى اتى فى طريقه مولى الامير عبد الرحمن جاء به مكرها الى السلطان وكان من النازعين أيضا يعقوب بن موسى بن سيد الناس كبير بنى ونكاسن وأبو بكر بن رحو بن الحسن بن على بن أبى الطلاق ومحمد بن مسعود الادريسى وزيان بن عمر بن على الوطاسى وغيرهم من المشاهير وقدموا على السلطان بسلا فأكرمهم

Marfat.com

ورحل راجعا الى فاس والله أعلم

انتقاض على بن زكريا شيخ العساكرة على الامير عبد الرحمن وفتكه بمولاه منصور ومقتل الامير عبد الرحمن

لما رجع السلطان الى فاس وبدا من الخلل فى دولة الامير عبد الرحمن وانتقاض الناس عليه ما قدمناه نزع يده من التعويل على العساكر وشرع فى تحصين البلد وضرب الاسوار على القصبة وحفر الخنادق وتبين بذلك اختلال أمره وكان على بن زكريا شيخ هسكورة وكبير المصامدة وكان فى دعوته منذ دخل مراكش فتلا فى أمره مع صاحب فاس ومد اليه يدا من طاعته ثم انتقض على الامير عبد الرحمن ودخل فى دعوة السلطان وبعث اليه الامير عبد الرحمن مولاه منصورا يستألفه فأرصد اليه فى طريقه من حاشيته من قتله وبعث برأسه الى فاس فنهض السلطان فى عساكره الى مراكش واعتصم الامير عبد الرحمن بالقصبة وقد كان أفردها عن المدينة بالاسوار وخندق عليها فملك السلطان المدينة ورتب على القصبة المقاتلة من كل جهة ونصب الآلة وأدار عليها من جهة المدينة حائطا وأقام يحاصرها تسعة أشهر يغاديها القتال ويراوحها وكان أحمد بن محمد الصبيحى من الذين بوؤا المقاعد لقتالها فهم بالانتقاض وحدثته نفسه بغدرة السلطان والتوثب به وسعى بذلك الى السلطان فقبض عليه وحبسه وبعث السلطان بالنفير الى أعماله فتوافت الامداد من كل ناحية وبعث اليه صاحب الاندلس مددا من العسكر فلما اشتد القتال والحصار بالامير عبد الرحمن ونفذت الاقوات وأيقن أصحابه بالهلكة وأهمتهم أنفسهم وهرب عنه وزيره محمد بن عمر شيخ الهساكرة والمصامدة لعهد السلطان أبى الحسن وابنه وقد مر ذكره فلما لحق هذا بالسلطان وعلم انه انما جاء مضطرا قبض عليه وحبسه ثم انفض الناس عن الامير عبد الرحمن ونزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وأصبح فى قصبته منفردا وقد بات ليلته يراوض ولديه على الاستمانة وهما أبو عامر وسليم وركب السلطان من الغد فى التعبية وجاء الى القصبة فاقتحمها بقدمته ولقيهم الامير عبد الرحمن وولداه مباشرا الى الميدان بين أبواب دورهم فحالوا معهم جولة قتل فيها ولداه قتلهم على بن ادريس وزير [illegible] عمر الوطاسى وطال ما كان زيان يمترى يدى نعمهم ويجر ذيله خيلاء فى جاههم فذهب مثلا فى كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة وكان ذلك عام جمادى الاخيرة سنة أربع وثمانين لعشرة أشهر من امارته على مراكش ثم رحل السلطان منقلبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله أعلم

Marfat.com

كان أولاد حسين من عرب المعقل مخالفين على السلطان من قبل مسيره الى مراكش وكان شيخهم يوسف بن على بن غانم قد حدثت بينه وبين الوزير القائم على الدولة محمد بن عثمان منافرة وفتنة وبعث العساكر الى سجلماسة فغرب ما كان لهم من العقار والاملاك وأقام منتقضا بالقفر فحاصره السلطان الامير عبد الرحمن بمراكش وأخذ بمخنقه أرسل أبا العشائر ابن عمه منصورا الى يوسف بن على وقومه ليجلبوا به على المغرب و يأخذوا بحجزة السلطان عن حصاره فسار لذلك ولما قدم على يوسف سار به الى تلمسان مستجيشا بالسلطان أبى حمو لذلك القصد لما كان بينه وبين الامير عبد الرحمن من العهد على ذلك فبعث أبو حمو معهم ابنه أبا تاشفين فى بعض عساكره وسار فى الباقين على أثرهم وسار أبو تاشفين وابو العشائر الى أحياء العرب فدخلوا الى أحواز مكناسة وعاثوا فيها وكان السلطان عند سفره الى مراكش استخلف على دار ملكه بفاس على بن مهدى العسكرى فى جماعة من الجند واستنجد بوترمار بن عريف شيخ سويد وولى الدولة المقيم بأحياء ملوية فخالف بين عرب المعقل واستألف منهم العمارنة والمنبات وهم الاحلاف واجتمع مع على بن مهدى وسار والمدافعة العدو بنواحى مكناسة فصدوهم عن مرامهم ومنعوهم من دخول البلاد فأقاموا ثمانين أياما وقصد أبو حمو فى عسكره مدينة تازى وحاصرها سبعا وخرب قصر الملك هنالك ومسجده المعروف بقصر تازروت وبينما هم على ذلك بلغ الخبر اليقين بفتح مراكش وقتل الامير عبد الرحمن فأجفلوا من كل ناحية وخرج أولاد حسين وأبو العشائر وأبو تاشفين والعرب الاحلاف فى اتباعهم وأجفل أبو حمو عن تازى راجعا الى تلمسان ومر بقصر وترمار فى نواحى بطوية المسمى بمرادة فهدمه ووصل السلطان الى فاس وقد تم له الظهور والفتح الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

(ثم وض السلطان الى تلمسان وفتحها وتخريبها)

كان السلطان لما بلغه ما فعل العرب وأبو حمو بالمغرب لم يشغله ذلك عن شأنه ونقم على أبى حمو ما أتاه من ذلك وانه نقض عهده من غير داع الى النقض فلما حتل بدار ملكه بفاس أراح أياما ثم أجمع النهوض الى تلمسان وخرج فى عساكره على عادتهم وانتهى الى تاورير وبلغ الخبر الى أبى حمو فاضطرب أمره واعتزم على الحصار وجمع أهل البلد عليه واستعد واله ثم خرج فى بعض تلك الليالى بولده وأهله وخاصته وأصبح محجما بالصفصف وانفض أهل البلد اليه بعضهم بعياله وولده مستمسكين به متفادين من معرة

Marfat.com

هجوم العساكر فلم يرعه ذلك عن قصده وارتحل ذاهبا الى البطحاء ثم قصد بلاد مغراوة فنزل فى بنى بوسعيد قريبا من شلف وأنزل أولاده الاصاغر وأهله بحصن تاجموت وجاء السلطان الى تلمسان فملكها واستقر فيها أياما ثم هدم أسوارها وقصور الملك بها باغراء وليه وتزمار جزاء بما فعله أبو حمو فى تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ثم خرج من تلمسان فى اتباع أبى حمو ونزل على مرحلة منها وبلغه الخبر هنالك باجازة السلطان موسى ابن عمه أبى عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانكفأ راجعا وأغذ السير الى المغرب كما نذكر ورجع أبو حمو الى تلمسان واستقر فى ملكه بها كما ذكرناه فى أخباره

اجازة السلطان موسى ابن السلطان أبى عنان من الاندلس الى المغرب واستيلاؤه على الملك وظفره بابن عمه السلطان أبى العباس وازعاجه الى الاندلس

قد تقدم أن السلطان محمد بن الاحمر المخلوع كان له تحكم فى دولة السلطان أبى العباس بن أبى سالم صاحب المغرب بما كان من اشارته على محمد بن عثمان ببيعته وهو معتقل بطنجة ثم بما أمده من مدد العساكر والاموال حتى أمره واستولى على البلد الجديد كما قدمناه فى أول خبره ثم بما كان له من الزبون عليهم بالقرابة المرشحين الذين كانوا معتقلين بطنجة مع السلطان أبى العباس من أسباط السلطان أبى الحسن من ولد أبى عنان وأبى سالم والفضل وأبى عامر وأبى عبد الرحمن وغيرهم وكانوا متعاهدين فى معتقلهم ان من أتاح الله له الملك منهم يخرجهم من الاعتقال ويجيزهم الى الاندلس فلما بويع السلطان أبو العباس وفى لهم بهذا العهد وأجازهم الى الاندلس فنزلوا على السلطان ابن الاحمر أكرم نزل أنزلهم بقصوره لمكه بالحمراء وقرب لهم المراكب وأفاض عليهم العطاء ووسع لهم الجرايات والارزاق وأقاموا هنالك فى ظل ظليل فكان لهم به ونوب على ملك المغرب وكان الوزير القائم بها محمد بن عثمان يقدر له قدر ذلك فيجرى فى اغراضه وقصوده ويحكمه فى الدولة ماشاء أن يحكمه حتى توجهت الوجوه الى ابن الاحمر وراء البحر من أشياخ بنى مرين والمغرب وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس ولما نهض السلطان الى تلمسان خاطبوه وأوصوه بالمغرب وترك محمد بن عثمان بدار الملك كاتبه محمد بن الحسن كان مصطفيا من بقية شيع الموحدين ببجاية فاختصه ورقاه واستخلفه فى سفره هذا على دار الملك فلما انتهوا الى تلمسان وحصل له من الفتح ما حصل كتبوا بالخبر الى السلطان ابن الاحمر مع شيطان من ذرية عبون قاسم المروانى كان بدارهم وهو عبد الواحد بن محمد بن عبو كان يسمو بنفسه الى العظائم التى ليس لها بأهل ويتربص لذلك بالدولة وكان ابن الاحمر

Marfat.com

مع كثرة تحكمه فيهم يتنحى لهم بعض الاوقات بما يأتونه من تقصير في شفاعة أو مخالفة
في الامر لا يجدون عنها وليجة فيصطنع لهم ذلك فلما قدم عليه عبد الواحد هذا بخبر الفتح
وقص عليه القصص دس له أن أهل الدولة مضطربون على سلطانهم ومستبدلون به
لو وجدوا وبلغ من ذلك ما حمل ومالم يحمل وأشار له بجلاء المغرب من الحامية جملة وأن
دار الملك ليس بها الا كاتب حضري لا يحسن المدافعة وهو أعرف به فانتهز الفرصة ابن
الاحمر وجهز موسى ابن السلطان أبي عنان من الاسباط المقيمين عنده واستوزر له
مسعود بن رحو بن ماسي من طبقات الوزراء من بني مرين ومن بني قودر من أحلافهم
وله في ذلك سلف وقد كان بعثه من قبل وزيرا للأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن حين
أجاز الى المغرب أيام استبداد أبي بكر بن غازي فلم يزل معه حتى كان حصار البلد الجديد
واستيلاء السلطان أبي العباس عليها وذهب عبد الرحمن الى مراكش فاستأذنه
مسعود في الانصراف الى الاندلس فأذن له ورجع عنه الى فاس ثم فارقها وأجاز الى
الاندلس متودعا ومتودد الكل ومعولا على ابن الاحمر فتلقاه بالقبول وأوسع له النزل
والجراية وخلطه بنفسه وأحضره مع ندمائه ولم يزل كذلك الى أن جهزه وزيرا
الى المغرب مع السلطان أبي عنان وبعث معه ما عسكرا ثم ركب السفين الى سبتة
وكانت بينه وبين شرفائها ورؤساء الشورى بها مداخلة فقاموا بدعوة السلطان موسى
وأدخلوه وقبضوا على عاملها رحو بن الزعيم المكدولي وجاؤوا به الى السلطان فملكها
غرة صفر من سنة ست وثمانين وسلمها الى ابن الاحمر فدخلت في طاعته وسار هو الى
فاس فوصلها الايام قريبة وأحاط بدار الملك واجتمع عليه الغوغاء ونزل الدهس بمحمد
ابن الحسن فبادر بطاعته ودخل السلطان الى دار الملك وقبض عليه لوقته وذلك
في عشر ربيع الاول من السنة وجاء الناس بطاعته من كل جانب وبلغ الخبر الى
السلطان أبي العباس بمكانه من نواحي تلمسان بأن السلطان موسى قد نزل بسبتة فجهز
علي بن منصور وترجمان الجند وجند النصارى بيابه مع طائفة منهم وبعثهم حامية لدار
الملك فانتهوا الى تازا وبلغهم خبر فتحها فأقاموا هنالك وأغذ السلطان أبو العباس
السير الى فاس فلقيهم خبر فتحها بتازا وبرت فثنى قدم الى ملوية وتردد في رأيه بين المسير الى
بصلاسة من المغرب أو قصد المغرب ثم استمر عزمه ونزل بتازا وأقام فيها أربعا
وتقدم الى الركن وأهل دولته خلال ذلك يخوضون في الانتقاض عليه تسللا الى ابن
عمه السلطان موسى المتولي على فاس ويوم أصبح من الركن أرجفوا به ثم انتقضوا عليه
طوائف قاصدين فاس ورجع هو الى تازا بعد أن انتهب معسكره وأضرمت النار
في خيامه وخزائنه ثم أصبح بتازا من ليلته فدخلها وعاملها يومئذ الخبر من موالي

Marfat.com

السلطان أبي الحسن وذهب محمد بن عثمان الى ولي الدولة وترمار بن عريف وأمراء المغرب من المعقل ولما دخل السلطان أبو العباس الى تازا كتب الى ابن عمه السلطان موسى يذكره العهد بينهما وتد كان السلطان ابن الاحمر عهد اليه أن يبعث به اليه ان ظفر به فبادر السلطان موسى باستدعائه مع جماعة من وجوه بني عسكر أهل تلك الناحية وهم زكريا بن يحيى بن سليمان ومحمد بن سليمان بن داود بن اعراب ومعهم العباس بن عمر الوسناني فجاؤا به وأنزلوه بالزاوية بغدير الحمص بظاهر فاس فقيدهنالك ثم بعثه الى الاندلس موكلا به مع عمر بن رحو أخو الوزير مسعود بن ماسي واستصحب ابنه أبا فارس وترك سائرهم بفاس واجاز البحر من سبتة فأنزله السلطان ابن الاحمر بقلعة ملكه الحمراء وفك قيوده ووكل به ووسع له في الجراية فأقام هنالك محتاطا به الى أن كان ماذكره ان شاء الله تعالى

(نكبة الوزير محمد بن عثمان ومقتله)

أصل هذا الوزير محمد بن الكاس احدى بطون بني ورتاجين وكان بنو عبد الحق عند ماتأثلوا ملكهم بالمغرب يستعملونه منهم في الوزارة وربما وقعت بينهم هنالك وبين بني ادريس وبني عبد الله منافسة قتلوا فيها بعض بني الكاس منهم في دولة السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن ثم استوزره السلطان أبو الحسن بعد مهلك وزيره يحيى بن طلحة ابن محلى بمكانه من حصار تلمسان وقام بوزارته أياما وحضره معه وقعة طريف سنة احدى واربعين من هذه المائة واستشهد فيها ونشأ ابنه أبو بكر في ظل الدولة ممتعا بحسن الكفالة وسعة الرزق وكانت أمه أم ولد وخلفه عليها ابن عمه محمد بن عثمان هذا الوزير فنشأ أبو بكر في حجره وكان أعلى رتبة منه بأولية أبيه وسلفه حتى اذا بلغ أشده واستوى سمت به الحال وجال امصار الملوك في اختياره وترشيحه حتى استوزره السلطان عبد العزيز كما قلناه وقام بوزارته أحسن قيام وأصبح محمد بن عثمان هذا رديفه وهلك السلطان عبد العزيز فنصب أبو بكر ابنه السعيد للملك صبيا لم يثغر وكان من انتقاض أمره وحصاره بالبلد الجديد واستيلاء السلطان أبي العباس عليه ماقدمناه قام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس مستبدا عليه ودفع اليه أمر ملكه وشغل بلذاته فقام محمد بن عثمان بوزارة السلطان أبي العباس من أمور الدولة ماعاناه حتى كان من استيلاء السلطان موسى على دار ملكهم ماسرد وانتقض بنو مرين عنه للسلطان أبي العباس كما ذكرناه ورجع الى تازا فدخلها السلطان أبو العباس وفارقهم محمد بن عثمان الى ولي الدولة وترمار بن عريف وهو مقيم بتازا وتذمم له فتجهم له وترمار وأعرض عنه فسار معدا الى أحياء المنبات من عرب المعقل كانوا

هنالك قبله تازالدمنة صحابة كانت بينه وبين شيخهم أحمد بن عبو فنزل عليه متذمما به فخادعه وبعث بخبره الى السلطان فجهز اليه عسكرا مع المزوار عبد الواحد بن محمد بن عبو بن قاسم بن ورزوق بن يومريطت والحسن العوفى من الموالى فتبرأ منه العرب وأسلموه اليهم فجاؤا به وأشهروه يوم دخوله الى فاس واعتقل أياما وامتحن فى سبيل المصادرة ثم استصفى ثم قتل ذبحا بمحبسه والله وارث الارض ومن عليها

الخبر عن خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماسى اليه بالعساكر

لما استقل السلطان موسى بملك المغرب وقام مسعود بن ماسى بوزارته مستبدا عليه وكان من تغريبهم السلطان أبا العباس الى الاندلس وقتلهم وزيره محمد بن عثمان وافتراق أشياع الوزير محمد بن عثمان وقرابته وبطانته فطلبوا بطن الارض ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فوجد هنالك الحسن بن الناصر ابن السلطان أبى على قد لحق بها من مقره بالاندلس فى سبيل طلب الملك فثار له ورأى فى الرجوع به الى المغرب لطلب الامر هنالك فخرج به من تونس وقطع المفاوز والمشاق الى أن انتهى الى جبل غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا مثواه وتقلبه وأعلنوا بالقيام بدعوته واستوزر العباس بن المقداد وبلغ الخبر الى مسعود بن ماسى فجهز العساكر مع أخيه مهدى بن ماسى فحاصره بجبل الصفيحة أياما وامتنع عليهم فتجهز الوزير مسعود بن ماسى بالعساكر من دار الملك وسار لحصاره ثم رجع من طريقه لما بلغه من وفاة السلطان بعده والله أعلم

(وفاة السلطان موسى والبيعة للمنتصر ابن السلطان أبى العباس)

كان السلطان موسى لما استقل بملك المغرب استنكف من استبداد ابن ماسى عليه وداخل بطانته فى الفتك به وأكثر ما كان يفاوض فى ذلك كاتبه وخالصته محمد ابن كاتب أبيه وخالصته محمد بن أبى عمر وكان للسلطان موسى ندمان يطلعهم على الكثير من أموره منهم العباس بن عمر بن عثمان الوسناني وكان الوزير مسعود بن ماسى قد خلف أبا عمر على أمه وربى فى حجره فكان يدلى اليه بذلك وينهى اليه ما يدور فى مجلس السلطان فى شأنه فحملت للوزير بذلك نفرة طلب لاجلها البعد عن السلطان وبادر للخروج لمدافعة الحسن القائم بغمارة واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن رحو بن ماسى فلما انتهى الى القصر الكبير لحقه الخبر بوفاة السلطان موسى وكانت وفاته فى جمادى الاخرى طرقه المرض فهلك ليوم وليلة لثلاث سنين من خلافته وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بأنه سمه وبادر يعيش فنصب ابن عمه للملك وهو المنتصر ابن السلطان أبى

Marfat.com

العباس وانكفارا جعا لوزير مسعود من القصر وقتل السيد محمد بن موسى من طبقة الوزراء وقد مرذكره وذكر قومه وكان اعتقله أيام السلطان موسى فقتله بعد وفاته واستمرت الدولة فى استقلاله والله أعلم

(اجازة الواثق محمد بن أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن من الاندلس والبيعة له)

كان الوزير مسعود بن ماسى لما استوحش من السلطان موسى بعث ابنه يحيى وعبد الواحد المزوار الى السلطان ابن الاحمر يسأله منه اعادة السلطان أبى العباس الى ملكه فأخرجه ابن الاحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدوة فلما توفى السلطان موسى بدا للوزير مسعود فى أمره ودس للسلطان ابن الاحمر فى رده وأن يبعث اليه بالواثق محمد بن أبى الفضل ابن السلطان أبى الحسن من القرابة المقيمين عنده ورآه أليق بالاستبداد والغمر فأسعفه ابن الاحمر فى ذلك وردّ السلطان أحمد الى مكانه بالحمراء وجاء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده وفى خلال ذلك وصل جماعة من أهل الدولة وانتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا ببسيتة وأجازوا الى السلطان ابن الاحمر وهم يعيش ابن على بن فارس وسيور بن يحيى بن عمر الونكاسنى واحمد بن محمد الصبيحى فوفد اليهم الواثق ورجعوا به الى المغرب على أنهم فى خدمة الوزير حتى اذا انتهوا الى جبل زرهون واعتصموا بجبلهم ولحق بهم من كان على مثل دينهم من الخلاف على ابن ماسى وصاروا معهم يدا مثل طلحة بن الزبير الورتاجنى وسيور بن يحيا تن بن عمر الونكاسنى ومحمد التونسى من بنى أبى الطلاق وفارح بن مهدى من معلوجى السلطان وأصله من موالى بنى زيان ملوك تلمسان وكان أحمد بن محمد الصبيحى حين جاء مع الواثق قد استطال على أصحابه وأظهر الاستبداد بما كان من طائفة الجند المستخدمين فغص به أهل الدولة وتبرؤا منه للسلطان الواثق فأظهر لهم البراءة منه فوثبوا به وقتلوه عند خيمة السلطان وتولى كبر ذلك يعيش بن على بن فارس اليابانى كبير بنى مرين فذهب مثلا فى الغابرين ولم تبك عليه سماء ولا أرض وكان رزق بن يوفريطات من موالى بنى على بن زيان من شيوخ بنى ونكاسن من أعيان الدولة ومقدمى الجند قد انتقض على الدولة أيام السلطان موسى ولحق بأحياء أولاد حسين من عرب المعقل المخالفين منذ أيام السلطان موسى ونزل على شيخهم يوسف بن على بن غانم لذمة صحابة بينهما من جوارهم فى المواطن وكان معه فى ذلك محمد بن يوسف بن علال كان أبوه يوسف من صنائع السلطان أبى الحسن ونشأ ددولته استوحش من الوزير فلحقا بالعرب لما جاء هذا السلطان الواثق قدما عليه فلقيهما بالتكرمة وأحلهما فى مقامهما من الدولة وخرج الوزير مسعود بن ماسى فى العساكر ونزل قبائلهم بجبل مغيلة وقاتلهم هنالك أياما ودا خل الذين مع

الواثق واستمالهم وبعث عسكرا الى مكناسة فحاصروها وكان بها يومئذ عبد الحق بن
الحسن بن يوسف الورتاجنى فاستنفر له منها وملكها وتردد المراسلات بينه وبين
الواثق وأصحابه على أن ينصبوه للامر ويبعث بالمنتصر المنصوب عنده الى أبيه
السلطان أبى العباس بالاندلس وقبض على جماعة ممن كان مع الواثق مثل المزوار عبد
الواحد وقتله وعلى فارح بن مهدى وحبسه وعلى الخير ولى الامير عبد الرحمن وامتحنه
وعلى آخرين سواهم ثم قبض على جماعة من بطانة السلطان موسى كانوا يداخلونه فى
القبض والفتك به فحبسهم وقتل بعضهم وعلى جند الاندلس الذين جاؤا مددا للواثق
وعلى قوادهم من معلوجى ابن الاحمر فأودعهم السجن ثم تقبض على كاتب السلطان
موسى بن أبى الفضل بن ابى عمر مرجعه من السفارة عن سلطانه الى الاندلس فاعتقله
وصادره ثم خلى سبيله ثم بعث الى الحسن بن الناصر الثائر بجبل الصفيحة من غمارة مع
ادريس بن موسى بن يوسف اليابانى فخادعه باستدعائه للملك والبيعة له فخدعه واستنزله
وجاءبه فاعتقله أياما ثم أجازه للاندلس واستقر الامر على ذلك والله أعلم

الفتنة بين الوزير ابن ماسى وبين السلطان ابن الاحمر واجازة السلطان أبى العباس الى سبتة لطلب ملكه واستيلاؤه عليها

لما بلغ الوزير ابن ماسى للواثق ورأى أنه قد استقل بالدولة ودفع عنها الشواغب
وصرف نظره الى مافرط من أعمال الدولة وافتتح أمره بسبتة وقد كان السلطان موسى
لاول اجازته أعطاها لابن الاحمر كما مر فبعث اليه الآن الوزير ابن ماسى فى ارتجاعها
منه على سبيل الملاطفة فاستشاط لها ابن الاحمر ولج فى الرد فنشأت الفتنة لذلك وجهز
ابن ماسى العساكر لحصارها سبتة مع العباس بن عمر بن عثمان الوسناى ويحيى بن علال بن
أمصمود والرئيس محمد بن أحمد الابكم من بنى الاحمر ثم من بيت السلطان الشيخ فاتح
امرهم وممهد دولتهم وراسل السلطان اشبيلية والجلالقة من بنى أدفونش وراء البحر
بأن يبعث اليهم ابن عم السلطان ابن الاحمر محمد بن اسمعيل مع الرئيس الابكم ليجلبا من
ناحيته على الاندلس وجاءت عساكر الوزير الى سبتة فحاصروها ودخلوها عنوة
واعتصم حامية الاندلس الذين كانوا بها بالقصبة واتصلت الجولة بين الفريقين وسط
البلد وأوفد أهل القصبة النيران بالجبل علامة على أمرهم ليراها ابن الاحمر وكان مقيما
بمالقة فبادر بتجهيز الاسطول مشحونا بالمقاتلة مددا لهم ثم استدعى السلطان أبو
العباس من مكانه بالحمراء وأركبه السفين الى القصبة فى غرة صفر سنة تسع وثمانين
وأشرف عليهم من الغد وناداهم من السور يدعوهم الى طاعته فلما رأوه اضطربوا
وافترقوا وخرج اليهم فنهب سوادهم ودخلوا فى طاعته متسايلين ورجع جمهور العسكر

Marfat.com

ومقدموهم الى طنجة واستولى السلطان على مدينة سبتة و بعث اليه ابن الاحمر بالنزول عنها وردها اليه فاستقرت فى ملكه وكملت بها بيعته وكان يوليه أمر الاضياف الواردين والله تعالى أعلم

{مسير السلطان أبى العباس من سبتة لطلب ملكه بفاس ونهوض ابن ماسى لدفاعه ورجوعه منهزما}

ولما استولى السلطان أبو العباس على سبتة وتم له ملكها واعتزم على المسير لطلب ملكه بفاس وأغراه ابن الاحمر بذلك ووعده بالمدد لما كان من مداخلة ابن ماسى لجماعة من بطانته فى أن يقتلوه و يملكوا الرئيس الابكم يقال ان الذى داخله فى ذلك من بطانة ابن الاحمر يوسف بن مسعود البلنسى ومحمد بن الوزير أبى القاسم بن الحكيم الرندى وشعر بهم السلطان ابن الاحمر وهو يومئذ على جبل الفتح يطالع أمور السلطان أبى العباس فقتلهم جميعا واخوانهم و يقال ان ذلك كان بسعاية القائم على دولته مولاه خالد كان يغص بهم ويعاديهم فأخفى عليهم هذه وتمت سعايته بهم فاستشاط ابن الاحمر غضبا على ابن ماسى وبعث الى السلطان أبى العباس يستنفره للرحلة الى طلب ملكه فاستخلف على سبتة رحو بن الزعيم المكرودى عاملها من قبل كما مر وسار الى طنجة وعاملها من قبل الواثق صالح بن رحو البانى ومعه بها الرئيس الابكم من قبل العساكر فحاصرها أياما وامتنعت عليه فجمر عنها الكاتب وسار عنها الى أصيلا فدخلت فى دعوته وملكها ونهض الوزير من فاس فى العساكر بعد أن استخلف أخاه يعيش على دار الملك وسار ولحقت مقدمته بأصيلا ففارقها السلطان أبو العباس وصعد الى جبل الصفيحة فاعتصم به وجاء الوزير ابن ماسى فتقدم الى حصاره بالجبل وجمع عليه رماة الرجل من الاندلسيين الذين كانوا بطنجة وأقام يحاصره بالصفيحة شهرين وكان يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين من عرب المعقل مخالفا على الوزير مسعود وداعية الى السلطان أبى العباس وشيعة له وكان يراسل ابن الاحمر فى شأنه فلما سمع باستيلائه على سبتة واقباله الى فاس جمع أشياعه من العرب ودخل فى طاعته الى بلاد المغرب ما بين فاس ومكناسة وشن الغارات على البسائط واكتسحها وأرجف الرعايا وأجفلوا الى الحصون وكان وترمار بن عريف فى الدولة شيعة للسلطان وكان يكاتبه وهو بالاندلس و يكاتب ابن الاحمر بشأنه فلما اشتد الحصار بالسلطان فى الصفيحة بعث ابنه أبا فارس الى وترمار بمكانه من نواحى تازا و بعث معه سيور بن يحياتن بن عمر فقام وترمار بدعوته وسار به الى مدينة تازا وعاملها سليمان العودودى من قرابة الوزير ابن ماسى فلما نزل بها أبو فارس ابن السلطان

درا الى طاعته وأمكنه من البلد واستوزر سليمان هذا وسار الى صفيروا ومعه وترمار للاجتماع بعرب المعقل وأسفهم الى حصار فاس وكان محمد بن الدمغة عاملا على ورغة فبعث اليه السلطان عسكرا مع العباس بن المقداد ابن أخت الوزير محمد بن عثمان فقتلوه وجاؤا برأسه ونجم الخلاف على يعيش بالبلد الجديد من كل جهة وطير الخبر بذلك كله الى أخيه بمكانه من حصار السلطان بالصفيحة فانفضت عنه العساكر وأقفل راجعا الى فاس وسار السلطان فى اثناءه ودخل فى طاعته عامل مكناسة وجاء الخبر موسى الامير عبد الرحمن واقيه يوسف بن على بن غانم ومن معه من احياء العرب وساروا جميعا الى فاس وكان أبو فارس ابن السلطان قد رحل من تازا الى صفيرو اللقاء أبيه فاعترضه ابن ماسى فى العساكر رجاء أن يقفله واقيه بنى بهلول فنزع أهل المعسكر الى أبى فارس ابن السلطان وهو بمكناسة فارتحل يغذ السير الى فاس وسار ابنه أبو فارس لقائه على وادى النجلو صبحوا البلد الجديد فنزلوا عليه بجموعهم وقد اعتصم به الوزير فى أوليائه وبطانته ومعه بغمراسن بن محمد الى ومراهن بنى مرين الذين استرهنهم عند مسيره للقاء السلطان أصيلا والله أعلم

(ظهور دعوة السلطان أبى العباس فى مراكش واستيلاء أوليائه عليها)

كان الوزير مسعود بن ماسى قد ولى على مراكش وأعمال المصامدة أخاه عمر بن رحو وكانت منتظمة فى طاعته فلما بلغ الخبر بوصول السلطان الى سبتة واستيلائه عليها قامت رؤس أوليائه الى اظهار دعوته بتلك النواحى فقام بدعوته بجبل الهساكرة على ابن زكريا وبعث الوزير مسعود من مكانه فى حصار السلطان بالصفيحة فى امداده بالعساكر من مراكش فزحف اليه مخلوف بن سليمان الوارتيى صاحب الاعمال ما بين مراكش والسوس وقعد الباقون عن نصره وتفرقوا وصعد أبو ثابت حافد على بن عمر الى جبل الهساكرة ومعه يوسف بن يعقوب بن على الصبيحى فاستمد على بن زكريا ورجع الى مراكش مجلبا على على بن رحو بها وكتب للسلطان بذلك وهو بمكناسة متوجها الى فاس فكتب اليه بأن يصله بعساكر مراكش لحصار دار الملك لجمع العساكر واستخلف على قصبة مراكش بعض بنى عمه ولحق بالسلطان وأقام معه فى حصار البلد الجديد والله أعلم

(ولاية المنتصر بن السلطان أبى على على مراكش واستقلاله بها)

كان السلطان أبو العباس حين ملك المغرب بعث ابنه المنتصر فى البحر الى سلا واستوزر له عبد الحق بن يوسف الورتاجنى وأقام ومربه رزوق بن توفريطت راجعا من دكالة حين نزول السلطان على البلد الجديد فتلطف فى استدعائه ثم قبض عليه وبعث

Marfat.com

به لا يبه مقيدا فأودعه السجن وقتل بعد ذلك بمحبسه ثم بعث السلطان الى ابنه المنتصر بولاية مراكش وأن يصير اليها فلما وصل الى مراكش امتنع النائب بالقصبة فدس لعبد الحق وزير المنتصر أن النائب قد هم بقتله وحينئذ يمكن المنتصر من القصبة فأجفل بالمنتصر وصعد الى جبل هنتاتة وطير بالخبر الى السلطان فتغير لابى ثابت وأمره أن يكاتب نائبه بتمكين ابنه من القصبة واستوزر له سعيد بن عبدون وبعثه بالكتاب وعزل عبد الحق عن وزارة ابنه واستدعاه لفاس فوصل سعيد بن عبدون الى مراكش ودفع الى النائب بالقصبة كتاب مستخلفه الى الامتثال وأمكنه من القصبة واعتزل عنها فدخلها وبعث عن المنتصر بن السلطان واستولوا عليها وقبضوا على نائب عامر الذى كان بها وسائر شيعته وبطانته وامتحنوهم واستصفوهم الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

*(حصار البلد الجديد وفتحها ونكبة الوزير ابن ماسى ومقتله)

لما نزل السلطان على البلد الجديد واجتمع اليه سائر قبيله وأولياؤه وبطانته داخل الوزير مسعودا الحنق على بنى مرين لانتباذهم عنه فأمر بقتل أبنائهم الذين استرهنوهم على الوفاء له فلاطفه يغمراسن السالفى فى المنع من ذلك فأقصر عنه وضيق السلطان مخنقه بالحصار ثلاثة أشهر حتى دعا الى النزول والطاعة فبعث اليه مولى الدولة وزيمار بن عريف وخالصته محمد بن علال فعقدا لهم الامان لنفسه ولمن معه على أن يستمر على الوزارة ويبعث بسلطانه الواثق الى الاندلس واستحلفهم على ذلك وخرج معهم للسلطان فدخل السلطان البلد الجديد خامس رمضان سنة تسع وثمانين الثلاثة أعوام وأربعة أشهر من خلعه ولحين دخوله قبض على الواثق وبعث به معتقلا الى طنجة وقتل بها بعد ذلك ولما استولى على أمره قبض على الوزير ابن ماسى ليومين من دخوله واخوته وحاشيته وامتحنهم جميعا فهلكوا فى العذاب ثم سلط على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه ونقم عليه ما فعله فى دور بنى مرين النازعين الى السلطان فانه متى كان هرب عند أحد منهم يعمد الى بيوته فينهبها فأمر السلطان بعقابه فى أطلالها فكان يؤتى به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطا الى أن قتله العذاب وتجاوز الحد ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية فذهب مثلا فى الآخرين

(وزارة محمد بن علال)

كان أبوه يوسف بن علال من رؤساء الدولة وصانعة السلطان أبى الحسن وربى فى داره ولما ضخم أمره سما به الى ولاية الاعمال فولاه على درعة فانتزى وانتخب أولياء الدولة ثم ولاه السلطان أبو عنان أمر طنجة ومائدته وضيوفه واستكفى به فى ذلك

Marfat.com

وولاه أخوه أبو سالم بعده كذلك ثم بعثه الى سجلماسة فعانى بها من أمور العرب مشقة وعزله عنها وهلك بفاس وكان له جماعة من الولد قد نشؤا فى ظل هذه النعمة وحدبت لنجابة بعمدا المذكور منهم فلما استولى السلطان أبو العباس استعمله فى أمور الصوف والمائدة كما كانت لابيه ثم رقاه الى المخالصة وخلطه بنفسه فلما خلع السلطان واستولى الوزير ابن ماسى على المغرب وكانت بينه وبين أخيه يعيش بن ماسى احن قديمة فسكن اصولتهم حتى اذا اضطرمت نار الفتنة بالمغرب وأجلبت عرب المعقل الخلاف فاستوحش محمد هذا فلحق باحيائهم مع رزوق ابن توفربطت كما مر ذكره ونزل على يوسف بن على بن غانم شيخ أولاد حسين وأقام معه فى خلافه حتى اذا أجاز السلطان الواثق الى الاندلس ووصل مع أصحابه الى جبل رهون وأظهروا الخلاف على ابن ماسى بدر محمد هذا ورزوق الى السلطان ودخلا فى طاعته متبرئين من النفاق الذى حملهم عليه عداوة الوزير مما كان الى أن انعقد الصلح بين الواثق وابن ماسى وسار به وأصحابه الى فاس وحصلوا فى قبضة ابن ماسى فعفا لهم عما كان منهم واستعملهم فى عهود ولايتهم ثم جاء الخبر باجازة السلطان أبى العباس الى سبتة فاضطرب محمد بن يوسف وذكر مخالصة السلطان ومنافرة ابن ماسى فأجمع أمره ولحق بسبتة فتلقاه السلطان بالكرامة وسرح بمقدمه ودفعه الى القيام بأمر دولته فلم يزل متصرفا بين يديه الى أن نزل الى البلد الجديد ولاياما من حصارها خلع عليه الوزارة ودفعه اليها فقام بها أحسن قيام ثم كان الفتح وانتظم أمر الدولة ومحمد هذا يصرف الولاية على أحسن أحوالها الى ان كان ما نذكره ان شاء الله تعالى ،

(ظهور محمد بن السلطان عبد الحليم بسجلماسة)

قد تقدم لنا ذكر السلطان عبد الحليم ابن السلطان أبى على وكان يدعى بحلى وكيف بايع له بنو مرين وأجلبوا به على عمر بن عبد الله سنة ثلاث وستين أيام مبعثه للسلطان أبى عمر ابن السلطان أبى الحسن وحاصروا معه البلد الجديد حتى خرج لدفاعهم وقاتلهم فانهزموا وافترقوا ولحق السلطان عبد الحليم بتازا وأخوه عبد المؤمن بمكناسة ومعه ابن أخيهما عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ثم بايع الوزير عمر بن عبد الله لمحمد بن أبى عبد الرحمن بن السلطان أبى الحسن [illegible] به من أبى عمر ولما كان بنو مرين يرونه بالجنون والوسوسة فاستدعى محمد بن أبى عبد الرحمن من مراكش اغتر به باشبيلية وبايعه وخرج فى العساكر لمدافعة عبد المؤمن وعبد الرحمن عن مكناسة فلقيهما وهزمهما ولحقا بالسلطان عبد الحليم بتازا وساروا جميعا الى سجلماسة فاستقروا فيها والسلطان عبد الحليم وقد تقدم خبر ذلك كله فى أماكنه ثم كان الخلاف بين عرب المعقل أولاد

حسين والاحلاف وخرج عبد المؤمن للاصلاح بينهم فبايع له أولاد حسين ونصبوه كرها للملك وخرج السلطان عبد الحق اليهم فى جموع الاحلاف فقاتلوه وهزموه وقتلوا كبار قومه كان منهم يحيى بن رحو بن تاشفين بن معطى شيخ بنى تيريمن وكبير دولة بنى مرين أجلت المعركة عن قتله ودخل عبد المؤمن البلد منفردا بالملك وصرف السلطان أخاه عبد الحليم الى المشرق لقضاء فرضه برغبته فى ذلك فسار على طريق القفر مسلك الحاج من التكرور الى أن وصل القاهرة والمستبد بها يومئذ بلبغا الحاصكى على الاشرف شعبان بن حسين من أسباط الملك الناصر محمد بن قلاوون فأكرم وفادته ووسع نزله وجرايته وأدر لحاشيته الارزاق ثم أعانه على طريقه للحج بالازواد والاثاثة والظهر من الكراع والخف ولما انصرف من حجه لسفر المغرب وهلك بفروجة سنة سبع وستين ورجع حاشيته الى المغرب بحرمه وولده وكان ترك محمدا هذا رضيعا فشب متقلبا من الدولة من ملك الى آخر منتبذا عن قومه بغيرة السلطان أبى الحسن من بنى عمهم السلطان أبى على وكان أكبر ما يكون مقامه عند أبى حمو سلطان بنى عبد الواد بتلمسان لما يروم به من الاجلاب على المغرب ودفع عادية بنى مرين عنه فلما وقع بالمغرب من انتقاض عرب المعقل على الوزير مسعود بن ماسى سنة تسع وثمانين واستمروا على الخلاف انتهز أبو حمو الفرصة وبعث محمد بن عبد الحليم هذا الى المعقل ليجلب بهم على المغرب ويمزقوا من الملك ما قدروا عليه فلحق بأحيائهم ونزل على الاحلاف الذين هم أمس رحما بسجلماسة وأقرب موطنا بها وكان الوزير ابن ماسى قد ولى عليها من أقاربه على بن ابراهيم بن عبو بن ماسى فلما ضيق عليه السلطان أبو العباس وضيق مخنقه بالبلد الجديد دس الى الاحلاف والى قريبه على بن ابراهيم أن ينصب محمد بن السلطان عبد الحليم و يملكه سجلماسة ويجلب به على تخوم المغرب ليأخذ بحجزة السلطان أبى العباس عنه و ينفسوا من حصاره ففعلوا ذلك ودخل محمد الى سجلماسة فملكها وقام على بن ابراهيم بوزارته حتى اذا استولى السلطان أبو العباس على البلد الجديد وقتل بالوزير مسعود بن ماسى وباخوته وسائر قرابته اضطرب على بن ابراهيم وفسد ما بينه و بين سلطانه محمد فخرج عن سجلماسة ودعا الى أبى حمو سلطان تلمسان كما كان ثم زاد هو ارتيابه فخرج عن سجلماسة وتركها ولحق بأحياء العرب وسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه مأمنه ونزل على السلطان أبى حمو الى أن هلك فسار الى تونس وحضر وفاة السلطان أبى العباس بها سنة تسع وتسعين ولحق محمد ابن السلطان عبد الحليم بعد مهلك أبى حمو بتونس ثم ارتحل بعد وفاة السلطان ابى العباس الى المشرق لحجة فرضه والله تعالى أعلم

(نكبة ابن ابى عمرو مهلكه وحركات ابن حسون)

لما استقل السلطان بملكه واقتعد سريره صرف نظره الى تأثيل تلك الدولة ومن يرتاب منه وكان محمد بن أبى عمر قد تقدم ذكره وأوليته من جملة خواصه وأوليائه وندمائه وكان السلطان يقسم له من عنايته وجميل نظره ويرفعه عن نظرائه فلما ولى السلطان موسى ترغب اليه بوازع المخالصة لابيه من السلطان أبى عنان فقد كان أبوه أعز طائفه كامترفا استخلصه السلطان موسى للشورى ورفعه على منابر اهل الدولة وجعل اليه كتاب علامته على المراسم السلطانية كما كان لابيه وكان يناوضه فى مهماته ويرجع اليه فى أموره حتى غص به أهل الدولة وغاغة للوزير مسعود بن ماسى أنه يداخل السلطان فى نكبته وربما سعى عند سلطانه فى جماعة من بطانة السلطان أحمد فأتى عليهم النكال والقتل لكلمات كانت تجرى بينهم وبينه فى مجالسة المنادمة عند السلطان حقدها لهم فلما ظفر بالحظ من سلطانه سعى بهم فقتلهم وكان القاضى أبو اسحق اليزناسنى من بطانة السلطان أحمد وكان يحضر مع ندمائه فحقد له ابن أبى عامر وأغرى به سلطانه فضربه وأطافه وجاهر باشناعه غريبة فى القبح وسفر عن سلطانه الى الاندلس وكان يمر بمجالس السلطان أحمد ومكان اعتداله وربما يلقاه فلا يلم اليه ولا يجيبه ولا يوجب له حقا فأحفظ ذلك السلطان ولما فرغ من ابن ماسى قبض على ابن أبى عمر هذا وأودعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك بالسياط وحمل الى داره وبينما أهله يحفرون له قبره واذا بالسلطان قد أمر بأن يسحب بنواحى البلد ابلاغا فى التنكيل فحمل من نعشه وقد ربط حبل برجله وسحب فى أثر المدينة ثم ألقى فى بعض المزابل ثم قبض على حركات ابن حسون وكان مجلبا فى الفتنة وكان العرب المخالفون من المعقل لما أجاز السلطان الى سبتة وحركات هذا بتادلا راودوه على طاعة السلطان فامتنع أولا ثم أكرهوه وجاؤا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى استقام أمره وملك البلد الجديد فتقبض عليه وامتحنه الى أن هلك والله وارث الارض ومن عليها

(خلاف على بن زكريا بجبل الهساكرة ونكبته)

لما ملك السلطان البلد الجديد واستولى على ملكه وفد عليه على بن زكريا شيخ هسكورة مستصفيا بما قدم من سوابقه وقد كان حضر معه حصار البلد الجديد واستدعاه فجاء بقومه وعساكر المصامدة على عادة الدولة فى ذلك ثم وفد معه محمد بن ابراهيم الميرارى من شيوخ المصامدة وكانت له ذمة صهر مع الوزير محمد بن يوسف بن علال على أخته فولاه السلطان مكان على بن زكريا فغضب لها راستشاط وبادر الى الانتقاض والخلاف ونصب بعض القرابة من بنى عبد الحق فجهز اليه السلطان العساكر مع محمد بن

Marfat.com

يوسف بن علال وصالح بن حمو البابانى وأمر صاحب درعة وهو يومئذ عمر بن عبد المؤمن بن عمر أن ينهض اليه بعساكر درعة من جهة القبلة فساروا اليه وحاصروه فى جبله وحاولوه مرات ينهزم فى جميعها حتى غلبوه على جبله وسار الى ابراهيم بن عمران الصناكى المجاور له فى جبله فاستذم به وخشى ابراهيم معرة الخلاف والغلب ورغبه الوزير محمد بن يوسف بما بذل له فأمكنه منه وقبض على الوزير وجاء به الى فاس فأدخله فى يوم مشهود وشهره واعتقل فلم يزل فى الاعتقال الى أن هلك السلطان أبو العباس وارتاب به أهل الدولة بعده فقتلوه كما نذكره ان شاء الله تعالى

وفادة أبى تاشفين على السلطان أبى العباس صريخا على أبيه ومسيره بالعساكر ومقتل أبيه السلطان أبى حمو

كان أبو تاشفين ابن السلطان أبى حمو قد وثب على أبيه آخر غشت وثمانين بما ائته لغيره من اخوته واعتقله بوهران وخرج بالعساكر لطلب اخوته المنتصر وأبى زيان وعمر فامتنعوا عند حصن بجيل تيطرى فحاصرهم أياما ثم تذكر غائلة أبيه فبعث ابنه أبا زيان فى جماعة من بطانته منهم ابن الوزير عمران وعبد الله بن جابر الخراسانى فقتلوا بعض ولده بتلمسان ومضوا اليه وهو بمحبسه فى وهران فلما شعر بهم أشرف من الحصن ونادى فى أهل المدينة مستذمما بهم فهرعوا اليه وتدلى اليهم فى عمامته وقد احترم بها فأنزلوه وأحدقوا به وأجلسوه على سريره وتولى كبر ذلك خطيب البلد ابن حذورة ولحق أبو زيان بن أبى تاشفين ناجيا الى تلمسان واتبعه السلطان أبو حمو ففترسنها الى أبيه ودخل أبو حمو تلمسان وهى طلل وأسوارها خراب فأقام فيها رسم دولته وبلغ الخبر الى أبى تاشفين فأجفل من تيطرى وأغذ السير فدخلها واعتصم أبوه بمئذنة المسجد فاستنزله منها وتجافى عن قتله ورغب اليه أبوه فى رحلة الشرق لقضاء فرضه فاسعفه وأركبه السفين مع بعض تجار النصارى الى الاسكندرية موكلا به فلما حاذى مرسى بجاية لاطف النصرانى فى تخليته سبيله فأسعفه وملك أمره وبعث الى صاحب الامر ببجاية يستأذنه فى النزول فأذن له وسار منها الى الجزائر واستخدم العرب واستصعب عليه أمر تلمسان فخرج الى الصحراء وجاء الى تلمسان من جهة المغرب فهزم عساكر ابنه تاشفين وملكها وخرج أبو تاشفين هاربا منها فلحق بأحياء السويد فى مشتاتهم ودخل أبو حمو تلمسان فى رجب سنة تسع وسبعمائة وقد تقدم شرح هذه الاخبار مستوعبا ثم وفد أبو تاشفين مع محمد بن عريف شيخ سويد على السلطان أبى العباس صريخا على أبيه ومؤملا الكرة بامداده فبعث له السلطان وأجل عليه المواعد وقام أبو تاشفين فى انتظارها والوزير محمد ابن يوسف بن علال يعده ويمنيه ويحلف له على

Marfat.com

الوفاء وبعث السلطان أبو حمو الى ابن الاحمر لما يعلم من استطالته على دولة بني مرين
كما يتوصل اليه في أن يصدهم عن صريخ أبي تاشفين وامداده فجلا ابن الاحمر
في ذلك وجعلها من أهم حاجاته وخاطب السلطان أبا العباس في أن يجيز اليه أبا تاشفين
فتعلل عليه في ذلك بأنه استجار بابنه أبي فارس واستذم به ولم يزل الوزير ابن علال يفتل
لسلطانه ولابن الاحمر في الذروة والغارب حتى تم أمره وأنجز له السلطان بالنظر وعده
وبعث ابنه الامير أبا فارس والوزير ابن علال في العساكر صريخا له وانتهوا الى تازا
وبلغ الخبر الى أبي حمو فخرج من تلمسان في عساكره واستألف أولياءه من عبيد الله
ونزل بالغيران من وراء جبل بني راشد المطل على تلمسان وأقام هنالك متحصنا بالجبل
وجاءت العيون الى عساكر بني مرين تازا بمكانه هو واعرابه من الغيران فاجمعوا
غزوه وسار الوزير علال وأبو تاشفين وسلكوا الدروب دليلهم سليمان بن ناجي من
الاحلاف حتى صبحوا أبا حمو ومن معه من أحياء الجراح في مكانهم بالغيران
فحاولوهم ساعة ثم ولوا منهزمين وكبا بالسلطان أبي حمو فرسه فسقط وأدركه بعض
أصحاب أبي تاشفين فقتلوه وقعصا بالرماح وجاؤا برأسه الى ابنه أبي تاشفين والوزير ابن
علال فبعثوا به الى السلطان وجاء ابنه عميرا سيرافهم أخوه أبو تاشفين بقتله فمنعه بنو
مرين أياما ثم أمكنوه منه فقتله ودخل تلمسان آخر احدى وتسعين وخيم الوزير
وعساكر بني مرين بظاهر البلد حتى دفع اليهم ما شارطهم عليه من المال ثم قفلوا الى
المغرب وأقام أبو تاشفين بتلمسان يقيم دعوة السلطان أبي العباس صاحب المغرب
ويخطب له على منابر تلمسان وأعمالها ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما اشترط على
نفسه وكان أبو حمو لما ملك تلمسان ولى ابنه أبا زيان على الجزائر فلما بلغه مقتل أبيه
امتعض ولحق بأحياء حصين ناجيا وصريخا وجاءه وفد بني عامر من زغبة يدعونه
للملك فسار اليهم وقام بدعوته شيخهم المسعود بن صغير ونهضوا جميعا الى تلمسان في
رجب سنة ثنتين وتسعين فحاصرها أياما ثم سرب أبو تاشفين المال في العرب فافترقوا عن
أبي زيان وخرج اليه أبو تاشفين فهزمه في شعبان من السنة ولحق بالصحراء واستألف
أحياء المعقل وعاود حصار تلمسان في شوال وبعث أبو تاشفين ابنه صريخا الى المغرب
فجاءه بمدد من العساكر ولما انتهى الى تاورير ت أفرج أبو زيان عن تلمسان وأجفل
الى الصحراء ثم أجمع رأيه على الوفادة الى صاحب المغرب فوفد عليه صريخا فتلقاه
وبر مقدمه ووعده النصر من عدوه وأقام هنالك الى مهلك أبي تاشفين والله
أعلم

(وفاة أبي تاشفين واستيلاء صاحب المغرب على تلمسان)

Marfat.com

لم يزل هذا الامير أبو تاشفين ملكا على تلمسان ومضى فيها الدعوة صاحب المغرب أبى العباس ابن السلطان أبى سالم ومؤديا الضريبة التى فرضها عليه منذ ملك وأخوه الامير أبو زيان عند صاحب المغرب ينتظر وعده بالنصر عليه حتى تغير السلطان أبو العباس على أبى تاشفين فى بعض النزغات الملوكية فأجاب داعى أبى زيان وجهزه بالعساكر لملك تلمسان فسار لذلك منتصف سنة خمس وتسعين وانتهى الى تازا وكان أبو تاشفين قد طرقه مرض أزمن به ثم هلك منه فى رمضان من السنة وكان القائم بدولته أحمد بن العزمن صنائعهم وكان فولى بعده وكانه صبيا من أبنائه وأقام بكفالته وكان يوسف بن أبى حمو وهو ابن الزايدة والياعلى الجزائر من قبل أبى تاشفين فلما بلغه الخبر أغذ السير مع العرب فدخل تلمسان وقتل أحمد بن العزوالصبى المكفول ابن أخيه أبى تاشفين فلما بلغ الخبر الى السلطان أبى العباس صاحب المغرب خرج الى تازا وبعث من هنالك ابنه أبا فارس فى العساكر وردأبا زيان بن أبى حمو الى ملكه ووكل به وسار ابنه أبو فارس الى تلمسان فملكها وأقام فيها دعوة أبيه وتقدم وزيره صالح بن أبى حمو الى مليانة فملكها وما بعدها من الجزائر وتدلس الى حدود بجايه واعتصم يوسف بن الزايدة بحصن تاجومت وأقام الوزير صالح يحاصره وانقرضت دعوة بنى عبد الواد من المغرب الاوسط والله غالب على أمره

وفاة أبى العباس صاحب المغرب واستيلاء أبى زيان بن أبى حمو على تلمسان والمغرب الاوسط

كان السلطان أبو العباس بن أبى سالم لما وصل الى تازا وبعث ابنه أبا فارس الى تلمسان فملكها وأقام هو بتازا يتعارف أحوال ابنه ووزيره صالح الذى تقدم لفتح البلاد الشرقية وكان يوسف بن على بن غانم أميرا ولاد حسين من العقال قد نيف على ستة ثلاث وتسعين واتصل بملك مصر من الترك الملك الظاهر برقوق وتقدمت الى السلطان فيه وأخبرته بمحله من قومه فأكرم تلقيه وحمله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها بتحف من بضائع بلده على عادة الملوك فلما قدم بها على السلطان أبى العباس أعظم موقعها وجلس فى مجلس حفل العرش بها وأنيا علتها وفرش الملك عليها بتخيير الجياد والبضائع والثياب حتى استكمل من ذلك ما أراده وأنفذها مع يوسف بن على حاملها الاول وأنه رسله [illegible] هنالك مرض كان فيه حتفه فى محرم سنة ست وتسعين وأسلمه ابنه أبا فارس من تلمسان فبايعوه بتازا وولوه مكانه ورجعوا به الى فاس وأطلقوا أبا زيان بن أبى حمو من الاعتقال وبعثوا به الى تلمسان أميرا عليها وقائما بدعوة السلطان أبى فارس فيها

فسار اليها وملكها وكان أخوه يوسف بن الزايية قد اتصل بأحياء بني عامر يروم ملك تلمسان والاجلاب عليها فبعث اليهم أبو زيان عندما بلغه ذلك وبذل لهم عطاء جزيلا على أن يعنوا به اليه فأجابوه الى ذلك وأسلموه الى ثقات أبي زيان وساروا به فاعترضهم بعض أحياء العرب ليستنقذوه منهم فبادروا بقتله وحملوا رأسه الى اخيه أبي زيان فسكنت أحواله وذهبت الفتنة بذهابه واستقامت أمور دولته وهم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره وهو على كل شيء قدير

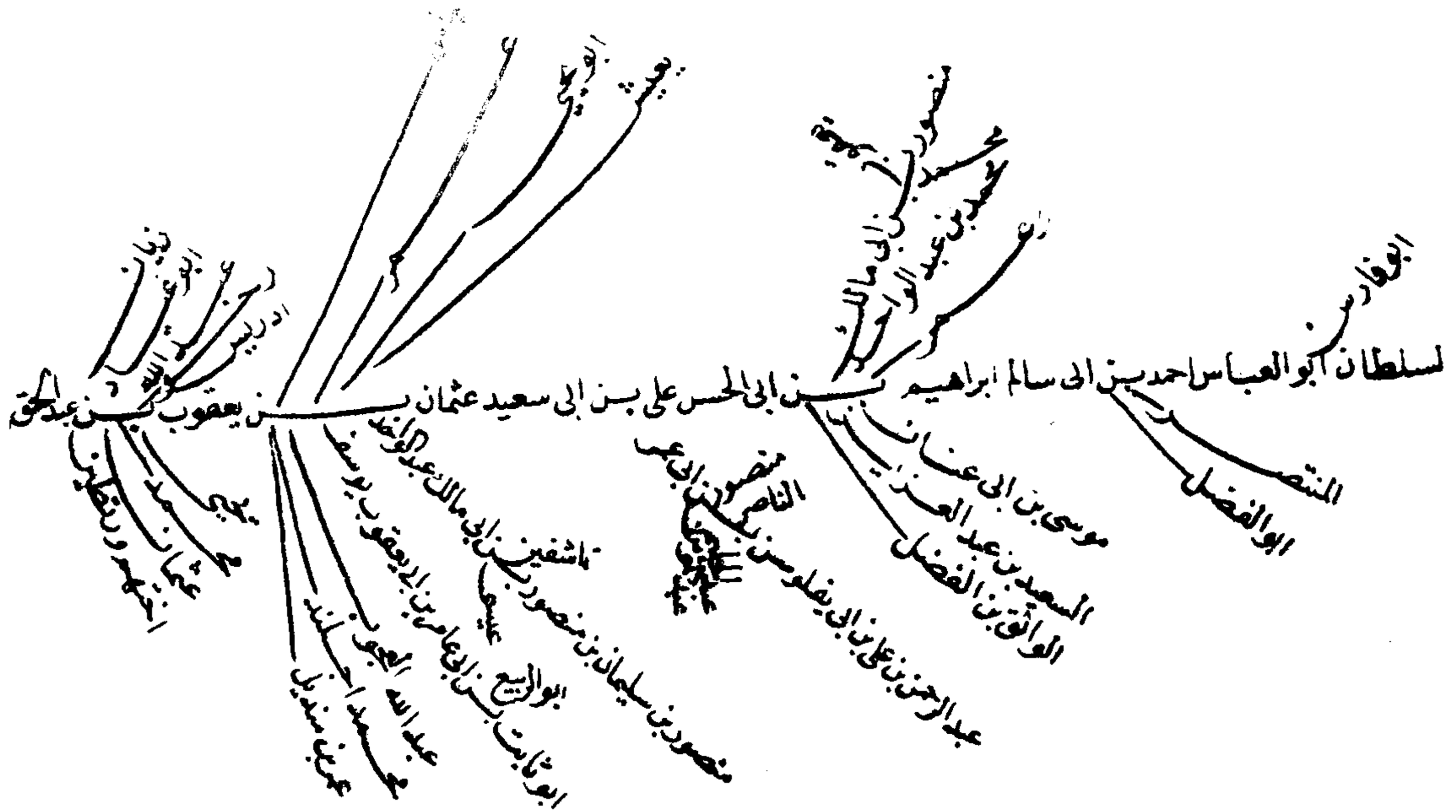
ابو فارس
لسلطان ابو العباس احمد بن ابى سالم ابراهيم
المنتصر
ابو الفضل
ابو عنان
ابو الحسن على بن ابى سعيد عثمان بن يعقوب
موسى بن ابى عنان
السعيد بن عبد العزيز
الواثق بن الفضل
عبد الرحمن بن على بن ابى يفلوسن
الناصر منصور بن ابى العباس
منصور بن سليمان بن ابى مالك عبد الواحد
تاشفين
ابو الربيع
ابو ثابت بن ابى العباس بن ابى يعقوب يوسف
عبد الله المجون
محمد احمد بن
عمر بن مندين
يحيى
عثمان بن محمد
اخوهم ويقال بن عبد الحق

الخبر عن القرابة المرشحين من آل عبد الحق من الغزاة المجاهدين بالاندلس الذين ناسموا ابن الاحمر فى ملكه وانفردوا برياسة جهاده

كانت الجزيرة الاندلسية وراء البحر منذ انقراض أمر بنى عبد المؤمن وقيام ابن الاحمر بأمرها قليلة الحامية ضعيفة الاحوال الامن يلهمه الله لعمل الجهاد من قبائل زناتة المؤتلين كثرة الملك والمقتسمين ممالك المغرب وخصوصا بنى مرين أهل المغرب الاقصى لاتصال عدوة الاندلس ببسائطه ولتعذد الفرائض بحر الزقاق القريب العدوتين ومازال أهل الزقاق على قديم الزمان لاجل ذلك فرضة دون سواحل المغرب (ولما استولى) بنو مرين على ممالكه وضاقت أحوال المسلمين بالاندلس وأخذ بمخنقهم الطاغية حتى ألجأهم الى سيف البحر واستأثر بالقوسرة وماوراءها واستأثر بنو القمص أهل برشلونة وقطلونية بشرق الاندلس وانتشر فى لاقطارها ما كان من أمر قرطبة وأختها اشبيلية وبلنسية وامتعض لذلك المسلمون وتنافسوا فى الجهاد وامداد الاندلس بأموالهم وأنفسهم وسابق الناس الى ذلك الامير أبو زكريا بن أبى حفص بما كان صاحب الوقت والمؤثل للكثرة فاستنفذ الكثير من أمواله ومقرباته فى امدادهم بعدان كانوا آثروا القيام بدعوته وأوفدوا عليه المشيخة ببيعتهم وكان ليعقوب بن عبد الحق أمل فى الجهاد وحرص عليه فاعتز فى سلطان أخيه أبى يحيى على الاجازة لذلك فمنعه ضنة به عن الاغتراب عنه وأوعز الى صاحب سبتة يومئذ أبى على بن خلاص بمنعه منها فوعر له السبيل وسد عليه المذاهب ولم ينشب يعقوب بن عبد الحق أن قام بسلطان المغرب بعد أخيه أبى يحيى وشانه وأهمه شأن ابن أخيه ادريس بن عبد الحق لما كان فيهم من الترشيح والمنافسة لبنيه واستأذنه عامر بن ادريس منهم فى الجهاد بعد العدوة فاغتنمها منه وعقد له من مطوعة زناتة على ثلاثة آلاف أو يزيدون وأجاز معه رحو ابن عمه ابن عبد الله بن عبد الحق وفصلوا الى الاندلس سنة احدى وستين فشفت آثارهم فى الجهاد وكرمت مقاماتهم ثم رجع عامر ابن ادريس الى المغرب وكثر انتقاض القرابة ونافسهم أقيال زناتة فى مثلها فاجتمع أبناء الملوك بالمغرب الاوسط مثل عبد الملك يغمراسن بن زيان وعامر بن منديل بن عبد الرحمن وزيان بن محمد بن عبد القوى فتعاقدوا على الاجازة الى الاندلس الى الجهاد وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة ست وسبعين وستمائة فامتلأت الاندلس بأقيال زناتة وأعيان الملك منهم وكان فيمن أجاز من أعيانهم بنو عيسى بن يحيى بن وسناف بن عبو بن أبى بكر بن حامة ومنهم سليمان وابراهيم وكانت لهما آثار فى الجهاد ومقامات محمودة وكان موسى بن رحو لما نازله السلطان وبنى أبيه عبد الله بن عبد الحق

Marfat.com

بحصن علودان ونزلوا على عهده لحق بتلمسان وكان بنو عبد الله بن عبد الحق وادريس ابن عبد الحق عصبة من بين سائرهم لان عبد الله وادريس كلاهما شقيقين لسوط النساء بنت عبد الحق فاقتفى أبو يعقوب بن عبد الحق بن عبد الله محمدا ابن عمه ادريس وخرج على السلطان بقصر كامة سنة ثلاث وستين ثم استرضاه عمه واستنزله وبقي يعقوب بن عبد الله في انتقاضه يتنقل في الجهات الى أن قتله طلحة بن يحيى من أولياء السلطان سنة ثلاث وستين بجهات سلا فسكن السلطان شأنه ولما كان من عهد السلطان لابنه أبي سالم ما قدمناه نفس عليه هؤلاء القرابة هذا الشأن فانتقضوا ولحق ابن ادريس بحصن علودان ولحق موسى بن رحو بن عبد الله بجبال غمارة ومعه أولاد عمه أبي عباد بن عبد الحق ونازلهم السلطان حتى نزلوا على عهده وأجازهم الى الاندلس سنة سبعين فأقاموا بها للجهاد سوقا ونافسهم أقيال زناتة في مثلها بتلمسان وأجاز منها الى الاندلس سنة سبعين فولاه السلطان ابن الاحمر على جميع الغزاة المجاهدين هنالك لما كان كبيرهم ومحل سؤلهم ولم يلبث ان عاد الى المغرب فولى السلطان مكانه أخاه عبد الحق ثم رجع عنه مغاضبا الى تلمسان فولى مكانه على الغزاة المجاهدين ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن وسناف الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

{ الخبر عن موسى بن رحو فاتح هذه الرياسة بالاندلس وخبر أخيه عبد الحق من بعده وابنه رحو بن عبد الحق بعدهما }

لما هلك السلطان الشيخ بن الاحمر وولى ابنه السلطان الفقيه ووفد على السلطان يعقوب ابن عبد الحق صريخا للمسلمين فأجاز اليه أول اجازته سنة ثلاث وسبعين وأوقع بجيوش النصرانية وقتل الزعيم دنثه واستولى له الغلب على الاندلس ورد الابن الاحمر أمره وخشي مغبته وتوقع أن يكون شأنه معه شأن يوسف بن تاشفين والمرابطين مع ابن عباد وكان بالاندلس قرابته بنو شقيلولة قد قاسموه في ممالكها والقوهم وابو ادي آش ومالقة وقمارش حسبما ذكرناه في أخباره مع السلطان وانتقض عليه أيضا من رؤساء الاندلس ابن عبد ربيل وابن الدليل فكانوا يجلبون على بلاد المسلمين وكانوا قد استنجدوا جيوش النصرانية ونازلوا غرناطة وعاثوا في الجهات فلما استوت قدم السلطان يعقوب بن عبد الحق بالاندلس وصلى هؤلاء الثوار به أيديهم فخشيهم ابن الاحمر جميعا على نفسه فطلب السلطان ليوسف ظهر المجن واستظهر عليه بالاعياص من قرابته وكان من هؤلاء القرابة من أولاد رحو بن عبد الله بن عبد الحق وادريس بن عبد الحق ينسبون جميعا الى سوط النساء كما ذكرناه ومن أولاد أبي عباد بن عبد الحق لما أوجسوا الخيفة من السلطان واستشعروا النكير منه لحقوا بالاندلس توريبة بالجهاد وانتبذوا عن الهول

Marfat.com

فرارا من محله وقد كان السلطان أبو يوسف حين انتقضوا عليه اشخصهم الى الاندلس فاجتمع منهم عند ابن الاحمر عصابة من أولاد عبد الحق كما قلناه وأولاد دوسناف وأولاد برزول وتاشفين بن معطى كبير بنى تيربين من بنى محمد وتبعهم أولاد محلى اخوال السلطان أبي يوسف وكان ابن الاحمر كثيرا ما يعقد لهم على الغزاة المجاهدين من زناتة لدار الحرب فعقد أولا لموسى بن رحو سنة ثلاث وسبعين ولاخيه عبد الحق بعد انصرافه الى المغرب ثم لابراهيم بن عيسى بعد انصرافهما معا كما قلناه ثم رجع فعقد لموسى بن رحو ثانية على أشياخه وأثبت له قدما فى الرياسة ليحسن به دفاع السلطان أبي يوسف عنهم ثم تداولت الامارة فيهم ما بينهم وبين عمر منهم وربما عقد قبل ذلك أزمان الفترة ليعلى بن أبي عياد بن عبد الحق فى بعض الغزوات ولتاشفين بن معطى فى أخرى سنة تسع وسبعين ومعه طلحة بن محلى فاعترضوا الطاغية دون حصر المسلمين وربما كان لهم الظهور ثم حدثت الفتنة بينه وبين السلطان أبي تاشفين وعقد ابن الاحمر فى بعض حروبه معه ليعلى بن أبي عياد على زناتة جميعا وحاشهم الى رايته فانفضت جموع أبي يوسف وظهروا عليه وتقبضوا فى المعركة على ابنه مندل واستاقوه أسيرا الى أن أطلقه السلطان ابن الاحمر فى سلم عقده بعد مهلكه مع أبيه يوسف بن يعقوب واستبد موسى بن رحو من بعدها بامارة الغزاة بالاندلس الى أن هلك فوليها من بعده أخوه عبد الحق الى أن هلك سنة تسع وسبعين وكان مظفر الراية على عدو المسلمين ولما هلك ولى من بعده ابنه حمو بن عبد الحق فكانت هذه الامارة متصلة فى بنى رحو الى أن انتقلت منهم الى اخوانهم من بنى أبي العلاء وغيرهم واندرج حمو فى جملة عثمان ابن ابى العلاء من بعد حسبما نذكر وأما ابراهيم بن عيسى الوسناني فانه رجع الى المغرب ونزل على يوسف بن يعقوب وقتله بمكانه من حصار تلمسان بعد حين من الدهر وبعد أن كبر وعمى والله مالك الامور لارب غيره وكان مهلك ابن أبي عياد سنة سبع وثمانين ومعطى بن أبي تاشفين سنة تسع وثمانين وطلحة بن محلى سنة ست وثمانين والله أعلم

(الخبر عن عبد الحق بن عثمان شيخ الغزاة بالاندلس)

كان عبد الحق هذا من أعيان الملك المريني وهو من ولد محمد بن عبد الحق ثاني الامراء على بنى مرين بعد ابيهم عبد الحق وهلك أبوه عثمان بن محمد بالاندلس احدى أيام الجهاد سنة تسع وسبعين وربي عبد الحق هذا فى حجر السلطان يوسف بن يعقوب الى أن كان من أمر خروجه مع الوزير رحو بن يعقوب على السلطان أبي الربيع ماذكرناه فى أخباره ولحق بتلمسان وأجاز منها الى الاندلس وسلطانه يومئذ أبو الجيوش ابن السلطان

Marfat.com

الفقيه وشيخ زناتة حمو بن عبد الحق بن رحو وخاطبهم السلطان أبو سعيد ملك المغرب
في اعتقاله فاجابوه وفر من محبسه ولحق بدار الحرب ولما انتقض أبو الوليد بن الرئيس
أبي سعيد وبايع لنفسه بمالقة وزحف الى غرناطة فنازلها ووقعت الحرب بظاهرها بين
الفريقين وأخذ في بعض حروبهم ماحمو بن عبد الحق أسيرا وسيق الى السلطان أبي
الوليد وكان معه عمه أبو العباس بن رحو فأبى من اسار بن أخيه وخلا عنه فرجع الى
سلطانه فارتاب به لذلك وعقد على الغزاة مكانه لعبد الحق بن عثمان استدعاه من مكانه
بدار الحرب ثم غلبهم أبو الوليد على غرناطة وتحول أبو الجيوش على وادي آش على سلم
انعقد بينهم وسار معه عبد الحق بن عثمان على شأنه ثم وقعت بينه وبين أبي الجيوش
مغاضبة لحق لاجلها بالطاغية وأجاز الى سبتة فاستظهر به أبو يحيى بن أبي طالب العزفي
أيام حصار السلطان أبي سعيد اياد فكان له في حمايته ثغره والدفاع عنه آثار مذكورة ثم
عقد السلطان أبو سعيد السلم ليحيى العزفي وأفرج عنه فارتحل عبد الحق بن عثمان الى
افريقية ونزل ببجاية سنة تسع عشرة على أبي عبد الرحمن بن عمر صاحب السلطان أبي
يحيى المستبد بالثغور الغربية فأكرم نزله وأوسع قراره وضرب له الفساطيط بالزينة من
ساحة البلد استبلاغا في تكريمه وحمله وأصحابه على مائة وخمسين من الخيل ثم أقدمهم
على السلطان بتونس فبر مقدمهم وخلط عبد الحق بنفسه وآثره بالخلة والصحابة وأجله
بمكان الاستظهار به وبعصابته ولما عقد السلطان لمحمد بن سيد الناس على حجابته سنة
سبع وعشرين واستقدمه لذلك من ثغر بجاية كما ذكرناه عظمت رياسته واستغلظ
حجابه وحجب عبد الحق ذات يوم عن بابه فسخطها وذهب مغاضبا وداخل أبا فارس
في الخروج على أخيه فأجابه وخرج به من تونس فكان من خبره معه ومقتل أبي فارس
وخلوص عبد الحق الى تلمسان ونزوله على أبي تاشفين وغزوه الى افريقية مع عساكر
بني عبد الواد سنة سبع وعشرين ماذكرناه في أخبار الدولة الحفصية ثم لما رجع
بنو عبد الواد الى تلمسان صمد مولانا السلطان أبو يحيى الى تونس في أخريات سنته وفر
ابن أبي عمران السلطان المنصوب بتونس من بني أبي حفص الى أحياء العرب وتقبض
على ابي رزيق ابن أخي عبد الحق بن عثمان في جملة من أصحابه فقتله قعصا بالرماح
ورجع عبد الحق بن عثمان الى مكانه من تلمسان فأقام بمثواه عند أبي تاشفين متبوئا
من الكرامة والاعتزاز الى أن هلك بمهلك أبي تاشفين يوم اقتحم السلطان أبو الحسن
تلمسان عليهم سنة سبع وثلاثين وقتلوا جميعا عند قصر الملك أبو تاشفين وابناء عثمان
ومسعود وحاجبه موسى بن علي ونزل له عبد الحق هذا وأبو ثابت ابن أخيه فقطعت
رؤسهم وتركت اشلاؤهم بساحة القصر عبرة للمعتبرين حسبما ذكرناه في أخبار

Marfat.com

أبي تاشفين والله أعلم

(الخبر عن عثمان بن أبي العلاء من أمراء الغزاة المجاهدين بالاندلس)

كان أولاد سوط النساء من ولد عبد الحق أهل عصابة واعتزاز على قومهم وهم أولاد ادريس وعبد الله ابنيها الشقيقين كما ذكرناه وكان مهلك ادريس الاكبر يوم مهلك أبيه بتافربطت ومهلك عبد الله قبله وخلف عبد الله ثلاثة من الولد شعب فيهم نسله رهم يعقوب ورحو وادريس واستعمل أبو يحيى بن عبد الحق يعقوب منهم على سلا عند افتتاحه اياها سنة تسع وأربعين ثم انتزى بها بعد ذلك على عمه يعقوب سنة ثمان وخمسين وكان من شأن ثورة النصارى به ما ذكرناه واستخلصها يعقوب بن عبد الحق ولحق يعقوب بن عبد الله بعلودان من بلاد غمارة وامتنع بها وخرج على أثره ابنا عمه ادريس وهما عامر ومحمد وانتزوا بالقصر الكبير ولحق بهم كافة أولاد سوط النساء وطالبهم السلطان فلحقوا بجبال غمارة ونازلهم ثم استنزلهم بعد ذلك على الامان وعقد لعامر على الغزو الى الاندلس سنة ستين كما ذكرناه وأجاز معه رحو بن عبد الله ورجع محمد بن عامر وبقي الى تلمسان سنة ثمانين وأجاز منها الى الاندلس ثم خرجوا على السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة تسع وثمانين ومعهم ولد أبي عياد بن عبد الحق واعتصموا بعلودان واستنزلهم السلطان على اللحاق بتلمسان فلحقوا بها وأجاز أولاد سوط النساء وأولاد أبي عياد كافة الى الاندلس واستقروا بها يومئذ ورجع عامر منهم ومحمد وكان من خبره ما نذكر وهلك يعقوب بن عبد الله سنة ثمان وستين في اغترابه بقفوله من رباط الفتح قتله طلحة بن محلى واستقر بنو من أولاد سوط النساء بالمغرب وكان ابنه أبو ثابت أميرا على بلاد السوس أيام السلطان يوسف بن يعقوب وأوقع بالركبة سنة تسع وتسعين ولم يزل بنوه بالمغرب من يومئذ وكان من اخوته أبي العلاء ورحو بن عبد الله بن عبد الحق تشعب نسله فيهما وأجاز رحو الى الاندلس مع عامر ومحمد ابن عمه ادريس ثم أجاز موسى ابنه سنة تسع وتسعين مع أولاد أبي عياد وأولاد سوط النساء ثم رجع الى محله من الدولة وقتئذ سنة خمس وسبعين الى تلمسان وأجاز منها الى الاندلس واستقر بها وأجاز أولاد أبي العلاء سنة خمس وثمانين مع أولاد أبي يحيى بن عبد الحق وأولاد عثمان بن عبد الحق واستقروا بالاندلس وكانوا يرجعون في رياستهم لكبيرهم عبد الله بن أبي العلاء وعقد له ابن الاحمر على الغزاة من زناتة فمن كان يعقد لهم من زناتة قبل استقرار المنصب الى أن هلك شهيدا في احدى غزوات سنة ثلاث وتسعين وعقد المخلوع ابن الاحمر لاخيه عثمان بن أبي العلاء على حامية مالقة وغربيها من الغزاة لنظر ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسمعيل بن يوسف بن نصر ولما غدر الرئيس أبو سعيد ببسطة سنة خمس وثمانين

Marfat.com

فى مثلها الحيلة واضطرمت نار العداوة بينه وبين صاحب الغرب بخبر اغتنام هذا
للامر وأجازوه الى غمارة فثار بها ودعا لنفسه وتغلب على أصيلا والعرائش وكان
ماذكرنا الى أن غلبه أبو الربيع سنة ثمانين ورجع الى مكانه بالاندلس ولما اعتزم
أبو الوليد ابن الرئيس أبى سعيد على الخروج على أبى الجيوش صاحب غرناطة داخل
فى ذلك شيخ الغزاة بمالقة عثمان بن ابى العلا فساعده عليه واعتقل أباه الرئيس
أبا سعيد وزحف الى غرناطة سنة أربع عشرة فلما استولى عليها عقد لعثمان هذا على
امارة الغزاة المجاهدين من زناتة وصرف عنها عثمان بن عبد الحق بن عثمان فلحق
بوادى اش مع أبى الجيوش وصار جمو بن عبد الحق بن رحو فى جملته بعد ان
كان شيخا على الغزاة كما قلناه واستمرت أيام ولاية عثمان هذا وبعد فيها صيته وغص
صاحب المغرب أبو سعيد بمكانه ولما استصرخه المسلمون للجهاد سنة ثمان عشرة اعتذر
بمكان عثمان هذا واشترط عليهم القبض عليه حتى يرجع عنهم فلم يمكن ذلك ونازل
الطاغية غرناطة وحاصرها وكان لعثمان وبنيه فى ذلك آثار مذكورة وأتاح الله
للمسلمين فى النصرانية على يد عثمان هذا وبنيه ما لم يخطر على قلب أحد منهم فتأكد
اغتباط الدولة والمسلمين بمكانهم الى أن هلك أبو الوليد سنة خمس وعشرين وسبعمائة
باغتيال بعض الرؤساء من قرابته بمداخلة عثمان هذا زعموا فى غدره ونصب للامر
ابنه محمد صبيا لم يبلغ الحلم وأقام بأمره وزيره محمد بن المحروق من صنائع دولتهم فاستبد
عليه وألقى زمام الدولة بيد عثمان فى النقض والابرام فاعتز بهم وقاسمهم فى الامر
واستأثر فى أعطيات الغزاة بكثير من أموال الجباية حتى خشى الوزير على الدولة
وأدار الرأى فى كبره على التغلب وفسد ما بينه وبين
الوزير ابن المحروق فانتقض عليه وخرج مغاضبا فاضطربت فاطيطه بمرج غرناطة
واعصوصب جماعة الغزاة من قبائل زناتة عليه واعتصم الوزير وأهل الدولة
بالحمراء وسعى الناس بينهما أياما وأدار الوزير الرأى فى أن ينصب له كفؤا من قرابته
يجاذبه الحبل ويشغله بشأنه عن الدولة فجاء بيحيى بن عمر بن رحو وكان فى جملة عثمان
وأصهر اليه فى ابنته وعقد له على الغزاة وتسايلوا اليه وبرز عثمان بمعسكره فى عشر
وولده وأخذ معه السلم فى أن يجيز الى المغرب وأوفد بطانته على السلطان أبى سعيد
سنة ثمان وعشرين وارتحل من ساحة غرناطة فى ألف فارس من ذويه وأقاربه
وحشمه وقصد تدرش ليجعلها فرضة لمجازه حتى اذا حاذى تدرش وكان بينه وبين
رؤسائها مداخلة خرجوا اليه مؤذنين حتى مبرته فغدر بهم وأركب اليها فملكها
وضبطها وأنزل بها حرمه وأثقاله ودعا محمد بن الرئيس من شلوبانية كان منزلا بها لجفله

Marfat.com

اليه ونصبه للامر وشن الغارات على غرناطة مباحاوصاء واضطرمت نار الفتنة واستركب يحيى بن رحو من قد رعليه من زناتة وطال الحرب سنين حتى اذا فتك السلطان محمد بن الاحمر بوزيره ابن المحروق استدعى عثمان بن أبي العلاء وعقد له السلم على أن يجيز عمه الى المغرب ويلحق بغرناطة لشأنه من رياسة الغزاة فتم ذلك سنة تسع وعشرين ورجع الى مكانه من الدولة وهلك اثر ذلك لسبع وثلاثين سنة من امارته على الغزاة والبقاء لله وحده

(الخبر عن رياسة ابنه أبي ثابت من بعده ومصير أمرهم)

لما هلك شيخ الغزاة ويعقوب زناتة عثمان بن أبي العلاء قام بأمره وقومه ابنه أبو ثابت عامر وعقد السلطان أبو عبد الله بن أبي الوليد له على الغزاة المجاهدين كما كان أبوه فعظم شأنه قوة وشكيمة وكثرة عصابة ونفوذ رأي وبسالة وكان لقومه اعتزاز على الدولة بما عجموا من عودها وكانوا أولي بأس وقوة فيها واستبداد عليها وكان السلطان محمد بن أبي الوليد مستنكفا عن الاستبداد عليه في القل والكثر فكان كثيرا ما يخرقهم بتسفيه آرائهم والتضييق عليهم في جاههم ولما وفد على السلطان أبي الحسن سنة ثنتين وثلاثين صريخا على الطاغية واستعدى ابنه الامير أبا مالك لمنازلة جبل الفتح اتهموه بمداخلة السلطان أبي الحسن في شأنهم فتنكر وأجمعوا القتل به وداخلوا في ذلك بعض صنائعه ممن كان متربصا بالدولة ولما افتتح الجبل وكان من شأنه ما قدمنا ذكره زحف الطاغية فأناخ عليه وقصد ابن الاحمر الطاغية في بنيه راغبا أن يرجع الى الحصن فرجع وافترقت عساكر المسلمين ارتحل السلطان ابن الاحمر الى غرناطة سنة ثلاث وثلاثين وقد قعدوا له بمرصد من طريقه ونمى الخبر اليه فدعا بأسطوله لركوب البحر الى مالقة واستبق اليهم الخبر بذلك فتبادروا اليه ولقوه بطريقه من ساحل اصطبونة فلاحوه وعاتبوه في شأن صنيعته عاصم من معلوجيه وحاجهم عنه فاعتذروا عاصما بالرماح فتنكر ذلك عليهم فألحقوه به وخترصريعا عن مركوبه وبعثوا الى أخيه يوسف فأعطوه بيعتهم وصفقة أيمانهم ورجعوا به الى غرناطة وهو حذر منهم لفعلتهم التي فعلوا واستمرت الحال على ذلك ولما استكمل السلطان أبو الحسن فتح تلمسان وصرف عزائمه الى الجهاد داخل ابن الاحمر في ازاحتهم عن الاندلس مكان جهاده فصادف منه اسعافا وقبولا وتقبض على أبي ثابت واخوته ادريس ومنصور وسلطان وفز أخوهم سليمان فلحق بالطاغية وكان له يوم أثر في الايقاع بالمسلمين ولما تقبض ابن الاحمر على أبي ثابت واخوته أودعهم جميعا المطبق أياما ثم غربهم الى افريقية فنزلوا بتونس على مولانا السلطان أبي يحيى وأوعز اليه السلطان أبو الحسن بالتوثق منهم

Marfat.com

ان يتصلوا بنواحى المغرب ويخالفوه اليها أيام شغله بالجهاد فى الاندلس فاعتقلهم واوفد أبا محمد بن تافراكين الى سدة السلطان أبى الحسن اليه شفيعا فيهم فتقبل شفاعته وأحسن نزلهم وكرامتهم حتى اذا احتل ببسيتة أيام حصار الجزيرة فى سنة ثلاث وأربعين سحى بهم عنده فتقبض عليهم واعتقلهم بمكناسة ولما انتزى ابنه الامير أبو عنان على الامر وهزم منصورا ابن أخيه أبى مالك صاحب فاس ونازله بالبلد الجديد بعث فيهم الى بمكناسة فأطلقهم من الاعتقال وأفاض فيهم الاحسان واستظهر على شأنه وأحل أبا ثابت محل الشورى من مجلسه وداخل ادريس أخاه فى المكر بالبلد الجديد فنزع اليها ومكر بهم وثار عليهم الى أن نزلوا على حكم السلطان أبى عنان فعقد لابى ثابت على سبتة وبلاد الريف ليشارف منها الاندلس محل امارته وأطلق يده فى المال والجيش وفصل لذلك فهلك بالطاعون يومئذ سنة تسع وأربعين عسكره ازاء معسكر السلطان من حصار البلد الجديد واستقر اخوانه فى ايالة السلطان أبى عنان بالمغرب الاقصى الى أن كان من مفر أخيه ادريس وولايته على الغزاة بالاندلس ماذكر ان شاء الله تعالى

{الخبر عن يحيى بن عمر بن رحو وامارته على الغزاة بالاندلس أولا وثانيا ومبدا ذلك وتصاريفه}

كان رحو بن عبد الله كبير ولد عبد الله بن عبد الحق وكان له بنون كثيرون وتشعب نسلهم منهم مومى وعبد الحق والعباس وعمرو محمد وعلى ويوسف أجازوا كلهم الى الاندلس مع أولاد سوط النساء من تلمسان كما قدمناه وأقام عمر بعدهم بتلمسان مدة واتخذ بها الاهل والولد ثم لحقهم وولى موسى امارة الغزاة بعد ابراهيم بن عيسى الوسناني وبعده أخوه عبد الحق على الغزاة أقام بها مدة وأجاز الى بسيتة مع الرئيس أبى سعيد وعثمان بن أبى العلاء سنة خمس وولى بعدها على الغزاة المجاهدين ثم رجع الى الاندلس ولم يلبث بها أن اجاز الى المغرب ونزل على السلطان أبى سعيد فأكرم نزله ثم رجع الى الاندلس ولما ولى امارة الغزاة عثمان بن أبى العلاء وكان بينهم من المنافسة ما يكون بين فحول الشول أشخص بنى رحو جميعا الى افريقية فنزلوا على مولانا السلطان أبى يحيى خير نزل اصطناهم واستخلصهم واستظهر جمعهم فى حروبه وهلك عمر بن رحو ببلاد الجريد وقبره بشرى من نفزاوة معروف ونزع ابنه يحيى من بين اخوته عن مولانا السلطان أبى يحيى وصار فى جملة ابن أبى عمران ثم لحق بزواوة وأقام فى بنى يترات سنين ثم أجاز الى الاندلس واستقر بمكانه من قومه واصطفاه عثمان بن أبى العلاء وأصهر اليه بابنته وخلطه بنفسه ولما فسد ما بينه وبين ابن المحروق وزير السلطان بغرناطة سنة

Marfat.com

سبع وعشرين وستمائة فعسكر من مرج غرناطة متوجها اليه يوم عيد
ابن الحروق الى يحيى هذا ودعاه الى مكان عمله ليضبطه بذلك فأجاب ونزع عن عثمان
وخلعه الى ابن الحروق وسلطانه وعقد له على الغزاة فتسابقوا اليه عن عثمان وانصرف
الى المدينة وكان من شأنه ما قدمناه في أخباره وأقام يحيى بن عمر في رياسته الى أن هلك
ابن الحروق بفتكة سلطانه واستدعى عثمان بن أبي العلاء للرياسة فرجع اليها وصرف
يحيى بن عمر الى وادي آش وعقد له على الغزاة بها فأقام حينا ثم رجع الى مكانه بين
قومه واصطفاه عثمان بن أبي العلاء وابنه أبا ثابت لما كانت أمه بنت موسى بن زحو
فكان يحسن خلوته فيه ثم هلك عثمان وسكان ما قدمناه من شأن ولده وفتكهم
بالسلطان الخلوع وتغلبهم أخوهم أبو الحجاج عليهم وأخلصهم الى افريقية وقوض
مبانى رياستهم وعقد على الغزاة مكانهم ليحيى بن عمر هذا فاضطلع بها أحسن اضطلاع
واستقرت حاله وحضر مشاهد أبي الحجاج مع السلطان أبي الحسن فظهرت كفايته وغناؤه
ولما هلك أبو الحجاج سنة خمس وخمسين طمعنا بصلى العيد في آخر جمعة من صلاته
يد عبد من عبيد اصطبل مصاب في عقله أغرى زعموا به وقتل لحينه هبرا بالسيوف
وبويع لابنه محمد أخذ له البيعة على الناس يومئذ مولاه رضوان من معلوجاتهم
صاحب أبيه وعمه وقام بأمره واستبد عليه وحجره فتقاسم يحيى بن عمر هذا في شأنه وشاركه
في أمره وشد أزر سلطانه حتى اذا ثار بالحمراء الرئيس ابن عمهم محمد بن اسمعيل بن
الرئيس أبي سعيد فاتحا بدعوة اسمعيل بن أبي الحجاج أخي السلطان محمد كان ساكنا
بالحمراء وتحيزوا لذلك مغيب السلطان في متنزهه بروضة غارج الحمراء فألقوه اليها
وكبسوها ليلا فقتلوا الحاجب المستبد رضوان وأجلس السلطان على سرير ملكه
ونادوا بالناس الى بيعته ولما أصبح غدا عليهم يحيى بن عمر بعد أن يئسوا منه وخشوا
عاديته فأتاهم ببيعته وأعطى عليها صفقته وانصرف الى منزله وبعد استيلائهم
استخلصوا ادريس بن عثمان بن أبي العلاء كان وصل اليهم من دار الحرب برشلونة
كما ذكرناه وولوه امارة الغزاة واتفقوا في التقبض على يحيى بن عمر ونذر بذلك فركب في
حاشيته يوم دار الحرب من أرض الجلالقة واتبعه ادريس فيمن اليه من قومه فقاتلهم
صدر نهاره وفض جموعهم ثم خلص الى تخوم النصرانية ولحق منها بسدة ملك المغرب
ابن سلطانه الخلوع محمد بن أبي الحجاج وخلف ابنه أبا سعيد عثمان بدار الحرب ونزل
يومئذ على السلطان أبي سالم سنة احدى وستين فأكرم مثواه وأحله من مجلسه محل
الشورى والمؤامرة واستقر في جملته الى أن بعث ملك قشتالة في السلطان الخلوع
بإثارة ابنه أبي سعيد وسعايته في ذلك ليجلب به على أهل الاندلس بما نقضوا من عهده

Marfat.com

وجهزه السلطان أبو سالم سنة ثلاث وستين فحصبه يحيى بن عمر هذا واقتحم ابنه ومحمد
محنان وقاموا بأمر سلطانهم واستولى على الاندلس وكان لهم آثار في ذلك ولما استولى
على غرناطة سنة ثلاث وستين عقد ليحيى بن عمر على امارة الغزاة كما كان وأعلى يده
واستخلص عثمان لشوراه وخلطه ببطانته وناهسه الوزير يومئذ محمد بن الخطيب فحمى
فيهم وأغرى السلطان بهم فتقبض عليهم سنة أربع وستين وأودعهم المطبق ثم أشخص
يحيى سنة ست وستين الى المشرق وركب السفن من لمدية فنزل بالاسكندرية ورجع منها
الى المغرب ونزل على عمر بن عبد الله أيام استبداده واستقر في كرامة وخير مقامة ولم يزل
بالمغرب على أعز الاحوال الى أن هلك سنة ثنتين وثمانين ثم استخلص ابنه أبا سعيد عثمان
من الاعتقال سنة تسع وستين الى افريقية ونزل ببجاية على مولانا السلطان أبي
العباس حافد مولانا السلطان أبي يحيى واستقر في جملته وحضر معه فتح تونس وأبلى فيه
وأقطع له السلطان وأسنى له الجرايه وخلطه بنفسه واصطفاه لشوراه وخلته وهو لهذا
العهد من عظماء مجلسه وظهرائه في مقامات حروبه واخوته بالاندلس على مراكز
عزهم وفي ظلال عصبيتهم مع قومهم وقد ذهب مواجد السلطان بالاندلس عليهم وصار
الى حبل رأيه منهم والله مالك الملك ومقلب القلوب لا رب غيره

(الخبر عن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء وامارته بالاندلس ومصاير أمره)

لما هلك أبو ثابت بن عثمان بن أبي العلاء سنة خمسين وسبعمائة واستقر اخوته في جملة
السلطان أبي عنان ملك المغرب وأقطعهم وأسنى جراياتهم وكان في ادريس منهم بقية
الترشيح براه الناس به فلما نهض السلطان الى فتح قسنطينة سنة ثمان وخمسين توغل
في ديار افريقية وخام قومه عن مواقفها تحيلوا عليه في الرجوع به عن قصده منها
وأذنت المشيخة لمن معهم من قومهم في الانطلاق الى المغرب حتى خف المعسكر من أهله
وتآمروا زعموا في اغتيال السلطان والاداله منه بادريس هذا ونذر بذلك فكر راجعا
كما ذكرناه في أخباره ولما أشيع ذلك ركب ادريس ظهر الغدر وفر من المعسكر
ليلا ولحق بتونس ونزل على القائم بالدولة يومئذ الحاجب أبي محمد بن تافراكين فنزل
بأبره وركب السفين من تونس الى العدوة فنزل على ابن القصص صاحب برشلونة
في حشمه وذويه وأقام هنالك الى ان كان من مهلك رضوان الحاجب المستبد بالدولة
سنة ستين ما قدمناه فنزع الى صنيعته من غرناطة ونزل على اسمعيل ابن السلطان أبي الحجاج
والقائم بدولته يومئذ الرئيس محمد ابن عمه اسمعيل بن محمد الرئيس أبي سعيد فقوموه مرة
وتكريما وراجوه بالاداله منه من يحيى بن عمر أمير الغزاة يومئذ لما كانوا يتهمونه به من
مما لاة الخلوع صاحب الامر عليهم ولما نزع يحيى بن عمر الى الطاغية ولحق بدار الحرب

Marfat.com

سنة احدى وستين عقد والادريس بن عثمان هذا على الغزاة مكانه وولوه خطة أبيه
وأطعمه بدولتهم فاضطلع بها ومالأ الرئيس محمدا على قتل سلطانه اسمعيل بن الحجاج
واستبد بالامر واستتبع من ولايته غلبه المخلوع أبو عبد الله على الامر وزحف اليه من
رندة كان نزل بها بعد خروجه من دار الحرب مغاضبا للطاغية وأذن له وزير المغرب
عمر بن عبد الله فى نزولها فنزلها ثم زحف الى الثائر بغرناطة على ملكهم الرئيس
وحاشيته فأجفلوا ولحق الرئيس محمد بن ادريس هذا بقشتالة ونزلوا فى جملتهم وحاشيتهم
على الطاغية فتقبض عليهم وقتل الرئيس محمد وحاشيته جزاء بما أتوه من غدر رضوان
ثم غدر السلطان اسمعيل من بعده وأودع ادريس ومن معه من الغزاة السجن باشبيلية
فلم يزل فى أسره الى أن تحيل فى الفرار بمداخلة مسلم من الاسرى أعمله فرسا ازاء معتقله
ففك قيده ونقب البيت وامتطى فرسه ولحق بأرض المسلمين سنة ست وستين واتبعوه
فأعجزهم وجاء الى السلطان أبى عبد الله محمد المخلوع فأكرم نزله وأحسن مبرته ثم
استأذنه فى اللحاق بالمغرب فأذن له وأجاز الى سبتة وبلغ شأنه الى صاحب الامر
بالمغرب يومئذ عمر بن عبد الله فأوعز الى صاحب سبتة بالتقبض عليه لمكان ترشيحه
وأودعه السجن بمكناسة ثم نقله السلطان عبد العزيز الى سجن الغدر بفاس ثم قتلوه
خنقا سنة سبعين والله وارث الارض ومن عليها

(الخبر عن امارة على بن بدر الدين على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره)

قد ذكرنا ان موسى بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق كان أجاز الى الاندلس مع محمد
وعامر ابنى ادريس بن عبد الحق وقومهم أولاد سوط أ النساء سنة تسع وستين ثم رجع
الى المغرب وفز الى تلمسان وأجازمنها الى الاندلس وولى امارة الغزاة بها الى أن
هلك بعد أن أصهر اليه السلطان يوسف بن يعقوب فى ابنته فعقد له عليها وزفها اليه
سنة تسع وسبعين مع وفد من قومها وكان لموسى بن رحو من الولد جماعة أكبرهم
المحمدان جمال الدين وبدر الدين وضع عليهما هذين اللقبين على طريقة أهل المشرق
الشريف المكى الوافد على المغرب اذلك العهد من شرفاء مكة وكان هؤلاء الاعياص
من ملوكهم وقيالهم يعظمون أهل البيت النبوى ويلتمسون الدعاء والبركة منهم
فيما يتسمر من أحوالهم فحمل موسى بن رحو ولديه هذين عند وضعهما الى الشريف
يحنكهما ويدعو لهما فقال له الشريف خذا ليك جمال الدين وقال فى الآخر خذ
اليك بدر الدين فاستحب موسى دعاءهما بهذين اللقبين تبركا بتسمية الشريف بهما
فاشتهرا بهذين الاسمين ولما بلغا الاشد وشاركا أباهما فى حمل الرياسة وكان من
مهلكه ما ذكرناه وانحرفت رياسة الغزاة عنهما الى عمهما عبد الحق وابنه فلحق جمال

Marfat.com

الدين منهما بالطاغية سنة ثلاث ثم أجاز البحر من قرطاجنة الى السلطان يوسف ابن يعقوب من معسكره من حصار تلمسان واستقر فى جملته حتى اذا هلك السلطان تصدى ابنه أبو سالم للقيام بأمره وكان مغلبا منعما فلم يتم أمره وتناول الملك أبو ثابت حافد السلطان واستولى عليه وفر أبو سالم عشى مهلكه ومعه من القرابة جمال الدين هذا وأعمامه العباس وعيسى ولى بنو رحو بن عبد الله فتقبض عليهم فى طريقهم بمدينة وسبقوا الى السلطان أبى ثابت فقتل عمه أبا سالم وجمال الدين ابن موسى بن رحو وامتن على الباقين واستحياهم وانصرف السلطان بعدها الى الاندلس فكانت له فى الجهاد آثار كما ذكرناه قبل وأما بدر الدين فلم يزل بالاندلس مع قومه ومحله من الرياسة والتجلة محله من النسب الى أن هلك فقام بأمره من بعده ابنه على بن بدر الدين مزاحما القوده فى الرياسة مباهيا فى الترشيح وكان كثيرا ما يعقد له ملوك بنى الاحمر على الغزاة من زناتة المرابطين بالثغور فيما بعد عن الحضرة من قواعد الاندلس مثل مالقة والمرية ووادى آش سبيل المرشحين من أهل بيته وكانت امارة الغزاة بالاندلس مستأثرة بأمر السيف متاسمة للسلطان أكثر الجباية فى الاعطية والارزاق لما كانت الحاجة اليهم فى مدافعة العدو ومقارعة ملك المغرب الى ملك الاندلس يغضون لهم عن استطالتهم عليهم لمكان حاجتهم الى دفاع العدوين حتى اذا سكن ريح الطاغية بما كان من شغله بفتنة أهل دينه منذ منتصف هذه المائة وشغل بنو مرين أيدينا بعد مهلك السلطان أبى الحسن وتناسوا عهد الغلب على أقطارهم وجيرانهم وتناسوا عهد ذلك أجمع فاعتزم صاحب الاندلس على محو هذه الخطة من دولته وأغراه بذلك وزيره ابن الخطيب كما ذكرناه حرصا على خلاء الجو له فتقبض على يحيى ابن عمرو بنيه سنة أربع وستين كما ذكرناه وعقد على الغزاة المجاهدين لابنه ولى عهده الامير يوسف ومحاربهم الخطة لبنى مرين بالجملة الى أن توهم فناء الحامية منهم بفناء بيوت العصبية الكبرى فراجع رأيه فى ذلك وكان على بن بدر الدين خالصة له وكان مقدما على الغزاة بوادى آش ولما لحق السلطان به ناجيا من النكبة له مهلك رضوان مانع دونه وظاهره على أمره حتى اذا ارتحل الى المغرب ارتحل معه ونزلوا جميعا على السلطان أبى سالم سنة احدى وستين كما ذكرناه ولما رجع الى الاندلس رجع فى جملته فكان له بذلك عهد وذمة رعاهما السلطان له وكان يستخلصه ويناجيه فلما تفقد مكان الامير على الغزاة ونظر من يوليه عثر اختياره على هذا السابقته ووسائله وما تولاه من نصحه ووقوفه عند حده فعقد له سنة سبع وستين على الغزاة كما كان أولا وقام بها واضطلع بأمورها واستمرت حاله الى أن هلك حتف أنفه سنة ثمان وستين ويبقى وجه

Marfat.com

الخبر عن امارة عبد الرحمن بن على أبى يفلوسن ابن السلطان أبى على على الغزاة بالاندلس ومصاير أمره

كان أولاد السلطان أبى على قد أجازوا الى ان طلب الامر وكان من أمرهم ما نشرحناه الى أن أجاز عبد الرحمن هذا مع وزيره المصادر به مسعود بن رحو بن ماسى سنة ست وستين من عساسة على سلم عقده لهم وزير المغرب المستبد بأمره يومئذ عمر بن عبد الله ونزل عبد الرحمن هذا بالمنكب وكان السلطان يومئذ معسكرا بها فتلقاه من البر بما يناسبه وأكرم مثواه وأسنى الجراية له ولوزيره ولحاشيته واستقروا فى جملة الغزاة المجاهدين حتى اذا هلك على بن بدر الدين سنة ثمان وستين نظر السلطان فيمن يوليه أمرهم فعثر اختياره على عبد الرحمن هذا لما عرف به من السالة والاقدام ولقرب الرشائح بينه وبين ملك المغرب يومئذ التى هى ملاك الترشيح لهذه الخطة بالاندلس كما قدمناه لما كانت رشائح ولد عبد الله بن عبد الحق قد بعدت باتصال الملك فى عمود نسب صاحب المغرب دون نسبهم فآثره صاحب الاندلس بها وعقد له على الغزاة المجاهدين سنة ثمان وستين وأضفى عليه لبوس الكرامة والتجلة وأقعده بمجلس الموازرة كما كان الامراء قبله واتصل الخبر بسلطان المغرب يومئذ عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن فغص بمكانه وتوهم أن هذه الامارة زيادة فى ترشيحه ووسيلة لملكه وكانت لوزير الاندلس محمد بن الخطيب مداخلة مع صاحب المغرب بما أمل أن يجعله فئة لاعتصامه فأوعز اليه بالتحيل على افساد ما بينه وبين صاحب الاندلس فجهد فى ذلك جهده ونسب عليه وعلى وزيره مسعود بن ماسى الى عظماء القبيل وبعض البطانة من أهل الدولة التحسب والدعوة الى الخروج على صاحب المغرب فأحضرهم السلطان ابن الاحمر وأعطاهم كتابهم فشهد عليهم وأمر بهم فاعتقلوا فى المطبق سنة سبعين واستدنى صاحب المغرب بفعلته فيهم ونزع الوزير ابن الخطيب بعد ذلك الى السلطان عبد العزيز وتبين للسلطان مكره واحتياله عليه فى شانهم ولما هلك عبد العزيز وأظله الجو بين صاحب الاندلس وبين القائم بالدولة أبى بكر بن غازى وامتعض ابن الاحمر للمسلمين من الفوضى اطلق عبد الرحمن بن أبى يفلوسن ووزيره مسعود بن ماسى من الاعتقال وجهزلهما الاسطول فأجازوا فيه الى المغرب ونزلوا بمرسى عساسة على بطوية واعمالنفسه فقاموا بأمره وكان من شأنه مع الوزير أبى بكر بن غازى ما قصصناه واستقر آخرا بمراكش وتقاسم ممالك المغرب وأعماله مع السلطان أبى العباس احمد بن أبى سالم صاحب المغرب لهذا العهد وصار التخم بينهما وادى ملوية وقف كل واحد

Marfat.com

منهما عند حدثه وأغفل صاحب الاندلس هذه الخطة من دولته ومحارسمها من ملكه وصار أمر الغزاة المجاهدين اليه وباشر أحوالهم بنفسه وعمهم بنظره وخص القرابة المرشحين منهم بمزيد تكرمته وعنايته والامر على ذلك لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين والله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء لارب غيره ولامعبود سواه

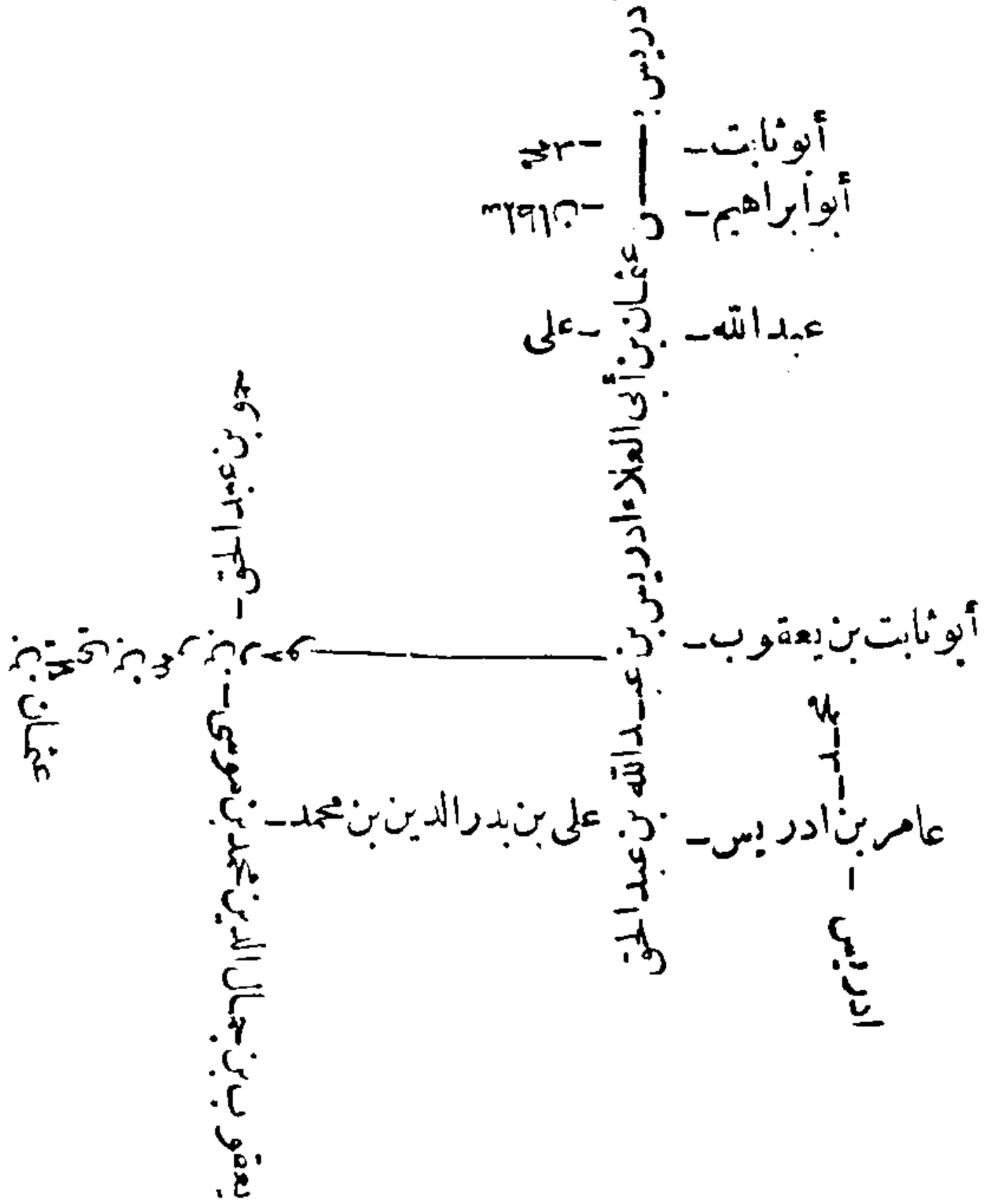

(التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب)

أصل هذا البيت من اشبيلية انتقل عند الجلاء وغلب ملك الجلالقة ابن أدفونش عليها الى تونس في اواسط المائة السابعة *(نسبه)* عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون هذا الأذكر من نسبي الى خلدون غير هذه العشرة ويغلب على الظن أنهم أكثر وانه سقط مثلهم عددا الان خلدون هذا هو الداخل الى الاندلس فان كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة فيكونون زهاء العشرين ثلاثة لكل مائة كما تقدم في أول الكتاب الاول

Marfat.com

ونسبتها في حضرموت من عرب اليمن الى وائل بن حجر من أقيال العرب معروف وله صحبة قال أبو محمد بن حزم في كتاب الجمهرة هو وائل بن حجر بن سعد بن مسروق بن وائل ابن النعمان بن ربيعة بن الحرث بن عوف بن عدي بن مالك بن شرحبيل بن الحرث ابن مالك بن مرة بن حمير بن زيد بن الحضرمي بن عمر بن عبد الله بن عوف بن جردم بن جرسم ابن عبد شمس بن زيد بن لوذي بن ثبت بن قداسة بن أعجب بن مالك بن لوذي بن قحطان وابنه علقمة بن وائل وعبد الجبار بن علقمة بن وائل وذكره أبو عمر بن عبد البر في حرف الواو من الاستيعاب وأنه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط له رداءه وأجلسه عليه وقال اللهم بارك في وائل بن حجر وولده وولد ولده الى يوم القيامة وبعث معاوية بن أبي سفيان الى قومه يعلمهم الاسلام والقرآن فكان له بذلك صحابة مع معاوية ووفد عليه لاول خلافته فأجازه مفرد عليه جائزته ولم يقبلها ولما كانت وقعة حجر بن عدي بالكوفة جمع رؤس أهل اليمن فيهم وائل هذا فكانوا مع زياد بن أبي سفيان عليه حتى أوثقوه وجاؤا به الى معاوية فقتله كما هو معروف وقال ابن حزم ويذكر بنو خلدون الاشبيليون من ولده جدهم الداخل من المشرق خالدا المعروف بخلدون بن عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريت بن معديكرب بن الحرث بن وائل بن حجر قال ابن حزم وأخوه محمد كان من عقبه أبو العاصي عمرو بن محمد بن خالد بن محمد بن خلدون وترك أبو العاصي محمدا وأحمد وعبد الله قال وأخوهم عثمان له عقب ومنهم الحكيم المشهور بالاندلس تلميذ مسلمة المجريطي وهو أبو مسلم عمر بن محمد بن تقي بن عبد الله بن أبي بكر بن خالد بن عثمان بن خلدون الداخل وابن عمه أحمد بن محمد بن عبد الله قال ولم يبق من ولد كريت الرئيس المذكور الا أبو الفضل بن محمد بن خلف بن أحمد بن عبد الله بن كريت انتهى كلام ابن حزم (سلفه بالاندلس) ولما دخل خلدون بن عثمان جدنا الى الاندلس نزل بقرمونة في رهط من قومه حضرموت ونشأ بيت بنيه بها ثم انتقل الى اشبيلية وكانوا في جند اليمن وكان لكريت من عقبه وأخيه خالد الثورة المعروفة باشبيلية أيام الامير عبد الله المرواني ثار على أبي عبدة وملكها من يده أعواما ثم ثار عليه عبد الله بن حجاج بامداء الامير عبد الله وقتله وذلك في أواخر المائة الثالثة (وتلخيص الخبر عن ثورته) ما نقله ابن سعيد عن الحجازي وابن حيان وغيرهما وينقلونه عن ابن الاشعث مؤرخ الاشبيلية أن الاندلس لما اضطرمت بالفتن أيام الامير عبد الله تطاول رؤساء اشبيلية الى الثورة والاستبداد وكان رؤساؤها المتطاولون الى ذلك في ثلاثة بيوت بيت أبي عبدة وبيت بسطهم ومنذ أمية بن عبد الغافر بن أبي عبيدة وكان عبد الرحمن الداخل ولى اشبيلية وأعمالها أبا عبدة وكان حاقده أمية من أعلام الدولة بقرطبة ويولونه الممالك الفخمة

Marfat.com

و بيت بنى خلدون ورئيسهم كريت المذكور ويردفه خالد أخوه قال ابن حيان و بيت بنى خلدون الى الآن فى اشبيلية نهاية فى النباهة ولم تزل أعلامه بين رياسة سلطانية ورياسة علمية ثم بيت بنى حجاج ورئيسهم يومئذ عبد الله قال ابن حيان هو من نلحم وبيتهم الى الآن فى اشبيلية ثابت الاصل نابت الفرع موسوم بالرياسة السلطانية والعلمية فلما عظمت الفتنة بالاندلس أعوام الثمانين ومائتين وكان الامير عبد الله قد ولى على اشبيلية أمية بن عبد الغافر وبعث معه ابنه محمدا و جعله فى كفالته فاجتمع هؤلاء النفر وثاروا بمحمد ابن الامير عبد الله و بأمية صاحبهم وهو يمانعهم على ذلك ويكيد ابن الامير عبد الله و حاصروه حتى طلب منهم اللحاق بأبيه فأخرجوه واستبد أمية باشبيلية ودس على عبد الله بن حجاج من قتله وأقام أخاه ابراهيم مكانه وضبط اشبيلية واستوهن أولاد بنى خلدون وبنى حجاج ثم ثاروا به وهم بقتل أبنائهم فراجعوا طاعته وحلفوا له فأطلق أبناءهم فانتقض ثانية وحاربوه فاستماتوا وقتل حرمه وعقر خيوله وأحرق موجوده وقاتلهم حتى قتلوه مقبلا غير مدبر وعاثت العامة فى رأسه وكتبوا الى الامير عبد الله بأنه خلع فقتلوه فقبل منهم مداراة وبعث عليهم هشام بن عبد الرحمن من قرابته فاستبدوا عليه وفكروا بأنه وتولى كبر ذلك كريت بن خلدون واستقل بامارتها وكان ابراهيم بن حجاج بعد ما قتل أخوه عبد الله على ما ذكره ابن سعيد عن الحجازى سمت نفسه الى التفرد فصاهر ابن حفصون أعظم ثوار الاندلس يومئذ وكان بمالقة وأعمالها الى رندة فكان له منه ردء ثم انصرف الى مداراة كريت بن خلدون وملابسته فردفه فى أمره وأشركه فى سلطانه وكان فى كريت تحامل على الرعية وتعصيب فكان يتجهم لهم و يغلظ عليهم وابن حجاج يسلك بهم الرفق والتلطف فى الشفقة بهم عنده فانحرفوا عن كريت الى ابراهيم ثم دس الى الامير عبد الله يطلب منه الكتاب بولاية اشبيلية ليسكن اليه العامة فكتب اليه العهد بذلك وأطلع عليه عرفاء البلد مع ما أشربوا من حبه والنفرة عن كريت ثم أجمع الثورة وهاجت العامة بكريت فقتلوه وبعث برأسه الى الامير عبد الله واستقر بامارة اشبيلية قال ابن حيان وحصن مدينة قرمونة من أعظم معاقل الاندلس وجعلها مرتبط الخيل وكان ينتقل بينها و بين اشبيلية واتخذ الجند ورتبهم طبقات وكان يصانع الامير عبد الله بالاموال والهدايا و بعث اليه المدد فى الطوائف وكان مقصودا ممدحا قصده أهل البيوتات فوصلهم ومدحه الشعراء ومدحه أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد وقصده من بين سائر الثوار فعرف حقه وأعظم جائزته ولم يزل بيت بنى خلدون باشبيلية كما ذكره ابن حيان وابن حزم وغيرهما سائر أيام بنى أمية الى زمان الطوائف وأتيحت عنهم الامارة بما ذهب لهم من الشوكة والغلب ابن عباد على

Marfat.com

اشبيلية واستبد على أهلها استوزر من بنى خلدون هؤلاء واستعملهم فى رتب دولته وحضروا معه وقعة الجلاقة كانت لابن عباد وليوسف بن تاشفين على ملوك الجلاقة فاستشهد فيها طائفة من بنى خلدون هؤلاء فى الجولة مع ابن عباد فاستلحموا فى ذلك الموقف بما كان الظهور للمسلمين ونصرهم الله على عدوهم ثم تغلب يوسف بن تاشفين والمرابطون على الاندلس واضمحلت قبائل العرب وفنيت قبائلهم * (سلفه بافريقية) * ولما استولى الموحدون على الاندلس وملكوها من يد المرابطين وكان ملوكهم عبد المؤمن وبنيه وكان الشيخ أبو حفص كبير هنتاتة زعيم دولتهم وولوه على اشبيلية وغرب الاندلس مرارا ثم ولوا ابنه عبد الواحد عليها فى بعض أيامهم ثم ابنه أبا زكريا كذلك فكان لسلفنا باشبيلية اتصال بهم وأهدى بعض أجدادنا من قبل الامهات ويعرف بالمحتسب للامير أبى زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص أيام ولايته عليهم جارية من سبى الجلالقة اتخذها أم ولد وكان له منها ابنه أبو زكريا يحيى ولى عهده الهالك فى أيامه وأخواه عمر وأبو بكر وكانت تلقب أم الخلفاء ثم انتقل الامير أبو زكريا الى ولاية افريقية سنة عشرين وستمائة ودعا لنفسه بها وخلع دعوة بنى عبد المؤمن سنة خمس وعشرين واستبد بافريقية وانتقضت دولة الموحدين بالاندلس وثار عليهم ابن هود ثم هلك واضطربت الاندلس وتكالبت الطاغية عليها وتردد الغزو الى الفرنتيرة بسيط قرطبة واشبيلية الى جيان وثار ابن الاحمر من غرب الاندلس من حصن أرجونة يرجو التمالك بما بقى من الاندلس وفاوض أهل الشورى يومئذ باشبيلية وهم بنو الباجى وبنو الجد وبنو الوزير وبنو سيد الناس وبنو خلدون وداخلهم فى الثورة على ابن هود وأن يتجافوا عن الطاغية عن الفرنتيرة ويتمسكوا بالجبال الساحلية وأمصارها المتوعرة من مالقة الى غرناطة الى المرية فلم يوافقوه على بلادهم وكان مقدمهم أبو مروان الباجى فنابذهم ابن الاحمر وخلع طاعة الباجى وبايع مرة لابن هود ومرة لصاحب مراكش من بنى عبد المؤمن ومرة للامير أبى زكريا صاحب افريقية ونازل غرناطة واتخذها دار ملكه وبقيت الفرنتيرة وأمصارها ضاحية من ظل الملك فخشى بنو خلدون سوء العاقبة من الطاغية وارتحلوا من اشبيلية ونزلوا سبتة وأجلب الطاغية على تلك الثغور فملك قرطبة واشبيلية وقرمونة وجيان وما اليها فى مدة عشرين سنة ولما نزل بنو خلدون بسبتة أصهر اليهم العزفى بابنائه وبناته فاختلط بهم وكان له معهم صهر مذكور وكان جدنا الحسن بن محمد وهو سبط ابن المحتسب قد أجاز فيمن أجاز اليهم فذكروا سوابق سلفه عند الامير أبى زكريا فقصده وقدم عليه فأكرم قدومه وارتحل الى المشرق فقضى فرضه ثم رجع ولحق بالامير ابى زكريا على بونة فاكرمه واستقر فى ظل دولته ومرعى

Marfat.com

نعمته وفرض له الارزاق وأقطع الاقطاع وهلك هنالك فدفن ببونة سنة سبع وأربعين وولى ابنه المستنصر محمد فأجرى جدنا أبا بكر على ما كان لابيه ثم ضرب الدهر ضربانه وهلك المستنصر سنة خمس وسبعين وولى ابنه يحيى وجاء أخوه الامير أبو اسحق من الاندلس بعد أن كان فر اليها امام أخيه المستنصر فخلع يحيى واستقل هو بملك افريقية ودفع جدنا أبا بكر محمدا على عمل الاشغال فى الدولة على سنن عظماء الدولة الموحدين فيها قبله من الانفراد بولاية العمال وعزلهم وحسبانهم على الجباية فاضطلع بتلك الرتبة ثم عقد السلطان أبو اسحق لابنه محمد وهو جدنا الاقرب على بجاية ولى عهده ابنه أبى فارس أيام أن اقصاه الى بجاية ثم استعفى جدنا من ذلك فأعفاه ورجع الى الحضرة ولما غلب الدعى بن أبى عمارة على ملكهم بتونس اعتقل جدنا أبا بكر محمدا وصادره على الاموال ثم قتله خنقا فى محبسه وذهب ابنه محمد جدنا الاقرب مع السلطان أبى اسحق وأبنائه الى بجاية فتقبض عليه ابنه أبو فارس وخرج مع العساكر هو واخوته لمدافعة الدعى بن أبى عمارة وهو يشبه بالفضل بن المخلوع حتى اذا استلحموا عرمارجنة خلص جدنا محمد مع أبى حفص ابن الامير أبى زكريا من الملحمة ومعهما الغازى وأبو الحسن ابن سيد الناس فاستكف من ايثار الغازى ولما استولى أبو حفص على الامور رعى له سابقته وأقطعه ونظمه فى جملة القواد ومراتب الحروب واستكفى به فى الكثير من أمر ملكه ورشحه لحجابته من بعد الغازى وهلك فكان من بعده حافدا أخيه المستنصر أبو عصيدة واصطفى لحجابته محمد بن ابراهيم الدباغ كاتب الغازى وجعل محمد بن خلدون رديفا له فى حجابته فكان كذلك الى أن هلك السلطان وجاءت دولة الامير خالد فأبقاه على حاله من التجلة والكرامة ولم يستعمله ولا عقد له الى أن كانت دولة أبى يحيى ابن اللحيانى فاصطنعه واستكفى به عند ما تنبضت عروق التغلب من العرب ودفعه الى حماية الجزيرة من لاج احدى بطون سليم الموطنين بنواحيها فكانت له فى ذلك آثار مذكورة ولما انقرضت دولة ابن اللحيانى خرج الى الشرق وقضى فرضه سنة ثمان عشرة وأظهر التوبة والاقلاع وعاود الحج متنقلا سنة ثلاث وعشرين ولزم كسر بيته وأبقى السلطان أبو يحيى عليه نعمته فى كثير مما كان بيده من الاقطاع والجراية ودعاه الى حجابته مرارا فامتنع (أخبرنى) محمد بن منصور بن مرى قال لما هلك الحاجب بن محمد ابن عبد العزيز الكردى المعروف بالمزوار سنة سبع وعشرين وسبعمائة استدعى السلطان جدنا محمد بن خلدون وأراده على الحجابة وأن يفوض اليه أمر دفأبى واستعفى فأعفاه وآمره فيمن يوليه حجابته فأشار عليه بصاحب ثغر بجاية محمد بن أبى الحسن بن سيد الناس لاستحقاقه ذلك بكفايته واضطلاعه ولقديم صحابة بين آبائهما بتونس

واشبيلية من قبل وقال له هو أقدر على ذلك بما هو عليه من الحاشية والدين فعمل السلطان على اشارته واستدعى ابن سيد الناس وولاه حجابته وكان السلطان أبو يحيى اذا خرج من تونس يستعمل جدنا محمدا عليها وتوفى بنظره الى أن هلك سنة سبع وثلاثين ونزع ابنه وهو والدى محمد بن أبى بكر عن طريقة السيف والخدمة الى طريقة العلم والرباط لما نشأ عليه فى حجر أبى عبد الله الزندى الشهير بالفقيه كان كبير تونس لعهده فى العلم والفتيا وانتحال طرق الولاية التى ورثها عن أبى حسين وعمه حسن الوليين الشهيرين وكان جدنا رحمه الله قد لازمه من يوم نزوعه عن طريقه وألزمه ابنه وهو والدى رحمه الله فقرأ وتفقه وكان مقدما فى صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه عهدى بأهل البلد يتحاكمون اليه فيه و يعرضون عليه وهلك فى الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وسبعمائة * (أما نشأتى) * فانى ولدت بتونس فى غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وربيت فى حجر والدى رحمه الله الى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الاستاذ أبى عبد الله محمد بن نزال الانصارى أصله من جلة الاندلس من أعمال بلنسية أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها وكان اماما فى القراآت وكان من أشهر شيوخه فى القراآت السبع أبو العباس أحمد بن البطوى ومشيخته فيها وأسانيده معروفة و بعد أن استظهرت القرآن العظيم عن حفظى قرأته عليه بالقراآت السبع المشهورة افرادا و جمعا فى احدى وعشرين ختمة ثم جمعتها فى ختمة واحدة أخرى ثم قرأت برواية يعقوب ختمة واحدة جمعا بين الروايتين عنه وعرضت عليه رحمه الله قصيدة الشاطبى اللامية فى القراآت والرائية فى الرسم وأخبرنى بهما عن الاستاذ أبى عبد الله البطوى وغيره من شيوخه وعرضت عليه كتاب التفسير لاحاديث الموطا لابن عبد البر حذا به حذو كتابه التمهيد على الموطا مقتصرا على الاحاديث فقط ودرست عليه كتابا جمة مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الخطيب فى الفقه ولم أكملهما بالحفظ وفى خلال ذلك تعلمت صناعة العربية على والدى وعلى أستاذى تونس منهم الشيخ أبو عبد الله محمد العربى الحصايرى وكان اماما فى النحو وله شرح مستوف على كتاب التسهيل ومنهم أبو عبد الله محمد الشواش المزازى ومنهم أبو العباس أحمد بن القصار وكان ممتعا فى صناعة النحو وله شرح على قصيدة البردة المشهورة فى مدح الجناب النبوى وهو حى لهذا العهد بتونس ومنهم امام العربية والادب بتونس أبو عبد الله محمد بن بحر لازمت مجلسه وافدت عليه وكان بحرا زاخرا فى علوم اللسان وأشاد على بحفظ الشعر فحفظت كتب الاشعار الستة والحماسة للاعلم وشعر وطائفة من شعر المتنبى ومن أشعار كتاب الاغانى ولازمت أيضا مجلس امام المحدثين بتونس شمس

لدين أبي عبد الله محمد بن جابر صاحب الرحلتين وسمعت عليه كتاب مسلم بن
الحجاج وسمعت عليه كتاب الموطأ من أوله الى آخره وبعضا من الامهات الخمس
وناولني كتبا كثيرة في العربية والفقه وأجازني اجازة عامة وأخبرني عن
مشايخه المذكورين أشهرهم بتونس قاضي الجماعة أبو العباس أحمد بن القماز
الخزرجي وأخذت الفقه بتونس عن جماعة منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الحباني وأبو القاسم محمد القصير قرأت عليه كتاب التهذيب لابي سعيد البرادعي
مختصر المدونة وكتاب المالكية وتفقهت عليه وكنت في خلال ذلك انتاب مجلس
شيخنا الامام قاضي الجماعة أبي عبد الله محمد بن عبد السلام مع أخي عمر رحمة الله عليهما
وأفدت منه وسمعت عليه أثناء ذلك كتاب الموطأ للامام مالك وكانت له طرق عالية عن
أبي محمد بن هرون الطائي قبل اختلاطه الى غيرهؤلاء من مشيخة تونس وكلهم سمعت
عليه وكتب لي وأجازني ثم درجوا كلهم في الطاعون الجارف وكان قدم علينا في جملة
السلطان أبي الحسن عند ما ملك افريقية سنة ثمان وأربعين جماعة من أهل العلم كان
يلزمهم شهود مجلسه و يتجمل بمكانهم فيه فمنهم شيخ الفتيا بالمغرب وامام مذهب مالك
أبو عبد الله محمد بن سليمان السطي فكنت انتاب مجلسه وأفدت عليه ومنهم كاتب
السلطان أبي الحسن وصاحب علامته التي توضع أسفل مكتوباته امام المحدثين
أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي لازمته وأخذت عنه سماعا واجازة الامهات وكتاب الموطأ
والسير لابن اسحق وكتاب ابن الصلاح في الحديث وكتبا كثيرة سمعت عن حفظي
وكانت بضاعته في الحديث والفقه والعربية والادب والمعقول وسائر الفنون
مضبوطة كلها مقابلة ولا يخلو ديوان منها عن ضبط بخط بعض شيوخه المعروفين
في سنده الى مؤلفه حتى الفقه والعربية الغريبة الاسناد الى مؤلفها في هذه العصور
ومنهم الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي امام المغرب قرأت عليه القرآن العظيم بالجمع
الكبير بين القراآت السبع من طريق أبي عمرو الداني وابن شريح لم أكملها وسمعت
عليه عدة كتب وأجازني بالاجازة العامة ومنهم شيخ العلوم العقلية أبو عبد الله محمد
ابن ابراهيم الابلي أصله من تلمسان وبها نشأ وقرأ كتب التعليم وصدق فيه [illegible]
الحصار الكبير بتلمسان أعوام المائة السابعة فخرج منها وجد ولقي اعلام المشرق
يومئذ فلم يأخذ عنهم لانه كان مختلطا بعارض عرض في عقله ثم رجع من المشرق وأفاق
وقرأ المنطق والاصلين على الشيخ أبي موسى عيسى ابن الامام وكان قرأ بتونس مع
أخيه أبي زيد عبد الرحمن على تلميذ أبي زيتون الشهير الذكر وجاآ الى تلمسان بعلم كثير من
المنقول والمعقول فقرأ الابلي على أبي موسى منهما كما قلناه ثم خرج من تلمسان هاربا

Marfat.com

الى المغرب لان سلطانها أباحمو يومئذ من ولد يغمراسن بن زيان كان يكرهه على التصرف فى أعماله وضبط الجباية بحسبانه ففر الى المغرب ولحق بمراكش ولازم العالم الشهير الذكر أبا العباس بن البناء فحصل عنه سائر العلوم العقلية وورث مقامه فيها ثم صعد الى جبل الهساكرة بعد وفاة الشيخ باستدعاء على بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه فأفاده وبعد أعوام استزله ملك المغرب السلطان أبو سعيد وأسكنه بالبلد الجديد معه ثم اختصه السلطان أبو الحسن وتظمه فى جملة العلماء بمجلسه وهو فى خلال ذلك يعلم العلوم العقلية وينتابه أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصاره والحق الاصاغر بالاكابر فى تعليمه ولما قدم على تونس فى جملة السلطان أبى الحسن لزمته وأخذت عنه العلوم العقلية والمنطق وسائر الفنون الحكمية والتعليمية وكان رحمه الله تعالى يشهد لى بالتبريز فى ذلك ومن قدم فى جملة السلطان أبى الحسن صاحبنا أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقى كان يكتب عن السلطان ويلازم خدمة أبى محمد عبد الله رئيس الكتاب يومئذ وصاحب العلامة التى توضع عن السلطان أسفل المراسم والمخاطبات وبعضها يضعه السلطان بخطه وكان ابن رضوان هذا من مفاخر المغرب فى براعة خطه وكثرة علمه وحسن سمته راجادته فى فقه الوثائق والبلاغة فى الترسل عن السلطان وحمل الشعر والخطابة على المنابر لانه كان كثيرا ما يصلى بالسلطان فلما قدم علينا بتونس صحبته واغتبطت به وان لم أتخذه شيخا لمقاربة السن فقد أفدت منه كما أفدت منهم وقد مدحه صاحبنا أبو القاسم الرحوى شاعر تونس فى قصيدة على روى النون يرغب منه أن يذكره لشيخه أبى محمد عبد المهيمن فى ايصال مدحه للسلطان أبى الحسن فى قصيدة على روى الياء وقد تقدم ذكرها فى أخبار السلطان وذكر فى مدح ابن رضوان أعلام العلماء القادمين مع السلطان وهى هذه

عرفت زمانى حين أنكرت عرفانى * وأيقنت أن لاحظ فى كف كيوان
وأن لا اختيار فى اختيار مقوم * وان لا قتراع بالقران لا قران
وان نظام الشكل أكمل نظمه * لاضعاف قاض فى الدليل برجحان
وان افتقار المرء من فقرانه * ومن نقله يغنى اللبيب بأوزان

الى آخرها ثم يقول فى ذكر العلماء القادمين

هم القوم كل القوم أما علومهم * فارسخ من طودى ثبير ونهلان
فلا طير يعلوهم وأما علومهم * فاعلامها تهدى من غير نيران

ثم يقول فى آخرها

وهامت على عبد المهيمن تونس * وقد ظفرت منه بوصل وقربان
وما علقت منى الضمائر غيره * وان هويت كلا بحب ابن رضوان

وكتب هذا الشاعر صاحبنا الرحوى يذكر عبد المهيمن بذلك

لهى النفس باكتساب وسعى * وهو العمر فى انتهاب وفى
وأرى الناس بين ساع لرشد * يتوخى الهدى وساع لغى
وأرى العلم للبرية زينا * فتزينا منه بأحسن زى
وأرى الفضل قد تجمع كلا * فى ابن عبد المهيمن الحضرمى

ثم يقول فى آخرها

ينبغى القرب من مراقى الامانى * والترقى للجانب العلوى
فأنالها مرامها مستهلا * كل دان يسعى وكل قصى

ثم كانت واقعة العرب على السلطان بالقيروان فاتح تسع وأربعين فشغلوا عن ذلك ولم يظفر هذا الرحوى بطلبته ثم جاء الطاعون الجارف فطوى البساط بما فيه وهلك عبد المهيمن فيمن هلك ودفن بمقبرة سلفنا بتونس لخلة كانت بينه وبين والدى رحمه الله أيام قدومهم علينا فلما كانت وقعة القيروان ثار أهل تونس بمن كان عندهم من أشياع السلطان أبى الحسن فاعتصموا بالقصبة دار الملك حيث كان ولد السلطان وأهله وانتقض عليه ابن تافراكين وخرج من القيروان الى العرب وهم يحاصرون السلطان وقد اجتمعوا على أبى دبوس وبايعوا له كما مر فى أخبار السلطان فبعثوا ابن تافراكين الى تونس فحاصر القصبة وامتنعت عليه وكان عبد المهيمن يوم ثورة تونس وقد سمع الهيعة خرج من بيته الى دارنا فاختفى عند أبى رحمه الله وأقام مختفيا عندنا نحوا من ثلاثة أشهر ثم نجا السلطان من القيروان الى سوسة وركب البحر الى تونس وفر ابن تافراكين الى المشرق وخرج عبد المهيمن من الاختفاء وأعاده السلطان الى ما كان عليه من وظيفة الولاية والكتابة وكان كثيرا ما يخاطب والدى رحمه الله ويشكره على موالاته ومما كتب اليه وحفظته من خطه

محمد ذو المكارم قد ثانى * فعال شكره أبدا عنانى
جزى الله ابن خلدون حياة * منعمة وخالدا فى الجنان
فكم أولى ووالى من جميل * وبرا بالفعال وباللسان
وراعى الحضرمية فى الذى قد * جنى من وده ورد الجنان
أبا بكر ثناؤك طول دهرى * أردد باللسان وبالجنان
وعن عيالك ان تحدث حياتى * أكافح بالحسام وباللسان

Marfat.com

فنك أفدت خلال ت دهرى • أراعى حبه آتى عنانى

وهؤلاء الاعلام الذين ذكرهم الرحوى فى شعره هم سباق الحلبة فى مجلس السلطان أبى الحسن اصطفاهم لصحابته من أهل المغرب فأما ابنا الامام منهم فكانا اخوين من أهل برشك من أعمال تلمسان واسم أكبرهم أبو زيد عبد الرحمن والاصغر أبو موسى عيسى وكان أبوهما امامًا ببعض مساجد برشك واتهمه المتغلب يومئذ على البلد زيرم بن حماد بأن عنده وديعة من المال لبعض أعدائه فطالبه بها ولاذ بالامتناع وبيته زيرم لينتزع المال من يده فدافعه وقتل وارتحل ابناه هذان الاخوان الى تونس فى آخر المائة السابعة وأخذا العلم بها عن تليذ ابن زيتون وتفقها على أصحاب أبى عبد الله بن شعيب الدكالى وانقلبا الى المغرب بحظ وافر من العلم وأقاما بالجزائر يبثان العلم بها الامتناع برشك عليهما من أجل زيرم المتغلب عليها والسلطان أبو يعقوب يومئذ صاحب المغرب الاقصى من بنى مرين جاثم على تلمسان يحاصرها الحصار الطويل المشهور و بث بها جيوشه فى نواحيها وغلب على الكثير من أعمالها وأمصارها وملك عمل مغراوة بشلف وحصر مليانة بعث اليها الحسن بن أبى الطلاق من بنى عسكر وعلى ابن محمد بن الخير من بنى ورتاجن ومعهما الضبط الجباية واستخلاص الاموال الكاتب منديل بن محمد الكتانى فارتحل هذان الاخوان من الجزائر وأخذا عليه فطلبا بعين منديل الكتانى فقربهما واصطفاهما واتخذهما التعليم ولده محمد فلما هلك يوسف بن يعقوب سلطان المغرب بمكانه من حصار تلمسان سنة خمس وسبعمائة على يد خصى من خصيانه طعنه فأشواه وهلك وأقام بالملك بعده حافده أبو ثابت بعد أمور ذكرناها فى أخباره ووقع بينه وبين صاحب تلمسان من بعده يومئذ أبى زيان محمد بن عثمان بن يغمراسن وأخيه أبى حمو العهد المتأكد على الافراج عن تلمسان وردا عمالها عليه فوفى لهم بذلك وعاد الى المغرب وارتحل ابن أبى الطلاق من شلف والكتانى من مليانة راجعين الى المغرب ومرّوا بتلمسان فأوصى لهما أبو حمو وأثنى عليهما حلية بمقامهما فى العلم واغتبط بهما أبو حمو وبنى لهما المدرسة المعروفة بهما وأقاما عنده على مجرى أهل العلم وهلك أبو حمو وكانا كذلك مع ابنه أبى تاشفين الى أن زحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان وملكها عنوة سنة سبع وثلاثين وكانت لهما شهرة فى أقطار المغرب أسست لهما عقيدة صالحة فاستدعاهما لحين دخوله وأدنى مجلسهما وشاد بمكرمتهما ورفع جاههما على أهل طبقتهما وصار يجمل بهما مجلسه متى مرّ بتلمسان ووفد عليه فى الاولى التى نضر فيها اعيان بلادهما ثم استنفرهما الى الغزو وحضرا معه واقعة طريف وعادا الى بلدهما وتوفى أبو زيد منهما اثر ذلك وبقى أخوه موسى متوطنا ماشاء من ظلال

Marfat.com

تلك الكرامة ولما سار السلطان أبو الحسن الى افريقية سنة ثمان وأربعين كما مر في أخباره استصحب أبا موسى بن الامام معه مكرما موقرا عالى المحل قريب المجلس منه فلما استولى على افريقية سرحه الى بلده فأقام بها يسيرا وهلك في الطاعون الجارف سنة تسع وأربعين وبقي أعقابهما بتلمسان دارجين في مسالك تلك الكرامة موقرين فيها طبقا على طبق الى هذا العهد وأما السطي واسمه محمد بن سليمان من قبيلة سطة من بطون أوربة بنواحي فاس فنزل أبوه سليمان مدينة فاس ونشأ محمد فيها وأخذ العلم عن الشيخ أبي الحسن الصغير امام المالكية بالمغرب والطائر الذكر وقاضي الجماعة بفاس وتفقه وقرأ عليه وكان أحفظ الناس لمذهب مالك وأفقههم فيه وكان السلطان أبو الحسن لعظم همته وبعد شأوه في الفضل يتشوف الى تزيين مجلسه بالعلماء واختارهم جماعة لمصاحبته ومجالسته كان منهم هذا الامام محمد بن سليمان وقدم علينا بتونس في جملته وشهدنا وفور فضله وكان في الفقه من بينهم لا يجارى حفظا وفهما وعليه يدري به رحمه الله تعالى وأخي موسى يقرأ عليه كتاب التبصرة لابي الحسن اللخمي وهو يصححه عليه من املائه وحفظه في مجالس عديدة وكان هذا حاله في أكثر ما يعاني في جملة من الكتب وحضر مع السلطان أبي الحسن واقعة القيروان وخاص معه الى تونس وأقام بها نحو امن سنتين وانتقض المغرب على السلطان واستقل به ابنه أبو عنان ثم ركب السلطان أبو الحسن في أساطيله من تونس آخر سنة خمسين ومر ببجاية فأدركه الغرق في سواحلها فغرقت أساطيله وغرق أهلها واكثر من كان معه من هؤلاء الفضلاء وغيرهم ورمى به البحر ببعض الجزر هنالك حتى استنقذه منها بعض أساطيله ونجا الى الجزائر بعد أن تلف موجوده والكثير من عياله وأصحابه وكان من أمره ما مر في أخباره وأما الايلي واسمه محمد بن ابراهيم فنشؤه بتلمسان وأصله من جالية الاندلس من أهل ايلة من بلد الجوف منها أجاز بأبيه وعمه أحمد فاستخدمهم يغمراسن ابن زيان وولده في جندهم وأصهر ابراهيم منهما الى القاضي بتلمسان محمد بن غلبون في ابنته فولدت له محمدا هذا ونشأ بتلمسان في كفالة جده القاضي فنشأ له بذلك ميل الى انتحال العلم عن الجندية التي كانت منتحل أبيه وعمه فلما أيفع وأدرك الى ذهنه محبة التعاليم فبرز فيها واشتهر وعكف الناس عليه في تعليمها وعند في سن البلوغ ثم أظل السلطان يوسف بن يعقوب وخيم عليها يحاصرها وسير العساكر الى الاعمال فافتتح أكثرها وكان ابراهيم الايلي قائدا بهنين مرسى تلمسان في ابسة من البحر فلما ملكها يوسف بن يعقوب اعتقل من وجد بها من أشياع بني عبد الواد واعتقل ابراهيم الايلي وشاع الخبر في تلمسان بأن يوسف بن يعقوب يسترهن أبناءهم

Marfat.com

ويطلقهم فتشوف ابنه محمد الى اللحاق بهم من أجل ذلك وأغراه أهله بالعزم عليه فتسور الاسوار وخرج الى أبيه فلم يجد خبرا لاسترهان صحيحا واستخدمه يوسف ابن يعقوب قائدا الى الجند الاندلسيين الاندلسيين بتاورير ت فكره المقام على ذلك ونزع عن طوره ولبس المسوح وسار قاصدا الى الحج وانتهى الى رباط العباد مختفيا فى صحبة الفقرا فوجد هنالك رئيسا من أهل كربلا من بنى الحسين جاء الى المغرب يروم اقامة دعوته فيه وكان مغفلا فلما رأى عساكر يوسف بن يعقوب وشدة غلبه أيس من مرامه ونزع عن ذلك واعتزم على الرجوع الى بلده فسار شيخنا محمد بن ابراهيم فى جملته قال رحمه الله وبعد حين انكشف لى حاله وما جاء له واندرجت فى جملته وأصحابه وتابعيه قال وكان يتلقاه فى كل بلد من أصحابه وأشياعه وخدمه من يأتيه بالازواد والنفقات من بلده الى أن ركبنا البحر من تونس الى الاسكندرية قال واشتدت على الغلمة فى البحر واستحييت من كثرة الاغتسال لمكان هذا الرئيس فأشار على بعض بطانته بشرب الكافور فاغترفت منه غرفة فشربتها فاختلطت وقدم الديار المصرية على تلك الحال وبها يومئذ تقى الدين بن دقيق العيد وابن الرفعة وصفى الدين الهندى والتبريزى وغيرهم من فرسان المعقول والمنقول فلم يكن قصاراه الا تمييز أشخاصهم اذا ذكرهم لنا لما كان به من الاختلاط ثم حج مع ذلك الرئيس وسار فى جملته الى كربلا فبعث به من أصحابه من أوصله الى مأمنه ببلاد زواوة من أطراف المغرب وقال لى شيخنا رحمه الله كان معى دنانير كثيرة تزودتها من المغرب واستبطنتها فى جبة كنت ألبسها فلما نزل بى ما نزل انتزعها منى حتى اذا بعث أصحابه يشيعونى الى المغرب دفعها اليهم حتى اذا أوصلونى الى المأمن أعطونى اياها وأشهدوا على فى كتاب حملوه معهم اليه كما أمرهم ثم قارن وصول شيخنا الى المغرب مهلك يوسف بن يعقوب وخلاص أهل تلمسان من الحصار فعاد الى تلمسان وقد أفاق من اختلاطه وانبعثت همته الى تعلم العلم وكان مائلا الى العقليات فقرأ المنطق على أبى موسى بن الامام وجملة من الاصلين وكان أبو حمو صاحب تلمسان قد استفحل ملكه وكان ضابطا للامور وبلغه عن شيخنا تقدمه فى علم الحساب فدفعه الى ضبط أمواله ومشارفة أحواله وتفادى شيخنا من ذلك فأكرهه عليه فأعمل الحيلة فى الخلاص منه ولحق بفاس أيام السلطان أبى الربيع وبعث فيه أبو حمو فاختفى بفاس للتعاليم من اليهودى خليفة المغيلى فاستوفى عليه فنونها وحذق وخرج متواريا من فاس فلحق بمراكش أيام عشر وسبعمائة ونزل على الامام أبى العباس ابن البناء شيخ المعقول والمنقول والمبرز فى التصوف علما وحالا فلزمه وأخذ عنه وتضلع فى علم المعقول والتعاليم والحكمة ثم استدعاه شيخ الهساكرة على بن محمد بن تروميت ليقرأ عليه

وكان فى طاعة السلطان فدخل اليه شيخنا وأقام عنده مدة قرأ عليه فيها وحصل واجتمع طلبة العلم هنالك على الشيخ فكثرت افادته واستفادته وعلى ابن محمد فى ذلك على محبته وتعظيمه واستمال اشارته فغلب على هواه وعظمت رياسته فى تلك القبائل ولما استنزل السلطان أبو سعيد على بن تزومیت من جبله نزل الشيخ معه وسكن بفاس واتصل به طلبة العلم من كل ناحية فانتشر علمه واشتهر ذكره فلما فتح السلطان أبو الحسن تلمسان ولقى أبا موسى ابن الامام ذكره له بأطيب الذكر ووصفه بالتقدم فى العلوم وكان السلطان معتنيا بمجمع العلماء بمجلسه كما ذكرناه فاستدعاه من مكانه بفاس ونظمه فى طبقة العلماء بمجلسه وعكف على التدريس والتعليم ولزم صحابة السلطان وحضر معه واقعة طريف وواقعة القيروان بافريقية وكانت قد حصلت بينه وبين والدى رحمه الله خلة كانت وسيلتى اليه فى القراءة عليه فلزمت مجلسه وأخذت عنه العلوم العقلية بالتعاليم ثم قرأت المنطق والاصلين وعلوم الحكمة وعرض أثناء ذلك ركوب السلطان أساطيله من سلا الى المغرب وكان الشيخ فى نزلنا وكفالتنا فأشرت عليه بالمقام وبطأته عن السفر فعذل وأقام وطالبنا به السلطان أبو الحسن فأحسنا به العذر فعفا عنه وكان من حديث غرقه فى البحر ما قدمناه وأقام الشيخ بتونس ونحن وأهل بلدنا معه نقرأ عليه فى خزانة مجلسه والاخذ عنه فلما هلك السلطان أبو الحسن بجبل غسانه وعزم ابنه أبو عنان على التوجه والرجوع الى بلاد بنى عبد الواد كتب فيه بطلبه من صاحب تونس وسلطانها يومئذ أبو اسحق ابراهيم ابن يحيى فى كفالة شيخ الموحدين بن تافراكين فأسعفه الى مسعوده وركب معه البحر فى أسطول أبى عنان الذى جاء فيه السفير بمتابعته على ما أقام به الشيخ أبو اسحق قرأ عليه طلبة العلم بها مختصر ابن الحاجب فى أصول الفقه برعيهم فى دلالته وهو صاحب الاسطول ثم ارتحل ونزل بمرسى هنين وتقدم على أبى عنان بتلمسان وأصله محل التكرمة ونظمه فى طبقة أشياخه من العلماء وكان يقرأ عليه ويأخذ عنه الى أن هلك بفاس سنة سبع وخمسين وسبعمائة (وأما عبد المهيمن) كاتب السلطان أبى الحسن فأصله من سنة قديم ويعرفون ببنى عبد المهيمن وكان أبوه محمد قاضيا أيام فى المرية المهيمن فى كفالته وأخذ عن مشيختها واختص بالاستاذ أبى الحسن الصباغ وله اتصال عليهم الرئيس أبو سعيد صاحب الاندلس بتلمسان وتقدم عن المرية مع جملة أعيانها الى غرناطة ونقل معهم محمد بن عبد المهيمن استكمل قراءة العلم هنالك وقرأ على مشيختها ابن الزبير ونظرائه وتقدم فى معرفة كتاب سيبويه وبرز فى علو الاسناد وكثرة المشيخة

Marfat.com

وكتب له أهل المغرب والاندلس واستكتبه رئيس الاندلس يومئذ الوزير أبو عبد الله
ابن الحكيم الرندى المستبد على السلطان المخلوع ابن الاحمر فكتب عنه ونظمه فى طبقة
الفضلاء الذين كانوا بمجلسه مثل المحدث أبى عبد الله بن سيد الفهرى وأبى العباس أحمد
العزفى والعالم الصوفى المتجرد أبى عبد الله محمد بن خميس التلمسانى وكانا الايجاريان
فى البلاغة والشعر الى غيرهؤلاء ممن كان مختصا به وقد ذكرهم ابن الخطيب فى تاريخ
غرناطة فلما نكب الوزير ابن الحكيم وعادت سبتة الى طاعة بنى مرين عاد عبد المهيمن
اليها واستقر بها ثم ولى الامر أبو سعيد وغلب عليه ابنه أبو على واستبد بحمل الدولة
تشوف الى استدعاء الفضلاء وتجمل بمكانهم فاستقدم عبد المهيمن من سبتة واستكتبه
سنة ثنتى عشرة ثم خالف على أبيه سنة أربع عشرة وامتنع بالبلد الجديد وخرج منها
الى بجلماسة لصلح عقده مع أبيه فتمسك السلطان أبو سعيد بعبد المهيمن واتخذه كاتبا
الى أن دفعه الى رياسة الكتاب ورسم علامته فى الرسائل والاوامر فتقدم لذلك سنة
ثمان عشرة ولم يزل عليها سائر أيام السلطان أبى سعيد وابنه أبى الحسن وسار مع أبى
الحسن الى افريقية وتخلف عن واقعة القيروان لما كان به من علة النقرس فلما كانت
الهيعة بتونس ووصل خبر الواقعة وتحيز أولياء السلطان الى القصبة مع حرمه
تسرب عبد المهيمن فى المدينة منتبذا عنهم ويتوارى فى بيتنا خشية أن يصاب معهم
بمكروه فلما انجلت تلك الغيابة ورجع السلطان من القيروان الى سوسة وركب منها
البحر الى تونس أعرض عن عبد المهيمن لما سخط غيبته عن قومه بالقصبة وجعل العلامة
لابى الفضل ابن الرئيس عبد الله بن أبى مدين وقد كانت من قبل مقصورة على هذا
البيت وأقام عبد المهيمن عطلا من العمل شهرا ثم اعتبر السلطان ورضى عنه ورد اليه
العلامة كما كان ثم توفى لايام قلائل بتونس بالطاعون الجارف سنة تسع وأربعين
ومولده سنة خمس وسبعين من المائة قبلها وقد استوعب ابن الخطيب التعريف به فى
تاريخ غرناطة فليطالع هنالك من أحب الوقوف عليه (وأما ابن رضوان) الذى ذكره
الرحوى فى قصيدته فهو أبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان البجارى أصله من
الاندلس نشأ بمالقة وأخذ عن مشيختها وحذق فى العربية والادب وتفنن فى العلوم
ونظم ونثر وكان مجيدا فى الترسيل ومحسنا فى كتابة الوثائق وارتحل بعد واقعة طريف
ونزل سبتة والتقى بها السلطان أبا الحسن ومدحه وأجازه واختص بالقاضى ابراهيم بن
يحيى وهو يومئذ قاضى العساكر وخطيب السلطان وكان يستنيبه فى القضاء والخطابة
ثم نظمه فى جملة الكتاب بباب السلطان واختص بخدمة عبد المهيمن رئيس الكتاب
والاخذ عنه الى أن رحل السلطان الى افريقية وكانت واقعة القيروان وانحصر

Marfat.com

بالقصبة بتونس مع من انحصر بها من أشياعه مع أهله وحرمه وكان السلطان قد خلف
ابن رضوان فى بعض خدمته فخلا عند الحصار بيعرض لهم من المكاتبات وتولى كبر
ذلك فقام فيه أحسن قيام الى أن وصل السلطان من القيروان فرعى له حق خدمته
تأييدا وقربا وكثرة استعمال الى أن رحل من تونس فى الاسطول الى المغرب سنة
خمسين كما مر واستخلف بتونس ابنه أبا الفضل وخلف أبا القاسم بن رضوان كاتباله فأقاما
كذلك أياما ثم غلبهم على تونس سلطان الموحدين الفضل ابن السلطان أبى يحيى ونجا
أبو الفضل الى أبيه ولم يطق ابن رضوان الرحلة معه فأقام بتونس حولا ثم ركب البحر الى
الاندلس وأقام بالمرية مع جملة من هنالك من أشياع السلطان أبى الحسن كان فيهم عامر
ابن محمد بن على شيخ هنتاتة كافلا لحرم السلطان أبى الحسن وابنه أركبهم السفين معه من
تونس عندما ارتحل فلحق الى الاندلس ونزلوا بالمرية وأقاموا بها تحت جراية سلطان
الاندلس فلحق بهم ابن رضوان وأقام معهم ودعاه أبو الحجاج سلطان الاندلس الى أن
يستكتبه فامتنع ثم هلك السلطان أبو الحسن وارتحل مخلفه الذين كانوا بالمرية ووفدوا
على السلطان أبى عنان ووفد معهم ابن رضوان فرعى له وسائله فى خدمة أبيه واستكتبه
واختصه بشهود مجلسه مع طلبة العلم بحضرته وكان محمد بن أبى عمرو يومئذ رئيس
الدولة ونجى الخلوة وصاحب العلامة وحسبان الجباية والعساكر قد غلب على هوى
السلطان واختص به فاستخدم له ابن رضوان حتى علق منه بذمة ولاية وصحبة وانتظام
فى السمر وغشيان المجالس الخاصة وهو مع ذلك يدنيه من السلطان وينفق سوقه عنده
ويستكفى به فى مواقف خدمته اذا غاب عنها لما هو اهم فخلا بعين السلطان ونفقت عنده
فضائله فلما رأى أبو عمرو فى العساكر الى بجاية سنة أربع وخمسين انفرد ابن رضوان
بعلامة الكتاب عن السلطان ثم رجع ابن أبى عمرو بالسلطان فأقصاه الى بجاية وولاه
عليها وعلى سائر أعمالها وعلى الموحدين بقسنطينة وأفرد ابن رضوان بالكتابة وجعل
اليه العلامة كما كانت لابن أبى عمرو فاستقل بها موفر الاقطاع والاسهام والجاه ثم
سخطه آخر سبع وخمسين وجعل العلامة لمحمد بن أبى القاسم بن أبى مدين والانشاء
والتوقيع لابى اسحق ابراهيم بن الحاج الغرناطى فلما كانت دولة السلطان أبى سالم
جعل العلامة لعلى بن محمد بن مسعود صاحب ديوان العساكر والانشاء والتوقيع
والسر لمؤلف الكتاب عبد الرحمن ابن خلدون ثم هلك أبو سالم سنة اثنتين وستين واستبد
الوزير عمر بن عبد الله على من كفله من أبنائه فجعل العلامة لابن رضوان سائر أيامه
وقتله عبد العزيز ابن السلطان أبى الحسن واستبد بملكه فلم يزل ابن رضوان على العلامة
وهلك عبد العزيز وولى ابنه السعيد فى كفالة الوزير أبى بكر بن غازى بن الكاس

وابن رضوان على حاله ثم غلب السلطان أحمد على الملك وانتزعه من السعيد وأبي بكر بن غازي وقام بتدبير دولته محمد بن عثمان بن الكاس مستبدا عليه والسلامة لابن رضوان كما كانت الى أن هلك بازمور في حركة السلطان أحمد الى مراكش لحصار عبد الرحمن بن ابي يفلوسن ابن السلطان أبي علي * وكان في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كثيرة من فضلاء المغرب وأعيانه هلك كثير منهم في الطاعون الجارف بتونس وغرق جماعة منهم في أسطوله لما غرق وتخطفت النكبة منهم آخرين الى أن استوفوا ما قدر من آجالهم (فممن حضر معه بافريقية) الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد الزواوي شيخ القراء بالمغرب أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس وروى عن الرحالة أبي عبد الله بن رشيد وكان اماما في القراآت وصاحب ملكة فيها لا يجارى وله مع ذلك صوت من مزامير آل داود وكان يصلي بالسلطان التراويح ويقرأ عليه بعض الاحيان حزبه (وممن حضر معه) بافريقية الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد بن الصباغ من أهل مكناسة مبرزا في المعقول والمنقول وعارفا بالحديث ورجاله واماما في معرفة كتاب الموطا واقرائه أخذ العلوم عن مشيخة فاس ومكناسة ولقي شيخنا أبا عبد الله الابلي ولازمه وأخذ عنه العلوم العقلية فاستنذبقية طلبه عليه فبرز آخرا واختاره السلطان لمجلسه واستدعاه ولم يزل معه الى أن هلك غريقا في ذلك الاسطول (ومنهم القاضي أبو عبد الله) محمد بن عبد الله ابن عبد النور من أعمال ندرومة ونسبه في صنهاجة كان مبرزا في الفقه على مذهب الامام مالك بن أنس تفقه فيه على الاخوين أبي زيد وأبي موسى ابني الامام وكان من جملة أصحابهما ولما استولى السلطان أبو الحسن على تلمسان رفع من منزلة ابني الامام واختصهما بالشورى في بلدهما وكان يستكثر من أهل العلم في دولته ويجري لهم الارزاق ويعمر بهم مجلسه فطلب يومئذ من ابن الامام أن يختار له من أصحابه من ينظمه في فقهاء المجالس فأشار عليه بابن عبد النور هذا فأدناه وقرب مجلسه وولاه قضاء عسكره ولم يزل في جملته الى أن هلك بالطاعون بتونس سنة تسع وأربعين وكان قد خلف أخاه علما رفيقه في تدريس ابن الامام الا أنه أقصر باعا منه في الفقه فلما خلع السلطان أبو عنان طاعة أبيه السلطان أبي الحسن ونهض الى فاس استنفره في جملته وولاه قضاء مكناسة فلم يزل بها حتى تغلب عمر بن عبد الله على الدولة كما مر فنزع الى قضاء فرضه فسرحه فخرج حاجا سنة أربع وستين فلما قدم على مكة وكان به بقية مرض هلك في طواف القدوم وأوصى أمير الحاج على ابنه محمد وأن يبلغ وصيته به للامير المتغلب على الديار المصرية يومئذ بيغا الخاصكي فأحسن خلافته فيه وولاه من وظائف الفقهاء ما سدد به خلته وصان عن سؤال الناس وجهه وكان له عفا الله عنه كلف بعلم

Marfat.com

الكيمياء طالبا لمن غلط فى ذلك وأمثاله فلم يزل يعانى من ذلك مايورطه مع الناس فى دينه وعرضه الى أن دعته الضرورة للترحل عن مصر ولحق ببغداد وناله مثل ذلك فلحق بماردين واستقر عند صاحبها فأحسن جواره الى أن بلغنا بعد التسعين أنه هلك هنالك حتف أنفه والبقاء لله (ومنهم شيخ التعاليم) أبو عبد الله محمد بن النجار من أهل تلمسان أخذ العلم ببلده عن مشيختها وعن شيخنا الابلى وبرز عليه ثم ارتحل الى المغرب فلقى بسبتة امام التعاليم أبا عبد الله محمد بن هلال شارح المجسطى فى الهيئة وأخذ بمراكش عن الامام أبى العباس ابن البناء وكان اماما فى علم النجامة وأحكامها وما يتعلق بها ورجع الى تلمسان بعلم كثير واستخلصته الدولة فلما هلك أبو تاشفين وملك السلطان أبو الحسن نظمه فى جملته وأجرى له رزقه فحضر معه بافريقية وهلك فى الطاعون (ومنهم) أبو العباس أحمد بن شعيب من أهل فاس برع فى الادب واللسان والعلوم العقلية من الفلسفة والتعاليم والطب وغيرها ونظمه السلطان أبو سعيد فى جملة الكتاب وأجرى عليه رزق الاطباء لتقدمه فيه فكان كاتبه وطبيبه وكذا مع السلطان أبى الحسن بعده فحضر بافريقية وهلك بها فى ذلك الطاعون وكان له شعر سابق به الفحول من المتقدمين والمتأخرين وكانت له امامة فى نقد الشعر وبصر به وما حضرنى الآن من شعره الا قوله

دار الهوى نجد وساكنها * بدر أمان النفس من نجد
هل باكر الوسمى ساحتها * واستن فى قيعانها الجرد
أو بات معتل النسيم بها * مستشفيا بالبان والرند
يتلو أحاديث الذين هم * قصدى وان جاروا عن القصد
أيام سعد ظلالها وطنى * منها وزرق مياهها وردى
ومطارح النظرات فى رشا * أحوى المدامع أهيف القد
يرنو اليك بعين جارية * قتل المحب بها على عمد
حتى أجد بهم على عجل * ريب الخطوب وعاثر الجد
فقدوا فما وأبيك بعدهم * عيشى شفى الاعلى الفقد
وغدوا دفينا قد تضمنه * بطن الثرى وقرارة اللحد
ومشردا من دون رؤيته * قذف النوى وتنوفة البعد
أجرى على العيش بعدهم * أنى جرعت حميمهم وحشف
لا تلحنى ياصاح فى شجن * أخفيت منه فوق ما أبدى
بالقرب لى سكن يؤوبنى * من ذكره سهد على سهد
فرخان قد تركا بضيعة * رزئت عن الرفداء والرفد

Marfat.com

(ومنهم) صاحبنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق من أهل تلمسان كان سلفه نزلاء الشيخ أبي مدين بالعباد ومتوارثين خدمة تربته من لدن جدهم خادمه في حياته وكان جده الخامس أو السادس واسمه أبو بكر بن مرزوق معروفا بالولاية بينهم ولما هلك دفنه يغمراسن بن زيان السلطان بتلمسان من بني عبد الوادي التربة بقصره ليدفن بازائه. في قدر بوفاته ونشأ محمد هذا بتلمسان ومولده فيما أخبرني سنة عشر وسبعمائة وارتحل مع أبيه الى المشرق سنة ثمان عشرة ومر بجاية فسمع بها على الشيخ أبي علي ناصر الدين ودخل الشرق وجاور أبوه بالحرمين الشريفين ورجع هو الى القاهرة وأقام بها وقرأ على برهان الدين السفاقسي المالكي وأخيه وبرع في الطلب والرواية وكان يجيد الخطين ثم رجع سنة ثلاث وثلاثين الى المغرب ولقي السلطان أبا الحسن بمكانه من حصار تلمسان وقد شيد بالعباد مسجدا عظيما وكان عمه ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد وتوفي فولاه اللفسان خطابة ذلك المسجد مكان عمه وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره والثناء عليه فخلا بعينه واختصه وقربه وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين ابني الامام ويأخذ نفسه بلقاء الفضلاء والاكابر والاخذ عنهم والسلطان كل يوم يزيد ترقيه وحضر معه واقعة طريف التي كان فيها تحيير المسلمين فكان يستعمله في السفارة عنه الى صاحب الاندلس ثم سفر عنه بعد أن ملك افريقية الى ابن ادفونش ملك قشتالة في تقرير الصلح واستنقاذ ابنه أبي عمر تاشفين كان أسر يوم طريف فغاب في تلك السفارة عن واقعة القيروان ورجع تاشفين مع طائفة من زعماء النصرانية جاؤا في السفارة عن ملكهم ولقيهم خبر واقعة القيروان بقسنطينة من بلاد افريقية وبها عامل السلطان وحاميته فثار أهل قسنطينة بهم جميعا ونهبوهم وخطبوا للفضل ابن السلطان أبي يحيى وراجعوا دعوة الموحدين واستدعوه فجاء اليهم وملك البلد وانطاق ابن مرزوق عائدا الى المغرب مع جماعة من الاعيان والعمال والسفراء عن الملوك ووفد على السلطان أبي عنان مع أمه حظية أبي الحسن والدته كانت راحلة اليه فأدركها الخبر بقسنطينة وحضرت الهيعة فوثب ابنها أبو عنان على ملك أبيه واستيلائه على فاس فرجعت اليه وابن مرزوق في خدمتها ثم طلب اللحاق بتلمسان فسرحوه اليها وأقام بالعباد مكان سلفه وعلى تلمسان يومئذ أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يغمراسن بن زيان قد بايع له قبيلة بني عبد الوادي بعد واقعة القيروان بتونس وابن تافراكين يومئذ محاصر للقصبة كما مر في أخبارهم وانصرفوا الى تلمسان فوجدوا بها أبا سعيد عثمان بن يرار قد استعمله عليها السلطان أبو عنان عند انتقاضه على أبيه ومسيره الى فاس وانتقض ابن يرار من بعده ودعا

Marfat.com

لنفسه وصند اليه عثمان بن عبد الرحمن ومعه أخوه أبو ثابت وقومهما فملكوا تلمسان من يد ابن جرار وحبسوه ثم قتلوه واستبد أبو سعيد بملك تلمسان فأخوه أبو ثابت يردفه وركب السلطان أبو الحسن البحر من تونس وغرق أسطوله ونجا هو الى الجزائر فاحتل بها وأخذ في الحشد الى تلمسان فرأى أبو سعيد أن يكف غربه عنهم بمواصلة تقع بينهما واختار لذلك الخطيب ابن مرزوق فاستدعاه وأمره اليه بما يلقيه عند السلطان أبي الحسن وذهب لذلك على طريق الصحراء وأطال أبو ثابت وقومه على الخبر فنكروه على أبي سعيد وعاتبوه فأنكر فبعثوا صغير بن عامر في اعتراض ابن مرزوق فجاء به وحبسوه أياما ثم أجازوه البحر الى الاندلس فنزل على السلطان أبي الحجاج بغرناطة وله اليه وسيلة منذ اجتماعه به بمجلس السلطان أبي الحسن بسبتة اثر واقعة طريف فرعى له أبو الحجاج ذمة تلك المعرفة وأدناه واستعمله في الخطابة بجامعه بالحمراء فلم يزل خطيبه الى أن استدعاه السلطان أبو عنان سنة أربع وخمسين بعد مهلك أبيه واستيلائه على تلمسان وأعمالها فتقدم عليه ورعى وسائله ونظمه في أكابر أهل مجلسه وكان يقرأ الكتب بين يديه في مجلسه العلي ويدرس في نوبته مع من يدرس في مجلسه منهم ثم بعثه الى تونس عام ملكها سنة ثمان وخمسين ليخطب له ابنة السلطان أبي يحيى فردت تلك الخطبة وأخيف بتونس ووشي الى السلطان أبي عنان أنه كان مطلعا على مكانم افسخطه لذلك ورجع السلطان من قسنطينة فنار أهل تونس بمن كان بها من عماله وحاميته واستقدموا أبا محمد بن تافراكين من المهدية فجاء وملك البلد وركب القوم الاسطول ونزلوا بمراسي تلمسان وأوعز السلطان باعتقال ابن مرزوق وخرج لذلك يحيى بن شعيب من متقدمي الحجاب ببابه فلقيه بتلمسان فقيده هنالك وجاء به فأحضره السلطان وقرعه ثم حبسه مدة وأطلقه بين يدي مهلكه واضطربت الدولة بعد موت السلطان أبي عنان وبايع بعض بني مرين لبعض الاعياص من بني يعقوب بن عبد الحق وحاصروا البلد الجديد وبها ابنه السعيد ووزيره المستبد عليه الحسن بن عمر وكان السلطان أبو سالم بالاندلس غربه اليها أخوه السلطان أبو عنان مع بني عمهم ولد السلطان أبي علي بعد وفاة السلطان أبي الحسن وحصولهم جميعا في قبضته فلما توفي أراد أبو سالم النهوض للملك بالمغرب فمنعه رضوان القائم يومئذ بملك الاندلس مستبدا على ابن السلطان أبي الحجاج فلحق هو بالشبيلية من دار الحرب ونزل على بطرة ملكهم يومئذ فهيأله السفن وأجازه الى العدوة فنزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وقام بدعوته بنو مسير وبنو منير أهل ذلك الجبل منهم ثم أمدوه واستولى على ملكه في خبر طويل ذكرناه في أخبار دولته وكان ابن مرزوق يداخله وهو بالاندلس ويستخدم له ويناوضه في أموره وربما

Marfat.com

كان بكاتبه وهو بجبل الصفيحة ويداخل زعماء قومه في الاخذ بدعوته فلما ملك السلطان أبو سالم رعى له تلك الوسائل أجمع ورفعه على الناس وألقى عليه محبته وجعل زمام الامور بيده فوطئ الناس عقبه وغشى أشراف الدولة بابه وصرفت الوجوه اليه فرضت لذلك قلوب أهل الدولة ونقموه على السلطان وتربصوا به حتى وثب عبد الله بن عمر بالبلد الجديد وافترق الناس على السلطان وقتله عمر بن عبد الله آخر ثنتين وستين وحبس ابن مرزوق وأغرى به سلطانه الذي نصبه محمد بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن فامتحنه واستصفاه ثم أطلقه بعد أن رام كثير من أهل الدولة قتله فمنعهم ولحق بتونس سنة أربع وستين ونزل على السلطان أبي اسحق وصاحب دولته المستبد عليه أبي محمد بن تافراكين فأكرموا نزله وولوه الخطابة بجامع الموحدين بتونس وأقام بها الى أن هلك السلطان أبو اسحق سنة سبعين وولي ابنه خالد وزحف السلطان أبو العباس حافد السلطان أبي يحيى من مقره بقسنطينة الى تونس فملكها وقتل خالدا سنة ثنتين وسبعين وكان ابن مرزوق يستريب منه لما كان يميل وهو بفاس مع ابن عمه محمد صاحب بجاية ويؤثره عند السلطان أبي سالم عليه فعزله السلطان أبو العباس عن الخطبة بتونس فوجم لها وأجمع الرحلة الى المشرق وسرحه السلطان فركب السفن ونزل بالاسكندرية ثم رحل الى القاهرة ولقي أهل العلم وأمراء الدولة ونفقت بضائعه عندهم وأوصلوه الى السلطان وهو يومئذ الاشرف فكان يحضر يومئذ مجلسه وولاه الوظائف العلمية فكان يجتمع منها معاشه وكان الذي وصل حبله بالسلطان أستاذ داره محمد لقيه أول قدومه فخلا بعينه واستظرف جملته فسعى له وأنجح سعايته ولم يزل مقيما بالقاهرة موقر الرتبة معروف الفضيلة مرشحا للقضاء بالممالك ملازما للتدريس في وظائفه الى أن هلك سنة احدى وثمانين هكذا ذكر من حضره من جلة السلطان أبي الحسن من أشياخنا وأصحابنا وليس موضوع الكتاب الا طالة فلنقتصر على هذا القدر ونرجع الى ما كنا فيه من أخبار المؤلف

{ولايته العلامة ثم الرحلة بعدها الى المغرب والكتابة السلطان أبي عنان}

ولم يزل منذ نشأت وناهزت مكبا على تحصيل العلم حريصا على اقتناء الفضائل متنقلا بين دروس العلم وحلقاته الى أن كان الطاعون الجارف وذهب الاعيان والصدور وجميع المشيخة ومن بقي توارى بهما الله ولزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الابلي وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين الى أن بعض الشيء واستدعاه السلطان أبو عنان فارتحل اليه واستدعاني أبو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس الى كتابة

العلامة عن السلطان أبي اسحق مذنهض اليه من قسنطينة صاحبها أبو زيد خالد السلطان أبي يحيى في عساكره ومعه العرب أولاد مهلهل الذين استنجدوه لذلك فخرج ابن تافراكين وسلطانه أبو اسحق مع العرب أولاد أبي الليل وبث العطاء في عسكره وعمر له المراتب والوظائف وتعلل عليه صاحب العلامة أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بالاستزادة من العطاء فعزله وأدالى منه فكتبت العلامة عن السلطان وهي الحمد لله والشكر لله بالقلم الغليظ ما بين البسملة وما بعدها من مخاطبة أو مرسوم وخرجت معهم أول سنة ثلاث وخمسين وقد كنت منطويا على الرحلة من افريقية لما أصابني من الاستيحاش لذهاب أشياخي وعضلاني عن طلب العلم فلما رجع بنو مرين الى مراكزهم بالمغرب وانحسرت ديارهم عن افريقية وأكثر من كان معهم من الفضلاء صحابة وأشياخ فاعتزمت على اللحاق بهم وصدني عن ذلك أخي وكبيري محمد رحمه الله فلما دعيت الى هذه الوظيفة سارعت الى الاجابة لتحصيل غرضي من اللحاق بالمغرب وكان كذلك فانا لما خرجنا من تونس نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها الى بعض بفحص مرماجنة وانهزم صفنا ونجوت أنا الى أبة فأقمت بها عند الشيخ عبد الرحمن الوسناني من كبراء المرابطين ثم تحولت الى سبتة ونزلت بها على محمد بن عبدون صاحبها فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق مع رفيق من المغرب وسافرت الى قفصة وأقمت بها أياما حتى قدم علينا بها الفقيه محمد ابن الرئيس منصور بن مزني وأخوه يوسف يومئذ صاحب الزاب وكان هو بتونس فلما حاصرها الامير أبو زيد خرج اليه فكان معه فلما بلغهم الخبر بأن السلطان أبا عنان ملك المغرب نهض الى تلمسان فملكها وقتل سلطانها عثمان بن عبد الرحمن وأخاه أبا ثابت وأنه انتهى الى المرية وملك بجاية من يد صاحبها الامير أبي عبد الله من حفدة السلطان أبي يحيى وراءه عندما أطل على بلده فسار اليه ونزل له عنها وصار في جملته وولى أبو عنان على بجاية عمر بن علي شيخ بني وطاس من بني الوزير شيوخهم فلما بلغهم هذا الخبر أجفل الامير عبد الرحمن من مكانه عن حصار تونس ومر بقفصة فدخل الينا محمد بن مزني ذاهبا الى الزاب فرافقته الى بسكرة ودخلت الى أخيه هنالك ونزل هو بعض قرى الزاب تحت جراية أخيه الى أن انصرم الشتاء وكان أبو عنان لما ملك بجاية ولى عليها عمر ابن علي ابن الوزير من شيوخ بني وطاس فجاء فارج مولى الامير أبي عبد الله لنقل حرمه وولده فدخل بعض السفها من صنهاجة في قتل عمر بن علي فقتله في مجلسه ووثب هو على البلد وأرسل الى الامير أبي زيد يستدعيه من قسنطينة فتمشت رجالات البلد بينهم خشية من سطوة السلطان ثم ثاروا بفارج فقتلوه وأعادوا دعوة السلطان كما كانت وبعثوا عن عامل السلطان بتدلس يحيى بن عمر بن

Marfat.com

عبد المؤمن من شيوخ بنى ونكاسن من بنى مرين فملكوه قيادهم وبعثوا الى السلطان
بطاعتهم فأخرج لوقته حاجبه محمد بن أبى عمرو واكتنف له الجند وصرف معه وجوه
دولته وأعيان بطانته وارتحلت من بسكرة وافدا على السلطان أبى عنان بتلمسان
فلقيت ابن أبى عمرو بالبطحاء وتلقانى من الكرامة بما لم أحتسبه وردنى معه الى بجاية
فشهدت الفتح وتسايلت وفود افريقية اليه فلما رجع الى السلطان وفدت معهم فنالنى
من كرامته واحسانه مالم أحتسبه اذ كنت شابا لم يطر شاربى ثم انصرفت مع الوفود
ورجع ابن أبى عمرو الى بجاية فأقمت عنده حتى انصرم الشتاء أو اخر أربع وخمسين
وعاد السلطان أبو عنان الى فاس وجمع أهل العلم للتحليق بمجلسه وجرى ذكرى عنده
وهو ينتقى طلبة العلم للمذاكرة فى ذلك المجلس فأخبره الذين لقيتهم يتونس عنى
ووصفونى له فكتب الى الحاجب يستقدمنى فقدمت عليه سنة خمس وخمسين ونظمنى
فى أهل مجلسه العلمى وألزمنى شهود الصلوات معه ثم استعملنى فى كتابته والتوقيع بين
يديه على كره منى اذ كنت لم أعهد مثله لسلفى وعكفت على النظر والقراءة والقاء
المشيخة من أهل المغرب ومن أهل الاندلس الوافدين فى غرض السفارة وحصلت من
الافادة منهم على البغية وكان فى جملته يومئذ الاستاذ أبو عبد الله محمد بن الصفار من أهل
مراكش امام القراآن لوقته أخذ عن مشيخة المغرب وكبيرهم شيخ المحدثين
الرحالة أبو عبد الله محمد بن رشيد الفهرى سيد أهل المغرب وكان يعارض السلطان
القرآن بروايته السبع الى أن توفى (ومنهم) قاضى الجماعة بفاس أبو عبد الله
محمد المغربى صاحبنا من أهل تلمسان أخذ العلم بها عن أبى عبد الله محمد السلوى
ورد عليها من المغرب خلوا من المعارف ثم دعته همته الى التحلى بالعلم فعكف فى بيته
على مدارسة القرآن فحفظه وقرأه بالسبع ثم عكف على كتاب التسهيل فى
العربية فحفظه ثم على مختصر ابن الحاجب فى الفقه والاصول فحفظها ثم لزم الفقيه
عمران المشدالى من تلميذ أبى على ناصر الدين وتفقه عليه وبرز فى العلوم الى حيث
لم تلحق غايته وبنى السلطان أبو تاشفين مدرسة بتلمسان فقدمه لتدريس بها ايضا هى به
أولاد الامام وتفقه عليه بتلمسان جماعة كان من أوفرهم سهما فى العلوم أبو عبد الله
المغربى هذا ولما جاء شيخنا أبو عبد الله الابلى الى تلمسان عند استيلاء السلطان أبى
الحسن عليها وكان أبو عبد الله السلوى قد قتل يوم فتح تلمسان قتله بعض أشياع السلطان
لذنب أسلفه فى خدمة أخيه أبى على بسجلماسة قبل انتحاله العلم كان السلطان توعده
عليه فقتل بباب المدرسة فلزم أبو عبد الله المغربى بعده مجلس شيخنا الابلى ومجالس بنى
الامام واستبحر فى العلم ولما انتقض السلطان أبو عنان سنة تسع وأربعين وخلع أباه ندبه

Marfat.com

لما كتب البيعة فكتبها وقرأها على الناس في يوم مشهود وارتحل مع السلطان الى فاس فلما ملكها عزل قاضيها الشيخ المعمر أبا عبد الله بن عبد الرزاق وولا مكانه فلم يزل قاضيا بها الى أن أسخطه لبعض النزغات الملوكية فعزله وأدال منه بالفقيه أبي عبد الله الفشتالي آخر سنة ست وخمسين ثم بعثه في سفارة الى الاندلس فامتنع من الرجوع وقام السلطان لها في ركابه ونقم على صاحب الاندلس تمسكه به وبعث اليه فيه يستقدمه فلاذ ابن الاحمر بالشفاعة فيه واقتضى له كتاب أمان بخط السلطان أبي عنان وأوفده في جماعة من شيوخ العلم بغرناطة القاطنين بها منهم شيخنا أبو القاسم الشريف السبتي شيخ الدنيا جلالة وعلما ووقارا ورياسة وامام اللسان فصاحة وبيانا وتقدما في نظمه ونثره وترسلاته وشيخنا الآخر أبو البركات محمد بن محمد بن الحاج البلفيقي من أهل المرية شيخ المحدثين والفقهاء والادباء والصوفية والخطباء بالاندلس وسيد أهل العلم باطلاق المتفنن في أساليب المعارف وآداب الصحابة للملوك فمن دونهم فوفدوا به على السلطان شفيعين على عظيم تشوفه للقائهما فقبلت الشفاعة وانجحت الوسيلة حضرت بمجالس السلطان يوم وفادتهما سنة سبع وخمسين وكان يوما مشهودا واستقر القاضي المغربي في مكانه ببابه السلطان عطلا من الولاية والجراية وجرت عليه بعد ذلك محنة من السلطان وقعت بينه وبين أقاربه امتنع من الحضور معهم عند القاضي الفشتالي فتقدم السلطان الى بعض أكابر الوزعة ببابه أن يسحبه الى مجلس القاضي حتى ينفذ فيه حكمه فكان الناس يعدونها محنة ثم ولاه السلطان بعد ذلك قضاء العساكر في دولته عند ما ارتحل الى قسنطينة فلما افتتحها وعاد الى دار ملكه بفاس آخر شعبان وخمسين اعتل القاضي المغربي في طريقه وهلك عند قدومه بفاس * (ومنهم صاحبنا) * الامام العالم القدوة فارس المعقول والمنقول وصاحب الفروع والاصول أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني ويعرف بالعلوي نسبة الى قرية من أعمال تلمسان تسمى العلويين فكان أهل بلده لا يدافعون في نسبهم وربما تغمص فيه بعض الفجرة ممن لا يروعه دينه ولا معرفته بالانساب ببعض من اللغو لا يلتفت اليه نشأ هذا الرجل بتلمسان وأخذ العلم عن مشيختها واختص بأولاد الامام وتفقه عليهما في الفقه والاصول والكلام ثم لزم شيخنا أبا عبد الله الابلي وتضلع من معارفه فاستبحر وتفجرت ينابيع العلوم من مداركه ثم ارتحل الى تونس في بعض مذاهبه سنة أربعين ولقي شيخنا الداني أبا عبد الله بن عبد السلام وحضر مجلسه وأفاد منه واستعظم رتبته في العلم وكان ابن عبد السلام يصغي اليه ويؤثر محله ويعرف حقه حتى لقد زعموا أنه كان يعولويه في بيته فيقرأ عليه فصل التصوف من كتاب الاشارات (١) لابن سينا لما كان هو أحكم ذلك

Marfat.com

الكتاب على شيخنا الابلى وقرأ عليه كثيرا من كتاب الشفاء لابن سينا ومن تلاخيص كتب أرسطو ومن الحساب والهندسة والفرائض علاوة على ما كان يحمله من الفقه والعربية وسائر علوم الشريعة وكانت له فى كتب الخلافيات يد طولى وقدم عالية فعرف له ابن عبد السلام ذلك كله وأوجب حقه وانقلب الى تلمسان وانتصب لتدريس العلم وبثه فلأ المغرب معارف وتلميذا الى أن اضطرب المغرب بعد واقعة القيروان ثم هلك السلطان أبو الحسن وزحف أبو عنان الى تلمسان فملكها سنة ثلاث وخمسين فاستخلص الشريف أبا عبد الله واختاره لمجلسه العلى مع من اختاره من المشيخة وزحف به الى فاس فتبرم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى وعرف السلطان ذلك وارتاب به ثم بلغه أثناء ذلك ان عثمان بن عبد الرحمن سلطان تلمسان أوصاه على ولده وأودع له مالا عند بعض الاعيان من أهل تلمسان وان الشريف اطلع على ذلك فانتزع الوديعة وبخط الشريف بذلك ونكبه وأقام فى اعتقاله أشهرا ثم أطلقه أول ست وخمسين وأقصاه ثم أعتبه بعد فتح قسنطينة وأعاده الى مجلسه الى أن هلك السلطان آخر تسع وخمسين وملك أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد بنى مرين واستدعى الشريف من فاس فسرحه القائم بالامر يومئذ لوزير عمر بن عبد الله فانطلق الى تلمسان وأطلقه أبو حمو براحته وأصهر له فى ابنته فزوجها اياه وبنى له مدرسة جعل فى بعض جوانبها مدفن أبيه وعمه وأقام الشريف يدرس العلم الى أن هلك سنة احدى وسبعين وأخبرنى رحمه الله أن مولده سنة عشرة (ومنهم صاحبنا) * الكاتب الفاضل أبو القاسم محمد بن يحيى البرجى من برجة الاندلس كان كاتب السلطان أبى عنان وصاحب الانشاء والسر فى دولته وكان مختصا به وأثيرا لديه وأصله من برجة الاندلس نشأ بها واجتهد فى العلم والتحصيل وقرأ وسمع وتفقه على مشيخة الاندلس واستبحر فى الادب وبرز فى النظم والنثر وكان لا يجارى فى كرم الطباع وحسن المعاشرة ولين الجانب وبذل البشر والمعروف وارتحل الى بجاية فى عشر الاربعين وسبعمائة وبها الامير أبو زكريا ابن السلطان أبى يحيى منفردا بملكها على حين أقفر من رسم الكتابة والبلاغة فبادرت أهل الدولة الى اصطفائه وايثاره بخطة الانشاء والكتاب عن السلطان الى أن هلك الامير أبو زكريا ونصب ابنه محمد مكانه فكتب عنه على رسمه ثم هلك السلطان أبو يحيى وزحف السلطان أبو الحسن الى افريقية واستولى على بجاية ونقل الامير محمدا بأهله وحشيته الى تلمسان كما تقدم فى أخباره فنزل أبو القاسم البرجى تلمسان وأقام بها وانفسل خبره بأبى عنان ابن السلطان أبى الحسن وهو يومئذ أمير بها ولقبه فوقع من قلبه بمكان الى أن كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان واستبد

Marfat.com

بالامر فاستكتبه وحمله الى المغرب ولم يسم به الى العلامة لانه آثر بها محمد بن أبى عمر بما كان أبوه يعلمه الآن وربى محمد بداره فولاه العلامة والبرجى مرادف له فى رياسته الى أن انقرضوا جميعا وهلك السلطان أبو عنان واستولى أخوه أبو سالم على ملك المغرب وغلب ابن مرزوق على هواه كما قدمناه فنقل البرجى من الكتابة واستعمله فى قضاء العساكر فلم يزل على القضاء الى أن هلك سنة وثمانين وأخبرنى رحمه الله أن مولده سنة عشر * (ومنهم شيخنا المعمر الرحالة) * أبو عبد الله محمد بن عبد الرزاق شيخ وقته جلالة وتربية وعلما وخبرة بأهل بلده وعظمة فيهم نشأ بفاس وأخذ عن مشيختها وارتحل الى تونس فلقى القاضى أبا اسحق بن عبد الرفيع والقاضى أبا عبد الله القزاوى وأهل طبقتهما وأخذ عنهم وتفقه عليهم ورجع الى المغرب ولازم سنن الاكابر والمشايخ الى أن ولاه السلطان أبو الحسن القضاء بمدينة فاس فأقام على ذلك الى أن جاء السلطان أبو عنان من تلمسان بعد واقعة القيروان وخلعه فعزله بالفقيه أبى عبد الله المغربى وأقام عطلا فى بيته ولما جمع السلطان مشيخة العلم للتصليق بمجلسه والافادة منهم واستدعى شيخنا أبا عبد الله بن عبد الرزاق فكان يأخذ عنه الحديث ويقرأ عليه القرآن بروايانه فى مجلس خاص الى أن هلك رحمه الله بين يدى مهلك السلطان أبى عنان الى آخرين وآخرين من أهل المغرب والاندلس كلهم لقيت وذاكرت وأفدت منه وأجازنى بالاجازة العامة

* (حديث النكبة من السلطان أبى عنان) *

كان اتصالى بالسلطان أبى عنان آخر سنة ست وخمسين وقربنى وادنانى واستعملنى فى كتابته واختصنى بمجلسه للمناظرة والتوقيع عنه فكثر المنافسون وارتفعت السعايات حتى قويت عنده بعد أن كان لا يغير عن صفائه ثم اعتل السلطان آخر سبع وخمسين وكان قد حصلت بينى وبين الامير محمد صاحب بجاية من الموحدين مداخلة أحكمها ما كان لسلفى فى دولتهم وغفلت عن التحفظ من مثل ذلك فمن غيرة السلطان فما هو الا أشغل بوجعه حتى نمى اليه بعض العداة أن صاحب بجاية معتمل فى الفرار ليسترجع بلده وبها يومئذ وزيره الكبير عبد الله بن على فابعث السلطان لذلك وبادر بالقبض عليه وكان فيما نمى اليه أنى داخلته فى ذلك فقبض على وامتحنى وأطلق الامير محمدا ومازلت أنافى اعتقاله الى أن هلك وخاطبته بين يدى سلفه بقصيدة

على أى حال لليالى اعاتب * وأى صروف للزمان أغالب
كفى حزنا أنى على القرب نازح * وأنى على دعوى شهودى غائب
وأنى على حكم الحوادث نازل * تسامانى طورا وطورا تحارب

Marfat.com

(ومنها فى الشوق)

سلوتهم الا اذكارهم واهد * لها فى الليالى الغابرات غرائب

وان نسيم الريح منهم يسوقنى * اليهم وتصبينى البروق اللواعب

وهى طويلة نحو ماتقى بيت ذهبت عن حفظى فكان لها منه موقع وهش لها وكان بتلمسان فوعد بالافراج عنى عند حلوله بفاس وخمس ليال من حلوله طرقه الوجع وهلك لخمس عشرة ليلة فى رابع وعشرين من ذى الحجة خاتم تسع وخمسين وبادر القائم بالدولة الوزير الحسن بن عمر الى اطلاق جماعة من المعتقلين كنت فيهم فخلع على وحملنى وأعادنى الى ما كنت عليه وطلبت منه الانصراف الى بلادى فأبى على وعاملنى بوجوه كرامته ومذهب احسانه الى أن اضطرب أمره وانتقض عليه بنو مرين وكان ماقدمناه فى أخبارهم

(الكتابة عن السلطان أبى سالم فى السر والانشاء)

ولما أجاز السلطان أبو سالم من الاندلس لطلب ملكه ونزل بجبل الصفيحة من بلاد غمارة وكان الخطيب ابن مرزوق بفاس فشتد عونه سرا واستعان بى على أمره بما كان بينى وبين أشياخ بنى مرين من المحبة والائتلاف فحملت الكثير منهم على ذلك وأجابونى اليه وأنابوه ثم اذا كتب عن القائم بأمر بنى مرين منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وقد نصبوه للملك وحاصروا الوزير حسن بن عمر وسلطانه السعيد بن أبى عنان بالبلد الجديد فقصدنى ابن مرزوق فى ذلك وأوصل الى كتاب السلطان أبى سالم بالحض على ذلك واجمال الوعد فيه وألقى على حملته فنهضت به وتقدمت الى شيوخ بنى مرين وأمراء الدولة بالتحريض على ذلك حتى أجابوا وبعث ابن مرزوق الى الحسن بن عمر يدعوه الى طاعة السلطان أبى سالم وقد ضجر من الحصار فبادر الى الاجابة واتفق رأى بنى مرين على الانفضاض عن منصور بن سليمان والدخول الى البلد الجديد فلما تم عقدهم على ذلك نزعت الى السلطان أبى سالم فى طائفة من وجوه أهل الدولة كان منهم محمد بن عثمان بن الكاس المستبد بعد ذلك بملك المغرب على سلطانه وكان ذلك النزوع مبدأ حظه وخطة سعادته بسعايتى له عند السلطان فلما قدمت على السلطان بالصفيحة بما عندى من أخبار الدولة وما أجمعوا عليه من خلع منصور بن سليمان وبالموعد الذى ضربوه لذلك واستجشته فارتحل ولقينا البشير باجفال منصور بن سليمان وفراره الى نواحى باديس ودخول بنى مرين الى البلد الجديد واظهار الحسن بن عمر دعوة السلطان أبى سالم ثم لقيتنا بالقصر الكبير قبائل السلطان وعساكره على راياتهم ووزير منصور بن سليمان مسعود بن رحو بن ماسى

Marfat.com

فلقاه السلطان الكرامة كما يجب واستوزره عوضا ناب الحسن بن يوسف بن على بن محمد الورتاجنى السابق الى وزارته لقيه بسبتة وقد غرر به منصور بن سليمان الى الاندلس فاستوزره واستكفاه ولما اجتمعت العساكر عنده بالقصر صمد الى فاس ولقيه الحسن بن عمر بظاهرها فأعطاه طاعته ودخل الى دار ملكه وانا فى ركابه لخمس عشرة ليلة من نزوعى اليه منتصف شعبان سنة ستين وسبعمائة فرعى لى السابقة واستعملنى فى كتابة سره والترسيل عنه والانشاء لمخاطباته وكان أكثرها يصدر عنى بالكلام المرسل بدون أن يشاركنى أحد ممن ينتحل الكتابة فى الاسجاع لضعف اتصالها وخفاء المعانى منها على أكثر الناس بخلاف غير المرسل فانفردت به يومئذ وكان مستغربا عند من هم من أهل هذه الصناعة ثم أخذت نفسى بالشعر وانثال على منه بحور توسطت بين الاجادة والقصور وكان مما أنشدته اياه ليلة المولد النبوى من سنة ثلاث وستين

أسرفن فى هجرى وفى تعذيبى * وأطلن موقف عبرتى ونحيبى
وأبين يوم البين موقف ساعة * لعوادمت غوف الفؤاد كئيب
لله عهد الظاعنين وقد غدا * قلبى رهين صبابة ووجيب
غربت ركابهم ودمعى سافح * فشربت بعدهم بماء غروب
ياناقعا بالعتب غلة شوقهم * رحمالك فى عذلى وفى تأنيبى
يستعذب الصب الملام وانى * ماء المدام لدى غير شروب
ماهاجنى طرب ولا اعتاد الجوى * لولا تذكر منزل وحبيب
أصبوا الى اطلال كانت مطلعا * للبدر منهم أو كناس ربيب
عبثت بها ايدى البلى وترددت * فى عطفها للدهر أى خطوب
تبلى معاهدها وان عهودها * ليجرها وصفى وحسن نسيبى
واذا الديار تعرضت لمتيم * هزت لذكراها أولى التشبيب
ايه على الصبر الجميل فانه * ألوى برين فؤادى المنهوب
لم أنسها والدهر يثنى صرفه * ويغض طرفى حاسد ورقيب
والدار مونقة بما لبست من الا * يام تجلوها بكل قشيب
ياسائق الاظعان يعتسف الفلا * بتواصل الاسناد والتأويب
متهافتا عن رحل كل مدلل * نشوان من آن ومس لغوب
تتجاذب النفحات فضل ردائه * فى ملتقاها من صبا وجنوب
ان هام من ظمأ الصبابة صحبه * نهلوا بوردد معه المسكوب
ان تعترض مسراهم سدف الدجى * صدعوا الدجى بغرامه المشبوب

فى كل شعب منية من دونها * هجر الامانى أو لقاء شعوب
هـ لا عطفت صدورهن الى التى * فيها الغانية العيون وقلوب
فتؤم من أكناف يثرب مامنا * يكفيك ماتخشاه من تثريب
حيث النبوة آيها مجلوة * تتلو من الآثار كل غريب
سر عجيب ليس يحجبه الثرى * ما كان سر الله بالمحجوب

ومنها بعد تعديد معجزاته صلى الله عليه وسلم والاطناب فى مدحه

انى دعوتك واثقا بك جاءنى * ياخير مدعو وخير مجيب
قصرت فى مدحى فانك طيبا * فيما الذكر من أريج الطيب
ماذا عسى يبغى المطيل وقد حوى * فى مدحك القرآن كل مطيب
ياهل تبلغنى الليالى زورة * تدنى الى الفوز بالمرغوب
أمحو خطيآتى باخلاصى بها * وأحط أوزارى واصرف ذنوبى
فى فتية هجروا المنى وتعودوا * انضاء كل نجيبة ونجيب
يطوى صحائف ليلهم نوق الفلا * ماشئت من خبب ومن تقريب
ان رنم الحادى بذكرك رددوا * أنفاس مشتاق اليك طروب
أو غرد الركب الحلى بطيبة * حنوا لمغناها حنين النيب
ورثوا اعتساف البيد عن آبائهم * ارث الخلافة فى بنى يعقوب
الطاعنون الخيل وهى عوابس * يغشى مثار النقع كل سبيب
والواهبون المقربات صوافنا * من كل خوار العنان لعوب
والمانعون الجار حتى عرضه * فى منتدى الاعداء غير معيب
تخشى بوادرهم ويرجى حلمهم * والعز شيمة مرتجى ومهيب

ومنها فى ذكر اجازته البحر واستيلائه على ملكه

سائل بنى طامى العباب وقد سرى * تزجيه ريح العزم ذات هبوب
تهديه شهب أسنة وعزائم * يصدعن ليل الحادث المرهوب
حتى انجلت ظلل الظلام بسعيه * وسطا الهدى بفريقه المغلوب
أنى الاولى شادوا الخلافة بالتقى * واستأثروا بتاجها المغصوب
جمعوا لحفظ الدين أى مناقب * كرموا بها فى مشهد ومغيب
لله مجدك طارفا أو تالدا * فلقد نهدت امنه كل عجيب
كم رهبة أو رغبة لك فى العلا * تقتاد بالترغيب والترهيب
لازلت مسرورا بأشرف دولة * يبدو الهدى من أفقها المرغوب

Marfat.com

ومن قصيدته الطيفية وعدتها ثلثمائة وستون بيتا المسماة بالديوان اليدوي والعيوان الغربي المسمى بالزراعة

فلعمت بدا الاشواق من زندي * وهفت بقلبي ذكرة الربعان
وبعدت سلوان على ثقتي * بالقرب فاستبدلت بالبعد
وارب وصال كنت أحسبه * فاعتضت منه بؤلم الصد
لا عهد عند الصبر أطلبه * ان الغرام أضاع من عهدي
بلي العذول فما أعنفه * وأقول نحل فأين رشدي
وأعارض النفحات أستطلع * برد الهوى في الوقد
يهدي الغرام الى مسالكه * أعلى بتعريف ما تهدي
يا سائق الاظعان معتسفا * حاد الصلاة لطيبة الوعر
أرح الركاب في السباسب أ * يعوض من المشقة السفر
وسل الربوع برامتين وما * حولي بها كيف شعب وبعد
ما لي بلام على أهوى عذول * وهو الذي لامني وفيه
لا بيت الا الذي قد رحلوا * الا الحنين هو الرشد
ثم الطيف في هدى ويهدي
تحمل السمراء الغرير شمائم * ومنها في ذكر حلوى اليه وما ارتكبه فيه
لله محبوبي اذ تأوى * ذكراه وهو بقلبي وطري
شهم يقل بواترا قضبا * يوم الوغى أبطال أولي البأس
أوريت زند العزم في طفل * وبعثته وهو ابن عشرين
ووردت عن ظمأ مناهله * فرويته من عز ومن رغد
هي جنة الأوهام لكنه * أحلا بها لك أيها الجد
لو لم أغل بمدحكم ثمنا * ما قل عندي حمد أنعمكم
من مبلغ قومي وذوي رحمي * قد صار لي بولائكم رحمي
اني أنفت على رجائكم * وعلاكم نسبي
ورفيعة الأعطاف عالية * مهيفة
وحنيفة الانساب ما أنست * وهو صبر البيداء بالعرد
تسمو بمجد بالغ أمدا * شرف الصروح يقل بر ما جهدا
طالت ذؤابة المكارمات * وبدا فأصبحت سيد الوهد

Marfat.com

قطعت اليك تنائفا وصلت * آثارها بالقهد والوخد
تحدى على استصفا شهاذللا * وتبيت طوع القن والقد
لسعودك اللاتى ضمن لها * طول الحياة بعيشة رغد
جاءتك فى وفد الاحابش لا * يرجون غيرك مكرم الوفد
وافوك انضاء تقلبهم * أيدى السرى بالغور والنجد
يثنون بالحسنى التى سبقت * من غيرانكار ولا جحد
ويرون حظك من وفادتهم * نفرا على الاتراك والهند
يامستعينا جل فى شرف * عن رتبة المنصور والمهدى
جازالزربك عن خليقته * خير الجزاء فنعم من يسدى
وبقيت للدنيا وساكنها * فى عزة أبدا وفى سعد

وأنشدته فى سائر أيامه غيرهاتين القصيدتين كثيرالم يحضرنى الآن شئ منه ثم غلب ابن مرزوق على هواه وأفرد بخالصته وكبح الشكائم عن قربه فانقبضت وقصرت الخطو مع البقاء على ما كنت فيه من كتابة سره وانشاء مخاطباته ومراسمه ثم ولانى آخر الدولة خطة المظالم فوفيتها حقها ودفعت للكثير مما أرجوثوابه ولم يزل ابن مرزوق آخذا فى سعايته بى ويامنالى من أهل الدولة غيرة ومنافسة الى أن انتقض الامر على السلطان بسببه وثار الوزير عمر بن عبدالله بدار الملك فصار اليه الناس ونبذوا السلطان وبيعته وكان فى ذلك هلاكه على ماذكرناه فى أخبارهم ولما قام الوزير عمر بالامر أقرنى على ماكنت عليه ووفر أقطاعى وزادنى جرايتى وكنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع مما كنت فيه وأدل فى ذلك بسابق مودة معه منذ أيام السلطان أبى عنان وصحابة استحكم عقدها بينى وبين الامير أبى عبدالله صاحب بجاية فكان ثالث آثافينا ومصقل فكاهتنا واشتدت غيرة السلطان كما مر وسطا بنا وتغافل عن عمر بن عبدالله لمكان أبيه من ثغر بجاية ثم حانى الادلال عليه أيام سلطانه وما ارتكبه فى حقى من القصور بى عما أسموا اليه الى أن هجرته وقعدت عن دار السلطان مغاضبا له فتنكر لى وأقطعنى جانبا من الاعراض فطلبت الرحلة الى بلدى بافريقية وكان بنو عبدالواد قد راجعوا ملكهم بتلمسان والمغرب الاوسط فنعنى من ذلك أن يغتبط أبو حمو صاحب تلمسان بمكانى وأقيم عنده وألح فى المنع من ذلك وأبيت أنا الا الرحلة واستجرت فى ذلك بردبفه وصهره الوزير مسعود بن رحو بن ماسى ودخلت عليه يوم الفطر سنة ثلاث وستين فأنشدته

هنيا لصوم لاعداه قبول * وبشرى لعيد أنت فيه منيل
وهنأتنا من عزة وسعادة * تتابع أعوام بها وفصول

Marfat.com

سقى الله دهرا أنت انسان عينه * ولامس ربعا فى حمالك محول
فعصرك ما بين الليالى مواسم * له غرر وضاحة وحجول
وجانبك المأمول للجود مشرع * يحوم عليه عالم و جهول
عمالك وان ضن الزمان منوّلى * فرسم الامانى من سوالك محيل
أجرنى فليس الدهر لى بمسالم * اذا لم يكن لى فى ذراك مقيل
وأوليتنى الحسنى بما أنا آمل * فمثلك يولى راجيا و ينيل
ووالله ما رمت الترحل عن قلى * ولا سخطة للعيش فهو بجزيل
ولا رغبة عن هذه الدار انها * لظل على هذا الانام ظليل
ولكن نأى بالشعب عنا حبائب * نجاهن خطب والفراق طويل
يهيج بهن الوجد انى نازح * وان فؤادى حيث هن حلول
عزيز علىهن الذى قد لقيته * وان اغترابى فى البلاد يطول
توارت بانى البقاع كأننى * تخطفت أو غالت ركابى غول
ذكرتك يا مغنى الاحبة والهوى * فطارت لقلبى أنة وعويل
وحييت عن شوق ربالك كانما * يمثل لى فى ربعها وطلول
أأحبابنا والعهد بينى و بينكم * كريم وما عهد الكريم يحول
اذا أنا لم ترض الحمول مدامعى * فلا قربتنى للقاء حمول
إلام مقامى حيث لم ترد العلا * مرادى ولم تعط القياد ذلول
ويذهب بى ما بين يأس ومطمع * زمان بنيل المعلوات بخيل
تعللنى منه أمان خوادع * ويؤنسنى منه أمان مطول
أما لليالى لا ترد خطوبها * ففى كبدى من وقعهن فلول
يروعنى عن صرفها كل حادث * تكاد له صم البلاد تزول
أدارى على رغم العداة بريبة * يصانع واش جوفها وعذول
وأغدو بأشجانى عليلا كأنما * تجود بنفسى زفرة وغليل
وانى وان أصبحت فى دار غربة * تحيل الليالى سلوتى وتديل
وصدتنى الايام عن خير منزل * عهدت به أن لا يضام نزيل
لا علم أن الخير فاش مكثر * وان هان أنصار وبان خليل

فأعانى الوزير مسعود عليه حتى أذن لى فى الانطلاق على شريطة العدول عن تلمسان فى أى مذهب أردت فاخترت الاندلس وصرفت ولدى وأمهم الى أخوالهم أولاد القائد محمد بن الحكيم بقسنطينة فاتح أربع وستين وجعلت أنا طريقى على الاندلس وكان

Marfat.com

سلطانها أبو عبد الله المخلوع وحين وفد على السلطان أبي سالم بفاس وأقام عنده حصلت لي معه سابقة وصلة خدمة من جهة الوزير أبي عبد الله بن الخطيب لما كان بيني وبينه من الصحابة فكنت أقوم بخدمته واعتمل في قضاء حاجاته في الدولة ولما أجاز باستدعاء الطاغية لاسترجاع ملكه حين فسد ما بين الطاغية وبين الرئيس المتوثب عليه بالاندلس من قرابته خلفته فيما ترك من عياله وولده بفاس خير خلف في قضاء حاجاتهم وادرار ارزاقهم من المتولين لها والاستخدام لهم ثم فسد ما بين الطاغية وبينه قبل ظفره بملكه برجوعه عما اشترطه له من التحافي عن حصون المسلمين التي تملكها بالاجلاب فنارقه الى بلاد المسلمين باستجة وكتب الى عمر بن عبد الله يطلب مصرا من أمصار الاندلس الغربية التي كانت ركابا لملوك المغرب في جهادهم وخاطبني أنا في ذلك فكنت اثير الوسيلة عند عمر حتى تم قصده من ذلك وتجافى له عن رندة وأعمالها فنزلها وتملكها وكانت دار هجرة وركاب فتحه وملك منها الاندلس أواسط ثلاث وستين واستوحشت أنا من عمر اثر ذلك كما مر وارتحلت اليه معولا على سوابقي عنده فقرب في المكافأة كما سنذكره ان شاء الله تعالى

(الرحلة الى الاندلس)

ولما جمعت الرحلة الى الاندلس بعثت باهلي وولدي الى أخوالهم بقسنطينة وكتبت اليهم الى صاحبها السلطان أبي العباس من حفدة السلطان أبي يحيى وباني أمر على الاندلس وأجيز عليه من هنالك وسرت الى سبتة فرضة المجاز وكبيرها يومئذ أبو العباس أحمد بن الشريف الحسني ذو النسب الواضح السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب انتقل سلفه الى سبتة من صقلية وأكرمهم بنو العزفي أولا وصاهر وهم ثم عظم صيتهم في البلد فتنكروا لهم وغربهم يحيى العزفي آخرهم الى الجزيرة فاعترضهم مراكب النصارى في الزقاق فأسروهم وانتدب السلطان أبو سعيد الى فديتهم رعاية لشرفهم فبعث الى النصارى في ذلك فأجابوه وفادى هذا الرجل وأباه على ثلاثة آلاف دينار ورجعوا الى سبتة وانقرض بنو العزفي ردولتهم وهلك والد الشريف وصدر هو الى رياسة الشورى لما كانت واقعة القيروان وخلع أبو عنان أباه واستولى على المغرب وكان بسبتة عبد الله ابن علي الوزير والي البلد من قبل السلطان أبي الحسن فتملك بدعوته ومال أهل البلد الى السلطان أبي عنان وأمكنوه من بلدهم فولى عليها من عظماء دولته سعيد بن موسى العجيسي كان كافل تربيته في صغره وأفرد هذا الشريف برياسة الشورى في سبتة فلم يكن يقطع أمرا دونه ووفد على السلطان بعض الايام فلقاه من المبرة بالايثار كه فيه أحد من وفود الملوك والعظماء ولم يزل على ذلك سائر أيام السلطان

Marfat.com

وبعد وفاته وكان معظما وقورا لمجلس هش اللقاء كريم الوفادة متحليا بالعلم والادب متحلا للشعر غاية فى الكرم وحسن العهد وسداجة النفس ولما مررت به سنة أربع وستين أنزلنى ببيته ازاء المسجد الجامع ورأيت منه مالا يقدر مثله من الملوك وأركبنى الحراقة ليلة سفرى يباشر خروجها الى الماء بيده اغرابا فى الفضل والمساهمة وحططت بجبل الفتح وهو يومئذ لصاحب المغرب ثم خرجت منه الى غرناطة وكتبت للسلطان ابن الاحمر وزيره ابن الخطيب بشانى وليلة بت بقرب غرناطة على بريد منها القينى كتاب ابن الخطيب يهنينى بالقدوم ويؤنسنى ونصه

حللت حلول الغيث فى البلد المحل * على الطائر الميمون والرحب والسهل
يمينا بمن تعنو الوجوه لوجهه * من الشيخ والطفل المعصب والكهل
لقد نشأت عندى للفيالغبطة * تنسى اغتباطى بالشبية والاهل
ووددى لا يحتاج فيه لشاهد * وتقريرى المعلوم ضرب من الجهل

أقسمت بمن حجت قريش لبيته وقبر صرفت أزمة الاحياء لميته (١) ونور ضربت الامثال بمشكاته وزيته لو خيرت أيها المحب الحبيب الذى زيارته الامنية السنية والعارفة الوارفة واللطيفة المطيفة بين رجع الشباب يقطر ماؤه ويرف نماؤه ويغازل عيون الكواكب فضلا عن الكواعب اشارة وايماء بحيث لا آلو فى حظ يلم بساحة لمته أو يقدح ذباله فى ظلمته أو يقدم حواريه فى ملمته من الاحابش وأمته وزمانه روح وراح ومغدى فى النعيم ومراح وخصب صراح ورنق وجراح وانتخاب واقتراح وصدر مابه الا انشراح ومسرات يردفها افراح وبين قدوملث خليع الرسن ممتعا والحمد لله باليقظة والوسن محكما فى نسك الجنيد أو فتك الحسن بمتعا بطرف المعارف مالنا ألف الصيارف ماحيا بأنوار البراهين شيبه الزخارف لما اخترت الشباب وان شاقنى زمنه وأعيانى ثمنه وأجرت سحاب دمعى دمنه فالحمد لله الذى رفأ حنوه اغترابى وملكنى أزمة آرابى وغبطنى بمالى وترابى ومألف اترابى وقد أغصنى بلا ذ شرابى ووقع على سطوره المعتبرة اضرابى وعملت هذه مغبطة بمناخ المطية وملتقى للسعود غير البطيئة وتهنى الآمال الوثيرة الوطيئة فلثمت نفوس عاطشة الى ريك متجملة بزيك عاقلة خطى تسهر يك ومولى مكارمك لامنالك ومضان منالك وسيصدق الخبر ماهنالك ويسع فضل الله ما تخلف عن الاصحار لا بل اللقاء من وراء البحار والسلام ثم أصبحت من الغد فأدمنا على البلد وذلك ثامن ربيع الاول عام أربعة وستين وقد اهتز السلطان لقدومى وهيأ لى المنزل من قصوره بفرشه وماعونه وأركب خاصته للقائى تحفيا وبرا ومجازاة بالحسنى ثم دخلت

Marfat.com

عليه فقابلني بما يناسب ذلك وخلع وانصرفت وخرج الوزير ابن الخطيب فشيعني الى مكان نزلي ثم نظمني في عليّة أهل مجلسه واختصني بالنجاء في خلوته والمراكبة في ركوبه والمواكلة والمفاكهة في خلوات أنسه ولقيت عنده وسفرت عنه سنة خمس وستين الى الطاغية ملك قشتالة يومئذ بطرة بن الهنشة بن ادفونش لاتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدوة بهدية فاخرة من ثياب الحرير والجياد والمقربات بمراكب الذهب الثقيلة فلقيت الطاغية باشبيلية وعاينت آثار سلفي بها وعاملني من الكرامة بما لامزيد عليه وأظهر الاغتباط بمكاني وعلم أولية سلفنا باشبيلية وأثنى على عنده طبيبه ابراهيم ابن زرور اليهودي المقدم في الطب والنجامة وكان لقيني بمجلس السلطان أبي عنان وقد استدعاه يستطبه وهو يومئذ بدار ابن الاحمر بالاندلس ثم نزع بعده مهلك رضوان بن القائم بدولتهم الى الطاغية فأقام عنده ونظمه في أطبائه فلما قدمت أنا عليه أثنى علي عنده فطلب الطاغية حينئذ المقام عنده وان يرد علي تراث سلفي باشبيلية وكان بيد زعماء دولته فتفاديت من ذلك بما قبله ولم يزل على اغتباطه الى أن انصرفت عنه فزودني وحملني واختصني ببغلة فارهة بمركب ثقيل وبلجام ذهبين أهديتهما الى السلطان فأقطعني قرية البيرة من أراضي الستي بمرج غرناطة وكتب لي بها منشورا كان نصبه

ثم حضرت ليلة المولد النبوي بالخامسة وكان يحتفل في الصنيع فيها والدعوة وانشاد الشعر اقتداء بملوك المغرب فأنشدته ليلتئذ

حيّ المعاهد كانت قبل تحييني * بواكف الدمع يرميها وتضميني
انّ الاولى نزحت داري ودارهم * تحملوا القلب في آثارهم دوني
وقفت أنشد صبرا ضاع بعدهم * فيهم وأسأل رسما لا يناجيني
أمثل الربع من شوقي فألثمه * وكيف والفكر يدنيه ويقصيني
ويذهب الوجد مني كل لؤلؤة * مازال قاني عليها غير مأمون
سقت جفوني مغاني الربع بعدهم * بالدمع وقف على اطلاله الجوني
قد كان للقلب عن داعي الهوى شغل * لو أنّ قلبي الى السلوان يدعوني

Marfat.com

أحبابنا الوعهد الوصل مذكر * وهل نسيمة منكم تحيني
مالى وللطيف لايعتاد زائره * وللنسيم عليلا لابدا ويني
ياأهل نجد ومانجد وساكنها * حسنا سوى جنة الفردوس والعين
أضنوكم انني ما مزذكركم * شبت نفسى كأن الراح يحيني
أصبو الى البرق من انحاء أرضكم * شوقا ولولاكم ما كان يصبيني
ياناز حاوالمى تدنيه من خلدى * حتى لأحسبه قربا يناجيني
أسلى هوالفؤادى عن سوالدوما * سوالدو مابحال عنك يسليني
ترى الليالى أنستك اذكاريا * من لم تكن ذكره الايام تنسيني

ومنها فى وصف الايوان الذى بناه لجلوسه بين قصوره

يامصنعا شدت منه للعود حى * لايطرق الدهر مبناه بتوهين
صرح يحار لديه الطرف ملتبسا * فيما يروم من شكل وتلوين
بعد الايوان كسرى ان قصرك السامى لاعظم من تلك الاواوين
ودع دمشق ومغناها فقد صرلك ذا * أشهى الى القلب من أبواب جيرونى

ومنها فى التعريض بمنصرفى من العدوة

من مبلغ عنى الصحب الأولى نزلوا * ودى وضاع حماهم اذ أضاعونى
انى أويت من العليا الى حرم * كادت معاينه بالبشرى تحيينى
وانى ظاعن لم أل بعدكم * دهرا أشاكى ولاخلا يشاكينى
لاكالتى أخفرت عهدى ليالى اذ * أقلب الطرف بين الخوف والهون
سقيا ورعيا لايامى التى ظفرت * يداى منها بحظ غير مغبون
أرتاد منها ملبا لايما ظمئى * وعدا وأرجو كريما لايعنينى
وهالك منها قواف طيها حكم * مثل الازاهر فى طى الرياحين
تلوح ان جليت درا وان تليت * تثنى عليك بأنفاس الساتين
عاينت فيها بجهدى كل شاردة * لولا سعودك ما كانت تواتينى
يمانع الفكر عنها ماتقسمه * من كل حزب بطى الصدر مكنون
لكن بسعدك ذللت لى شواردها * فرضت منها بتحبير وتزيين
بقيت دهرك فى أمن وفى دعة * ودام ملكك فى نصر وتمكين

وأنشدته سنة خمس وستين فى اعذار ولده والصنيع الذى احتفل لهم فيه ودعا اليه الخلفاء من نواحى الانداس ولم يحضرنى منها الاما أذكره

ضحا الشوق لولا عبرة ونحيب * وذكرى تجد الوجد حين تثوب

Marfat.com

وقاب أبى الا الوفاء بعهده * وان نزحت دار وبان حبيب
ولله منى بعد حادثة النوى * فؤاد لتذكير العهود طروب
يؤرقه طيف الخيال اذا سرى * وتذكى حشاه نفحة وهبوب
خليلى لا تستعديا قد دعا الاسى * فانى لما يدعو الاسى لمجيب
ألما على الاطلال نقض حقوقها * من الدمع فياض الشؤن سكوب
ولا تعذلانى فى البكاء فانها * حشاشة نفسى فى الدموع تذوب

ومنها فى تقدم ولده للاعذار من غير نكول

فيمم منه الحفل لامتقاعس * ولا نكس عند اللقاء هبوب
وراح كما راح الحسام من الوغى * تروق حلاه والفرند خضيب
شواهز هدتهن منك شمائل * وخلق بصفو المجد منك مشوب

ومنها فى الثناء على ولديه

هما النيران الطالعان على الهدى * بآيات فتح شأنهن عجيب
شهابان فى الهيجا نعامان فى الندى * نسج المعالى منهما ونصوب
يدان لبسط المكرمات غماهما * الى المجد فياض اليدين وهوب

وأنشده ليلة المولد الكريم من هذه السنة

أيا لطف أن يعتاد الا توهما * فمن لى بأن ألقى الخيال المسلما
وقد كنت أستهديه لو كان نافعى * واستمطر الاجفان لو تطر الظما
ولكن خيال كاذب وطماعة * تعلل قلبا بالامانى متيما
أيا صاحبى نجواى والحب لوعة * يبيح بشكواها الضمير المكتما
خذا الفؤادى العهد من نفس الصبا * وطى النقا والبان من أجرع الحمى
الا صنع الشوق الذى هو صانع * صحى مقيم أقسم الشوق أوسما
وانى ليدعونى السلو تعللا * وتنهانى الاشجان أن أتقدما
لمن دمن أقفرن الاهواتف * تردد فى اطلالها الترنما
عرفت بها سيما الهوى وتنكرت * فعجت على آياتها متوسما
وذو الشوق يعتاد الربوع دوارسا * ويعرف آثار الديار توهما
تؤوبنى والليل بينى وبينه * وميض بأطراف الثنايا تضرما
أجد لى العهد القديم كأنه * أشار بتذكار العهود فأفهما
عجبت لمرتاع الجوانح خافق * بكيت له خلف الدجا وتبسما
وبت أروية كؤس مدامعى * وبات يعاطينى الحديث عن الحمى

وصافحته عن رسم داربذى الغضى * لبست بها ثوب الشبيبة معلما
لعهدى بها تدنى الظباء أوانسا * وتطلع فى آفاقها الغيد أنجما
أحن اليها حيث سار بى الهوى * وأنجد رحلى فى البلاد وأتهما

ولما استقر القرار واطمأنت الدار وكان من السلطان الاغتباط والاستبشار وكثر الحنين الى الاهل والتذكار أمر لاستقدام أهلى من مطرح اغترابهم من قسنطينة بعث اليهم من جاء بهم الى تلمسان وأمر قائد الاسطول بالمرية فسار فى اجازتهم فى أسطوله واحتلوا بالمرية واستأذنت السلطان فى تلقيهم وقدمت بهم على الحضرة بعد أن هيأت لهم المنزل والبستان ودمنة الفلح وسائر ضروريات المعاش وكتبت الى الوزير ابن الخطيب عندما قاربت الحضرة وقد كتبت اليه أستأذنه فى القدوم وما اعتمده فى أحواله سيدى قدمت بالطير اليمانين وعلى البلد الامين واستضفت الرفاء الى البنين ومتعت بطول السنين وصلتنى البراءة المعربة عن كتب اللقاء ودنو المزار وذهاب البعد وقرب الديار وأستفهم سيدى عما عندى فى القدوم على المخدوم واحب أن يتقدمنى سيدى الى الباب الكريم فى الوقت الذى يجد المجلس الجمهورى لم يقض حجه ولم يصح بهجه ويصل أهل بعده الى المحل الذى هيأته السعادة لاستقرارهم واختاره اليمن قبل اختيارهم والسلام ثم لم ينشب الاعداء وأهل السعايات أن حملوا الوزير ابن الخطيب من ملابسق للسلطان واشتماله على وحركوا له جواد الغيرة فتنكر وشممت منه رائحة الانقباض مع استبداده بالدولة وتحكمه فى سائر أحوالها وجاءتنى كتب السلطان أبى عبد الله صاحب بجاية بأنه استولى عليها فى رمضان سنة خمس وستين واستدعانى اليه فاستأذنت السلطان ابن الاحمر فى الارتحال اليه وعميت عليه شأن ابن الخطيب ابقاء للمودة فارتعض لذلك ولم يسعه الا الاسعاف فودع وزود وكتب لى مرسوما بالتشييع من املاء الوزير ابن الخطيب نصه هذا ظهير كريم تضمن تشييعا وترفيعا واكراما واعظاما وكان لعمل الصنيع ختاما وعلى الذى أحسن تماما وأشاد به للمعتمد الذى راق قساما وتوفر اقساما وأعلق بالقبول أن نوى بعد القوى رجوعا وآثر على الظعن المزمع مقاما أمر به وأمضى العمل بمقتضاه وجلسه الامير أبو عبد الله محمد ابن مولانا أمير المسلمين أبى الحجاج ابن مولانا أمير المسلمين الوليد بن نصر أيد الله أمره وأعز نصره وأعلى ذكره للولى الجليس السلطانى القريب الاود الابن الفقيه الجليل الصدر الاوحد الرئيس العالم الفاضل الكامل الموقع الامين الاظهر الارضى الاخلص الاصفى أبى زيد عبد الرحمن ابن الشيخ الجليل المحسب الاصيل المرفع المعظم الصدر الاوحد الاسمى الافضل الموقر المبرور أبى يحيى ابن الشيخ

Marfat.com

الجليل الكبير الرفيع الماجد القائد الحظى المعظم الموقر المبرور المرحوم أبى عبد الله
ابن خلدون وصله الله أسباب السعادة مبلغه من فضله أقصى الارادة أعلن بما عنده أيده
الله من الاعتقاد الجميل فى جانبه المرفع وان كان غنيا عن الاعلان وأعرب عن معرفة
مقداره فى الحسبان العلماء الرؤساء الاعيان وأفاد باتصال رضاه عن مقاصده البرة
وشيمه الحسان من لدن وفد على بابه وقادة العز الراسخ البنيان وأقام المقام الذى عين
له رفعة المكان واجلال الشان الى أن عزم على قصد وطنه أبلغه الله فى ظل الامن
والامان وكفالة الزمن بعد الاغتباط المربى على الخبر بالعيان والتمسك بجواره بجهد
الامكان ثم قبول عذره بما جبلت الانفس عليه من الحنين الى المعاهد والاوطان بعد
أن لم يدخر عنه كرامة رفيعة ولم يحجب عنه وجه صنيعه فولاه القيادة والسيادة
وأجله جليسا معتمدا بالاستشارة ثم أصحبه تشييعا يشهد بالضنانة بفراقه ويجمع له بر
لوجاهته من جميع آفاقه ويجعله بيده رئمة خنصر ووثيقة سامع أو مبصر فهما لوى الى
هذه البلاد بعد قضاء وطره وقلبه من نهمة سفره أو نزع به حسن العهد وحنين الود
فصدر العناية به مشروح وباب الرضا والقبول مفتوح وما عهده من الحظوة والبر
ممنوح فما كان القصد فى مثله من امجاد الاولياء التحول ولا الاعتقاد الكريم التبدل
ولا الزمن الاخيران ينسخ الاول على هذا فليطو ضميره وليرد ما شاء غميره ومن وقف
عليه من القواد والاشياخ والخدام برا وبحرا على اختلاف الخطط والرتب وتباين
الاحوال والنسب أن يعرفوا حق هذا الاعتقاد فى كل ما يحتاج اليه من تشييع
ونزول واعانة وقبول واعتناء موصول الى أن يكمل الغرض ويؤدى من امتثال هذا
الامر الواجب المفترض بحول الله وقوته وكتب فى التاسع عشر من جمادى الاولى عام
ست وستين وسبعمائة وبعد التاريخ العلامة بخط السلطان ونصها صح هذا

(الرحلة من الاندلس الى بجاية وولايته الحجابة بها على الاستبداد)

كانت بجاية ثغر الافريقية فى دولة بنى أبى حفص من الموحدين ولما صار أمرهم
للسلطان أبى يحيى منهم واستقل بملك افريقية ولى فى ثغر بجاية ابنه الامير أبو زكريا
وفى ثغر قسنطينة ابنه الامير أبو عبد الله وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط
ينازعونه فى أعماله ويحجرون الكتائب على بجاية ووطيلبون على قسنطينة الى أن
تملك السلطان أبو بكر بذمة من السلطان أبى الحسن ملك المغرب الاوسط والاقصى
من بنى مرين وله الشنوف على سائر ملوكهم وزحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان
فأخذ بخنقها سنتين أو أزيد وملكها عنوة وقتل سلطانها أبا تاشفين وذلك سنة سبع
وثلاثين وخف ما كان على الموحدين من أمر بنى عبد الواد واستقامت دولتهم ثم هلك

Marfat.com

أبو عبد الله ابن السلطان أبي يحيى بقسنطينة سنة أربعين وخلف سبعة من الاولاد كبيرهم أبو زيد عبد الرحمن ثم أبو العباس أحمد فولى الامير أبو زيد مكان أبيه في كفالة نبيل مولاهم ثم توفي الامير أبو زكريا ببجاية سنة ست وأربعين وخلف ثلاثة من الاولاد كبيرهم أبو عبد الله محمد وبعث السلطان أبو بكر ابنه الامير ابا حفص عليها فمال أهل بجاية الى الامير أبي عبد الله بن زكريا وانحرفوا عن الامير عمر وأخرجوه وبادر السلطان فرقع هذا الخرق بولاية أبي عبد الله عليهم كما طلبوه ثم توفي السلطان أبو بكر منتصف سبع وأربعين وزحف ابو الحسن الى افريقية فملكها ونقل الامراء من بجاية وقسنطينة الى المغرب وأقطع لهم هنالك الى أن كانت حادثة القيروان وخلع السلطان أبو عنان أباه وارتحل من تلمسان الى فاس فنقل معه هؤلاء الامراء أهل بجاية وقسنطينة وخلطهم بنفسه وبالغ في تكرمتهم ثم صرفهم الى ثغورهم الامير أبا عبد الله أولا واخوته من تلمسان وأبا زيد واخوته من فاس ليستبدوا بثغورهم ويخذلوا الناس عن السلطان أبي الحسن فوصلوا الى بلادهم وملكوها بعد أن كان الفضل ابن السلطان أبي بكر قد استولى عليها من يد بني مرين فانتزعوها منه واستقر أبو عبد الله ببجاية حتى اذا هلك السلطان أبو الحسن بجبال المصامدة وزحف أبو عنان الى تلمسان سنة ثلاث وخمسين فهزم ملوكها من بني عبد الواد وأبادهم ونزل المرية وأطل على بجاية وبادر الامير أبو عبد الله للقائه وشكا اليه ما يلقاه من زبون الجند والعرب وقلة الجباية وخرج له عن ثغر بجاية فملكها وأنزل عماله بها ونقل الامير أبا عبد الله معه الى المغرب فلم يزل عنده في كفاية وكرامة ولما قدمت على السلطان أبي عنان سنة خمس وخمسين واستخلصني منه نبضت عروق السابق بيني وبين سلفي وسلف الامير أبي عبد الله واستدعاني لصحابته فأسرعت وكان السلطان أبو عنان شديد الغيرة من مثل ذلك ثم كثر المنافسون ورفعوا الى السلطان وقد طرقه مرض أرجف له الناس فرفعوا له أن الامير أبا عبد الله اعتزم على الفرار الى بجاية وانى عاقدته على ذلك على أن يوليني صحابته فابعث له السلطان وسطا بنا واعتقلني نحوا من سنتين الى أن هلك وجاء السلطان أبو سالم واستولى على المغرب وولیت كتابة سره ثم نهض الى تلمسان وملكها من بني عبد الواد وأخرج منها أبا حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يغمراسن ثم اعتزم على الرجوع الى فاس وولى على تلمسان أبا زيان محمد بن أبي سعيد عثمان ابن السلطان أبي تاشفين وأمده بالاموال والعساكر من أهل وطنه ليدافع أبا حمو عن تلمسان ويكون خالصة له وكان الامير أبو عبد الله صاحب بجاية كما ذكرناه والامير أبو العباس صاحب قسنطينة بعدان كان بنو مرين حاصروا أخاه أبا زيد بقسنطينة

Marfat.com

أعوانا تباعا ثم خرج لبعض مذاهبه الى برنة وترك أخاه أبا العباس فخلعه واستبد بالامر وخرج الى العساكر المجمرة عليها من بني مرين فهزمهم وأثخن فيهم ونهض السلطان اليه من فاس سنة ثمان وخمسين فتبرأ منه أهل البلد وأسلموه فبعثه الى سبتة في البحر واعتقله بها حتى اذا ملك السلطان أبو سالم سبتة عند اجازته من الاندلس سنة ستين أطلقه من الاعتقال وصحبه الى دار ملكه ووعده برد بلده عليه فلما ولى أبو زيان على تلمسان أشار عليه خاصته ونصحاؤه بأن يبعث هؤلاء الموحدين الى ثغورهم فبعث أبا عبد الله الى بجاية وقد كان ملكها عمه أبو اسحق صاحب تلمسان ومكفول بن تافراكين من يد بني مرين وبعث أبا العباس الى قسنطينة وبها زعيم من زعماء بني مرين وكتب اليه السلطان أبو سالم أن يفرج له عنها فملكها لوقته وسار الامير أبو عبد الله الى بجاية فطال اجلابه عليها ومعاودته حصارها وألح أهلها في الامتناع منه مع السلطان أبي اسحق وقد كان لي المقام المحمود في بعث هؤلاء الامراء الى بلادهم وتوليت كبر ذلك مع خاصة السلطان أبي سالم وكتاب أهل مجلسه حتى تم القصد من ذلك وكتب لي الامير أبو عبد الله بخطه عهد ابولاية الخطابة متى حصل على سلطانه ومعنى الخطابة في دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين أهل دولته لا يشاركه في ذلك أحد وكان لي أخ صغير اسمه يحيى أصغر مني فبعثه مع الامير أبي عبد الله حافظا للرسم ورجعت مع السلطان الى فاس ثم كان ما قدمته من انصرافي الى الاندلس والمقام بها الى أن تنكر الوزير ابن الخطيب وأظلم الجو بيني وبينه وبينما نحن في ذلك وصل الخبر باستيلاء الامير أبي عبد الله على بجاية من يد عمه في رمضان سنة خمس وستين وكتب لي الامير أبو عبد الله يستقدمني فاعتزمت على ذلك ونكر السلطان أبو عبد الله بن الاحمر ذلك مني لا لظنه سوى ذلك اذ لم يطلع على ما كان بيني وبين الوزير ابن الخطيب فأمضيت العزم ووقع منه الاسعاف والبر والالطاف وركبت البحر من مرسى المرية منتصف ست وستين ونزلت بجاية لخامسة من الاقلاع فاحتفل السلطان صاحب بجاية لقدومي وأركب للقائي وتهافت أهل البلد علي من كل أوب يمسحون أعطافي ويقبلون يدي وكان يوما مشهودا ثم وصلت الى السلطان فحيا وفدى وخلع وحمل وأصبحت من الغد وقد أمر السلطان أهل الدولة بمباكرة بابي واستقللت بحمل ملكه واستفرغت جهدي في سياسة أموره وتدبير سلطانه وقدمني للخطابة بجامع القصبة لا انفك عن ذلك ووجدت بينه وبين ابن عمه السلطان أبي العباس صاحب قسنطينة فتنة أحدثتها المشاحة في حدود الاعمال من الرعايا والعمال وشبت نارها هذه الفتنة بعرب أوطانهم من الزواودة من رياح تنفيقا السوق الزبون يميرون به أموالهم فكانوا في أهم شقة يجمع بعضهم

لبعض فالتقوا فانهزم عسكر [illegible] وثبت السلطان أبو العباس مع نفر يسير فحمل عليهم فانهزم السلطان أبو عبد الله وعسكره ورجع الى بجاية منفلا بعد ان كنت جمعت له أموال كثيرة أنفق جميعها في الحرب ولما رجع رأى نوبته انفضة خرجت بنفسي الى قبائل البربر بالجبال المتحصنين من الغارم منفسين فدخلت بلادهم واعتصمت بهم وأخذت رهنهم على الطاعة حتى استوفيت منهم الجباية وكان لقائي في ذلك شدة وعناء ثم بعث صاحب تلمسان الى السلطان يطلب منه الصهر فأسعفه بذلك ليصل يده به على ابن عمه وزوجه ابنته ثم خرج السلطان أبو العباس يخضع وستين وبايس أوطان ببجاية وكاتب أهل البلد وكانوا وجلين من السلطان أبي عبد الله لما كان يرهف الحد لهم ويشد وطأته عليهم فأجابوه الى الانصراف عنه وخرج الشيخ أبو عبد الله يروم مدافعته ونزل جبل ايزو معتصما به فبيته السلطان أبو العباس فهاكره وجموع الاعراب من أولاد محمد من رياح بمكانه ذلك باغراء ابن عمر وقبائل سدو يكش وكبه في محجمه وركض هاربا فلحقه وقتله وسار الى البلد بمواعدة أهله وجاءني الخبر بذلك وانا مقيم بعصبة السلطان بقصوره وطلب مني جماعة من أهل البلد القيام بالامر والبيعة لبعض أبناء السلطان فتفاديت من ذلك وخرجت الى السلطان أبي العباس فأكرمني وحباني وأمكنته من بلده وأجرى أحوالها كلها على معهودها وكثرت السعاية عنده في والتحذير من مكاني وشعرت بذلك فطلبت الاذن في الانصراف بعهد كان منه في ذلك فأذن لي بعدما أبى وخرجت الى العرب ونزلت على يعقوب بن علي ثم بدا له الشأن في أمري وقبض على أخي واعتقله بيونة وكبس بيوتا فظن بها ذخيرة وأموالا فأخفق ظنه ثم ارتحلت من أحياء يعقوب بن علي وقصدت بسكرة فصادفت بين شيخها أحمد بن يوسف بن مزني وبين أبيه فأكرم وفادتهم في الحدثان عنه وجاهه والله أعلم

(متابعة أبي حمو صاحب تلمسان)

كان السلطان أبو حمو قد التحم ما بينه وبين السلطان أبي [illegible] في ابنته وكانت عنده بتلمسان فلما بلغه مقتل أبيها واستيلاء السلطان [illegible] عمه صاحب قسنطينة على بجاية أظهر الامتعاض لذلك [illegible] الخيفة من سلطانهم بارهاف حده وشدة بطشه وسطوته [illegible] وكاتبوا ابن عمه بقسنطينة كما ذكرناه فدسى السلطان أبو حمو عثمانيين من الخلاص من صاحبهم بأحدهما فلما استولى السلطان أبو العباس وقتل ابن عمه رأوا ان جرحهم قد اندمل وحاجتهم قد قضيت فاعدوا عليه وأظهر السلطان أبو حمو الامتعاض

Marfat.com

الواقعة يسر منها حسوا فى ارتقاء ويجعله ذريعة للاستيلاء على بجاية لما كان يرى نفسه كذأها بعدده وعديده وما سلف من قومه فى حصارها فسار من تلمسان يجر الشول والمدر حتى خيم بالرشة من ساحتها ومعه أحياء زغبة بجموعهم وظعائنهم من لدن تلمسان الى بلاد حصين من بنى عامر وبنى يعقوب وسويد والدبالم والعطاف وحصين وانحجر أبو العباس بالبلد فى شرذمة من الجند أعجله السلطان أبو حمو عن استكمال الحشد ودافع أهل البلد أحسن الدفاع وبعث السلطان أبو العباس عن أبى زيان بن السلطان أبى سعيد عم أبى حمو من قسنطينة كان معتقلا بها وأمر مولاه وقائد عسكره بشيرا أن يخرج معه فى العساكر وسار واحتى نزلوا بنى عبد الجبار قبالة معسكر أبى حمو وكانت رجالات زغبة قد وجوا من السلطان وأبلغهم النذير أن ملك بجاية اعتقلهم بها فراسلوا أبا زيان وركبوا اليه واعتقدوا معه وخرج رجل البلد بعض الايام من أعلى الحصن ودفعوا شرذمة كانت بمجرة بازائهم فاقتلعوا أخباءهم وأسهلوا من تلك العقبة الى بسيط الرشة وعاينهم العرب بأقصى مكانهم من المعسكر فاجفلوا وتتابع الناس فى الانجفال حتى افردوا السلطان فى مخيمه فحمل رواحله وسار وغصت الطرق بزحامهم وتراكم بعضهم على بعض فهلك منهم عوالم وأخذهم سكان الجبال من البربر بالنهب من كل ناحية وقد غشيهم الليل فتركوا أزوادهم ورحالهم وخلص السلطان ومن خلص منهم بعد غص الريق وأصبحوا على منجاة وقذفت بهم الطرق من كل ناحية الى تلمسان وكان السلطان أبو حمو قد بلغه خبر خروجى من بجاية وما أحدثه السلطان بعدى فى أهلى ومخلفى فكتب الى يستقدمنى قبل هذه الواقعة وكانت الامور قد اشتبهت فتفاديت بالاعذار وأقمت باحياء يعقوب بن على ثم ارتحلت الى بسكرة فأقمت بها عند أميرها أحمد بن يوسف بن مزنى فلما وصل السلطان أبو حمو الى تلمسان وقد جزع للواقعة أخذ فى استئلاف قبائل رياح ليجلب بهم مع عساكره على أوطان بجاية وخاطبنى فى ذلك لقرب عهدى باستتباعهم وملك زمامهم ورأى أن يعول على فى ذلك واستدعانى لخجابته وعلامته وكتب بخطه مدرجة فى الكتاب نصها الحمد لله على ما أنعم والشكر لله على ما وهب ليعلم الفقيه المكرم أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون حفظه الله انك تصل الى مقامنا الكريم بما خصصناكم به من الرتبة المنيعة والمنزلة المنيفة وهو قلم خلافتنا والانتظام فى سلك أوليائنا وقد أعلمناكم بذلك وكتب بخط يده عبد الله المتوكل على الله موسى بن يوسف لطف الله به وخار له وبعده بخط الكاتب ما نصه تاريخ السابع عشر من شهر رجب الفرد من عام تسع وستين وسبعمائة عرفنا الله خيره ونص الكتاب الذى هذه مدرجته وهو بخط الكاتب أكرمكم الله يا فقيه أبا زيد

و والى رعايتكم انا قد ثبت عندنا وصح لدينا ما انطويتم عليه من المحبة فى مقامنا والانقطاع الى جنابنا والتشييع قديما وحديثا لنا مع ما نعلمه من محاسن اشتملت عليها أوصافكم ومعارف فقتم فيها نظراءكم ورسوخ القدم فى الفنون العلمية والآداب العرفية وكانت خطة الحجابة يا بنا العلى أسماه الله الى درجات أمثالكم وأرفع الخطط لنظرائكم قربا منا واختصاصا بمقامنا واطلاعا على خفايا أسرارنا آثرناكم بها ايثارا وقدمناكم لها اصطفاء واختيارا فاعملوا على الوصول الى بابنا العلى أسماه الله لما لكم فيه من التنويه والقدر النبيه حاجبا العلى بابنا ومستودعا لاسرارنا وصاحبا الكريم علامتنا الى ما شاكل ذلك من الانعام العميم والخير الجسيم والاعتناء والتكريم لا يشاركم مشارك فى ذلك ولا يزاحمكم أحد وان وجد من أمثالكم فأعلموه وعولوا عليه والله تعالى يتولاكم ويصل سراءكم ويوالى احتفاءكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وتأدت الى هذه الكتب السلطانية على يد سفير من وزرائه جاء الى أشياخ الزواودة فى هذا الغرض فقمت له فى ذلك أحسن قيام وشايعته أحسن مشايعة وحملتهم على اجابة داعى السلطان والبدار الى خدمته وانحراف كبراؤهم عن السلطان أبى العباس الى خدمته والاعتمال فى مذاهبه واستقام غرضه من ذلك وكان أخى يحيى قد خلص من اعتقاله وقدم علينا ببسكرة فبعثته الى السلطان أبى حمو كالنائب عنى فى الوظيفة متفاديا عن تحشم أهوالها بما كنت نزعت عن غوايتها الرتب وطال على اغفال العلم فاعرضت عن الخوض فى أحوال الملوك وبعثت الهمة على المطالعة والتدريس فوصل اليه الاخ فاستكفى به ذلك ودفعه اليه ووصلنى مع هذه الكتب السلطانية كتاب رسالة من الوزير أبى عبد الله ابن الخطيب من غرناطة يتشوق الى وتأدى الى تلمسان على يد سفراء السلطان ابن الاحمر فبعث الى من هنالك ونصه

بنفسى وما نفسى على رخيصة * فينزانى عنها المكاس بأثمان
حبيب نأى عنى وصم لا ثنى * وراش سهام البين عمدا فاضنانى
وقد كان هم الشيب لا كان كافنا * فقد آذنى لما ترحل هيمان
شرعت له من دمع عينى موردا * فكدر شربى بالفراق وأظمانى
وأرعيته من حسن عهدى جمة * فأجدب آمالى وأوحش ازمانى
حلفت على ما عنده لى من رضا * قياسا بما عندى فأحنث أيمانى
وانى على ما نالنى منه من قلا * لاشتاق من لقياه نعبة ظمآن
سألت جفونى فيه تقريب عرسه * فقست بحر الشوق جن سليمان
اذا ما دعا داع من القوم باسمه * وثبت وما استثبت شيمة هيمان

Marfat.com

وتاقه ما أصغيت فيه لعاذل • تعاميته حتى ادعى وتعاماه
ولا استشعرت نفسي برحمة عابد • تظلل يوما مثله عبد رحمن
ولا شهرت من قبله بمشوق • يخلل يوما مثله عبد رحمن

أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرج وأما الصبر فقل به أيندرج بعد أن تجاوز اللوا والمندرج لكن النسمة تنسي الضرج والمؤمن منشق من روح القدس فحن بالصبر على البين والتجلد وبعادة اليوم والشهر فحتى حكم الشهر ومن له بأن تأمن على النفس من الفتها المبسر أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الراقي والشاب عن الجلسة فيصلح اذا صلت فكيف له ان يعلمه أو يرحمه وإذا استصحبان المرء فهو الهمام الاول فعلام المعول أعبت مراوضة الفراق على الرواق وكادت لوعة الاشتياق ان تقضي الى السياق

تركتوني بعد تشييعكم • أوسع أمر الصبر عصيانا
أقرح من لمعة نارية • وأسفح الدمع احمانا

وربما تعللت بتشبيه الخيال وجددت رسوم الاسى بمباكرة الرسوم البالية تسائل روحي الشوق عن أهليه وحميم المرقد المهجور عن مصطليه وثاء الاثافي المثلثة من معانيها الموحشين والاطلال بين تلك الاطلال حيرة الملهين لقد ضللت اذا رمت السبيل المستقيم تسائل عن جفون المزرقة ونائم عن شجون وكدر الوصل بصفاه

تأبى لنفسي الود من ليس جازيا
الا ان اساءة وأشكر الصحال
وأنشر رياه

تشرين أترية الحب وبثت
ومن النوازل
في الاعنة
الفرار عن
الشيم التي
الشرع

Marfat.com

والمنوى المنى اليه مهما تقارع الكرام على الضغائن حر الجراي البطان غير الجنوح

نسب كأن عليه من شمس الضحى ٭ نورا ومن فلق الصباح عمودا
ومن حل بتلك المنابة فقد اطمأن جنبه وغمد يا الصفوف نبه (وغمد يا القنا)
فوحقه لقد انتدبت لوصفه ٭ بالفضل لو أن حسادي
بلسد ق أذكره هيج لوعتي ٭ وأذا تنسمت النسيم عراره

اللهم غفرا وأين قراره الفضل من مثوى الأثيب الفضل ومحفة المنيل وأين ثانية
هجر من متبوئ من ألحد وبحر

من أنكرت غيث مسرته ٭ في الارض سيء بقطرها
فبنان غ مزن مزن ٭ تهمي بلطف مصرفها
من منزل بسكرة ٭ ومانطقت جموفها
سكرت حق بسائرها ٭ وبضناها وبأحرفها
وتنكرت المباحث عرفت ٭ من فيها بمعرفها

بل نقول لاهل الموصل لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد لقد حل بنك عرى
أجله وحلله الشرع بمسلك ابن خلدون في الصميم من الخلد حيا الله زمانا تحت
ثغر الزمانه وأهلت فيه وجوه [illegible]

Marfat.com

شرعت لليأس أسنة ونصول

ما أقدر الله أن بدنى على شحط * من داره الحزن ممن داره صول

فان كان كلام الفراق رغيبا لمانويب مغيبا وحللت الوقت الهنئ تشغيبا فلعل الملتقى يكون قريبا وحديثه يروى صحيحا غريبا ايه سيدى كيف حال تلك الشمايل المزهرة المخايل والشيم الهامية الديم هل يمر بيالها من راعت بالبعد باله واخمدت بعاصف البين ذباله أو ترنى لمؤق شأنها سكب لا يفتر وشوق يبت حبال المشوق ويبتر وضنى تقصر عن حلله الفائقة صنعاء وتستر والامر أعظم والله يستر وما الذى يصيرك صيرمن بلفح السموم يضيرك بعد أن أضرمت وأشعلت وأوقدت وجعلت وفعلت فعلتك التى فعلت ان تترفق بذماء أو تردد بنغبة ماء رماق ظماء وتتعاهد المعاهد بتحية عليها شذا انفاسك أو تنظر الينا من البعد بمقلة حوراء من بياض قرطاسك وسواد انفاسك فربما قنعت الانفس المحبة بخيال يزور وتعللت بنوال منذور ورضيت لما لم تصد العنقاء بزرزور

يامن ترحل والرياح لاجله * تشتاق ان يعبق شذا رياها

تحيا النفوس اذا بعثت تحية * واذا قرأت ترى ومن أحياها

ولئن أحييت بها فيما سلف نفوسنا تفديك والله الى الخير يهديك فنحن نقول معشر مودتك ثن ولا تجعلها بيضة الديك وعذرا فانى لم أجترئ على خطابك بالفقرة الفقيرة وأدللت لدى محرابك برفع العقيرة عن نشاط بعث مرسومه ولا اغتباط بالادب الابيساسة تسوسه أو فى على الفترة ناموسه وانما هو نفاق نفثة المصدور وهناء الجرب المجدور وان تعلل به مخارق فثم قياس فارق والذى هيأ هذا القدر وسببه وسهل المكروه الى منه وحببه ما اقتضاه الصنو يحيى أمد الله حياته وحرس من الحوادث جهاته من خطاب ارتشف لهذه القريحة العديمة بلالتها بعد أن رنى غلالتها ورسخ الى الصهر الخضرمى سلالتها فلم يسع الا اسعافه بما أعافه فأمليت مجيبا ما لا يعد فى يوم الرهان نجيبا وأسمعته وجيبا لما ساجلت بهذه الترهات سحرا عجيبا حتى اذا ألف القلم العريان فسحه وجمح برذون الغزارة فلم أطق كبحه لم أفق من غمرة غلوه وموقف شلوه الا وقد تحيز الى فئتك مغترا بل معترا واستقبلها ضاحكا مفترا وهش لها بزا وان كان من الخجل مصفرا وليس بأقل من هجر فى التماس الوصل ممن هجر أو بعث القمر الى هجر وأى تناسب بينى اليوم وبين زخرف الكلام واجالة جياد الاقلام فى محاورة الاعلام بعد أن حال الجريض دون القريض وشغل المريض عن التعريض وغلب الشوق الكسل

Marfat.com

ونشرت الشعرات البيض كأنها الاسل تروع برقط الحيات سرب الحياة وتطرق بذوات الغرر والشباب عند البيات والشيب الموت العاجل والمعتبر الآجل واذا اشتغل الشيخ بغير معاده حكم في الظاهر بابعاده وأسره في ملكة عاده فأغض أبقاك الله وأسمح لمن قصر عن المطمح وبالعين الكليلة فالمح واغتنم لباس ثوب الثواب واشف بعض الجوى بالجواب تولاك الله فيما استضفت وملكت ولا بعدت ولا هلكت وكان لك أينما سلكت وسمك من السعادة بأوضح السمات وأتاح لقاءك من قبل الممات والسلام الكريم يعتمد جلال ولدي وساكن خلدي بل أخي وان اتقبت عتبه وسيدي ورحمة الله وبركاته من محبه المشتاق اليه محمد بن عبد الله ابن الخطيب في الرابع عشر من شهر ربيع الثاني من عام سبعين وسبعمائة وكان تقدم منه قبل هذه الرسالة كتاب آخر الى بعث به الى تلمسان فتأخر وصوله حتى بعث به أخي يحيى عند وفادته على السلطان ونص الكتاب ياسيدي اجلالا واعتدادا وأخي وداوا عتقادا ومحل ولدي شفقة حلت مني فؤادا طال علي انقطاع أنبائك واختفاء أخبارك فرجوت أن أبلغ المنية بهذا المكتوب اليك وتخترق الموانع دونك وان كنت في موالاتك كالعاطش الذي لا يروى والآكل الذي لا يشبع شأن من تجاوز الحدود الطبيعية والعوائد المألوفة فانا بعد انهاء التحية المطلولة الروض بماء الدموع وتقرير الشوق القديم اللزيم وشكوى البعاد الاليم والابتهال في اتاحة القرب قبل الفوت من الله ميسر العسير ومقرب البعيد أسأل عن احوالك سؤال أبعد الناس مجالا في مجال الخلوص لديك واستقرارك بسكرة على الغبطة بك باللجا الى تلك الرياسة الزكية الكريمة الاب الشهيرة الفضل المعروفة القدر على البعد حرسها الله ملجأ للفضلاء ومحيا لرجال العلياء ومهبا لطيب الثناء بحوله وقوته وقاربت كل ساح السلامة فاحمدوا الله على الخلاص وقاربوا في معاملة الآمال وضنوا بتلك الذات الفاضلة عن المشاق وابخلوا بها عن المتالف فطلوب الحريص على الدنيا خسيس والموانع الحافة جمة والحاصل حسرة وما قل سعي يحمد حالة العاقبة والعاقل لا يستنكعه الاستغراق فيما آخره الموت انما ينال منه الضروري ومثلك لا يعجزه مع الناس العافية اضعاف ما يرجى به العمر من المأكل والمشرب وحسبنا الله وان تشوقت لحال المحب تلك السيادة للبرة والبنوة البرة فالحال حال من جعل الزمام بيد القدر والسير في مهيع الغفلة والسجح في تيار الشواغل ومن وراء الامور غيب محجوب وأجل مكتوب يؤتل فيه عادة الستر من الله الا أن الضجر الذي تعلمونه حفظه الناس لما عجزت الحيلة وأعوز الناصر وسدت المذاهب والشأن اليوم شأن الناس فيما

Marfat.com

من الاعتدال وفيما يرجع الى السلطان ولاه الله على اضعاف ما باشر سيدى
من الاغياء فى البر ووصل سبب الاسلام والاشتغال مع الاقبال وما بسطه متعرد
الظهور والحمد لله وفيما يرجع الى الامر بالمعروف ما علمت الآن الشوق
يتأمر التقريب وتصور الشقاء مما يرتضى فى الوصول الى ذلك ثم سعى الله ذلك على أفضل
حال وتيسره قبل الارتحال من داره المحال وفيما يرجع الى الوطن فأحوال الناس خصبا
وجدبا تظهر فى اهل العدو وحصنه الله آمين وبرمتة القاطعة بين بلاد
الاسلام وبربرة والكفار بين وبيعة ومنعه الصحة والسلام ثم دخول بلد اطريرة بنت
اشبيلية عنوة والاستيلاء على ما بناهز خمسة آلاف من السبى من فتح دار الملك وبلدة
قرطبة ومدينة جيان عنوة فى اليوم الاغر المجلل وقتل المقاتلة وسبى الذرية وتعفية
الآثار حتى لا يلم بها العمران ثم افتتاح مدينة رندة التى تلف جيان فى ملاءتها دار النجر
والرفاهية والبنات الحافلة والنعم الثرة نسأل الله جل وعلا أن يصل عوائد نصره ولا
يقطع عنا سبب رحمته وأن ينفع بما أعان عليه من السعى فى ذلك والاعانة عليه ولم يتزيد
من الحوادث الا ما علمتم من أخذ الله لنسب السوء وخبث الارض المسلوب من أثر
الخير عمر بن عبد الله وتحكم شر المنة فى نفسه وانبان النكال على حاشيته والاستئصال
على نفيسه والاضطراب مستول على الوطن بعده الا أن القرب على علاته لا يرجحه غيره
والاندلس اليوم شيخ غزاتها عبد الرحمن بن على بن السلطان أبى على بعد وفاة الشيخ أبى
الحسن على بن بدر الدين رحمه الله وقد استقر بها نصر الله سيدى الامير المذكور
والوزير مسعود بن رحو وعمر بن عثمان بن سليمان والسلطان ملك النصارى بطرة قد
عاد الى ملكه باشبيلية وأخوه مجاب عليه بقشتالة وقرطبة مخالفة عليه قائمة بطائفة
من كبار النصارى الخائفين على أنفسهم داعين لاخيه والمسلمون قد انتشروا شوب هذه
الريح وخرق الله لهم عوائد فى باب الظهور والخير لم تكن تخطر فى الآمال وقد تلقب
السلطان أيده الله بعقب هذه المكتشات بالفتى بالله وصدرت عنه مخاطبات بجمل
الفتوح ومفصلها بعظم الحرص على ايصالها الى تلك الفضائل لو أمكن وأما ما يرجع
الى ما ينشرف اليه ذلك الكمال من شغل الوقت فصدرت تقاييد وتفاصيل يقال فيها بعد
ما اعقلت تلك السيادة بالانصراف الى ابراهيم ولا ابراهيم اليوم منها ان كتابا رفع الى
السلطان فى المحبة من تصنيف ابى الوليد جزء من المشارقة نادرته وجعلت الغرض
أشرف وهو محبة الله بقاء كتاب القوت لابى طالب غرابته وتفريعه الى الشرق وتشعبه
كتاب غرناطة وغيره من تأليفى وتعريف تصنيفه بحفاظه سيد السعداء من معمر وانثال
الناس عليه وهو فى لطافة الاعراض مختلف اغراض المشارقة من مطعه

Marfat.com

سلمت لمصرفى الهوى من بلد * يهديه هواؤها لدى استنشاقه
من ينكر دعوتى فقل عنى له * تكفى امرأة العزيز من عشاقه

والله يرزق الاعانة فى اتساخه وتوجيهه وصدره فى جزء سميته الغيرة على أهل الحيرة وجزء سميته حد الجمهور على السنن المشهور والاكتاب على اختصار كتاب الجوهرى وردجمه الى مقدار الخمس مع حفظ ترتيبه السهل والله المعين على مشغلة تقطع بها هذه البرهة القريبة البداءة من التتمة ولاحول ولاقوة الابالله والمطلوب المثابرة على تعريف يصل من تلك السيادة والبنوة اذلا يتعذر وجود قافل من حج ولاحق بتلمسان يبعثها السيد الشريف منها فالنفس شديدة التعطش والقلوب قد بلغت من الشوق والاستطلاع الحناجر والله أسأل أن يصون فى البعد وديعتى منك لديه ويلبسك العافية ويخلصك واياى من الورطة ويحملنا أجمعين على الجادة ويختم لنا بالسعادة والسلام الكريم عودا على بدء ورحمة الله وبركاته من المحب المشوق الذاكر الداعى ابن الخطيب فى الثانى من جمادى الاولى من عام تسعة وستين وسبعمائة انتهى (فأجبته) ونص الجواب سيدى مجدا وعاتوا واحدى ذخرا مرجوا ومحل والدى برا وحنوا مازال الشوق مذنأت بى وبك الدار واستحكم بيننا البعاد يرعى سمعى أنباءك ويخيل الى من أيدى الرياح تناول رسائلك حتى ورد كتابك العزيز على استطلاع وعهد غير مضاع وودذى أجناس وأنواع فنشر بقلبى ميت السلو وحشر أنواع المسرات وقدح للقائك زناد الامل والله أسأل الامتناع بك قبل الفوت على ما يرضيك ويسنى أمانى وأمانيك وحييته تحية الهائم لموقع الغمائم والمدلج للصباح المتبلج وأملى على معترج الاولياء خصوصا فيك من اطمئنان الحال وحسن القرار وذهاب الهواجس وسكون النفرة وعموما فى الدولة من رسوخ القدم وهبوب ريح النصر والظهور على عدو الله باسترجاع الحصون التى استنقذوها فى اعتلال الدولة وتخريب المعاقل التى هى قواعد النصرانية غريبة لاتثبت الا فى الحلم وآية من آيات الله وان خبأة هذا الفتح فى طى العصور السالفة الى هذه المدة الكريمة لدليل على عناية الله بتلك الذات الشريفة حيث أظهر على يدها خوارق العادة وماتجد آخر الايام من معجزات الملة وكمل فيها والحمد لله تحسين التدبير ويمن التعبية من حميد الاثر وخالد الذكر طرازا فى حلة الظهور النصرية وتاج فى مفرق الوزارة كتبه الله لك فيما يرضاه الله من عباده ووقفت عليه الاشراف من أهل هذا العصر المحروس وأذعته فى الملا سرورا بالعز الاسلام واظهارا للنعمة واستطرادا لذكر الدولة المولوية بما تستحقه من طيب الثناء والتماس الدعاء والتحديث بنعمتها والاشادة بفضلها على الدول السالفة

Marfat.com

[illegible] انشرحت الصدور رحبا وامتلأت القلوب اجلالا وتعظيما
وحسنت الآثار اعتقادا ودعاء وكان كتاب سيدى لشرف تلك الدولة عنوانا
[illegible] يستدل به من نطق فى مناقبها ترجمانا زادها الله من فضله وأمتع المسلمين سكون
[illegible] والطيرة التى تكاد تذهب بالنفس أسفا لتجافى عرمها عن
[illegible] من دار العز المولى المنعم والسيد الكريم والبلد الطيب
[illegible] لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان تشوفت السيادة
[illegible] فعلى ما علمتم سيرا مع الامل ومغالبة للايام على الحظ واقطاعا للغفلة
[illegible] الحصر

هل ناقمى والجد فى صبب * مدى مع الآمال فى صعد

رجع الله بنا اليه ولعل فى عظمتكم النافعة شفاء من هذا الداء العياء ان شاء الله
وان لطف الله مصاحب من هذه الرياسة المزينة وحسبك بها عليه عصمة وافية صرفت
وجه القصد اليه ذخيرتى التى كنت أعتدها منهم كما علمتم حين تفاقم الخطب وتلون الدهر
والافلات من مظان النكبة وقد رنقت حولها بعد ما جرته الحادثة بمهلك السلطان
المرحوم على يد ابن عمه قريبه فى الملك وقسيمه فى النسب والتياث الجاه وتغير السلطان
واعتقال الاخ المخالف واليأس منه لولا تكيف الله فى نجائه والعيث بعده فى المنزل
والولد واغتصاب الضياع المقتناة من بقايا ما متعت به الدولة النصرية أبقاها الله من
النعمة فكان لى الوكر وساهم فى الحادث وأشرك فى الجاه والمال وأعان على نوائب
الدهر وطلب الثر حين رأى الدهر قلانى وأمل الملوك استخلاصى وتجاوزوا فى اتحافى
وانتهاء المخلص من عقال الآمال والمرشد الى نبذ هذه الحظوظ الموروثة وأنبأنى سيدى
بما سمعه من التصانيف الغريبة فى هذه الفتوحات الجليلة وبودى لو وقع
الاتحاف بها أريهم النفس ما ودى الندم على ما فرطت وأما أخبار هذا القطر فلا
زيادة على ما علمتم من استقرار السلطان أبى اسحق ابن السلطان أبى يحيى بتونس
مستبدا بأمره بالحضرة بعد مهلك شيخ الموحدين أبى محمد بن تافراكين القائم بأمره
رحمة الله عليه مضايقا فى حياته الوطن وأحكامه بالعرب المستظهرين بدعوته مصانعا
لهم بوفرة على أمان الرعايا والسابلة لو أمكن حسن السياسة جهد الوقت ومن انتظام
بجاية محل دولته أمر صاحب قسنطينة وبونة خلافا كما علمتم محملا الدولة بصرامته
وقوة شكيمته فوق ما سبق لها من الاستبداد والضرب على أيدى المستقلين من الاعراب
منتقض الطاعة أكثر أوقاته مذ ثلمت الاماشمل البلاد من تقلب الغرة ونقص الارض من
الاطراف والوسط وخمود ذبال الدول فى كل جهة وكل بداية الى تمام وأما أخبار المغرب

Marfat.com

الاقصى والادنى فلديكم مطلعه وأما المشرق [illegible]
وانتقاض سلطانه وانتزاء الخفاة على كرسيه وفساد [illegible]
وحاج بيته ما يسخن العين ويطيل البث حتى [illegible]
وكثر الهرج فى أزقتها وأسواقها لما وقع بين [illegible]
سلطانه ظاهر القلعة من الجرولة التى [illegible]
من حاشيته وهو الى بنيغا وتقبض على [illegible]
سندمر فى محبسه وألقى زمام الدولة [illegible]
وقادها مستقلا ويد الله تصاريف الامور [illegible]
سيدى أبقاه الله أن لا يغب خطابه عنى ما أمكن أن يصل منه [illegible]
أقدام تلك الذات المولوية ويعرفه بما عندى من [illegible]
وأن ينهى عنى لحاشيته وأهل اختصاصه التحية المختلسة من أنفاس الرياض كبيرهم
وصغيرهم وقد تأدى منى الى حضرته الكريمة خطاب حل به الحاج راجع سالما الله تعالى به
من الاخ يحيى عند لقائه اياه بتلمسان بحضرة السلطان أبى حمو أيده الله فرعا يصل
وسيدى يوضح من ثنائى ودعائى ما عجز عنه الكتاب
للآملين بفضله والسلام الكريم عليكم
المناجيب والاهل والحاشية والاصحاب من [illegible]
خلدون ورحمة الله وبركاته عنوانه سيدى وعمادى [illegible]
والفضائل الكريمة الخواتم والمبادى امام الائمة [illegible]
عماد الاسلام مصطفى الملوك الكرام كافل الامة [illegible]
المؤمنين الغنى بالله أيده الله الوزير أبو عبد الله ابن الخطيب أبقاه الله [illegible]
المسلمين جزاه (وكتب) الى من غرناطة يا سيدى وولى [illegible]
حيث كنتم ولا أعدمكم لطفه وعنايته لو كان [illegible]
وانفاذه تقطع أو توجيه نائب لزحت على نفسى بالثقة فى اغفال حقكم [illegible]
ما علمتم واحمدوا الله على الاستقرار فى كنف ذلك الفاضل الذى وسعكم كنفه وشملكم
فضله شكر الله حسبه الذى لم يخالف وشهد له التى لم تكذب روانى اغتنمت [illegible]
وافد الحرمين بمجموع الفتوح فى ايصال كتابى هذا وبودى لو وقتم على [illegible]
البضاعة التى أنتم رأسها وصدرها فيكون لكم فى ذلك بعض أنس وربما تأدى ذلك
فى بعضه مما لم يحتم عليه وظواهر الامور تحمل عليه فى تهريفكم بها [illegible]
لا تأتى كثرة وجامة [illegible] أحص ما أظن تشوفكم اليه حاملا [illegible]

Marfat.com

الملك الربى واستولى على سوء المزاج المنحرف وتوالت الامراض وأعوز الشفاء لبقاء
السبب والعجز عن دفعه وهى هذه المداخلة جعل الله عاقبتها الى خير ولم أترك وجها من
وجوه الحيلة الا بذلته فما أغنى عنى شيأ ولولا أنى بعدكم شغلت الفكر بهذا التأليف
مع الزهد وبعد العهد وعدم الاصاخ بمطالعة الكتب لم تمش من طريق فساد الفكر الى
هذا الحد وآخر ما صدر عنى كناش سميته باستنزال اللطف الموجود فى أسر الوجود
أمليته فى هذه الايام التى أقيم فيها رسم النيابة عن السلطان فى سفره الى الجهاد بودى
لو وقفتم عليه وعلى كتابى فى المحبة وعسى الله أن ييسر ذلك ومع هذا كله والله ما قصرت
فى الحرص على ايصال مكتوب اليكم اما من جهة أخيكم أو من جهة السيد الشريف
أبى عبد الله حتى من المغرب اذا سمعت الركب متوجها منه فلا أدرى هل بلغكم شئ
من ذلك أم لا والاحوال كلها على ما تركتموها عليه وأحبابكم بخير على ما علمتم من
الشوق والتشوف والارتماض على مفارقتكم ولا حول ولا قوة الا بالله والله
يحفظكم ويتولى أموركم والسلام عليكم ورحمة الله من المحب الواحش ابن
الخطيب فى ربيع الثانى من عام احدى وسبعين وسبعمائة وبباطنه مدرجة نصها
سيدى رضى الله عنكم استقر بتلمسان فى سبيل تقلب ومسارعة مزاج تعرفونه صاحبنا
المقدم فى الطب أبو عبد الله الشقورى فاذا اتصل بكم فأعينوه على ما يقف عليه
اختياره وهذا لا يحتاج معه الى مثلكم عنوانه سيدى ومحل أخى الفقيه الجليل الصدر
الكبير المعظم الرئيس الحاجب العالم الفاضل الوزير ابن خلدون وصل الله سعده وحرس
مجده بمنه وانما طوات بذكر هذه المخاطبات وان كانت فيما يظهر خارجة عن غرض
الكتاب لان فيها كثيرا من أخبارى وشرح حالى فيستوفى ذلك منها ما يتشوف اليه من
المطالعين للكتاب ثم ان السلطان أبا حمو لم يزل معتملا فى الاجلاب على بجاية واستئلاف
قبائل رياح لذلك وسعولا على مشايعتى فيه ووصل يده مع ذلك بالسلطان أبى اسحق ابن
السلطان أبى بكر صاحب تونس من بنى أبى حفص لما كان بينه وبين أخيه صاحب
بجاية وقسنطينة من العداوة التى تقتضيها مقاسمة النسب والملك فكان يوفد رسله عليه
فى كل وقت ويمرون بى وأنا ببسكرة فأكد الوصلة بمخاطبة كل منهما وكان أبو زيان
ابن عم السلطان أبى حمو بعد اجفاله عن بجاية واختلال معسكره قد سار فى أثره الى
تلمسان وأجلب على نواحيها فلم يظفر بشئ وعاد الى حصين فأقام بينهم واشتملوا عليه ونجم
النفاق فى سائر أعمال المغرب الاوسط ولم يزل يستألفهم حتى اجتمع له الكثير منهم فخرج
فى عساكره منتصف تسع وستين الى حصين وأبى زيان واعتصموا بجبل تيطرى وبعث
الى فى استنفار الزواودة للأخذ بحجزتهم من جهة الصحراء وكتب يستدعى

Marfat.com

آشياخهم يعقوب بن علي كبيرا [illegible] بن يوسف كبير أولاد مزاحم بن يغمر
وكتب الى ابن مرزنى فصيده وطلبهم بامداده [illegible] فأمدهم بسرعة فاصفرين اليه حتى
نزلنا القطاطل بنفوى وبلغ ذلك السلطان فبعث جيوشه المتل على أن افرغ من شأنهم
سار حتى نزل بجبل [illegible] من عمل
قبائل رياح وعسكر بطرف ثنية القطا [illegible] وبطائفتهم تلك الجهة
المخالفون من زغبة وهم خلص [illegible] بن عامر بن أبي [illegible]
ونهضوا اليناجزناهم القطاطل فاحتلت [illegible]
الزاب وسارت زغبة الى تيطري واجتمعوا [illegible] وبعث عسكر
أبي حمو فقاتلوه ورجع منهزما الى تلمسان [illegible] استلاف نعمة ورياح
يؤمل الظفر بوطنه وابن عمه والكرة [illegible]
وايلاف ما بينه وبين الزواودة والسلطان [illegible]
بعده ثم دخلت زغبة في طاعته واجتمعوا اهل خلوته [illegible]
حصين وبجاية وذلك في آخر [illegible]
أولاد عثمان من بني يوسف بن سليمان [illegible]
بالطاعة وضرب الناس على [illegible]
لقضاء بعض الاغراض واللحاق بهم [illegible]
وأنشدته عند انصرافه من المصلى تهنئة بالصلح وتعزيته

هذي الديار كما عهدن مساحا * وقفت اسائلها سؤال سلاحا
لاتسأل الاطلال ان لم تردها * عبرات عينك ما تبين واضحا
فلقد أخذن على جفونك موثقا * أن لا يرين مع البعاد قصلها
ايه على الحي الجميع وربما * طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا
ومنازل للظاعنين استعجمت * حزنا وكانت بالسرور فصاحا

وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها الا هذا وبينما نحن في ذلك اذ بلغ الخبر بأن السلطان عبد العزيز صاحب المغرب الاقصى من بني مرين قد استولى على جبل عامر بن محمد الهنتاني بمراكش وكان أخذ بمخنقه منذ حول وساقه الى فاس فقتله بالعذاب [illegible] على النهوض الى تلمسان لما سلف من السلطان أبي حمو أثناء حصار السلطان [illegible] لعامر في جبله من الاجلاب على ثغور المغرب ولحين وصول هذا الخبر أخرب السلطان أبو حمو على ذلك الذي كان فيه وكر راجعا الى تلمسان وأخلق أسباب الخروج الى الصحراء مع شيعة بني عامر من أحياء زغبة فاستألف وجمع وشد الرحال

وقضى عيد الاضحى وطلبت منه الاذن فى الانصراف الى الاندلس لتعذر الوجهة الى بلاد رياح وقد أظلم الجو بالفتنة وانقطعت السبل فأذن لى وحملنى رسالة الى السلطان ابن الاحمر وانصرفت الى المرسى بهنين وجاءه الخبر بنزول صاحب المغرب تازا فى عساكره فأجفل بعدى من تلمسان ذاهبا الى الصحراء على طريق البطحاء وتعذر على ركوب البحر من هنين فأقصرت وتأدى الخبر الى السلطان عبد العزيز بأنى مقيم بهنين وأن معى وديعة احتملتها الى صاحب الاندلس تخيل ذلك بعض الغواة وكتب به الى السلطان عبد العزيز فأنفذ من وقته سرية من تازا وتعرضنى لاسترجاع تلك الوديعة واستمرهوا الى تلمسان ووافتنى السرية بهنين وكشفوا الخبر فلم يقفوا على صحته وحملونى الى السلطان فلقيته قريبا من تلمسان واستكشفنى عن ذلك الخبر فأعلمته بنفيه وعنفنى على مفارقة دارهم فاعتذرت له لما كان من عمر بن عبد الله المستبد عليهم وشهد لى كبير مجلسه وولى أبيه وابن وليه وترمار بن عريف ووزيره عمر بن مسعود بن منديل بن حمامة واحتفت الالطاف وسألنى فى ذلك المجلس عن أمر بجاية وأفهمنى أنه يروم تملكها فهونت عليه السبيل فى ذلك فسر به وأقمت تلك الليلة فى الاعتقال ثم أطلقنى من الغد فعمدت الى رباط الشيخ الولى أبى مدين ونزلت بجواره مؤثرا للتخلى والانقطاع للعلم لو تركت له

* (مشايعة السلطان عبد العزيز صاحب المغرب على بنى عبد الواد) *

ولما دخل السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستولى عليها وبلغ خبره الى أبى حمو وهو بالبطحاء فأجفل من هنالك وخرج فى قومه وشيعته من بنى عامر ذاهبا الى بلاد رياح فسرح السلطان وزيره أبا بكر بن غازى فى العساكر لاتباعه وجمع عليه أحياء زغبة والمعقل باستئلاف وليه وترمار وتدبيره ثم أعمل السلطان نظره ورأى أن يقدمنى أمامه الى بلاد رياح لأوطئ أمره وأحملهم على مناصرته وشفاء نفسه من عدوه بما كان السلطان أيس من استتباع رياح وتصريفهم فيما يريده من مذاهب الطاعة فاستدعانى من خلوتى بالعبادة عند رباط الولى أبى مدين وأنا قد أخذت فى تدريس العلم واعتزمت على الانقطاع فآنسنى وقربنى ودعانى لما ذهب اليه من ذلك فلم يسعنى الا اجابته وخلع على وحملنى وكتب الى شيوخ الزواودة بامتثال أمرى وما ألقيه اليهم من أوامره وكتب الى يعقوب بن على وابن مزنى بمساعدتى على ذلك وأن يحاولوا على استخلاص أبى حمو من بين أحياء بنى عامر ويحولوه الى حتى يعقوب بن على فودعته وانصرفت فى عاشوراء سنة ثلثين وسبعين فلحقت الوزير فى عساكره وأحياء العرب من المعقل وزغبة على البطحاء ولقيته ودفعت اليه كتاب السلطان وتقدمت أمامه وشيعنى وترمار

Marfat.com

يومئذ وأوصانى بأخيه محمد وقد كان أبو حمو قبض عليه عندما أحس منهم بالخلاف وأنهم يرومون الرحلة الى المغرب وأخرجه معه من تلمسان مقيدا واحتمله فى معسكره فأكد على وترمار فى المحاولة على استخلاصه بما أمكن وبعث معى ابن أخيه عيسى فى جماعة من سويد يدرونى وتقدم الى أحياء حصين وأخبرهم فرج بن عيسى بوصية عمه وترمار اليهم فنبذوا الى أبى زيان عهده وبعثوا معه من أوصله الى بلاد رياح ونزل على أولاد يحيى بن على بن سباع وتوغلوا به فى القفر واستمريت ذاهبا الى بلاد رياح فلما انتهيت الى المسيلة ألفيت السلطان أبا حمو وأحياء رياح معسكرين قريبا منها فى وطن أولاد سباع بن يحيى من الزواودة وقد تسايلوا اليه وبذل فيهم العطاء ليجتمعوا اليه فلما سمعوا بمكانى من المسيلة جاؤا الى فحملتهم على طاعة السلطان عبد العزيز وأوفدت أعيانهم وأشياخهم على الوزير أبى بكر بن غازى فلقوه ببلاد الديالم عند نهر واصل فأتوه طاعتهم ودعوه الى دخول بلادهم فى اتباع عدوه ونهض معهم وتقدمت أنا من المسيلة الى بسكرة فلقيت بها يعقوب بن على واتفق هو وابن مزنى على طاعة السلطان وبعث ابنه محمد اللقاء أبى حمو وأمر بنى عامر خالد بن عامر يدعوهم الى نزول وطنه والبعد به عن بلاد السلطان عبد العزيز فوجده متدليا من المسيلة الى الصحراء ولقيه على الدوسن وبات ليلتهم يعرض عليهم التحول من وطن أولاد بنى سباع الى وطنهم بشرقى الزاب وأصبح يومه كذلك فارا عهم آخر النهار الا انتشار العجاج خارجا اليهم من أفواه الثنية فركبوا يستشرفون واذا بهم وادى الخيل طالعة من الثنية وعساكر بنى مرين والمعقل وزغبة منشالة أمام الوزير أبى بكر بن غازى قد دلت بهم الطريق وفد أولاد سباع الذين بعثهم من المسيلة فلما أشرفوا على المخيم أغاروا عليه مع غروب الشمس فأجفل بنو عامر وانتهب مخيم السلطان أبى حمو ورحاله وأمواله ونجا بنفسه تحت الليل وتمزق شمل ولده وحرمه حتى خلصوا اليه بعد أيام واجتمعوا بقصور مصاف من بلاد الصحراء وامتلأت أيدى العساكر والعرب من نهابهم وانطلق محمد بن عريف فى تلك الهيعة أطلقه الموكلون به وجاء الى الوزير وأخيه وترمار وتلقوه بما يجب له وأقام الوزير أبو بكر بن غازى بالدوسن أياما أراح فيها وبعث اليه ابن مزنى بطاعته وأرغد له من الزاد والعلوفة وارتحل راجعا الى المغرب وتخلفت بعده عند أهلى ببسكرة ثم ارتحلت الى السلطان فى وفد عظيم من الزواودة يقدمهم أبو دينار أخو يعقوب بن على وجماعة من أعيانهم فسابقنا الوزير الى تلمسان وقدمنا على السلطان فوسعنا من حبائه وتكرمته ونزله ما بعد العهد بمثله ثم جاء من بعدنا الوزير أبو بكر بن غازى على الصحراء بعد أن مر بقصور بنى عامر هنالك فخر بها وكان يوم قدومه

Marfat.com

على السلطان يوما مشهودا واذن بعدها لوفود الزواودة فى الانصراف الى بلادهم وقد كان ينتظر بهم قدوم الوزير ووليه وترمار بن عريف فودعوه وبالغ فى الاحسان وانصرفوا الى بلادهم ثم أعمل نظره فى اخراج أبى زيان من بين أحياء الزواودة لما خشى من رجوعه الى حصين فاستمرنى فى ذلك وأطلقنى اليهم فى محاولة انصرافه عنهم فانطلقت لذلك وكان أحياء حصين قد توجسوا الخيفة من السلطان وتنكروا له وانصرفوا الى أهليهم بعد مرجعهم من غزاتهم مع الوزير وبادروا باستدعاء أبى زيان من مكانه عند أولاد يحيى بن على وأنزلوه بينهم واشتملوا عليه وعادوا الى الخلاف الذى كانوا عليه أيام أبى حمو واشتعل المغرب الاوسط نارا ونجم صبى من بيت الملك فى مغراوة وهو حمزة بن على بن راشد فزحم معسكر الوزير ابن غازى أيام مقامه عليها فاستولى على شلف وبلاد قومه وبعث السلطان وزيره عمر بن مسعود فى العساكر لمنازلته وأعيا داؤه وانقطعت أنا بيكرة وحال ذلك ما بينى وبين السلطان الا بالكتاب والرسالة ويلقنى فى تلك الايام وأنا بيكرة مفزع الوزير ابن الخطيب من الاندلس حين توجس الخيفة من سلطانه بما كان له من الاستبداد عليه وكثرة السعاية من البطانة فيه فأعمل الرحلة الى الثغور الغربية لمطالعتها باذن سلطانه فلما حاذى جبل الفتح قبل الفرضة دخل الى الجبل وبيده عهد السلطان عبد العزيز الى القائد بقبوله وأجاز البحر من حينه الى سبتة وسار الى السلطان بتلمسان وقدم عليه بها فى يوم مشهود وتلقاه السلطان من الحظوة والتقريب وادرار النعم بما لا يعهد بمثله وكتب الى من تلمسان يعرفنى بخبره ويلم ببعض العتاب على ما بلغه من حديثى الاول بالاندلس ولم يحضرنى الآن كتابه فكان جوابى عنه ما نصه الحمد لله ولا قوة الا بالله ولا راد لما قضى الله يا سيدى ونعم الذخر الابدى والعروة الوثقى التى أعلقتها يدى أسلم عليك سلام القدوم على المخدوم والخضوع للملك المتبوع لا بل أحييكم تحية المشوق للمعشوق والمدلج للصباح المتبلج وأقرر ما أنتم أعلم بصحيح عقدى فيه من حبى لكم ومعرفتى بمقدارکم وذهابى الى أبعد الغايات فى تعظيمكم والثناء عليكم والاشادة فى الآفاق بمناقبكم ديدنا معروفا وسجية راسخة يعلم الله وكفى بالله شهيدا وهذا كما فى علمكم أسنى ما اختلف أولا ولا آخرا ولا شاهدا ولا غائبا وأنتم أعلم بما تعنى نفسى وأكبر شهادة فى خفايا ضميرى ولو كنت ذلك فقد سلف من حقوقكم وجميل أخذكم واجتلاب الحظ لوهيأة القدر لمساعيكم وايثارى بالمكان من سلطانكم ودواتكم ما يستلين معاطف القلوب ويستل سخائم الهواجس فأنا أحاشيكم من استشعار نبوة أو اخفار وطن ولو تعلق معلق بساق حر زرزور فحاش لله أن يقدح فى اخلاصكم أو يرجح سوائبكم اغماهى خبية

Marfat.com

الفؤاد الى الحشر واللقاء والله وجميع ما يقسم به ما اطلع على مستكنه مني غير صديق
وصديقكم الملابس كان لي ولكم الحكيم الفاضل أبي عبد الله الشقوري أعزه الله
نفثة مصدور ومباثة خلوص اذ أنا أعلم الناس بمكانه منكم وقد علم ما كان مني حين
مفارقة تلمسان واضمحلال أمره من اجماع الامر على الرحلة اليكم والخروج الى
حاضرة البحر للاجازة الى عدوتكم تعرضت فيهم للتهم ووقفت بمجال الظنون حتى
تورطت في الهلكة ولولا حسن رأيه في وثبات بصيرته لكنت في الهالكين الاولين كل
ذلك وقاية الى لقائكم وتمثلا لانسكم فلا تظنوا بي الظنون ولا تصدقوا التوهمات
فانا من قد علمتم صداقة رسذاجة وخلوصا واتفاق ظاهر و باطن أثبت الناس عهدا
وأحفظهم غيبا وأعرفهم بوزان الاخوان ومزايا الفضلاء ولا مرمتا تأخر كتابي من
تلمسان فاني كنت استشعر ممن امتضافني ريبا بخطاب سواه خصوصا جهتكم لقديم ما بين
الدولتين من الاتحاد والمظاهرة واتصال اليد مع ان الرسول تردد الي وأعلمني اهتمامكم
واهتمام السلطان بولاه الله باستكشاف ما أبهم من حالي فلم أترك شيأ مما أعلم تشوقكم
اليه الا وكشفت له قناعه وآمنته على ابلاغه ولا أزال بعد ابناس المولى الخليفة لدماني
وجذبه بضبعي ما بجانبي تيار الشواغل كما علمت القاطعة حتى عن الفكر وسقطت الى
محل مجد خدمتي من هذه القاصية أخبار خلوصكم الى المغرب قبل فصول راحلتي الى
الحضرة غير خليلة ولا ملتمة ولم يتعين ملقى العصا ولا مستقر النوى فأرجأت الخطاب الى
استجلائها وأفدت من كتابكم العزيز الجاري على سنن الفضل ومذاهب المجد ما كيفه
القدر من بديع الحال لديكم وعجيب تأتي أملكم لشاردة كما كنا نستبعده عند
المفاوضة فحمدت الله لكم على الخلاص من ورطة الدول على أحسن الوجوه وأجمل
المخارج الحميدة العواقب في الدنيا والدين العائدة بحسن المآل في المخلف من أهل
وولد ومتاع وأثر بعد أن رضتم جموح الايام وتوقلتم قلل العز وقدتم الدنيا بجذافيرها
وأخذتم بآفاق السماء على أهلها وهنيأ فقد نالت نفسكم التواقة أبعد أمانيها ثم
تاقت الى ما عند الله وأشهد لما ألهمتم للاعراض عن الدنيا ونزع اليد من حطامها عند
الاصحاب والاقيال ونهى الآمال الاجذبا وعناية من الله وحبا واذا أراد الله أمرا
يسر أسبابه واتصل بي ما كان من تحفي السيادة المولوية بكم واهتزاز الدولة الى
ومثل هذه الخلافة أيدها الله من يثابر على المفاخر ويثأر بالاخيار ولم يزل عند
اقبالكم على الحظ وأنسكم باجتلاء الآمال حتى يحسن المتاع و يتجمل السرير
الملوكي بمكانكم فالظن ان هذا الباعث الذي هزم الآمال ونبذ الحظوظ
المفارق العزيز سومكم الله حتى يأخذ بيدكم الى فضاء المجاهدة ويستوي بكم على جدد

Marfat.com

الرياضة والله يهدى للتى هى أقوم وكانى بالاقدام نقلت والبصائر بالهام الحق صقلت
والمقامات خلفت بعدان استقبلت والعرفان شيمة أنواره وبوارقه والوصول
انكشفت حقائقه لما ارتفعت عوائقه وأما حالى والظن بكم الاهتمام بها والبحث عنها
فغير خفية بالباب المولوى أعلاه الله ومظهرها فى طاعته ومصدرها عن أمره
وتصاريفها فى خدمته والزعم أنى قمت المقام المحمود فى التشيع والانحياش واستمالة
الكافة الى المناصحة ومخالصة القلوب للولاية وما يتشوفه مجدكم ويتطلع اليه فضلكم
وأما اهتمامكم فى خاصتها من النفس والولد فجهينة خبره مؤدى كتابى اليكم ناشئ تأديبى
وثمرة تربيتى فسهلوا له الاذن وألينوا له جانب النحوى حتى يؤدى ما عندكم وما عندى
وخذوه بأعقاب الاحاديث ان يقف عند مباديها واثنموه على ما تحدثون فليس بضنين
على السر وتشوقى بما يرجع به اليكم سيدى وصديقى وصديقكم المقرب فى المجد والفضل
المساهم فى الشدائد كبير المغرب وظهير الدولة أبو يحيى بن أبى مدين كان الله له فى شأن
الولد والمخلف تشوق الصديق لكم الضنين على الايام بقلامة الظفر من ذات يديكم
فأطلعوه طلع ذلك ولا يهمكم بالفراق الواقع حسن فالسلطان كبير والاثر جميل والعدو
الساعى قليل حقير والنية صالحة والعمل خالص ومن كان له كان الله له واستطلاع
الرياسة المرتبة الكافلة كافأ الله يده البيضاء عنى وعنكم من أحوالكم
استطلاع من يسترجح وزانكم ويشكر الزمان على ولائه بمثلكم وقد قررت من علو
مناقبكم وبعد شأوكم وغريب منحاكم ما شهدت به آثاركم الشائعة الخالدة فى الرياسة
المتأدية على ألسنة الصادر والوارد من الكافة من محل الدولة واستقامة السياسة
ووقفته على سلامكم وهو يراجعكم بالتحية ويساهمكم بالدعاء وسلامى على سيدى
وفلذة كبدى ومحل ولدى الفقيه الزكى الصدر أبى الحسن نجلكم أعزه الله وقد وقع
منى موقع البشرى حلوله من الدولة بالمكان العزيز والرتبة النابهة والله يلحفكم جميعا
رداء العافية والستر ويهد لكم محل الغبطة والامن ويحفظ عليكم ما أسبغ من نعمته
ويجريكم على عوائد لطفه وعنايته والسلام الكريم يخصكم من المحب الشاكر الداعى
الشائق شيعة فضلكم عبد الرحمن ابن خلدون ورحمة الله وبركاته فى يوم الفطر عام اثنين
وسبعين وسبعمائة وكان بعث الى مع كتابه نسخة كتابه الى سلطانه ابن الاحمر صاحب
الاندلس عند ما دخل جبل الفتح وصار الى ايالة بنى مرين فخاطبه من هنالك بهذا الكتاب
فرأيت أن أثبته هنا وان لم يكن من غرض التأليف لغرابته ونهايته فى الجودة وأن مثله
لا يهمل من مثل هذا الكتاب مع ما فيه من زيادة الاطلاع على أخبار الدول فى تفاصيل
احوالها ونص الكتاب

Marfat.com

بانوا فن كان با كايبكى * هذى ركاب السرى بلاشك
فن ظهور الركاب معـــلة * الى بطون الربى الى الفلك
تصدع الشمل مثل ما انحدرت * الى صبوب جواهر السلك
من النوى قبـل لم أزل حذرا * هذا النوى جعل مالك الملك

مولاى كان الله لكم وتولى أمركم أسلم عليكم سلام الوداع وأدعو الله فى تيسر اللقاء والاجتماع من بعـد التفرق والانصداع وأقرر لديكم ان الانسان أسير الاقدار مسلوب الاختيار متقلب فى حكم الخواطر والافكار وأن لابد لكل أول من آخر وأن التفرق لازم كل اثنين بموت أو حياة ولم يكن منه بد كان خير أنواعه الواقعة بين الاحباب ما وقع على الوجوه الجميلة البريئة من الشرور ويعلم مولاى حال عبده منذ وصل اليكم من المغرب بولدكم ومقامه لديكم بحال قلق ولولا تعليلكم ووعدكم وارتقاب اللطائف فى تقليب قلبكم وقطع نواحل الايام حريصا على استكمال سنكم ونهوض ولدكم واضطلاعكم بأمركم وتمكن هدنة وطنكم وما تحمل فى ذلك من ترك غرضه لغرضكم وما استفزيده من عهودكم وأن العبد الآن تسبب لكم فى الهدنة من بعـد الظهور والعز ونجح السعى وتأتى لسنين كثيرة الصلح ومن بعـد أن لم يبق لكم بالاندلس مشغب من القرابة وتحرك لمطالعـة الثغور الغربية وقرب من فرضة الجواز واتصال الارض ببلاد المشرق لطرقته الافكار وزعزعت صبره رياح الخواطر وتذكر اشراف العمر على التمام وعواقب الاستغراق وسيرة الفضلاء عند شمول البياض فغلبته حال شديدة هزمت التعشق بالشمل الجميع والوطن الملىء والجاه الكبير والسلطان القليل النظير وعمل بمقتضى قوله موتوا قبل أن تموتوا فان صحت الحال المرجوة من امداد الله تنقلت الاقدام الى امام وقوى التعلق بعروة الله الوثقى وان وقع العجز أو افتضح العزم فالله يعاملنا بلطفه وهذا المرتكب مرام صعب لكن سهله على أمور منها ان الانصراف لما لم يكن منه بد لم يتعين على غير هذه الصورة اذ كان عندكم من باب المحال ومنها ان مولاى لو سمح لى بغرض الانصراف لم تكن لى قدرة على موقف وداعه لا والله ولكان الموت أسبق الى وكفى بهذه الوسيلة الحسنة التى [illegible] وسيلة ومنها حرصى على أن يظهر صدق دعواى فيما كنت أهتف [illegible] لا أصدق ومنها اغتنام المفارقة فى زمن الامان والهدنة الطويلة [illegible] اذا كان الانصراف المفروض ضروريا قبيحا فى غير هذه الحال ومنها وهو أقوى الاعذار أنى مهما لم أطق تمام هذا الامر أو ضاق ذرعى به لعجز أو مرض أو خوف طريق أو فساد زاد أو شوق غالب رجعت رجوع الاب الشفيق الى الولد البر الرضى اذ لم أخلف ورائى

Marfat.com

مانعا من الرجوع من قول قبيح ولا فعل بل خلفت الوسائل المرعية والآثار الخالدة والسيرة الجميلة وانصرفت بقصد شريف فقت به أشياخي وكبار وطني وأهل طوري وتركتكم على أتم ما أرضاه مثنيا عليكم داعيا لكم وان فسح الله في الامد وقضى الحاجة فأملي العودة الى وادي وتربتي وان قطع الاجل فأرجو ان أكون ممن وقع أجره على الله فان كان تصرفي صوابا وجاريا على السداد فلا يلام من أصاب وان كان عن حمق وفساد عقل فلا يلام من اختل عقله وفسد مزاجه بل يعذر و يشفق عليه ويرحم وان لم يعطه ولاي أمري حقه من العدل وجليت الذنوب ونشرت بعدي العيوب فجاؤه وتناصفه ينكر ذلك و يستحضر الحساب من التربية والتعليم وخدمة السلف وتخليد الآثار وتسمية الولد وتلقيب السلطان والارشاد الى الاعمال الصالحة والمداخلة والملابسة لم يتخلل ذلك قط خيانة في مال ولا سر ولا غش في تدبير ولا تعلق به محار ولا كدره نقص ولا حمل عليه خوف منكم ولا طمع فيما بيدكم وان لم تكن هذه دواعي الرعى والوصلة والابقاء ففيم تكون بين بني آدم وأنا قد رحلت فلا أوصيتكم بمال فهو عندي أهون متروك ولا بولد فهم رجالكم وخدامكم ومن يحرص مثلكم على الاستكثار منهم ولا بعيال فهي من مزيات بيتكم وخواص داركم انما أوصيكم بتقوى الله والعمل لغد وقبض عنان اللهو في موطن الجد والحياء من الله الذي محص وأقال وأعاد النعمة بعد زوالها ينظر كيف تعملون وأطلب منكم عوض ما وفرته عليكم من زاد طريق ومكافاة واعانة زادا سهلا عليكم وهو أن تقولوا الى غفر الله لك ما ضيعت من حق خطأ أو عمدا واذا فعلتم ذلك فقد رضيت واعلموا أيضا على جهة النصيحة ان ابن الخطيب مشهور في كل قطر وعند كل ملك واعتقاده وبره والسؤال عنه وذكره بالجميل والاذن في زيارته حفاظة منكم وسعه درع ودها فانما كان ابن الخطيب بوطنكم صحابة درجة نزلت ثم أقشعت وترك الازاهر تفوح والمحاسن تلوح ومثاله معكم مثل المرضعة أرضعت السياسة والتدبير الميمون ثم رفدتكم في مهد الصلح والامان وغطتكم بقناع العافية وانصرفت الى الحمام تغسل اللبن والوضر وتعود فان وجدت الرضيع فحسن أو قد انتبه فلم تتركه الا في حد الانفطام ونختم هذه العزارة بالحلف الاكيد أني ما تركت لكم وجه نصيحة في دين ولا في دنيا الا وقد وفيت لكم ولا فارقتكم الا عن عجز ومن ظن خلاف هذا فقد ظلمني وظلمكم والله يرشدكم و يتولى أمركم و يعول خاطركم في ركوب البحر انتهت نسخة الكتاب وفي طيها هذه الابيات

صاب مزن الدموع من جفن صبك * عند ما استروح الصبا من مهبك
كيف يسلو يا جنتي عنك وقد * كان قبل الوجود جن بحبك

Marfat.com

ثم قل كيف كان قبل انتشاء الر * وح من أنسك الشهى وقربك
ليدع بيتك المنيع جهارا * لسواه الا الى بيت ربك
أول عذرى الرضى فاجعلنه شافعا * ذمت والفضل والرضى من دأبك
وإذا ما ادعيت كربا بفقدى * أين كربى ووحشتى من كربك
ولدى فى ذراك وكرى فى دو * حك لحدى وتربتى فى تربك
يازمانا أفرى الفراق بنصلى * ليتنى أهبتى أخذت لحربك
أركبتنى صروف لك الصعب حتى * جئت بالين وهو أصعب صعبك

وكتب آخر النسخة يخاطبنى هذا ما يسر والله ولى الخيرة لى ولكم من هذا الخياط الذى لانسبة بينه وبين أولى الكمال رقانا الله اليه وأخلص توكلنا عليه وصرف الرغبة على مالديه وفى طى النسخة بدرجة نسخها رضى الله عن سيادتكم أونسكم بما صدر منى أثناء هذا الواقع مما استحضره الولد فى الوقت وهو يسلم عليكم عباحب لكم وقد حصل من خطوة هذا المقام الكريم على حظ وافر وأجزل احسانه ويوه بجرايته وأثبت الفرسان خلفه والحمد لله ثم نقل مقامى بسكرة والمغرب الاوسط مضطرب بالفتنة المانعة من الاتصال بالسلطان عبد العزيز وعزة بن راشد ببلاد مغراوة والوزير عمر بن مسعود فى العساكر يحاصره بحصن تاجموت وأبو زيان العبد الوادى ببلاد حصين وهم مشتملون عليه وقائمون بدعوته ثم سخط السلطان وزيره عمر بن مسعود ونكر منه تقصيره فى حمزة وأصحابه فاستدعاه الى تلمسان وقبض عليه وبعث به الى فاس معتقلا فحبس هنالك وجهز العساكر مع الوزير ابن غازى فنهض اليه وحاصره فنزل من الحصن ولحق بإخوانه فأنذر به عاملها فقبض عليه وسيق الى الوزير فى جماعة من أصحابه فضربت أعناقهم وصلبهم عظة ومزدجرا لاهل الفتنة ثم أوعز السلطان بالمسير الى حصين وأبى زيان فسار فى العساكر واستنفر أحياء العرب من زغبة فأوعبهم ونهض الى حصين فامتنعوا بالجبل تيطرى ونزل الوزير بعساكره ومن معه من أحياء زغبة على جبل تيطرى من جهة الشمال فأخذ بخنقهم وكاتب السلطان أشياخ الزوادة من رياح بالمسير الى حصار تيطرى من جهة القبلة وكاتب أبا مزنى صاحب بسكرة بامدادهم باعطياتهم وكتب الى يأمرنى بالمسير معهم على الوزير على وسرت بهم أول سنة أربع وسبعين حتى نزلنا بالقطانة فى ياعضادهم على الوزير بمكانه من حصار تيطرى فحدلهم حدود الخدمة وشارطهم على الجزاء ورجعت الى أحيائهم بالقطانة فاشتدوا فى حصار الجبل وألجؤهم بسوامهم وظهرهم الى قنته فهلك لهم الخف والحافر وضاق ذرعهم بالحصار من كل جانب ودامل بعضهم فى الطاعة خفية

Marfat.com

فارتاب بعضهم من بعض وانفضوا ليلا من الجبل وأبو زيان معهم ذاهبين الى الصحراء واستولى الوزير على الجبل بما فيه من مخلفهم ولما بلغوا أمنهم من القفر نبذوا الى أبي زيان عهده فلحق بجبال غمرة ووفد أعيانهم على السلطان عبد العزيز بتلمسان وفاؤا الى طاعته فتقبل طاعتهم وأعادهم الى أوطانهم وتقدم الوزير عن أمر السلطان بالمسير مع أولاد يحيى بن علي بن سباع للقبض على أبي زيان في جبل غمرة وفاء بحق الطاعة لان غمرة من رعاياهم فضينا لذلك فلم نجده عندهم وأخبرونا انه ارتحل عنهم الى بلد واركلا من مدن الصحراء فنزلنا على صاحبها أبي بكر بن سليمان فانصرفنا من هنالك ومضى أولاد يحيى بن علي الى أحيائهم ورجعت أنا الى أهلي ببسكرة وخاطبت السلطان بما وقع في ذلك وأقمت منتظرا أوامره حتى جاءني استدعاؤه الى حضرته فرحلت اليه

(العودة الى المغرب الاقصى)

ولما كنت في الاعتمال في مشايعة السلطان عبد العزيز ملك المغرب كما ذكرت تفاصيله وأنا مقيم ببسكرة في جوار صاحبها أحمد بن يوسف بن مزني وهو صاحب زمام رياح وأكثر عطائهم من السلطان مفروض عليه في جباية الزاب وهم يرجعون اليه في الكثير من أمورهم فلم أشعر الا وقد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب ووغر صدره وصدق في جنونه وتوهماته وطاوع الوشاة فيما يوردون على سمعه من التقول والاختلاف وجاش صدره بذلك فكتب الى وترمار بن عريف ولي السلطان وصاحب شوراه يتنفس الصعداء من ذلك فأنهاه الى السلطان فاستدعاني لوقته وارتحلت من بسكرة بالاهل والولد في يوم المولد الكريم سنة أربع وسبعين متوجها الى السلطان وكان قد طرقه المرض فما هو الا أن وصلت مليانة من أعمال المغرب الاوسط لقيني هنالك خبر وفاته وأن ابنه أبا بكر السعيد نصب بعده للامر في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي وانه ارتحل الى المغرب الاقصى منذ اذا السير الى فاس وكان على مليانة يومئذ علي بن حسون بن أبي علي الهساطي من قواد السلطان وموالي بيته فارتحلت معه الى أحياء العطاف ونزلنا على أولاد يعقوب بن موسى من أمرائهم وبدرني بعضهم الى حلة أولاد عريف أمراء سويد ثم لحق بنا بعد أيام علي بن حسون في عساكره وارتحلنا جميعا الى المغرب على طريق الصحراء وكان أبو حمو قد رجع بعد هلك السلطان من مكان التباذه بالقفر في تيكورارين الى تلمسان فاستولى عليها وعلى سائر أعماله وأوعز الى بني يغمور من شيوخ عبيد الله في المعقل أن يعترضونا بحدود بلادهم من رأس العين مخرج وادي صا فاعترضونا هنالك فنجا من نجا منا على خيولهم الى جبل دبدو وانتهبوا جميع ما كان معنا وأرجلوا الكثير من الفرسان وكنت فيهم وبقيت يومئذ

Marfat.com

فى قفره ضاحيا عاريا الى أن حصلت الى العمران ر لقيت بأصحابى بجبل دبدو ووقع فى خلال ذلك من الالطاف مالا يعبر عنه ولا يسع الوفاء بشكره ثم سرنا الى فاس ووفدت على الوزير أبى بكر وابن عمه محمد بن عثمان بفاس فى جمادى من السنة وكان لى معه قديم صحبة واختصاص منذ نزع معى الى السلطان أبى سالم بجبل الصفيحة عند اجازته من الاندلس لطلب ملكه كما مر فى غير موضع من الكتاب فلقينى من بر الوزير وكرامته وتوفير جرايته واقطاعه فوق ما احتسب وأقمت بمكانى من دولتهم أثير المحل ثابت الرتبة عظيم الجاه منوه المجلس عند السلطان ثم انصرم فصل الشتاء وحدث بين الوزير أبى بكر بن غازى وبين السلطان ابن الاحمر منافرة بسبب ابن الخطيب وما دعا اليه ابن الاحمر من ابعاده عنهم وأنف الوزير من ذلك فأظلم الجو بينهما وأخذ الوزير فى تجهيز بعض القرابة من بنى الاحمر ليشغله به ونزع ابن الاحمر الى اطلاق عبد الرحمن بن أبى يفلوسن من ولد السلطان أبى على والوزير مسعود بن رحو بن ماسى كان حبسهما أيام السلطان عبد العزيز وأشار بذلك ابن الخطيب حين كان فى وزارتهما بالاندلس فأطلقهما الآن وبعثهما لطلب الملك بالمغرب وأجازهما فى الاسطول الى سواحل عساسة فنزلوا بها ولحقوا بقبائل بطوية هنالك فاشتملوا عليهم وقاموا بدعوة الامير عبد الرحمن ونهض ابن الاحمر من غرناطة فى عساكر الاندلس فنزل على جبل الفتح فحاصره وبلغت الاخبار بذلك الى الوزير أبى بكر بن غازى القائم بدعوة بنى مرين فوجه لحينه ابن عمه محمد بن عثمان بن الكاس الى سبتة لامداد الحامية الذين لهم بالجبل ونهض هو فى العساكر الى بطوية لقتال الامير عبد الرحمن فوجده قد ملك نازا فأقام عليها يحاصره وكان السلطان عبد العزيز قد جمع شبابا من بنى أبيه المرشحين فحبسهم بطنجة فلما وافى محمد بن الكاس سبتة وقعت المراسلة بينه وبين ابن الاحمر وعتب كل منهما صاحبه على ما كان منه واشتد عذل ابن الاحمر على اخلائهم الكرسى من كفئه ونصبهم السعيد بن عبد العزيز صبيا لم يثغر فاستعتب له محمد واستقال من ذلك فحمله ابن الاحمر على أن يبايع لاحد الابناء المحبوسين بطنجة وقد كان الوزير أبو بكر أوصاه أيضا بأنه ان تضايق عليه الامر من الامير عبد الرحمن يفرج عنه بالبيعة لاحد أولئك [illegible] وكان محمد بن الكاس قد استوزره السلطان أبو سالم لابنه أحمد أيام [illegible] من وقته الى طنجة وأخرج السلطان أحمد بن السلطان أبى سالم من محبسه وبايع له وساربه الى سبتة وكتب لابن الاحمر يعرفه بذلك ويطلب منه المدد على أن ينزل له عن جبل الفتح فأمده بما شاء من المال والعسكر واستولى على جبل الفتح وشحنه بحاميته وكان أحمد بن السلطان أبى سالم قد تعاهد مع بنى أبيه فى محبسهم على أن من

Marfat.com

صاروا اليه منهم يجيز الباقين الى الاندلس فلما بويع له ذهب الى الوفاء لهم بعهدهم
وأبى ذلك منهم جميعا فنزلوا على السلطان ابن الاحمر فاكرم نزلهم ووفر جراياتهم
وبلغ الخبر بذلك كله الى الوزير أبى بكر بمكانه من حصار الامير عبد الرحمن فأخذه المقيم
الى ذلك من قفوله ابن عمه وكر راجعا الى دار الملك وعسكر بكدية العرائس من فاس
وولى ابن عمه محمد بن عثمان فاعتذر بانه امتثل وصيته فاستشاط وتهدده واتسع الخرق
بينهما واراد تحويل محمد بن عثمان بسلطانه ومدده من عسكر الاندلس الى أن احتل بجبل
[illegible] على مكاسة فعسكر به واشتملوا عليه وزحف اليهم الوزير أبو بكر وصعد
[illegible] ورجع الى مكانه بظاهر دار الملك وكان السلطان ابن الاحمر قد
[illegible] بالاستعانة بالامير عبد الرحمن والاعتضاد به ومساهمته فى جانب
[illegible] لنفسه فراسله محمد بن عثمان فى ذلك واستدعاه واستمده
[illegible] على سلفهم قد أظلم الجو بينه وبين الوزير ابى بكر لانه سأله
[illegible] فى الصلح مع الامير عبد الرحمن فامتنع واتهمه بمداخلته والميل له
[illegible] عليه ودس اليه بعض عيونه فركب الليل ولحق بأحياء الاحلاف
[illegible] كانوا اشيعة للامير عبد الرحمن ومعهم على بن عمر الويغلانى كبير بنى ورتاجن
[illegible] على الوزير ابن غمازى ولحق بالسوس ثم خامس القفر الى هؤلاء الاحلاف
فنزل بينهم مقيما لدعوة الامير عبد الرحمن فجاءهم وترمارم فلتا من حبالة الوزير أبى بكر
وعثرتهم على مساهم فيه ثم بلغهم خبر السلطان أحمد بن أبى سالم ووزيره محمد بن عثمان
وبيعتهم وانذ الامير عبد الرحمن يستدعيهم وخرج من تازا فلقيهم ونزل بين أحيائهم
ورحلوا جميعا الى امداد السلطان أبى العباس حتى انتهوا الى صفروى ثم اجتمعوا جميعا
على وادى النهاو تعاقدوا على شأنهم وأصبحوا غدا على التعبية كل من ناحيته وركب
الوزير أبو بكر لقتالهم فلم يطق وولى منهزما فانحجر بالبلد الجديد وخيم القوم بكدية
العرائس محاصرين له وذلك أيام عبد الفطر من سنة خمس وسبعين فحاصروها ثلاثة أشهر
وأخذوا بمخنقها الى ان جهد الحصار الوزير ومن معه فأذعن للصلح على خلع الصبى
ابن السعيد ابن السلطان عبد العزيز وخروجه الى السلطان أبى العباس ابن عمه
والبيعة له وكان السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن قد تعاهدوا عند الاجتماع
بوادى النهاو على التعاون والتناصر على أن الملك للسلطان أبى العباس بسائر أعمال
المغرب وان للامير عبد الرحمن بلد سجلماسة ودرعة والاعمال التى كانت لجده السلطان
أبى على أخى السلطان أبى الحسن ثم بدا للامير عبد الرحمن فى ذلك أيام الحصار واشتط
بطلب سراكش وأعمالها فأغضر له فى ذلك وشارطوه على ذلك حتى يتم لهم الفتح فلما

Marfat.com

انعقد مابين السلطان أبي العباس والوزير أبي بكر وخرج اليه من البلد الجديد وضاع سلطانه الصبي المنصوب ودخل السلطان أبو العباس الى دار الملك فاتح ست وسبعين وارتحل الامير عبد الرحمن يغذ السير الى مراكش وبدا للسلطان أبي العباس ووزيره محمد بن عثمان في شأنه فسرّحوا العساكر في اتباعه وانتهوا خلفه الى وادي بهت فواقفوه ساعة من نهار ثم أجحموا عنه وولوا على راياتهم وسارهو الى مراكش ورجع عنه وزيره مسعود بن ماسي بعد ان طلب منه الاجازة الى الاندلس يتودّع بها فسرحه لذلك وسار الى مراكش فملكها وأما أنا فكنت مقيما بفاس في ظل الدولة وعنايتها منذ قدمت على الوزير سنة أربع وسبعين كما مرّ عاكفا على قراءة العلم وتدريسه فلما جاء السلطان أبو العباس والامير عبد الرحمن وعسكروا بكدية العرائس وخرج أهل الدولة اليهم من الفقهاء والكتاب والجند وأذن للناس جميعا في مباكرة أبواب السلطانين من غير نكير في ذلك فكنت أباكرهما معا وكان بيني وبين الوزير محمد بن عثمان ما مرّ ذكره قبل هذا فكان يظهر لي رعاية ذلك ويكثر من المواعيد وكان الامير عبد الرحمن يميل اليّ ويستدعيني أكثر أوقاته ويشاورني في أموره فنهض بذلك الوزير محمد بن عثمان وأغرى سلطانه فتقبض عليّ وسمع الامير عبد الرحمن بذلك وعلم اني انما أتيت من جرّاه فخلف ليعوّضني خيامه وبعث وزيره مسعود بن ماسي لذلك فأطلقني من الغد ثم كان افتراقهما الثالثة ودخل الامير أبو العباس دار الملك وسار الامير عبد الرحمن الى مراكش وكنت أنا يومئذ مستوحشا فصحبت الامير عبد الرحمن معتزما على الاجازة الى الاندلس من ساحل آسفي معوّلا في ذلك على صحابة الوزير مسعود بن ماسي لهواي فيه فلما رجع مسعود عن عزمي في ذلك ولحقنا بوترمار بن عريف بمكانه من نواحي كرسيف لتقدّمه وسيلة الى السلطان أبي العباس صاحب فاس في الجواز الى الاندلس ووافينا عنده داعي السلطان فصحبناه الى فاس واستأذنه في شأني فأذن لي بعد مطاولة وعلى كره من الوزير محمد بن عثمان داود بن اعراب ورجال الدولة وكان الاخ يحيى لما رحل السلطان أبو حمو من تلمسان رجع عنه من بلاد زغبة الى السلطان عبد العزيز فاستقرّ في خدمته وبعده في خدمة ابنه السعيد المنصوب مكانه ولما استقر السلطان أبو العباس على البلد الجديد استأذن الاخ في اللحاق بتلمسان [illegible] على السلطان أبي حمو فأعاده لكتابة سرّه كما كان أوّل أمره وأذن لي أن أبعده فانطلقت الى الاندلس بقصد القرار والدعة الى أن كان ما نذكره ان شاء الله تعالى

{الاجازة الثانية الى الاندلس ثم الى تلمسان واللحاق بأحياء العرب والمقامة عند أولاد عريف}

Marfat.com

ولما كان ماقصمته من تنكر السلطان أبي العباس صاحب فاس والذهاب مع الامير عبد الرحمن ثم الرجوع عنه الى وترمار بن عريف طلبا للوسيلة في انصرافي الى الاندلس بقصد الفرار والعكوف على قراءة العلم فتم ذلك ووقع الاسعاف به بعد الامتناع وأجزت الى الاندلس في ربيع سنة ست وسبعين ولقيني السلطان بالكرامة وأحسن النزل على عادته وكنت لقيت بجبل الفتح كاتب السلطان ابن الاحمر من بعد ابن الخطيب الفقيه أبا عبد الله بن زمرك ذاهبا الى فاس في غرض التهنئة وأجاز الى سبتة في اسطوله وأوصيته باجازة أهلي وولدي الى غرناطة فلما وصل الى فاس وتحدث مع أهلي في اجازتهم تنكروا لذلك وساءهم استقراري بالاندلس واتهموا اني ربما أحمل السلطان ابن الاحمر على الميل الى الامير عبد الرحمن الذي اتهموني بملابسته ومنعوا أهلي من اللحاق بي وخاطبوا ابن الاحمر في أن يرجعني اليهم فأبى من ذلك فطلبوا منه أن يعوضني الى عدوة تلمسان وكان مسعود بن ماسي قد أذنوا له في اللحاق بالاندلس فحملوه مشافهة السلطان بذلك وأبدوا له اني كنت ساعيا في خلاص ابن الخطيب وكانوا قد اعتقلوه لاول استيلائهم على البلد الجديد وظفرهم به وبعث اليه ابن الخطيب مستصرخا به ومتوسلا فخاطبت في شأنه أهل الدولة وعولت فيه منهم على وترمار وابن ماسي فلم تنجح تلك السعاية وقتل ابن الخطيب بحبسه فلما قدم ابن ماسي على السلطان ابن الاحمر وقد أغروه بي ألقى الى السلطان ما كان مني في شأن ابن الخطيب فاستوحش من ذلك وأسعفهم باجازتي الى العدوة ونزلت بهنين والحق بيني وبين السلطان أبي حمو مظالم بما كان مني في اجلاب العرب عليه بالزاب كما مر فأوعز بمقامي بهنين ثم وفد عليه محمد بن عريف فعذله في شأني فبعث عني الى تلمسان واستقررت بها بالعباد ولحق بي أهلي وولدي من فاس وأقاموا معي وذلك في عيد الفطر سنة ست وسبعين وأخذت في بث العلم وعرض للسلطان أبي حمو رأي في الزواودة وحاجة الى استمالتهم فاستدعاني وكلفني السفارة اليهم في هذا الغرض فاستوحشت منه ونكرته على نفسي لما آثرته من التخلي والانقطاع وأجبته الى ذلك ظاهرا وخرجت مسافرا من تلمسان حتى انتهيت الى البطحاء وعدلت ذات اليمين الى منداس ولحقت باحياء أولاد عريف قبلة جبل كزول فلقوني بالتحف والكرامة وأقمت بينهم أياما حتى بعثوا عن أهلي وولدي بتلمسان وأحسنوا العذر الى السلطان عني في العجز عن قضاء خدمته وأنزلوني بأهلي في قلعة أولاد سلامة من بلاد بني توجين التي صارت لهم باقطاع السلطان فأقمت بها أربعة أعوام مقبلا على الشواغل وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها وأكملت المقدمة على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت اليه في تلك الخلوة فسالت فيها شآبيب

Marfat.com

الكلام والمعانى على الفكر حتى امتخضت زبدتها وتالفت نتائجها وكانت من بعد ذلك الفيئة الى تونس كما نذكره ان شاء الله تعالى

(الفيئة الى السلطان أبى العباس بتونس)

ولما نزلت بقلعة ابن سلامة من أحياء أولاد عريف وسكنت بقصر أبى بكر بن عريف الذى اختطه بها وكان من أحفل المساكن وأوفقها ثم طال مقامى هنالك وأنا مستوحش من دولة المغرب وتلمسان وعاكف على تأليف هذا الكتاب وقد فرغت من مقدمته الى أخبار العرب والبربر وزناتة وتشوقت الى مطالعة الكتب والدواوين التى لا توجد الا بالامصار بعدان أمليت الكثير من حفظى وأردت التنقيح والتجميع ثم طرقنى مرض أربى على البنية لولا ما تدارك من لطف الله فحدث عندى ميل الى مراجعة السلطان أبى العباس والرحلة الى تونس حيث قرار آبائى ومساكنهم وآثارهم وقبورهم فبادرت الى خطاب السلطان بالفيئة الى طاعته والمراجعة فما كان غير بعيد واذا بخطابه وعهوده بالاذن والاستحثاث للقدوم فكان الخفوق للرحلة فظعنت عن أولاد عريف مع عرب الاحص من بادية رياح كانوا هنالك يتجعون الميرة بمنداس وارتحلنا فى رجب سنة ثمانين وسلكنا القفر الى الدوسن من أطراف الزاب ثم صعدت الى التل مع حاشية يعقوب بن على وجدتهم بفرفار الضيعة التى اختطها بالزاب فرحلت معهم الى أن نزلنا عليه بضاحية قسنطينة ومعه صاحبها الامير ابراهيم ابن السلطان أبى العباس بمخيمه ومعسكره فحضرت عنده وقسم لى من بره وكرامته فوق الرضا وأذن لى فى الدخول الى قسنطينة واقامة أهلى فى كفالة احسانه ريثما أصل الى حضرة أبيه وبعث يعقوب بن على معى ابن أخيه أبى دينار فى جماعة من قومه وسرت الى السلطان أبى العباس وهو يومئذ قد خرج من تونس فى العساكر الى بلاد الجريد لاستنزال شيوخها عن كراسى الفتنة التى كانوا عليها فوافيته بظاهر سوسة فلقينى وفادنى وبر مقدمى وبالغ فى تأنيسى وشاورنى فى مهمات أموره ثم ردنى الى تونس وأوعز الى نائبه بها مولاه فارح بتهيئة المنزل والكفالة من الجرايات والعلوفة وجميع الاحسان فرحت الى تونس فى شعبان من السنة وآويت الى ظل ... السلطان وحرمته وبعثت الى الاهل والولد وجمعت شملهم ... وألقيت عصا التسيار وطالت غيبة السلطان الى أن افتتح ... وذهب بهم فى النواحى ولحق زعيمهم يحيى بن يملول ونزل على صهره ابن مزنى وقسم السلطان بلاد الجريد بين ولده فأنزل ابنه محمدا المنتصر بتوزر وجعل قفطة ونفزاوة من أعماله وأنزل ابنه أبا بكر بقفصة وعاد الى تونس مظفرا منصورا فأقبل على واستدنانى لمجالسته والنجاء

Marfat.com

فى خلوته فضض بطانته من ذلك وآفاضوا فى الـ ـعايات عند السلطان فلم تنجح وكانوا
يعكفون على امام الجامع وشيخ الفتيا محمد بن عرفة وكان فى قلبه نكتة من الغيرة من
لدن اجتماعنا فى المرسى بمجالسة الشيوخ فكثيرا ما كان يظهر شفوفى عليه وان كان
أسنّ منى فاستوقدت تلك النكتة فى قلبه ولم تفارقه ولما قدمت تونس انثال علىّ طلبة العلم
من أصحابه وسواهم يطلبون الافادة والاشتغال وأسعفتهم بذلك فعظم علىه وكان يسر
[illegible] فلم يقبلوا واشتدت غيرته ووافق ذلك اجتماع البطانة اليه
[illegible] أعلى شأنهم فى التأنيب والسعاية بى والسلطان خلال ذلك معرض عنهم
[illegible] كتاب على تأليف هذا الكتاب لتشوقه الى المعارف والاخبار
[illegible] كملت منه أخبار البربر وزناتة وكتبت من اخبار الدولتين وما قبل
[illegible] كملت منها نسخة رفعتها الى خزانته وكان مما يغرون به
[illegible] عن امتداحه فانى كنت قد أهملت الشعر واتحاله جملة
[illegible] فكانوا يقولون له انما ترك ذلك استهانة بسلطانك لكثرة امتداحه
[illegible] ذلك عنهم من جهة بعض الصديق من بطانتهم فلما رفعت له
[illegible] أنشدته فى ذلك اليوم هذه القصيدة امتدحه وأذكر سيره
[illegible] انثال الشعر واستعطفه بهدية الكتاب اليه فقلت

[illegible] بالك للغريب مؤمّل * أو عن جنابك للأمانى معدل
[illegible] اليك على النوى * عزما كما شهد الحسام الصيقل
[illegible] منجع المنا * والغيث حيث العارض المتهلل
[illegible] زهرات منيفة * تعنولها زهر النجوم وتحفل
[illegible] الغمام البيض ترفع للقرى * قد فاح فى أرجائهن المندل
[illegible] الضحى للصرف ساحاته * ظل أفاءته الوشيج الذبل
[illegible] الرمل يكاد يورق عودها * مما تعل من الدماء وتنهل
[illegible] الجياد أمل شعشعان الوغى * مما أطالوا فى المنار وأوغلوا
[illegible] الأسود الغرّ قدها الظبا * والبشر فى صفحاتها يتهلل
[illegible] المحل الصدر النفوس * عمر الخوافق بهم والمنزل
[illegible] البهى بل عن شيمة التوحيد جاء به الكتاب مفصل
[illegible] العلى الغرّ بأن عزهم * لله ما شادوا بذاك واثلوا
[illegible] سعة الرحمن ألف جاشم * فى خلقه فسموا بذا الوفضلوا
[illegible] أرخص أثابهم وما * أدراك والفار وق جد أول

Marfat.com

نسب كما اضطردت أنابيب القنا * وأتى على تقويمهن معدّل
سام على هام الزمان كأنه * للفجر تاج بالبدور مكلل
فضل الانام حديثهم وقديمهم * ولأنت ان نصبوا أعز وأفضل
وبنوا على قلل النجوم ووطدوا * وبناؤك العالى أشد وأطول
ولقد أقول لخائض بحر العلا * والليل مذ ثر الجوانب ليل
ماض على غول الدجا لا يتقى * منها وذا بله ذبال مشعل
متقلب فوق الرماح كأنه * طيف بأطراف المهاد موكل
يبغى منال الفوز من طرق الغنى * ويرود مخصبها الذى لا يمحل
أرح الركاب فقد ظفرت بواهب * يعطى عطاء المنعمين فيجزل
لله من خلق كريم فى الندى * كالروض حياه ندى متهلل
هذا أمير المؤمنين امامنا * فى الدين والدنيا اليه المرئل
هذا أبو العباس خير خليفة * شهدت له الشيم التى لا تجهل
مستنصر بالله فى قهر العدا * وعلى اعانة ربه متوكل
سبق الملوك الى العلا متمهلا * لله منك السابق المتمهل
فلانت أعلى المالكين وان غدوا * يتسابقون الى العلا وأكمل
قايس قديما منهم بقديمكم * فالامر فيه واضح لا يجهل
دانوا لقومكم بأقوم طاعة * هى عروة الدين التى لا تفصل
سائل تلمسانا بها وزناتة * ومرين قبلهم عصكما تد بتل
واسأل بأندلس مدائن ملكها * تخبرك حين استأنسوا واستأصلوا
واسأل بذا مرا كشا وقصورها * فلقد تجيب رسومها من تسأل
يا أيها الملك الوفى يا ذا الذى * ملأ القلوب وفوق ما تتأمل
لله منك مؤيد عزماته * تمضى كما يمضى القضاء المبرم
حيث الزمان بحيث أعظم حتمه * فافتر عنه وهو أنجح ما أمل
والشمل من أنبائه متصدع * وعلا خلافتهم مثلم مفلل
والخلق قد صرفوا اليك قلوبهم * تبغى اصلاح الحال حين تحول
فعجلته لما انتدبت لامره * بالباس والعزم الذى لا ينكل
ذللت منه جامحا لا ينثنى * سهلت وعرا منه يستوعر
وألنت من سوس العتاة وذدتهم * عن ذلك الحرم الذى لم يطلق
كانت اصولة صولة واقومه * يعدو ذو يب بها ويسطو المقل

Marfat.com

ومهلهل تـــدى وتلحم فى التى * ما حكموها فهى بعـد مهلهل

والمراد بصولة هنا صولة بن خالد بن حزة أولاد أبى ثعيل وذويب هو ابن عمه أحمد بن حمزة والمقتل فريق من العرب من احلافهم ومهلهل هم بنو مهلهل بن قاسم انظارهم وأقتالهم ثم رجع الى وصف العرب

عجب الانام لشأنهم بادون قد * قـذفت بجيهم المطى الذلل
رفعوا القباب على العماد وعندها * لجرد الـــلاهب والرماح العسل
فى كل طامى الرب منعقد الحصا * تهـــدى للجبته الظماء فتنهل
حتى شرابهم السراب ورزقهم * ريح يروح به الكمى ومنصل
حتى حـلول بالعـراء ودونهم * قذف النوى ان يظعنوا أو يقبلوا
كانوا يروعون الملوك بما بدوا * وغدت ترفـه بالنعيم وتخفـل
فبـدوت لا تلوى على دعة ولا * تأوى الى ظل القصور وتهـزل
طورا يصافحك الهجير وتارة * نيـه بخفاق البنود تظلل
واذا تعاطى الضمر فى يوم الوغى * كأس النجيع فبالصهيل تعلل
مخشوشـنا فى العـز معتملاله * فى مثل هذا يحسن المستعمل
تفرى حشى البيداء لا يسرى بها * وكف ولا يهـدى اليها بحفل
وتجـر اذيال الكتائب ذوقها * تختال فى اسمر الطوال وترفـل
ترمى بهـم منها بكل مـدجج * شاكى السلاح اذا استعار الاعزل
وبكل أسمـر غصـنه متأود * وبكل أبيض شـطه متهدل
حتى تفـرق ذلك الجمع الألى * عصفت بهم ريح الجلاء فزلزلوا
ثم استمتهم بنعـمتلك التى * خضعوا العزك بعـدها وتذللوا
ونزعت من أهـل الجريد غواية * وقطعت من أسبابها ما أوصلوا
ونظمـت مـن أمصاره وثغوره * للملك عقدا بالفتوح يفصـل
فسـددت مطلع النفاق وأنت لا * تنبو ظباك ولا العزيمـة تنكل
بشكيمـة مرهوبة وسياسـة * تجرى كما يجرى فرات سلسـل
عـذب الزمان لها ولذ مـذاقه * من بعد ما قد مر منـه الحنظل
فضوى الانام لعـز أورو ع مالك * سهل الخليقه ماجد متفضـل
وتطابقت فيه القلوب على الرضا * سيان منها الطفـل والمتكهل
يا مالكا وسع الزمان وأهـله * عـدلا وأمنا فوق ما قـد أملوا
فالارض لا يخشى بها غول ولا * يعدو بساحتها الهزبر المشبل

والسرب يجتابون كل تنوفة * سرب القطا مأراءهن الأجدل
سبحان من بعلاك قد أحيا المنا * واعاد حلى الجيد وهو معطل
فكأنما الدنيا عروس تجتلى * فتميس فى حلل الجمال وترفل
وكأن مطبقة البلاد بعدله * عادت فسيحا ليس فيها مجهل
وكأن أنوار الكواكب ضوعفت * من نور رغرته التى هى أجمل
وكأنما رفع الحجاب لناظرى * فرأى الحقيقة فى الذى يتخيل

ومنها فى العذر عن مدحه

مولاى غاضت فكرتى وتبلدت * منى الطباع فكل شئ مشكل
تسمو الى درك الحقائق همتى * فأصد عن ادراكهن وأعزل
وأجد لبلى فى امتراء قريحتى * فتعود غورا بعد ما تسترسل
فأبيت يحتلج الكلام بخاطرى * والنظم يشرد والقوافى تجفل
واذا امتريت العفو منه جاهدا * عاب الجهابذ صنعه واستزلوا
من بعد حول انتقيه ولم يكن * فى الشعر لى قول يعاب ويهمل
فأصونه عن أهله متواريا * أن لا يضمهم وشعرى محفل
وهى البضاعة فى القبول نفاقها * سيان فيه الفحل والمتطفل
وبنات فكرى ان أتتك كليلة * زهراء تخطر فى القصور وتخطل
فلها الفخار اذا منحت قبولها * وأناء لى ذلك البليغ المقول

ومنها فى ذكر الكتاب المؤلف بخزانته

واليك من سير الزمان وأهله * عبر ايدين بفضلها من يعدل
صحفا تترجم عن أحاديث الأولى * درجوا فتجمل عنهم وتفصل
تبدى التبابع والعمالق سرها * وثمود قبلهم وعاد الأول
والقائمون بملة الاسلام من * مضر وبربرهم اذا ما حصلوا
لخصت كتب الاولين بجمعها * وأتيت أولها بما قد أغفلوا
وألنت حوشى الكلام كأنما * سرد اللغات بها لنطق ذللوا
وجعلته لسوار ملكك مفخرا * يبهى الندى به ويزهو المحفل
والله ما أسرفت فيما قلته * شيأ ولا الاسراف من شيمى
ولأنت أرسخ فى المعالى رتبة * من أن يمو عنه متطفل
فلذاك كل فضيلة وحقيقة * الناس تعرف فضلها ان بدلوا
والحق عندك فى الامور مقدم * أبدا فماذا يدعيه المبطل

Marfat.com

والله أعطاك التي لا فوقها * فاحكم بما ترضى فأنت الأعدل
أبقاك ربك للعباد ترحم * فالله يخلقهم ورعيك يكفل

وكنت لما انصرفت من معسكره على سوسة الى تونس بلغني وأنا مقيم بها أنه أصابه في طريقه مرض وعقبه برء فخاطبته بهذه القصيدة

ضحكت وجوه الدهر بعد عبوس * وتخللتنا رحمة من بوس
وتوضحت غرر البشائر بعد ما * أنس بهمت فأطلعها حداة العيس
صدعوا بهم ليل الهموم كأنما * صدعوا الظلام بجذوة المقبوس
فكأنهم جنات عدن في الورى * نشرت لها الآمال من مرموس
قرت عيون الخلق منها بالتي * شربوا النعيم لها بغير كؤس
يتمايلون من المسرة والرضا * ويقابلون أهلة بشموس
من راكب وافى يحيي راكبا * وجليس أنس قاده لجليس
ومشفع لله يؤنس عنده * أثر الهدى في المعهد المأنوس
يعتد منها رحمة قدسية * فيبوء للرحمن بالتقديس
طب تأخر للاصر الدعاء وانه * يشفي من الداء العياء والبوس

والمعنى به امام الجامع الاعظم جامع الزيتونة بتونس

يا ابن الخلافة والذين بنورهم * نهجت سبيل الحق بعد دروس
والناصر الدين القويم بعزمه * طردت امامتها بغير عكوس
هجر المنا فيها ولذات المنا * في لذة التهجير و التغليس
حاط الرياضة بالسياسة فانطوت * منه لاكرم مالك وسيوس
أسد يحامي عن حمى اشباله * حتى ضروا منه لأمنع خيس
فتسابموشي البطاح وقد غدت * تختال زهوا في ثياب عروس
والمائلات من الحنايا جثما * بالبيد من طعم وفتك جديس
وخزا البلى منها الغوارب والذرى * فلفتن حذرا بالعيون الشوس
لبقاك جوز للانام وعصمة * وحياة أرواح لنا ونفوس
ولأنت كافل ديننا بحماية * لولاك ضيع عهدها وتنوسي
الله أعطاك التي لا فوقها * وحباك حظا ليس بالمركوس
تعنو الوجوه اليك قبل وجوهنا * سجدان من رأس ومن مرؤس
فاذا أتت فان ركبك راحل * يحمي على الاعداء كل وطيس
واذا رحلت فللسعادة آية * تقتادها في موكب وخميس

واذا الادلة فى الكمال تطابقت * جاءت بمسموع لها ومقيس
فانعم بملك دولة عادية * تشفى الاعادى بالعذاب البيس
واليكها منى على عجل بها * عذراء قد حليت بكل نفيس
عذرا قد طمس الشباب ونوره * وأضاء صبح الشيب عند طموس
لولا عنايتك التى أوليتنى * ماكنت أعنى بعدها بطروس
والله ما أبقت ممارسة النوى * منى سوى رسم أمزدر يس
أخنى الزمان على فى الادب الذى * دارسته بمجامع ودروس
فسطا على فرعى ورتع مأمنى * واجتث من دوح النشاط غروسى
ورضاك رحتى التى أعتدها * تحيى منا نفسى وتذهب بوسى

ثم كثرت سعاية البطانة بكل نوع من أنواع السعايات وابن عرفة يزيد فى اغرائهم متى اجتمعوا اليه الى أن أغروا السلطان بسفرى معه ولقنوا النائب بتونس القائد فارح من موالى السلطان أن يفادى من مقامى معه خشية على أمره منى بزعمه وتواطؤا على أن يشهد ابن عرفة بذلك للسلطان حتى شهد به فى غيلة منى ونكر السلطان عليهم ذلك ثم بعث الى وأمرنى بالسفر معه فسارعت الى الامتثال وقد شق ذلك على الا أنى لم أجد محيصا فخرجت معه وانتهيت الى تبسة وسط وطن تلول افريقية وكان منحدرا فى عسكره وتوابعه من العرب الى توزر لان ابن يملول أجاب عليها سنة ثلاث وثمانين واستنقذها من يد ابنه فسار السلطان اليه وشرده عنها وأعاد اليها ابنه وأولياءه ولما نهض من تبسة رجعنى الى تونس فأقمت بضيعة الرياحين من نواحيها الضم زراعتى بها الى أن قفل السلطان ظافرا منصورا فصحبته الى تونس ولما كان شهر شعبان من سنة أربع وثمانين أجمع السلطان الحركة الى الزاب بما كان صاحبه ابن مزنى قد آوى ابن يملول اليه وهدله فى جواره فخشيت أن يعود فى شأنى ما كان فى السنة قبلها وكان بالمرسى سفينة لتجار الاسكندرية قد شحنها التجار بأمتعتهم وعروضهم وهى مقلعة الى الاسكندرية فتطارحت على السلطان وتوسلت اليه فى تخليه سبيلى لقضاء فرضى فأذن لى فى ذلك وخرجت الى المرسى والناس متسايلون على أثرى من أهل الدولة والبلد وطلبة العلم فودعتهم وركبت البحر منتصف شعبان من السنة عنهم بحيث كانت الخيرة من الله سبحانه وتفرغت لتجديد ما كان عندى من آثار العلم والله ولى الامور سبحانه

(الرحلة الى المشرق وولاية القضاء بمصر)

ولما رحلت من تونس منتصف شعبان من سنة أربع وثمانين اقتنا فى البحر نحوا من

Marfat.com

بعين ليلة ثم وافينا مرسى الاسكندرية يوم الفطر ولعشر ليال من جلوس الملك الظاهر على التخت واقتعاد كرسى الملك دون أهله بنى قلاوون وكنا على ترقب ذلك لما كان يؤثر بقاصية البلاد من سموه لذلك وتمهيده له وأقمت بالاسكندرية شهر التهيئة أسباب الحج ولم يقدر عامئذ فانتقلت الى القاهرة أول ذى العقدة فرأيت حاضرة الدنيا وبستان العالم ومحشر الامم ومدرج الذر من البشر وايوان الاسلام وكرسى الملك تلوح القصور والاوابين فى جوه وتزهر الخوانق والمدارس والكواكب بآفاقه وتضىء البدور والكواكب من علمائه قد مثل بشاطئ النيل نهر ومدفع مياه السماء يسيقه العلل والنهل سيحه ويجبى اليهم الثمرات والخيرات تبحه ومررت فى سكك المدينة تغص بزحام المارة وأسواقها تزخر بالنعم ومازلنا نتحدث بهذا البلد وبعد مداه فى العمران واتساع الاحوال ولقد اختلفت عبارات من لقيناه من شيوخنا وأصحابنا حاجهم وتاجرهم فى الحديث عنه سألت صاحبنا كبير الجماعة بفاس وكبير العلماء بالمغرب أبا عبد الله المقرى فقلت له كيف هذه القاهرة فقال من لم يرها لم يعرف عز الاسلام وسألت شيخنا أبا العباس بن ادريس كبير العلماء بجباية مثل ذلك فقال كأنما انطلق أهله من السحاب يشير الى كثرة أممه وأمنهم العواقب وحضر صاحبنا قاضى العسكر بفاس، الفقيه الكاتب أبو القاسم البرجى بمجلس السلطان أبى عنان منصرفه من السفارة عنه الى ملوك مصر وتأدية رسالته النبوية الى الضريح الكريم سنة ست وخمسين فسألته عن القاهرة فقال أقول فى العبارة عنها على سبيل الاختصار انها الذى يتخيله الانسان فانما يراه دون الصورة التى تخيلها لاتساع الخيال عن كل محسوس الا القاهرة فانها أوسع من كل ما يتخيل فيها فأعجب السلطان والحاضرون لذلك ولما دخلتها أقمت أياما واتصال على طلبة العلم بها يلتمسون الافادة مع قلة البضاعة ولم يوسعونى عذرا فجلست للتدريس بالجامع الازهر منها ثم كان الاتصال بالسلطان فأبرم مقامى وآنس الغربة ووفر الجراية من صدقاته شأنه مع أهل العلم وانتظرت لحاق أهلى وولدى من تونس وقد صدهم السلطان هنالك عن السفر اغتباطا بعودى اليه فطلبت من السلطان صاحب مصر الشفاعة اليه لتخلية سبيلهم فخاطبه فى ذلك ثم هلك بعض المدرسين بمدرسة القمحة بمصر من وقف صلاح الدين بن أيوب فولانى تدريسها مكانه وبينما أنا فى ذلك اذ سخط السلطان قاضى المالكية فى دولته لبعض النزغات فعزله وهو رابع أربعة بعدد المذاهب يدعى كل منهم قاضى القضاة تمييزا عن الحكام بالنيابة عنهم لاتساع خطة هذا المعمور وما يرتفع من الخصومات فى جوانبه وكبير جماعتهم قاضى الشافعية اعموم ولايته فى الاعمال شرقا وغربا بالصعيد والفيوم واستقلاله بالنظر فى أموال

Marfat.com

اليتامى والوصايا والتسبب قال بأن مباشرة السلطان قديما بالولاية انما كانت تكون له فلما عزل هذا القاضي المالكي سنة ست وثمانين اختصني السلطان بهذه الولاية تأهيلا لمكاني وتنويها بذكري وشافهني بالتقادي من ذلك فأبى الا امضاءه وخلع علي ثيابه وانه وبعض من كان الخاصة من أقعدني بمجلس الحكم بالمدرسة الصالحية بين القصرين فقمت بما دفع الي من ذلك المقام المحمود ووفيت جهدي بما أمتن عليه من أحكام الله لا تأخذني في الله لومة ولا يرغبني عنه جاه ولا سطوة مسوّيا بين الخصمين آخذا الحق الضعيف من الحكمين معرضا عن الشفاعات والوسائل من الجانبين جانحا الى التثبت في سماع البينات والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات فقد كان البر منهم مختلطا بالفاجر والطيب ملتبسا بالخبيث والحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزون عما يظهر عليهم من هناتهم لما يموهون به من الاعتصام بأهل الشوكة فان غالبهم محتلطون بالامراء معلمون للقرآن وأئمة في الصلوات يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون بهم الخير ويتسمون الحظ من الجاه في تزكيتهم عند القضاة والتوسل لهم فأعضل داؤهم وفشت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم ووقفت على بعضها فصاقبت فيه بوجيع العقاب ومؤلم النكال وتأدى لعلي الجرح في طائفة منهم فمنعتهم من تحمل الشهادة وكان منهم كتاب الدواوين للقضاة والتوقيع في مجالسهم وتدربوا على املاء الدعاوى وتسجيل المحكومات واستخدموا للامراء فيما يعرض لهم من العقود باحكام كتابتها وتوثيق شروطها فصار لهم بذلك تفوف على أهل طبقتهم وتمويه على القضاة بجاههم يتذرعون به فيما يتوقعونه من مغبتهم لتعرضهم لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم قلمه على العقود المحكمة فيوجد السبيل الى حلها بوجه فقهي أو كتابي ويبادر الى ذلك من يدعو اليه داعي جاه أو منحة وخصوصا التي جاوزت حدود النهاية في هذا المصر لكثرة عوالمه فأصبحت خافية الشهرة مجهولة الاعيان عرضة للبطلان باختلاف المذاهب المنصوبة للاحكام بالبلد فمن اختار فيها بيعا أو غليكا شارطوه وأجابوه مفتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا فيه سد الحظر والمنع حماية عن التلاعب وفشا من ذلك الضرر في الاوقاف وطرق الغرر في العقود والاملاك فعاملت الله في حسم ذلك بما استطعت على وأحقدهم ثم التفت الى أهل الفتيا بالمذهب وكان الحكام منهم [illegible] لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم وفتياهم بعد نفوذ الحكم [illegible] فبينما هم يتشبثون بأذيال الطب والعدالة ولا يكادون اذا بهم ظهروا الى مراتب الفتيا والتدريس فاقتعدوها وتناولوها بالجزاف وأجازوها من غير مرتب ولا مستند للاهلية ولا مرشح اذا الكثرة فيهم بالغة ومن كثرة الساكن مشتقة وقلم الفتيا في هذا

Marfat.com

المصر طلق وعنانه مرسل يتجاذب كل الخصوم منه ارسنا ويتناول من حاقته شقا يروم به
الفتح على خصمه ويستظهر به لارغامه فيعطيه المفتى من ذلك مل رضاه وكفاه أمنيته
متتبعا اياه فى شغب الخلاف فتتعارض الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب ان وقعت
بعد نفوذ الحكم والخلاف فى المذاهب كثير والانصاف متعذر وأهلية المفتى وشهرة
الافتاء عندنا فلا يكاد هذا المدى ينحسم ولا الشغب ينقطع فصدعت
فى ذلك بالحق وكفحت أعنة أهل الهوى والجهل وردتهم على أعقابهم وكان فيهم
ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوذون وهناك ولا ينتمون الى شيخ
معروف مشهود ولا يعرف لهم كتاب فى فن اتخذوا الناس هزوا وعقدوا المجالس مثلبة
للاعراض ومثابة للحرم فأرغمهم ذلك منى وملأهم حسدا وحقدوا على وخلوا الى
أهل جلدتهم من سكان الزوايا المنتحلين للعبادة ليشتروا بها الجاه ويجتروا به على الله
وربما اضطر أهل الحقوق الى تحكيمهم فيحكمون بما يلقى الشيطان على ألسنتهم
يترخصون به الاصلاح لا يرعهم الدين عن التعرض لاحكام الله بالجهل فقطعت الحبل
فى أيديهم وأمضيت حكم الله فيمن أجازوه فلم يغنوا عن الله شيأ وأصبحت زواياهم
مهجورة وبئرهم التى يمتاحون منها معطلة وانطلقوا يواطؤن السفهاء من النيل
فى عرضى وسوء الاحدوثة عنى بمختلق الافك وقول الزور ويبثونه فى الناس ويدسون
الى السلطان التظلم منى فلا يصغى اليهم وآنافى ذلك محتسب على الله ما منيت به فى هذا
الامر ومعرض فيه عن الجاهلين وماض على سبيل سوى من الصرامة وقوة الشكيمة
وتحرى العدالة وخلاص الحقوق والتنكب عن خطة الباطل متى دعيت اليها وصلابة
القعود عن الجاه والاعراض متى غمزنى لامسها ولم يكن ذلك شأن من رافقته من
القضاة فنكروه منى ودعونى الى متابعتهم فيما يصطلحون عليه من مرضاة الاكابر
ومراعاة الاعيان والقضاء للجاه بالصور الظاهرة أو دفع الخصوم اذا تعذرت بناء
على أن الحاكم لا يتعين عليه الحكم مع وجود غيره وهم يعلمون أن قد تمالؤا عليه وليت
شعرى ما عذرهم فى الصور الظاهرة اذا علموا خلافها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول
من قضيت له من حق أخيه شيأ فانما أقضى له من النار فأبيت من ذلك كله الا اعطاء
العهدة حقها والوفاء لها ولمن قلدنيها فأصبح الجميع على الباطل ومن ينادى بالتأفف منى
عونا وفى النكير على أمته وأسمعوا الشهود الممنوعين أن قد قضيت فيهم بغير وجه
لاعتمادى على علمى فى الجرح وهى قضية اجماع وانطلقت الالسن وارتفع الصخب
وأرادنى بعض على الحكم بغرضهم فتوقفت وأغروا بى الخصوم فتنادوا بالتظلم عند
السلطان فجمع القضاة وأهل الفتيا فى مجلس جعل للنظر فى ذلك فخلصت تلك

Marfat.com

المحكومة من الباطل فخلوص الابرياء وتبين أمرهم للسلطان وامضيت فيها حكم الله تعالى ارغاما لهم فغدوا على عرد قادرين ودسوا الاولياء السلطان وعظماء الدولة يقبحون لهم اهمال جاههم وردشفاعاتهم مموهين بأن الحامل على ذلك جهل المصطلح وينفقون هذا الباطل بعظائم ينسبونها الى تبعث الحليم وتغرى الرشيد يستثيرون حفائظهم على ويشربونهم البغضاء الى والله مجازيهم وسائلهم فكثر الشغب على من كل جانب وأظلم الجو بينى وبين أهل الدولة ووافق ذلك مصابى بالاهل والولد وصلوا من المغرب فى السفين فأصابها قاصف من الريح فغرقت وذهب الموجود والسكن والمولود فعظم المصاب والجزع وربع الزهد واعتزمت على الخروج عن المنصب فلم يوافقنى عليه النصيح ممن استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه فتوقفت بين الورد والصدر على صراط الرجاء واليأس وعن قريب تداركنى اللطف الربانى وشملتنى نعمة السلطان أيده الله فى النظر بعين الرحمة وتخلية سبيلى من هذه العهدة التى لم أطق حملها ولا عرفت كما زعموا مصطلحها فردها الى صاحبها الاول وأنشطنى من عقالها فانطلقت حميد الاثر مشيعا من الكافة بالاسف والدعاء وجميل الثناء تلحظنى العيون بالرحمة وتتناجى الآمال فى بالعودة ورتعت فيما كنت راتعا فيه قبل من مراعى نعمته وظل رضاه وعنايته بالعافية التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه عاكفا على تدريس علم أو قراءة كتاب أو اعمال قلم فى تدوين أو تأليف مؤتملا من الله قطع صبابة العمر فى العبادة ومحو عائق السعادة بفضل الله ونعمته

(السفر لقضاء الحج)

ثم مكثت بعد العزل ثلاث سنين واعتزمت على قضاء الفريضة فودعت السلطان والامراء وزودوا وأعانوا فوق الكفاية وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين الى مرسى الطور بالجانب الغربى من بحر السويس وركبت البحر من هنالك عاشر الفطر ووصلنا الى الينبع لشهر وافينا المحل ورافقتهم من هنالك الى مكة ودخلتها ثانى ذى الحجة فقضيت الفريضة فى هذه السنة ثم عدت الى الينبع فأقمت بها خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر ثم سافرنا الى أن قاربنا مرسى الطور فهاجت الرياح فاوسعنا الاقطع البحر الى جانبه الشرقى ونزلنا بساحل القصير فقمنا سربا مع اعراب تلك الناحية الى مدينة قوص قاعدة الصعيد وارتحنا بها أياما ثم ركبنا فى بحر النيل الى مصر فوصلنا اليها الشهر من سفرنا ودخلتها فى جمادى سنة تسعين وقضيت حق السلطان فى لقائه واعلامه بما اجتهدت فيه من الدعاء له فتقبل ذلك بقبول حسن وأقمت فيما عهدت من رعايته وظل احسانه وكنت لما نزلت بالينبع لقيت بها

الفقيه الاديب المتفنن أبا القاسم بن محمد بن شيخ الجماعة وفارس الادباء ومنفق سوق البلاغه أبى اسحق ابراهيم الساحلى المعروف جده بالطويلى رتقدم حاجا وفى صحبته كتاب رسالة من صاحبنا الوزير الكبير العالم كاتب سر السلطان ابن الاحمر صاحب غرناطة الحظى لديه أبى عبد الله بن زمرك خاطبنى فيه بنظم ونثر نثرق ويذكر بعهود الصحبة نصه

سلوا البارق النجدى على عمل نجدى * تبسم فاستبكى جفونى من الوجد
أجاد ربوعى باللوى درك اللوى * وسح به صوب الغمائم من بعد
ويازاجر الاظعان وهى ضوامر * دعوها ترد هيما عطاشا على نجد
ولا تنشقوا الانفاس منها مع الصبا * فان زفير الشوق من مثلها يعدى
براها الهوى برى القداح وحطها * حزون على صفح من القفر ممتد
عجبت لها أنى تجاذبنى الهوى * وما شوقها شوقى ولا وجدها وجدى
لئن شاقها بين العذيب وبارق * مياه بنى الظل للبان والرند
فما شاقنى الا بدور خدورها * وقد لحن يوم النفر فى قضب ملد
فكم فى قباب الحى من شمس كلة * وفى فلك الازرار من قمر سعد
وكم صارم قد سل من لحظ أحور * وكم ذابل قد هز من ناعم القد
خذوا الحذر من سكان رامة انها * ضعيفات كسر اللحظ تفتك بالاسد
سهام جفون من قسى حواجب * يصاب بها قلب البرى على عمد
وروض جمال ضاع عرف نسيمه * وما ضاع غير الورد فى صفحة الخد
ونرجس لحظ أرسل الدمع لؤلؤا * فوشى بماء الورد روضا من الورد
وكم غصن قد مائق الصفن مثله * وكل على كل من الشوق يستعدى
قبيح وداع قد جلا لعيوننا * محاسن من روض الجمال بلا عد
رعى الله ليلى لو علمت طريقها * فرشت لاخفاف المطى بها خدى
وما شاقنى والطيف يرهب أدمعى * ويسجح فى بحر من الليل مزبد
وقد سل خفاق الذوائب بارق * كما سل لماع الصقال من الغمد
وهزت محلاه يد الشوق فى الدجا * فحل الذى أبرمت للصبر من عقد
وأقلق خفاق الجو الخ نسمة * تنم مع الاصباح خافقة البرد
وهب على ليل لف طى برده * أحاديث أهداها الى الغور من نجد
سوى صادح فى الايك لم يدر ما الهوى * ولكن دعانى الشجون على وعد
فهل عند ليلى نم الله ليلها * بأن جفونى ما تلم من السهد

Marfat.com

وليلة اذوانى الخيج الى مـنى * وفت لى المنى منها بما شئت من قصد
تقضيت منها فوق ما أحسب المنى * برد عفاف صانه الله من برد
وليس سوى لحظ خفى بحيلة * وشكوى كما ارفض الجمان من العقد
غفرت لدهرى بعدها كل ماجنى * سوى ماجشى وفد المشيب على فودى
عرفت بهذا الشيب فضل شبيبتى * ومازال فضل الضد يعرف بالضد
ومن نال فى ليل الشباب ضلالة * سيوقظه صبح المشيب الى الرشد
أما والهوى ما حدت عن سنن الهدى * ولا جرت فى طرق الصبابة عن قصد
تجاوزت حد العاشقين الأولى مضوا * وأقفر ربع القلب الا من الوجد
اليك أبا زيد شكاة رفعتها * وما أنت من عمرو لدى ولا زيد
بعيشك خبرنى ومازلت مفضلا * أعندك من شوق كمثل الذى عندى
فكم ثار بى شوق اليك فبرّح * فظلت يد الاشواق تقدح من زندى
وصفق حتى الريح فى لمم الربى * وأشفق حتى الطفل فى كبد المهد
يقابلنى منك الصباح بوجنة * حكى شفقا فيه الحياء الذى تبدى
وتوهمنى الشمس المنيرة غرة * بوجهك صان الله وجهك عن ردّ
محياك أجلى فى العيون من الضحى * وذكرك أحلى فى الشفاه من الشهد
وما أنت الا الشمس فى علو أفقها * نفديك من قرب وتلحظ من بعد
وفى غمة من لا ترى الشمس عينه * وما نفع نور الشمس فى الاعين الرمد
من القوم صانوا المجد صون عيونهم * كما قد أباحوا المال ينهب للرفد
اذا ازدحموا يوما على الماء اسوة * فما ازدحموا الا على مورد المجد
ومهما أغاروا منجدين صريخهم * يشبون نار الحرب فى الغور والنجد
ولم يقتنوا بعد الثناء ذخيرة * سوى الصارم المصقول والصافن النهد
وما اقتسم الانفال الا ممدح * ملاها باعراف المطهمة الجرد
أتنسى ولا تنسى ليالينا التى * خلسناها العينين من جنة الخلد
ركبنا الى اللذات فى طلق الصبا * مطايا الليالى وادعين الى الغد
فان لم ندر فيها الكؤس فاننا * وردنا بها اللأنس مشرعة الورد
لقيتك فى غرب وأنت رئيسه * وبابك للاعلام مجتمع الوفد
فأنست حتى ما شكوت بغربة * ووالبت حتى لم أجد مضض الفقد
وعدت لقطرى شاكرا ما بلوته * من الخلق المحمود والحسب العد
الى أن أجزت البحر يا بحر نحونا * وزرت مزار الغيث فى عقب الجهد

Marfat.com

أ لذ من النعمى على حال فاقة * وأشهى من الوصل الهنى على صد
ولو شاء أن قوّضت رحلك بالنوى * وعوّضت منها بالزميل و بالوخد
لقد سرتنى ان لحت فى أفق العلا * على الطائر الميمون والطالع السعد
طلعت بأفق الشرق نجم هداية * فجتمع الانوار فيه على وعد
يمينا بمن تسرى المطى مراهم * عليها سهام قد رمت هدف القصد
الى بيته كم ماتز و رمعاهدا * بان بها جبريل عن كرم العهد
لأنت لنا مهما دجا الليل مشكل * قدمت به للنور و اريه الزند
وحيث استقلت فى ركاب لطيبه * فأنت تحى النفس فى القرب والبعد
الى باب الملك حيث عهدتنى * مذيل ظلال الجاه مستصف العقد
أبيت بالانشاء كل كتيبة * من الكتب والكتاب فى عرضها جدى
لذ من المولى الامام محمد * بظل على نهر المبرة ممتد
انا فاض من يمناه بحر سماحة * وعم به الطوفان فى النجد والوهد
ركبنا الى الاحسان فى سفن الرجا * بحور عطاء ليس تزجر عن صد
فن يبلغ الانصار عنى الوكة * مغلغلة فى الصدق منجزة الوعد
بآية ما أعطى الخليفة ربه * مفاتيح فتح ساقها سائق السعد
وذلك من وعن المحامد نفحة * تفوق اذا اصطف الندى من الند
ثناء يقول المسك ان ذاع عرفه * أيالك من نداياك من ند
وما الماء فى جو السحاب مرقرقا * بأظهر ذات منك فى كنف المهد
فكيف وقد حلتك أسراءها الجلا * وباهت بك الاعلام بالعلم الفرد
وما الطل فى ثغر من الزهر باسم * بأصفى وأذكى من ثنائى ومن ودى
ولا البدر معصرما بتاج تمامه * بأبهر من ودى وأسير من جدى
بقيت ابن خلدون امام هداية * ولازلت من دنياك فى جنة الخلد

ووصلها بقوله سيدى شيخ الاعلام كنز رؤساء الاسلام مشرف حملة السيوف والاقلام بمال الخواص والظهراء أثير الدول خالصة الملوك مجتبى الخلفاء سر العلماء أوحد الفضلاء قدوة العلماء حجة البلغاء أبقاكم الله بقاء جميلا يعقد لواء الفخر ويعلى منار الفضل ويرفع عماد المجد ويوضح معالم السيادة ويرسل أشعة السعادة ويفيض أنوار الهداية ويطلق ألسنة المحامد وينير أفق المعارف ويعذب مورد العناية وتجعل سمر النهاية ولا نهاية يا آى التحيات أفاتحك وقد رأيت أعلى ومطلع فضلك أوضح من أن يقال ان فلانة كسرى فى الثناء وتبع فأثرك لا يقتفى ولا يتبع تلك تحية عجماء

Marfat.com

لاتين ولاتين وزمزمة نافرها اللسان العربى المبين وهذه جهالة جهلاء لا ينطبق على حروفها الاستعلاء قد محا رسومها الخفاء وعلى آثار منتها العفاء وان كانت التحيتان طالما أوجف بهما الركاب وقعقع البريد ولكن أين يقسان مما أريد تحية الاسلام أصل فى الفخر نسبا وأوصل بالشرع سببا فالاولى أن نحييك بما حيا الله فى كتابه رسله وأنبياءه وحيت به ملائكته فى جواره أولياءه فأقول السلام عليكم يرسل من رحمة الله غماما ويفتق من الطروس عن أزهار المحامد كماما ويستصحب من البركات ما يكون على التى هى أحسن من ذلك مقاما وأجدد السؤال عن الحال الحالية بالعلم والدين المستمدة من أنوارها سرج المهتدين زادها الله صلاحا وعرفها نجاحا يتبع فلاحا وأقر ما عندى من تعظيم ارتقى كل آونة شرفه واعتقاد جميل يرفع عن وجه البدر كلفه وثناء أنشر بيدك البيضاء صحفه وعلى ذلك أيها السيد المالك فقد تشعبت على فى مخاطبتك المسالك ان أخذت فى تقرير فضلك العميم ونسبك الصميم فوالله ما أدرى بأى بيعة لفخرك تدفع الظلم وفى أى بحر من ثنائك يسبح القلم الامر جلل والشمس تكبر على حلى وحلل وان أخذت فى شكاة الفراق والاستعداء على الاشواق وأسلة اليراع تخضب مفارق الطروس بصبيغ الحبر المراق وغرك من تركض فى مخاطبته جياد اليراع فى مجال الرقاع مستولية على أمد الابداع والاختراع فانما هو بث يبكى وفراق يشكى فيعلم الله مرضى عن أن أبثه من أنبائك ثغور البروق البواسم وأن أحملك الرسائل حتى مع سفراء النواسم وأن اجتلى غرر ذلك الجبين فى محيا الشارق ولمح البارق ولقد وجهت اليك جملة من الكتب والقصائد ولا كالقصيدة الفريدة فى تأبين الجواهر اللائى استأثر بهن الحفر قدس الله أرواحهم وأعظم الله أجرك فيهم فانها أنافت على مائة وخمسين بيتا ولا أدرى هل بلغكم ذلك أم غاله الضياع وعذر وصوله بعد المسافة والذى يطرق فى سوء الظن بذلك ما صدر فى مقابلته منكم فانى على علم من كرم قصدكم ومن حين استغربنا كم بذلك الافق لم يصلنى منكم كتاب مع علمى بضياع اثنين منهما بهذا الافق الغربى اه وفى الكتاب اشارة الى أنه بعث قصيدة فى مدح الملك الظاهر صاحب مصر ويطلب منه [illegible] الى السلطان وعرضها عليه بحسب الامكان وهى على روى الميمية [illegible]

أمدامع منهله أم لؤلؤ * لما استهل العارض المتلالئ

وبعث فى طى الكتاب واعتذر بأنه استناب فى نسخها فكتبت همزة رويها ألفا قال وحقها أن تكتب بالواو لانها تبدل بالواو وتسهل بين الهمزة والواو وحرف الاطلاق يسوقها واوا هذا مقتضى الصناعة وان قال بعض الشيوخ تكتب ألفا على كل حال

Marfat.com

على لغة من لا يسهل لكنه ليس بشئ وأذن لى فى نسخ القصيدة المذكورة بالخط المشرقى لتسهل قراءتها عليهم ففعلت ذلك ورفعت النسخة والاصل للسلطان وقرأها كاتب سره ولم يرجع الىّ منها شئ ولم أستجد أن أنسخها قبل رفعها الى السلطان فضاعت من يدى وكان فى الكتاب فصل عرفنى فيه بشأن الوزير مسعود بن رحو المستبد بأمر المغرب لذلك العهد وما جاء به من الانتقاض عليهم والكفران لصنيعهم يقول فيه كان مسعود بن رحو الذى أقام بالاندلس عشرين عاما يتبتك النعيم ويقود الدنيا ويخفر العيش والجاه قد أجيز صحبة ولد عثمان كما تعرفتم من نسخة كتب انشائه بجبل الفتح لاهل الحضرة فاستولى على المملكة وحصل على الدنيا وانفرد برياسة المغرب لصنع السلطان رحمه الله ولم يكن الا ان كفرت الحقوق وحنظلت [illegible] ووقف على سواد مملكته سواد العقوق وداخل من سبتة فانتقضت طاعة أهلها وظنوا أن القصبة لا ثبت لهم وكان قائدها الشيخ الابهة فل الحصار وجلى القتال وحمض المطرب أبو زكريا بن شعيب فثبت للصدمة ونور للاندلس فبادره المدد من الجبل ومن مالقة وتوالت الامداد وخاف أهل البلد ورجع شرفاؤه ودخلوا القصبة واستغاث أهل البلد بمن جاورهم وجاءهم المدد أيضا ثم دخل الصالحون فى رغبة هذا القيام ورفع القتال وفى أثناء ذلك غدر واثاية فاستدعى الحال اجازة السلطان المخلوع أبى العباس لتبادر القصبة به ويتوجه منها الى المغرب لرغبة بنى مرين وغيرهم فيه وهو ولد السلطان المرحوم أبى سالم الذى قلدكم رياسة داره وأوجب لكم المزية على أوليائه وأنصاره وبعده فصل آخر يطلب فيه كتبا من مصر يقول فيه والمرغوب من سيدى أن يبعث لى ما أمكن من كلام فضلاء الوقت وأشياخهم على الفاتحة اذ لا يمكن بعث تفسير كامل لانى أثبت فى تفسيرها ما أرجو به النفع عند الله وقد علمتم أن عندى التفسير الذى أوصله عثمان النجانى من تأليف الطيبى والسفر الاول من تفسير أبى حيان وملخص اعرابه وكتاب المغنى لابن هشام وسمعت عن براءة تفسير الامام بهاء الدين ابن عقيل ووصلت الىّ براءة من كلام الاسرى رضى الله عن جميعهم ولكنى لم أسمع الا البسملة وذكر أبو حيان فى صدر تفسيره أن شيخه سليمان النقيب أو أبا سليمان لا أدرى الآن صنف كتابا فى البيان فى سفرين جعله مقدمة لكتاب تفسيره الكبير فان أمكن سيدى توجيهه لا بأس انتهى وفى الكتاب فصول أخرى فى اغراض متعددة لا حاجة الى ذكرها ههنا ثم ختم الكتاب بالسلام وكتب اسمه محمد بن يوسف بن زمرك وتاريخه العشرون من محرم سنة تسع وثمانين (وكتب الىّ) قاضى الجماعة بغرناطة أبو الحسن على بن الحسن البنى الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا

Marfat.com

محمد رسول الله ياسيدى وواحدى وذاوحبا ونجى الروح بعدا وقربا أبقاكم الله
وثوب سيادتكم سابغ وقرسعادتكم كلما أفلت الاقمار بازغ أسلم باثر سلامى
عليكم وأقرر بعض مالدى من الاشواق اليكم من حضرة غرناطة مهدها الله
عن ذكركم يتضوع طيبه وشكركم لايذوى وان طال الزمان رطيبه قد كان بلغ ماجرى
من تأخيركم عن الولاية التى تقلدتم أمرها وتحلمتم مرها فتمثلت بما قاله شيخنا أبو
الحسن بن الجياب عند انفصال صاحبه الشريف أبى القاسم عن خطة القضاء

لامرحبا بالناس أنفارك * اذجهلت رفعة مقدارك
لوأنها قدأوتيت رشدها * مابرحت تعشو الى نارك

ثم تعرفت كيفية انفصالكم وانه كان عن رغبة من السلطان المؤيد هنالكم فرددت
وقد توهمت مشاهدتكم هذه الابيات

لله الله يا بدر السماحة والبشر * لقد حزت فى الاحكام منزلة الفخر
ولكنك استعفيت عنها تورعا * وتلك سبيل الصالحين كما تدرى
جريت على نهج السلامة فى الذى * تحيرته للنشر منك وللعشر
وحق بأن العلم ولالك خطة * من العز لاتفك عنها مدى العمر
تزيد على مر الجديدين جدة * وتسرى النجوم الزاهرة ولاتسرى
ومن لاحظ الاحوال وازن بينها * وكم لذوى الدنيا الدنية من خطر
وأمسى لانواع الولايات نابذا * فغير نكير أن يواجه بالنكر
فهنيئا يهنيك الذى أنت أهله * من الزهد فيها والتوقى من الوزر
ولاتكترث من حاسديك فانهم * حصا والحصا لايرتقى مرتقى الذرى
ومن عامل الاقوام بالله مخلصا * له فيهم نال الجزيل من الاجر
بقيت لرفع المجد تحمى ذماره * وحاز لك الرحمن فى كل ماتجرى

ايه سيدى رضى الله عنكم وأرضاكم أطنبتم فى كتابكم فى الثناء على السلطان الذى أتم
بالاعفاء والمساعدة على الانفصال عن خطة القضاء واستنهضتم الدعاء [illegible]
ولله درّكم فى التنبيه على الارشاد الى ذلكم فالدعاء له من [illegible]
الامور وصلاح الخاصة والجمهور وعند ذلك ارتفعت [illegible]
بهذا القطر له ولكم بجميل الدعاء أجاب الله فيكم أحسن [illegible] وبلغ كل واحد
منكم ماقصده وأمّله وأنتم أيضا من أهل العلم والجلالة والفضل والاصالة وقد
بلغتم بهذه البلاد الغاية من التنويه والحظ الشريف النبيه لكن أراد الله سبحانه
أن يكون لمحاسنكم فى تلك البلاد العظيمة ظهور وتحدث بعد الامور أمور وبكل

Marfat.com

اعتبار فالزمان يكم حيث كنتم مباه والمحامد مجموعة لكم جمع ثناه ولما وقف على مكتوبكم مولانا السلطان أبو عبد الله أدام الله الثناء على مقاصدكم وتحقق جميل وداد كم وصحيح اعتقادكم وعمر مجلسه يومئذ بالثناء عليكم والشكر لما لديكم ثم ختم الكتاب بالسلام من كاتبه علي بن عبد الله بن الحسن مؤرخا بصفر سنة تسعين وفي طيه مدرجة بخطه وقد قصر فيها عن الاجادة نصها سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم وأظفركم بمناكم أعتذر لكم من الكتاب المدرج به هذا غير خطي فاني في ذلك الوقت بحال مرض من عيني ولكم العافية الوافية فيسعني سمحكم وربما كان لديكم تشوف بما نزل في هذه المدة بالمغرب من الهرج أماطه الله وآمن بلاد المسلمين والموجب أن الحصة المرجهة في خدمة أميرهم الواثق ظهر له ولوزيره ومن ساعده على رأيه امساكها رهينة وجعلهم في التيه الى أن يقع الخروج لهم على مدينة سبتة وكان القائم على هذه الحصة الفقيه المدعو المهند وصاحبه الفتى المدعو نصر الله وكثر التردد في القضية الى أن أبرز القدر توجيه السلطان أبي العباس تولاه الله صحبة فرج بن رضوان بحصة ثانية وكان ما كان حسبما تلقيته من الركبان هذا ما وسع الوقت من الكلام ثم ختم الكتاب وانما كتبت هذه الاخبار وان كانت خارجة عن غرض هذا الكتاب المؤلف لان فيها قصة لهذه الواقعات وهي مذكورة في أماكنها فربما يحتاج الناظر الى قصة فيما من هذا الموضع وبعد قضاء الفريضة رجعت الى القاهرة محفوفا بسترة لطفه ولقيت السلطان فتلقاني أيده الله بعهوده ومبرته وعنايته ولحقت للسلطان المكيدة التي محصه الله فيها وأقاله وجعل الى الخير فيها عاقبته وما له ثم أعاده الى كرسيه للنظر في مصالح عباده وطوقه القلادة التي ألبسه كما كانت فأعاد لي ما كان أجراه من نعمته ولزمت كسر البيت ممتعا بالعافية لابسا برد العزلة عاكفا على قراءة العلم وتدريسه لهذا العهد فاتح سبع وتسعين والله يعرفنا عوارف لطفه ويمتعنا ظل ستره ويختم لنا بصالح الاعمال وهذا آخر ما انتهيت اليه وقد نجز الغرض مما أردت ايراده في هذا الكتاب والله الموفق برحمته للصواب والهادي الى حسن المآب وبالصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله والاصحاب والحمد لله رب العالمين

{ يقول المتوكل على من رصف نعمه بالاسباغ الفقير الى الله تعالى
يحيى الصباغ مصحح دار الطباعة الخديوية ببولاق مصر المعزية }

تبارك الذي كل النوع الانساني وجمع ما تفرق في العالم من المعاني وحلاه بتقسيمه

Marfat.com

الى عرب وعجم وبربر وجعل فى خلال ذلك عبرا تتطر وقصايد بديعة الخبر تذكر ثم بذلك للمؤرخ ديوان المبتدا والخبر واستدل على أنه سبحانه المتصف بصفات الكمال الواجب له صفات الجلال وصلى الله وسلم على النبى المعظم الذى قص عليه من الاخبار أنفسها ومن الآثار البديعة أحسنها وعلى آله الذين اتبعوا أثره وعصبه الذين أرخوا سيره (وبعد) فقد أتم الله نعمه وجوده وكرمه بطبع هذا الكتاب العجيب المشتمل على كل خبر غريب الموسوم بكتاب العبر وديوان المبتدا والخبر فى أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الاكبر وهو اسم طابق مسماه ولفظ تحقق معناه فلقد بين المخبآت ودل على الآيات البينات وأخبر عما كان حتى كأنه حاضر للعيان وحكى من السير ما فيه معتبر وأشار باخبار الملوك الى حسن السياسة والى تعلم كيفية الفراسة اشتهر فضله ولم يمثله تفجرت عن ينابيع الحكمة أنهاره وفاضت بعوارف المعارف بحاره واخضوضرت بالخير أمطاره وغنت أطياره وتفتحت أزهاره وطابت ثماره ولقد كان عز حتى لايسمح الا اسمه وأشبه طللا مية رسمه فأحيا مواته لطف الطبع وأقام أوده حسن الوضع حتى عم عرف طيبه العبير ووصلت اليه يد الغنى والفقير وهو من الحسنات التى أشرق شمسها على صفحات الطروس وتزينت بجلاها النفوس فى ظل صاحب السعادة وحليف المجد والسيادة من جبلت على حبه القلوب فرفعت أكف السؤال من علام الغيوب أن يديم له النصر والتعزيز خديو مصر العزيز بن العزيز ابن العزيز سعادة أفندينا المحروس بعناية ربه العلى اسمعيل بن ابراهيم بن محمد على لازالت الدنيا مشرقة بكوكب سعده حاملة لرايات مجده ناطقة بالسنة على ألسنة الكرام غرة جبين الليالى والايام ثم ان هذا الطبع الظريف والوضع اللطيف بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة ذات الشهرة الباهرة والمحاسن الزاهرة التى أنقذت الكتب من أسر التحريف وأطلقتها عن قيد التصحيف فلبست من برد الفخار وتوجت تاج الاعتبار ينسر برؤيتها الناظر وينشرح بنظر ناظرها المشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فى تحسين مظاهرها من الاخلاق باللطف تثنى حضرة حسين باشا حسنى لازال وقاف المبرات ثم ان التصحيح بعد التنقيح ماعدا بعض الخطأ الذى لا يخلو منه العبد الفانى الفقير الى الله محمد الصباغ أسبغ الله عليه ثم أتم الصباغ وفاح مسك ختامه أرخه الاستاذ فريد الزمان ونادرة الاوان من أقتنه البلاغة مقاليدها وملكته الفضائل طارفها وتليدها الذى اشتهر فضله فى الامصار

Marfat.com

السيد عبد الهادى نجا فخرا بيار فقال أحسن مقال

زها ابن خلدون وتم طبعا * ورافحسنا ثم فاق جمعا
كأنه روض أغن أزهرت * أفنانه بكل فن وضعا
أنباء أبناء الزمان فيه * تروق جمعا وتشوق سمعا
نديم أنس متحف بكل ما * ينعش أرواح النديم نفعا
يسر بالذى يسر كل من * حدث بحسن الحديث رفعا
يهديه من طرائف الاخبار ما * يلهيه عما يشتهيه طبعا
ألفاظه تطرب كل سامع * كأنها صوت الحمام سجعا
تلعب بالعقل كأنها الصبا * تلعب بالاغصان حين تسعى
فاعكف عليه غير ناظر الى * سواه اذ هو الاجل قطعا
من منة الله على الانام أن * كثر بالطبع لجل وقعا
وأنشد الحال مؤرخا له * زها ابن خلدون وتم طبعا

١٣ ٥٣ ٠٩٠ ٦٤٦ ٨٢

سنة ١٢٨٤

وكان فصال طبعه وتمام وضعه آخر ربيع الثانى من العام المشار اليه فى الابيات من هجرته عليه أفضل صلوات وأزكى تحيات وعلى أصحابه وآله وكل ناسج على منواله

تم

تاريخ ابن خلدون

المسمى

بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر

ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي

المتوفى سنة ٨٠٨ هجرية

المجلد السابع

مؤسسة جمال للطباعة والنشر

بيروت - لبنان

Marfat.com